

تقي الدين المقريزي (ت 845 / 1441)

الجزء الثاني

(695 - إدريس الأول — 1047 - ثوبان بن بجدد)

تحقيق

محمد اليعلاوي



الطبعة الأولى

1411 - 1991

دار الغرب الإسلامي
ص.ب : 113/5787
بيروت - لبنان



2

بسم الله الرحمن الرحيم

وبعد ، فهذا الجزء الثاني من كتاب المقفّى للمقريزيّ ، يتضمّن بقيّة تراجم حرف الهمزة وتراجم الباء والتاء والثاء . وكان في نيّتنا أن نجمع فيه أيضاً تراجم الجيم والحاء والخاء ، حتى يخرج مخطوط السليميّة في مجلّدين فقط . ولكن تبيّن لنا أنّ المادّة غزيرة جدًّا وأن هٰذا الجزء الثاني سيتضخّم بالتالي بصفة مفرطة . لذلك أرجأنا بقيّة تراجم هٰذا المخطوط الى جزء ثالث نقدّمه للطبع عن قريب إن شاء الله .

وفي تقديرنا أن يستغرق مخطوط باريس الجزء الرابع ، ومخطوطات ليدن الثلاثة الأجزاء الخامس إلى السابع ، ثمّ جزء ثامن للفهارس ، فيستوي هٰذا المعجم الكبير في ثمانية مجلّدات ، وهو لعمري حجم غيرُ مستكثر إذا ما قارنّاه مثلاً بالأجزاء الثمانية التي أخرج فيها الدكتور إحسان عبّاس وفيات ابن خلّكان ، وهي 855 ترجمة فحسب ، في حين أن المقفّى يتضمّن أكثر من 3600 ترجمة .

ويمتاز هٰذا الجزء بوفرة التراجم المخصّصة للممَاليك . وقد وجدنا صعوبة في ضبط أسمائها وتتبّع حوادثها ، نظراً لقلّة ٱختصاصنا في هٰذه الفترة من تاريخ مصر والشام . ولكن وجدنا التوضيح والضبط والإصلاح بالرجوع إلى كتاب السلوك وإلى الهوامش الكثيرة التي علّق بها ناشروه على نصّ المقريزيّ ، وكذلك في طبعة دار الكتب للنجوم الزاهرة .

ومع ذلك يبقى بعض المترجمين مجهولين تمَاماً : أولائك الذين ترد تراجمهم عاطلةً من كلّ إحالة أو تعليق . ذلك أنّهم لم يذكروا في غير المقفّى ، ولا حتّى في السلوك .

وكذلك آستعصى علينا أحياناً تقويم نصّ منقول ، من شعر لم يرد في مصادر أخرى وساقه المقريزيّ ناقصاً أو نقله ناسخ السليميّة مشوّهاً محرّفاً ، ومن فقرات منقولة عن أرباب الإنشاء والترسّل استعصت عبارتها المزخرفة على فهم الناسخ فلم يضبط الكلمات أو الأسماء فآستعصت علينا أيضاً لتعذّر مقابلتها بأصولها .

وقصارى أمِل المحقّق لكتابٍ من هٰذا النوع ، كتاب تراجم متباينة في الأزمان ، متفاوتة في القيمة والدسامة ، متنوّعة في المظانّ التي نقلت منها ، أن يقدّم إلى القرّاء نصّاً مقروءًا ، أي مفهوماً في تسلسل أحداثه وآرتباط الأسباب فيها بالنتائج ، وآتضاح الدوافع التي تحرّك الأشخاص ، وقد تكون دوافع مسكوتاً عنها لأنّ المؤلّف كان ينوي الرجوع إليها بمزيد من التفاصيل أو لأنّها في عصره أشهر من أن تحتاج إلى توضيح .

وتقديم النصّ المقروء المفهوم ليس بالأمر الهيّن لمَن لا يمتلك إلاّ نسخة وحيدة مبتورة ناقصة ، مبعثرة بين ثلاث مكتبات في العالم ، وأربعة أخماسها مسوّدات ، لئن كانت من خطّ المؤلّف ، فهي في المقابل ذات ثغرات كثيرة وبياضٍ متكرّر وآقتضاب وآختصار ، لأنّ المؤلّف حرّرها بصفة وقتيّة وكتبها بخطّ سريع ، كأنّها « رؤوس أقلام » للتذكرة أو جذاذات كمَا نقول اليوم ، في انتظار أن يعود إليها في تؤدة ورصانة فيكملها ويبيّضها .

وليس الخمُس الآخر ، وهو مخطوط السليميّة هٰذا ، بأحسن حالا : صحيح أنّ خطّ ناسخه أوضح من خطّ المقريزيّ ، ولكنّ الناسخ يسيءُ الفهم أحياناً فيحرِّف عند النقل أو يبدِّل ما لم يفهمه – وقد افترضنا أنّه نقل عن مسوّدة

للمقريزيّ – ولئن ترك البياض بياضاً غالباً ، فإنّه أحياناً يبطل ذلك السقط ويسوق الكتابة استرسالاً ، غيرَ منتبه إلى أنّ الفراغ مقصود وأنّ المؤلّف كان ينوي تعميره فيما بعد .

فالضبط والتثبُّت وآختيار القراءة الصالحة ، ذاك هو دأب المحقّق ودَيْدَنُه ، وإلى هٰذه الغاية سعينا . أمّا الدراسة والتقييم ، والنقد والتعليق ، فتلك مرحلة أخرى ، لها أصحابها من الدارسين والمختصّين ، في تاريخ الدول والملوك ، وتاريخ العقائد والنحل ، وتاريخ المجتمعات والعادات ، وتاريخ الفكر والأدب ، وفي كلّ هٰذه المناحي يوفّر كتاب المقفّى لهؤلاء مادّة صالحة . والله نسأل أن يوفّقنا إلى صالح الأعمال وهو حسبنا ونعم الوكيل .

تونس في 9 ربيع الثاني 1409

19 نوفمبر 1988

محمد اليعلاوي

٣٢٥
[illegible]

حل ابو الحسن سلامه بن عبد الله الى المعري والسروجي النسابه مهدي اسعد الجواني ورحل الى بغداد
وسمع بها وكتب هل ابن المرقعي وتوفي بقرافة مصر في العشر الاوسط من ذي القعدة سنة خمس
وخمسين وستمائة وبها دون ابو اسمعيل بن محمد بن عبد الله بن محمد بن جعفر بن محمد بن اسمعيل
ابن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنه الامام المنصور بالله ابو الطاهر
امير المومنين بن الامام القائم بامر الله امير المومنين ابي القسم بن الامام المهدي بالله ابي محمد ولد
وكانت ولادته سنة احدى وثلثمائه وهو الصحيح وقيل ولد بالمهديه في اول ليلة من جمادى الاخرة سنة
ثلاث وثلثمائه وقيل ولد بالعراق وهو خطا وقيل ولد سنة اثنتين وثلثمائه واقام الى ان
توفي القائم بامر الله ابوه وفوض اليه عهده في يوم الاثنين لتسع خلون من شهر رمضان سنة
اربع وثلثين وثلثمائه وكانت سنه اذ ذاك ثلاثا وثلثين سنة فقال المحدث قاسم التونسي من
قصيدة شهدت بان الله ما لخلق عالم ، وان امير المومنين موفق ،
لقد كانت الايام حربا فاصبحت ، فما الشمس الا شكر له تنطق ،
امير عنه الامامه [illegible] ، و[illegible] الى اخلاقه وتشوق ،
وكانت عيون الامر من [illegible] ، [illegible] اليه تطرق ،
[illegible] الشعراء فاكثروا ثم كان يوم الفطر من هذه السنه فخرج وهو ولي العهد من قصره
وتقدمه بنوه واخوته وعمومته وخدمه وعبيده وقامة الناس [illegible] ويزدحمون عليه
[illegible] الناس وصعد المنبر فخطب خطبة بليغه وتوفي القائم بامر الله لثلث عشرة خلت من
شوال هذا فكتم المنصور بالله موته ولم يظهر عليه حزنا خوفا ان يتصل ذلك بابي يزيد مخلد بن
كيداد الكارجي [illegible] فتمسك [illegible] ويقوي عزمه فاجرا الامور على حالها واكثر العطايا
والصلات ولم يتسم بامير المومنين وكان كتبه تنفذ من الامير اسمعيل ولي عهد المسلمين ابن امير
المومنين واستمر امره [illegible] القائم [illegible] في الدولة وقتل
الرجال [illegible] المسلمين [illegible] ووصل الفقراء والمساكين ووجه
[illegible] الى [illegible] المنصور [illegible] فهم فاسروه
[illegible] ابي يزيد [illegible] الحادي والتاسع والثاني واقر الامور على
حالها [illegible] واقام على ذلك بقية سنة اربع وسنة خمس وثلثين وكان
القائم بامر الله قد عهد الامر [illegible] ورجع الامر الى اسمعيل في الوقت
[illegible] دون عمومته واخوته فلما كانت سنة ست وثلثين [illegible] اسمعيل [illegible]
الله من ابي يزيد [illegible] امير المومنين [illegible] الامر اليه [illegible] ح
[illegible] الى المدينة [illegible]
[illegible] الى احدى عشرة خلت من شوال [illegible]
[illegible]
[illegible]

مخطوط السليميّة ورقة 189 أ

(ترجمة المنصور العبيديّ ص 129)

695 - إدريس الأوّل [- (175)][1]

ادريس بن عبد الله بن الحسن[2] بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، رضوان الله عليهم .

لحق بأرض المغرب فمات هناك . وسبب ذلك أنّ الحسين بن علي بن الحسن[3] بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، لمّا ظهر بالمدينة النبويّة سنة تسع وستّين ومائة ، وبايعه الناس بها ، كان إدريس معه ، هو وأخوه يحيى . ثمّ خرج بهما معه ، فيمن خرج ، يريد مكّة ، لستّ بقين من ذي القعدة ، بعدما أقاموا بعد البيعة بالمدينة أحد عشر يوماً .

فقدموا مكّة ، وبها يومئذ رجال من بني العبّاس قدموا للحجّ . وبلغ الخبرُ الخليفة الهادي موسى ، ابن محمد المهديّ ، ابن أبي جعفر المنصور . فكتب الى محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عبّاس يولّيه الحرب . فقاتل بمَن معه الحسين في يوم التروية[4] . فأنهزم أصحابُ الحسين عنه وقُتل بفخّ[5] ، وقتل معه زيادة على مائة رجل من أهل بيته وغيرهم .

---

(1) الأعلام 1 / 267 ؛ الاستقصاء 1/ 155 ؛ البيان المغرب 1 / 210؛ ابن خلدون 4 / 12؛ الوافي 8/ 318 (3743) ؛ دائرة المعارف الإسلامية 3 / 1057 .
(2) ويسمّى الحسن المثنّى .
(3) ويسمّى الحسن المثلّث .
(4) أي : 8 ذي الحجّة سنة 169 .
(5) فخّ : على فرسخ من مكّة ؛ المعارف 381 ، ودائرة المعارف 2 / 763 . وسمّي الثائر القتيل « صاحب فخ » .

قدومه إلى المغرب :

وأفلت من المنهزمين إدريس هٰذا[1] . فأتى مصر ، وعلى بريدها واضح مولى صالح / ابن أبي جعفر المنصور ، وكان شيعياً . فحمله على البريد الى أرض [166 ب]
المغرب ، فوقع بأرض طنجة بمدينة وليلي[2] ، فآستجاب له مَن بها من البربر[3] . فضرب الهادي عنقَ واضح وصلبَه . وقيل إنّ هارون — ابن محمّد [المهديّ] — الرشيد هو الذي قتله .

وقوي أمر ادريس [فـ]ـخطب لنفسه بالخلافة بسبتة وملك جميع المغرب الأقصى . وكان مقداماً شجاعاً ، ذا رأي ، كريماً . وأعقب أولاداً ، منهم إدريس بن إدريس — وفيه العقب من جهة عبد الله[4] — والقاسم ، ومحمّد ، ويحيى ، وعمر . وخطب لهم بالخلافة في أكثر المغرب ، وفاس ، وتلمسان ، وسبتة ، وطنجة ، وتاهرت ، وما بينهم ، حتّى ظهرت الخلافة الفاطميّة بالمغرب . فقام[5] عبيد الله المهديّ ، فآنقطعت دعوة الأدارسة .

وكانت وفاة إدريس سنةَ تسع وستّين ومائة[6] ، عن ثمان وخمسين سنة .

وقال ابنه إدريس ، القائم من بعده بالأمر يرثيه [بسيط] :

روحي الفداء لمن جاءت منيّتُه ... يرمي بها بلد ناءٍ الى بلدِ
فآختُلست نفسه منه مُخاتَلةً ... حتّى تخلّى من الأموال والولدِ
أهدى إليه المنايا ذو قرابتِه ... بغير جرم سوى البغضاء والحسد

....

(1) صحبة مولاه راشد .
(2) في ربيع الأوّل 172 . ومدينة وليلى الأثريّة Volubilis قريبة من فاس .
(3) وقد أعانه على ذلك أمير أورابة أبو ليلى اسحاق بن محمد بن عبد الحميد .
(4) في المخطوط : عبيد الله .
(5) في المخطوط : أبو عبيد الله والخلط بين أبي عبد الله الداعي وعبيد الله المهدي كثير .
(6) بل سنة 175 . والخطأ من الصفدي في الوافي .

لئن ظفرتم بيومٍ قتّلنا غلباً إنّا لنرجو من الرحمان فوزَ غدِ
حتّى يزيل أقلّ الحقّ أكثرُه ويشرب الكأس ساقيها يَدًا بيدِ

وقال إدريس حين أتى بلاد البربر وبايعوه [طويل] :

وأصبحتُ في شمّاء بالغرب عند مَن يذبّون عنّي بالمثقّفة المُلدِ
رعَوْنيَ لمّا ضيَّعَتْني أقاربي ، وما اَطّرَحُوا ما كان أوصى به جَدّي

سبب موته :

وكان سبب موته أنّ الهادي بعث في طلبه رجلاً كان يعرفُه إدريس موالياً لهم وَمائلاً الى شيعة عليّ(رضه) ، وبذل له مالاً ، فقصد في طلب إدريس حتّى لحق به في الغرب ، بمدينة يقال لها : وليلي ، وقد اتّخذ مدينة فاس ، وكان على أن يرحل إليها بنفسه ومن تجمّع إليه . فنزل عليه الرجل ، فعرفه إدريس وأكرمه . فلمّا داخله وأمِنَه ، وضع سمّا في جانب سكّين ، ثمّ دخل عليه وبيده أترجّة أو بطيخة ، فقطعها بين يديه ، فأكل الجانبَ الذي يليه ، وناوله الذي خالطه السمّ ، فأكله إدريس ، وخرج الرجل عنه . فهلك إدريس .

وقيل إنّ الهادي بعث مع ذلك الرجل بغالية مسمومة . فلمّا أمنه إدريس ، أخرج إليه الإناء ، وفيه الغالية[1] ، فغلفه منها ، ثمّ خرج عنه . وسقط إدريس[2] لوجهه فمات .

وقيل : الذي بعث معه الهادي إنمّا كان سَنُوناً[3] مسموماً فاَستنّ به إدريس فمات . وخرج الرجل فنجا ونفذ الى بغداد فولّاه بريد مصر .

---

(1) الغالية : ضرب من الطيب .
(2) في المخطوط : وسقط الرجل .
(3) السنون : عجين أو طحين تُعالج به الأسنان .

عداوة العباسيّين وولاتهم له :

وقيل : بل كان الذي دسّ إلى إدريس السمّ الخليفة هارون الرشيد : بعث بالشمّاخ اليمانيّ[1] ، مولى أبيه محمد المهديّ ، فأتى إدريس ، وأظهر أنّه من شيعتهم ، فعظّمه إدريس ومال إليه وأنزله عنده . ثمّ إنّه شكا إليه مرضاً في أسنانه ، فوصف له دواءً ، وجعل فيه سمًّا ، وأمره أن يستنّ به عند طلوع الفجر ، فأخذه منه ، وهرب الشمّاخ . ثمّ أخذ إدريس الدواء لمّا طلع الفجر فاستنّ به وجعل يردّده في فيه فسقط فوه ومات . فطُلب الشمّاخ فلم يقدر عليه . وخرج إلى هارون الرشيد يخبره بموت إدريس ، فبعث له بصلة سنيّة ، وولّاه بريد مصر ، فقال بعض الشعراء – ويقال إنّه الهادي أو الرشيد ، ويقال : أشجع السلميّ / [كامل] : [167 أ]

أتظنّ يا إدريس أنّك مفلتٌ … كيدَ الخلافةِ أو يقيك فِرَارُ ؟
إنّ السيوفَ إذا انتضاها سخطه … طالت وقُصِّر دونها الأعمارُ
ملك كأنّ الموت يتبع أمره … حتّى تخال تطيعُه الأقدار

ومن شعر إدريس هذا [سريع] :

غرّبت كي أغرب في ثورة … أشني بها كلّ فتى ثائر
لا خير في العيش لمَن يغتدي … في الأرض جارا لأمرىءٍ جائر
والأرض ما أَوْسَعَهَا ربُّها … إلاّ لتبدو همّةُ السائر
لا بلّغت لي مهجةٌ سؤلَها … إن لم أوفِّ الكيْلَ للغادرِ

---

(1) واسمه سليمان بن جرير .

696 – الشريف أدّي [/ ودّي] أمير المدينة [– 752]

أدي[بن جماز] [1] بن هبة[الله] بن جماز بن منصور بن جماز بن شِيحَة بن هاشم بن القاسم بن المهنّا بن حسين بن المهنّا بن داود بن القاسم بن عبيد الله بن طاهر بن يحيى بن الحسين بن جعفر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الحُسَيْنيّ .

حصَر المدينةَ النبويّةَ في شهر ربيع الأوّل سنة سبع وعشرين وسبعمائة أسبوعاً ، وأحرق الباب ودخلها ، وقد غاب عنها الشريف كبيش [2] فأخذ غلمانه وأهله وألزمهم بالمال . ففرّ طفيل أخو كبيش وأبنه . وكثرت عقوبات الناس حتى اشتدّ الغلاء بالمدينة لأنقطاع الجلب . وقتل وديّ القاضي هشام بن عليّ العلويّ ، وعبد الله بن القائد عليّ بن يحيى ، وأفقر جماعة من المياسير حتى احتاجوا إلى السؤال .

فلمّا بلغ الخبر الامير كبيش قدم ، ففرّ وديّ . وكان الشريف طُفيل قدم مصر وشكا وديّ . فعزم الملك الناصر محمّد بن قلاوون على إرسال عسكر الى المدينة . فحضر بعد ذلك وديّ إلى مصر ، وتدافع هو وابن عمّه طفيل الى السلطان وتحاققا ، فظهر الحقّ مع طفيل ، فقبض على ودّي [3] في أوّل شوّال

(1) في الدرر 1 / 368 (857) : أدي بن هبة الله بن جمّاز . وهذا الاضطراب في اسم الأب يوقع المقريزي في الخطإ فيجعل من طفيل [بن منصور بن جماز] تارة ابن عمٍّ لأدي ، وتارة أخاً له ، أو ،كما في السلوك 2 / 280 و 288 ابن أخيه . ويكتب الاسم في السلوك : ودّي . وفي صبح الأعشى 4 / 301 : وديّ بن جمّاز .

(2) كُبَيش – وكبيشة – بن منصور بن جماز : تولّى إمرة المدينة المنوّرة ، من 725 الى 728 . وخلفه أخوه طفيل بن منصور : السلوك 2 / 304 ؛ النجوم الزاهرة 9/ 273 .

(3) في المخطوط : على طفيل ، وهو خطأ واضح . انظر : السلوك 2 / 288 .

منها . وكان كبيش قد قدم أيضاً ، فبعث السلطان معه الأمير علاء الدين ابن طغريل حتى أوصله الى المدينة . ولم يزل ودّي مسجوناً الى أن أفرج عنه في يوم الأربعاء خامس شهر رمضان سنة إحدى وثلاثين [وسبعمائة] وعن خرص ابن أخيه . ورتّب لهما راتب . ثمّ أخرجا بعد مدّة على إقطاع بالشام . فمات خرص . وأعيد ودّي الى إمارة المدينة شريكاً لـ[ابن] أخيه طفيل .

ثمّ قدم الى مصر سنة ستّ وثلاثين ، وأفرده بالإمارة ، وأنعم على [ابن] أخيه طفيل بإقطاع في بلد حوران من الشام ليقيم هناك .

ثمّ عزل بسعد بن ثابت بن [....] في سنة خمسين وسبعمائة . فجمع الجموع ، وأخذ أموال الطواشيّة ، وقناديل الحجرة النبويّة ونهب الناس بالمدينة ، حتّى لم يدَع بها إلّا ما لا قيمة له . ولم يزل فارًّا حتى قدم في محرّم سنة اثنتين وخمسين الى القاهرة بأمانٍ كتب له . فقيّد وسُجن على ما أخذه من أموال أهل المدينة . فأثار أولاده فتنة بالمدينة النبويّة قُتل فيها سعد بن ثابت [1] .

ومات هو عقيب ذلك بسجنه في سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة [2] .

697 - أرجواش الأعور [- 701] [3]

أرجواش ، الأمير علم الدين سنجر ، المنصوري ، الأعور ، أحد المماليك المنصوريّة قلاوون .

كان موصوفاً بالإقدام والشجاعة ، فذهبت إحدى عينيه بسهم في بعض

---

(1) قتل سعد بن ثابت في ربيع الأوّل سنة 752 ؛ السلوك 2 / 839 .

(2) وكذلك في السلوك 2 / 856 ، دون ذكر الشهر .

(3) الوافي 8 / 338 (3766) ؛ المنهل الصافي 2 / 294 (358) ؛ الدرر 1 / 371 (865) ؛ السلوك 1 / 924 .

حروبه . وكان جافياً لا يعرف الهزل . فولّاه السلطان قلعة دمشق فلم يضبط عليه
أنّه خرج منها / ولا سيّر ، وحفظها حفظاً جيّداً . فلما مات المنصور ، وقدم ابنه [167 ب]
الأشرف خليل دمشق بعد فتح عكّا[1] ، ووقف في خدمته على العادة ، رأى
الأشرف رجلاً طوالاً بهيئة غريبة ، فأخذ يسأل عنه الأمراء ، فعرّفوه ما هو عليه
من يبس المزاج والانفراد عن الناس وجفاء الخلق .

فأراد السلطان الانبساط معه وممازحتَه ، وأشار لبعض الخاصّكيّة أن يقف وراءه ويضع أصابعه في دبره . فمَا هو إلّا أن فعل ذلك ، وإذا به التفت إلى الخاصّكيّ ولكمه فسقطت كلوتتُه عن رأسه ، وجذب سيفه ليضربه به ، فصاح به السلطان وقد اشتدّ ضحكه وقال : ويلك ! تلكمُ مملوكي ؟ وإيش فعل بك ؟

فأجاب بغضب شديد : نحن ما تعوّدنا بشيءٍ من هٰذا ، ولا رأيناه في زماننا ، ولكن صار هٰذا في زمن يبقى فيه آخر عمرنا مخانيث ومساخر[2] .

فاشتدّ غضب السلطان عليه ، وأمر ، فأُخِذ سيفه وأُلقي إلى الأرض وضرب ضرباً مبرّحاً ، ووقعت الحوطة على موجوده ، وسجن بالقلعة . فوجد له نحو سبعين ألف درهم وثلاثة آلاف دينار ، وسلاح ، وقماش ، وغيره ، بلغ ثمنه لمّا أبيع نحو مائتين وستّين ألف درهم ، فقام الأمراء في حقّه وشفعوا فيه ، حتى أعيد إلى نيابة القلعة وردّ عليه جميع ما أخذ له بعدما ألبسه السلطان عباءةً وعزم على قتله .

فلمّا كانت نوبة غازان[3] وحوصرت قلعة دمشق نهض أتمّ النهوض في

(1) فتح عكّا كان في جمادى الأولى سنة 690 ؛ النجوم 8 / 6 .
(2) في السلوك 1 / 768 ، حكاية غير هذه ، وتعليق من المقريزي : وكان أرجواش على النمط الأوّل من البعد عن المجون .
(3) هجوم غازان على الشام كان في شعبان 698 ؛ انظر : النجوم 8 / 158 .

حفظها ، وثبت لقتال التتار ، وقد ملكوا سُطوح دار السعادة[1] ودقّوا على القلعة . وما زال يرمي عليهم قوارير النفط حتى احترقت الأخشاب ، وسقط السقف بهم ، فاحترقت دار الحديث الأشرفيّة ، والمدرسة العادليّة . وما زال على قتالهم حتى رحلوا . وكان ثباتُه سبباً لسلامة بلاد الشام بأسرها .

وتوفّي يوم [...] ذي الحجّة سنة إحدى وسبعمائة .

ومن نوادر تغفّله أنّه استدعى القرّاء لقراءة ختمة للملك المنصور لمّا بلغه موته . فلمّا أخذوا في القراءة أخذ دبّوساً وقال : كيف يكون للسلطان هٰذه القراءة ؟ اَقرؤُوا عالياً !

فضجّوا بالقراءة جهدهم وطاقتهم . فلمّا فرغوا من الختمة وأُعلِم بذلك قال : تقرؤون ختمةً أخرى ! — فقرؤوا وقفَزوا ما أرادوا . فلمّا فرغوا وأُعلم بذلك قال : ومالك السماء ثلاثة ، والأرض ثلاثة ، والأيّام ثلاثة ، والمعادن ثلاثة ، وكل ما في الدنيا ثلاثة ثلاثة ! تقرؤون أخرى ! — فقرؤوا ختمة ثالثة ، وهم يحمدون الله على أنّه لم يعلم أن السماوات سبع والأرضين سبع ، حتى فرغوا وقد كادوا يهلكون من شدّة صراخهم . فرسم عليهم إلى بكرة النهار ، وكتب عليهم قسامة بالله تعالى ونعمة السلطان ، أنّ ثوابَ هٰذه الختمات الثلاث للسلطان الملك المنصور . فلما أخذ الإشهاد عليهم قال : جيّد ! أصحّ الله أبدانكم ! — وصرف لهم أجرهم .

(1) دار السعادة بدمشق هي دار الإمارة .

698 - أرسلان الدوادار [- 717][1]

أرسلان الدوادار ، الأمير بهاء الدين ، الناصري .

تنقّل في خدمة الأمير سلار[2] نائب السلطنة ، وآختصّ به . فلمّا قدم السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون من الشام ، ونزل بالريدانيّة خارج القاهرة ، وشى إليه أرسلان بجماعة توافقوا على الفتك بالسلطان في يوم عيد الفطر . وأشار عليه بالمبادرة في الحال إلى قلعة الجبل . فقام فوره وفتح جانباً من الدهليز السلطانيّ ، وخرج من غير الباب . وصعد إلى القلعة ونجا من القوم الذين همُّوا به ، وجلس على تخت الملك . فرعى له هٰذه النصيحة وقرّبه .

ثمّ عمله دوادار السلطان ، عوضاً عن الأمير عزّ الدين أيدمر[3]. فباشر الدوادريّة مباشرة جيّدة ، واستولى على السلطان ، وغلب عليه بحيث لم يبق لغيره ذكر .

واجتهد الفخر ناظر الجيش وكريم الدين عبد الكريم الكبير في إبعاده / فما [168 أ] تمَكّنا من ذلك ، فإنّه لم يكن لهما معه تصرّفٌ ، إلى أن مات ، فصار أمرهُما من العظمة إلى ما ذكر في ترجمتهما[4].

وكان القاضي علاء الدين عليّ بن عبد الظاهر[5] موقّع الدست قد درّبه وجرّبه

---

(1) الوافي 8 / 346 (3781) ؛ المنهل 2 / 300 (364) ؛ الدرر 1 / 372 (867) ؛ النجوم 9 / 241 . ووظيفة الدوادار هي تبليغ الرسائل والقصص إلى السلطان وعنه . وعرض المراسيم على ختم السلطان .

(2) سلار المنصوري (ت 710) .

(3) أيدمر الدوادار (ت 740) . انظر ترجمته رقم 882 .

(4) هاتان الترجمتان مفقودتان .

(5) علي بن محمد بن عبد الله بن عبد الظاهر ، توفي بعده بيوم كما في الوافي .

وهذّبه . وكان يكتب خطًّا مليحاً إلى الغاية . فصار يكتب في المهمّات كتابـ[ـة] سريعة بعبارة جيّدة . ويبعث بها إلى كتّاب السرّ عن الأوامر السلطانيّة فينفذ ما فيها .

وركب البريد في الرسالة عن السلطان إلى الأمير مهنّا وغيره عدّةَ مرار . وأنشأ بخطّ منشأة المهرانيّ[1] فيمَا بين القاهرة ومصر ، خانكاه ، ورتّب بها شيخاً وصوفيّة . وجعل لها أوقافاً جارية. وكان ينزل من القلعة إليها في كلّ ليلة ثلاثاء يبيت فيها ، ويحتفل الناس للحضور إليه .

وما زال على رتبته وسيادته إلى أن توفي يوم الثلاثاء ثالث عشرين شهر رمضان سنة سبع عشرة وسبعمائة .

وكان من أظرف الناس شكلاً وأحلاهم وجهاً وأكثرهم نفعاً للناس ، لا يمَلّ من قضاء حوائجهم .

ووجدت له تركة جليلة ، منها ألف ثوب حرير أطلس ، وأربعون حياصة من ذهب ، وعدّة كلفتات مزركش ، ونحو ثلاثين ألف دينار ، وذخائر نفيسة ، فشقّ ذلك على السلطان وقال : كنت أظنّه فقيراً . فما هٰذا إلّا من أخذه الرشوة !

---

(1) فيما بين النيل والخليج ، أنشأها بلبان المهرانيّ على أنقاض منشأة القاضي الفاضل غربي الخليج ؛ الخطط 2 / 154 .

699 - أرغون الناصِريّ نائب السلطنة [- 731] [1]

أرغون ، الدوادار الناصِري ، نائب السلطنة ، أحد المماليك المنصوريّة قلاوون .

اشتراه صغيراً لولده الملك الناصر محمد ، فربّي معه ، ولازمه حتى في توجّهه إلى الكرك . وقدم معه ، فأنعم عليه بالإمرة في شوال سنة تسع وسبعمائة ، وقدّمه إلى أن خلع عليه ، وعمله نائبَ السلطنة بديار مصر بعد بيبرس المنصوري[2] ، في يوم الاثنين مستهلّ جمادى الأولى سنة ثنتي عشرة وسبعمائة . فسار أحسن سيرة . وحجّ في سنة خمس عشرة ، وخلّص كثيراً من الناس من شدائد كان السلطان يريد أن ينزلها بهم .

وخلف السلطان في غيبته للحجّ من أوّل ذي القعدة سنة تسع عشرة إلى أن قدم في محرّم سنة عشرين .

حجّه وتقواه :

ثمّ حجّ في سنة عشرين ، ومشى من مكّة إلى عرفة ، وقضى الحجّ ماشياً على قدميه بمَسكنة في هيئة الفقراء . وقدم إلى القاهرة في حادي عشر المحرّم سنة إحدى وعشرين . ثم لمّا زوّج السلطان ابنته الكبرى من الأمير ناصر الدين أبي بكر محمد بن أرغون النائب[3] ، أنعم على الأمير أرغون بمنية بني خصيب زيادة على إقطاعه . فسار إليها وأقام بها أيّاماً يتصيّد بأعمالها . وخرّب بها خمس كنائس

---

(1) الوافي 8 / 358 (3791) ؛ المنهل 2 / 306 (367) ؛ النجوم 9 / 88 و 288 ؛ الدرر 1 / 374 (873) .

(2) ركن الدين بيبرس المنصوريّ (ت 725) انظر ترجمته في المقفّى : س 1003 .

(3) انظر ترجمة ناصر الدين هذا في المقفّى : رقم 1945 (ت 727) .

للنصارى ، ومنع أن يستخدم[1] في ديوانه نصرانيّ ، لا كاتب ولا معامل .

ثمّ إن السلطان بلغه أنّ مهنّا بن عيسى أمير العرب عزم على الحجّ ، فأسرّ إلى أرغون أن يتوجّه للحجّ ويقبض عليه . فتجهّز لذلك ، وسار ، ومعه ابنه الأمير ناصر الدين محمّد بن أرغون ، في يوم الخميس خامس عشرين شوال سنة ستّ وعشرين وسبعمائة .

فوُشي للسلطان بأنّه بعث إلى مهنّا يحذّره من الحجّ . فتأخّر عن السفر . فشقّ ذلك على السلطان ، وعزم على القبض عليه . وأشاع أنه بلغه بأنّ الأمير حوبان حاكم دولة القان أبي سعيد بن خربندا قد انتخب من خيار عساكر المغل عشرة آلاف فارس ، وعزم على الحجّ . وأنّه ما يأمن على الأمير أرغون النائب أن يقبضه حوبان ويحمله إلى الشرق . وكتب إلى الأمير تنكز أن يخرج بعساكر الشام إلى جهة الكرك ليدرك الأمير أرغون .

فبرز النائب من دمشق إلى منزلة الصنمين بالعساكر بمربد السلطان . فكتب إلى تنكز أن يعود بالعسكر إلى دمشق فعاد ، وأخذ يراعي أمر أرغون ، وجهّز إليه الإقامة على العادة ، وكتب له أن يسرع بالعود / هو وولدُه . فقدما يوم [168 ب]
الأحد ثامن عشر المحرّم سنة سبع وعشرين . فبعث السلطان بالأمير قَجْليس[2] ليتلقّاه من باب القلعة ولا يُمكّنه من العبور إلى داره بها . فلما جازه إذا صياحُ عياله على أبنة زوجته ، وقد ماتت . فتطيّر من ذلك ، ومضى إلى باب القلّة . فقُبض عليه وعلى ولده ، وفُرّق بينهما .

تغيّر السلطان عليه :

وتردّد الأمير بكتمر الساقي في الرسالة إليه عدّة مرار ، والسلطان يعدّد له

(1) في المخطوط : أن لا يستخدم .
(2) سيف الدين قجليس أمير سلاح (ت 731) ؛ النجوم 9 / 287 .

ذنوباً . وهو يعتذر عنها . إلى أن تقرّر الحال على إخراجه لنيابة حلب عوضاً عن الأمير أَلْطُنْبُغَا . وخرج معه أيتمش المُحَمّدِيّ . وسار الأمير أُلْجَاي إلى ألطنبغا ليحضره . فقدم أرغون دمشق يوم الجمعة ثالث عشرينه في الرابعة . وخرج الأمير تنكز نائب الشام فتلقّاه بميدان الحصى خارج دمشق . وترجّل له . فترجّل له أرغون أيضاً وتعانقا وسارا إلى جامع بني أميّة لصلاة الجمعة . فبينا هما في صحن الجامع إذ دخل أُلجاي بألْطُنْبغا نائب حلب ، وكان السلطان قد قرّر هٰذه الأُمور وقصدها . فسلّم أرغون على ألطنبغا بالإيمَاء والإشارة ، وصلّيا . وقاموا جميعاً مع الأمير تنكز إلى طعام صنعه لهم . فأكلوا . وركب أرغون البريد إلى حلب فدخلها يوم السبت مستهلّ صفر ، وباشرها وأعاد أيتمش .

وكان الذي عمل عليه حتى خرج من مصر القاضي فخر الدين ناظر الجيش[1] ، فإنّ الأمير أرغون كان يضع منه لبغضه له ، فلا يتمكّن الفخر من إمضاء ما يريدُه ، خوفاً منه . وأخذ يغري السلطان به ويخيّله منه . وبالغ حتى قال : يا خونْد : « ما أتي على سلطان قطّ إلّا من نائبه » . وذكر له ما فعله بيدرا ، وهو نائب الملك الأشرف ، وما وقع للمنصور لاجين بسوء تصرّف منكوتمر نائبه . وما فعله سلار ، وهو نائب المظفّر بيبرس ، حتى زال ملكه . فلم يصبر على هٰذا ، وعمِل به ما عمل . ولم يكفه ذلك ، حتى إنّه لمّا قدم الأمير أيتمش المحمّدي من حلب . أخذ السلطان يسأله عن أرغون وما يقوله ، وهل هو راضٍ أو متسخّط . فأجاب بكلّ جميل عن هٰذا ، والفخر جالس . فالتفت إليه وقال : يا أيتمش ، كلّ ما قلته صحيح . لكن والله لو أقام أرغون في النيابة شهراً واحداً . ما رأيت السلطان على هٰذا الكرسيّ !

فأثّر قوله في نفس السلطان بمَا لا يزول . وألزم شرف الدين الخطير كاتب

....

(1) هو فخر الدين محمد بن فضل الله بن خروف . قبطي أسلم وحسُن إسلامه : النجوم 9 / 296 .

أرغون بإظهار أمواله ، وهدّده بالشنق متى أخفى منها شيئاً . وألزمه بعمل أوراق بها . فلمّا نجزت قبضها ، وأنعم منها بمَا شاء ، واستولى على بقيّتها . وتتبّع ألزامه وقبض عليهم .

رجوع السلطان إلى العطف عليه :

ثمّ إنّه استدعاه إلى مصر بعد موت ولده[1] ، فقدم يوم الثلاثاء عاشر جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين . وخرج الأمير أُلْمَاس الحاجب فتلقّاه بقبّة النصر ، وصعد به إلى قلعة الجبل . فأكرمه السلطان وعزّاه في ولده ، وحادثه ، وخلع عليه ، وأنزله في داره على الكبش[2] ، ثمّ خلع عليه ، ورسم له بالعود إلى حلب . فسار يوم الخميس سادس عشرينه ، وقدم حلب . فما زال بها حتى مات ليلة السبت ثامن عشر ربيع الآخر سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة ، عن بضع وأربعين سنة .

وكان رئيساً كبيراً في بيت السلطان ، يخضع له الكبار ويأتمِرون بأمره ، وله حزب كبير مثل قجليس ، وجنكلي بغا ، وطشتمّر ، وقطلوبغا ، وطرجيّ .

بعض صفاته :

وكان تركيّ الجنس ، فصيحاً ، مليح الشكل ، تفقّه على مذهب أبي حنيفة ، وأذن له مشايخ العلم في الإفتاء . وكان يعرف الفقه ودقائقه ، ويقصر فهمُه في الحساب إلى الغاية . وسمع صحيح البخاريّ على الحجّار بقراءة الفتح محمّد بن سيّد الناس[3] ، وكتبه بخطّه المليح في مجلّدة واحدة في الليل على ضوء القنديل . واقتنى كتباً كثيرة إلى الغاية .

(1) مات ناصر الدين ابن أرغون بحلب سنة 727 في 13 شعبان ؛ النجوم 9 / 269 .
(2) مناظر الكبش وقلعة الكبش : بجوار الجامع الطولونيّ على جبل يشكر ؛ النجوم 7 / 72 هامش 2 .
(3) فتح الدين – ابو الفتح ابن سيّد الناس ، له ترجمة في المقفّى ، رقم 3217 (ت 734) .

ولمّا بلغه وهو على نيابة حلب ، موت الأمير قجليس بمِصر ، بعث بألفَي
[169 أ] دينار يشتري بها من تركته / كتباً .

وبعث إلى بغداد حتى استنسخ فتاوى قاضي خان [1] . وعلم الناس برغبته في الكتب ، فجلبوا إليه النفائس من كلّ قطر .

واْختصّ بالشيخ صدر الدين بن الوكيل [2] ، والشيخ أثير الدين ابن حيّان [3] ، والشيخ فتح الدين ابن سيّد الناس .

وكان فهماً يقظاً ، لم يسفك بحلب مدّة نيابته بها دماً ، ولا قطع سارقاً ، لأنّه كان رفيقاً رحيمًا لا يعاقب على زلّة . ولم يسمع منه أحد في نيابته بمِصر وحلب كلمة سوء قطّ ، ولا فاه بها لسانه . ولا عُرف عنه أنه ضرب أحداً من الناس غيرَ جنديّ واحدٍ اْعترف بين يديه بقلعة الجبل أنّه شرب الخمر فضربه الحدّ .

وكان له في ليلة كلّ جمعة وقت يجتمع فيه عنده القرّاء لقراءة ختمة ، فيقرأ معهم ، ويحضر أعيان الفقراء أيضاً فيتذاكرون طول ليلتهم .

ولم يعرف عنه أنّه عارض السلطان في أمر من الأمور ، سوى في طشتمر الساقي لمّا قبض عليه ، فقام في الشفاعة له حتّى أعفاه من النفي ، وخلّصه ، وضمنه . فكره منه السلطان ذلك وأسرّها في نفسه .

وكان مع ذلك مسيكاً ، لا تُعرف له مكارم ولا صلات ولا هبات .

---

(1) قاضي خان : حسن بن منصور الأوزجندي ، فقيه حنفيّ (ت 592) ؛ الأعلام 2 / 238 .

(2) ابن الوكيل وابن المرحّل : محمد بن عمر بن مكّي (ت 716) ؛ له ترجمة في المقفّى ، رقم 2930 .

(3) ابن حيّان الأندلسي : محمد بن يوسف بن علي (ت 745) النحوي ، له ترجمة في المقفّى : رقم 360 .

700 - أرغون تتر [- 774] [1]

أرغون ابن أميرشاه ، الناصريّ ، المعروف بأرغون تتر ، الأمير سيف الدين ، أحد المماليك حسن .

ربّي صغيراً في دار السلطان حسن ، وتنقّل في خدمته إلى أن صار من أمراء الطبلخاناه . ثمّ أنعم عليه الأمير يلبغا الخاصّكيّ لمّا قام بحرس الدولة[2] بإمرة مائة رأس نوبة ثاني . ثمّ استقرّ بعد موت مَلِكْتَمُر الماردينيّ رأس نوبة كبيراً ، إلى أن قبض عليه الأمير أسندمر أيّام تحكّمه في سابع شوّال سنة ثمان وستّين وسبعمائة ، فيمَن قبض عليهم من الأمراء ، وسجنه وإيّاهم بالإسكندرية ، إلى أن استبدَّ السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين بعد قبضه على أسندمر فأفرج عن تتر فيمَن أفرج عنه في صفر سنة تسع وستّين وأنعم عليه بإمرة مائة .

ثمّ قبض عليه وعلى الأمير طغتمُر النظاميّ في ثالث عشر رمضان منها ، وأخرج تتر على إمرةٍ بحماة .

فلم يزل بها حتى مات أول سنة أربع وسبعين وسبعمائة .

701 - أرغون الأحمديّ [- 775] [3]

أرغون الأحمديّ . الأمير سيف الدين . أحد المماليك [. . .]

تنقّلت به الأحوال في الخدم إلى أن أقامه الأمير الكبير يلبغا العمريّ لالا[4]

(1) السلوك 3 / 114 (تحت 769) .

(2) أي صار أتابك .

(3) النجوم 11 / 128 ؛ الدرر 1 / 373 (872) .
وفي السوك 3 / 227 : أرغون اللالا الأحمديّ .

(4) اللالا : المربّي والكافل .

السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين عندما أقامه في السلطنة . ثمّ عمله أستادار السلطان . ثمّ صرفه وعمله خازندار كبيراً . ثمّ صرفه وعمله رأس نوبة صغيراً . ثم نفاه إلى الشام في ثامن عشرين ربيع الأوّل سنة ثمان وستّين وسبعمائة .

فلمّا قتل يلبغا أُعيد من الشام بإشارة الأمير أَسَنْدَمُر الأتابك ، وعمل لالا على عادته . فلمّا قبض الأشرف على أسندمر أنعم على أرغون بتقدمة ألف ، أقرّه لالا ، إلى يوم الاثنين حادي عشر شوّال سنة اثنتين وسبعين ، [فـ]ـخلع عليه وعمله أميرَ مجلس عوضاً عن أرغون شاه ، بحكم أنه صار رأس نوبة كبيراً .

ثمّ خلع عليه في محرّم سنة خمس وسبعين ، وعمله أميراً كبيراً . ثمّ خلع عليه في سابع عشر رمضان منها وأخرجه نائب الإسكندرية عوضاً عن [الأمير] كجك[1] ، فبقي بها ثمانية وخمسين يوماً ، ومات يوم النصف من ذي القعدة سنة خمس وسبعين وسبعمائة ، ودُفن بها .

702 – أرغون العلائيّ [– 748][2]

أرغون العلائي ، الأمير سيف الدين ، أحد المماليك الناصريّة محمد بن قلاوون .

تنقّل في الخدم حتى صار من أمراء الطبلخاناه ، واستقرّ رأس نوبة الجمْداريّة في أيّام/ أستاذه الناصر محمّد ، وزوّجه بأمّ [ولدَيْه] الصالح [169 ب]
إسمَاعيل والكامل شعبان ، وعمله لالا أولاده . فلما مات السلطان الملك الناصر

(1) في السلوك 3 / 222 كان ذلك في 17 شعبان . وإذا اعتبرنا مدّة النيابة – شهرين تقريباً – فرواية المقفّى أصحّ .

(2) الوافي 8 / 355 (3788) ؛ الدرر 1 / 372 (870) ؛ النجوم 10 / 185 .

محمّد ، أخرجه الأمير قَوصون منفيًّا إلى صفد ، فعاد عن قريب صحبةَ الأمير قطلوبغا الفخريّ ، وأقام حتى خُلع الناصر أحمد ، وأقاموا الصالح إسمَاعيل في السلطنة ، فجعل[ه] أمير مائة ، مقدّم ألف ، مدبّر الدولة ، وكافّ المالك ، وأنعم عليه بعشرين ألف دينار ، ومائتَي ألف درهم فضّة . فاستمرّ على ذلك مدّة أيّام الصالح وأيام أخيه الكامل شعبان .

وولي نظر المارستان المنصوريّ بعد موت الأمير جنكلي بن البابا . فأنشأ السبيل وكتّاب السبيل علوة على باب المارستان ووقف عليهما أرضاً .

وما زال مكيناً في الدولة ، وساعدَته الأقدار ، وكثرت إقطاعاتُه وأملاكُه وأمواله ، وهو باق على وظيفة رأس نوبة الجمْداريّة ، إلّا أنه أكثر من النوّاب [...] إلى أن ركب الكامل لمحاربة الأمراء ، وقد ركبوا لحربه . فركب العلائيّ معه ، حتى كانوا تجاه الأمراء عند قبّة النصر خارج القاهرة ، وقد انفلّ أكثرُ مَن كان مع الكامل ، فحمل عدّة من الأمراء عليه ، وبدر الأمير شجاع الدين أغزلوا وضرب العلائيّ في وجهه بسيف بعدما كان قد ضرب بدبّوس ، حتى سقط إلى الأرض وأُخذ أسيراً . فعنّفه الأمراء . وكان من خلع الكامل وإقامة المظفّر حاجي ما ذكر في ترجمتهما[1] .

ثمّ أخرج إلى الإسكندريّة فسجن بها ، حتى قتل في يوم [...] سنة ثمَان وأربعين وسبعمائة .

وكان كثير المكارم على المماليك السلطانية ونحوهم ، متلطّفاً مع جميع الناس بالأدب والمداراة واقامة منار الشرع . وله صداقات ومعروف .

وعمّر بالقرافة خانكاه ، وأنعم في سنة واحدة بمَائتين وثلاثين فرساً وأربعين ألف دينار .

(1) حاجي بن محمد بن قلاوون (ت 748) . انظر ترجمتَه في المقفّى ، رقم 1108 . أمّا ترجمة الكامل شعبان ، ففقودة .

703 - أرغون الصغيّر الكامليّ [- 758] [1]

أرغون الكامليّ ، الأمير سيف الدين ، أحد مماليك الصالح إسمَاعيل بن محمد بن قلاوون .

رقّاه وهو صغير السنّ حتى صار أمير طبلخاناه ، ويعرف بأرغون الصُّغَيَّر . ثمّ أختصّ به الكامل شعبان بن محمد ، ورسم أن يقال له : أرغون الكامليّ [2] ، وأنعم عليه بتقدمة ألف ، وأعطاه في جمعة واحدة ثلاثمائة ألف درهم ، وعشرة آلاف إردبّ غلّة ، وعمّر له داراً على بِركة الفيل .

ثمّ بعثه ليزور القدس ، وأنعم عليه بمائة ألف درهم ، وكتب لنوّاب الشام بخدمته ، وتقديم التقادم له ، وعيّنت له الإقامات طول الطريق .

فلمّا زالت أيّام الكامل ، أخذت منه تقدمته وأمر أن يلزم بيته ، على إقطاع يقوم به .

ثمّ أنعم عليه في شوّال سنة ثمَان وأربعين بإمرةِ مائة ، ثمّ أخرج لنيابة حلب بعد موت قطلوبغا الحمويّ . فقدمها يوم الثلاثاء نصف رجب سنة خمسين [وسبعمائة] . وباشر النيابة بمَهابة إلى أن قدم الأمير كجك الدوادار بأخذ الطرقات على الأمير [شهاب الدين] أحمد نائب صفد . فبرز إلى ظاهر حلب ، فأرجف بإمساكه ، وفرّ منه الأمير موسى حاجب حلب وغيره ، ولبسوا السلاح ، ونادوا بنهب طُلبِهِ . فتوجّه إلى المعرّة وسار إلى . . . [3] .

---

(1) الوافي 8/ 356 (3790) ؛ الدرر 1/ 375 (874) ؛ النجوم 10/ 326 . المنهل 2/ 319 .

(2) ويضيف الصفدي : ... ونهى أن يُدعى بأرغون الصغيّر .

(3) تقف الترجمة هنا . وتتواصل في الوافي . وملخّص ما سقط أنّه وصل الى الشام ثمّ الى القاهرة فأعاده ثانيةً الى حلب نائباً ، ثمّ قبض عليه وسجن بالإسكندريّة مدّة ثمّ أخرج الى القدس بدون عمل فمات هناك .

704 – أرغون شاه الناصريّ [– 750] [1]

أرغون شاه الناصريّ ، الأمير سيف الدين ، أحد المماليك الناصريّة محمد ابن قلاوون .

جلبه الكمال الخطّائيّ إلى السلطان أبو سعيد من بلاد الصين [مع] [2] سبعة مماليك وثمَانمائة ثوب وبَر خطابيّ . فنمّ على الكمال إلى بو سعيد فصادره وأخذ منه مائة ألف دينار . ولم يعجب ذلك بو سعيد منه وأبعده . فأخذه دمشقُ خواجا ابن جوبان من بو سعيد ، فنمّ على دمشق خواجا بأنّه مع الخاتون طقطاي فقتَلها بو سعيد وأرتجعَه وبعث به إلى السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، هو والأمير ملكتمُر البوسعيديّ . فحظي عند السلطان ورقّاه حتى صار رأس نوبة الجمداريّة .

فلمّا مات السلطان بقي على رتبته . ثمّ عمله الكامل شعبان أستادار وفخم أمره .

ثمّ أُخرِج إلى نيابة صفد على البريد فقدمها أوائل شوّال سنة سبع وأربعين وسبعمَائة ، فشكرت سيرتُه . ثمّ طلب إلى القاهرة في أواخر صفر سنة ثمَان

....

(1) الوافي 8/ 351 (3787) ؛ المنهل 2/ 314 (374 ، وهو ينقل عن الوافي) . النجوم 10 / 43 . والترجمة في مخطوطنا متكرّرة ، على أنّ الثانية أوفى من سابقتها ، فأثبتناها دون الأولى .

(2) في المخطوطة : وسبعة ... وفي الوافي زيادة توضيح : هذه الأثواب موروثة لبو سعيد من أجداده ، فيكون الخطّائيّ احتفظ بها بدون حقّ .

وأربعين وقلّد نيابة حلب عوضاً عن الأمير [سيف الدين] بيدمر البدريّ . وسار إليها على البريد وأدركه طُلبه ، فدخل دمشق في سادس عشر شهر ربيع الأول بتجمّل زائد ، ومضى إلى حلب .

ثمّ نُقل منها إلى نيابة دمشق بعد [القبض على] الأمير يلبغا [نائب الشام] فقدم دمشق في سابع عشر جمادى الآخرة . وباشر النيابة بحرمة وافرة ونال بها سعادات جليلة جداً ، وتمكّن فيها تمكّناً زائداً ، بحيث صار يتصرّف في جميع ممالك الشام فلا يعترض عليه حتى زاد وأفرط ، وثقلت وطأته على الناس جميعاً . فطرق الأمير أُلْجَيْبُغَا نائب طرابلس دمشق في ليلة الخميس ثالث عشرين شهر ربيع الأول سنة خمسين وسبعمائة ، وتوجّه ومعه الأمير فخر الدين أياز[1] السلاح دار إلى القصر الأبلق خارج دمشق ، وبه أرغون شاه . فدقّا البابَ من آخر الليل بإزعاج ، فكان إذا خرج إليهما طواشي قبضاه . فلمّا كثرت الغوغاء خرج أرغون شاه وبيده سيف . فأمسكاه ومضيا به إلى دار أياز ، وقيّداه وسجناه ووكّلا به الأمير طيبغا القاسميّ إلى يوم الخميس ، ثمّ ذبح في ليلة الجمعة رابع[2] عشرينه . ووُجد وفي يده سكّين يحصر بأنّه ذبح نفسه . وجُهّز إلى السلطان صحبة الأمير ينبلك أمير علم ، ودُفن بمَقابر الصوفيّة . فشقّ ذلك على أمراء الدولة ، وما منهم إلّا من حلف أنّه لم تكن هٰذه الواقعة برأيه . وكُتب إلى ألجيبغا بالإنكار عليه ، فكان ما ذكر في ترجمته[3] .

---

(1) في المخطوط وفي النجوم : اياس . وقد أخذنا بقراءة الوافي ، وكذلك بترجمة أياز في المقفّى : س 857 . وقد أطنب الصفديّ ، ومن بعده ابن تغري بردي في تفصيل الحادثة ، الّا أنّ صاحب النجوم هو الذي ذكر سبب عداوة الأميرين ألجيبغا وأياز لأرغون شاه ، وذكر انتقام السلطان منهما وقتلهما بدمشق بُعيد فتكهما بأرغون شاه .

(2) في المخطوط : حادي عشرينه ، والتصويب من النجوم ، وكذلك من معقول السياق .

(3) ترجمة ألجيبغا في المقفّى : س 831 .

705 – الحاج أَرُقْطاي [– 750][1]

أرقطاي ، الأمير سيف الدين ، المعروف بالحاج أرقطاي ، نائب السلطنة وأحد المماليك المنصوريّة قلاوون .

[170 ب] ربّاه الطواشيّ فاخر مقدَّم المماليك أحسن تربية . ثمّ خدم الأشرف / خليل ابن قلاوون ، وصار صغيراً إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون هو وأخوه أيتمش المحمّدي ، وكانا معه في الكرَك . فلمّا عاد إلى السلطنة أنعم عليه بإمرة في شوّال سنة تسع وسبعمائة .

تقلّب الأحوال به :

ثمَّ بعثه مع الأمير تنكز نائب الشام لمّا ولّاه نيابة دمشق في ربيع الآخر سنة اثنتي عشرة وسبعمائة ، هو وطُرُنْطَاي الجمدار ، وتقدّم إلى تنكز أن لا يستبدّ بأمر دون أرقطاي . فلم يزل بدمشق إلى أن تغيّر ما بينه وبين تنكز ، وكاتب فيه . فرُسم له [بنيابة] حمص عوضاً عن قرطاي[2] ، بحكم انتقاله إلى نيابة طرابلس في جمادى الآخرة سنة ستّ عشرة .

فدخلها سابعَ رجب . ثمّ نقل منها بعد سنتين ونصف إلى نيابة صفد ، عوضاً عن طغاي الحساميّ[3] في جمادى الأولى سنة ثماني عشرة وسبعمائة ، وولي بكتوت القرماني[4] مكانَه نيابة حمص .

فأقام بصفد ثماني عشرة سنة حتى تنكّر ما بينه وبين الأمير تنكز نائب

(1) الوافي 8 / 361 (3792) ؛ الدرر (877) ؛ النجوم 10 / 244 . المنهل 2 / 328 (378)

(2) قرطاي الأشرفيّ الجوكندار – الدرر ، 3/ 332(3247) .

(3) طغاي (ت 734) – الدرر ، 2/ 322.

(4) بكتوت القرمانيّ : الدرر ، 2/ 22(1317) .

الشام . فأشار السلطان بإحضاره من صفَد صحبة تنكز . فقدما في سادس جمادى الآخرة سنة إحدى وثلاثين [وسبعمائة] ، وأصلح بينهما ، وأنعم على ولدَي أرقطاي بإمرة طبلخانة وإمرة عشرة بصفد ، وأعاد[ه] إليها .

ثمّ صرفه ، وأمره بالحضور ، لشكوى تنكز منه . فقدم في سنة ستّ وثلاثين . وٱستقرّ عوضه في نيابة صفد الأمير أيتمُش . وأنعم على أرقطاي بتقدمة أيتمُش – وكان يعمل نيابة الغيبة إذا خرج السلطان إلى الصيد .

ثم أخرجه في سنة إحدى وأربعين لنيابة طرابلس عوضاً عن طينال . فقام بعد موت السلطان مع أَلْطُنْبغَا نائب الشام في قتال قطلو بغا ، وقد قام في نصرة الناصر أحمد . فانهزما خارج دمشق ولحقا بقوصون ، وهو يومئذ القائم بتدبير دولة الأشرف كجك . فوافيا تحت القلعة في اليوم الذي قبض عليه ، فقبض عليهما الأمير أيدغمش أمير أخور . وهو إذ ذاك الذي تولّى كسر فتنة قوصون والقبض عليه وسجنه ، حتى استقرّت سلطنة الناصر أحمد ، فأخرجه فيمَن أخرج من الأمراء ، إلى الإسكندريّة ، وسجنه بها .

فأفرج عنه الصالح عماد الدين إسماعيل في أوّل سلطنته في محرّم سنة ثلاث وأربعين [وسبعمائة] بواسطة الأمير ملكتمُر الحجازيّ . وٱستقرّ من جملة الأمراء الأكابر . ورسم بجلوسه مكان الأمير علم الدين سنجر الجاوليّ حتى مات [إسماعيل] .

فلمّا ولي الكامل شعبان السلطنة أخرجه لنيابة حلب بطلبه . وذلك في يوم الخميس حادي عشر شهر ربيع الآخر سنة ستّ وأربعين . على البريد . عوضاً عن الأمير يلبغا ٱليحياويّ . فلم يُقم بها إلّا خمسة أشهر . وأعيد إلى مصر على إقطاع الأمير جنكلي بن البابا . فقدم في العشرين من المحرّم سنة سبع وأربعين . وخلع عليه بذلك – وٱستقرّ عوضه في نيابة حلب طقتمُر نائب حماه .

تعيينه نائباً للسلطنة :

ثمّ خلع عليه في يوم الخميس ثاني شهر رجب منها ، واستقرّ في نيابة السلطنة بديار مصر – وكانت شاغرة – بعد تمنّعه . فخرج في موكب عظيم إلى دار النيابة ، فجلس بالشبّاك على عادة النوّاب ، واستمرّ إلى أن خُلع المظفّر حاجّي ، وأقيم بعده أخوه السلطان حسن بن محمد بن قلاوون فشبكت[1] عليه الأحوال وأخذ يلحّ على الأمراء في إعفائه من النيابة وخروجه إلى نيابة حلب ، وبالغ في ذلك حتى بكى في المجلس السلطانيّ ، فرقّوا له وخلع عليه بنيابة حلب عوضاً عن فخر الدين إياس في خامس شوال سنة ثمان وأربعين . وخلع على الأمير بيبغا أروس القاسميّ فاستقرّ عوضه في نيابة السلطنة . وخرُجا معاً بتشريفَيهما فجلس بيبغا أروس في دست النيابة حيث كان يجلس أرقطاي ، وجلس أرقطاي في خدمته ، بعدما كان قبل ذلك بساعة بيبغا أروس جالساً في خدمة أرقطاي . وتوجّه إلى القاهرة في عاشره ، وصحبته الأمير كجلي / متسفّراً فقدم حلب في [171 أ] ثاني ذي القعدة ، وأنعم على كجلي بما قيمَتُه مائة ألف درهم . وأقام بها حتى قُتل الأمير أرغون شاه نائب الشام [فـ]ـرُسم له باستقراره عوضَه ، فسرّ الناس به وتوجّهوا إلى حلب ، فاستعدّ لذلك ، وخرج في طُلبه وحاشيته ، وبه حُمَّى وإسهال .

فاشتدّ مرضُه حتى مات يوم الأربعاء خامس جمادى الأولى سنة خمسين وسبعمائة بعين مباركة خارج حلب ، وله من العمر ثمان وسبعون سنة ، فدفن بحلب .

....

(1) في المخطوط : فشكوت

صفاته :

وكان جميل الوجه ، تامّ القامة ، كثير الأدب ، حسن المعاشرة ، له عناية تامّة باقتناء آلات الحرب ، بحيث وُجد له بعد خروجه من طرابلس زردخاناه فيها ثمانية وثلاثون صندوقاً ملآنة من السلاح ، منها ستّة جواشن ، وستة بَرْكُسْطُوانات [1] حرير ، قيمة كل واحد خمسة عشر ألف درهم فضّة .

وكان يَخمَعُ [2] إذا مشى [و]كان به عرج ، فإنه تقطّر [3] في ميدان دمشق عن الفرس .

وكان لطيفاً ظريفاً خفيف الروح .

وله بصفد تربة ومدرسة وكتّاب سبيل . وله بمِصر سبيل وكتّاب سبيل . وكان يخرج زكاته في كل سنة .

وترك آبنا اسمُه أمير موسى [4] .

706 – أزبك الحمويّ [– 737] [5]

أزبك الحمويّ ، الأمير صارم الدين ، أحد مماليك المنصور صاحب حماه .

ترقّى في الخدم حتى صار من أمراء حماه ، وعرف بالشجاعة والإقدام ، وشهد وقائع عديدة ، مع المهابة ، وكثرة العطاء والجود ، بحيث إنّه كان إذا سافر لغَزاةٍ يقوم بجميع مؤن مَن يرافقه من أجناده وغيرهم .

....

(1) البَرْكسْتوان : جُلُّ الفَرَسِ إذا زخرف وزيِّن للعَرَض .
(2) يخمَع (على وزن فتح) : يمشي مشيَ الأعرج .
(3) تقطّر الرجلُ : رمى بنفسه من علوّ .
(4) أمير موسى (ت 774) – الدرر ، 5/ 146 (4881) .
(5) النجوم الزاهرة 9/ 313 ؛ المنهل الصافي 2/ 341 (388) – الدرر ، 1/ 377(880) .

فلمّا ندبت العساكر لمحاربة الأرمن بمدينة آياس[1] ، خرج مقدّماً على عسكر طرابلس وحماه ، وأبلى في حربه بلاءً كبيراً فأصابه جرح في وجهه مات منه في رابع ذي الحجّة سنة سبع وثلاثين وسبعمائة . فأخفى البوّاب موته خشية من الأرمن ، وحملوه إلى حماة حتى دفن بها ، وكان قد قارب المائة سنة . وقدم مصر مراراً .

707 – الحاج أزدمر الحمصيّ [– 680][2]

أزدمر الحمصيّ ، عز الدين الحاجّ ، أحد المماليك [...] .

ترقّى في الخدم بديار مصر حتى صار من أعيان الأمراء في الدولة الظاهريّة ، وحدّثته نفسه أنّه يَملك مصر ، دالّة بشهرته وشجاعته ، إلى أن قدم منكوتمُر ابن هولاكو في جموع المغل والتتار إلى بلاد الشام ، وخرج الملك المنصور قلاوون بعساكر المسلمين إلى لقائه ، ومعه أزدمر هٰذا .

فلمّا التقى الجمعان ، وحمل التتار على ميسرة المسلمين كسروها وكسروا جناح القلب الأيسر . وحمل مَن كان مع السلطان على منكوتمُر ، واشتدّ الكرب ، وكاد أمر المسلمين أن يضمحلّ .

فباع أزدمر نفسَه لله ، فأظهر أنه قد خامر على السلطان ، وحمل بقوسه يريد اللحاق بمنكوتمُر ، فمشى ذلك على التتار ، وأفرجوا له إلى أن قرب من منكوتمُر [فـ]ـتقدّم إليه وضربه [و]ألقاه عن فرسه إلى الأرض ، وقد جُرِحَ .

(1) في النجوم 9/ 813 هامش 2 : آياس : ميناء على المتوسّط ببلاد الأناضول . وفي المنهل : قرب سيس ببلاد الأرمن .

(2) الوافي 8/ 370 (3803) ؛ عبر الذهبيّ 5/ 328 ؛ النجوم 7/ 349 .

فنزل التتار عن خيولهم بأجمعهم إلى الأرض ، كما هي عادتهم أن ينزلوا إذا نزل كبيرهم . فلمّا رأت عساكر المسلمين التتار وقد ترجّلوا غافصوا [1] الفرصة وحملوا حملة رجل واحدٍ عليهم [فـ]ـكسروهم . ونجا منكوتمُر بحاشيته وهو مجروح . واستشهد أزدمر رحمه الله بأرض حمص يوم الخميس رابع عشر رجب سنة ثمانين وستمائة فعوّضه الله عن ملك مصر الفاني الحياةَ الأبديّة بجواره [2] .

708 – أزدمر العلائيّ [– 696] [3]

أزدمر العلائيّ ، الأمير عزّ الدين ، أحد المماليك المنصوريّة قلاوون .

ترقّى في الخدم حتى صار من أمراء دمشق . وقبض عليه الملك الأشرف خليل في سنة اثنتين وتسعين وستمائة .

وحمله إلى مصر ، وكانت له أموال جليلة . فقدم مصر أوّل ربيع الأوّل منها ، ثمّ أعيد إلى إمرته بدمشق ، ومات بها في سنة ستّ وتسعين وستمائة .

وهو أخو الأمير طيبرس .

وكان مهاباً شجاعاً شرس الخلق قليل الفهم / . [171 ب]

....

(1) غافص : فاجأ . وهنا : انتهزوا الفرصة .

(2) لم يعرض المقريزي لتحالف المترجم مع سنقر الأشقر نائب دمشق في تمرّده على السلطان ، كما فعل ابن تغري بردي في المنهل . وقد لخّص المقريزي في ترجمه الختاميّ طموح أزدمر إلى السلطنة . وأضاف الصفديّ أنّه «كان يزعم أنّه شريف النسب» .

(3) الوافي 8 / 370 (3802) ؛ المنهل 2 / 347) ؛ النجوم 8 / 110 .

709 – أزدمر الكاشف الأعمى [– 754][1]

أزدمر الكاشف الأعمى – الأمير عزّ الدين ، مملوك الأمير ألمَاس ، ثم انتقل إلى الأمير قجليس[2] السلاح دار وعمل استاداره. فلما مات خدم كريم الدين الكبير. وتوجّه لاشتغاله في النواحي .

ثمّ انتدبه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون لقياس الجزائر وجعله من جملة مقدّمي الحلقة . وبعث به في التجريدة إلى بلاد اليمَن . فلما عاد ولّاه قطبغا على إمرة عشرة ، فشكرت سيرته . ثمّ نقله إلى ولاية الصناعة وشدّ الأهراء ، ثم إلى ولاية البهنسى ، وعمله أمير طبلخانه .

ثم نقله إلى كشف الوجه القبليّ فظهرت كفايتُه وأمانته وهمّته ، حتى كان السلطان يشكره ويثني عليه بحضرة الأمراء . وأكثر من سفك دماء المفسدين ، ومهّد بلاد الصعيد . وطالت أيامه .

ثم استعفى من كشف الوجه القبليّ وطلب كشف الوجه البحريّ من أجل ضرر الحرّ بعينيه ، فنقله إلى كشف الوجه البحريّ ، وعمل الجسور ، وثغر الإسكندرية وأعمالها . فأثخن في تلك النواحي وأوقع بأهل الفساد حتى أذعر الناس . هٰذا ورمد عينيه سرى به حتى عمي في سنة اثنتين وأربعين . وأقام أعمى اثنتي عشرة سنة ، منها مدّة سنتين لا يعلم أحد بعماه ، بل يجلس للحكم ويتصرّف في الأحكام فيفهم من يحضر عنده من الأجناد والأمراء والعربان وغيرهم ، ولا يشتبه عليه واحد بآخر ، ويركب إلى كبس البلاد وسفك الدماء ، وهو على عماه ، من غير أن يظهر ذلك . ثم فشا أمره . وكان الأمراء

(1) النجوم 10 / 224 – 228 – الدرر ، 1/ 378(884) ومنها وفاتُه .

(2) قجليس . انظر الدرر ، 3/ 328 (3239) .

يعجبون منه ومن قوّة نفسه إذا دخل إلى الخدمة وطلبه السلطان ، فيأتيه كأنه يراه .

ثمّ توجّه إلى الحجاز صحبة النائب بيبغا أروس فكانت له يدٌ في حرب المجاهد صاحب اليمن (1) .

فلمّا قدم من الحجّ قبض عليه فيمن قبض من الأمراء ثمّ أفرج عنه فلزم داره ولم يغيّر شيئاً من حاله ، بل أقرّ مماليكه عنده ، وأجرى لهم الرواتب وعلف خيولهم ، على عادته في أيّام مباشرته ، بعدما بعث عند قدومه من الحجّ بهداياه إلى جميع الأمراء . ففسدت في مدّة عطلته حال النواحي وكثر عيث العربان بها ، فأعيد إلى كشف الوجه القبليّ لأوّل سلطنة الصالح صالح ، وأنعم عليه بألف أردبّ غلّة ومبلغ أربعين ألف درهم . فسار إلى عمله ومهّد البلاد . ثمّ نقل بسؤاله إلى كشف الوجه البحريّ عوضاً عن الأمير مجد الدين موسى بن الهذبانيّ .

ثمّ أخرج عنه كشف الوجه البحريّ لناصر الدين محمد بن إياس الدويداري ، وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه .

وكان يشدو قليلاً من النحو ، ويحفظ مقامات الحريري ، وعدّة أشعار للعرب وغيرهم ، ويقول الشعر ، وله عدّة مدائح في الأمراء .

710 – أسامة بن زيد التنوخيّ [– بعد 104] (2)

أسامة بن زيد بن عديّ ، أبو عيسى ، التنوخيّ ، الكاتب ، ويقال : الكلبيّ ، مولاهم ، مولى سليح .

---

(1) المجاهد الرسوليّ : عليّ بن داود بن يوسف . وخبر اقتحامه مكّة وَقت الحجّ مفصّل في النجوم 10 / 226 .

(2) النجوم 1 / 231 ؛ الجهشياري : الوزراء والكتّاب ، 51 .

روى عنه زيد بن أسلم ، وحرملة بن عمران . وكان على ديوان الجند بدمشق في زمان الوليد بن عبد الملك . ثمّ ولي خراج مصر في زمن الوليد ، فقدمها يوم السبت لإحدى عشرة خلت من شهر ربيع الأوّل سنة ستّ وتسعين .

ثمّ نزع في شهر ربيع الآخر سنة تسع وتسعين ، وأُمّر على الخراج عوضه حيّان بن شريح من قبل عمر بن عبد العزيز . وأمر به فأقيم بمِصر في العساكر ، فما جاء أحدٌ من الناس يطلب قبَله ديناراً ولا درهماً إلّا وجد شيئاً في بيت المال فإنه كان أميناً .

ثمّ أعيد أسامة إلى ولاية الخراج في سنة آثنتين ومائة ، وصُرف حيّان ، فأقام على الخراج إلى سنة أربع ومائة .

وسار إلى الشام فجُعل على الدواوين ، وعُمل بَدَلَه على خراج مصر يزيد ابن أبي يزيد .

ومات أسامة في [...] .

وكانت له بمِصر قصص وأنباء ، منها أنّه استخرج مالها آثني عشرَ ألفَ ألف دينار .

وهو أوّل من اتخذ صاحب حماله .

وكان بالإسكندرية صنم يقال له شراحيل على حشفة من حشف البحر
[172 أ] يستقبل بإصبع من كفّه قسطنطينيّة لا يدرى مَن عمله . وكان الحيتان يدورون بالإسكندرية وتصاد عند هٰذا الصنم . وكان قدمه بطول قامة الرجل . فكتب أسامة إلى الوليد بن عبد الملك : أنّ عندنا بالإسكندريّة صنمًا يقال له شراحيل من نحاس ، وقد غلت علينا الفلوس . فإن رأى أمير المؤمنين أن ننزله ونضربه فلوساً ، فعل .

فبعث إليه رجالاً أمناء حتى أنزل فوجدوا عينيه ياقوتتين حمراوين ليس لهما

قيمة ، فضربه فلوساً . فانطلقت الحيتان فلم ترجع إلى هنالك[1] .

وهو الذي بنى مقياس النيل القديم بجزيرة مصر تجاه الفسطاط لمّا بطل مقياس [عبد العزيز بن مروان][2] .

ويذكر أنّه لمّا بعثه سليمان بن عبد الملك إلى مصر ، دخل على عمر بن عبد العزيز فقال : يا أبا حفص ، إنّه والله ما على وجه الأرض من رجل بعد أمير المؤمنين أحبّ إليّ رضاً منك ، ولا أعزّ عليّ سخطاً منك . وإنّ أمير المؤمنين قد وجّهني إلى مصر ، فأوصني بمَا شئت واكتب إليّ بمَا شئتَ ، فإنّك لن تأمر بأمر إلّا نفذ إن شاء الله .

فقال : ويحك يا أسامة إنّك تأتي قوماً قد ألحّ عليهم البلاء منذ دهر طويل ، فإن قدرت على أن تنعشَهم فأنعِشْهُم .

قال : يا أبا حفص ، إنك قد علمتَ نهمة أمير المؤمنين في المال ، وأنه لا يرضيه إلّا المال .

قال : إنك إن تطلب رضا أمير المؤمنين بسخط الله يكن الله قادراً على أن يسخط أمير المؤمنين عليك .

قال : إنّي سأودّعه وأنت حاضر إن شاء الله فتسمع وصاته .

فلمّا كان اليوم الذي يسير فيه غدا على سليمان متقلّداً سيفاً متوشّحاً عمامته . فلمّا عرف أنّ عمر قد استقرّ عنده دخل وسلّم . ثمّ قام وقال : يا أمير المؤمنين ، هذا وجهي ، وأردتُ أحدث عهداً بأمير المؤمنين وأن يعهد إليّ .

فقال : احلب حتى ينقيك الدم . فإذا أنقاك الدم فاحلب حتى ينقيك

---

(1) هذه القصّة رواها المقريزيّ في الخطط 1 / 174 عن ابن يونس .

(2) في الخطط 1 / 92 : بنى أسامة مقياس الجزيرة بعد بطلان مقياس عبد العزيز بن مروان بحلوان . وبناء مقياس الجزيرة كان في سنة 76 (وفيات 3 / 112) . وفي المروج 2 / 71 : بُني في أيّام سليمان بن عبد الملك (96 – 99) . وفي الخطط : في سنة سبع وتسعين .

القيح ! لا تبقها لأحد بعدي !

فخرج ، فلم يزل واقفاً حتى خرج عمر ، فسار معه . فقال : يا أبا حفص ، قد سمعت وصايته .

قال : وأنت ، قد سمعتَ وصايتي .

فقال : أوصني في خاصّتك .

قال : ما أنا بمُوصيك منّي في خاصّتي[1] إلّا بما أوصيك به في العامّة .

فسار إلى مصر ، فعمل فيها عملاً ما عمله فرعون ، وآشتدّ على نصارى مصر ، وأمر بقتلهم وأخذ أموالهم ، ووسم أيدي الرهبان بحديدة عليها آسمُه وآسم دَيره وتاريخه ، فكان مَن وُجد منهم بغير وسم قطع يده . ثمّ كبس عليهم الديارات ، فوجد جماعة منهم بغير وسم فضرب أعناق بعضهم ، وضرب بعضهم حتى مات تحت الضرب . وكتب إلى الأعمال بأنّ مَن وُجد من النصارى ولم يكن بيده منشور يؤخذ منه عشرة دنانير ، ففعل ذلك .

711 – أسامة بن منقذ [488 – 584][2]

أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ بن محمد بن منقذ بن نصر بن هاشم بن سوار بن زياد بن زغيب بن مكحول بن عمرو بن الحرث بن عامر بن مالك بن أبي مالك بن عوف بن كنانة بن بكر بن عذرة بن زيد اللات ابن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة بن ثعلب بن حلوان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ، أبو المظفّر ، مؤيّد الدولة ، الشيزريّ .

---

(1) في المخطوط : في حاجتي .

(2) الوافي 8 / 378 (3818) ؛ الوفيات 1 / 195 (84) . الخريدة (الشام) 1 / 498 ؛ معجم الآباء 5 / 188 ؛ تهذيب ابن عساكر 2 / 403 .

مولده :

ولد يوم الأحد سابع عشرين جمادى الآخرة سنة ثمَانٍ وثمَانين وأربعمائة - وقيل : ثالث عشرينه . وقيل : في شهر رمضان منها - والأوّل هو الصحيح . وكانت ولادته بقلعة شيزر .

وتوفّي بدمشق في ليلة الثالث والعشرين من شهر رمضان سنة أربع وثمَانين وخمسمائة ، ودفن من الغد بجبل قاسيون .

وهو من أكابر بني منقذ أصحاب قلعة شيزر وعلمائهم وشجعانهم . وله تصانيف عديدة في فنون الأدب ، وله ديوان شعر في جزءين .

وانتقل من شيزر إلى دمشق فسكنها مدّة . ثمّ سار منها إلى مصر في خلافة الحافظ لدين الله هو وإخوته أبو الغيث منقذ ، وشرف الدين مرشد وأولادهم ، والوزير نظام الدين أبو الكرام محسن ، لاستيحاشهم من الأتابك معين الدين أنز[1] لمجير الدين أبق صاحب / دمشق ، وخوفهم منه . وقدموا في جمادى الآخرة سنة [172 ب] تسع وثلاثين وخمسمائة . فاستمرّ بها إلى أن ولي العادل ابن السلار[2] الوزارة ، فاختصّ به .

تحريضه على قتل الظافر :

فلمّا خرج العسكر من القاهرة لحفظ عسقلان من الفرنج في سنة ثمَان وأربعين وخمسمائة ، وعليه عبّاس بن تَميم[3] ربيب الوزير العادل علي بن

(1) انز بن عبد الله مملوك طغتكين (ت 544) ، وهو أتابك أبق بن محمّد بن بوري بن طغتكين صاحب دمشق . وفيات 1 / 297 5 / 184 . والتعبير ملتبس ولعلّ المقصود : لاستيحاشهم من معين الدين أتابك - أي قائد جيش - صاحب دمشق .

(2) ابن سلاّر : هو « الامير المظفّر سيف الدين ، معدّ الملك ، ليث الدولة ، عليّ بن اسحاق ابن السلاّر » ؛ اتّعاظ 3 / 196 .

(3) عبّاس بن أبي الفتوح يحيى بن تميم الصنهاجي ، له ترجمة في المقفّى : رقم 1433 (ت 549) .

السلار ، ومعه من أمراء الدولة ملهم والضرغام وأسامة بن منقذ هٰذا ، وكان خصيصاً بعبّاس ، ونزلوا على بلبيس ، تذاكر عبّاس وأسامة مصر وطيبها وما هم خارجون إليه من مقاساة السفر ولقاء العدوّ . فتأوّه [1] عبّاس أسفاً على مفارقة مصر وأخذ يُثرِّب [2] على العادل كونه جرّده . فقال له أسامة : لو أردتَ كنتَ أنتَ سلطان مصر .

فقال : كيف لي بذلك !

فقال : هٰذا ولدك نصر بينه وبين الخليفة – يعني الظافر – مودَّة عظيمة . فخاطِبه على لسانه أن تكون سلطان مصر موضع عمّك فإنه يحبّك ويكرهه . فإذا أجابك فَاَقْتُلْ عمّك [3] .

فوقع كلامه من عبّاس بموقع ، وجهّز ابنه إلى الخليفة ، وكان من قتل ابن السلار وولاية عبّاس الوزارة ما تقدّم في موضعه [4] .

فلمّا اَستقلّ عبّاس بوزارة الخليفة الظافر ، وكره اختلاط نصر بن عبّاس بالخليفة الظافر ، ثقل أسامة على أمراء مصر ، واستوحشوا منه لعلمهم أنه هو الذي دبّر قتلَ ابن السلار وتحدّثوا بقتله ، وخيّلوا للظافر منه كونَه من أهل الشام ، وهواه مع بني العبّاس ، ومتى تُرِك وقع منه ما لا يتدارك . وبلغه ذلك فخاف من الظافر وأخذ في الحيلة لنفسه وشرع يدبّر في فتنة أخرى . فأغرى عبّاس الوزير بأبنه نصر ، وبالغ حتى قال له يوماً : كيف تصبر على ما يقول الناس في حقّ ولدك ، من أنّ الخليفة يفعل به ما يفعل بالنساء ؟

فغضب عبّاس من ذلك وطلب ابنَه وعنّفه . فلم يُصغِ لقوله واستمرّ على

(1) في المخطوط : فتأسّف ... أسفاً . والإصلاح من الاتّعاظ 3 / 204 .

(2) يُثَرِّبُ : يلوم . ولعلّه يترّب ، أي يدعو عليه بتربت يداه !..

(3) ابن السلّار ليس عمّ عبّاس ، وإنمّا هو زوج أمّه . ولعلّ عبارة عمّ هنا من باب التلطّف .

(4) أي . في ترجمة عبّاس .

معاشرة الخليفة إلى أن أنعم عليه بناحية قليوب . فقال له أسامة بحضرة أبيه : ما هي بمَهرك غالية !

فآمتعض عبّاس وشقّ عليه هذا القول ، وقال لأسامة : كيف الحيلة في الخلاص ممّا بلينا به ؟

فقال : هيّن ! هٰذا الخليفة يأتي في كل وقت إلى بيت ولدك خفية ، فمُره إذا جاءه أن يقتله .

فما زال عبّاس بآبنه نصر حتى قتل الخليفة كما ذكر في ترجمته[1] .

فلمّا أقام عبّاس الفائز عيسى في الخلافة بعد قتل الظافر ، وقدم طلائع بن رزّيك من الأشمونين لأخذ ثأر الظافر آل أمر عباس إلى أن فرّ من القاهرة ، هو وولده نصر ، وأسامة ، في عدّة من أصحابهم ، بعدما نهب لأسامة عند خروجه من مصر أربعون غِرارة[2] جِماليّة مخاطةً فيها من الذهب والفضّة والكسوة شيء كثير ، وأخذ من اصطبله ستّة وثلاثون حصاناً وبغلة بسروجها ولجمها وعدّتها ، وخمسة وعشرون جملاً ، وأخذ من إقطاعه بكوم اشبين مائتا رأس بقر لبساتينه وأوسيته[3] ، وأهراء غلّة .

هروبه من الإفرنج وخذلانه العبّاس :

فخرج عليهم الإفرنج ، ففرّ أسامة وتبعة أصحابه ، وتركوا عباساً وآبنه حتى قتل عبّاس وأسر ابنه نصر في يوم الجمعة خامس شهر ربيع الآخر[4] . وسار أسامة إلى دمشق في سنة تسع وأربعين وخمسمائة[5] فأقام بها .

---

(1) ترجمة اسماعيل بن عبد المجيد ، الظافر العبيديّ : رقم 773 .

(2) الغرارة هي الكيس الكبير للحبوب او السميذ . وجماليّة نسبَة الى الجمال ، ولعلّ العبارة تعني حمولات القافلة من الإبل .

(3) هكذا في المخطوط ، ولعلّها تعني : المراعي المشتركة كمَا في قاموس دوزي .

(4) في الاتعاظ 3 / 220 ، أسر نصر في ربيع الأوّل سنة 550 .

(5) لعلّ الصواب : سنة 550 .

ثمّ رماه الزمان إلى حصن كيفا فأقام به حتى ملك السلطان صلاح الدين يوسف دمشق ، فاستدعاه وهو شيخ قد جاوز الثمانين .

قال فيه العماد الكاتب : وأسامة كاسمه في قوّة نثره ونظمه ، معتدل التصاريف ، مطبوع التصانيف .

شعره :

ومن شعره في قلع ضرسه [بسيط] :

وصاحب لا أملّ الدهر صحبتَه   يشقى لنفعي ويسعى سعيَ مجتهدِ
لم ألقَه مُذ تصاحَبْنا فحِينَ بدا   لناظِرَيَّ افترقنا فرقة الأبدِ

[173 أ] / وقال [بسيط] :

انظر إلى لاعب الشطرنج يجمعها   مُغالِباً ثمّ بعد الجمع يرميها
كالمرء يكدح للدنيا ويجمعها   حتى إذا مات خلّاها وما فيها

وقال [بسيط] :

لأرمينّ بنفسي كل مهلكة   مهولةٍ يتحاماها ذوو الباس
حتى أصادف حيني فهو أجملُ بي   من الخضوع وأستغني عن الناس

وقال قصيدته المشهورة التي كتبها إلى دمشق بعد خروجه منها إلى مصر يعيب على الأمير معين الدين أنز ، وهي من غرر القصائد [بسيط] :

وَلُوا فلمّا رجونا عَدلهُمْ ظلمُوا   فليتَهم حكموا فينا بما علِموا
ما مرّ يوماً بفكري ما يَريبَهَمَ   ولا سعت بي إلى ما ساءهم قدَمُ
ولا أضعتُ لهم عهداً ولا اطلعت   على ودائعهم في صدريَ التُّهم
فليت شعري، بمَ استوجبتُ هجرهُمُ   ملّوا فصدّهمُ عن وصليَ السأمُ
حفظتُ ما ضيّعُوا ، أغضيتُ حين جنَوا   وفيتُ إذ غدَروا ، واصلتُ إذ صرمُوا
حرمت ما كنتُ أرجو من ودادهمُ   ما الرزقُ إلّا الذي يجري به القلم

محاسني منذ ملّوني بأعينهم ... قذى ، وذكريَ في آذانهم صمم
وبعدُ ، لو قيل لي : ماذا تحبّ وما ... تختار من زينة الدنيا؟ لقلت : هم [1]
همُ مجال الكرى من مقلتيّ ، ومن ... قلبي محلّ المنى ، جاروا أو اجترموا
تبدّلوا بي وما أبغي بهم بدلاً ... حسبي بهم أنصفوا في الحكم أو ظلموا
يا راكباً تقطع البيداءَ همّته ... والعيس تعجز عمّا تدرك الهمم
بلّغ أميري معين الدين مألُكَةً ... من نازح الدار ولكن ودّه أمم
وقل له : أنت خير الترك فضّلك ... الحياء والدين والإقدام والكرَمُ
وأنت أعدلُ من يشكى إليه ، ولي ... شكيّة أنت فيها الخصم والحكَمُ
هل في القضيّة يا من فضل دولته ... وعدل سيرته بين الورى علم ؟
يضيع واجب حقّي بعدما شهدت ... به النصيحة والإخلاص والخِدَمُ
وما ظننتُكَ تنسى حقّ معرفتي ... إنّ التعارف في أهل النهى ذمم
ولا اعتقدت الذي بيني وبينك من ... ودّ ، وان أجلب الأعداء ، ينصرم
لكن ثقاتك ما زالوا بغشّهم ... حتى ٱستَوَتْ عندك الأنوار والظلَمُ
باعوك بالبخس يبغون الغنى ، ولهم ... لو أنّهم عدموك الويلُ والعدم
والله ما نصحوا فيمَا ٱستَشَرْتَهُمُ ... وكلُّهم ذو هوًى في الرأي مُتَّهَمُ
كم حرّفُوا من مقال في سفارتهم ... وكم سَعَوا بفسادٍ ضلَّ سعيُهم !
أين الحميّةُ والنفسُ الأبيّةُ إذ ... ساموك خطّة خسف عارُها يصم / [173 ب]
هلّا أنفتَ حياءً أو محافظةً ... من فعل ما أنكرَتْه العربُ والعجم ؟
أسلمتَنا وسيوف الهند مغمَدَةٌ ... ولم يروّ سنانَ السمهريّ دمُ
وكنت أحسبُ مَن والاك في حرَم ... لا يعتريه به شَيبٌ ولا هرم
وأنّ جارَكُمُ جارُ السموأل لا ... يَخشى الأعادي ولا تغتاله النقم [2]

(1) في المخطوط : وبعت ، والإصلاح من الخريدة 1 / 534 .
(2) في الخريدة 1 / 586 : وأنّ جارك جارٌ للسموأل . وكذلك في معجم الأدباء 5 / 212 .

وما طُهان بأولى من أسامة بالـ ـوفاءِ لكن جرى بالكائن القلم[1]
هبنا جنينا ذنوباً لا يكفّرها عذر ، فماذا جنى الأطفال والحرم ؟
ألقيتهم في يد الإفرنج مبتغياً رضى عدًى يسخط الرحمانَ فعلهمُ
هم الأعادي وقاك الله شرّهمُ وهم بزعْمهمُ الأعوانُ والخدم
إذا نهضتَ إلى مجدٍ تؤثّله تقاعدوا ، فإذا شيّدتَه هدمُوا
وإن عرتك من الأيّامِ نائبةٌ فكلّهم للّذي يُبكيك مبتسمُ
حتى إذا ما انجلت عنهم غيابتُها بحدّ عزمك وهو الصارم الخذِمُ
رشفت آجنَ عيش كلّه كدرٌ ووردهمْ من نداك السلسل الشبمُ
وإن أتاهم بقولٍ عنك مختلَق واش فذاك الذي يُحْبَى ويحترم
وكلٌّ مَن ملت عنه قَرَّبُوه ، ومَن والاك فهو الذي يُقصى ويُهتضمُ
بغياً وكفراً لما أَولَيتَ من منن وموقع البغي لولا جهلهم وخِمُ
جرِّبْهمُ مثل تجريبي لتخبرهم فللرجال إذا ما جرّبوا قيَمُ
هل فيهم رجل يُغني غنايَ إذا جلّى الحوادث حدّ السيف والقلمُ
أم فيهمُ من له في الخطب ضاق به ذرع الرجال يدٌ يسطو بها وفمُ ؟
لكنّ رأيك أدناهم وأبعدني فليتَ أنّا بقدر الحبّ نقتسِمُ
وما سخطتُ بعادي إذ رضيتَ به ولا لجرح إذا أرضاكمُ ألمُ
ولستُ آسى على الترحال من بلدٍ شُهب البزاة سواء فيه والرخمُ
تعلَّقَتْ بحبال الشمس من كبدي ثمّ انْثَنَت وهي صفرٌ ملؤها ندم
لكن فراقُكِ آساني وآسفني ففي الجوانح نارٌ منه تضطرمُ
فأسلم فما عشت لي فالدهرُ طوعُ يدي وكلّ ما نالني من بؤسه نعمُ

فلمّا وقف عليها معين الدين ألزم الأديب أبا الثناء محمود بن نعمة بن

....

(1) طهان مملوك تركيّ حماه أنز وقرّبه (تعليق المرجوم شكري فيصل ناشر الخريدة 1 / 536 هامش 1) .

رسلان الشيزريّ[1] حتى أجاب عنها بأبيات أوّلها :

يا ظالماً ناره في القلب تضطرمُ ... مهلاً ! فلحظُك تغشى نوره الظُّلَمُ
كأنك القَوْسُ تردي وهي صارخة ... وما ألمّ بها من غيرها ألمُ
تجني وتلزمني ذنباً أتيت به ... ووجهُ غَدْرِكَ بادٍ لَيْسَ ينبهِمُ

وقال[2] [كامل] :

للخلق في يوم القيامة موقف ... تجزَى البريّةُ فيه عن أعمالها
ومطوّق الأرضين غاصب حدّها ... فليهنا مَن قد حازها بكمالها

وقال [كامل] :

يا ليت أنّ ديارنا كانت كذا : ... طوراً تفرّقنا وطوراً تجمَع
/ لكنّها درست وأوحشها الردى ... من أهلها فهي القفار البلقع [174 أ]
لا يرتجى لهمُ إيابٌ جامعٌ ... أشتاتَهم حتى يضمّ المجمع

وقال [بسيط] :

وسائل الدار عمّن كان يملكها ... هل آنستْ عنهمُ من بعدهِم خبَرًا
فلو أجابت لقالت وهي عالمة ... بسيرة السَّلف الماضي ومن غبَرَا
أرَتْهُمُ العبرَ الدنيا فما اعتبروا ... فصيّرتْهم لقومٍ بعدهم عِبَرا

وقال [وافر] :

وما أشكو تلوّن أهل ودّي ... ولو أجدَتْ شكاتُهُمُ شكوتُ
مللتُ عتابهم ويئست منهم ... فما أرجوهمُ فيمَنْ رجوتُ
إذا أَدْمَتْ قوارصُهُم فؤادي ... صبَرتُ على أذاهم وانطويتُ

(1) له ترجمة في خريدة الشام 1 / 575 (ت 556) .
(2) أي : أسامة .

ورحْتُ عليهمُ طلقَ المحيّا كأنّي ما سمعتُ ولا رأيتُ
ولا واللهِ ما أضمرتُ غَدْراً كما قد أضمروه ، ولا نويتُ
تجنّوا لي ذنوباً ما جنتها يداي ولا أمرتُ ولا نَهَيْتُ
همُ نقضوا مواثيقي وعهدي ولم يوفُوا ، وها أنا قد وفيتُ
ويوم الحشر موعدنا وتبدو صحائف ما جنَوه وما جنَيت

كتُبه :

وله عدّة مصنّفات ، منها : كتاب التاريخ البدريّ ، ذكر فيه أهل بدر ، وعدّتهم ، وأسمَاءهم ، وأنسابهم ، وأحوالهم . وذكر فيه مغازي النبيّ ﷺ وجميع أحواله من أوّل أمره إلى آخره ، وآستقصى ذلك في خمس مجلّدات كبار على حروف المعجم .

وكتاب الشيب والشباب ، ذكر فيه الخضاب وما جاء فيه ، ورتّبه على سبعة أبواب في كل باب فصول . وكتاب ملحق به سمّاه « استدراك المرتاب » . وكتاب الحنين إلى الأوطان . وكتاب أخبار النساء ، بدأ فيه بحوّاء ، وذكر فيه أمّ موسى ، ومريم ابنة عمران وأخبارهنّ ، وأمّهات العرب ، والأخوات ، والزوجات ، والبنات المنجبات ، والنساء التي سارت بذكرهنّ الأشعار ، واستقصى أخبار الجميع وأشعارهنّ وما قيل فيهنّ . وكتاب وسائل السائل ، يتضمّن الأدعية وأوقاتها وما ورد فيها . وكتاب المنازل والديار . وكتاب نصيحة الدعاة . وكتاب الإشارة . وكتاب زجر عمرو بن بحر الجاحظ ، فيه النهي عن الزنا واللواط والفواحش . وكتاب أزهار الأزهار ، فيه صفة الجنّة ومنافع اللبن ومضارّه . وكتاب العصا ، فيه ذكر عصا موسى عليه الصلاة والسلام ، وما جاء في العصا . وكتاب النوم والأحلام . وكتاب التأسّي والتسلّي . وكتاب فضائل الخلفاء الراشدين . وكتاب المحاسن . وكتاب نزهة الناظر في إملاء الخاطر ، وكتاب ردع الظالم وردّ المظالم ، وكتاب الاعتبار ، وكتاب تاريخ ،

ذكر الحوادث من أوّل الهجرة إلى زمانه مختصراً ، وكتاب لباب الآداب ، وكتاب مكارم الأخلاق ، في عشرين مجلّدة ، صنّفه في مدّة عشر سنين ، مدّة مقامه بمِصر ، وكتاب المنتخب من أشعار العرب ، وكتاب المختار من محدث الأشعار ، وكتاب المماثلة في الشعر ، وكتاب معونة المساعد على حصر الشواهد ، في الشعر أيضاً ، وكتاب الأقسام ، في الشعر أيضاً ، وكتاب أمان الخائفين ، في الزهد ، وكتاب الديرة والحصون ، وكتاب فيه شعر جماعة سأله ابن الزبير عنهم ، وكتاب المكارم والكرم ، ورِعاية الذمم ، وكتاب الفرق ما بين المحبّة والهوى ، وكتاب زور أبي العلاء ، وكتاب ضربة الولاء ، وكتاب اختيار شعر أبي تمّام ، وكتاب / التجارة المربحة ، وكتاب مختار شعر أبي نواس . [174 ب]

712 - القاضي الوزيري [650 - 719] (1)

إسحاق بن إبراهيم بن المظفّر بن عليّ المقريء، الفاضل ، أبو محمّد، الوزيريّ ، القاضي .

ولد سنة خمسين وستمائة ، وقرأ القراءات على ابن فارس ، وسمع من الكمال الضرير الشاطبيّة والتيسير وتفرّد بسماعه بدمشق . وسمع من الحافظ المنذريّ معجمَه ، وحدّث .

وكان شيخاً فاضلاً حسنَ الأخلاق .

توفّي بدمشق في رابع عشرين شعبان سنة تسع عشرة وسبعمائة .

....

(1) الدرر (885) .

713 – ابن قلا النصرانيّ الكاتب [– بعد 300][1]

إسحاق بن إبراهيم بن قلا ، يكنّى بأبي يعقوب ، النصرانيّ ، الكاتب .

استدعاه أبو عليّ الحسين بن أحمد الماذرّائي ، المعروف بأبي زنبور ، وهو يتقلّد خراج مصر ، أمانة وقال له : إنّي قد طولبتُ من الحضرة بالحساب لأربع سنين ، فكن عند ظنّي بك ، وأخرج الحساب وقم بالكلام فيه .

فقال : أفعل .

وآنصرف ليتّجه . فجاءته رقعة أبي عليّ ومعها عشرة آلاف دينار ليتحمّل بها ، وكتب له على دمشق بخمسة آلاف دينار ، وإلى بغداد بعشرة آلاف دينار . فأتى إليه وقال : يا سيّدي ، وما أصنع بهٰذا كلّه ؟

فقال : إنّه عليك في بغداد مؤونة ، وإن احتجت إلى شيءٍ آخر ، فخذ من فلان واكتب له سفاتج عليّ .

فسار بالحساب إلى أن دخل على الوزير عليّ بن عيسى بن الجرّاح . فلمّا مثل بحضرته قال له : أنت صاحب أبي زنبور ؟

فقال : أنا صاحب خادمك الحسين بن أحمد .

قال : لعمري إنّه الحسين بن أحمد ، ولكن أنت صاحب أبي زنبور .

فقال : أنا صاحب خادمك الحسين بن أحمد .

فقال : كم هٰذا ؟ أنت صاحب أبي زنبور !

قال : أنا صاحب خادمك أبي عليّ الحسين بن أحمد أيّده الله ببقائك !

---

(1) لم نجد له ترجمةً غير هٰذه .

فقال : ٱنظروا موضعاً من الديوان يكون فيه ، ووكّلوا به من يكون معه .

قال إسحاق : ما سمعتُ بهٰذا ! رجلٌ ليس قِبله تبعة ، وإنّمَا ورد بقراطيس فيها حساب بما ليس في زمنه . والله ما أبالي بطل أو صحّ .

فقال الوزير : إنّه ثمَانية آلاف ألف دينار .

فراجعه مراراً إلى أن قال للوزير شابّ في مجلسه : عليّ ضمانُه ، أيّد الله الوزير !

فقال الوزير : يا هٰذا ، إنه ثمَانية آلاف ألف دينار .

فقال : تكون ماذا ؟

فقال الوزير : خذوا خطّه !

فأخذ الشاب الدواة والدرج . فقال إسحاق لبعض مَن حضر : مَن هٰذا ؟

فقال : هٰذا ٱبنُ حوارى .

فلمّا كتب وقرأه الوزير ، قال لإسحاق : ٱنصرف حيث شئتَ .

فخرج إسحاق ووقف على باب الوزير إلى أن خرج ٱبن [1] حوارا فدعا له وشكره وقال له : أعان الله على شكرك ومكافأتك .

ومشى معه إلى داره . فلمّا وصلها قال : يا سيّدي ، أين تأمرُ أن أكون ؟

فالتفت إليه وقد حرد وقال : في لعنة الله ! أتراني ضمنتك لأحفظك ؟ حرج عليك الا ركبت الساعة البرّيّة أو سفينة ومضيت إلى مصر . والله لولا أن تظنّ أنّه ٱحتياط عليك لما أنزلتك إلّا في داري . ولكن ٱكتب إلى صاحبك أنّ له بظهر الغيب من يعمل هكذا .

فأقام إسحاق بالعراق ما شاء ، وكتب بذلك إلى أبي عليّ . وكتب إلى

---

(1) في المخطوط : أبو حوارا ، وقد مرّ ابن حوارى .

أولاده كتاباً يتشوّق فيه إليهم . فدخل ابناه إلى أبي عليّ . فعندما رآهما قال : جاءكما كتاب أبي يعقوب ؟

قالا : نعم – وتدمّعا .

فقال : إيش هٰذا ؟ شوقاً إليه ؟ عن قريب يأتي بمَشيئة الله تعالى كما تختار ، ولكن بكّروا لديّ في غد لمهمٍّ أذكره لكما .

فبكّرا إليه فوجدا أربع جَمّازات [1] نوق ، واحدة عليها قبّة ، والأخرى جنيبة مجهّزة ، واثنتان محمّلة بما يحتاج إليه . فحُملا في القبّة وأنفذا إلى أبيهما ، فلم يشعر حتى دخلا عليه في بغداد . فقال : إيش هٰذا ؟

فحدّثاه الحديث فقال : لا حول ولا قوّة إلّا بالله ! اللهمَّ ، أمِتني في أيامه !

فلم يزالا معه حتى قدم بهما إلى مصر ، فعمل معه أبو عليّ أضعاف ما عمل قبل خروجه ، وكان ذلك بعد سنة ثلاثمائة .

714 – أبو يعقوب الشاشيّ [– 325]

إسحاق بن إبراهيم بن [. . .] ، أبو يعقوب ، الخراسانيّ ، الشاشيّ .

[715 أ] قدم مصر / وكان يتفقّه على مذهب أبي حنيفة . وكان فقيهاً يتصرّف مع قضاة مصر . وكان على قضاء بعض أعمال مصر . قاله ابن يونس . وكان ثقة .

توفي بمصر سنة خمس وعشرين وثلاثمائة .

(1) الجمّازات : آلة الإبل ممّا يُحمل عليه كالأقتاب ونحوها .

715 - ابن مراجل [610 -]

إسحاق بن علي بن أبي الغنائِم المسلم بن محمد بن محمد بن الحسين بن إسماعيل بن محمد بن أبي طالب بن الحسين ، الكنديّ ، نجم الدين . أبو المعالي ، ويقال ابن مراجل .

كان جدّه الحسين عراقيًّا ، فانتقل إلى سلميّة فبنى بُرجاً عُرف به . وكان كريمًا جواداً كثير الأضياف . فكان إذا طرقه الأضياف يقول لغلمانه ، أغلوا المراجل ، وضعوا المراجل ! - فلقّب مراجل لذلك .

ونجم الدين هٰذا كان والده شاعراً . وولد هو بحماة سنة عشر وستمائة . وقدم إلى القاهرة وتقلّب في الخِدم الديوانية ، وكتب عنه الأمير ابن الهمّام والي المنوفيّة بناحية الغربية من ديار مصر .

ومن شعره - وكتب به إلى كمال الدين عمر بن العديم - [مخلّع] :

عاينت دهري لمّا تصدّى ... معانداً لي وما رثى لي
فقال حظّي لا تخشَ نقصاً ... فقد وصلنا إلى الكمال

وقال ، وقد خلع عليه الملك [المؤيّد إسماعيل بن عليّ] صاحب حماه [1] [كامل] :

يا أيها الملك الذي لنواله ... قول بألسنة الفعال مصدّقُ
شرّفتني بين الأنام بخلعةٍ ... خلعت قلوبَ الحاسدين فأطرقُوا
أهديتها حمراءَ من يد نعمةٍ ... بيضاء فاصفرَّ العدوُّ الأزرق

(1) صاحب حماه هو أبو الفداء المؤرّخ ، انظر ترجمته رقم 753 .

716 - نجم الدين الحلبيّ [- 711][1]

إسحاق بن عليّ بن يحيى ، نجم الدين ، أبو الطاهر ، الحلبيّ ، شيخ الحنفيّة في وقته .

كتب على الهداية حواشي في مجلّدين .

وناب في الحكم عن قاضي القضاة معزّ الدين . ودرّس بالأزكوجيّة[2] وبالمنصوريّة ، وبالفارقانيّة ، وهو أوّل مدرّس بها . ودرّس بالحساميّة ، وهو أوّل مدرّس بها أيضاً .

وتوفّي في خامس المحرّم سنة إحدى عشرة وسبعمائة بالمدرسة الأزكوجيّة من القاهرة .

717 - إسحاق المؤتمن زوج السيّدة نفيسة [- بعد 208][3]

إسحاق بن جعفر بن محمد بن علي[4] بن الحسين بن علي بن أبي طالب .

قدم مصر هو وزوجته نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، مع أبيها[5]. وكان يقال لإسحاق المؤتمَن ابن الصادق ، وكان من

---

(1) نجم الدين الحلبيّ : لم نجد له ترجمة .

(2) في الخطط 4/ 199 : الأزكشيّة . وقال : بناها الأمير أيازكوج سنة 592 للحنفيّة فقط .

(3) لم نجد ترجمة للمؤتمن ابن جعفر الصادق ، لكنّه مذكور في تراجم السيّدة نفيسة (وفيات 5/ 423 رقم 767 ؛ النجوم 2/ 185 ، والخطط 4/ 313) .

(4) في المخطوط : ابن محمد بن الحسين ، ومحمد مقحم : فجعفر الصادق هو ابن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط . وانظر الخطط 4/ 314 .

(5) الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، ولي المدينة للمنصور ومات سنة 168 (عبر الذهبيّ 1/ 252) ، وترجم له المقريزي في الخطط 4/ 314 وفي المقفّى رقم 1152 .

أهل الصلاح والخير والفضل والدين .

وروي عنه الحديث . وكان ابن كاسب إذا حدّث عنه يقول : حدّثني الثقة الرضا إسحاق بن جعفر .

وكان له عقب بمِصر والعراق وحلب ، منهم بنو الرقّيّ ، وبحلب بنو زهرة . وولدت منه السيّدة نفيسة ولدين ، هما قاسم وأمّ كلثوم ولم يعقبا .

وقال الدارميّ عن يحيى بن معين : ما أراه إلّا صادقاً .

روى له الترمذي وابن ماجة .

وتوفّي [بعد] سنة ثمَان [ومائتين] عن خمس وثمَانين سنة ببغداد [1] .

718 - أبو نعيم ابن الفرات صاحب مالك [- 204] [2]

إسحاق بن الفرات بن الجعد ، أبو نعيم ، التجيبيّ ، الكنديّ ، مولى معاوية بن حديج .

يروي عن يحيى بن أيّوب ، والليث بن سعد ، ومالك بن أنس ، وجماعة . ويروي عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، وبحر بن نصر ، وأحمد ابن السرح ، في آخرين .

وثّقه أبو عوانة الحافظ . وقال أحمد بن يحيى بن وزير : كان من أكابر أصحاب مالك . لقي أبا يوسف وأخذ عنه ، وكان موفّقاً سديداً . وقال بحر بن

---

(1) في المخطوط : سنة 168 ، وهو خلط مع تاريخ وفاة والد السيّدة نفيسة . وجاء في الوفيات 5 / 424 : وتوفّيت [نفيسة] في رمضان 208 فعزم زوجها المؤتمن إسحاق بن جعفر الصادق على حملها إلى المدينة ، فسأله المصريّون بقاءها عندهم . . .

(2) الوافي 8 / 421 (3889) ؛ الكندي ، 393 ؛ عبر الذهبيّ 1 / 344 . الشذرات 2 / 11 .

نصر : سمعت ابن عليّة يقول : ما رأيتُ في بلدكم أحداً يحسن العلم إلّا إسحاق ٱبن الفرات .

وقال ابن عبد الحكم : ما رأيت فقيهاً أفضلَ منه .

وقال ابن يونس : وليَ القضاء بمِصر خلافة لمحمّد بن مسروق الكنديّ . وفي أحاديثه أحاديث كأنّها مقلوبة .

توفّي لليلتين خلتا من ذي الحجّة لسنة أربع ومائتين .

719 – رفيع الدين الأبرقوهيّ [582 – 623] [1]

[175 ب] إسحاق بن محمد بن المؤيّد بن علي بن إسمَاعيل / بن أبي طالب ، رفيع الدين ، أبو محمد ، ابن أبي عبد الله ، الهَمذانيّ الأصل ، المصريّ المولد ، الوبريّ ، الشافعيّ ، المعروف بالأبرقوهيّ .

ولد بمِصر سنة ٱثنتين وثمَانين وخمسمائة تخميناً . وسمع من أبيه ، ومن أبي عبد الله الأرتاحيّ ، وأبي الفضل الغزنويّ ، وفاطمة بنت سعد الخير ، وجماعة من أهل مصر والقادمين إليها .

ورحل إلى الشام ، فسمع من ابن طبرزد وغيره .

وسمع ببغداد وواسط وأصبهان ، وتفقّه .

وولي قضاء أبرقوه [2] مدّة ، ثمّ عاد إلى مصر وحدّث .

توفّي ليلة [...] السابع عشر جمادى الأولى سنة ثلاث وعشرين وستمائة بالقاهرة .

....

(1) الوافي 8 / 424 (3894) .

(2) أَبَرْقُوه : بلد بفارس من كورة اصطخر (ياقوت) .

720 - إسحاق بن العازار الطبيب [- 363] [1]

إسحاق بن موسى بن العازار ، أبو يعقوب ، اليهوديّ ، الطبيب .

قدم إلى مصر مع المعزّ لدين الله هو وأبوه وأخوه عون الله بن موسى . وكان عون الله مسلماً . وكان موسى بن العازار طبيباً للمعزّ ، وإلى ابنه إسحاق تدبير الدولة والنظر في جميع أمور المعزّ وخزائنه ، وقليله وكثيره ، والأمرُ والنهيُ . ومات بمِصر في حياة أبيه موسى لاثنتي عشرة خلت من صفر سنة ثلاث وستين وثلاثمائة .

ومات أخوه عون الله قبله بيوم . فاغتمّ المعزّ لموت إسحاق لكفايته . وأقرّ مكانه أخاه إسماعيل بن موسى وابنه يعقوب بن إسحاق .

وبقي أبوه موسى طبيباً للمعزّ حتى مات المعزّ . وصار عسلوج بن الحسن [2] إليه في الحقيقة ما يتولّاه إسحاق بن موسى [3] .

721 - أبو يعقوب الأَسْفَرايينيّ [- 284] [4]

إسحاق بن موسى بن عمران الأسفراييني ، أبو يعقوب ، ابن أبي عمران .

تفقّه على المزنيّ . وسمع المبسوط من الربيع . وسمع من قتيبة بن سعيد ،

---

(1) ابن أبي أصيبعة : طبقات الأطباء ، في ترجمة الأب ، موسى بن العازار (ص 575) ؛ القفطي : حكماء ، ص 320 في ترجمة الأب كذلك ؛ ورقات ح.ح. عبد الوهاب 1 / 301 .

(2) عسلوج بن الحسن الدنهاجي : أحد رجالات كتامة . انظر عنه عيون الأخبار ، 726 هامش 327 ، ولعلّه هو أبو علي [بن] عسلوج الذي قتله الحاكم مع جماعة (اتّعاظ 1 / 266 والنجوم لابن سعيد ، 69) .

(3) إسحاق بن موسى يلتبس هنا مع الترجمة الموالية . وقد ظنّها الناسخ مكرّرة .

(4) أسفرايين بالفتح كمَا ضبطها ياقوت . وترجم له الصفدي في الوافي 8 / 419 (3885) بعنوان : اسحاق بن أبي عمران .

وإسحاق بن راهوَيه ، وعليّ بن حجر ، وإبراهيم بن يوسف البلخيّ ، وجبارة آبن المغلّس ، وهشام بن عمّار ، وخلقٍ بالعراق والشام ومصر .

روى عنه مؤمّل بن الحسين ، وأبو عوانة[1] ، ومحمد عبدك ، ومحمد بن الأخرم ، في آخرين .

وكان فقيهاً محدّثاً زاهداً ورعاً ، أحد أئمّة الشافعيّين والرحّالة في طلب الحديث .

توفّي بأسْفرايين سنة أربع وثمَانين ومائتين .

722 – إسحاق بن نصير العباديّ الكاتب [– 297][2]

إسحاق بن نصير ، أبو يعقوب ، العبادي .

كان يخلف أبا جعفر محمد بن عبد الله بن عبدكان على المكاتبات والترسّل .

فلمّا مات ، وانفرد الوزير أبو الحسن عليّ بن أحمد الماذرّائي لم يستخلف أبا يعقوب ، وأمره أن يلزم بيته ، وتولّى الترسّل بنفسه مدّة .

ثم إنّ الأمير أبا الجيْش خمارويه بن أحمد بن طولون أمره أن يستكتِب أبا يعقوب فاْستكتبه . وقال له أبو الجيش : كم رزقك ؟

قال : أربعون ديناراً[3] .

فقال [خمارويه] لعلي بن أحمد : آجعلها أربعمائة دينار في الشهر – وقال لأبي يعقوب : لا تبرح في حضرتي .

(1) قال الصفدي : واسحاق هو والد الحافظ أبي عوانة .

(2) الوافي 8 / 428 (3902) . وفيه : البغداديّ .

(3) في المخطوط : أربعون ألف . والإصلاح من الوافي .

فبلغ أبو يعقوب من النفقة أن صار يجود في الشهر بالآلاف .

[قال ابن زولاق : مات سنة سبع وتسعين ومائتين][1] .

723 - أسد بن الفرات [144 - 213][2]

أسد بن الفرات بن سفيان ، أبو عبد الله ، مولى بني سليم ، قاضي إفريقية .

أصله من أبناء جند خراسان .

ومولده في سنة أربع وأربعين ومائة . وأقام بالكوفة . وكتب عن أهلها .

وكتب بالريّ عن جرير بن عبد الحميد .

وأخذ الموطأ عن مالك بن أنس ، وروى عنه المسائل الأسديّة ، وهو معدود من كبار أصحاب مالك .

قدم مصر ، ومضى إلى إفريقية ، ووليَ القضاء بها من قبل زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب شركة مع أبي محرز محمد بن عبد الله بن قيس في [. . .] .

غزوه صقليّة :

ثمّ غزا جزيرة صقلّيّة ، وذلك أنّ أهلها كانوا معاهدين . فنزع بعض أهلها إلى زيادة الله يستدعيه إلى دخول الجزيرة ، وذلك أنّ ملك الروم سخط عليه ، وكتب إلى صاحب صقلّية أن يعاقبه ويُمثّل به . فلمّا خافه آستدعى أصحابه إلى الخلاف معه فأجابوه . فمضى في مراكبه نحو سرقوسة إحدى مدائن جزيرة

(1) تتمّة من الوافي .

(2) رياض النفوس 1 / 254 (وانظر الفهارس) ؛ الكامل لأبن الأثير تحت سنة 201 ؛وفيات 3 / 182 ؛ معالم الإيمان 2 / 2 ؛ دائرة المعارف الإسلاميّة 1 / 706 - طبقات الفقهاء للشيرازي ، 155 وفيها حديث عن الاسديّة « المرفوضة عندهم الى اليوم » .

صقلّيّة ، فنزل بمَرساها وقاتل البطريق الذي كان بها حتى قتله ، ثم لبس
[176 أ] الديباجة التي يلبسُها الملوك والخفّ الأحمر ، وأخذ الأموال التي بسرقوسة / ، واستولى عليها ، وأعطى أصحابه الأموال ، ثمّ رغب [إلى] زيادة الله في أن يمدّه .

فجمع زيادة الله العلماء وشاورهم في غزو صقلّيّة . وكان في عهدهم أنّهم إذا دخل عندهم رجل من المسلمين مرتدًّا ، أن يسلموه إلى المسلمين . فأحضر زيادة الله أسد بن الفرات وأبا محرز ، في آخرين وسألهم عن ذلك ، فقال أسد : نسأل رسلَهم إن كانوا ٱحتبسوا أحداً من المسلمين ٱرتدّ عندهم .

فسألوهم فقالوا : نعم ، فعلنا ذلك ، ولا يحلّ لنا في ديننا ردّ مَن أتى إلينا ودخل في ديانتنا .

فقال أسد : قد نقضوا عهدَهم ، وجاز لنا أن ننقض ما عقدنا لهم ، وإنّمَا تتأدّى إلينا الحقائق عنهم برسلهم ، فَبِهم عاهدناهم[1] وبهم نجعلهم ناقضين ، وقد قال الله تعالى : « فَلَا تهِنُوا وَتَدْعُوا إلى السَّلْمِ وأَنْتُمْ الأَعْلَونَ » (محمد ، 35) . فكما لا ندع السلم ونحن الأعلون فكذلك لا نتمَاسك به ونحن الأعلون[2] .

فأخذ زيادة الله بقول أسد ، وأمر بإنشاء المراكب والاستعداد للغزو . وعرض أسد نفسَه على زيادة الله للخروج في الغزاة ، فولّاه على الجيش ، وفيهم أشراف أهل إفريقية من قريش ، والعرب ، والجند ، والبربر ، والأندلسيّين ، وأهل العلم والبصائر ، وأقرّه على القضاء مع قيادة الجيش . فخرج في حفل عظيم ، وعدّة جليلة في شهر ربيع الأوّل سنة ٱثنتي عشرة ومائتين . فقال لمَن حوله : والله ما ولي أبي ولا جدّي ولايةً قطّ ، ولا رأى أحدٌ من أهل بيتي ولا

(1) في الرياض 1 / 271 : فبِهم هادنّاهم .
(2) هٰذا الاحتجاج الغريب ساقط من الرياض .

سلني مثلَ هٰذا الجمع يتبعه ، ولا بلغتُ ما ترون إلّا بطلب العلم فأجهدوا أنفسكم في طلبه ، فإنكم تنالون به الدنيا والآخرة .

وٱجتمع لزيادة الله من المراكب سبعون مركباً ، وجعل فيها سبعمائة فرس[1] ، ثمّ فصل أسد بالعساكر يومَ السبت للنصف من شهر ربيع الآخر ، فكانت طريقه على قلعة البلّوط ، ثمّ على قُرى الريش ، ثمّ سار إلى قلعة الدبّ وقرية الطاووس . وذلك أنّهم أصابوا في القلعة دبًّا أنيساً ، وفي القرية طاووساً . ثمّ سار إلى معركة « بلاطة » [وهو ملك صقلّيّة][2] فظهر له فيها جمع من الروم فنازلهم وواضعهم الحرب فٱنهزم المشركون ، وأصيب لهم خيل وسلاح . ومن ذلك اليوم سمّيت معركة بلاطة . ثمّ دخل إلى حصون الروم ومدنهم وقراهم ينسفها ويغير عليها . وبعث السرايا إلى قصور صقلّية وقراها فأصابوا سبياً كثيراً ، ومن الدوابّ والمواشي ما لا يُحصى كثرةً . وكثرت الغنائم عند المسلمين فصاروا في رغد من العيش ، حتى نزل على سرقوسة ، وحصر أهلها أشدّ الحصار ، ونصب عليهم المجانيق وقاتلهم برًّا وبحرًّا .

محاصرته سرقوسة واستشهاده بها :

وكانت المراكب تأتيهم من القسطنطينية لتنصرهم ، فربّمَا تغلّب المسلمون عليها قبل دخولها .

وبثّ السَّرايا من كلّ جهة ، واختطّ الناس المنازل من سرقوسة إلى قطانية وما حولها ، وتزوّج المسلمون في الروم وسكنوا القرى ، وسارع الناس إلى إمدادهم والغزو إليهم من إفريقية والأندلس وغيرهما ، وأتتهم مراكب من

---

(1) هٰذه أرقام ابن عذاري أيضاً : البيان 1 / 102 .

(2) في المنقول التباس وغموض ، ورواية المالكي أثبت : فبلاطة هو ملك صقلّية زحف الى الفاتحين في مائة وخمسين ألفاً ، وكأنّ المقريزي خلط بين وقعة « بلاطة » وحصار سرقوسه . امّا الريش فقد قرأها محمد الطالبيّ : الإمارة الأغلبيّة ، 459 هامش 312 : الرفش .

الأندلس فيها .كليب الأعرج ورجل يقال له المشّاط فنزلوا وآفتتحوا قلعة تعرف بقلعة حفص . وأحرق أسد مراكب سرقوسة [1] وقتل جماعة من أهلها فآنقطعت الموادّ عن سرقوسة ، واشتدّ عندهم الغلاء وذبحوا خيولهم . وأشير على أسد أن يرجع وقيل له : سلامة مسلم واحدٍ خيرٌ من الروم بأسرهم ، فأبى أن يرجع وقال : ما كنت لأضيّع على المسلمين غزاةً وفيهم خير كثير .

وأمر بالزحف وأخذ اللواء بيده وقرأ سورة يّس حتى فرغ منها ، ثمّ قال : أيها الناس ، لا تهابوهم ، إنّهم عبيدكم ، هربوا مَن أيديكم ، ثمّ هم قد وقعوا لكم – يشير إلى مَن آنهزم من الروم عند فتح إفريقية .

ثمّ إنّه زحف وقاتل قتالاً كثيراً ، واشتدّت الحرب ، وهزم الله المشركين ، وكانوا في مائة ألف وخمسين ألفاً . وقُتل [بلاطة] ملِكُهُم في خلق كثيرٍ منهم . وجُرح أسد ، فلم تزل به جراحته حتى / مات وهو على حصار سرقوسة في شهر [176 ب]
رجب سنة ثلاث عشرة ومائتين . فدُفن بمَدينة بلرم .

724 – شمس الخلافة [– بعد 512] [2]

أسد ، الملقّب شمس الخلافة ، متولّي عسقلان [...]

فلمّا كانت سنة آثنتي عشرة وخمسمائة عزم على الغدر والتغلّب على عسقلان ، وأخرج القاضي وصاحب الترتيب على أنّه يرسلها إلى الباب في خدمة عرضت له . وعيّن من العسكر مَن يخافه وأوهمهُم أنّه يبعثهم إلى بلاد العدوّ . فلمّا برزوا خارج المدينة ، أمرهم بالتوجّه إلى باب الأفضل ، وبعث إلى العسكر الذي خرج من القاهرة على جهة البدل وقد وصل إلى الفَرَما ، وأخافَهم من

(1) هنا أيضاً التباس : همّ أسد بإحراق مراكب المسلمين حتى لا يرجعوا إلى إفريقيّة ، كمَا فعل طارق حين نزل بالعدوة الأندلسيّة .
(2) اتّعاظ الحنفاء 3/46 – 51 .

العدوّ وأنّه في ٱنتظارهم ، فخافوا من المصير إلى عسقلان ، فتمَكّن حينئذ وأعلن بالخلاف .

فلمّا بلغ ذلك الأفضل ٱنزعج وهمّ بالمسير إليه بنفسه ، فإنّ عسقلان كانت حينئذ كالقفل على أرض مصر ، تحجز بين العدوّ وبينَها .

ثمّ إنّه رأى أن الحيلةَ أنجعُ فيه ، فخادعَه وبعث الكتب إليه وهو يطمئنه ، وغالطه في نفسه بأنّه ما برح على الطاعة ، وأنّ الذي فعله في المشارف وصاحب الترتيب والبدل المسيَّر هو الصواب . ولم يغيّر رسمَه في المكاتبة ولا تعرّض لإقطاعاته ولا رسومه ، بل أقرّها على حالها ، وعامل أصحابه وخواصّه بمّا جرت به عادتهم قبلَ عصيانه . فانخدع وكفّ عن تسليم عسقلان إلى العدوّ بعدما عزم على ذلك .

ودسّ الأفضل في الباطن إلى الكنانيّة والرجال المركّزة ، وبذل لهم الأموال في أخذه ، إلى أن قتلوه غيلةً من غير حرب ولا تكلّف حركة . وبعثوا برأسه إلى الأفضل[1] ، فسيّر عوضَه والياً على عسقلان مؤيّد الملك خطلج المعروف بزريق .

725 – ابن التركمَانيّ قاضي القضاة [729 – 802][2]

إسمَاعيل بن إبراهيم بن محمد بن عليّ بن موسى ، قاضي القضاة ، مجد الدين ، أبو الفداء ، ابن الشيخ برهان الدين أبي إسحاق ، البلبيسيّ ، التركمَانيّ شهرة ، الحنفيّ .

(1) وكان قدوم الرأس في 4 محرّم سنة 506 . اتّعاظ 3 / 51 .

(2) الضوء اللامع 2 / 286 (897) ولم يذكر نسبة التركمانيّ ، وقال إنّ المقريزيّ ذكره في عقوده مسهباً ؛ المنهل 2 / 379 (423) ؛ النجوم 13 / 17 ، شذرات 7 / 16 ، ولم يذكروا نَسبه التركمانيّ .

ولد في سنة تسع وعشرين وسبعمائة . وتفقّه بمَذهب أبي حنيفة على مشايخ الحنفيّة بالقاهرة . وسمع الحديث ، وحدّث بسنن أبي داود وجامع أبي عيسى الترمذيّ ، وكتاب السيرة النبويّة لابن هشام ، وكتاب الدعاء للمحامليّ ، وكتاب الترغيب والترهيب لأبي القاسم الأصفهانيّ ، وكتاب الشفاء للقاضي عياض ، وكتاب إصلاح الغلط لابن قتيبة ، وسداسيّات الرازيّ ، وتصدّى للسمّاع عليه مدّة .

وبرع في الفقه والنحو ، وشارك في الحديث ، وكتب في توقيع القضاة مدّة بعد أن جلس بحوانيت الشهود دهراً .

وحكم عن قضاة الحنفيّة بالقاهرة ، وصار من أعيانهم . ثمّ شحن بينه وبين قاضي القضاة شمس الدين محمد الطرابلسيّ ، فلم يستنِبْه ، ولزم داره على أجمل حال عدّة أعوام ، إلى أن تحدّث له الأمير شيخ الصفويّ أمير مجلس في ولاية القضاء . فأستدعاه الملك الظاهر برقوق في يوم الاثنين سابع عشر شهر رمضان سنة أثنتين وتسعين وسبعمائة ، وهو معتكف بالمدرسة الطيبرسيّة جوارَ الجامع الأزهر . فصعِد القلعة وتقلّد قضاء القضاة الحنفيّة عوضاً عن الطرابلسيّ . فلم ينجب فيه ، وصار في غاية الخوف من الطرابلسيّ ، وإذا سئل في الحكم بشيء أو ولاية أحدٍ يقول : أعذرني فإنّ الطرابلسيّ ورائي .

فنفر عنه مَن كانَ يألفُه من خوّاصّ أصحابه ، وذمّه مَن تجدّد تَردّده إليه أيّام قضائه ، وخذله مَن كان له ناصراً ، ووقع فيه أعيان البلد من يبس قلمه وكفّ يده عن التصرّف وردّه لشفاعات الأكابر . وتنبّه له[...][1] الدولة جمال الدين محمود القيصريّ ، وهو يومئذ ناظر الجيش ، وأشاع عند خواصّ الدولة أنّه / يتبرّم من السفر إلى الشام مع السلطان ، ويريدُ الإعفاءَ من ولاية القضاء . [177 أ]

---

(1) في المخطوط : أفعى الدولة ، ولم يرد هٰذا اللقب الغريب في السلوك 3 / 723 ولا في النجوم .

وكان السلطان قد عزم على السفر ، ومحمود يرومُ أن يضافَ إليه منصب القضاء ويعجز عن مقاومة الطرابلسيّ .

فلمّا صُرف بالمجد ورأى أنّه آرتبك في المنصب وفشل، أعمل الحيلة في عزله ليجد السبيل إلى أخذ وظيفة القضاء . فتمّ له ما أراد ، وحاق بالمجد مكره . ورأى السلطان أنّ في عزله الرفقَ به . وكان المجدُ يَوَدّ لو بقي على القضاء . وسافر ماشياً ، وأعان محمود على أن حاق مكرُه بالمجدِ كون المجدِ بدُن وعظُم سِمنُه إلى الغاية حتى إنّه كان إذا أراد أن ينهض قائمًا ، يعتمد على يديه ويرفع عجيزته عالياً ، وكانت كالكثيب ضخامة ، ويقيم ساعة ويداه ورجلاه على الأرض ، وعجيزته مرتفعة ، حتى يستطيع أن ينتصب قائمًا . فلمّا رأى السلطان ذلك منه غيرَ مرّة رحمه وعزله ، مع إجلاله له وتعظيمه إيّاه ، فإنّه لم يكن كَتَبَ في الفتوى عليه لمنطاش بإباحة قتاله وقتله ، وعلم السلطانُ أنّه طُلِب بالكتابة في الفتوى ، فاستتر حتى سافر منطاش . وكان عزله يوم الثلاثاء النصف من شعبان سنة ثلاث وتسعين ، ولم يكمل عاماً . فلزم داره خاملَ الذكر لا يؤبَهُ له ولا يُلتفَت إليه ، وقد علا سنُّه ، وضعُف بدنُه ، وهرِم من الأسفِ على مفارقة القضاء ، ومن مقاساة ألم الفاقة وكثرة العيال ، وفقدِ نور عينيه . وساءت حاله وأثكلَه فقدُ أولاده الذكور . وتوفّي وهو متشخّص في الخُمول ليلة الخميس العاشر من جمادى الأولى سنة آثنتين وثمانمائة .

وكان جميل العشرة فكهَ المحاضرة ، بهيج الزيّ ، إماماً يقتدى به في معرفة الشروط والوثائق ، صدراً من صدور المصر ، علّامة في الفرائض والحساب المفتوح ، وعنه أخذتُ ذلك ، أحد مشايخ الحديث المتصدّرين للإسمَاع يرجع إليه في الإفتاء والعلوم الأدبيّة وتعرّف القراءات والنحو .

وجمع لنفسه مجموعاً في عدّة مجلّدات كثيرة . وله شعر يحويه ديوان لطيف . فمِن شعره [كامل] :

يا غائباً ما راقني بوصاله يوماً ولم أظفر بحسن تعطّف
وإذا ثنى إبعاده وصدوده إن لم يكن مرأى لعيني أنتفي [1]

وقال [طويل] :

تقلّلت من وزني قريضاً ودرهماً وقد نفدت من بيت مالي الذخائر
وها أنا عن أهل القريض بمَعزل : فلست بوزّان وما أنا شاعر

وقال [طويل] :

إذا شئت أن تبقى من المال معدما فكن قائلاً للشعر أو كن معلّمَا
وإن تك نَسّاخاً فذاك محارف وأعظم من هٰذا : تكون منجّمَا

وقال [سريع] :

إن كنت يوماً كاتباً رقعة تبغي لها نجح وصول الطّلبْ
إيّاك أن تعربَ ألفاظها فتكتسي حرفة أهل الأدبْ

وقال [كامل] :

[177 ب] لا تحسبنّ الشعر فضلاً بارعاً ما الشعر إلّا محنة وخَبال /
فالهجوُ قذف والرثاء نياحةٌ والعتب ضغن والمديحُ سؤال

726 – إسماعيل بن محمد بن قلاوون [726 – 746] [2]

(الملك الصالح)

إسمَاعيل بن محمد بن قلاوون ، السلطان الملك الصالح ، عماد الدين ، أبو الفداء ، ابن السلطان الملك الناصر ، ناصر الدين ، ابن السلطان ، الملك

....

(1) هٰذا البيت عسير الفهم .
(2) الوافي 9 / 219 (4123) ؛ الدرر (960) ؛ النجوم 10 / 95 ؛ المنهل 2 / 425 (452) .

المنصور الألفيّ ، الصالحيّ ، النجميّ .

أمّه [. . .] .

ولد في سنة ستّ وعشرين [وسبعمائة] ، وأقيم في السلطنة بعد خلع أخيه الناصر أحمد يوم الأربعاء ثاني عشرين المحرّم سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة باتّفاق الأمراء عليه ، وقد بلغهم عنه أنّه لمّا أخرجه قَوْصون وإخوته إلى قوص ، كان يديم الصومَ يومَي الاثنين والخميس ويشتغل أوقاته بالصلاة وقراءة القرآن ، مع العفّة والصيانة عمّا يرمى به الشبابُ من اللهو واللعب . وحلفوا له ، وأحلفوه أن لا يؤذيَ أحداً منهم ، ولا يقبض عليه بغير ذنبٍ يوجبُ ذلك شرعاً . ودُقّت البشائر السلطانيّة ، وزيّنت القاهرة ومصر على ما جرت به العادة ، وأفرج عن المسجونين ، وكتب إلى ولاة الوجه القبليّ والبحريّ بأن لا يترك في السجون إلّا من وجب سَجنه شرعاً . وأفرج عن الأمراء المسجونين بالإسكندرية ، وهم ستّة وعشرون أميراً .

واستقرّ الأمير أرغون العلائيّ زوج أمّ السلطان ورأس نوبة مدبّر الدولة ، ورأس المشور ، وكافل السلطان .

واستقرّ الأمير أقسُنقُر السلاري نائب السلطنة . ثمّ قبض عليه وأقيم الأمير سيف الدين الحاج ألْ ملك بدلَه في النيابة . وتزوّج السلطان ابنة أحمد بن بكتمُر الساقي على عشرة آلاف دينار ، وعمل لها مهمًّا عظيمًا ، وخلع على الأمراء وغيرهم . وعمل للعروس بشخاناه[1] ودائر بيت كان فيه مبلغ ثمَانين ألف دينار .

وتنغّص وتردّد عليه المرضُ بالاسترخاء وغيره ، فخرج عليه أخوه[2] رمضان في شهر رجب سنة أربع وأربعين ، وظفر به وقتله .

(1) البشخانة : ستائر تعلّق فوق الفراش وقايةً من البعوض (دوزي) .
(2) في المخطوط : فتنغّص .. وخرج . وعبارة النجوم 10 / 82 أسلم .

وبعث إلى أخيه الناصر أحمد بالكرك العساكر تجريدةً بعدَ أخرى حتى ظفر به ، وأحضرت إليه رأسه فتمَكّن .

وعمّر [قاعة] الدهيشة [1] بقلعة الجبل وأنفق عليها مالاً جزيلاً يقال إنّه خمسمائة ألف درهم ، سوى ما حُمل إليه من التقادم الشاميّة . وعمل فيها من الآلات الذهب والفضّة ، ومن الفروش ما يجلّ وصفه . فلم يتهنّـ[ـأ] بالنعمة ومرض أيّاماً ، ومات ليلة الخميس رابع عشر ربيع الآخر سنة ستّ وأربعين وسبعمائة ، وقد أوصى بالسطلنة لأخيه شقيقه شعبان بن محمد .

وكان خير إخوته ، وأحسنهم شكلاً ، له وجهٌ حلوٌ أبيضُ بصفرة ، وعلى خدّه خال .

ابتدأ دولته بدين وعفّة وعدل ، وقام بتدبيرها زوج أمّه ، الأمير سيف الدين أرغون العلائيّ .

وكان وادعاً ساكناً قليل الشرّ ، إلّا أنّ النساء والخدّام كانوا مستولين عليه ، لشدّة ميله إلى النساء ، لا سيّمَا السودان منهنّ ، فلها بهنّ عن تدبير الملك ، وَمَكّنَهُنَّ من جميع أغراضهنّ ، حتى كان إذا ركب إلى نحو الأهرام ، إلى ناحية سرياقوس ، ركبت جواريه مع أمّه في نحو المائتَي امرأة ، وسيّرن على الأكاديشِ [2] بألوان الحرير ، وعلى رؤوسهنّ الطراطير البرغالي [3]، المرصّعة بالجوهر . وكنّ يركبن الخيول العربيّات ويتسابقن ويلعبن بالكرة ويتنوّعن في اللهو .

وبلغت الخدّام أيضاً في أيّامه مبلغاً عظيمًا ، وآقتَنَوا الخيول المسوّمة ، وأخذوا الأراضيَ الكثيرة ، وجعلوها رزقاً أحباسيّة ، وأثرَوا ثراءً زائداً ،

---

(1) الدهيشة ذكرها في الخطط 3 / 344 من جملة دور القلعة . وذكرها ابن تغري بردي في النجوم 10 / 89 .
(2) الإكديش : الفرَس الفارة (دوزي) .
(3) البرغالي ولعلّها : البلغاري : هو ما يسمّى جلد روسيا (دوزي) .

وتحكّمُوا في الدولة ، حتى كان الأمير آل ملك النائب إذا رُفعت إليه قصّة بطلب خبز أو رزقة يقول لدافعها : النائب ما له حكم . اذهب إلى باب الستارة واسأل عن الطواشيّ فلان أو عن فلان / يقضوا شغلك . [178 أ]

وأنفق أيضاً جملةً في العمارة مع توقّف حال الدولة . ولمّا فرغت الدهيشة التي عمّرها بقلعة الجبل ، عمِل بها مهمًّا لجواريه بالغ فيه على قدر الهمّة في ذلك الوقت .

[و]قدم عليه رأس أحمد أخيه من الكرك . فعندما رآه أخذته الرعدةُ وتغيّر لونه وتكدّرت حياته واعتراه الفزعُ في نومه ، وتعلّل . وبالجملة كان أشبه بطباع النساء منه بطباع الملوك ، لرقّة قلبه ، وكثرة حنوّه ، وكرمه ، واستمالته مع مَن يستميله .

727 – الصاحب الأمجد ابن القيسرانيّ [671 – 736][1]

إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن خالد بن محمد بن نصر ، الرئيس عماد الدين ، أبو الفداء ، ابن القاضي شرف الدين ، ابن الصاحب فتح الدين ، ابن الصاحب عزّ الدين ، القيسرانيّ ، المخزوميّ .

ولد سنة إحدى وسبعين وستّمائة .

سمع من العزّ الحرّاني ، والأبرقوهيّ ، والحافظ الدمياطيّ ، والتقيّ ابن دقيق العيد . [وحدّث بدمشق] وبرع في كُتّاب الإنشاء ، وباشر توقيع الدست . ثمّ وليَ كتابة السرّ بحلب عوضاً عَن [...] فباشرها [بأبّهة] وتجمّل

(1) الوافي 9/217 (4122) ؛ الدرر (955) ؛ المنهل 2/423 (450) ؛ النجوم 9/311 ؛ الشذرات 5/113 . وتكرّرت الترجمة في النصّ الموالي مع زيادات فجعلناها بين مربّعين .

كبير [فلم يحتمله الأمير ألطنبغا النائب وعمل عليه هو وعلاء الدين عليّ ابن الأثير حتى عزل بعد خمسة أعوام . ونُقل هو وولدُه شهاب الدين يحيى إلى دمشق فباشر هو توقيع الدست بها ، وكتب ولده في الإنشاء] . وصار الأمير تنكز يعظّمه ويقول في المجلس : ما هنا مصريّ إلّا أنا وأنت !

وتوفي في ذي القعدة سنة ستّ وثلاثين وسبعمائة [وله خمس وستون سنة] .

وكان جميل المحاضرة محبًّا لأهل الله معتنياً بهم ، ويروي من كراماتهم شيئاً كثيراً إلى الغاية . وكان خيّراً ديّناً مقصداً ، فيه تعصّب لمَن يَترامى عليه ويقصده في حاجة . وله سمت .

ووقع بينه مرّة وبين امرأته ابنة الصاحب تاج الدين محمّد بن حنّا فقالت له دايتُها : يا قاضي ، ما تعرف مَن قدّامك ! ذي إلّا بنت المقوقس !

فقال لها : وأنا الآخر ابن خالد بن الوليد ! [1]

728 - مجد الدين ابن كسيرات [- 682] [2]

إسمَاعيل بن إبراهيم بن أبي القاسم عبيد الله ، ابن أبي طالب عليّ بن عبيد الله ابن الوزير ، أبو الفداء ، مجد الدين ، ابن كسيرات ، الموصليّ ، الدمشقيّ .

من بيت الوزارة . كان أبوه وزير الملك المنصور عماد الدين زنكي ابن العادل أرسلان شاه ، ابن عزّ الدين مسعود ، ابن مودود ، ابن زنكي بن أقسنقر .

....

(1) لأنّه مخزوميّ الأصل .
(2) الوافي 9/ 74 (3991) ؛ السلوك 1/ 719 .

وباشر هو نظر الخزانة للملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل . ثمّ نقله إلى جزيرة ابن عمر لمّا فتحها .

ثمّ قدم إلى دمشق / صحبة الملك المجاهد إسحاق ، وسكنها . وولي نظر برّ [178 ب] دمشق ونظر نابلس ، ونظم الزكاة بدمشق . ثمّ نقل إلى صحابة الديوان بها .

وتردّد إلى القاهرة مراراً . فلمّا تسلطن سنقر الأشقر بدمشق ولّاه الوزارة إلى أن آنهزم عن دمشق . فقبض عليه ، وآعتقل على مال يحمله [1] ثمّ أطلق ، ولزم داره إلى أن مات في سابع عشرين شهر رمضان سنة آثنتين وثمَانين وستمائة .

وكان جميل المنظر تامّ القامة ، مهاباً ، وقوراً ، واسع الصدر ، غزير المروءة ، كثير التعصّب لمَن يقصده ، متودّداً إلى أصحابه ، مقيمًا على عهده ، لا يزال يقضي حوائج الناس ويتفقّد معارفه وأهل مودّته .

وأنشأ داراً بجبل قاسيون من صالحيّة دمشق . فلمّا أضرّت به العطلة بعد آنهزام سنقر الأشقر ، قيل له : لو ذكرت أحد أصحابك من الأمراء حتى يذكّر السلطانَ أو نائب دمشق بك ، فإن خدمتك وتفضّلك على الناس كثير؟

فأنشد [سريع] :

لذّ خمولي وحلا مُرُّه وصانني عن كلّ مخلوق
نفسيَ معشوقي ولي غيرةٌ تَمنعُني من بذل معشوقي

729 - ابن فلّوس [593 - 637] [2]

إسماعيل بن إبراهيم بن غازي بن عليّ بن محمّد ، الإمام ، العلّامة ، شمس الدين ، أبو الطاهر [و]أبو محمد ، النميريّ ، الماردينيّ ، الحنفيّ ،

---

(1) نُكب المترجم في صفر 679 ؛ السلوك 1 / 678 .
(2) الوافي 9 / 66 (3985) ؛ المنهل 2 / 377 (422) .

المعروف بابن فلّوس .

ولد بمَاردين سنة ثلاث - وقيل : أربع - وتسعين وخمسمائة . وسمع بدمشق على أصحاب السلفيّ . وقدم مصر ، ودرّس بالمدرسة الفخريّة من القاهرة . ودرّس بمدرسة عزّ الدين أيبك المعظّمي بدمشق ، إلى أن مات في حادي عشر صفر سنة سبع وثلاثين وستمائة بها .

وكان عالماً بالفقه والخلاف والأصولين والمنطق والطبّ والحساب والعربيّة والرفق[1] والموسيقى وغير ذلك ، وصنّف في هٰذه العلوم كلّها .

وبعث إليه المعظّم عيسى ليفتي بإباحة النبيذ فقال : ما أبيح هٰذا الباب ، وإباحتُه إنّمَا هي رواية عن أبي حنيفة ، وقد صحّ عنه أنّه ما شربَه قطّ . والحديث عن عمر في إباحة شربه لا يثبت .

فغضب منه وأخرجه من مدرسة طرخان ، وولّاها غيره ، فلزم بيته .

وله شعر ، منه [خفيف] :

بأبيَ الأهيفُ الذي لحظُ عينَيـ ـه [فـ]ـذا راشق وهٰذا رشيق
راح في حسنه غريباً وإن كا ن شقيقاً لوجنتيه الشقيقُ

730 - التاج إسماعيل المخزومي [611 - 694] [2]

إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الرحمان بن عليّ [بن] قريش المخزومي ، أبو الطاهر .

مولده في سنة إحدى عشرة وستمائة .

(1) هكذا في المخطوط . وعند دوزي : رفّقَ : ساير المغنّي في غنائه .
(2) الوافي 9 / 64 (3981) ؛ المنهل 2 / 375 (419) ؛ معجم الدمياطي نشر فاجدا ، 101 ؛ الشذرات 5 / 426 .

سمع الحديث وكتب بخطّه كثيراً . وسمع من ٱبن المُقيَّر ، والهمذانيّ ، وابن رواج .

وحدّث عنه الدمياطيّ في معجمه ، وصار من جلّة الشيوخ وفضلائهم . وكان فيه عبادة وزهد .

ومات في سابع عشرين شهر رجب سنة أربع وتسعين وستمائة وهو والد نور الدين علي بن إسمَاعيل بن قريش .

731 – علم الدين القنائيّ [– 652] [1]

إسماعيل بن إبراهيم بن جعفر ، الشيخ علم الدين ، المنفلوطيّ ، ثمّ القنائيّ ، المالكي .

أحد الفقهاء الصلحاء المعروفين بالمكاشفات والكرامات ، من كبار أصحاب الشيخ أبي الحسن عليّ بن حميد بن الصباغ . سلك على يديه فلم يتعب في تربيته ، وقال عنه : نفسُه زكيّة .

وكانت له دنيا متّسعة ، فخرج عنها ، ودخل الخلوة عند الشيخ أبي الحسن ، ففتح عليه . وكان يغيب أوقاتاً كثيرة ، وربّما ٱستمرّت غيبتُه اليومين والثلاثة ، وتَنْحَلُّ عمَامته وتنسحب خلفه ، وهو ينشد [كامل] :

لا تُجرِ ذكري في الهوى معْ ذكركم ... ليس الصحيح إذا مشى كالمُقْعَدِ

وقال يوماً : والله الذي لا إلّه إلّا هو ، أنا القطب غوث الوجود .

وصنّف كتاباً ذكر فيه من كلام شيخه أبي الحسن ، ومن كلام شيخه عبد [179 أ]

1) الوافي 9 / 82 (3995) ؛ المنهل 2 / 375 (420) ؛ الطالع السعيد 155 (84) .

الرحيم[1] ومن أحوالهم[ـا] نبذةً . وذكر غير ذلك من أحاديث واستدلالات دلّت على قوّة فهم وعلم . وفيه مسائل فقهيّة ومقالات صوفيّة[2] ، فأذن له الشيخ أبو الحسن في قراءته ، وسلك بعد الشيخ جماعةٌ في رباطه .

وما زال به حتى مات بقنا لأيام من صفر سنة آثنتين وخمسين وستمائة .

وكان خـ[ـا]طب الشيخ أبا الحسن في مرضه بمُخاطبات تردُ عليه فقبل الشيخ ذلك منه .

732 – ابن اللمطيّ [545 – 638][3]

أسعد بن أحمد بن الحسن ، الأمير المكرّم ، أبو الطاهر ، ابن أبي العبّاس المالكيّ ، المعروف بآبن اللمطيّ .

مولده سنة خمس وأربعين وخمسمائة . وسمع من أبي العبّاس أحمد بن الحطيّة ، وحدّث . وولي عدّة ولايات ، منها قوص في ذي القعدة سنة ستّ وستمائة .

وتوفّي بمنية بني خصيب في ليلة السابع والعشرين من شهر ربيع الأوّل سنة ثمان وثلاثين وستمائة .

واللمطيّ نسبة إلى لمطة – بفتح اللام ، وسكون الميم ، وفتح الطاء المهملة – قبيلة من البربر .

وسيأتي ذكر ولده ، الأمير أبي البقاء صالح[4] .

---

(1) عبد الرحيم بن أحمد القنائي (ت 592) ؛ انظر الطالع 217 (230) .

(2) قال صاحب المنهل هنا : انتهى كلام الأدفويّ .

(3) السلوك 1 / 171 ، ولم يذكر آسمَه ، ولم نتبيّن في المصوّرة أأسعد هو أم إسماعيل ؟ ولم تذكره بقيّة المصادر لا بهٰذا ولا بذاك .

(4) حرف الصاد مفقود .

733 - القاضي عماد الدين ابن الأثير [652 - 699]

إسمَاعيل[1] بن أحمد بن سعيد بن محمد بن سعيد ، القاضي عماد الدين ، أبو الفداء ، ابن تاج الدين أبي الطاهر ، ابن شرف الدين أبي البركات ، ابن شمس الدين أبي جعفر ، المعروف بابن الأثير ، التنوخيّ ، الحلبيّ .

ولد ليلة النصف من شعبان سنة اثنتين وخمسين وستمائة . وكتب في الإنشاء زماناً . وولي كتابة السرّ بديار مصر بعد وفاة أبيه في يوم العشرين من شوال سنة إحدى وتسعين وستمائة . وقدم القاهرة أوّل ذي القعدة وباشر .

وتوجّه مع السلطان إلى بلاد الصعيد ، وعاد في صفر سنة اثنتين وسبعين . ثمّ توجّه معه في جمادى إلى الكرك وعهد[2] من قِبَله فيها إلى جهة دمشق . [ثمّ] صرفَه عن كتابة السرّ في أوّل جمادى الآخرة منها[3] سنة اثنتين وتسعين . وولّى بعدَه شرف الدين عبد الوهاب ابن فضل الله [العمريّ] .

وسبب عزله أن السلطان الملك الأشرف خليل بن قلاوون أمره أن يكتب إلى نائب الكرك بقتل بعض الأمراء ، فقال له : قد عاهدتُ الله أن لا أكتب في قتل مسلم .

فغضب منه وضربه بالدواة ورفسه في صدره فكان يقول[4] : رضيتُ بغضب السلطان ، ولا بغضب الله .

---

(1) في المخطوط : أسعد بن أحمد . وفي السلوك 1 / 786 ، 905 : اسماعيل . وكذلك في الوافي 9 / 90 (4007) ؛ المنهل 2 / 391 (428) ؛ النجوم 8 / 190 .

(2) قراءة عسيرة .

(3) في السلوك 1 / 786 : في آخر ذي الحجّة 692 .

(4) في المخطوط : فقال وهو يقول ...

ولمّا عزل عن كتابة السرّ ، باشر التوقيع عند النوّاب . وعلّق شرح كتاب عمدة الأحكام عن الشيخ تقيّ الدين محمد ٱبن دقيق العيد . وشرح قصيدة ابن عبدون الرائيّة التي رثى بها بني الأفطس . وله ديوان خطب ، وكتابة جيّدة ، ونظم ونثر . وصنّف كتاباً في صناعة الإنشاء في أربعة أجزاء .

وقتل يوم الأربعاء تاسع عشرين شهر ربيع الأوّل سنة تسع وتسعين وستمائة في واقعة التتر مع المسلمين على حمص .

وسيأتي ذكر ابن أخيه علاء الدين علي بن أحمد ابن الأثير . كما مرّ ذكر أبيه أحمد بن سعيد ابن الأثير[1] .

734 - الشّقيّ الأحول مستوفي الحاشية [- 716][2]

أسعد بن أمين الملك ، تقيّ الدين ، المعروف بالشقيّ الأحول ، كاتب برلغي ويعرف أيضاً بمُستوفي الحاشية .

كان من جملة كتّاب مصر النصارى ، فدخل في دين الإسلام وعرف بأستاذه برلغي الأشرفيّ . وباشر في الاستيفاء الحاشية السلطانيّة ، فعرف بذلك مدّة .

ثمّ استقرّ في نظر الدولة بعد موت التاج الطويل عبد الرحمان[3] في ذي القعدة سنة إحدى عشرة وسبعمائة . وفي مباشرته أبطل السلطان الوزارة ، بعد صرف أمين الملك عبد الله ٱبن الغنّام . فكثر تَمكّن الأسعد . واتّفق أنّه منع [أرباب] الرواتب من مراتبهم من استقبال سنة ست عشرة [وسبعمائة] ، وأحيلوا على

(1) هاتان الترجمتان مفقودتان .
(2) السلوك 2 / 169 ؛ الدرر 1 / 352 .
(3) عبد الرحمان الطويل القبطي الأسلميّ (السلوك 2 / 114) .

جهات غير طائلة لا تَفي ممّا لَهم إلا بشيء يَسِير/ ، وجُعلت سنتُهم ثمانية [179 ب]
أشهر ، كانت نَستْراوة [1] أحسن جهاتهم التي أحيلوا بها ، ثمّ صولحوا على الثمَانية أشهر بثلثِها ، شهرين وثلثي شهر . ثمّ أحيلوا على المطابخ فتحصّل من الدينار سدُسه ، وكثر تبذُّل الحرم وذلّة الأيتام عند عرضهم وتردّدهم إلى أبواب الأقباط . وتولّى ذلك الصاحب سعد الدين محمد بن عطايا ، والسعيد مستوفي الرواتب ، فكثر الدعاء وجهر الناس بالسوء ، وسمَّوهما : سعد الذابح وسعد بُلَع [2] .

ومات وهو ناظر الدولة في ليلة الاثنين ثامن شهر رجب سنة ستّ عشرة وسبعمائة ، ودفن بالقرافة .

وكان يحسّن للسلطان روك أراضي مصر ، وذلك أنه لمّا بلغه عن السلطان أنه تقلّق من البرجيّة ، وهم يومئذ جمهرة عسكر مصر ، وأنّهم أخذوا معظم البلاد ، حتى لم يبقَ للسلطان خاصّ يقوم بكلفه ، اجتمع به سرًّا وحدّثه في الروك ، وأَرتجاع [3] بلاد تقوم بالكلف وزيادة ، فأعجبه ذلك . وتقدّم للفخر محمد ابن فضل الله ناظر الجيش بعمل أوراق على ما رتّبه التقيّ هذا . فلمّا كملت حضر لقراءتها على السلطان . فأنكر الفخر على التقيّ ترتيبَها وقال له : أنت قصدُك ترمي بين السلطان وبين مماليكه .

فمَال السلطان مع التقيّ على الفخر . فثبت الفخر ، وحلف بحياة رأس السلطان ، لا أوافق على ما في هذه الأوراق ! – وخوّفه عاقبتها . وما زال به حتى أمر بها فغيّرت وزيد في عِبْرةِ إقطاعات الأمراء والأجناد . وعرف الأمراء ما

---

(1) نستراوة هي مدينة البرلّس وبحيرتها (السلوك 1 / 339 هامش 2) .
(2) انظر تعليق ناشر السلوك على هذين الكوكبين (2 / 166 هامش 4) .
(3) في المخطوط : والانحاع . وأصلحنا تخميناً ، وآعتماداً على العرض المطوّل لتفاصيل الروك الناصريّ في الخطط 1 / 141 وفي النجوم الزاهرة 9 / 42 .

عمله التقيّ فسبّوه ولعنوه ، وأخذوا في تقبيح صورته عند السلطان إلى أن غضب عليه وأحضره وسبّه ولعنه وهدّده بأن يسلخ جلده ويرميه إلى الكلاب . فاْشتدّ خوفه وتعلّل من حينئذ فلم يفلح بعدها .

وكان هو وأبوه من الظَلَمة اللئام ، وكان الناس لا يقولون عنه إلّا : « الشقيّ الأحول » .

735 – القاضي نفيس الدين ابن قادوس [543 – 639] [1]

أسعد بن عبد الغنيّ بن أسعد بن عبد الغنيّ بن أسعد بن الحسن ، أبو الكرم ، ابن أبي الطاهر ، نفيس الدين ، ابن قادوس ، العدويّ .

وله بمِصر في رجب سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة .

سمع من الشريف الخطيب أبي الفتوح ناصر بن الحسن الرنديّ ، والفقيه أبي العباس أحمد بن عبد الله بن الحطيّة ، وهو آخر من حدّث عنهُما . وسمع أيضاً من أبي الحسن علي بن عبد الرحيم السلميّ ، المعروف بابن القصّار ، والعلّامة ابن برّيّ ، وأبي عبد الله محمد بن عليّ الرحبيّ .

وسمع بالإسكندرية من أبي المفضّل عبد المجيد بن الحسين بن ذليل والحاكم أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن محمد الحضرميّ ، والحافظ السلفيّ ، ومن آخرين ، وحدّث .

توفّي سحَرَ التاسع والعشرين من ذي الحجّة سنة تسع وثلاثين وستمائة بثغر الإسكندرية ، ودفن بالجزيرة .

(1) شذرات ، 5 / 203 ؛ عبر الذهبيّ 5 / 159 .

736 – أسعد بن عطيّة الصحابيّ[1]

أسعد بن عطيّة بن عُبيد بن بجالة بن عون بن ورم بن ذبيان بن الهميم ، القضاعيّ .

كان ممّن بايع تحت الشجرة . وشهد فتح مصر ، ولا تُعرف له رواية .

ذكره ابن يونس .

737 – وزير الوزراء [– 466][2]

أسعد بن عقيل ، المشرف ، وزير الوزراء ، العادل ، خليل أمير المؤمنين ، أبو المكارم .

كان من صنائع الوزير أبي الفرَج عبد الله بن محمّد البابليّ وخواصّه . وكان يُنعتُ قبل الوزارة برئيس الرؤساء ، ذخيرة الملك .

فلمّا صُرف جلال الملك أبو أحمد ابن عبد الكريم بن عبد الحاكم عن الوزارة والقضاء ، وليَ عِوَضَه وزارة المستنصر بالله أبي تَميم معدّ في ثالث

---

(1) أسد الغابة رقم 102 .

(2) اتّعاظ الحنفاء 2/270 وهو فيه : المشرف ابن أسعد بن مقبل – وهو المشرف بن أسعد أيضاً عند ابن ميسّر (نشر فؤاد أيمن السيد) ، 28 ، 41 – مع التنبيه إلى أنّ بعض النسخ تسميه ابن أسعد بن عقيل كما في ترجمتنا هٰذه ، وابن صاع كما عند ابن ميسّر (نشر ماسّي) ، 23 . ويسمّيه ابن منجب (الإشارة ، 51) المشرف ابن أسعد ايضاً .

فنتساءل عن سبب ترتيبه في حرف الهمزة ، مع انّ أسعد آسم أبيه ، وكان أولى به حرف الميم (مشرف) ؟

على أنّ المقريزي في الاتّعاظ 2/313 عند ذكر مقتله ، سمّاه أبا المكارم أسعد .

عشرين المحرّم سنة ستّ وخمسين وأربعمائة .

[180 أ] وصُرف عنها في تاسع عشر ربيع الآخر منها بأبي غالب عبد الظاهر / بن الفضل . ثمّ أعيد بعد أبي محمّد الحسن بن مجلّي ابن أبي كدينة في نصف رجب سنة سبع وخمسين وأربعمائة ، وزيد في ألقابه « رئيس الرؤساء » .

وقبض عليه في العشر الأخير من شوال ، ثمّ خلّيَ عنه .

فلمّا قدم أمير الجيوش بدر الجماليّ قتله في سنة ستّ وستّين وأربعمائة .

738 – السناء الجوّانيّ [– نحو 550][1]

أسعد بن عليّ بن معمّر بن عمر بن علي بن أبي هاشم الحسين بن أحمد ابن علي بن إبراهيم بن محمد بن الحسن بن محمد ، الجوّانيّ ، ابن عبيد الله بن الحسين بن عليّ بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، القاضي ، الشريف أبو البركات ، سناء الملك ، الحسيني ، الجوّانيّ ، النحويّ .

قال تاج الرمليّ النسّابة ، على ما نقلتُه من خطّ الحافظ أبي الحجّاج يوسف الأسديّ : كان أسعد هٰذا النسّابة الذي بمِصر ، وأبوه نُقلا من واد [.....] على طرف الغرب إلى بجاية . فأقاما يعملان الجلاجل والخلاخل مدّةً . ثمّ صارا إلى مصر ، ونقيبها أبو إبراهيم الموسوي ، فاتّخذا بها دكّاناً بزقاق القناديل يعملان فيها . وأبوه يحيى الوركلاني صار يحدّث على كرسيّ الجسر . فحسّن له رأيه أنه آدّعى الشرف ، وآدّعى نسباً في بني عبيد أصحاب مصر ،

---

(1) ترجم له القفطيّ : إنباه 1 / 230 وجعله من معاصري طلائع ابن رزّيك المتوفّى سنة 556 . وترجم العماد : الخريدة (مصر) 1 / 117 و 119 لأبنه محمد بن أسعد ثمّ له .

وترجمة الابن النسّابة مطوّلة في لسان الميزان 5 / 74 (246) مقتضبة في الوافي 2 / 202 (579) .

وبلغ ذلك الناظر ، وهو ٱبن أبي عقيل ، أحد الأقارب ، فأحضره وقال له : ما الذي بلغني عنك !

فأقرّ بالدعوة . وعزّره ونفاه ، فصار إلى الإسكندرية مدّة . ورجع إلى مصر خفية . وتوجّه إلى الحجاز ، وسار مع ركب العراق إلى بغداد ، ودخل الموصل وأقام بها ، وٱشتغل بالأدب وصناعة الإبر . والأبّار يعرف بمِصر . ثمّ رجعا إلى مصر وسكنا بزقاق القناديل . فصار يعمل الإبر ويَمدح ويهجو ويكثر من مجالسة أهل النحو . فأجرِي له جارٍ عليه وصار من جملة السعداء [1] وحسنت حاله . وتزوّج بنت الصقلّي ، أختَ عبد الصمَد الورّاق . فأولد أختَ عبد الصمد محمداً هٰذا النسّابة اليوم بمِصر وٱشتغل بالناس وغيّر ٱسم جدّه بعليّ – وكان يحيى – وزاد في ٱسم أبيه همزة ، وبلغ من حاله إلى أن وليَ النقابةَ بمِصر . وكان أسعد يخلط المغربيّة باللغة العراقية ، فقال له رجل من أفاضل المغاربة يقال له أبو عبد الله السوسي الفقيه محمّد [كامل] :

والمغربيُّ إذا تمَعرق قيل لهْ ... يا نحسُ يا ٱبن النحس لا تَتَمَعْرَقِ !

وقال [طويل] :

ومن يَهْوَ إدراك المعالي فإنّه ... يعُدُّ المنايا من ملابسه طمرا
قريع الرزايا والقنا يقرع القنا ... خطير العطايا يستقلّ الجدا خَطْرا
[ويحفظ بالخطّيّ في النقع موطناً ... يحوز العلا ، والموتُ يلحظُه شَزَرا] [2]

(1) هكذا في المخطوط ، ولعلّها : من جملة الشعراء .
(2) هٰذا البيت الثالث من الإنباه . وهو أيضاً في الخريدة 1 / 120 .

739 – ابن لهيعة الأملوليّ

أسعد بن لهيعة الحميريّ ثمّ الأملولي .

شهد فتح مصر وهو أعمى حِمّير الذي كانوا يحكّمونه . وله أخبار . قاله ابن يونس .

740 – السديد ابن علّان الدمشقيّ [561 – 636] [1]

أسعد بن السلم[2] بن عليّ بن خلف بن مسلمة بن أحمد بن محمّد بن علّان ، سديد الدين ، الدمشقيّ .

ولد سنة إحدى وستّين وخمسمائة .

وسمع من أبيه ، وأبي القاسم بن عساكر ، وأبي المعالي بن خلف ، وابن جماعة ، وحدّث .

ومات بدمشق في ثامن شهر رجب سنة ستّ وثلاثين وستمائة .

741 – أبو المعالي ابن القلانسيّ [598 – 672] [3]

أسعد بن مظفّر بن أسعد بن حمزة بن أسعد بن عليّ ، الصاحب الرئيس ، مؤيّد الدين ، أبو المعالي ، المعروف بابن القلانسيّ ، التّميميّ ،

(1) النجوم 6/314 وهو فيها : أسعد بن المسلم بن مكّي بن علاّن القيسيّ توفّي عن ستّ وتسعين سنة . ولعلّ التسعين التبست بالسبعين على ناشري النجوم .

(2) في المخطوط : ابن السلمة .

(3) السلوك 1 / 613 ؛ الوافي 9/ 39 (3943) ؛ ذيل مرآة الزمان 36 .

الدمشقيّ ، والد الصاحب عزّ الدين حمزة .

ولد سنة ثمَان وتسعين وخمسمائة .

وحدّث بدمشق ومصر عن حنبل المكبّر بسمَاعه منه حضوراً ، وعن ابن طبرزد ، والكنديّ .

روى عنه جماعة . وكان صدراً ، جليلاً ، معظّمًا ، وافرَ الحرمة ، كثير الأملاك ، تامّ الخبرة ، ذا عقل ورأي وحزم .

باشر أملاك السلطان الملك الظاهر بيبرس بعد موت ابن سويد [1] ، وهو متكلّف ذلك بغير معلوم .

توفّي سنة اثنتين / وسبعين وستمائة . [180 ب]

ومن شعره [بسيط] :

يا ربّ جد لي إذا ما ضمّني جدثي ... برحمة منك تنجيني من النار
أحسِنْ جواري إذا أصبحت جارَك في ... لحدي فإنّك قد أوصيتَ بالجار [2]

742 - ابن ممّاتي [- 606] [3]

أسعد بن مهذّب بن مينا بن أبي المليح زكريا بن قدامة بن أبي مليح مينا ، القاضي الأسعد ، شرف الدين ، أبو المكارم ، ابن الخطير أبي سعيد ، المعروف بابن ممّاتي .

---

(1) ابن سويد : وجيه الدين محمد بن سويد التكريتيّ (ت 670) .

(2) البيتان نقلهُما الصفدي عن اليونيني . وعند اليونيني وردَا بعد ترجمة الجدّ أسعد بن حمزة ، وقد أردف بها ترجمة الحفيد ، فلعلّها من نظم الجدّ .

(3) النجوم لأبن سعيد ، 269 ؛ الوافي 9/ 19 (3936) ؛ الوفيات 1/ 210 (91) ؛ إنباه الرواة 1/ 231 (143) ؛ الخريدة (مصر) 1/ 100 ؛ معجم الأدباء 6/ 100 . دائرة المعارف الإسلاميّة 3 / 886 .

ولي ديوان الجيش بعد أبيه الخطير. فلمّا استبدّ السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب بسلطنة مصر، استقرّ في نظر الدواوين من سنة ستّ وثمَانين وخمسمائة. واختصّ بالقاضي الفاضل وحظي عنده. وكان يسمّيه «بلبل المجلس» لما يرى من حسن خطابه.

وله عدّة مصنّفات، منها كتاب «تلقين القين»، فيه كلام على قوله ﷺ: بني الإسلام على خمس.

وكتاب حجّة الحقّ على الخلق، في التحذير من سوء عاقبة الظلم، وهو كبير. وكان السلطان صلاح الدين يكثر النظر فيه.

وكتاب وجوه الخطب وصدور الكتب. وكتاب أخاير الذخائر. وكتاب ترجمان الجمان. وكتاب درّة التاج. وكتاب باعث الجلَد عند حادث الولَد. وكتاب أعلام النصر. وكتاب أعلام الوزر. وكتاب طور الأعلام. وكتاب تحسين الأفعال[1]. وكتاب أدعية الصدور. وكتاب الطيّب من شعر أبي الطيب. [وكتاب] النتف الأدبية والمآخذ الشعريّة. وكتاب دقائق الاحتيال في طرائق الاغتيال، وكتاب ميسور النقد، وكتاب سلاسل الأدب[2]. وكتاب ذمّ البخل. وكتاب الحضّ على الرضى بالحظ. وكتاب سرّ الشعر. وكتاب قرص العتاب. وكتاب لطائف الأدب وطرائف الكتب. وكتاب زواهر السدف[3] وجواهر الصدف. وكتاب لمع الأخاير وملح الذخائر. وكتاب مجاراة السديد. وكتاب ملاذ الأفكار وملاذّ الاعتبار. وكتاب إيثار الطالب بإيثار المطالب. وكتاب شعر العصرَين من المصرَين. وكتاب شعر أشعر اللمع. وقال عنه القاضي الفاضل: وقفت من الكتب على ما لا تحصى عدّته، فما رأيت والله كتاباً يكون قبالة ثان منه، وإنه من أهمّ ما طالعه الملوك.

---

(1) قال القفطي: هو كتاب ابن طريف الأندلسيّ «فاختاره وأجاده».
(2) في الوافي 9/20: سلاسل الذهب. وقيل إنّ هٰذا الاسم اختاره له القاضي الفاضل.
(3) سدَف الشجر: ما يلوح منه أسود من بعيد (دوزي).

وله أيضاً كتاب « قوانين الدواوين » صنعه للملك العزيز عثمان بن صلاح الدين ، ذكر فيه ما يتعلّق بدواوين مصر ، ورسومها ، وأحوالها وما يجري فيها . وهو أربعة أجزاء ضخمة ، والذي يقع في أيدي الناس الآن جزء واحد اختصره منه غير المصنّف . فإنّ ابن ممّاتي ضمّنه ذكر أربعة آلاف قرية من أعمال مصر ومساحة كلّ قرية وقانون ريّها ومتحصّلها من عين وغلّة . ولمّا قدّمه للعزيز أنعم عليه بخمسمائة دينار حملت إليه .

وله أيضاً كتاب سيرة السلطان صلاح الدين ، نظماً ، وكتاب نظم كليلة ودمنة . وله عدّة رسائل وديوان شعر .

ولم يزل بديار مصر إلى أن ولي الوزارة الصاحب تقيّ الدين عبد الله بن عليّ بن شكر الدميريّ للملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيّوب ، فخافه لما كان في حقّه قبل ذلك من الإهانة [1] . وأخذ الوزير في العمل عليه ، ورتّب مؤامرات أحال بها الأجناد عليه ، ثمّ قبضه في جمادى الآخرة سنة آثنتين وستّمائة وعلّق برجليه . ففرّ من القاهرة وسار إلى حلب ، فأكرمه الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين فآستخدمه .

وآستقرّ بحلب إلى أن مات بها في يوم الأحد سلخ جمادى الأولى سنة ستّ وستّمائة عن آثنتين وستّين سنة .

قال فيه العماد الكاتب : ذو الفضل الجليّ والشعر العليّ . ومن شعره يصف الخليج يوم فتحه بمِصر [وافر] :

خليج كالحسام له صقال ... ولكن فيه للرّائي مسرّة / [181 أ]
رأيت به الصغار تجيد عوماً ... كأنّهمُ نجومٌ في المجرّة

وله في [غلام] نحويّ [سريع] :

---

(1) في المخطوط : الإهنة ، والتصحيح من الوافي 9 / 23 .

وأهيفٍ أحدث لي نحْوه تعجّباً يُعرب عن ظرفه
علامة التأنيث في لفظه وأحرف العلّة في طرفه

وقال يصف البقّ [طويل] :

تكاد بقرص البقّ تتلف مهجتي إذا لم أجد من ثوب جلدي تخلُّصا
ومن أعجب الأشياء في البقِّ أنّه على الجسم سُمَّاقٌ وتنبتُ حِمَّصا

وله [وافر] :

تعاتبُني وتنهى عن أمور سبيل الناس أن ينهَوك عنها
أتقدر أن تكون كمثل عيني وحقّك ما عليّ أضرُّ منها

وله في أترجّة كانت بين يدي القاضي الفاضل ، وهو معنى بديع [سريع] :

لله بل للحسن أترجّة تذكّر الناس بأمر النّعيمْ
كأنّها قد جمعت نفسَها من هيبة الفاضل عبد الرحيمْ

وقد ذكر أبوه وجدّه في مواضعهما من هٰذا الكتاب [1] .

وقال من أبيات يصف سيفاً [طويل] :

وأبيض مصقول العوارض أهيف مورّد خداً بخد الماء والخمر [2]
كأن دم الأعداء في صفحاته وإن قصّر التشبيه وردٌ على نهر

ومنها يصف فرساً :

وأدهم يحكي ليلة الهجر لونُه ومن جريه ما بين ليلين في مهر

(1) هٰذه من التراجم المفقودة .
(2) هٰذا الشطر غير موزون .

فيا عجباً من جمعه في أديمِه ويشبه ليل الوصل في الكرّ والفرّ

ومنها :

إذا ٱدّرعت يوم اللقاء جيوشه وسارت رأيت الخيل تركض بالبحر
ومن أعجب الأشياء أن مراكباً من الطير تحت البحر تجري على البرّ

743 - إسماعيل الكردي الزنديق [- 720] [1]

إسماعيل بن سعيد بن [. . .] الكرديّ ، المصريّ ، المقرىء ، الشافعيّ .

قرأ القراءات على الشيخ نور الدين الشطنوفيّ وعلى الفقيه الصائغ وغيره ، وكان عارفاً بها ، وبالفقه والنحو ، والتصريف ، ويحفظ قطعة من التوراة والإنجيل . وكان طلق العبارة ، سريع الجواب ، حسن التلاوة . لا يزال يجاري في الفقه ويسرُدُ الحاوي في الفقه حفظاً ، مع العمدة في الحديث ، والحاجبيّة .

إلّا أنّه كان كثير الهزل ولا يتحفّظ ، فحفظت عنه كلمات وأفعال قبيحة حتى قيل له : « إسماعيل الكافر » ، ثمّ صار يدعى إسماعيل الزنديق . فطلب إلى قاضي القضاة تقيّ الدين محمد بن أبي بكر الأخنائيّ المالكي . وٱدّعى عليه بالوقيعة في حقّ لوط عليه السلام . وأقيمَت البيّنة فخلط في كلامه كأنّه مجنون . فساقه إلى السجن ، وتوقّف فيه حتى أخبره مَن لا يتّهمُه أنّه رأى رسول الله ﷺ في منامه وسأله عمّا قيل عن إسماعيل ، فقال عليه السلام : قل للأخنائيّ يضرب عنقَه ، فإنّه سبّ أخي لوطا .

فٱستدعى به ، وعقد له مجلساً ، وضرب عنقَه بعدما شُهد عليه بعظائم

....

(1) وردت الترجمة مكرّرة في لوحتين متتاليتين فٱعتمدنا الترجمة الثانية . وهي أكمل ، وأضفنا إليها ما زاد في الأولى . ولإسماعيل هٰذاترجمة في الدرر 1 / 391 (928) ، والمنهل 2 / 432 (458) والنجوم 9 / 249 والسلوك 2 / 212 .

بحضرة القضاة والعلماء ، في يوم الاثنين سادس عشرين صفر سنة عشرين وسبعمائة ، وله من العمر أربعون سنة أو تزيد قليلاً . وكان يوماً مشهوداً .

744 - الشهاب القوصيّ [574 - 653] [1]

إسماعيل بن حامد بن عبد الرحمان بن المرجّى بن المؤمّل بن محمد بن علي ابن إبراهيم بن يعيش [...] [2] ، شهاب الدين ، أبو المحامد وأبو الطاهر وأبو العرب ، ابن أبي الشكر وأبي القاسم ، الأنصاري ، الخزرجيّ ، القوصيّ ، الفقيه الشافعيّ / . [181 ب]

ولد سنة أربع وسبعين وخمسمائة بقوص .

وسمع من [...] [3] . وخرج لنفسه معجماً في أربع مجلّدات ضخمة . وبرع في الأدب والأخبار . ودرّس ، وحفظ كثيراً من الأشعار . وكان فصيحاً مفوَّهاً حُفَظَةً .

وصنّف كتاب بغية الراجي ومُنْيَة الآمل في محاسن دولة السلطان الملك الكامل . وكتاب الدرّ الثّمين في شرح كلمة آمين ، صنّفه للملك الكامل . وكتاب قلائد العقائل في ذكر ما ورد في الزلازل .

واتّصل بالصاحب صفيّ الدين عبد الله بن عليّ بن شُكْر ، فتقدّم عنده ، وسيّره رسولاً عن السلطان الملك العادل أبي بكر بن أيّوب إلى [. . .] [4] .

ووليَ وكالة بيت المال بالشام ، وتقدّم عند الملوك . وكان يلازم الطيلسان

(1) الوافي 9 / 105 (4021) ؛ ذيل الروضتين 189 ؛ الطالع السعيد 157 (87) .
(2) ... ابن سعد بن عبادة في الطالع .
(3) ذكر الأدفويّ جملة من شيوخه ، كابن طبرزد ، والخشوعيّ ، والحرستانيّ .
(4) سقوط في المتن .

المحنّك . ومدحه جماعة وأخذوا جوائزه . قال بعضهم في معجمه [بسيط] :

كم معجمٍ طالعَتْه مُقلتي فبدَا   للَحْظِها منه فضلٌ غيرُ منقوص
فما سمعتُ ولا عاينتُ في زمني   أتمّ في فضله من معجم القوصيّ

وهو يشتَمل على عجائب ، لأنّه صنّفه في سجن الملك الصّالح عماد الدين إسمَاعيل بِبَعلبك ، وقد غضب عليه .

وكانت فيه دعابة ، وله عدّة نوادر ، منها أنّه رأى رجلاً يحادث شابًّا مليحاً اَسمُه سليمَان ويمَازحه ، فقال له : أنت تروم الملك !

فقال : معاذ الله !

فقال : ما لي أراك تحوم حول خاتَم سليمَان ؟

فخجل .

وقال له الصاحب جمال الدين يحيى بن مطروح يوماً : يا شيخ شهاب الدين ، أنت عندنا مثل الوالد .

فقال : لا جرم ، إنّي مطروح !

وقال له بعض الرؤساء : أنت عندنا مثل الأبّ – وشدّد الباء .

فقال : لا جرم ، إنّكم تأكلو[نـ]ـني !

وتوفّي في يوم [الاثنين سابع عشر ربيع الأوّل] [1] سنة ثلاث وخمسين وستّمائة .

....

(1) الإكمال من ذيل الروضتين ، 189 .

745 – الموفّق الجلجوليّ [– 546][1]

إسمَاعيل بن سلامة ، القاضي مكين الدولة ، الموفّق في الدين ، داعي الدعاة ، أبو الطاهر ، الأنصاري ، الجلجوليّ .

ولّاه الحافظ لدين الله ، أبو الميمون عبد المجيد بن محمّد ، قضاء القضاة في سابع عشر جمادى الآخرة سنة أربع وثلاثين وخمسمائة ، بعد صرف هبة الله بن عبد الله بن الأزرق ، بغير تقليد . فأقام ينظر في الحكم إلى مستهلّ المحرّم سنة خمس وثلاثين [وسعى أن] يوفّر جاريَه على الحكم ، وهو مبلغ أربعين ديناراً في
[182 أ] كلّ شهر ، و[يـ]ـخدم بجاري التقدمة على الدعاة ، وهو / مبلغ ثلاثين ديناراً في الخدمتين [وأن يستقلّ بالحكم] فأجيب إلى ذلك . وآستمرّ إلى أن صُرف عن القضاء في سابع المحرّم سنة ثلاث وأربعين بأبي الفضائل يونس بن محمد بن الحسن القرشيّ المقدسيّ ، وبقي داعي الدعاة . فلمّا كان في شهر رجب قُطعت أيدي بني الأنصاريّ ، وصلبوا على بابي زويلة الكبير والصغير[2] .

وكان كريم الأخلاق ، حليمًا ، عليه سكينة ووقار ، مليح الشيبة ، ظريف الهيئة .

ذكر آبن فضلان أن إسمَاعيل هٰذا مات سنة ستٍّ وأربعين .

746 – العارف شمس الدين النوريّ [598 – 644][3]

إسماعيل بن سودكين بن عبد الله ، أبو الطاهر ، شمس الدين ، النوريّ ، الإمام العارف .

....

(1) رفع الإصر 1 / 121 .
(2) هٰذه الحادثة لم يذكرها ابن حجر في رفع الإصر . فكأنها غريبة عن الترجمة .
(3) شذرات 5 / 233 .

ولد في مصر سنة ثمان وتسعين وخمسمائة .

وسمع الحديث من محمد بن حمد بن حامد الأرتاحيّ ، وأبي الفضل محمد ابن يوسف الغزنويّ ، وبحلب من الشريف أبي هاشم عبد المطّلب بن الفضل الهاشميّ .

وحدّث بمِصر والشام .

وكان فقيهاً حنفيًّا ، فاضلاً ، محدّثاً ، شاعراً ، له نظم جيّد ، وكلام في التصوّف . وكتب كثيراً من كلام ابن عربيّ ، وصحب العارف محيي الدين بن محمد بن العربيّ الصوفيّ وآختصّ به ، وقال الشعر .

وتوفّي بحلب في رابع عشرين صفر سنة ستّ وأربعين وستمائة .

ومن شعره [طويل] :

وقائلة : من أين أنت وحبّهم ... وأين الثرى السفليُّ من رفعة القدر ؟
لك الخير ما هٰذا بوكرك فآدرجي ... فثمّ أمورٌ يشتبهن على الغِرِّ
لئن كان قدري ناقصاً قبل حبّهم ... فإنّيَ مُذْ أحببتهم أصبحوا قدري

وقال ، من أبيات [رمل] :

قدم العهد بجيران النقا ... وهَوَاهُمْ مستجدّ يا أخيّ
كلَّ يوم ليَ شأنٌ في الهوى ... لا خلوتُ الدهر من هٰذا الهويّ
يا نسيمًا هبّ مشكور الريا ... أهدت الأشواق مسراه إليّ
وبريقاً لاح من جوّهِمُ ... حاكياً ذاك السنا من ثغر ميّ
آهِ من شوقي إلى من قد غدا ... بصري يلقاهُمُ في كلّ شيء
وإذا لم يجتليهم ناظري ... أي نفع لي إذن في ناظريّ
لو قطعت الدهر وصلاً كان لي ... قدر ما يثبت للطائر طيّ

وقال [كامل] :

وصَلَتْ وفيها حاجتي مقضيّة … فقضى الإلاهُ لك الحوائجَ كلّها !
يَا مَن إذا ضاقت عليَّ مطالبي … وتَعَقّدَتْ رُفعت إليه فحلّها

وقال [خفيف] :

ما على الصبّ في المحبّة عار … إنّمَا العار سلوة أو فرار
ما لنا في هواكمُ قطّ عذر … ولكم في وصالنا أعذار
تارة خيفة الرقيب ووقتاً … حسنُ دلّ منكم وحيناً نِفارُ
كلّ هٰذا يلذّ ما لم تملّوا … ملك الإلف ما عليه اصطبار
كيف شئتم كونوا سوى الصدّ عنّي … فصدود الأحباب للقلب نارُ/ [182 ب]

[وقال : بسيط] :

ناشدتك الله يا هطّالة السحب … إلّا حملتِ تحيّاتي إلى حلب
لكنّ أعظم ما ألقاه من ألم … أنّي أموت ، ولا تدري الأحبّة بي
لا أرضى للشوق أن يَجري على قلم … ماذا عسى يشرح المشتاق في الكتب ؟
أحبابَنا لا تلومُوني على قلقي … كيف القرارُ ، وخيلُ الشوقِ في الطلب؟
خلوا أحاديث أشجاني معنعنةً … عن الغرام عن الأنفاس عن كربي
وحدّثوا بمواجيدي على ثقة … فالوجد أصدق أنباءً من الكتب

747 – المزنيّ صاحب الشافعيّ [175 – 264] [1]

إسماعيل بن يحيى بن إسمَاعيل بن عمرو بن إسحاق ، أبو إبراهيم المُزَنيّ – بضم الميم وفتح الزاي وبعدها نون – نسبته إلى مزينة بنت كلب بن

(1) وفيات 1 / 217 (93) ؛ الوافي 9 / 238 (4145) ؛ طبقات السبكي 1 / 238 ويكاد المقريزي ينقل عنها حرفيّاً ؛ النجوم 3 / 29 .

وضرة ، وهي أمّ عمرو وأوس ابنَيْ أدد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار – ناصرُ مذهب الإمام الشافعيّ .

ولد سنة خمس وسبعين ومائة . وحدّث عن الشافعيّ ونعيم بن حمّاد .

وروى عنه أبو بكر بن خزيمَة ، وأبو جعفر الطحاوي ، وزكريا الساجيّ ، وابن جوصا ، وعبد الرحمان بن أبي حاتم .

وكان مناظراً محجاجاً . قال في حقّه الشافعيّ : لو ناظَرَ الشيطان لغَلَبه .

وكان زاهداً ورعاً مُتَقَلِّلاً من الدنيا مجاب الدعوة . وإذا فاتته الصلاة في جماعة صلاّها خمساً وعشرين مرّة ، استدراكاً لفضيلة الجماعة ، مستنداً في ذلك إلى قوله ﷺ : صلاة الجماعة أفضل من صلاة أحدكم وحدَه بخمس وعشرين درجةً [1] .

قال ابن يونس : وكانت له عبادة وفضل ، ثقة في الحديث ، لا يَختلِفُ فيه حاذقٌ في الفقه ، يلزم الرباط . وكان أحدَ الزهّاد في الدنيا ، ومن خيار خلق الله تعالى . حدّثني إبراهيم بن محمد بن الضحّاك قال : سمعت المزنيّ يقول : عانيتُ غسلَ الموتى ليرقَّ قلبي ، فصار ذلك لي عادةً .

وقال أبو الفوارس السندي : كان المزنيّ والربيع رضيعين .

وقال أبو إسحاق الشيرازيّ : كان زاهداً عالماً مجتهداً مناظراً محجاجاً غوّاصاً على المعاني الدقيقة ، وهو إمام الشافعيّين ، وأعرفُهم بطرقه وفتاويه ، وما ينقله عنه .

مصنّفاتُه :

صنّف كتباً كثيرة ، منها : الجامع الكبير ، والجامع الصغير ، والمختصر ، والمنثور ، والمسائل المعتبرة ، والترغيب في العلم ، وكتاب الوثائق ، وكتاب نهاية

(1) رواه السيوطي في الجامع الصغير 2/ 47 .

الاختصار .

وقال الشافعيّ : المزنيّ ناصر مذهبي .

وكان إذا فرغ من مسألة وأودعها مختصرة قام إلى المحراب وصلّى ركعتين شكراً لله تعالى .

وقال أبو العبّاس بن سريج : يخرج مختصر المزني من الدنيا عذراء لم تفتضّ ، وهو أصل الكتب المصنّفة في مذهب الشافعيّ ، وعلى مثاله رتّبوا ولكلامه فسّروا وشرحوا . وبلغ من احتياطه وورعه أنّه كان يَشرب في جميع فصول السنة في كوز نحاس . فقيل له في ذلك ، فقال : بلغني أنّهم يستعملون السِّرجينَ[1] من الكيزان والنار لا تُطهّرُها .

وقال الربيع : دخلنا على الشافعيّ عند موته ، أنا والبويطيّ والمُزنيّ ومحمد ٱبن عبد الله بن عبد الحكم . فنظر إلينا ساعة فأطال ، ثمّ ٱلتفت إلينا فقال : أمّا أنت يا أبا يعقوب فستمُوت في حديدك . وأمّا أنت يا مُزنيّ فستكون لك بمِصر هَنْاتٌ وهنات ، ولتدركنّ زماناً تكون [فيه] أقيسَ أهل ذلك الزمان . وأمّا أنت يا محمد فسترجع إلى مذهب أبيك . وأمّا أنت يا ربيع فأنت أنفعهم لي في نشر الكتب . قم يا أبا يعقوب فَتَسَلَّمْ الحلقة !

قال الربيع : فكان كما قال .

مناقبُه :

وقال عمرو بن عثمَان المكّي : ما رأيتُ أحداً من المتعبّدين في كثرة مَن [183 أ] لقِيتُ منهم أشدّ ٱجتهاداً من المزنيّ ، ولا أدوَمَ على / العبادة منه ، ولا رأيتُ أحداً أشدّ تعظيمًا للعلم وأهله منه . وكان من أشدّ الناس تضييقاً على نفسه ، وأوسعه[ـم] في ذلك على الناس . وكان يقول : أنا خلُق من أخلاق الشافعيّ .

---

(1) السرجين : الأزبال والفضلات .

وقال أبو عاصم العبّاديّ : لم يتوضّأ المُزنيّ من حباب ابن طولون ، ولم يشرب من كيزانه ، لأنّه جعل فيه سرجين ، والنّارُ لا تطهّره .

وتوفّي [المزنيّ] يوم الأربعاء لأربع وعشرين ليلةً خلت من ربيع الأوّل سنة أربع وستّين ومائتين بمِصر . ودفن بالقرافة ، وقبرُه يزار ويُتبرَّك بالدعاء عنده .

وروي عن المزنيّ أنه قال : كنت يوماً عند الشافعيّ أسائله عن مسائل بلسان أهل الكلام ، فجعل يسمع منّي وينظر إليّ ، ثمّ يجيبني عنها بأخْصَرِ جواب . فلمّا ٱكتفيت قال : يا بنيّ ، أَدُلُّك على ما هو خير لك من هٰذا ؟

قلت : نعم .

قال : يا بنيّ ، هٰذا علم إن أنتَ أصبتَ فيه لم تؤجَر ، وإن أخطأت فيه كفرتَ ، فهل لك في علم إن أصبتَ فيه أجرتَ ، وإن أخطأتَ لم تأثَمْ ؟

قلت : وما هو ؟

قال : الفقه ! – فلزمتُه فتعلّمتُ منه الفقه ودرستُ عليه .

وكنت يوماً عنده إذ دخل عليه حفص الفرد فسأله سؤالات كثيرةً . فبينمَا الكلام يجري بينهما ، وقد دقّ حتى لا أفهمُه ، إذ ٱلتفت إليَّ الشافعيّ فقال : يا مُزنيّ ، تدري ما قال حفص ؟

قلت : لا .

قال : خيرٌ لك أن لا تدري !

وقال إمام الحرمَين : إذا ٱنفرد المُزنيّ برأيٍ فهو صاحب مذهب . وإذا خرّج للشافعيّ قولاً ، فتخريجُه أولى من تخريج غيره ، وهو ملتحق بالمذهب لا محالة .

وعنه أيضاً أنّه قال : أرى كلّ ٱختيار للمزنيّ تخريجاً ، فإنّه لا يخالف أصول الشافعيّ ، لا كأبي يوسف ومحمد ، فإنّهما يخالفان أصول صاحبِهما .

748 – الموفّق الدمياطيّ ابن قادوس [– 510]

إسمَاعيل بن حسين بن حميد الفهريّ ، الدمياطيّ ، الموفّق ، سديد الدولة ، كافي الكفاة ، أبو الفضل ، المعروف بآبن قادوس ، ضامن الثغور كتنيس ودمياط .

مات في شعبان سنة عشر وخمسمائة . وهو والد أبي الفتح محمود بن قادوس .

ترك ستّة أولاد غير أبي الفتح ، وهم : أبو الفتح – وخدم في الأسطول والطراز ، وقتله يانس في وزارته في سنة ستّ وعشرين وخمسمائة ، وأبو الحسن ، مات في جمادى الآخرة سنة ثلاثين وخمسمائة في وزارة بهرام . وأبو عبد الله ، ضمن الثغور بعد أبيه ، وولي بعض الأعمال ، ومات بالمحلّة وحمل إلى القَيْس [1] فدفن بتربتهم . وأبو المعالي ، قتله رضوان الوزير في شوال سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة . وشرف الدولة المتجنّد [2] .

ودفن الستّة مع أبيهم وأخيهم أبي الفتح تحت قبّة بتربتهم من القرافة .

749 – إسمَاعيل بن خلف الأندلسيّ [– 455] [3]

إسمَاعيل بن خلف بن سعيد بن عمران ، أبو الطاهر ، الأنصاريّ ، الأندلسيّ ، ثمّ المصريّ ، المقرئ ، مصنّف كتاب : « العنوان في القراءات » .

---

(1) القيس : قرية بعد الجيزة غربيّ النيل (ياقوت) .

(2) هؤلاء خمسة ، مع أبي الفتح . وأبو الفتح ابن قادوس له ترجمة في الفوات 4/ 100 (512) : محمود بن اسماعيل (ت 551) .

(3) وفيات 1/ 233 (97) ؛ الصلة 1/ 105 (244) ؛ الوافي 9/ 116 (4031) ؛ غاية النهاية 1/ 164 .

أخذ القراءات عن عبد الجبّار بن أحمد الطرسوسيّ . وتصدّر للإقراء زماناً ، ولتعليم العربيّة أيضاً ، وكان رأساً في ذلك .

اختصر كتاب الحجّة لأبي عليّ الفارسيّ .

أخذ عنه جُمَاهِر بن عبد الرحمان الفقيه ، وأبو الحسين الخشّاب ، وولدُه جعفر بن إسمَاعِيل ، وغيرهم .

توفّي في أوّل المحرّم سنة خمس وخمسين وأربعمائة .

750 - ابن أبي الردّاد الكاتب [540 - بعد 620]

إسمَاعيل بن داود بن أبي الردّاد ، أبو عبد الرحمان ، الكاتب .

ولد سنة أربعين وخمسمائة .

سمع من أبي محمد بن رفاعة ، وحدّث عنه . وناب بمِصر في ذي القعدة سنة عشرين وستمائة .

751 - تاج الدين ابن خليل الحنفيّ [- 739] [1]

إسمَاعيل بن خليل بن [. . .] ، تاج الدين ، الحنفيّ .

كان فقيهاً نحويًّا أصوليًّا فرضيًّا ، له مقدمة / في أصول الفقه . وله يدٌ طولى [183 ب] في الفرائض .

وكان صالحاً عفيفاً زاهداً ، له مزايا كفلق الصّبح ، يخبر بأشياء غريبة من مرائيه .

---

(1) الدرر 1 / 391 (926) ؛ المنهل 2 / 392 (429) .

وكان يرى في كلّ سنة ما يدلّ على النيل في زيادته ونقصه .

وكان صدوقاً ثقة ، تفقّه عليه جماعة .

وتوفّي بالحسينيّة ظاهر القاهرة في الثامن من جمادى الآخرة سنة تسع وثلاثين وسبعمائة .

752 – الموفّق ابن المطران الطبيب [– 587] [1]

أسعد بن إلياس بن جرجيس المطران ، أبو نصر ، موفّق الدين ، ابن أبي الفتح ، الطبيب .

كان نصرانيًّا ، وأسلم على يد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب ، وخدمه بالطبّ . وكان غزير المروءة حسن الخلق ، فيه تشيّع . وكان يصحب صبيًّا آسمُه عمر ، في غاية الحسن ، فقال فيه ابن عُنَيْن ، يعرّض بحبّه للصبيّ [بسيط] :

قالوا : الموفّق شيعيّ فقلت لهم : هلّا خلافُ الذي للناس منه ظهرْ ؟
وكيف يجعل دينَ الرفض مذهبَه وما دعاه إلى الإسلام غيرُ عمر !

توفّي الأسعد في شهر ربيع الأوّل سنة سبع وثمَانين وخمسمائة . وكان أوحد العلماء في زمانه في علم الطبّ وعمله – عارفاً بالعلوم الحكميّة متعيّناً في الفنون الأدبيّة .

ومولده ومنشؤه بدمشق . وكان أبوه أيضاً يعاني الطبّ ويجول في الأرض في طلب الفضيلة ، وآشتغل على أمين الدولة ابن التلميذ . وآشتغل الموفّق على المهذّب ابن النقّاش .

(1) النجوم 6 / 113 ؛ شذرات 4 / 288 .

وكان جميل الصورة ، محبًّا للُبس الفاخر من الملابس . وخدم السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب ، وكان لا يفارقه في سفر ولا حضر . وقدم معه القاهرة ، وزوّجه بعدما أسلم إحدى حظايا داره . وكانت له همّة في تحصيل الكتب ، فبلغت كتبه نحو العشرة آلاف مجلّد ، وكانت له عناية بآستنساخ الكتب .

وممّن أخذ عنه علم الطبّ المهذّب أبو محمد عبد الرحيم بن عليّ الدخوار .

ورأى في طريق حمص مجذوماً قد قوي به المرضُ حتى تغيّرت خلقتُه وتشوّهت صورتُه ، فآستوصفَ منه ما يتناولُه وما يتَداوى به ، فبقي كالمتبرّم من رؤيته وقال له : كلْ لحم الأفاعي .

فعاوده في المسألة فقال : كل لحومَ الأفاعي ، فإنّك تبرأ .

ومضى إلى حمص . ورجع فإذا بشابّ حسن الصورة كامل الصحّة قد سلّم عليه وقبّل يده . فقال له : من أنت ؟

فعرّفه بنفسه ، وأنّه المجذوم الذي شكا إليه ، وأنّه لمّا آستعمل ما وصفه له ، صلح به من غير أن يحتاج معه إلى دواءٍ آخر . فتعجّب من ذلك في كمال بُرْءِهِ .

وله عدّة مصنّفات ، منها كتاب البستان ، جعله جامعاً لكلّ ما وجده من ملح ونوادر سمعها أو طالعها .

وكتب بخطّه الحاوي لمحمّد بن زكريا ، والقانون لأبي عليّ بن سينا ، والملكي ، والإقناع ، وشيئاً كثيراً من كتب جالينوس ، وروفس ، ومن المقالات الحكميّة وغيرها ، وكتاب حسن الخطّ .

وللشرف أبي المحاسن محمد بن عنين فيه أهاج كثيرة ، منها [وافر] :

وقالوا : أسعد بنُ آلياسَ أضحى ... رئيساً لا حَوَتْه يدُ السعود !
ولا أهجو الوجودَ وقد حواه ... فإنّ وجودَه هجوُ الوجود !

753 – أبو الفداء المؤرّخ [(672 – 732)][1]

إسمَاعيل بن عليّ بن محمود بن عمر بن شاهنشاه بن أيّوب بن شادي ، الملك المؤيّد ، عماد الدين ، أبو الفداء ، ابن الملك الأفضل ، ابن المظفر ابن المنصور ابن المظفّر تقي الدين ابن شاهنشاه ابن نجم الدين والد الملوك .

كان من جملة أمراء دمشق . فلمّا توجّه الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى الكرك خدمه خدمةً زائدة . فلمّا عاد إلى ملك مصر مرّة ثالثة بعد فرار الملك المظفّر بيبرس رعى له حقّ الخدمة .

واتّفق قدوم الأمير مهنّا أمير عرب الشام على السلطان فسأله في أشياء ، [184 أ] منها ولاية عماد الدين حماه / . فأجاب سؤاله وولّاه حماه عوضاً عن أَسَنْدَمُرْ كُرْجي[2]. فسار من دمشق في جمادى الآخرة سنة عشر وسبعمائة ، فلم يُسلّمه أَسَنْدَمُرْ حماه . فأقام بين حماه وحمص ، وكتب يخبر السلطان .

فاتّفق موت الأمير قبجق نائب حلب . فنقل أسندمر إلى نيابة حلب . وتسلّم عماد الدين حماه ، وجعله السلطان صاحبها . ولقّبه « الملك الصالح » مدّة . ثمّ إنّه لقّبه بـ «الملك المؤيّد» وحكّمه في حماه يفعل فيها ما يختار من إقطاع وولاية من غير مراجعة ، وأذن له أن يخطب له بحماه وأعمالها ، على ما كان عليه الملك المنصور[3] ، فلم يزل على ذلك .

وقدم إلى مصر في تاسع عشر جمادى الأولى سنة ستّ عشرة فأنزل بمناظر

(1) المنهل 2/ 399 (437) ؛ النجوم 9/ 292 ؛ الدرر 1/ 391 (941) ؛ فوات 1/ 183 (71) ؛ الوافي 9/ 173 (4085) ؛ السلوك 2/ 87 ؛ شذرات 6/ 98 ؛ طبقات الشافعيّة (1345) ؛ دائرة المعارف الإسلاميّة 1/ 122 .

(2) أسندمر كرجي : له ترجمة في المقفى ، رقم 788 .

(3) في المنهل : على ما كان عليه سلفُه من ملوك حماه .

الكبش ، وأجريَ له من الرواتب ما يليق به . فحمل تقدمتَه من الغد ، ولقي السلطان فبالغ في تكريمِه ، إلى أن سافر إلى بلده في تاسع عشرين جمادى الآخرة .

ثمّ قدم في شوال سنة تسع عشرة ، وتوجّه مع السلطان إلى الحجّ . فلمّا عاد عظم في عين السلطان لما رآه من آدابه وفضائله وعلومه .

وأركبه في يوم الخميس سابع عشرين المحرّم سنة عشرين وسبعمائة بشعار السلطنة من المدرسة المنصوريّة بين القصرين . وسار عنها ، والأمير قَجْلِيس السلاحدار حاملٌ وراءه السلاح ، والأمير أُلْجَايْ الدوادار حامل الدواة ، والأمير بيبرس الأحمدي أمير جاندار ، والأمير جمال الدين والأمير طيبرس والغاشية ، والعصائب [1] ، وجميع دست السلطنة ، وجميعهم بالخِلع والتشاريف ، إلى أن خرج من القاهرة ، وصعد قلعة الجبل ، وقبّل الأرض ، وجلس في الخدمة رأس الميمنة . ولقّبه السلطان يومئذ بالملك المؤيّد . وسار من يومه ، وفي خدمته كريم الدين ناظر الخاصّ ، إلى قبّة النصر خارج القاهرة ، حتى رتّب له كلّ ما يحتاج إليه في السفر . فكانت الخلع والتشاريف على من كان معه في هٰذا اليوم من أهل الدولة مائةً وثلاثين تشريفاً ، منها ثلاثة عشر أطلس ، وباقيها ما بين طرد وحش وكَنْجي [2] وعمل الدار .

وقدم أيضاً في سنة ثنتي وعشرين بهداياه وتحفه على العادة . وتوجّه مع السلطان إلى بلاد الصعيد ، حتى قارب قوص .

وعاد أوّل المحرّم سنة ثلاث وعشرين ، فخلع عليه ، وعاد إلى حماه .

فلم يزل بها حتى مات يوم سابع عشرين المحرّم سنة آثنتين وثلاثين وسبعمائة ، وهو في سنّ الكهولة ، فأخفي موته يومين ، حتى بعثت أمّ ولده إلى الأمير تنكز

---

(1) العصائب : رايات مطرّزة عليها اسم السلطان (النجوم 9/ 61 هامش 2) .

(2) الكنجي : نسيج من حرير وقطن (دوزي) .

نائب الشام بجواهر ثَمينة ، وسألته إقامة آبنها الأفضل محمد على مملكة حماه ، وأن يشفع إلى السلطان في ولايته . فأجاب سؤالها ، وبعث البريد إلى السلطان بذلك . فكثر أسف السلطان على فقد المؤيّد ، وحزن عليه . وقبل شفاعة تنكز في الأفضل وأنعم عليه بحماه على قاعدة أبيه وجدّه ، ورسم بإحضاره كما قد ذكر في ترجمته [1] .

وكان المؤيّد كريمًا فاضلاً عارفاً بالفقه والطبّ والفلسفة وغير ذلك ، وله يدٌ طولى في الهيئة ، ومشاركة جيّدة في غالب العلوم . وكان يحبّ أهل العلم ويقرّبهم ويُؤْويهم إليه . وآختصّ بعبد الرحمان بن عمر الأبهريّ ، وأجرى له ما يكفيه . ورتّب للجمال محمد بن نباتة الشاعر في كل سنة ستمائة درهم يبعث بها إليه إلى دمشق ، سوى ما يتحفه به .

ونظم كتاب « الحاوي [2] في الفقه » على مذهب الشافعيّ ، وكان يعرفه معرفةً جيّدة .

وله كتاب التاريخ [3] ، حوى ، مع آختصاره ، فوائد جليلة .

وله كتاب « الكنّاس » ، عدّة مجلّدات كثيرة . وكتاب « تقويم البلدان » ، أبدع فيه وأجاد . وكتاب « الموازين » ، وشعره جيّد .

وكان السلطان [الملك الناصر] يكتب إليه : « أخوه محمد بن قلاوون ، أعزّ الله أنصار المقام الشريف العالي السلطان الملكي المؤيّدي العمادي » بلا مولوي / [4] . [184 ب]

وكتب إليه الأمير تنكز : نقبّل الأرض بالمقام الشريف العالي السلطاني

....

(1) ترجمة الأفضل محمد بن إسماعيل مفقودة .
(2) الحاوي في الفقه للقزويني (ت 668) .
(3) هو مختصر تاريخ البشر .
(4) هكذا في المنهل 2 / 400 أيضاً . والمولويّ ترد في مراسلات تنكز الآتية .

المولويّ الملكيّ المؤيّدي العمادي – وفي العنوان : صاحب حماه .

ويكاتبه سائر النوّاب بتقبيل الأرض ، وينهى .

وقدم مرّة ومعه آبنه الأفضل محمد إلى القاهرة فمرض [الأفضل] ، فأرسل إليه السلطان رئيس الأطبّاء جمال الدين إبراهيم بن المغربيّ ، فلازمه بكرة وعشيّا ، حتى برئ ، والمؤيّد يبحث معه في ذلك المرض ، ويقرّر دواءه ، ويطبخ له الشراب بيده في دست من فضّة ، حتى كان آبن المغربيّ يقول له : يا خوند ، أنت والله ما تحتاج إليّ . وما أجيء إلّا آمتثالاً لأمر السلطان .

فلمّا عوفي الأفضل أعطى المؤيّد لأبن المغربي بغلةً بسرج ولجام وكنبوش زركش ، وبعيبة قماش ، ومبلغ عشرة آلاف درهم ، وقال له : يا مولانا ، آعذرنيّ ، فإنّي لمّا خرجتُ من حماه ما حسبت مرض هٰذا الأبن . فأَمهلني حتى أتوجّه إلى حماه .

ومدحه شعراء زمانه ، وأجازهم .

وفرّق كثيراً من كتبه ، ووقف منها جملة .

ورثاه ابن نباتة[1] بقصيدة أوّلها [بسيط] :

مَا للنّدى لا يلبّى صوت ناديه　　أَظُنُّ أَنّ آبنَ شادي قام ناعيه

ومن شعر المؤيّد [كامل] :

اقرأْ على طِيب الحيا　　ةِ سلامَ صبّ ذاب حُزنَا
وآعلم بذاك أحبّة　　بخِلَ الزمانُ بهم وضَنّا
لو كان يُشرى قربهم ،　　بالمال والأرواح جُدنا
متجرّع كأس الفرا　　ق يبيت للأشجان رهْنا
صبّ قضى وجداً ولا　　يُقضى له ما قد تمنّى

(1) محمد بن محمّد بن محمّد بن الحسن الفارقيّ (ت 768) .

وقال [وافر] :

سرى مسرى الصبا فعجبت منه ... من الهجران كيف صبا إليَّ
وكيف ألمّ بي من غير وعدٍ ... وفارقَني ولم يعطف عليّ

وقال [كامل] :

أحسنْ به طرفاً أفوت به القضا ... إن رمتُه في مطلب أو مهرب
مثل الغزالة ما بدت في مشرق ... إلّا بدت أنوارها في المغرب

754 - الحافظ أبو سعد السمّان [- 445] [1]

إسمَاعيل بن عليّ بن الحسين بن محمد بن الحسن بن زنجويه ، الرازيّ ، أبو سعد ، السمّان ، الحافظ ، الزاهد ، المعتزليّ ، الفقيه الحنفيّ ، شيخ المعتزلة وعالمُهم وفقيهُهم ومتكلّمُهم ومحدّثُهم .

كان إماماً في القراءات والحديث ومعرفة الرجال والأنساب والفرائض والحساب والشروط والمقدّرات ، وفقه أبي حنيفة وأصحابه ، ومعرفة **الخلاف** بين أبي حنيفة والشافعي رحمهما الله ، وفي فقه الزيديّة وفي الكلام .

وكان يذهب مذهب أبي الحسين البصريّ ، وأبي هاشم الجبّائي .

ورحل إلى الحجاز ، والعراق ، وبلاد الشام ، ومصر ، والمغرب ، ولقيَ الرجال ، فيقال إنّه أخذ عن أربعة آلاف شيخ ، وأنّه قرأ عليه ثلاثة آلاف رجل .

وقصد أصبهان في آخر عمره لطلب الحديث .

....

(1) شذرات 3/ 273 ؛ تذكرة الحفّاظ 1121 (1007) ؛ الأعلام 1/ 316 .

وكان زاهداً ورعاً قوّاماً مجتهداً صوّاماً قانعاً راضياً ، أتى عليه أربع وسبعون سنة ولم يُدخل إصبعَه في قصعة إنسان ، ولم يكن لأحدٍ عليه مِنّةٌ ولا يدٌ في حضره ولا في سفره . ومات ولم يكن له مظلمة ولا تَبِعة . وكانت / أوقاتُه [185 أ] موزّعة للعبادة .

ومن كلامه : من لم يكتب الحديث لم يتغرغر بحلاوة الإسلام .

وله عدّة مصنّفات .

ولم يتزوّج قطّ ، حتى مات بالريّ في ليلة الأربعاء الرابع والعشرين من شعبان سنة خمس وأربعين وأربعمائة .

755 - عزّ الدين الإسنائيّ [- 700]

إسماعيل بن علي بن هبة الله ، عزّ الدين ، الإسنائيّ ، الحميريّ ، الشافعيّ .

برع في عدّة علوم . وصنّف كتاباً في فضائل أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه . وسمع الحديث ، وأكبّ على الاشتغال ، وناب في الحكم عن ابن دقيق العيد ، وابن بنت الأعزّ .

ثمّ توجّه إلى الشام ، وولي الأوقاف بحلب مدّةً . وتصدّر للإفادة فتخرّج به جماعة .

ثمّ عاد إلى القاهرة في سنة سبعمائة فمات فيها .

وكان متضلّعاً من العلوم العقليّة كريمًا مُحْسناً ، وهو أسنّ من أخيه نور الدين عليّ ، ولهما أخ اسمه الفضل . وقد ذكرا[1] .

---

(1) ترجمتا الفضل وعليّ أخوَيْ العزّ الإسنائيّ مفقودتان .

756 – ابن شبيب الروميّ العطّار [551 – 606] [1]

إسماعيل بن عمر بن نعمة بن يوسف بن شبيب ، الروميّ ، العطّار ، أبو الطاهر ، الحنبليّ ، الأديب .

ولد سنة إحدى وخمسين وخمسمائة . وكان مولعاً بالأدب ، عارفاً بالعقاقير . وله مصنّفات أدبيّة . [وله مماليك ،] منها : مائة غلام ومائة جارية .

ومات بمِصر في العشرين من المحرّم سنة ستّ وستمائة .

757 – أبن راشد الحدّاد المقرئ [– 429] [2]

إسماعيل بن عمرو بن إسماعيل بن راشد ، الحدّاد ، المقرئ .

قرأ على عبد العزيز ابن الإمام [وغزوان] بن القاسم ، وغيرهما . وسمع من الحسن بن رشيق ، وأحمد بن محمد بن سلمة الخيّاش ، وغيرهما . قرأ عليه أبو القاسم [يوسف] الهذليّ وغيره .

وحدّث عنه سعد بن عليّ الريحانيّ ، وأبو الحسن الخلعيّ .

ومات سنة تسع وعشرين وأربعمائة .

(1) شذرات 5 / 19 . والزيادة منها .
(2) طبقات القرّاء 1 / 167 (775) والزيادة منها .

758 – أبو عليّ القالي البغداديّ [288 – 356] [1]

إسمَاعيل بن القاسم بن عيذون – بعين مهملة وياء ساكنة ، ثم ذال معجمة ، بعدها واو ساكنة ثم نون – بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمَان [وسلمان جدّه] مولى عبد الملك بن مروان ، أبو علي ، البغدادي ، القالي .

ولد بمَنازكرد من ديار بكر سنة ثمَان وثمَانين ومائتين . ورحل إلى بغداد سنة ثلاث وثلاثمائة . وأقام بالموصل وكتب [الحديث] عن أبي يعلى الموصليّ وغيره .

ثمّ دخل بغداد سنة خمس وثلاثمائة ، فأقام بها إلى سنة ثمَان وعشرين وثلاثمَائة ، يكتب الحديث . فكتب عن أبي بكر عبد الله بن أبي داود السجستانيّ ، وأبي محمد يحيى بن محمّد بن صاعد ، وأبي عمر محمد بن يوسف آبن يعقوب القاضي ، وأبي القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغويّ ، المعروف بآبن بنت منيع ، وإبراهيم بن عبد الصمد بن موسى الهاشميّ ، وأحمد آبن إسحاق بن البهلول القاضي ، وأبي عبد الله الحسين القاضي ، وأبي عبيد أخيه القاضي [2] ، ابنَي إسمَاعيل بن محمد بن إسمَاعيل الضبّيّ ، المعروف بآبن المحامليّ ، وأبي بكر يوسف بن يعقوب بن البهلول الأزرق الكاتب ، وأبي بكر محمد بن أحمد البُستَنْبان ، وابن قطن الإسكافيّ ، وأبي سعيد الحسن [3] بن عليّ بن زكريا بن يحيى العدويّ .

---

(1) طبقات الزبيديّ 185 (111) ؛ وعنها نقل المقريزيّ معظم الترجمة . الوفيات 1 / 226 (95) ؛ **الوافي** 9 / 190 (4097) .

(2) عند الزبيديّ : القاسم .

(3) عند الزبيديّ : الحرّ .

وسمع الأخبار واللغة من أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزديّ القصريّ ، وأبي بكر محمد بن القاسم بن بشّار الأنباريّ . وأبي عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة ، المعروف بنفطويه ، وأبي بكر محمد بن السريّ السرّاج النحويّ ، ومن أبي بكر محمد بن شقير النحويّ . ومن أبي إسحاق إبراهيمْ بن آلسريّ بن سهيل الزجّاج النحويّ ، ومن أبي الحسن عليّ بن سليمان بن الفضل الأخفش ، ومن أبي بكر محمد بن محمد بن أبي الأزهر ، ومن أبي محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه – أخذ منه كتاب سيبويه عن المبرّد – وأبي جعفر أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة – أخذ منه كتب أبيه – ومن أبي بكر أحمد آبن محمد بن موسى بن مجاهد المقرئ – قرأ عليه القرآن بحرف أبي عمرو بن العلاء ، وأخذ كتابه في القراءات السبع ، وغير ذلك – ومن أبي عمر محمد بن عبد الواحد المطرّز ، غلام ثعلب – حدّثه عن ثعلب – ومن أبي بكر محمد بن عبد الملك النارنجيّ ، ومن أحمد بن يحيى المنجّم النديم – أخذ منه كتاب أبيه [185 ب] وغير/ ذلك – ومن أبي علي الحسن بن عليّ بن نصر الطوسيّ – أخذ منه كتاب الزبير بن بكّار في النسب – ومن أحمد بن سعيد الدمشقيّ .

وخرج عن بغداد آخر سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة ، ودخل إلى الأندلس في سنة ثلاثين وثلاثمائة . فقدم قرطبة لثلاث بقين من شعبان سنة ثلاثين وثلاثمائة ، قاصداً الناصر عبد الرحمان ، فأكرمَه . وصنّف له ولولده الحكَم تصانيف ، وبثّ علومه هناك .

وروى عنه أبو بكر محمد بن الحسَن الزبيديّ النحويّ ، مع إمامته . وكان الحكَم المستنصر ، قبل ولايتِه الخلافةَ وبعدها ، يُنَشِّطُ أبا عليّ ويبعثُه على التأليف بواسع العطاء ، ويشرح صدره بالإفراط في الإكرام . وكانوا يسمّونه البغداديّ ، لوصوله إليهم من بغداد . ويقال إنّ الناصر استدعاه من بغداد ، لولائه فيهم .

ولم يزل مكرّماً حتى مات بها ليلة السبت لسبع خلون من جمادى الأولى

سنة ستّ وخمسين وثلاثمائة .

قال أبو بكر محمد بن الحسن الزبيديّ : وله عدّة مصنّفات ، أملاها عن ظهر قلب ، منها : كتاب النوادر ، أملّه ظاهراً ، وٱرتجل تفسير ما فيه ، وهو غاية في معناه . وهو أنفع الكتب لأنّه فيه الخبر الحسن ، والمثل المتصرّف ، والشعر الفائت المنتقى في كلّ معنى . وفيه أبواب من اللغة مستقصاة ليست توجد في غيره من كتب اللغة بكمال ما هي في هٰذا الكتاب . وفيه الإبدال والقلب ، مستقصىً ، وفيه تفسير الإتباع ، وهو ممّا لم يسبقه أحد إليه ، في فوائد كثيرة .

ومنها كتابه في الممدود والمقصور ، بناه على التفعيل ، ومخارج الحروف من الحلق ، مستقصىً في بابه لا يشذّ عنه شيء من معناه ، ولم يوضع له نظير .

ومنها : كتابه في الإبل ونتاجها وما تصرّف معها .

ومنها : كتابه في حلي الإنسان ، والخيل وشياتها .

ومنها : كتابه في فعلت وأفعلت . وكتابه في مقاتل الفرسان ، وكتابه في تفسير القصائد السبع المعلّقات ، وتفسير إعرابها ومعانيها .

إلى كتب كثيرة ٱرتجل جميعها وأملاها عن[1] ظهر قلبه .

وألّف كتاب البارع في اللغة ، بناه على حروف المعجم ، وجمع فيه كتب اللغة ، وعزا كلّ كلمة من الغريب إلى ناقلها من العلماء ، وٱختصر الإسناد عنهم ، وهو يشتمِل على خمسة آلاف ورقة ، ولا نعلم أحداً من العلماء المتقدّمين والمتأخّرين ألّف نظيره في الإحاطة والاستيعاب .

والقالي نسبة إلى قالي قلا ، وهي مدينة من مدن أرمينية ، منها ٱبتداء الأنهار العظام : الفرات ، والرسّ ، والكرّ[2] وغير ذلك . وإنّما نسب إليها

---

(1) في المخطوط : على .
(2) الرَّسُّ والكُرُّ : يجتمعان قرب مدينة البيلقان ثمّ يصبّان في بحر جرجان (ياقوت : الرسّ) .

لأنّه لمّا آنحدر إلى بغداد في رفقة فيها أهل قاليقلا ، قيل[1] له : « القالي » من أجل هٰذا .

قال أبو الحكم منذر بن سعيد البلوطيّ القاضي : كتبتُ إلى أبي عليّ البغداديّ أستعير منه كتاب الغريب ، وقلت [مجتث] :

بحقِّ ريمٍ مُهَفْهَفْ وصُدغه المُتَعَطِّفْ
آبعث إليّ بجزء من «الغريبِ المصنَّفْ»[2]

فقضى حاجتي وأجاب بقوله :

وحقِّ دُرٍّ تَأَلَّفْ بفيك أيَّ تأَلُّفْ
لأَبْعَثَنَّ بمَا قد حوى الغريب المصنّف
ولو بعثت بنفسي إليك ما كنت أُسْرِفْ

ومدحه يوسف بن هارون الرماديّ .

759 – جمال الدين ابن منقذ [569 – 626][3]

إسمَاعيل بن مبارك بن كامل بن مقلّد بن عليّ بن نصر بن منقذ ، الأمير جمال الدين ، أبو الطاهر ، ابن سيف الدولة أبي الميمون ، الكنانيّ ، الشيزريّ الأصل ، المصريّ المولد والدار .

مولده بالقاهرة في العشرين من شهر رجب سنة تسع وستين وخمسمائة .

وسمع من السلفيّ ، ومن والده بمِصر ، وحدّث . وتقدّم في معرفة الأدب

(1) في المخطوط : فقيل .
(2) كتاب الغريب المصنّف لأبي الطيّب اللغويّ (ت 206) .
(3) الوافي 9/ 195 (4100) .

وقال الشعر . وحظي عند الملك الكامل محمد ابن العادل . وبعثه في الرسالة إلى الفرنج ، وهو على قتالهم ، فدخل دمياط . وكان يختم بها كلّ يوم ختمةً .

وتَولّى حرّان ، ومات بها في رمضان سنة ستّ وعشرين وستّمائة .

760 - ابن الزيّات المصريّ [- 599]

[186 أ] إسماعيل بن القاسم بن عبد الله الزيّات ، أبو طاهر / ، المصريّ .

سمع من أبي عبد الله الرازيّ أربعة عشر جزءاً من معجم البغويّ . وسمع من أبي الحسن الفزاري ، وعاد .

وشهد ابن يحيى ، وغيرهما .

ومات بمِصر في ذي القعدة سنة تسع وتسعين وخمسمائة .

761 - ابن النحّاس المصريّ [354 - 430]

إسماعيل بن أبي محمد ابن النحّاس ، المصريّ .

ولد في شعبان سنة أربع وخمسين وثلاثمائة . ومات في رجب سنة ثلاثين وأربعمائة .

762 - أبن طباطبا الرسيّ [- 337]

إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن القاسم الرسّيّ ، ابن إبراهيم طباطبا ، ابن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، عليهم السلام ، أبو إبراهيم ، ابن أبي عبد الله [. . .] .

كان يتولّى النظر في أمور الطالبيّين بمِصر بإلزام السلطان له لصيانته .

وكان يصنّف الكتب ويقول الشعر .

توفّي في سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة بمِصر ، ودفن مع جدّه إسماعيل[1] في قبر واحد .

ولمّا استتر سهل بن محمد الكاتب البغدادي طلبه الأمير أبو بكر محمد بن طغج الإخشيد طلباً شديداً ، فعرف أنّه عند أبي إبراهيم الرسّيّ . فأرسل إليه ، فخرج إلى الرسل وصاح عليهم . فعادوا إلى الإخشيد ، فغضب وقال لمنجح غلامه : آركب في مائة فارس واكبس دار أبي إبراهيم ، وخذ منه سهلاً الكاتب ، فركب منجح . وبلغ إبراهيم فأغلق بابه ، ولبس درعاً وتقلّد سيفاً وأخذ الدرقة ، وفتح الباب وقال لمنجح : تقدّم ! فوالله لا طمعت في الدخول أو أقتلَ !

فأرسل إلى الإخشيد ، فأخبره . فأرسل إليه : آنصرف ! – ثمّ بعث إلى أبي إبراهيم : آركب ! – فركب . فلمّا دخل عليه قال : يا أبا إبراهيم ، الحرب ؟

قال : نعم .

قال : فبحقّي عليك ، سهلٌ عندك ؟

قال : نعم .

قال : هو آمنٌ . وهٰذا خاتَمي وأماني . والساعةَ آزدادت رغبتُنا فيك يا شريف ، فأحضِر سهلاً آمناً !

وتعجّب الإخشيدُ من فعله .

---

(1) في المخطوط : مع أبيه اسماعيل .

763 – إسماعيل الكورانيّ [– 665] [1]

إسماعيل بن محمد بن أبي بكر بن خسرو الكورانيّ ، الشيخ الصالح .

كان مقامه في مدينة قليوب .

وتوفّي بمدينة غزّة قافلاً من مصر إلى بيت المقدس في الثاني والعشرين من شهر رجب سنة خمس وستّين وستمائة . ودُفن بظاهر البلد .

764 – القاضي ابن اليسع الكنديّ [– بعد 167] [2]

إسماعيل بن الربيع بن اليسع ، أبو الفضل وأبو عبد الرحمان ، الكنديّ ، النسفيّ ، الكوفيّ ، قاضي مصر ، وأوّل من وليَ قضاء مصر على مذهب الإمام أبي حنيفة .

قدم مصر قاضياً من قِبل أمير المؤمنين المهديّ محمد ابن أبي جعفر ، عوضاً عن عبد الله بن لهيعة ، بإشارة يعقوب بن داود ، في سنة أربع وستّين ومائة .

روى عنه من أهل مصر عبد الله بن وهب ، وسعيد بن سابق ، وسعيد ابن أبي مريم ، وأبو صالح الحرّانيّ .

قال سعيد ابن أبي مريم : قدم علينا إسماعيل [بن الربيع] بن اليسع قاضياً بعزل ابن لهيعة ، وكان من خير قضاتنا ، غير أنّه كان يذهب إلى مذهب أبي حنيفة ، ولم يكن من أهل مصر ، فشنؤوه . وكان مذهبُه إبطال الأحباس ، فثقل على أهل مصر . وجاء رجل إلى الليث بن سعد فقال : ما تقول في رجل

---

(1) الوافي 9/212 (4117) ؛ المنهل 2/427 (453) ؛ شذرات 5/317 .

(2) الولاة والقضاة 371 والترجمة منقولة عنه ؛ رفع الإصر لابن حجر 1/126 .

قال لرجل : يا مأبون ! يا مَن يُنكح في دبره !

فقال الليث : يصير إلى القاضي إسمَاعيل بن اليسع .

فقال : قد صرت إليه . فقال : تقول له مثل ما قال لك .

فقال الليث : سبحان الله ! وهل يقال للزانية ذلك ؟ [1] .

فكتب الليث فيه إلى أمير المؤمنين فعزله .

وقال يحيى بن بكير : كان إسمَاعيل بن اليسع مأموناً فقيهاً ، وكان يصلّي بنا الجمعة وعليه كساء مربّع من صوف وقطن ، وقلنسوة خزّ [2] .

وقال ابن قديد عن يحيى بن عثمَان : جاء الليث إلى إسمَاعيل بن اليسع فجلس بين يديه ، فرفعَه إسمَاعيل . فقال : إنّمَا جئت مخاصمًا لك .

قال : في ماذا ؟

قال : في إبطالك أحباس المسلمين . قد حبّس رسول الله ﷺ ، وأبو بكر وعمر وعثمَان وعلي وطلحة والزبير . فمَن بقي بعد هؤلاء ؟ – وقام . وكتب إلى المهديّ فورد الكتاب بعزله . فأتاه الليث وجلس إلى جنبه وقال للقارئ : أقرأ كتاب أمير المؤمنين !

[186 ب] فقال له إسمَاعيل : يا أبا الحارث ، وما / كنت تصنع بهٰذا ؟ أما والله لولا أمرُ السلطان [3] ، ثمّ لو أمرتَني بالخروج لخرجتُ .

فقال له الليث : إنّك ما علمتُ لعفيفٌ عن أموال الناس .

وقال ابن عبد الحكم : كتب فيه الليث إلى المهديّ : إنك ولّيتَ رجلاً يكيد سنّة رسول الله ﷺ بين أظهرنا ، مع أنّا ما علمنا عليه في الدينار والدرهم

(1) عند الكندي : الّا ذلك . وعند ابن حجر : وهل يقال هٰذا ؟
(2) في المخطوط : حبر . والإصلاح من رفع الإصر 1 / 126 .
(3) هٰذه الجملة غير موجودة في رفع الإصر ، وهي بعد غير مفيدة .

إلّا خيراً – فكتب بِعزله .

وفي رواية : كتب الليث فيه : إنّا لم ننكر عليه شيئاً غيرَ أنّه أحدث أحكاماً لا نعرفُها .

وقال ابن عُفَير : إنّ إسمَاعيل بن الربيع كان رجلاً صالحاً . وكان إبراهيم ابن صالح بمِصر أميراً ، وسراج بن خالد على البريد ، فأراداه على الحكومة لهما بشيءٍ فامتنع . فاحتالا له بعسّامة بن عمرو فأدخله حمّامه وأطعمه سمكاً فمرض . فكتب إبراهيم بن صالح وسراج بن خالد إلى المهديّ يذكر[ان] أنّه فلج . فكتب بصرفه ، فرُدّ الأمر إلى غوث بن سليمان [الحضرمي الصوراني] ، وكان صرفُه في سنة سبع وستّين ومائة .

765 – أبو الطاهر العقيليّ المقرئ [454 – 523] [1]

إسماعيل بن ظافر بن عبد الله العقيلي ، أبو الطاهر ، المقرئ .

ولد سنة أربع وخمسين . وسمع من عليّ بن هبة الله الكامليّ ، وسعيد المأمونيّ ، وعبد الرحمان السيفيّ ، والبوصيريّ ، وأبي محمد بن برّيّ ، وغيرهم .

وتصدّر بالجامع الطاري [2] ، وأخذ عند جماعة .

ومات في رجب سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة .

....

(1) طبقات القرّاء 1/ 165 (768) وفيه : إسماعيل بن ظاهر .

(2) هكذا في المخطوط ، ولم نجد لهذا الجامع ذكراً بالخطط .

766 – القاضي علم الدين الصويتي [549 – 610] [1]

إسماعيل بن عبد الجبّار بن يوسف بن عبد الجبّار بن شبل بن عليّ ، القاضي علم الدين ، أبو الطاهر ، ابن القاضي الأجلّ الأكرم أبي محمد ، ابن القاضي الأجلّ أبي الحجّاج ، الجذاميّ الصويتيّ ، المقدسيّ الأصل ، القاهريّ المولد والدار .

مولده في سنةِ تسع وأربعين وخمسمائة . وقرأ الأدب على آبن برّيّ ، وصحب شيخ الديوان يومئذ ، السديد أبا القاسم ، المعروف بكاتب ناصر الدولة ، وكان أحد فضلاء زمانه ، فآنتفع بصحبته .

وسمع بالإسكندريّة من السلفيّ .

وحدّث بدمشق .

وتولّى ديوان الجيوش وغيرها للسطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيّوب ، ولابنه الملك العزيز عثمَان ، وللملك الأفضل علي بن صلاحُ الدين ، وللملك العادل أبي بكر بن أيّوب .

فلمّا ولي الصاحب صفيّ الدين عبد الله بن عليّ بن شكر وزارة الملك العادل ، وأخذ في الإيقاع بأكابر مصر ، فرّ منه إلى حلب ، وأقام بها حتى مات فيها لليْلَتَيْن بقيتا من ذي القعدة سنة عشر وستمائة .

وله شعر وترسّل . ومن العجب أن العلَم هٰذا وولَده عاشا عمراً واحداً ،

(1) الوافي 9/ 141 (3043) ؛ تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب لآبن الفوطيّ ج 4 قسم 1) ، تحقيق مصطفى جواد ج 1 ص 568 رقم 824 : ذكر آسمُه لا غير .

وهو إحدى وستّون سنة ، وتوفّيا في ذي القعدة ، وولي كلّ منهما ديوان الجيش عشرين سنة .

ووالده عبد الجبّار أحدُ كتّاب الدولة الفاطميّة . وجدّه أبو الحجّاج يوسف ولد بالقدس [1] وقدم إلى مصر وآشتغل بالفقه ، وتولّى الحكم بالغربيّة وغيرها .

وكان للعَلَم هٰذا ولدان ، هما أبو الحسين ضياء الدين محمد ، وأبو الحجّاج جمال الدين يوسف ، كانا فاضلين .

وقد ذكر الجميع في هٰذا الكتاب [2] .

767 – نبيه الدين الأنصاريّ الكاتب [533 – 613] [3]

إسماعيل بن عبد الرحمان بن أحمد ، الشيخ أبو الطاهر ، نبيه الدين ، الأنصاريّ ، الكاتب .

سمع من الحافظ السلفيّ ، وأبي محمد عبد الله بن عطّاف بن ثعلب [4] المالكيّ ، والأديب أبي الحسن عمارة اليمنيّ ، وأبي الحسن عليّ بن إبراهيم بن نجا الأنصاريّ ، وغيرهم ، وحدّث .

وتولّى الاستيفاء بديوان الأحباس بمِصر .

ومولده سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة ثالث عشرين ذي الحجّة ، وكتب بخطّه الحسن كثيراً .

وتوفّي ليلة العشرين من شعبان سنة ثلاث عشرة وستمائة .

(1) في المخطوط : بالقبس ، وسبق أن قال : المقدسيّ الأصل .
(2) ترجمة الولَدَيْن مفقودة .
(3) التكملة لوفيات النقلة 2 / 377 (1483) .
(4) في التكملة : ابن ثعبان .

768 - فخر الدين الإمام الإسنائيّ [- 720][1]

إسماعيل بن عبد القويّ بن الحسن بن حيدرة الحميريّ ، الإسنائيّ الأصل ، القرَميّ ، المعروف بالإمام .

تفقّه على البهاء القفطيّ . وأمّ بالمدرسة [العزيّة] بإسنا ، وناب في الحكم في منشأة إخميم ، وطوخ ، والمراغة .

ثمّ نزل قوص إلى أن مات في جمادى الآخرة سنة عشر[ين] وسبعمائة . ذكره الكمال جعفر .

769 - أبو الطاهر الديباجيّ [- 572]

إسماعيل بن عبد الرحمان بن يحيى بن إسماعيل ، العثمانيّ ، الديباجيّ ، أبو الطاهر / [. . .][2] .

توفي يوم الأربعاء [. . .] ذي القعدة سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة .

770 - الحافظ تقيّ الدين الأنمَاطي [- 619][3]

إسماعيل بن عبد الله بن عبد المحسن بن أبي بكر بن هبة الله بن حسن بن عبد الله ، الحافظ ، تقيّ الدين ، أبو الطاهر ، الأنصاريّ ، المصريّ ،

(1) الوافي 9/ 145 (4048) ؛ الطالع السعيد 161 (91) ؛ المنهل 2/ 397 (435) ؛ الدرر 1/ 393 (934) وفيها : لقبه فخر الدين .

(2) سقوط في المخطوط بين اللوحتين ، والتعليقة لا توافق رأس اللوحة الموالية .

(3) الوافي 9/ 146 (4051) ؛ شذرات 5/ 84 ؛ **النجوم** 6/ 254 ؛ والترجمة مكرّرة تباعاً وجعلنا بين مربّعين ما زاد .

الأنمَاطيّ ، الشافعيّ .

ولد بمِصر وسمع بها من أبي عبد الله محمد بن عبد المولى ، وأبي القاسم هبة الله بن عليّ البوصيريّ ، وأبي الحسن شجاع بن محمد بن سيدهم الدلجيّ ، وجماعة كبيرة .

وسمع بمَكّة من أبَوَي عبد الله محمد بن عبد الله الإسكندراني ، ومحمد بن إبراهيم بن أحمد الشيرازيّ ، وغيرهما .

ودخل إلى دمشق سنة آثنتين وتسعين وخمسمائة ، وآستوطنها وآنقطع إلى الحافظ أبي القاسم علي بن عساكر وسمع منه كثيراً . وسمع من التاج [أبي اليمن زيد بن الحسن] الكنديّ ، وأبي القاسم عبد الصمد بن محمد الحرستانيّ ، وجماعة كثيرة .

ثمّ حجّ . ودخل بغداد ، فسمع بها من حنبل بن عبد الله بن فرح [البغداديّ] وأبي حفص بن طبرزد ، وغيرهما .

ودخل واسط ، وسمع بها [من أبي الفتح محمد بن أحمد بن بختيار وغيره] .

وعاد إلى دمشق . ثمّ قدم مصر في سنة ثلاث وستمائة ، وحدّث بها بشيء من مجموعاته . وحدّث بدمشق . وكتب الكتب ، وحصّل كتباً كثيرة .

وتوفّي بدمشق في ليلة الثالث عشر من شهر رجب سنة تسع عشرة وستمائة .

[وكان أوّلاً مالكيّ المذهب ، ثمّ انتقل إلى مذهب الشافعيّ ، وبلغت عدّة مشايخه ألف شيخ] .

771 – أبو الحسن النحّاس المقرئ [– بعد 280] [1]

إسمَاعيل بن عبد الله بن عمرو بن سعيد بن عبد الله ، أبو الحسن ، النحّاس ، مقرئ الديار المصريّة .

جوّد القرآن على أبي يعقوب الأزرق صاحب ورْش . وتصدّر للإقراء مدّة ، وقرأ عليه خلق لإتقانه وتجويده وبصره بقراءة ورش . وكان قد قرأ على الأزرق سبع عشرة ختمةً ، وقرأ على عبد القويّ بن كمّونة ختمتَين ، وعلى عبد الصمد بن عبد الرحمان إلى سورة طه ، وهما من أصحاب ورش . وكان يقرئ بمَكتبة بجامع عمرو بن العاص . وكفّ بصره بأخرة .

قرأ عليه أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن هلال الأزديّ ، وحمدان بن عون الخولانيّ ، ومحمد بن خيرون الأندلسيّ ، وأبو الحسن بن شنّبوذ ، وأحمد بن إبراهيم الخيّاط ، وأبو جعفر أحمد بن أسامة التجيبيّ ، وأبو بكر بن أحمد بن أبي الرجاء .

توفّي سنة بضع وثمانين ومائتين [2] .

772 – القاضي عماد الدين ابن درباس [570 – 624] [3]

إسمَاعيل بن عبد الملك بن عيسى بن درباس ، القاضي عماد الدين ، أبو
[187 ب] إبراهيم ، ابن قاضي القضاة صدر الدين أبي القاسم / ، المارانيّ ، الشافعيّ .

---

(1) الوافي 9 / 146 (4050) وهو فيه : ابن عبد الله بن عمر ؛ طبقات القرّاء 1 / 165 (770) .

(2) الوافي : في حدود التسعين ومائتين .

(3) الوافي 9 / 153 (4058) .

مولده بالقاهرة لأربع خلون من شوّال سنة سبعين وخمسمائة . سمع من والده . ومن أبي القاسم البوصيريّ ، والحافظ أبي محمد القاسم بن عساكر ، وأبي بكر عبد العزيز بن أبي الفتح البغداديّ .

وسمع بالمدينة النبويّة من الشيخ أبي محمد جعفر بن أموسان الأصبهاني ، وأبي الحسين يحيى بن عقيل البغداديّ . وأجاز له جماعة كثيرة .

وحدّث بمكّة والقاهرة . وناب عن والده في القضاء . ودرّس بالمدرسة السيفيّة في القاهرة إلى حين وفاته في الثاني عشر من شهر رمضان سنة أربع وعشرين وستّمائة .

وكان عارفاً .

773 - الظافر العبيديّ [527 - 549] (1)

إسماعيل بن عبد المجيد بن محمد بن معدّ بن عليّ بن منصور بن نزار بن معدّ بن إسماعيل بن محمد بن عبيد الله ، الإمام الظافر بأمر الله ، أبو المنصور ، أمير المؤمنين ، ابن الحافظ لدين الله أبي الميمون ، ابن الأمير أبي القاسم ، ابن الظاهر ، ابن الحاكم ، ابن العزيز ، ابن المعزّ ، ابن المنصور ، ابن القائم ، ابن المهديّ .

ولد يوم الأحد نصف ربيع الآخر سنة سبع وعشرين وخمسمائة . وبويع بالخلافة بعد موت أبيه يوم الأحد خامس جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسمائة ، وعمره سبع عشرة سنة وأربعة أشهر وعشرة أيّام ، بعهدٍ من أبيه . وكان أصغر إخوته ، ولقّب بالظافر بالله . وآستوزر الأمير نجم الدين أبا الفتح سليم بن محمد بن مصال . فخرج عليه الأمير المظفّر أبو الحسن عليّ بن إسحاق

(1) وفيات 1/ 237 (99) ؛ اتّعاظ 3/ 193 ؛ الوافي 9/ 151 (4057) .

آبن السلار وآستولى على الوزارة إلى أن قتل .

فقام من بعده بأمر الدولة المظفّر أبو نصر عبّاس ابن أبي الفتوح ، وكان الظافر قد آختصّ بولده ناصر الدين نصر بن عبّاس وآتُّهم به . فأنكر عليه أبوه ما يقال في حقّه . فأراد البراءة ممّا رُمي به ، وسأل الظافر أن يأتيه ليلة ليتفسّحا . فنزل إليه في ليلة الخميس سلخ المحرّم سنة تسع وأربعين وخمسمائة وهو متنكّر ، ومعه خادمان . فقتله ورماه في جبّ ، ومعه أحد الخادمَين ، وغطّاه برخامة بيضاء . وفرّ الخادم الآخر إلى القصر . فكانت مدّته أربع سنين وسبعة أشهر وأربعة عشر يوماً . وعمُره إحدى وعشرون سنة وعشرة أشهر تنقص خمسة أيّام .

وكان محكوماً عليه من الوزراء . وفي خلافته ملك الفرنج عسقلان ، وظهر الخلل في الدولة . وكان كثير اللهو واللعب مع جواريه ، مقبلاً على سمَاع الغناء .

وأنشأ الجامع الظافريّ بالقاهرة المعروف بجامع الفكّاهين بخطّ الشوّائين .

وقام في الخلافة بعده آبنه الفائز بنصر الله أبو القاسم عيسى .

774 - أبو هاشم المقدسيّ قاضي مصر [- 325] (1)

إسمَاعيل بن عبد الواحد بن محمد ، أبو هاشم ، الربعيّ ، المقدسيّ ، الشافعيّ . أحد قضاة مصر .

تمَكّن من الأمير أبي منصور تكين تمكُّناً زائداً ، حتى سلّم إليه قضاء مصر لعشر خلون من صفر سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة وبسط يده في الأحكام . فآستكتب أبا محمد بكر بن محمد بن بدر الصيرفيّ الحنفيّ الذي ولي القضاء فيمَا بعد .

وتجبّر وآعترض في كلّ شيء . وقد كان قبل ولايته يتحدّث مع تكين حتى

(1) الولاة والقضاة ، 484 ؛ رفع الإصر 1 / 123 .

حمله على أن بعث بحكم صاحب الشرطة إلى المسجد الجامع . وأقام كثيراً من المالكيّين والشافعيّين والحنفيّين من حلقهم ، ولم يدع في الجامع إلّا خمس حلق :

حلقة أبي جعفر الطحاويّ .

وحلقة أبي بكر الرازيّ .

وحلقة أبي بكر محمد بن رمضان [الزيّات] .

وحلقة عبد الرحمان [بن إسحاق] الجوهري .

وحلقة ابن عبد الغنيّ .

وعسف في ولايته بجماعة من الشهود . وٱستخلف محمد بن عليّ العسكريّ على الفروض[1] وهمّ بإسقاط شهادة جماعة في نفسه عليهم شيء ، وجمع الشهود ليركبوا معه إلى تكين . فركبوا ووقفوا على بابه فخرج ، وقد قدّمت بغلتُه . فنظر إلى الجماعة وقال لهم : ألم يكن معكم أبو بكر محمد بن رمضان ؟

قالوا : نعم .

قال : وأين هو ؟

قالوا : هو ماشي .

فنظر إليه قائمًا فقال : قدّموا له / بغلتي ، وأسرجوا إليّ بغلة أخرى . [188 أ]

فقدّمت بغلتُه إلى أبي بكر محمد بن رمضان بالسرج المرتفع ، وأسرج لأبي هاشم . فلمّا ركب قال لابن رمضان : سر ! – فسار وسار أبو هاشم والجماعة خلفه . وقال : هٰذا مكافأة من أتانا ماشياً .

فشكرته الجماعة . وكان هٰذا من محاسنه .

فلمّا مات الأمير تكين ، وشجر ما بين الأمير محمد بن تكين وبين محمد بن

(1) في المخطوط : الفرض .

علي الماذرّائي صاحب الخراج ومتولّيه . وتحاربا ، فقوي أبو بكر محمد بن عليّ الماذرّائي ، ونظر في أمر البلد ، رفع إليه جماعة من الشهود على القاضي أبي هاشم ، وكان في نفسه عليه شيءٌ من أيام تكين . فأرسل يأمره بأن لا تحكُمْ بين الناس وآستخلف أبا بكر محمد بن عليّ العسكريّ .

فوقعت الفتنة بمِصر بين المصريّين وأصحاب تكين ، فنُهبت دار أبي هاشم وأُخذ جميع ما فيها . وآستتر خوفاً على نفسه وقد أودع بضعة عشر ألف دينار عند شخصٍ فخانه في أكثرها .

ثمّ سار في آستتاره إلى الرملة ، فكانت مدّة ولايته شهرين ، وبقيت مصر بغير قاض . وقام جماعة من الفقهاء بكتابة محضر عليه وساعدهم أبو بكر العسكريّ . فأتاه الفقيه أبو بكر محمد بن أحمد بن الحدّاد بعد عتمة ووبّخه على مساعدته لأعداء أبي هاشم ، فذكر العسكريّ عنه أموراً . فما زال به ابن الحدّاد حتى صرفه عن ذلك وأبطل كتابة المحضر . فأقام أبو هاشم بالرملة خمسَ سنين حتى ملك الأمير أبو بكر محمد بن طغج الإخشيد ، فبعث يستدعيه ، فإذا به قد فُلج وقال للرسول : قل للأمير ما قال الجاحظ وقد طلبه بعض الملوك : ما تصنع بشقّ مائل ، ولعاب سائل ، وعقل فائل ؟

ومات بالرملة سنة خمس وعشرين وثلاثمائة . وكان من كبار الفقهاء الشافعيّة يجمع بين الحفظ والفهم ، إلّا أنّه كان جبّاراً .

775 – أبو الطاهر ابن عطيّة الجذامي [– 570]

إسمَاعيل بن عبد الوهاب بن عطيّة ، أبو الطاهر ، الجذاميّ .

سمع الحديث ، وتفقّه بالإسكندرية .

ومات في أوائل المحرّم سنة سبعين وخمسمائة عندما هجم الفرنج الثّغر فآزدحم الناس في الأبواب فمات .

776 – إسماعيل ابن أبي المهاجر [– 107] [1]

إسمَاعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر أكرم ، أبو عبد الحميد ، مولى بني مخزوم .

حدّث عن عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عبّاس .

وحدّث عنه عمران بن عوف الغافقي ، والحرث بن مزيد ، وبكر بن سوادة ، وعبيد الله بن أبي جعفر .

سكن إفريقية . وكان له عبادة وفضل . وكانت عادة خلفاء بني أمية إذا أتتهم جباية الأمصار إلى الشام ، أتى معها رجال من خيار تلك الأجناد والأمصار يحلفون بالله [أنه] ما فيها درهم إلّا أُخذ بحقّه ، وأنّه فضل عن أعطيات ذلك البلد من المقاتلة والذرّيّة بعد أخذ كلّ ذي حقٍّ حقّه . فإذا حلفوا أُدخِل ذلك المال إلى بيت المال .

فأتى وفد إفريقية بخراجها بعد أعطيات الأجناد وفرائض الناس في زمن سليمَان بن عبد الملك . فحلف قوم من الوفد ونكل إسمَاعيل بن عبيد[الله] ، ونكل بنكوله السمح بن مالك الخولانيّ ، وقالا : لا نحلف لأنّه أُخِذ على الظلم والغشم .

فأمر سليمَان بن عبد الملك بردّ المال . وأعجب عمر بن عبد العزيز ما كان من فعلها وضمّهُا إلى نفسه ، فأختبر منهما صلاحاً وفضلاً . فلمّا استخلف بعد موت سليمَان بن عبد الملك استعملها معاً ، فولّى إسمَاعيل إفريقية ، والسمح الأندلس في سنة مائة . ولّى إسمَاعيل إفريقية على حربها وخراجها وصدقاتها .

---

(1) الوافي 9 / 154 (4062) ؛ شذرات 1/ 181 .

وسار بحسن سيرة ، فلم يبقَ في ولايته أحدٌ من البربر إلّا أسلم .

فلمّا مات عمر بن عبد العزيز في رجب سنة إحدى ومائة وقام بعده يزيد ابن عبد الملك ، عزل إسمَاعيل وولّى يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجّاج .

وغرق إسمَاعيل ببحر الروم سنة سبع ومائة .

وقال عبد الله بن المغيرة : قلت لسعيد بن المسيّب : إنَّ عندنا رجلاً من
[188 ب] الأنصار يقال له / إسمَاعيل بن عبيد ، من العبّاد ، إذا سمعنا نقول شعراً صاح علينا .

فقال : ذاك رجل تنسّك بنُسك العجم .

777 - الرشيد ابن المعلّم [623 - 714][1]

إسماعيل بن عثمان بن محمد بن عبد الكريم بن تمّام بن محمد ، رشيد الدين ، أبو الفداء ، المعروف بابن المعلّم ، القرشيّ ، الحنفيّ ، شيخ الحنفيّة في عصره .

ولد بدمشق في رجب سنة ثلاث وعشرين[2] وستمائة . قرأ القراءات السبع على السخاويّ . وسمع من أبي عبد الله الحسين ابن الزبيديّ ، وابن الصلاح ، وعزّ الدين النسّابة ، وأحمد بن مسلمة وطبقتهم .

وتفقّه على الجمال محمود الحصيريّ . وعليه تفقّه شمسُ الدين الحريريّ وغيره .

وعمّر حتى انفرد . وأفتى ودرّس وحدّث .

---

(1) الوافي 9 / 155 (4064) ؛ الدرر 1 / 394 (937) .

(2) في المخطوط : ثلاث عشرة . والإصلاح من الوافي ومن الدرر . ولو أخذنا بقراءة المخطوط لتجاوز المائة ، وهو المتوفّى في سن التسعين .

فلمّا كان الجفل سنة تسع وسبعمائة قدم فيمَن قدم إلى القاهرة ، فحدّث بها . وأقام حتى مات في الخامس من شهر رجب سنة أربع عشرة وسبعمائة عن إحدى وتسعين سنة .

وكان من كبار أئمّة العصر في الفقه والعربيّة والقراءات . لكنّه كان ضيّق الخلق ، فلم يقدر الناس على الأخذ عنه .

وكان الشيخ تقيّ الدين محمد بن دقيق العيد يعظّمه ويُثني على علمه وفضله وديانته . وكان لديه زهدٌ وانقطاع عن الناس . وعُرض عليه قضاء دمشق فآمتنع .

ومن شعره [كامل] :

كبر وأمراض ووحشة غربة ... معَ سوء حال قد جُمِعْنَ لعاجزِ
لولا رجاءُ تفضّلٍ من راحمٍ ... حتماً لخاب ولم يكن بالفائزِ
بئس الصفاتُ لمَن غدت أوصافه ... هٰذي الصفات ، وما المهاث بناجز
يا ربّ أَنجز رحمةً تحيي بها ... الفضل فضلك ما له من حاجز

778 - ابن أبي النّمر [630 -]

إسماعيل بن عليّ بن محمد بن عبد الواحد بن أبي النّمر [. . .] . ولد بدمشق سنةَ ثلاثين وستمائة .

وقدم القاهرة . ومدح الصاحب الوزير زين الدين يعقوب بن الزبير في سنة ثمَان وخمسين .

ومن شعره يصف غلاماً يَمُدّ الشريط [وافر] :

حكيت شريطه لوناً وسقماً ... على أنّا كلينا في يديه
ويربح أجره من دون أجري ... فيبعدني ويجذبه إليه

وقال [الرمل] :

جانب الشرّ فحتف الـ ـمرء يجنيه لسانُهْ
وٱعتبر بالرمح ما حَـ ـطّمَه إلّا سنانُهْ

وقال يعاتب صديقاً [كامل] :

لمَ أنتَ في ودّ الصديق مفرّط ترضى بلا سبب عليه وتسخط ؟
يا مَن تلوّن في الطباع ، أما ترى ورقَ الغصون إذا تلوّن يسقط ؟

وقال في وصف النهر [منسرح] :

والنهر قد جنّ بالغصون [جوًى] فصار في نفسه يُميلها
وغار فيه النسيم عاشقها فجاء عن وصله يُميلها

وقال [طويل] :

كأنّ شعاع الشمس بعد غروبها على النيل لمّا زانه بخضابه
نديمُ عقار ملّ من صِرف كأسه فبدّدها في الماء قبل ذهابه

779 – سراج الدين المهدويّ [– 635] [1]

إسماعيل بن عليّ بن يوسف ، الكاتب الأديب ، سراج الدين ، أبو الطاهر ، الحميريّ ، المهدويّ .

[189 أ] اشتغل / على أبي الخير سلامة بن عبد الباقي النحويّ ، والشريف النسّابة محمد بن أسعد الجوّاني .

ورحل إلى بغداد وسمع بها . وكتب على ابن البرقطيّ .

(1) الوافي 9 / 160 (4082) وفيه أنّه من ولد المعزّ بن باديس .

وتوفي بقرافة مصر في العشر الأوسط من ذي القعدة سنة خمس وثلاثين وستمائة ، وبها دفن .

780 – المنصور العبيديّ [301 – 341]

إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن محمد بن جعفر بن محمد بن إسماعيل ابن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، الإمام المنصور بالله ، أبو الطاهر ، أمير المؤمنين ، ابن الإمام القائم بأمر الله أمير المؤمنين أبي القاسم ، ابن الإمام المهدي بالله أبي محمد .

ولد برقّادة سنة إحدى وثلاثمائة ، وهو الصحيح . وقيل : ولد بالعراق ، وهو خطأ . وقيل : ولد سنة اثنتين وثلاثمائة .

تولّيه الخلافة بعد أبيه القائِم

وأقام إلى أن أظهر القائِم بأمر الله أمره وفوّض إليه عهده في يوم الاثنين لسبع خلون من شهر رمضان سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة . وكانت سنُّه إذ ذاك ثلاثاً وثلاثين سنة . فقال محمد بن قاسم التونسي[1] من قصيدة [طويل] :

شهِدْتُ بأنَّ الله بالغيب عالمٌ وأنَّ أميرَ المؤمنين مُوَفَّقُ
لقد كانت الأيامُ خُرْساً فأصبحَتْ لها أَلْسُنٌ بالشكر لله تَنطِقُ
أميرٌ تَمَنَّتْهُ الإمامةُ مُذْ نَشَا وتصبو إلى أخلاقه وتَشَوَّقُ
وكانت عيونُ الأمر من شفَقٍ على رِقْبَةٍ ترنو إليه فتُطرِقُ

وقالت فيه الشعراء فأكثرت .

(1) نشرنا ما عثرنا عليه من شعره في كتابنا : الأدب بإفريقيّة في العهد الفاطميّ . وانظر كذلك طبعتنا لكتاب الداعي ادريس : عيون الأخبار المعنون بتاريخ الخلفاء الفاطميّين بالمغرب ، ص 342 .

ثمّ كان يوم الفطر من هذه السنة ، فخرج ، وهو وليّ العهد ، من قصره ، وقد حفَّ به بنوه وإخوتُه وعمومتُه وجنده وعبيده وعامَّة الناس يدعون له ويزدحمون عليه ، فصلَّى بالناس وصعِد المنبر وخطب خطبة بليغة .

وتوفّي القائِم بأمر الله لثلاث عشرة خلت من شوَّال هٰذا [سنة 334] . فكتم المنصور بالله موته ولم يظهر عليه حزناً ، خوفاً أن يتّصل ذلك بأبي يزيد مخلد ابن كيداد النكّاري ، وهو بالقرب منه ، فيستأسد وتقوى عزيمته . فأبقى الأمور على حالها وأكثر العطايا والصلات ، ولم يتسمَّ بأمير المؤمنين فكانت كتُبه تنفذ : من الأمير إسمَاعيل وليّ عهد المسلمين إلى أمير المؤمنين .

واستفتح أموره بإطلاق المحبوسين الذين حبسهم القائِم بسبب القدح في الدولة ، وقتل الرجال الذين كانوا يسعَوْن في فساد الدولة وخراب المملكة . ووصل الفقراءَ والمساكين ، ووجَّه مراكب كثيرة مشحونةً بالطعام إلى فقراء مدينة سوسة المستورين بها ففرِّقت فيهم ، لِمَا قاسَوه من حصار أبي يزيد ، فاتّسع ببركة أيّامه الحاضر والبادي ، والشاسع والداني . وأقرَّ الأمور على حالها ولم يُغيِّر السكَّةَ ولا البنود . وأقام على ذلك بقيَّة سنة أربع وسنة خمس وثلاثين .

وكان القائِم بأمر الله قد عقد الأمر في حياته لابنه قاسم[1] فمَاتَ قاسم ، ورجع الأمر إلى إسمَاعيل في الوقت المقدّم ذكره ، دون عمومته وإخوته[2] . فلمَّا كانت سنة ستّ وثلاثين أظهر إسمَاعيل موت أبيه بعد أن أمكنه الله من أبي يزيد ، فتسمَّى حينئذ بأمير المؤمنين .

---

(1) لم يرد اسم قاسم هذا في أبناء القائم كمَا عدَّدهم المقريزي في ترجمته للخليفة الثاني (ترجمة القائم رقم 2641) .

(2) الوراثة لا تنتقل إلى الإخوة في تقاليد الإسماعيلية ، فلا وجه لهذا التوضيح من المقريزي ، إلّا إذا أراد أن يلمِّح إلى المنافسات التي انجرّت عن تعيين المنصور والتي نجد صداها في المجالس والمسايرات للقاضي النعمان وفي سيرة جوذر .

استعداده لحرب أبي يزيد

ولمَّا أفضى الأمر إليه أخذ في أهبة السفر وأعدَّ السلاح وآلة الحرب وألقى المراكب في الماء وشحنها بالرجال والسلاح والعُدَّة ، ووجَّه بعضها إلى مدينة سوسة وقوَّد عليها رشيقاً الكاتب ، فوصل إليها لإحدى عشرة خلت من شوَّال . ثمّ ركب لعشرٍ بقين منه إلى دار الصناعة ، وأمر يعقوب بن إسحاق أن يشحن ستّة مراكب بالرجال من ساعته ففعل . فأمره أن يركب فيها فعظم ذلك عليه ، وسأله أن يَمضي إلى داره لوداع أهله فمَنعه من ذلك ، وأمره أن يَمضي / [189 ب] بالمراكب إلى سوسة ويلتقي مع رشيق وقال : « لا تقاتلوا أحداً حتى يأتيكم رسولي ، وإنْ طلب أبو يزيد والبربر قتالكم فلا تقاتلوهم » . فتوجّه يعقوب لا يدري أحد ما أسرَّ إليه .

ثم قال لجماعة كتامة والعبيد : « وافُوني بالغداة في قرية « بكَّة » بسلاحكم وعدَّتكم ، فإني أريد أن أتنزّه وأرى آثار العدوّ » – يعني أبا يزيد – وقرية بكَّة على ميلين من المهديّة . فبكّر من قصره في شرذمة من عبيده وخدمه قبل الصبح من يوم الاثنين لتسع بقين من شوَّال ووافته العساكر فتوجَّه بهم مع الساحل يريد مدينة سوسة ، وهم لا يدرون إلى أين يقصد ومع ذلك يخافون من أبي يزيد لما يعلمون من قوَّته وكثرة عدده . فبلغ قرية « لمطة » ، وهي نصف الطريق من المهديَّة إلى سوسة . فاجتمع الناس إليه وسألوه عن مراده وأن لا يخاطر بنفسه وبهم . وكانت [1] عدَّتهم ستّمائة فارس . فقال لهم : « قد عزمتُ على التّمَادي إلى هذا العدوّ بنفسي » . فسألوه وتضرَّعوا إليه في الرجوع حتى أذعن . فدعا كبون بن تصولا وقدَّمه إلى سوسة ووصَّاه ، فتوجَّه ، وقد حار من قوَّة العدوِّ وشدَّة شوكته لأنّه كان في زيادة على مائة ألف وكبّون في أربعمائة فارس . وقدم المنصور بمَن معه إلى المهديّة فوافاها صلاة المغرب .

(1) في المخطوط : وكان .

فكّ الحصار عن سوسة

فلمَّا كان صباح يوم الثلاثاء قرَّب يعقوب مراكبه إلى البرِّ وأنزل رجاله في هدوء وسكون بالقرب من الباب . فجلسوا تحت دَرَقِهم ، ووقف راكباً في وسطهم فخرج إليه رشيق بمَن معه ، والرماة يحمونه من أعلى السور . فلمّا رآهم أبو يزيد وتأمّل سكونهم قال : « هؤلاء قوم ينتظرون غيرهم » . وقرب كبّون من أبي يزيد ، فركب أبو يزيد بجمُوعه ، وخرج أهل سوسة مع رجال المنصور ، فاقتتلوا قتالاً شديداً فانكسر أبو يزيد وانهزم إلى القيروان ثمّ توجّه إلى ناحية سبيبة . وغنم أصحاب المنصور أثقاله ، وقتلوا من أصحابه خلقاً كثيراً .

فخرج المنصور لمَّا بلغه فتح سوسة في يوم الأربعاء لسبع بقين منه ، فوصل إلى سوسة ونزل ظاهرها ، وأتاه خبر رحيل أبي يزيد عن القيروان فسرَّه ذلك ، وكتب كتاباً يؤمّن فيه أهل القيروان . وأصبح راحلاً إلى مدينة القيروان فخيّم خارج المدينة يوم الخميس لستّ بقين منه ، وهو في قلَّة من العسكر مع ضعف الدوابّ . فخرج إليه الناس فأمَّنهم ووعدهم خيراً .

ووجد بالقيروان جماعة من حرم أبي يزيد ونسائه وأولاده فجمعهم وكساهم وحملهم إلى المهديّة وأجرى عليهم الأرزاق .

وولَّى قضاء القيروان محمد بن أبي المنظور [1] . وكتب إلى القبائل التي بجبال إفريقية يأمرهم بالقدوم ، فتثاقلُوا عنه . وجمع أبو يزيد قبائل البربر حتى صار في خلق كثير وكان على يومين من مدينة القيروان ، فأوقع أصحابه بكبون بن تصولا وقتلوه [2] بعد حروب شديدة وقتلوا معه عدداً كبيراً . فعزم المنصور على حفر

(1) سيبقى ابن أبي المنظور قاضياً على القيروان إلى وفاته سنة 337 . وانظر ترجمته في رياض النفوس ، 2 / 357 .

(2) عند الداعي إدريس ، 359 ، أنّه قتل في كمين نصبه فضل بن أبي يزيد . وكان كبون والياً على طبنة في بداية الثورة المخلديّة . وفي مخطوطنا هذه المرّة : كبون بن تصولات .

خندقٍ على معسكره وشاور في ذلك وجوه رجاله ، فكلُّهم كَرِه حفرَه وقالوا : « هٰذه ذلَّة » . فقال لهم : إنَّ النبيّ ﷺ قد حفر خندقاً وتحصَّن به ، ونحن أولى أن نفعل فعله ونتأدَّب بأدبه ونقتفي أثره » . وأمر بحفر الخندق فبُدىء فيه يوم الأربعاء غرّة ذي القعدة ، وأخذ فيه الناس بالجدِّ .

القتال حول القيروان

وأقبل أبو يزيد إلى القيروان ونزل قريباً منها . وزحف ليلة الجمعة لثلاث خلون منه مخفًّا ليبيّت العسكر . وكانت ليلة مظلمة فأخطأ الطريق فلم يصل إلّا عند الفجر . فقامت الحرب على ساق ، وركب المنصور وعبّأ الصفوف ، والقتال يشتدُّ وهو يكرّ على العدوّ يَميناً وشمالاً ، وهو في قلَّة من أصحابه ، والمظلَّة على رأسه فصارت كالعَلَم يعرف بها . ونزل على موضعه وحوله نحو خمسمائة فارس ، وأبو يزيد في زائد على ثلاثين ألف فارس . فهزم البربرُ أصحاب المنصور حتى أدخلوهم الخندق / وهرب جماعة منهم إلى داخل القيروان [190 أ] ونهبت فازات كثيرة حتى بقي المنصور في تقدير عشرين فارساً من خدَمه الذين لا يعرفون القتال . فأقبل أبو يزيد في جماعة يريد المنصور . فحمل عليهم المنصور مشهّراً سيفه ذا الفقار[1] . وأراد الصقلبيّ أن يُلقي المظلَّة عن رأسه ليخفيَ موضعَه فزجره ونهره وقال : « لا تجزع فإنَّ لله وعداً لا يُخلِفُه » . وأقبل نحو أبي يزيد حتى كاد أن يضع سيفه في رأسه ، فألقى الله الرعبَ في قلب أبي يزيد فولَّى هارباً مع أصحابه ، فقتل من أدرك منهم وثبت مكانه ومسح الغبار عن وجهه بكمّه وقال لمن حوله منْ النجّابين[2] ، ولم يبقَ منهم غير أربعة : « اذهبوا فردُّوا الناس ! » وقد أخذ كثير منهم طريق المهديَّة وطريق سوسة ، فرجع من كان قريباً

....

(1) السيف ذو الفقار : انظر في شأنه المجالس والمسايرات للنعمان ، ١١٤ ، ووقعة صفّين لنصر ابن مزاحم ، 546 ، وعيون الأخبار ، 732 .

(2) النجّاب : الساعي الذي ينقل البريد وطلباتِ الأمير من مكان إلى مكان راكباً على نجيب ، أي فرس أو جملٍ .

منه وأتوه من كلّ جهة فقال لهم وهو يبتسم : «ٱدخُلُوا في [كُمِّي !]» . فاستحيى القوم منه . وكثر العجب من ثباته هذا الثباتَ مع أنه لم يحضر قتالاً قبله . وكان نساء أهل القيروان فوق الأسطحة يصرخن ويبكين ويرمين المنهزمين بالحجارة ويقلن : «يا كلاب ، تركتم مولاكُم ، أخرجتموه من حصنه وأسلمتُمُوه ! » . وماج أهل البلد خوفاً [1] من البربر ، وعاود الفريقان القتال وتمَادى بينهم إلى بعد الظهر فقتل بينهم خلق كثير ، وكان يوماً شديدَ الحرِّ ، فانصرف البربر إلى معسكرهم . فكان هذا اليوم من الأيّام المشهورة ، وقد وصفه جماعة من الشعراء . [و]قال أبو يزيد لمَّا رجع إلى مناخه : «ما رأيت قطّ أثبت من إسمَاعيل ولا أشجع . هذا يصلح أن يكون ملكاً» . وفي ذلك يقول محمد بن الحرث [2] الأبروطي من قصيدة طويلة [طويل] :

ولم أرَ كالمنصور بالله ناصراً لدينٍ ، ولا أحمى للملكِ وأمنعَا
ألم ترَ يومَ القيروانِ وقوفَه وقد همَّت الأكباد أن تتصدَّعا ؟
وأبرز عن وجهٍ من الصبر أبيضٍ يقابل وجهاً للكريهةِ أسفعَا [3]

ثمَّ زحف أبو يزيد في يوم الاثنين إلى الخندق فعبَّأ له المنصور ووقف ووقعت الحرب فنادى مناديه : «من أتاني برأس أبي يزيد فله عشرة آلاف دينار» . وكانت في هذا اليوم أعجوبة وقفَ عليها جميع أهل العسكر : وذلك أن رجلاً من البربر حمل بدابَّته إلى أن وقف بالقرب من المنصور فجعل يشتِمُه ويؤنّبه ، فهمَّ الأولياء به من كل وجهٍ ، فزجرهم عنه ، فلمَّا استوفى مقالته رفع المنصور يديه إلى السماء وقال : «اللهمَّ ، خذ لي بحقِّي منه ! » فما هو إلّا أن ردَّ فرسَه

(1) في المخطوط : جموعاً . وأخذنا بقراءة عيون الأخبار ، 362 .
(2) في عيون الأخبار ، 364 : محمد بن سعيد . وكذلك فيما سيأتي .
(3) سيأتي نقل أطول لهٰذه القصيده ، مع شيءٍ من الاختلاف : «أن تتقطَّعا» . وأيضاً «وجه للحفيظة أبيض» .

البربريُّ حتى انقلب عليه الفرسُ فوقع قَربوس[1] سرجه على صدره فمات من حينه وحمل الأولياء عليه فجزّوا رأسه ، فخرَّ المنصور ساجداً على مَعْرفة[2] فرسه . ووقعت الحرب وكانت للبربر . ثمّ اشتدَّ القتال وعظم الحرّ وطلب المنصور الحشود وحثَّ في ذلك ، فتَوَقَّفَ كثير من الناس عنه مخافة أن تكون الغلبة لأبي يزيد . وقدم عليه طوائف فأنزل كلّ طائفة بمَوضع وخندقوا عليهم . فكانت الحرب كلّ يوم مرّة لهم ومرّة عليهم ، وغلب على ظنون أكثر الناس أن أبا يزيد سيَظهر لِمَا رأوا من قوَّته وكثرته . وأخذ أصحابه الناس في الطرقات إلى أن كان يوم الاثنين لعشر بقين منه ، فزحف أبو يزيد بنفسه وأطلق النار في بقية الأنادر[3] ، ونشب القتال ووقف المنصور على باب الخندق يُمدّ العسكر بالخيل والرماة ، وأبو يزيد ثابت . فوجّه المنصور خيلاً ورجالاً ومعهم بندان وركب في أثرهم . فلمَّا رآهم أبو يزيد ترك القتال وتوجّه نحو أخبيته فاشتدَّت الهزيمَة عليه وعلى أصحابه وأثخنتهم الجراح فمات منهم في هذه الليلة خلق عظيم ونقصت خيولهم / بالنشّاب . وعاد المنصور إلى معسكره . [190 ب]

حسن معاملته لحرم خصمه

فلما أصبح أبو يزيد جمع أصحابه وأشار عليهم بترك القتال ، وبثَّ أصحابه ينهبون ، ومنع الميرة عن القيروان إلى أن اشتدَّ بهم الأمر . ثم زحف في نصف ذي الحجّة وقاتل قتالاً شديداً ، وخرج المنصور وقاتل بنفسه حتى هزمهم . ونزل فجلس على كرسيّ والقتال مشتدّ فسأله الأولياء أن يركب ، لخوفهم عليه فقال : « لا تخافوا فإنَّ النصر قريب » . ثم أمر الرُّقَّاصَ[4] أن ينزعوا لجام فرسه

---

(1) قَربوس السرج : حِنوه ، أي القسم الأمامي المرتفع .
(2) المعرفة (وزن مدرسة) : موضع العُرف من الفرس ، أي شعر العنق .
(3) الأنادر مفرده الأندر ، وهو الكوم من القمح ، وأيضاً البيدر .
(4) الرقَّاص : مثل النجَّاب ، هو خادم موكّل بحمل الرسائل . وهو هنا مكلّف بشؤون الأمير الخاصَّة مثل مركوبه . وفي ملحق دوزي أنَّ الكلمة خاصَّة بالمغرب .

ويَسقُوه من بئر هناك ، ففعلوا . وقصد بذلك أن يريَهم قلّةَ اكتراثه بالعدوّ . ثمَّ افترق القتال . فكتب إليه أبو يزيد يسأله في ردّ عياله وأولاده ونسائه ونساء رجاله وأولادهم الذين أُخذوا من القيروان ، وحلف وأكّد الأَيْمَان أنّه إن ردّهم رجع إلى الطاعة ، على أن يُعطيَه الأمان في نفسه ووَلَدِه وأهلِه ويُخلِّيَ بينه وبين السكنى في منزله بتقيوس . فأجابه إلى ذلك ووجَّه المنصور في رَفْعهم من المهديّة . فلمَّا علمَ أبو يزيد ذلك عزم على إخراج عسكر ليقطع عليهم الطريقَ ويخلِّصهم ، فبلغ ذلك المنصورَ فبادره بالزحف ، وبَرَزَ إليه أبو يزيد فٱلْتَحَمَ القتال وقتل جماعة . فبعث أبو يزيد يقول : قد كان بيننا أمر في وصول العيالات ونتمّ ما عقدناه .

فردَّ عليه المنصور : قد اتّصل بنا أنكم أخرجتم خيلاً تقطَعُ على العيالات الطّريق .

فقال أبو يزيد : كنّا على أن نفعل ذلك ، وما فَعَلْنا .

فأمسك عن قتالهم . وقدمت العيالات فأبرّهم المنصور وبعث بنجّابٍ إلى أبي يزيد يخبره بقدومهم ليُوجّه من يَتَسلَّمُهم ، وأمر بفازة فنُصبت خارج المدينة وفُرشت . فقدم رجلان من ناحية أبي يزيد فأنزلَهُما وحمل الطعام إليهما وكسا سائر عيالات أبي يزيد الديباجَ والخزَّ ، وأعطى كلّ نسَمَة عشرة دنانير وبعث إلى الرسول بمَائة دينار ، ووجّه بهم ليلاً ، ومعهم عدّة أحمال من حلوى ، والمشاعل بين أيديهم وجماعة تحفّ بهم حتى حلُّوا بمُعَسكر أبي يزيد . فبعث بهم إلى جبل أوراس ، ونكث ما عقده وحرَّض أصحابه على الجهاد .

استئناف القتال

فلمّا بلغ ذلك المنصور خرج قبل صلاة الفجر من يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ذي الحجّة ، وقد تقلّد سيفه وبيده رمح ، وتمَادى بعساكره إلى ناحية أبي يزيد فلم يخرج إليه أحد . فأمر بالهجوم عليهم . فهابوا ذلك فعاد وقد غضب ولم

يخرج من مضربه أيّاماً كثيرة ولا دخل عليه أحد . ووجد على كتامة فإنّ بعضهم كان قد قال له : « يا مولانا لا نقاتلهم في هذا اليوم فإنّه يوم الأربعاء »[1] . فأكثر البربر في تلك الأيام من أخذ الناس في الطرقات . ثمّ زحفوا في يوم الأربعاء لخمس خلون من المحرّم سنة خمس وثلاثين فركب المنصور ، فكانت حرب عظيمة قتل فيها من أصحاب المنصور جماعة كثيرة . وهمّ بعضُ البربر ، وقد اقتحموا عليه ، أن يطعنه برمحه فحمل عليهم وهزمهم ، وقُتل منهم خلق كثير .

ثم عاد القتال في يوم الخميس لثلاث عشرة خلت منه واشتدّ وعظم بحيث لم يكن قبلَه مثلُه . وحمل أبو يزيد على المَيْمَنة فهزَمَها ثمّ قصد القلبَ ، فبادر إليه المنصور بنفسه فخافت عليه كتامةُ وضَرَعُوا إليه[2] أن يرجع وقالوا : « نحن أحقُّ بهذا منك » . فزجرهم وقال : « إلى متى هذا التجنّب عن هذا الكلب ؟ وحقّ جدّي لا تركتُه ولا أمهلتُه ، ثقةً منّي بوعد الله لرسوله ! » . ورفع ثيابه على عاتقه وقال للعبيد والرجال بين يديه : فأجمعوا على بركة الله وعونه ، فهذا يوم الفتح إن شاء الله ، وبه أستعين وعليه أتوكّل .

فلمّا قرب أبو يزيد منه وعا[ين] صورته نكص على عقبيه / وولّى منهزماً ، [191 أ]
وأخذَت السيوف أصحابَه فأسلموا عسكرهم وأخبيَتَهم ، فس أصحاب المنصور من كان فيها وغنموها . فسجد المنصور على معرفة فرسه شكراً لله ورجع إلى قصره . ونادى مناديه : من أتى برأسٍ فله رُبع دينار ، فأُتي بزائدٍ على عشرة آلاف رأس .

(1) هٰذا التحذير من كتامة يحتاج إلى تفسير فلعلّه من ترّهات المنجِّمين . وقد أكّد القاضي النعمان في المجالس والمسايرات ، 132 أنّ المنصور ، على درايته بعلم النجوم ، لم يكن يؤمن بتأثيرها في حظوظ الناس ولا في سير الحوادث .

(2) في المخطوط : عليه .

وأصبح المنصورُ يومَ الجمعة فأخرج أحمالاً كثيرةً ، دنانير ودراهم ، تصدَّق بها على الفقراء والمساكين والمستورين [1] .

إسقاط الضرائب عن أهل القيروان

وأمر جعفر بن عليّ الحاجب بالسير إلى الجامع فصلّى الجمعة ، ثمّ صعِد المنبر فحمِد الله وأثنى عليه وشكره على ما رزق من النصر والظفر ، وما كشف غمّتَه [2] بالأمير عن الخاصِّ والعامِّ ، والحاضر والبادي ، من البلاءِ ، وما رزقهم من الأمن والسلامة ، ثمّ قال :

« معاشر الناس ، مولانا وسيِّدنا الأمير إسمَاعيل – أطال الله بقاءه وأدام عزّه وخلّد ملكه – يقرأ عليكم السلام ويقول لكم : قد علم الله حسنَ نِيَّتي لكم وما نَوَيتُه من الخير فيكم وما أُحِبُّه من صلاح أموركم . وإنّ لي آمالاً حسنة فيكم منع من إظهارها ما كان من وقائع بيني وبين هذا الفاسق . فلو كنّا أظهَرْنا ما نؤمِّلُه من الإحسان قبل الظفر لقال الجاهل : إنّمَا فعل ذلك استمَالةً لقلوب الرعيَّة وخوفاً من العدوّ .

« فلمّا كان من فضل الله علينا ما علِمتُموه ، ومن نَصره لنا ما رأيتمُوهُ ، أردنا أن نقابل منّة الله علينا بالشكر له عزّ وجلّ والإحسان إلى عباده ، والرفق بخلقه ، وأردنا أن نظهر بعض ما نويناه فيكم ، إذ كان إظهارُه بعد الفتح أولى وأشبه .

« فقد ترك لكم الأمير ، أعزّه الله ، ما يجب عليكم من العُشر والصدقات وجميع اللوازم ، وفعل ذلك بجميع الناس ، مسلميهم وذمِّيِّهم ، رفقاً بهم ، وعَوْناً لهم على عمارة أرضهم . فليبلّغ الشاهد الغائب !

« ثم لا يؤخذ منكم في استقبال السنين إلّا العشر والصدقة : فالطعام من

(1) المستورون : ضعفاءُ الحال المتعفّفون عن المسألة .
(2) قراءة تقريبيّة ، في المخطوط : عليه ، بدون إعجام . وسايرنا عيون الأخبار ، 378 .

الطعام ، والشاة من الغنم ، والثورُ والبقر من السائمَة ، على فرائض الله عز وجلّ وسنّة جدِّي رسول الله ﷺ .

« ثم بعد ذلك يساق إليكم من الإحسان والعدل ، وإحياء الحقّ ، وإماتة الباطل ، ما تعظم به منّة الله عليكم ، وتعرفو[ن] به بركة أيّامي ويُمنَ دولتي إن شاء الله » .

فكبَّر[1] الناس في الجامع ومن حوله وارتفعت أصواتهم بالبكاء والدُّعاء .

وأخذ المنصور في السفر لطلب أبي يزيد ، فأقام بالمنصوريَّة[2] باقي محرَّم ، وصفر ، وأكثر ربيع الأوَّل [سنة 335] .

ملاحقته أبا يزيد

ورحل يوم الأحد لأربع بقين من شهر ربيع الأوّل واستخلف على البلاد مداماً الصقلبيّ[3] . ونادى مناديه بعدما رحل : مَنْ عزم على صحبتنا للجهاد فلينهَض معنا ! ومن كان ذا جُبن عند اللقاء وفشل عنه مصادمة الأعداء ، فليرجع إلى موضعه ووطنه ، وهو في حلّ وسعة .

وقدم عسكر برقة . وقدم رسول ملك الروم ، فوصله بألف دينار وكُسىً نفيسة ، وردَّه غرّة ربيع الآخر .

وأعاد النداء في العسكر بمِثل ما تقدَّم ، وأتته القبائل شيئاً بعد شيءٍ . ونزل إليه أهل تلك القلاع فأمَّنهم وعفا عنهم ، وأمر الناس بالتهيُّؤ للحرب . وركب نجيباً وسار على مقدّمة العسكر يريد لقاء أبي يزيد على باغاية . فلمّا علم به أبو يزيد ترك حصارها وفرَّ . فنزل المنصور عليها وفرَّق مالاً كثيراً في ضعفائها .

(1) في المخطوط : فكبّروا .

(2) هٰذا سبق للأحداث : فالمنصور لم يسكن المنصوريَّة إلّا ابتداء من سنة 337 . وإنَّما أمر في هٰذه الآونة بالشروع في بنائها . انظر عيون الأخبار ، 386 .

(3) في حاشية الصفحة كتب الناسخ هٰذه الإضافة : مات مدام الصقلبيّ سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة .

ثمّ رحل عنها يوم الأربعاء لعشر بقين من ربيع الآخر ، وسار حتى وصل إلى نقاوس .

ورحل عنها وقد لبس درعاً ومغفراً . وأمر الناس أن يسيروا على تعبئة الحرب ، وكان أبو يزيد على طبنة يحاصرها . فلمّا سمع طبول المنصور فرَّ إلى جهة الرمال . فنزل المنصور على طبنة . وقدم إليه جماعة من قبائل كتامة . ثمّ رحل لليلتين / خلتا من جمادى الأولى يريد بسكرة فنز[ل] بقسطيلية [1] . ووافاه جعفر [191 ب]
ابن علي بن حمدون عامل المسيلة بهدايا من خيل وإبل ومال . وقدم معه بثائر قام بجبل الأوراس ادَّعى أنّه من آل البيت ودعا إلى نفسه ، فاجتمع عليه البربر وتلقَّب « بعبد الله الناصر لدين الله المحتسب في سبيل الله » فشهِّر على جمل وسُلخ حيًّا [2] وصُلب .

وصوله إلى بسكرة ثمّ المسيلة

ثمّ رحل فنزل على بسكرة وقد فرَّ أبو يزيد عنها إلى جبل سالّات على جهة الرمال حيث لا تسلك العساكر لعدم الماء . فمضى المنصور إلى المسيلة وقد جمع أبو يزيد النكّار من جبل سالّات ونزل إلى جبل كيانة [3] في خلائق كثيرة ، وقصد أن يبيِّت المنصور بمَدينة مقرة ، فكمَن في تلك الأوعار والجبال . فلمَّا طلعت الخيل التي له على العسكر تصايحوا : « العدوّ ! العدوّ ! » . فخرج المنصور وقد لبس درعاً وشدَّ وسطه بمِنطقة وأرخى لعمامته ذؤابة ، وهزّ رمحاً

(1) هي قسطيلية الزاب ، بينْ بسكرة وطبنة ـ لا قسطيلية الجريد التونسيّ . وفي المخطوط : سبيطلة وهو خطأ من النسّاخ .

(2) في رواية ابن حمَّاد 26 أنَّ هٰذا الثائر ابن صائغ قيروانيّ كان ينظر في كتب التصوُّف. ويضيف أنَّ المنصور تعوَّد أن يسلخ المتمرِّدين عليه حتَّى سُمِّيَ « السلّاخ » .

(3) نتوقَّع أنَّ جبل كيانة أكثر علوّاً من جبل سالّات ، فلذلك نستغرب فعل « نزل » هنا . وسيقول المقريزي بعد قليل : « فارتفَع إلى جبال كيانة » . فلعلَّ جهلَه بجغرافية إفريقية والمغرب هو الذي أوقَعه في هٰذا الاضطراب في التعبير . وقد يكون « نزل » بمعنى : حطّ الرحال

وكسره واخترط سيفَه ذا الفقار وقال : « ليس هذا يومَ رمح ولكنه يوم جلاد بالسيوف ! » . وعبّأ عساكره مَيمَنةً ومَيسرةً وقلباً ، وجعل خلف كلّ طائفة من هذه ردءاً من عبيده ، وفرّق السلاح في العسكر ، فالتَحَم القتال . وأقبل أبو يزيد فقاتلوا قتالاً كبيراً فانهزمت ميمنة المنصور إلى أن صارت إلى الردء الذي خلْفها فثبتوا بمَراكزهم ، وأردفها المنصور بكتيبة من قِبله فقويَت الميمنة . ومال أصحاب أبي يزيد على الميسرة فهزموها وقُتل جماعةٌ . فغضب المنصور وقصد أبا يزيد بالكتيبة التي معه فانهزم أبو يزيد بمَن معه ، وتمَادى المنصور في طلبهم فقتلوا قتلاً ذريعاً . وانحاز أبو يزيد إلى قلعة عقار ثمّ فرّ ليلاً إلى جبل سالّات . فغنِم أصحاب المنصور جميعَ ما كان له ، ورجع المنصور إلى مضربه بعد العشاء بالمشاعل بين يديه .

ورحل من الغد وهو يوم الخميس لأربع عشرة خلت من جمادى الأُولى ، فنزل المسيلة فأقام بها خمسة عشر يوماً ، وقد كثر الإرجاف بالقيروان بعد هذه الوقعة . فكتب مُدام بذلك إلى المنصور ، فوقّع إليه بخطّه : « ذكرتَ ما كان المرجفون أشاعوه ، وخاضُوا فيه وأذاعوه ، وأنّ ذلك أقلقك وأغمّك ، وقد كنتُ تقدَّمتُ إليك قبل خروجي وأمرتُك بالإعراض عمّا تسمعُه والإقبال على ما تَعْتَقِدُه ، وعرَّفتُك أنّي لم أركَب الغرَرَ وأتجشَّم الخطَر ، وإنّمَا خرجتُ منتجزاً لوعدٍ قديمٍ ، من ربٍّ عزيزٍ حكيمٍ ، لا تبديل لكلماتِه ، ولا رادَّ لأمرِه ، ولا خلفَ لوعده . فثِقْ بربِّك واتّقه ترشُدْ وتسعَدْ . واقرأْ هذا الفصل على المنبر إن شاء الله » . فقرأ ذلك مُدامُ فسكنَ الإرجافُ .

ورحل المنصور من المسيلة لليلتين بقيتا من جمادى الأولى ، في طلب أبي يزيد وأمر الناس بالزحف فساروا على تعبئة الحرب قبائل وعرائف[1] ، وركب

(1) هكذا في المخطوط ، ولعلّها عرائق بالقاف ، جمع عرقاة على غير قياس ، بمعنى الأرومة والأصل .

المنصور على نجيب ولبس جوشناً مذهباً عليه خفتان أحمر مُثْقَلٌ وعلى رأسِه عِمامةُ خزّ صفراء حتى نزل في وسط جبل سالّات على ماءٍ جارٍ . ففرَّ أبو يزيد يريد الرمال فرحل في طلبه . واجتمع إليه الأدلّاء وعرَّفوه أنّه موضع ما سلكه عسكرٌ قطُّ . واشتدَّ الأمر على العسكر وعدموا الشَعيرَ وغيرَه فبلغ علف الدابَّة ديناراً ونصفاً وقربةُ الماء ديناراً . وعُلّف أكثر الدوابّ الحلفاء . فعاد إلى بلد صنهاجة . فلقي الناس من الوُعُورِ والثلج ما يئسُوا معه من أنفسهم ومات منهم كثير . فأناخ المنصور ستّة أيام حتى تلاحق به الناس .

ووافاه البريد من المهديّة بمَوْلِدِ ولدٍ له اسمُه هاشم .

وقدم عليه زيري بن مناد بعساكر صنهاجة فحمَلَه وخلع عليه وقلَّده سيفاً ووصله بصلة جزيلة وعقد له على قبائل صنهاجة والبربر . وفي مُناخه هذا اعتلَّ .

دخوله بلاد صنهاجة

ورحل في نصف جمادى الآخرة ثمّ نزل بوسط بلد صنهاجة لِيُشَتِّيَ هنالك فاشتدَّت به العلَّة ثلاثة عشر يوماً ثمّ نقه . ورحل إلى / المسيلة يوم الأربعاء [192 أ]
لليلتين خلتا من رجب ، وقد سبقه أبو يزيد إليها فارتفع إلى جبال كيانة . فاستدعى المنصور كتامة وعجيسة وزواوة وغيرهم فأتوه وأخذ على أبي يزيد الطرق فانحصر أبو يزيد في تلك الجبال .

ثم ركب المنصور يوم السبت لعشر خلون من شعبان متنزِّهاً في أربعة آلاف فارس ومعه زيري في خمسمائة من صنهاجة ، وكان النكّار قد كمَنوا له . فلمّا سار ركبوا ساقته فعطف عليهم وقاتلهم . فأقبل أبو يزيد في خلقٍ عظيم ، فاستدعى المنصور بقيَّة عساكره فأتته ، وجرَّد سيفه وقصد أبا يزيد فلم يثبت له وولّى على وجهه وأسلم أولادَه ، فركب السيفُ أقفيةَ أصحابه فقُتلوا أبرح قتلٍ واتّبِعُوا في الجبال وبطون الأودية ، ونجا أبو يزيد إلى الوعر فخلص ، والعسكر في طلبهم أربعين ميلاً حتى كلَّت الخيول وتكسَّرت السيوف . وحُزَّ منهم ألفٌ

وسبعون رأساً وجَّه بها إلى القيروان[1] . وكانت القتلى يومئذ يزيدون على عشرة آلاف . ولم يُقتل من الأولياء فارسٌ واحدٌ . وغنمُوا ما لا يدخل تحت حصرٍ .

ورأى الناس في ذلك اليوم أعجوبةً : وذلك أن الفريقين لمّا برزا للقتال أقبلت النسور والغربان من وراء النكّار قبل الهزيمَة فوقفت كالمنتظرة للحومهم ودمائهم . فلما كان من قتلهم ما كان نزلت على أجسادهم .

وأقام المنصور بعد الظفر ، والعساكر توافيه من كلّ جهةٍ ، وقد اعتصم أبو يزيد بجبل كيانة ومعه بنو كملان . ورحل المنصور من المسيلة في يوم الجمعة غرّة شهر رمضان حتى نزل على ستة أميال من أبي يزيد . وركب في يوم السبت بعساكره فسلك طريقاً صعبة في جبال شامخة وأودية ضيِّقة . وترجَّل عن دابَّته في بعض تلك الأوعار ومشى راجلاً نحو ثلاثمائة خطوةٍ . ثمّ ركب وسار حتى أشرف على أخبية أبي يزيد وخصوصه ، وهو يرتّب الناس للقتال في ذلك الوعر ويأمرهم بتقوى الله والإمضاء على أعداء الله ويَنهاهُم عن النهب .

وانتشب القتال فكانت بينهم حرب شديدة . وقصد المنصور أبا يزيد بنفسه ، فلمَّا رآه ولَّى منهزماً على عادته وأسلم أخبيته وخُصوصه ، فأمر المنصور بإلقاء النار فيها . وانتهب العسكر ما لا يوصفُ ، فوكَّل المنصور قوماً من الصقالبة بقتل من وجدوا معه شيئاً من النهب لأنّهم اشتغلوا عنه به وتفرَّقوا حتى لم يبقَ معه إلّا اليسير ، فطمع أصحاب أبي يزيد وكسروا أجفان سيوفهم واستحرَّ القتال وعلا بعضُهم على تلك الجبال يقاتلون من أعلاها بالحجارة . وأحاط القتال بالمنصور من كلّ جهةٍ فكان الأولياءُ إذا اشتدّ عليهم القتال وأرادوا الفِرار صدَّهم ما وراءهم من ضيق المسالك فيرجعون إليه ويلوذون حول مظلَّته ، فكلّما أقبل العدوّ من جهة حمل عليهم بنفسه فانهزموا بين يديه ولم يحتملوا رؤيتَه . فقُتل

(1) في عيون الأخبار ، 409 : إلى المهديَّة .

من الفريقين خلق عظيم ، وكان يوماً لم يُسمع قطُّ بمِثله . وانطبقت[1] الحربُ ودامت إلى اصفرار الشمس ، وكلّت الخيل وفني السلاح ، وتعجّب البربر من صبره وشجاعته . وانصرف راجعاً من طريقه فتسابقَ البربر إلى الجبال التي في طريقه ليرسلوا الصخور عليهم فأنذره رجل بذلك فسلك طريقاً غيرها فتخلّص الجيش بأسره إلى مُعسكره بعد أن مضى صدرٌ من الليل . فلم يكن في تلك الحروب كلّها أعظم من هذا اليوم ولا أشدُّ . ونادى في الناس أن يردُّوا كلّ ما انتهبوه لعصيانهم إيّاه ومخالفةِ أمره . فأحرق ذلك كلّه بالنار .

تحصّن أبي يزيد بجبل كيانة

[192 ب] وأوى / أبو يزيد إلى قلعة كيانة وهي منيعة لا ترام . ثمّ وصل في سابعه خفيف الخادم ومعه ثائر ثار بأرض كتامة وادَّعى الربوبيَّة فقُتل .

وأمر في هذا اليوم المنصور بعمل قفص من خشب على بكراتٍ وقال : « لا بدَّ أن أُدخِل الفاسق – يعني أبا يزيد – في هذا القفص مع قِردَين » . وكان الناس يَمرُّون به ويتعجّبون .

وأقبلت هوارة وسائر القبائل يطلبون الأمان فأمَّنهم وأحسن إليهم وخلع عليهم . وبعث بنو كملان ومزاته الذين مع أبي يزيد في القلعة يطلبون العفو إلى أن يأتوا بأبي يزيد أسيراً فأجابهم وكفَّ عن قتالهم ، وانتظرهم شهراً حتى تبيَّن له كذبهم .

ثمّ ركب يوم الأحد غرَّة شوَّال إلى مصلًّى بناه فصلَّى بالناس صلاة العيد وخطب خطبة بليغة[2] ثم انصرف إلى مضاربه فأمر بإطعام الناس على مراتبهم .

ونادى من الغد بالرحيل وسار إلى قلعة كيانة فنزل تحتها ، وأبو يزيد ومَن

(1) لا يوجد « انطبق » في المعاجم . ولعلّها تعني : عمَّت وانتشرت كمَا في قولهم : طبّق الماءُ الأرضَ إذاغشيَاها .

(2) نقل الداعي إدريس خطبتَي العيد في عيون الأخبار ، 417 .

معه قيام ينظرون إليه . وجاءت السماءُ بمَطر عظيم ورعد هائل وبرق ملحّ لم يرَ مثله . وركب عند غروب الشمس بجميع العسكر وأقام المحرس حول العسكر خشية أن يُبَيِّتَهم النُكّارُ وأقام على ذلك ثلاث ليالٍ ثم جعل ذلك نوباً على العسكر في الليل والنهار . وقطع الميرة عن القلعة من جميع الطرق .

وفي اليوم الرابع من نزوله أمر بحفر الخندق على معسكره في سفح القلعة وأخذ بيده مِعْوَلاً فحفر به أوَّلَ الناس ، فتسارعُوا بأجمعهم في الحفر وجدُّوا فيه . وأمر بقطع شجر الزيتون والثمار التي في سفح الجبل . وأخذت الرُّماةُ في الرمي فقتلوا جماعة من أصحاب أبي يزيد بالنشّاب ، وصلّى المنصور بالناس المغرب تحت القلعة وانصرف إلى مضاربه . فبلغه أن النكّار على عزم بيات العسكر ، فأمر الكافّة بالخروج عن العسكر بالخيل والرَّجل وأمرهم بالصمت . فأقبل القوم في أوّل الليل فألفَوْا العسكر مستعدِّين فانصرفوا . ثم عادوا فلم يجدوا فرصة فانصرفوا . ثمّ لمَّا كان يوم الثلاثاء لثلاث عشرة بقيت من شوَّال ، زحف المنصور إلى القلعة وترجَّل أكثر الناس ، وصعد المنصور بنفسه إلى القلعة وجلس على بساط ، والناس في القتال . ثمّ ركبَ يحرِّضهم حتى غربت الشمس [فـ]ـانصرف بهم ، وقد أثْخَنُوا في العدوّ . وبعث طائفة إلى غربيّ القلعة وشمَالها حيث كان النكَّار يرعَون دوابَّهم ، فحصروا القلعة من تلك الجهة حتى ضاق أهلها ضيقاً شديداً .

وزحف يوم الجمعة لعشر بقين منه ، وصعد بنفسه إلى سفح القلعة وكان قتالاً شديداً إلى المساء ، وكان يومَ السبت مثلُ ذلك إلى الليل . وكان قد بعث طائفة من العسكر إلى قلعة شاكر وبها قبائل هوارة ومن انضمَّ إليهم فحصروها حتى استأمنوا وملكها . فلمَّا علم بذلك أبو يزيد ومن معه طارت قلوبهم رُعباً وخوفاً .

ثمّ زحف أبو يزيد يوم الجمعة لاثنتي عشرة خلت من ذي القعدة إلى الخندق فقاتل ورجع خاسئاً .

وفي غرَّة ذي الحجَّة نزل جماعة من كيانة بحرمهم مستأمنين فأمَّنهم المنصور وأحسن إليهم .

عيد الأضحى في حصار كيانة

وجاء عيد الأضحى يوم الجمعة ، فركب المنصور إلى المصلّى على فرس وردٍ بتجافيف مذهبـ[ـة] وعليه ثوب أصفر وعمامة صفراء ، والمطارد[1] والبنود والطبول في نواحي العسكر ، فصلَّى بالناس ثمّ رقي المنبر فخطب[2] :

« باسم الله الرحمان الرحيم .

« الله أكبر ! الله أكبر ! لا إلّه إلَّا الله .

« والله أكبر ! الله أكبر ! ولله الحمد .

« الحمد لله المتوحّد بالربوبيَّة ، المتفرِّد بالوحدانيّة ، المتعزّز بالقدرة والبقاء ، المتجبّر بالعظمة والكبرياء ، الأوّل بلا غاية ، والآخرِ بلا نهاية ، المتعالي عن تشبيه الجاهلين وتحديد الواصفين وتكييف الناعتين .

[193 أ] « وأشهد أن لا إلّه إلّا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ / محمّداً عبده ورسوله ، أكرمه بالنبوَّة ، واصطفاه بالرسالة ، وحباه بالفضيلة وابتعثه بالنور ساطعاً ، وبالحقِّ صادعاً ، وبالهدى آمراً ، وعن الكفر زاجراً ، وعلى الأنبياء مهيمناً ، ولما جاؤوا به مصدِّقاً . فبلَّغ الرسالة ، وهدى من الضلالة ، وأنقذ من الهلكة ، وأنهج معالم الدين وفرائضه ، وبيِّن حدودَه وشرائعه ، وجاهد في سبيل الله حقَّ جهاده حتى أتاه اليقين ، صلَّى الله عليه في الأوَّلين والآخرين ، وعلى آله الطيِّبين ، الأئمّة المهديّين ، وسلّم ، ورحم وكرّم .

« أوصيكم عبادَ الله بمَا أوصيتُ به نفسي ، من تقوى الله ومراقبته ،

---

(1) المطرد : الرمح القصير . والتجفاف بالكسر والفتح : ضرب من الدرع للرجل والفرَس .
(2) الخطبتان في عيون الأخبار ، 428 .

والعمل بمَا يُرضيه ويقرّبنا وإيّاكم إليه ، في تقواه ورضاه الفوزُ بالجنّة والنجاة من النار : ﴿وَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وأُدْخِلَ الجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ (آل عمران ، 185) ﴿وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيا إلَّا مَتَاعُ الغُرُورِ﴾ (الحديد ، 20) .

« ألا وإنَّ يومَكم هذا يومٌ حرام في شهرٍ حرام ، معظَّم على الأيّام : يوم الحجِّ الأكبر ، افترض فيه على كافَّة [أهل] الإسلام الحجَّ إلى بيتِه الحرام الذي جعله مثابةً للناس . فتقرَّبوا فيه إلى الله بمَا أمركم : فانحروا إناثَ الإبِل والبقر وفحولَ الضأنِ ، واجتنبوا ذوات العيوب والمشوَّهةَ بالزيادة والنقصان ، فبذلك جرت سنَّة نبيِّكُم ﷺ ، وعلى الأئمّة من ولده الأطهار الكرام الأبرار عليهم السلام . ﴿لَنْ يَنَالَ اللهَ لُحُومُها وَلَا دِمَاؤُها ، وَلَكِنْ يَنالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾ (الحج ، 37) .

« تقبَّل الله منَّا ومنكم ، وكتب لنا ولكم حجَّ بيته الحرام ، والوصولَ إلى مشاهده العظام ، باعتزاز ملكنا ، وإتمَام أمرنا ، وإنجاز متقدِّم وعد[ه] لنا ، إنّه لا يُخلف الميعاد ، ولا يُعجزه إذا أراد » .

والخطبة الثانية بعد الجلوس :

« الحمد لله المبدىء المعيد ، الكريم المجيد ، الفعَّال لما يريد ، خالق الخلق ، وباسط الرزق ، منزل القطر ، ومدبِّر الأمر ،

« وأشهد أن لا إلَه إلَّا الله وحدَه لا شريك له . وأشهدُ أنَّ محمّداً عبدُه ورسوله المرتضى ، وأمينُه على ما أوحى ، المنقذ من الضلالة والردى ﷺ ، وعلى آل بيته الكرام المهديّين ، الأئمَّة الراشدين الطاهرين ، وعلى عليّ أمير المؤمنين وفاطمة الزهراء سيِّدة نساء العالمين ، وعلى الحسن والحسين سيِّدَيْ شباب أهل الجنّة ، جبال الدين وسادات العالمين ، وعلى الإمام المرتضى ، والوليّ المصطفى ، عبد الله أبي محمد الإمام المهديّ بالله أمير المؤمنين ، ووارث فضل الأئمَّة المهديّين من آبائه الخلفاء الراشدين ، وصفو الصفوة من الأوّلين

والآخرين ، الذي قامت به دولةُ المؤمنين ، وبسيفه ذلَّت رقابُ المنافقين ، فأعاد الإسلامَ غضًّا ناضراً ، والدينَ مُشرقاً زاهراً ، والحقَّ مضيئاً باهراً ، فأحيى الله به من الدين ما اندرس ، ومن الحقِّ ما التبس ، وجمع له شرف الدنيا وفخرَها ، وفضلَ الآخرة وذُخرها ، صلوات الله عليه ورضوانُه ، ورحمتُه وحنانُه .

« وصلّى الله على وليّ عهده ، ووارث مجده ، وخليفته من بعده ، المتقلّد الإمامة ، المتوَّج بالكرامة ، عبد الله أبي القاسم الإمام القائِم بأمر الله أمير المؤمنين ، سليل النبيّين ، وبقيَّة الأئمَّة المهديّين ، صلاة يزيده بها كرامة وعَلاءً ، وشرفاً وسناءً ، سامية القدر ، عاليةَ الفخر ، باقيةَ الدهر .

« اللهمَّ ، وكما قلَّدتني خلافتك التي كرَّمتَها وشرَّفتها ، ولعنتَ مدّعِيَها ، وأخزيتَ مناوئها ، واخترت [لها] الواحدَ بعد الواحد من آبائي الكرام المصطَفَين ، الخلفاء الراشدين ، ثمَّ ألبَستَني ثوبَ مجدهم ، وتوَّجتَني تاجَ عِزّهم ، وطوَّقْتَني إمامَتَهُم ، وقلَّدتَني خلافتَهم ، وأورَثْتَني مقامهم ، وأحييتَ / [193 ب]
بي ذكرهُم ، وتَمّمْت بي أمرهم ، ونصبتَني لما نصبتَهم من الاحتجاج على خلقك ، والقيام بحقِّك ، ونَصر دينك ، وإعزاز ملّة رسولك ، ثمّ أيّدتَني ونصرتَني وأظهرتَني ، وأعززتَ بي الأمّة بعد الذلَّة ، وكثَّرتَهم بعد القلَّة ، وجمعتَهم بعد الفرقة ، وكشفتَ عنهم مدلهمّ الفتنة ، ودياجي المحنة ، فأصبح الحقُّ مشرقاً ، والباطل زاهقاً ، فضلاً منك عليّ ، ونعمة جدَّدتَها لديّ ، اللهمَّ ، فألهِمْني شكرَ نعمتِكَ ، ووفِّقني للعمل بمَا يرضيك ، ويُزلفني لديك ، ويُقرِّبني إليكَ ، فإنّه لا حول ولا قوّة إلّا بك ، عليك توكَّلت وإليك أنيب .

« اللهمَّ اغفر للمؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات ، إنّك رؤوف رحيم » .

ونزل ونحر ناقته بيده . وانصرف الناس ، وقد علموا أنّه الإمام ، وأنَّ القائِم بأمر الله قد توفّي ، ففرحوا بخلافته . وكتب أهل العسكر بذلك إلى القيروان والمهديّة ، فسرّ الخاصّ والعامّ سروراً عظيماً .

ووصلت عساكر كتامة في ثاني يوم النحر ، فأعرض عنهم وقال : « لا حاجةَ ليَ اليومَ بكم » . فتضرَّعوا إليه وسألوه الرضى عنهم ، وضمنوا له أنّهم يوافونه بعشرين ألفَ فارس وراجلٍ . فرضي عنهم وبعث معهم ميسوراً[1] الخادم ، وأجّل لهم عشرين يوماً . فبلغ ذلك أبا يزيد فأيقن بالهلكة ، وكتب إلى معبد بن خزر مع ابنه فضل ابن أبي يزيد يسأله النصر ، وكان معبد يرى رأي النكّار ، فأجابه وحشد الحشود وزحف على بسكرة وطبنة فانصرف مَفْلولاً .

ودخلت سنة ستّ وثلاثين وثلاثمائة . فوصل ميسور بعساكر كتامة في يوم الثلاثاء لعشرٍ خلون من المحرَّم . وكان المنصور يقول في سفره هذا كلّه : « إن لم آخذ أبا يزيد وأسلَخْه فلستُ بآبن فاطمة ولست لكم بإمام » . ولمّا أمر بعمل القفص قال : « إن لم أُدخِل أبا يزيد في هٰذا القفص فلست بابن رسول الله ، ولقد ندمت إذ لم أصعد منبر القيروان وأذكرْ هذا لسائر الناس » . وكان يقول هٰذا ، وأبو يزيد في ستّة وثمانين ألفَ خُصٍّ ، في كلّ خصّ جماعة أقلُّهم ثلاثة ، وكلّ الناس قد يئسوا من بقاء الدولة .

رؤيا للمنصور تبشّره بالنصر

ثمّ لمّا كان قبل أخذ أبي يزيد بثلاث ليال قال المنصور لطبيبه موسى بن العزار[2] : يا موسى ، رأيت البارحة في النوم كأنَّ القائمَ بأمر الله ، نضَّر الله وجهه ، قد جاء من خلفي فضرب بيده على كتفي ، فحوّلت وجهي إليه مظهراً إجلاله وإعظامه ، فقال لي : يا إسمَاعيل لك البشرى ! فأخرج من كمِّه كتفَ شاةٍ وقال : آنظر في هذه الكتف فإنَّ فيها قبرَ عدوِّك ، وأنت تأخذه وتظفرَ به سريعاً – وأراني موضعاً من الكتف فيه القبرُ الذي أومأ إليه .

---

(1) المذكور في عيون الأخبار ، 494 هو مسرور .

(2) أو ابن العازار كما في اتّعاظ الحنفاء ، 196 أو ابن العيزار كما عند القفطيّ ، وآبنه إسحاق ترجم له المقريزيّ آنفًا رقم 720 . وسيذكر طبيبًا « رسميًّا » للمنصور يسمِّيه إسحاق بن سليمان .

فقال له موسى : يا مولاي ، هذه بشرى ألقاها الله إليك !

و[بينا] هم في الكلام إذ أتى الطبّاخ بالمائدة ، فأكل المنصور ومدّ يده إلى كتفٍ فجرَّدها وأمر بمَسحها ثمّ أخذها ونظر فيها وقال : « والله لكأنّ هذه الكتفُ التي رأيتُ في منامي ، وهذا القبرُ في المكان الذي أرانيه ! » . فكان أخذُه بعد ذلك بثلاثة أيام . وذلك أنّه لمّا كان يوم الخميس النصف من المحرَّم زحف إلى القلعة عند طلوع الشمس بجميع عساكره فكان قتال شديد في يوم شديد الحرّ . ونزل المنصور على تلّ مشرف ليرى منه القتال ، وأمر بالروايا والقِرب ، فنقل فيها الماء على البغال إلى المقاتلة . وقُتل من البربر خلق عظيم ، ثمّ انصرف إلى معسكره .

وصابحهم يومَ الجمعة فكان القتال أشدّ من اليوم الذي قبله . وأصعد المنصور ثلاثمَائة عبد إلى القلعة فألقَوا بها النار فاحترق كثير ممّا فيها وعادوا ، فأنعم على كل عبد بمَائة درهم وخلعة .

الوقعة الحاسمة وأسر أبي يزيد

ثمّ صبحهم يوم السبت / ولبس ثوباً أخضر موشّحاً بذهب وعمامة حمراء
[194 أ] مُعْلَمة [1] ، فقويت نفوس الناس وأيقنوا بالفتح لأنّه لم يلبس هذا اللباس في جميع حروبه . وقامت الحرب على ساق ، فكان يوماً لم يُشهد قطّ مثلُه ، وعلا البربر على تلك القلاع والأوعار وألقَوا الصخور العظيمة فطحنت من الرجال والدوابّ ما شاء الله . فلمّا كان نصف النهار كَلَّ جميع الناس وملّوا وعطِشوا من شدَّة الحرب والحرِّ وأُثخنوا بالحجارة والجراح ، فغضب المنصور وتقدّم بنفسه في ثلاثة آلاف فارس وعشرة آلاف راجل فتوغّل وعراً شديداً لا مسلك فيه للفارس ولا للراجل . فظنَّ النكّار أنّهم قد ظفروا به فحمل جميعهم عليه حملةً منكرةً منحدرين كالسيل في الليل ، فتفرَّق عنه أصحابه وأسلموه حتى بقيَ وحده ،

(1) أي لها علامةٌ خاصة من طرازٍ ونحوهِ .

فقصدوه وتعاوَرَتْه السيوفُ والرماح والحجارة ، وثار عجاج مظلم طبّق الأرض ، فرماه في تلك الحالة أحدهم برمح فاتّقاه بالدرَقة فأنفذها إلى صدره ، وكانت الحجارة تَمرُّ على فرسه يَميناً وشمالاً حتى كاد يسقط ، ثم تجلّى الغبار . وقد ظنَّ النكّار أنهم أتَوا عليه ، فرأوه قائمًا فانهزموا بين يديه ، واتّبعهم وحدَه في وعر لا مسلك فيه ، فرآه أصحابُه سالماً وقد كانوا يئسوا منه فعطفوا من كلّ ناحيةٍ إليه وقتلوا البربر قتلاً ذريعاً . ولجأ أبو يزيد وأصحابه إلى قصر في ذروة القلعة وقاتلوا من أعلاه ، فضربت فازة صغيرة بالقرب من القصر وجلس المنصور فيها ، والجيوش محيطة بالقصر من كلّ ناحية ، ثمّ ألقَوا النار في أبوابه . وكتب المنصور كتاباً بأمان مَن في القصر إن هُم خرجوا وأسلموا أبا يزيد ، ورفعه على قناة إليهم ، فمزّقوه ورمَوا به وقاتلوا قتال أهل البصائر[1] حتى هجم الظلام وقد ملّ الفريقان وأعيَوْا . فأمر المنصور بإيقاد المشاعل حول القصر ، ودارت الجيوش عليه ، وخرج من الفازة إلى بساط جلس عليه قريباً من القصر ، وأطلق النار في الشعاري فصار الليل كالنهار المُشرِق ، وهو جالس ، والطبول تضرب بين يديه والأعلام منشورة . فلمّا كان في آخر الليل فتحوا باب القصر وخَرجوا وهم يحملون أبا يزيد وأبا عمّار على أيديهم ، فحملوا على مَن يليهم حملةً شديدةً حتى اختلط الناس ، وقُتل من النكّار مَن قُتل ونجا من نجا . وكان فيمَن قُتل أبو عمّار[2] وجماعة . وأُسر منهم رجل فأُخبر المنصور عن أبي يزيد أنّه خرج محمولاً على أيدي ثقاته ، فأمر بطلبه فلم يُوجَدْ . فشقّ ذلك عليه وغمّه ووقعت فترة في العسكر[3] .

وجاء المؤذّنون فأذّنوا بصلاة الصبح فقام وصلّى على وضوءه بالأمس . فلمّا سلّم من صلاته قال : « لو علم الفاسق أنّ في الأرض أحصنَ من هذه القلعة

(1) البصيرة : عقيدة القلب .
(2) في المخطوط : أبو عامر .
(3) الفَترة هنا : الخيبة والانكسار .

لصار إليها ، وما أحسبه زال عن هذا المكان ، ولو كان في السماء لسقط في يدي » . فهو في الكلام حتى أتوه به أسيراً ، فحمد الله وأثنى عليه وشكره وسجد شكراً لله ، وأمر للّذي بشَّر به بألف دينار . وأمر بأبي يزيد فحُمِل إلى المضرب وهو لما به[1] من الضعف والجراح ، والناس يكبِّرون ويهلِّلون ويحمدون الله ويشكرونه . وركب المنصور فرسه وقد ظهر السرور في وجهه ، وهو يحمد الله ويشكره حتى انتهى إلى فسطاطه ، والناس يهنِّئونَه بمَا فتح الله له ونصره وأعزَّه . فأمر الناس بالانصراف ودخل ، فوجد أبا يزيد مُلقًى ورأسه في حِجر جعفر بن علي الحاجب ، فأعرض عنه ودخل إلى مضربه وأمر بمُعالجة أبي يزيد من جراحاته ووكَّل به من يحفظه .

وكتب بالفتح إلى الآفاق فكانت نسخة الكتاب إلى مُدام من إملائه بنفسه بعد الصدر :

رواية المنصور للأحداث

« أمّا بعد ، فالشكر والحمد لله ربِّ العالمين الذي نصر عبدَه وأنجز له وعدَه ، وتفرَّد بالمنن عليه وحده فأظهَرَني جلّ ثناؤه متوَّجاً بعزَّته / ، رافلاً في [194 ب]
حلل كرامته ، مبوَّأً من الشرف دراه ، ومن المجد أعلاه ، بعد أن : ﴿ زاغَتِ الأَبْصَارُ وبَلَغَتِ القُلُوبُ الحَنَاجِرَ﴾ (الأحزاب ، ١٥) ، وظنَّ العبادُ بالله الظنون ، فجلَّى بِيَ الظلام ، وأنقذ الأنام ، وأثبت الإسلام ، وجمع الأمم بعد الفرقة ، وأمّنهم بعد المخافة ، وأعزّهم بعد الذلّة ، فحقن بي الدماء ، وسكّن الدهماء ، وأيّدني بنصره وإعزازه ، فاعترف لي به المؤمنُ المساعدُ ، والكافر المعاندُ ، لقصر طاقة المخلوقين عن بلوغ ما أملوه ، وإدراك ما حاولوه ، فضلاً من هذه النعمة الجليلة ، والمنن الجزيلة التي حقّقت الآمال وقطعت أطماع الدجَّال ، فأصارها الله إليّ كلّها ، ورآني أهلها .

---

(1) هكذا في المخطوط . ولعلّها : لا يأبه .

« فلم أزل ، منذ انتصبتُ للجهاد في سبيله ، وأهدفتُ نحري دون دينه ، باذلاً نفسي ، متعباً جسمي ، مستصغراً لكلّ عظيم ، راكباً لكلّ هول ، متعرِّفاً من الله أجمل الصنع ، وأحسنَ التوفيق في كلّ شيءٍ أمّمته ، ورأي ارتأيتُه ، وموقف حرب وقفتُه ، إلى أن أتمّ الله عليّ النعمة ، وأكمل المنّة ، بالإمكان من عدوّ الله الخائن أبي يزيد ، أسيراً ذليلاً ، بعد حربٍ شديد كان بيننا وبينه ثلاثة أيّام متتابعة لم يكن قبلها مثلها .

« بدأنا إليه بالزحف يوم الخميس لثمَانٍ بقينَ من المحرّم ، طلوع الشمس ، فقاتلناه قتالاً شديداً إلى بعض العصر . ثمّ عاودناه القتال صبيحة السبت ، وأيقنوا بالهلاك ، واشتدّ القتال في وعر شديد ، فجعلوا يُلقُون علينا الصخور العظيمة لا تمُرّ بفارس ولا راجلٍ إلّا صيّرته رميماً ، والله يدفع ذلك عنّا بمَنِّه ويكلؤنا بعينِه . فلم نزل من أوّل النهار حتى كلّ الناسُ وملّوا من حَرٍّ يَسقطُ طيورُ الجوّ منه ، وتقطّع الأولياء جراحاً ، وأُثخنوا بالحجارة ، وهابوا الإقدام فأغضبني ذلك فزجرتهم وتوعّدتهم وتقدّمت بنفسي واثقاً بالله ربّي ، ومعي مُطَحّيَة[1] فيها أكثر من ثلاثة آلاف فارس ونيف على عشرة آلاف راجلٍ . ورأى العدوّ إقدامي إليهم فأيقنوا بالهلكة ، وانهزموا بين يديّ حتى توسّطتُ الوعر الشديد الهائلَ إليهم ، فظنُّوا أنّهم قد ظفروا بمَا دبّروه ، فحملوا علينا حملة رجلٍ واحدٍ ردَّت كلّ مَن كان معي . وأسلموني فقصدني الفسَقةُ وتعاوروني بالسيوف والحجارة والرماح . وثار عجاج مظلم طبّق الأرض فوصلوا [إليّ حتى تجاذبوا ردائي فمَزّقُوه ، وقُبضَت ركابي ، ورُميتُ في تلك الحملةِ برُمحٍ][2] أخذتُه في درَقتي فنفذ إلى صدري ، وأثخنوا فرسي بالحجارة فكاد يسقط تحتي ، فوثقت بالله وطِبت بالشهادة في سبيله نفساً ، وقلت : يا نفس ، حبّذا والله موقف عشت

....

(1) طحّى بالتشديد : مدّ ونشر ، وأيضاً أهلك . فالمطحّيَةُ هي القاضية المهلكة . ولعلّها مِطحنة : اسم آلة ، من طحنتهم الحرب ، أي أبادتهم .

(2) ما بين مربّعَين سقط من المخطوطة ، فأخذناه من عيون الأخبار ، 441 .

بعده عزيزاً أو رحت منه شهيداً إلى لقاء جدّي رسول الله ﷺ ، فوالله ما ثنيت عنهم عناناً ، وإنّي لواقف في غلالة ورداء ودرقة ، فما هو إلّا أن تجلّى الغبار ورأوني قائمًا في وجوههم فانهزموا وولّوا الأدبار . واتّبَعْتُهم وحدي في وعرٍ لا مسلك للخيول فيه ، ورآني الأولياء واستيقنوا بسلامتي فعطفوا عليهم عطفة واحدة ، فصحت بهم وحرّضتُهم فاستأسدوا وتفرّقوا يَميناً وشمالاً في طلبهم وقتلهم ، وملكت القلعة بالسيف قسراً .

« وانْجَحَرَ اللعين أبو يزيد وأهله وكماته ورجالُه وغزاتُه في قصر أوّليّ بذروة القلعة ، وأحاطت الجيوش به من كلّ ناحية ، فرمياً بالحجارة والرماح ورشقاً بالسهام . وأشعلنا النار في أبواب القصر ، والكفرةُ مصرّون على كفرهم وغيّهم . فكتبتُ لهم في ذلك المقام كتاباً منشوراً بأمانهم إن هُم خرجوا إليّ وأسلموا اللعينَ ، وأردتُ بذلك الإستظهار بالحجّة عند الله عزّ وجلّ . فأخذوا الكتاب

[195 أ] فمزّقوه ، فأوّل مَن / مدّ يدَه إلى تَمزيقِه أصابه سهمٌ فمات وصيّر الله روحه إلى عذابه . وتمَادَوا على إصرارهم . وأمرتُ بإيقاد المشاعل ، وبتُّ ليلتي كلّها ساهرها ، ورجلنا على خيولهم ، وسيوفهم على أعناقهم . فلمّا كان آخر الليل حمل اللعين وأصحابه من الحصن حملةً واحدة فاختلط الناس ، وقتل في تلك المعركة من الفسَقَة من قتل ونجا من نجا . وكان ممّن قتل أبو عمّار اللعين الأعمى ، ويدرس المُزاتي ، وجعفر الناظر[1] وجماعة منهم ، ونجا من نجا منهم مترامياً بنفسه من أعلى القلعة هارباً . فلم أصرفهم ، وأمرت الأولياء بالثبات على مصافّهم[2] وتعبئتهم حول ذلك [القصر . ولم أزل قائمًا حتى لاح ضياءُ الفجر ، وإذا اللعينُ قد] جُرح في تلك الحملة فحمله ثلاثـ[ـة من أصحابه حتى] خلّصوه من المعركة ثم ولّوْا وأسلموه فذهب لينزل من القلعة فسقط ، ثم

(1) في الاصل : الناطق ، والتصويب من عيون الأخبار 442، وكذلك الإضافات .
(2) في المخطوط : مصارفهم .

قام ليلحق بأصحابه فسقط سقطة أخرى أَوهَتْ جسمَه فلم يستطع حراكاً فبقيَ مُلقًى على ضفّة الوادي ، فأُتينا به أسيراً بحمد الله ومنّه وصنعه وعونه عند صلاة الفجر يوم الأحد لخمسٍ بقين من المحرّم . ورأيت من سوء حاله وما أصاره الله إليه من الذلّ وأحلّه به من النقمة ما في بعضه شفاء للغيظ . فحمدت الله وشكرته ، وأمرتُ بمُداواة اللعين والرفق به إلى أن أصل به إلى المهديّة إن شاء الله .

« فاحمد الله أنت ومَن قِبَلك من رعايانا ، وأكثروا معاشرَ العباد من الشكر ، وتقرّبوا إليه بالصدقات وعتق الرقاب من طيّب أموالكم ، واذكروا ما كنتم فيه وما أصبحتم فيه اليوم من العزّ بعد الذلّة ، والأمن بعد الخوف ، والطمأنينة بعد الروع ، والإجتماع بعد الفرقَة ، والدعة بعد المحنة . واحمدوا الله على ما وهبكم وصرف عنكم . فقد تحمّلت ما لم يتحمّله ملك قطُّ قبلي ، لم أُرِدْ بذلك من المخلوقين جزاءً ولا شكوراً إلّا القربةَ إلى الله عزّ وجل ، والزلفى لديه والرغبة في ما عنده . فالحمد لله على إنجاح سعيي وتبليغي أملي ، وإليه أرغب في العون على أداء شكره وتوفيقي لمرضاته . وهو حسبي ونعم الوكيل » .

وذكر المنصور أنّه لمّا وقف في المضيق صعد رجل على صخرة يرميه بالحجارة ويقلب الصخور عليه ، وهو لا يستطيع أن يتحرّك لضيق الموضع ، وإذا برجل قد جاء إلى ذاك الرجل من ورائه فرماه برمح فقتله وحزّ رأسه . فأمرَهُ أن يحمل الرأس إلى المضرب وينتظِرَه ليكافئَهُ . فلمّا تراجع إليه الناس وعاد إلى المعسكر وجَدَ الرأس بين يديّ المضرب فعرفه . وطلب قاتله فلم يجده ، فعلِم أنّ ذلك من نصر الله له .

المناظرة بين المنصور وأبي يزيد

وأحضر المنصور أبا يزيد بعد أخذه بيوم فقال : « أي عدوَّ الله وعدوَّ دينه ، كيف رأيت صنعَ الله ؟ ألم ينصر الله الحقَّ على قلّة أنصاره ويخذل الباطلَ على كثرة أعوانه ؟ » . وقرأ قوله تعالى : ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ : لَا

غَالِبَ لَكُمُ اليَوْمَ مِنَ النَّاسِ ، وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ . فَلَمَّا تَرَاءَتِ الفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ (الأنفال ، 48) .

فرفعَ أبو يزيد رأسه وقال : قد أقدرك الله ، والعفوُ أولى بك .

فقال له : تكلّم آمناً مطمئنًّا : ما الذي اعتددت على أمير المؤمنين – يعني القائِم بأمر الله – حين خرجتَ عليه ؟

فقال : كان أبو القاسم كريمًا حوله قوم سوءٍ أحدثوا هذه القبالات التي فيها الجور على المسلمين ، فقمت لذلك منكراً أريد إصلاح أمور الناس .

قال : فهل علمتَ أنّ ذلك من رأي أمير المؤمنين وأمره ؟

قال : لا أعلم .

قال : فهلّا رفعت ذلك إليه وأطلعتَه عليه ؟ فإن [1] غيّر المنكر ، كان الذي

[195 ب] أردتَ ، وإن هو لم يفعل اتّخذت ذلك / حجّةً عليه ؟

فسكت . قال : كأنك إنّما قمت محتسباً ؟

قال : نعم .

قال : وهل غيّر الإسلامَ ونقض شريعة محمّد عليه السلام غيرُك ؟

قال : كيف ؟

قال : بما ارتكبتَ من المحارم واحتقبت من العظائِم ، وسفكتَ من الدماء ، وهتكت من الحرمات .

قال : فعل ذلك قوم سوء تبعوني .

قال : عن معرفة منك بهم أم عن جهل ؟

قال : عن جهل .

---

(1) في المخطوط : وإن .

قال : فإذا كنتَ لا ترى الحجّة عليك بفعل أصحابك ، فمِن أين رأيتَ الحجّة واجبةً على أمير المؤمنين من فعل عبيده في أقاصي البلدان ، ومُلكُه بحمد الله كالبحر الذي فيه الجواهر والغُثاء ؟

فسكت . قال المنصور : ما تقول في بني كملان هؤلاء خاصة ؟

قال : قوم سوء ملاعين .

قال : قد نقضتَ قولك وأكذبك الله على لسانك إذ زعمتَ أنّك جاهل بأهل الشرّ من أصحابك . ثمّ هذا قولك في بني كملان ، وهم عُمدتُك وأصحابُك ، فالويل لك من الله !

قال : فإني أتوب إلى الله عزّ وجلّ على يديك .

قال : وأيّ توبةٍ تقبل منك ، وقد خرجتَ عن مذهبك ؟

قال : بماذا ؟

قال : بالفرار من الزحف ، وهو من الكبائر عندنا أولياءَ الله ، وعندكم ، أعداءَ الله ، كفرٌ وشِرك . هٰذا وأنت الضامنُ لأصحابك أنك لا تنهزم أبداً .

قال : ومتى آنهزمتُ ؟

قال : من سوسة ، ثمّ من القيروان ، ثمّ من تمَاديت[1] ، ثمّ من باغاية .

قال : بل أردتُ دخولَ المَغرب فرحلت من القيروان .

قال : بل أخرجك منها ابن رسول الله بسيف جدّه صاغراً مهزوماً ذليلاً خازياً طريداً .

فسكت . فقال له المنصور : ثمّ استعملتَ الكذب .

(1) في المخطوط : تامديت .

قال : ومتى كذبت ؟

قال : في كتابك إلى الأمويّ الشقيّ تزعم فيه أنّك حصرتني وقتلتَ رجالي وأخذتَ فازتي .

قال : ما كتبت هذا .

قال : يا غلام ، أحضرْ كُتبَه التي أخذناها مع رسوله !

قال : العفو !

قال : ومن العجب أنّك تعُدّ نفسك من الدهاة وتراها أهلاً لِتدبير الحروب وسياسة الأمور ، وٱمرأةٌ من سِفلة الناس كانت أعقلَ منك .

قال : ومن هي ؟

قال : امرأتُك التي حذّرتْك سوءَ العاقبة وأشارت عليك[1] بالاعتراف بذنبك ، والتوبة إلى الله عزّ وجلّ ربّك ، فلو أطعتَها لأصبتَ رشدك .

قال : لقد قالت ذلك .

قال : أتدري لِمَ بلغتَ ما بلغتَ ، على خساستك وجَهلِك وسوء حالك ؟

قال : بالقيام لله .

قال : معاذ الله ! من قام لله نصره الله . ولن يقوم لله إلّا أولياء الله[2] .

قال : فبماذا ؟

قال : بهوانك على أمير المؤمنين ، واحتقاره إيّاك ، واستصغاره لشأنك . ولقد كان يقول : لو أخذ عدوّ الله بحلقتَي هٰذا الباب ما خرجتُ إليه ، ليبلُوَ الله المؤمنين ويمحق الكافرين . والذي نفسي بيده ، لينجزنَّ الله لنا وعده ولو كره المشركون !

....

(1) في المخطوط : إليك .

(2) في المخطوط : الأولياء الله .

فسكت . فقال له : عندنا أن نُحسن إليك ونتفضَّل عليك ، ولن ينالك من عقوبتنا أكثر من سَجنك في دار واسعةٍ ورزق دارٍّ لتعلم أنّي ابن رسول الله وأنّ الله فضَّل أخلاقنا كما طهّر أعراقنا . فوالله ما لي في قتلك درك ثأرٍ ولا شِفاء غيظ . أخزى الله دولةً لا يُحييها إلّا موتُك !

ثم أمر بحمله فحُمِل وهو يقول : جزاك الله خيراً ! فقد فعلت ما يُشبهُك .

وفاة الثّائر البربريّ والتمثيل بجثّته

وأقام إلى ليلة الخميس آخر المحرّم فمات من الجراح التي أصابته . ولمّا أصبحَ أمرَ بإدخاله القفصَ الذي كان أعدّه له ، وجعل معه قِردَيْن يلعبان عليه ، وأخرجه إلى الخندق تحت قلعة كيانة ليراه أصحابه وأحضر الجزّارين وأمرهم بسلخه فسلخ بصورة جميع أعضائه ووجهه ورأسه وأخرجوا أحشاءه وعولج بمَا يحفظ لحوم الموتى ، وحُشِيَ جلدُه بالتبن حتى ظهرت صورتُه كأنّها ناطقة . وجعل ذلك في صندوقين طويلين ، وأهل القلعة مُشرِفون عليه ينظرون / ما قد [196 أ] عُمل به ، فهالهم ذلك وملأ نفوسَهم رعباً .

ولمّا فرِغ من فعله بأبي يزيد ، وحضرت صلاة الظهر ، تقدّم المؤذّنون ، فأذّنوا . ثمّ قالوا : السلام عليك يا أميرَ المؤمنين ورحمة الله وبركاته . صلاة الظهر رحمك الله !

فسرّ الناسُ بذلك وفرحوا وتباشروا . وجلس للناس بعد صلاة الظهر فدخلوا عليه وسلّموا عليه بالخلافة وهنّؤوه بها . فبسط آمالهم ووعدهم بالفضل والإحسان والعدل . وأمر بإنشاء الكتب إلى الآفاق بأنه أمير المؤمنين . وإنّمَا ستر ذلك وكتَمَه من أجل الحرب ودوام الفتنة ولئلّا يسرّ عدوّ الله بمَوت أبيه القائِم بأمر الله . وتقدّم بإثبات اسمه بالسّكّة ودار الضرب[1] .

---

(1) الإعلان عن وفاة القائم كان بعد عام وثلاثة أشهر (انظر ترجمة القائم رقم 2641) .

ووافى في هذا اليوم معبد بن خرز النكّاري بجموعه حتى نزل تحت قلعة شاكر فملكها . ثمّ زحفَ من الغد إلى الخندق فنزل عليه ولحق به مَن بقي بقلعة كيانة من أصحاب أبي يزيد . فندب المنصور لقتاله واقتتلوا قتالاً شديداً [و]قتل من الفريقين خلق كثير . ثمّ انهزم معبد إلى كيانة فامتنع بها وقاتل منها . وكان زيري بن مناد وقيصر وشفيع بالمسيلة فأمر بإحضارهم مُخِفّين بغير أثقال .

ورحل يوم السبت غرّة صفر ، فأخذ معبد يضرب ساقة العسكر ، فبعث المنصور بشرى الصقلبيّ بعساكره[1] إلى زيري وقيصر لمُحاربة معبد فحاربوه وقتلوا منه عدداً كبيراً حتّى انهزم .

ووصل المنصور إلى المسيلة فأقام بها سبعة عشر يوماً . فأتته عساكر كتامة مع خفيف ومسرور الصقلبيّين . وأتاهُ قوم من بني كملان فعفا عنهم وخلع عليهم .

ورحل ليلة الثلاثاء لاثنتي عشرة بقيت من صفر ، وأمر زيري بحشد صنهاجة .

ثمّ نزل تاهرت يوم الاثنين غرّة ربيع الأوّل ، فطيف بأبي يزيد فيها .

ونزلت بالمنصور علّة شديدة مدّة عشرين يوماً حتى يئس منه ثمّ برئ . وقلّد مسروراً الخادم عمل تاهرت .

ورحل عنها لتسع خلون من ربيع الآخر ، فمرّ بقبائل لواتة ومضى يريد إفريقية . وخلع على زيري بن مناد أربع خلع كاملة فيها ثوب مثقل بدارات[2] قيمتُه أكثر من ألف دينار ، وخلع على أولاده وأصحابه ، وحمله على فرس من مراكبه بسرج ثقيل وقلّده سيفاً وأعطاه ثلاثة أحمال مالاً وأعاده إلى موضعه .

(1) في المخطوط : بعرامته ، ولم نفهمها .
(2) هكذا في الأصل ، ولم نفهم المقصود منها ، ولعلّها : دُرّات .

ونزل مدينة سطيف من بلد كتامة فأقام بها شهراً ، وفرض على كتامة أربعة عشر ألف بيتٍ يوافونه بها [بـ]المنصورية للسكنى بها . ثمّ رحل منها فوافته في مسيره حشود كتامة وعيالاتهم ، فأنفذهم إلى المنصورية . فلمّا نزل تبسّة خلع فيها على جميع الأولياء خلعاً نفيسة ، وتلقّاه كثير من أهل المهديّة بها .

رجوع المنصور إلى القيروان ظافراً

ثمّ سار والناس يتلقّونه شيئاً بعد شيءٍ ركباناً ومشاة حتى أشرف على المنصوريّة ، فخرج إليه أهلُها بأجمعهم يكبّرون الله ويُهلّلون ويدعون له ، فسجد على فرسه شكراً لله تعالى ، ونزل قصره بالمنصوريّة ، وقد بناه له مدام الصقلبيّ في غيبته . وكان وصوله صلاة العصر يوم الخميس لليلةٍ بقيت من جمادى الآخرة فبات بها . وأخرج من الغد أبا يزيد وطوّف به على جمل وعليه طرطور وقِردانٍ على كتفَيه مدّة ثلاثة أيام . ثم حُمل إلى المهديّة فطيف به هنالك ، ثمّ جُعل على خشبة طويلة فوق سور المهديّة ، فأقام حتى مزَّقَته الرياح .

وقالت الشعراء في ذلك فأكثرت . فمِن ذلك قول محمد بن سعيد[1] الأبروطي من قصيدة [طويل] :

يُقلِّدها من هاشم خيرَ هاشم ... وأشرفَها بنيانَ مجدٍ وأرفَعا
/ تحمَّلَ منها ما لو أنَّ أقلَّه ... على كاهل الدهر انكفا وتضعضعا [196 ب]
أطلّ على الدنيا فلم يبقَ جانب ... من الأرض إلّا اخضرّ نبتاً وأمرعا
رمى الخائنَ الدجّالَ إذْ حُمَّ حَيْنه ... فما رام حتى عاد شِلواً موزَّعا
سل الغربَ كم أبقى به من وقائعٍ ... حقيقٍ لها بالشرق أن تُتَوَقَّعا
ولم أرَ كالمنصور بالله ناصراً ... لدينٍ ، ولا أحمى لمُلكٍ وأمنَعا

---

(1) سبق أن سمّاه محمد بن الحرث . وسيسمّيه من جديد محمّد بن الحرث، ص180. وجاء في معجم البلدان (باجة) اسم محمد بن سعيد الأبروطي ، وهو رجل من أهل اللغة والتدريس . وهو غير هٰذا الشاعر حسبَ ما يبدو .

[هو الملِكُ المخصوصُ بالنّصرِ مُلكُه ... وحافظُ ما قد كانَ ضاعَ وضُيِّعا] [1]
ألم ترَ يومَ القيروان وقوفَهُ ... وقد كادت الأكباد أن تتصدَّعا ؟
فأبرز وجهاً للحفيظة أبيضاً ... يقابل وجهاً للكريهةِ أسفعا [2]
إذا استقبل الأبصار ، وهي طوامحٌ ... ثناها ، ولم تستكمِلِ اللحظَ ، خُشّعا
إمامَ الهدى ، أقبلتَ ، والدهرُ مقبلٌ ... وقد عاد عُودُ الدهر رطباً فأينَعا
وما أحدٌ يَسعى ليُدرك غايَةً ... من الفخر إلا كنتَ بالفخرِ أشفَعا

وقال آخر من قصيدة [كامل] :

انظر إلى الأيام كيف ترى لها ... وجهاً تألَّقَ نُورُه وتَهلَّلا
كشف الغطا لمنصَّرٍ عن حُجّةٍ ... نطقت دلائلُها فكانت فيصلا
الله جرّد للإمامةِ فضلها ... مُذ قلَّدَ الأمرَ الإمامَ الأفْضَلا
قصدَ التي ليست تُرامُ ، بنفسه ... فأقام بالتدبير منها الأمْيَلا
سل كيف كان ، وقد رأيتَ ثباتَه ... إذ كادت الألبابُ أن تتزيَّلا
وسعى الضلالُ فساقَ كلّ قبيلةٍ ... وأتى اللعينُ يقود جيشاً جحفَلا
ظنّ القلاعَ تَرُدُّ بأسَك دونَها ... فقَصَدْتَه من حيثُ لم يكُ أمَّلا
ولجا إلى تلك الوعور ، وخلفه ... نَكِرٌ إذا ما حلّ وعراً أسهلا [3]
أتبعتَه حزماً أحاط بكيدِه ... ورميتَ عَقد ضلاله فتحَلّلا
لم ينج منك ، وأين [كان] لمثله ... مَنْجًى ، ولو سكن السماكَ الأعزلا ؟
جازيتَه أوفى الجزاءِ ، ولم تكُن ... فيمَا عهدتُ تقولُ حتى تفعَلا
نعتدٌّ ذكرَك عندَ كلِّ شديدةٍ ... وَزراً نلوذُ به وسيفَك مَعْقِلا
أقبلتَ تقدُمُك السعادةُ مثلَمَا ... وافَى بجِدّته الربيعُ فأقبلا

---

(1) هٰذا البيت غير موجود في المخطوط ، ونقلناه عن عيون الأخبار ، 364 .
(2) مرّت بنا رواية مغايرة ، وستتكرّر . وأبرز عن وجهٍ من الصَّبر أبيض ... ، والحفيظة الحَميّةُ والغضب والغيرة .
(3) النكِر (وزن فطن ولبق) : الذكيُّ النبيهُ الداهية .

فاسلَمْ أمينَ الله للدنيا التي أعززتَ ، والدينِ الذي بِك أُكْمِلا

تَمَرّد الفضل ابن صاحب الحمار

ثم بلغ المنصور أنّ فضل بن أبي يزيد مضى إلى جبل أوراس وجمع عدداً كبيراً وسار إلى قسطيلية وقفصة . فرحل في حينه من المنصوريّة يوم الاثنين غرّة شعبان . ومعه الأمير أبو تَميم معدّ وليّ عهد المسلمين . وسار حتى نزل مدينة سبيطلة ثم أتى قفصة فأقام بها أربعة أيام وقد فرّ عنها فضل إلى عمل بسكرة فرحل في طلبه لثلاث بقين منه وبعث الأمير أبا تَميم إلى حصن منيع به جماعة من أصحاب فضل بن أبي يزيد ففتحه وعاد غانمًا بالأسرى ، فاستقبلَه قائِماً فقبّل ما بين عينيه وضمّه إلى صدره وقال : « أنت اِبني حقًّا ! » ، وحزّت رؤوس الأسرى فزادت على ثلاثمَائة رأس بعث بها إلى المهديّة والمنصوريّة / وأمر بقطع [197 أ] نخلهم وأشجارهم وهدم حصنهم وعاد ، وقد توغّل فضل في الرمال ، لثلاث خلون من شهر رمضان ، ونزل بقصره بالمنصوريّة يوم الثلاثاء النصف منه ، ثم رحل منه إلى المهديّة لخمس بقين منه .

خطبة عيد الفطر بعد الظفر

وركب منها يوم الفطر ، والأمير أبو تميم وليُّ عهده خلف ظهره والأولاد والإخوة والعمومة من ورائهما والأعلام والمَطارِدُ بين أيديهما ، والطبول تُضرب في نواحي العسكر ، وهو سائر بوقارٍ حتى وصل إلى المصلّى فنزل وصلّى بالناس ثم صعد المنبر فقال :

« بسم الله الرحمان الرحيم ،

« الحمد لله ، شكراً لأنعمه التي لا تجحد ، وتعرّضاً للمزيد من فضله الذي لا ينفد .

« ولا إلّه إلّا الله ، إخلاصاً للتوحيد .

« والله أكبر ، إجلالاً لذكر العليّ المجيد ، له الكبرياء والقوّة ، والجلال

والقدرة ، والسناء والعظمة ، له ما في السماوات العلى ، والأرضين السفلى ، وما بينهما وما تحت الثرى ، كلٌّ خاضع لعظمته ، متذلّل لعزّته ، متصرّف بمَشيئته ، واقع تحت قدرته .

« وأشهد أن لا إلّه إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمّداً عبده ورسوله ، اختاره وانتخبه وارتضاه ، وكرّمه واصطفاه ، وبعثه بالهدى ودين الحقّ الذي تعبّد به مَن في السماوات من الملائكة المقرّبين ، ومَن في الأرض من الثقلين أجمعين ، فقام عليه السلام بمَا حمّل ، وبلّغ ما به أُرسل ، صادعاً بأمر ربّه ، صابراً على البأساء والضرّاء ، إلى أن أظهر الله دينَه على الأديان ، وأزهق بحقّه أباطيل الأوثان ، صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم ، وشرّف وكرّم .

« عبادَ الله ، أوصيكم بتقوى الله وطاعته ، وخشية الله ومراقبته ، والتقرّب إليه بمَا يرضيه ، فإنّه بمَا في قلوبكم خبير ، وبأعمالكم بصير ، لا تخفى عليه خافية ، ولا يعزب عنه مثقال ذرّة في السماوات والأرض : ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فازَ فَوْزاً عَظِيمًا﴾ (الأحزاب ، 71) .

« ألا وإنّ الله عزّ وجلّ جعل يومكم هٰذا عيداً لتَمَام صومِكم ، فاقتدُوا فيه بسنّة نبيّكم ، وَلْيُخرِجْ كلٌّ منكم عن كلّ واحدٍ من أهله ، إناثهم وذكورهم ، وصغيرهم وكبيرهم ، نصفَ صاع من بُرٍّ أو صاعاً من شعير أو صاعاً من تَمرٍ من طعامكم الذي تأكلون . وأكثروا الدعاء والاستغفار ، والحذر من النار . ﴿يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ ، وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الحشر ، 18) .

« إنّ الله عزّ وجلّ لم يُهمِلكم إهمالَ الهمج ، ولم يجعل عليكم في الدين مِن حرج . وفّقنا الله وإياكم لمَا يرضيه ، ويقرّبنا إليه ، ويزلفنا لديه . وصلوات الله أوّلاً وآخراً على محمد خاتم النبيّين وسيّد المرسلين ، وعلى أهله الطّيبين المهديّين ، السادة الأكرمين ، الذين قضوا بالحقّ وبه كانوا يعدلون » .

الخطبة الثانية :

« الحمد لله ربّ العالمين ، والعاقبة للمتّقين . والصلوات الغاديات الرائحات الزاكيات الناميات على محمّد وآله الطيّبين ، الأئمّة المهديّين ، السادة الأكرمين الأبرّين .

« حمداً حمداً ! شكراً شكراً ! أنجزتَ وعدَك ، ونصرتَ عبدَك ، على كَره الكافرين ، وصَغارِ المارقين الأخسرين ، أحزاب[1] الدجّال اللعين ، المغضوب عليهم الضالّين ، الأنجاس الأرجاس ، أُولي الذلّ والإتعاس ، الأشقياء الأخزياء ، الملعونين في الأرض والسماء .

« حمداً حمداً ! وشكراً لله شكراً !

« سلام الله وصلواته ، ورحمتُه وبركاتُه عليكما يا أميرَيْ المؤمنين ، وخليفتَيْ ربِّ العالمين ، يا ابنيْ الهُداة المهديّين ، يا أبتاه ! يا جدّاه ! يا ابنيْ محمّد رسول الله . سلامَ مسلّم لله فيمَا قضاه عليّ مِن فقدِكُما ، صابرٍ على ما امتحنني به من بَعدكما[2] . فيا طولَ الحسرة ، وفيضَ العبرة عليك يا أبتاه ! يا محمّداه ؟ يا أبا القاسِماه ! يا خليلاه ! / واشوقاه ! واأَلَماه ! والذي خلق الأرض والسماء ، [197 ب] باعث الموتى ، ومميت الأحياء ، ما أنا في ريب من اختيار الله لك ، ونُقلتك إلى دار كرامته ، ومستقرّ رحمته التي بوّأها محمداً رسولَه جدَّك صلّى الله عليه ، وأميرَ المؤمنين عليّ بن أبي طالب ، وفاطمة الزهراء البتول أمَّك . [وآباءَك] الأطهار المهديّين ، الأبرار الأكرمين . لكنّ لوعة المحزون باعثة للشجون ، مبكية للعيون ، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون ، وله مسلّمون ، وعلى كلّ حال تصرّف بنا حامدون ، ولنعمائه شاكرون .

« فقد أعظم الله عزّ وجلّ المِنَّة ، وضاعف النِّعْمَة ، بمَا ربطه على قلبي من

(1) في المخطوط : أحداث .
(2) الفتحة في النصّ .

الصبر ، ثمّ [بـ]ـمَا أكرمني به من العزّ والنصر الذي ثبّت به قواعدَ الإسلام ، ونوّر به قلوب المؤمنين بعد الإظلام ، وبعد انقطاع الرجاء ، لتطاول شدّة البلاء ، بالفتنة العظمى وأهوالها ، وبلبالها وزلزالها ، بدجّال النفاق ، وأحزابه المرّاق ، أعداء الدين ، وأنصار إبليس اللعين . أمهلهم الله استدراجاً ، وأملى لهم فازدادُوا في الغيّ لجاجاً ، ليميّز الله الخبيث من الطّيب ، وليُري أولي الألباب تصديقَ وعدِ الكتاب . ﴿آلم . أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا ، وهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ؟ وَلَقَدْ فَتَنَّا الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الكَاذِبِينَ﴾ (العنكبوت ، 1 – 2) ، وعداً من الله [لا يخلفه] ، وحكماً لا يبدّله ، في الأوّلين من عباده والآخرين ، إلى يوم الدين . فكانت بحمد الله ونعمته على أعدائنا فتنة أصَمَّتْهم وأعمتهم ، وأضلّتهم وأردتهم ، ولنا ولأوليائنا محنة أكسبتنا أجراً ، وأعقبتنا عزًّا وفخراً ، كان وجهُها شتيمًا ، وعقباها كريمًا ، لما أراده الله عزّ وجلّ من تجديد دولتنا وإعزاز أمرنا ، وتكفّله بنصرنا ، وتثبيت أوليائنا ، ومحق أعدائنا ، حتى انتهت منتهاها ، وبلغت أقصى مداها ، فجلّى الله ظُلمَها ، ونوّر بُهُمَها[1] وكشف غمّاءها ، وصرف لأواءها ، على يديَّ ، كرامةً من الله خصّني بها ، وفضيلةً حباني بشرفها ، ونعمةً منه عليّ وعلى آبائي الطاهرين ، الأئمّة المهديّين .

« تَظافَر[تْ] عليَّ جيوش المنافقين ، الكفَرة المارقين فخذلها ، وطمحت العيون نحوي فطمسها ، ورُفعت الرؤوس إليّ فطأطأها ، وشَمخت الأنوف فأرغمها ، وصُعِّرت الخدود فأضرعها ، وأبى جلّ جلالُه إلّا إتمَامَ أمري ، وإعزاز نصري ، وإنجاز وعده محمّداً رسوله عليه السلام ، بإعزاز ملّته ، وإظهار حجّته ، ونصر الأئمّة من ذرّيته .

....

(1) البُهُم بضمّتين : جمع البهيم ، وهو الحالك الأسود المظلم .

الإشادة بكتامة

« يا أهل دعوتنا ، وأنصارَ دولتنا ، يا كتامة ! احمدوا الله واشكروه على ما خصّكم به وفضّلكم على كافّة الخلق ، في غربٍ وشرق . بدأكم بالنعمة العظمى ، ثمّ شفعكم بالمنّة الكبرى ، ووالى بينهما عليكم من نِعمِه ما لا يحصى : علّمكم ، والناسُ جُهّال ، وهداكم ، والعباد ضلّال ، إلى نصرة حقّه وطاعة وليّه ، علَم الهدى ، وسراج الدجى ، قطب الدين ونجل النبيّين[1] ، ففزتم بالسبق إلى نصرته ، والسعي في طاعته ، حتى إذا قضى الله بزلزال البلاد ، واختبار العباد ، [و]زلزلت الأقدام ، وجلّل الأرضَ الظلام ، وعظمت الخطوب ، واشتدّت الكروب ، عصمكم الله وهداكم ، وثبّت أقدامكم ، وجَلّاها عنكم خاصّة ، وعن العباد كافّةً ، بنا وبأيدينا ، فكانت على العباد حُجّةً ، وعليكم نعمة ، لتزدادوا إيمَاناً فيزيدكم إحساناً ، فانجلت والله عنكم وأنتم بيض الوجوه ، موفون بعهد الله ، معتصمون بحبل الله ، مجاهدون في سبيل الله ، أحياؤكم سعداء ، وأمواتكم شهداء ﴿عِنْدَ / رَبِّهِم [198 أ]
يُرْزَقُونَ﴾ (آل عمران ، 169) فهنيئاً لكم هنيئاً !

« اللهمَّ إني عبدك ، اخترتني وارتضيتني ، وشرّفتني بمَا أورثتني من مقام أصفيائك وخلافة أوليائك ، وأغنيتني وأفقرت الخلق في دينهم ودنياهم إليّ ، وأنعَمْتَ بي ، ولم تجعل لأحد عليَّ منّةً سواك ، وأقمتني لإحياءِ حقّك ، والشهادة على خلقك ، فإنّي لا أقول إلّا حقًّا ، ولا أنطق إلّا صدقاً . وقد بلغني عن آبائي عن جدّنا محمد رسول الله ﷺ ، أنّه قال : « ما من خطيب يخطب إلّا وَقَفَهُ الله يوم القيامة فيسأله عن كلّ كلمة وما أراد بها » . فوعزّتك وجلالـ[ـتـ]ـك ، وعلوّ مكانك وعظمتك ما هبت عدوًّا ، ولا مَلَقْتُ[2] وَلِيًّا ولا

(1) هكذا في المخطوط . وعند الداعي إدريس ، 485 : وحبله المتين .
(2) ملقه (وزن نصر) وملِق (وزن فرح) ومَالَقَهُ : تملّقه .

شكرت على النعماء أحداً سواك .

« وقد أصبحت راضياً عن كتامة لاعتصامهم بحبلك ، وصبرهم على البأساء والضرّاء في جنبك . اللهم فأرضَ عنهم ، وضاعف حسناتهم ، وأمحُ عنهم سيّئاتِهم ، وأبقِ نعمتَك عليهم في أعقابهم ، إنك مجيب سميع قريب » .

ونزل فانصرف إلى قصره ، وأمر بإطعام العوامّ ، وبصدقاتٍ فرّقت في الفقراء والمساكين .

وفي يوم الأربعاء لعشر بقين من ذي القعدة ، وصل رأس فضل بن أبي يزيد ، وكان زحف من جبل أوراس إلى مدينة باغاية فحاصرها إلى أن خدعه رجل يقال له باطيط بن يعلى وقتله .

خطبة عيد النحر بعد الظفر بالفضل

وركب المنصور من قصره بالمهديّة لصلاة عيد النحر على الرسم الذي تقدّم في يوم الفطر ، فصلّى بالناس ثم صعد المنبر فقال :

« بسم الله الرحمان الرحيم . الله أكبر ! الله أكبر ! لا إلَه إلّا الله .

« والله أكبر ! الله أكبر ! ولله الحمد والملك والخلق . تبارك الله ربّ العالمين . مدبّر الأمور ، وباعث مَن في القبور . وأشهد أن لا إلَه إلّا الله وحدَه لا شريك له ، الذي لبس العزّة ، وارتدى العظمة ، وانفرد بالجبروت والأزليّة ، وتوحّد بالملكوت والربوبيّة ، العزيز الغفّار ، المتكبّر الجبّار ، المتعالي عن الصفات ، المعروف بالآيات البيّنات ، المعبود في الأرضين والسماوات .

« وأشهد أن محمّداً عبده ورسول ، خاتم أنبيائه ، وسيّد أصفيائه ، وأكرم أوليائه ، بعثه بالهدى ، مُبصِّراً من العمى ، منقِذاً من الضلالة والرّدى ، وأكمل به على العباد نعمته وإحسانه ، وأبان به سخطه ورضوانه ، فبلّغ عليه السلام الرسالة ، وصرّح بالبشارة ، وأعلنَ النّذارة ، وكشف الله به الظلماء ، وأبطل الجاهليّة الجهلاء ، حتى تآلف النّافِر ، وآمن الكافر ، وعَبَد الجاحِد ،

وأذعن المعاند ، وأصبح الحقّ واضحاً بعد دروسه ، مضيئاً بعد طموسه بأصنام معبودة ، وقلوب كافرة ، وأيْدٍ عليه متظافرة ، إلى أن أذن الله بإظهار دينه على الدين كلّه .

« صلوات الله على محمّد سيّد الأنبياء ، المضطلع بالأعباء ، الصابر على البأساء والضرّاء ، الباذل لله نفسه أعزّ الأنفس قدراً ، وأجلّها عند الله خطراً ، وأرفعها في الملإ الأعلى ذكراً ، لا يسأل العباد على ذلك أجراً إلّا المودّة في القربى ، كما أمره ربّه ليكون الودّ لأئمّة الهدى من ذرّيته سبباً لشفاعته والحشر في زمرته .

« الله أكبر ! الله أكبر ! لا إلَه إلّا الله ! والله أكبر ! الله أكبر ! ولله الحمد والعظمة والمجد !

« عباد الله ، إنّ يومكم هذا يوم عيد أوجب الله تعظيمه وتكريمَه ، افتتح به الأيام المعدودات ، وختم به الأيام المعلومات ، وجعله علَمًا للميقات ، لحجّ بيته الحرام المعظّم ، العتيق المكرّم ، تفتح فيه أبواب السماء ، لقبول الدعاء . فادعوا الله مخلصين ، وابتهلوا إليه راغبين ، تقرّباً بما أمركم [و]وَزَعَكم [1] ، من بهيمة الأنعام / ، وأفضلُها إناث الإبل ، وإناث البقر ، وفحول الضأن . ومن [198 ب] ضحّى بجذع من المعز لم يُجز عنه ، وجذع الضأن يُجزي ، وكلّ ذبيح قبل الصلاة لحمٌ مُحلّلٌ ، وبعد الصلاة قربان متَقَبَّلٌ . وتمَام الأضاحي سلامة الأعين والآذان ، فاجتنبوا مرضاها ومشوّهاتِها ، بزيادة الأعضاء ونقصانها ، وأَحِدّوا الشِّفارَ [2] لها ، وارفقوا عند الذبح بها . ﴿فَإِذا وَجَبَتْ جُنُوبُها فكُلوا مِنْها وأَطْعِمُوا القانِعَ والمُعْتَرَّ﴾ (الحج ، 37) ، ﴿كذلك سَخَّرْناها لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (الحج ، 36) .

---

(1) وزعه يزعه وأوزعه الأمرَ : ألهمَه إيّاه وكلّفه به .
(2) الشفرة : السكين العظيمة .

« تقبّل الله منّا ومنكم قربانَنا ، وأجاب دعاءَنا ، وزكّى أعمالَنا ، إنّه المنّانُ الكريمُ ، الجواد الرّحيم » .

[الخطبة] الثانية :

« الله أكبر ! الله أكبر ! لا إلّه إلّا الله .

« والله أكبر ! الله أكبر ! الله أكبر ! ولله الحمد دائمًا ، والملك باقياً ، والعزّ قاهراً ، والدين واصباً[1] . فسبحان من تفرّد بالبقاء ، وتوحّد بالبهاء ، وتمَجّد بالسّناء ، وقهر الخلق بالفناء ، ومَنّ بالنعم والآلاء ، ابتدأ بجوده وجزى بعدله ، شهد الله وشهد من مجّده أنّه لا إلّه إلّا هو ، والملائكة المقرّبون وأولو العلم المؤمنون ، قائمًا بالقسط ، منفرداً بالملك ، متوحّداً بالربوبيّة ، لا إلّه إلّا هو العزيز الحكيم . وأنّ محمداً عبده ورسوله خاتم النبيّين وسيّد المرسلين ، وأكرم المصطفين ، وأفضل المنتخبين ، صلوات الله عليه وعلى مَن تقدَّمَه من الأنبياء والمرسلين ، وخَلَفَه من الأئمّة المهديّين من ذرّيّته الكرام الطاهرين ، ألسن الصدق وأعلام الحقّ ، وهداة الخلق ، ودعاة الرشد ، وأدلّة القصد .

« اللهمّ ، صلّ منهم على من بدا ضياؤه ، ساطعاً سناؤه ، بحرَ علوم زاخر الغوارب ، وبدرَ سمَاء زاهرَ الكواكب ، منوِّر الظُّلَم ، وكاشف البُهَم[2] ، مُحيي السنن ، ومميت الفتن : ذلك عبدُ الله ووليُّه وخيرتُه وصفيُّه . أبو محمد الإمام المهدي بالله أمير المؤمنين ، المرتضى للدين ، والهادي إلى الحقّ المبين ، وسيف الله المنتضى على الكافرين . اللهمّ صلّ عليه أتمّ صلواتك ، وواصل لدَيْه تحيّاتِك ، وجدّد له كراماتِك ، وزده في نعمائك ، وفواضل آلائك ، وجزيل عطائك .

« اللهمّ ، وصلّ على وارث مقامه ، وواصل أيّامه ، العلَم الأزهر ،

(1) وصب (وزن وقف) : دام وثبت .
(2) البُهَم (وزن أمم) : مشكلات الأمور .

والسراج الأنور ، محمد أبي القاسم[1] القائِم بأمر الله أمير المؤمنين ، الذي اصطفيته وكرّمته ، واخترته وارتضيته ، وامتحنتَه وابتليْتَه ، فكان لأنعمك شاكراً ، وعلى البلاءِ صابراً ، مسلّماً تسليمَ أنبيائك الأكرمين ، وأوليائك المنتخبين ، لرفع شأنهم وكرامتهم ، لا لهوانهم . لقد كان المبتلى بأعظم فتنة ، وأشدّ محنة ، من أحقّ الأمم بالخزي واللعنة ، لافترائهم عليك ، وارتكابهم معاصيك ، وجحدهم تنزيلك ، وتكذيبهم رسولك ، وتألُّبهم على إطفاءِ نورك ، وتظافرهم على هدم دينك ، ولم يكن إلى سواك ضارعاً ، ولا إلى غيرك خاضعاً ، ولا في نصرك شاكًّا ، فنطق به مُفصِحاً ، وبيّنه موضّحاً ، تثبيتاً للمؤمنين ، واحتجاجاً على الكافرين . ثم صرمتَ أيامَه ، وقضيتَ حِمامَه ، قبل شفاء غيظه ودرك ثأره ، وبلوغ أمله ، فخرج من الدنيا راضياً بك ، ضاحكاً مسروراً بلقائك ، واثقاً بجزائِك . اللهمّ ، فصلّ عليه صلاة لا تَبلُغُها الآمال ، ولا تنتهي إليها الأعمال ، تخصُّه منها بأكرم فضيلة ، وأقرب وسيلة ، وزده إحساناً ورضواناً ، ورأفةَ وحناناً ، من فضلك الذي لا يُنقصه الإعطاء / ، [199 أ] وجُودِك الذي لا مَنَّ فيه ولا أذى . وإنّا لقضائك عليه لمُسلّمون ، وباختيارك له راضُون ، وبثوابك له موقنون ، ودعاؤنا له وصلواتنا عليه فرض منك نؤدّيه ، وحقّ أَوْجَبْتَه علينا نقضّيه .

« اللهمّ لك الحمد مِن قبلُ ومن بعد على نعمتك عليّ ، بإفضائك إليّ إمامةَ الآباء المهديّين ، وخلافةَ الإئمّة الراشدين ، ونصبك إيّاي لإحياء الدين ، بإقامة سُنن سيّد المرسلين وإعزاز المؤمنين ، وإذلال الكافرين ، أوانَ طغيان الشيطان ، وحين أناخ الباطلُ على الحقّ بكَلْكَلٍ وجرانٍ ، فأتممتَ أمري وأعززت نصري ، وأسبغتَ نعمتك عليّ ، ورادفت مِنّتَك إليّ ، ولم تجعَل للمخلوقين عليّ فيها يداً ، ولا مَنْكَداً[2] .

(1) في المخطوط : أبوالقاسم .

(2) نكده حاجته وأنكده إيّاها نكداً (ومنكداً) : منعه إيّاها .

«وإليك أرفع رغبتي ، وأوجّه طلبتي ، في إيزاع شكر نعمتك وقضاء حقّك ، وأداء فرضك ، والتوفيق لما أرضاك ، وقرّب إليك ، وأزلف لديك .

« اللهمّ ، إنّي عبدك ووليّك ، فضّلتني ففضلت ، وعزّزتني فعززت ، فأنا العزيز بك ، الذليل لك ، الكريم بإكرامك ، المتواضع لإعظامك ، إجلالاً لعزّتك ، وخضوعاً لقدرتك ، وإشفاقاً من خشيتك ، لا راغباً ولا راهباً إلّا إليك ومنك . وأتمِم عليّ نعمتك بالتوفيق فيمَا أمتري به إحسانك ، وأستوجب رحمتك ورضوانك .

« اللهمّ ، اغفر للمؤمنين والمؤمنات ، الأحياء منهم والأموات ، الذين أنعمتَ عليهم بنا فشكروا ، وجاهدوا عن دولتنا فصبروا ، مستبصرين في دينهم ، مُوفين بعهدهم ، مُسلِّمين لوليّ أمرهم ، مُصدِّقين بالحقّ لمّا جاءهم ، مسارعين إلى الخيرات ، متنافسين في الصالحات ، اللهمّ ، ضاعف أجرهم ، وأعزز نصرهم ، وأكبت بهم قلوبَ أعدائك ، وجُحَّادِ حقِّ أوليائك .

« وصلّ اللهمّ ، على محمد نبيّك المصطفى ، ورسولك المرتضى ، وعلى آله الطيّبين ، والأئمّة المهديّين ، والحمد لله ربّ العالمين ، أولاً وآخراً ، باطناً وظاهراً » . ثم نزل .

التحوّل إلى المنصوريّة العاصمة الجديدة

وأقام إلى منسلخ صفر سنة سبع وثلاثين ورحل من المهديّة يوم الخميس عشرة ربيع الأوّل فوصل إلى قصره بالمنصوريّة من الغد ، وقد عُمل سورٌ على المنصوريّة في العام الماضي .

وفي هذه السنة ولّى المنصور بالله الحسن بن علي بن أبي الحسين على صقليّة ، وهو أوّل من وليها من بني أبي الحسين[1] ، واستمرّ عليها حتى وفاته

(1) خَدَمَتْ أسرة الكلبيّين الدولة الفاطميّة إلى ما بعد انتقالها إلى مصر . والنسبة ترجّح أنّهم من أصل عربيّ . لكنّ المقريزي ، في ترجمة أحد أحفادهم يقول : وهو أحد شيوخ كتامة .

سنة ثلاث وخمسين وثلاثمَائة . وكانت صقليّة تحت يدِ خليل بن إسحاق إلى أن قدِم منها في سنة تسع وعشرين وثلاثمائة ، واستخلف عليها . فلما وصل إليها الحسن صرف عمَّالَها ، وبقيت بها مملكتُه ومملكةُ عقِبهِ من بعده .

وفيها ولّى المنصور عبد الله بن هاشم قضاء القيروان في ربيع الأوّل بعد وفاة محمد بن أبي المنظور ، وولّى علي بن أبي شعيب قضاء المنصوريّة[1] .

وفي سنة ثمَان وثلاثين قطعت السبيل وكثر المفسدون فأخرج المنصور في طلبهم عسكراً فقتلوا منهم خلقاً كثيراً وأسروا مائة وأربعة عشر ، فقطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف ، وسملت أعينهم .

وفي يوم الاثنين لإحدى عشرة خلت من صفر سنة تسع وثلاثين ، عزل علي بن أبي شعيب عن قضاء المنصوريّة بزرارة بن أحمد ، وعمره تسعون سنة ، فخافه الخاصة فعزله في آخر شهر رمضان وولّا[ه] قضاء المهديّة . واستدعى أبا حنيفة النعمان بن محمّد قاضي طرابلس فولّاه قضاء المنصوريّة في أوّل سنة أربعين وثلاثمَائة وخلع عليه . وولّى حسن بن أحمد بن أبي الدبس قضاء

= وفي رواية إدريس عماد الدين لأحداث ثورة أبي يزيد ، يقترن اسم الحسن بن علي بقبائل كتامة في موضع واحد لا غير (عيون الأخبار ، 384) ، على أنّ بلاء هٰذا القائد في الحرب كان عظيماً . فلعلّ عبارة « أحد شيوخ كتامة » تعني : أحد القوّاد الذين تأمّروا على كتامة .

وانظر أيضاً : سيرة الأستاذ جوذر ، التعليق 132 ، وترجمتَها الفرنسيّة ، التعليق 184 و 422 .

(1) توفّي ابن أبي المنظور في 20 محرّم 337 . وتروي المصادر السنيّة تعرُّضه بالعقاب لإحدى جواري « قضيب » حظيّة المنصور . انظر : رياض النفوس ، 2 / 360 ، **ومعالم الإيمان** ، 3 / 57 .

وتوفّي عبد الله بن هاشم بن مسرور قاضياً على القيروان في 25 شعبان 363 (معالم الإيمان ، 3 / 100) .

أمّا علي بن أبي شعيب – بن أبي سفيان في الاتّعاظ ، فلم نعرفْهُ .

طرابلس[1] .

وفي المحرّم منها [سنة 340] أخرج المنصور أسطولاً عظيمًا إلى صقليّة لغزو بلاد الروم . وأخرج فرجاً الصقلبيّ في عسكر عظيم إلى صقليّة ، فسار معه الحسن بن عليّ إلى قلوريّة ، ولقيا ملجان[2] الروميّ ، ومعه ثلاثون ألفاً ، وكان بينهم قتال شديد نصر الله فيه المسلمين ، وعاد فرج إلى المهديّة / بالغنائم والسبي في صفر . [199 ب]

الإعذار الجماعيّ سنة 340

وفيها أمر المنصور بكتابة أولاد القوّاد ووجوه الدولة والجند وضعفاء الناس من أهل القيروان وغيرها ، ليُختَنُوا ، وأعدّ لهم الكُسَى والصلات ، فبلغوا أكثر من عشرة آلاف[3] . فابتدروا إلى ختانهم يومَ السبت لستّ بقين من ذي الحجّة ، ودام إلى سابع محرّم سنة إحدى وأربعين ، وعمل ولائِم فأطعم خاصة الناس وعامّتهم ، وأعطى الصبيان على قدر مراتبهم ما بين مائة دينار وكسوة رفيعة إلى مائة درهم وكسوة . وتسامع الناس بذلك من كلّ ناحية فكثروا حتى كان يختن في كلّ يوم ألف وخمسمائة وأكثر وأقلّ . وأقام على ذلك سبعة عشر يوماً بلغت عدّتهم مائةَ ألفٍ . فبلغ ما أنفقه في هذا الختان مائتي ألف دينار . وفي

---

(1) في المخطوط : زرارة بن محمد . وسيأتي اسمُه في آخر الترجمة : زرارة بن أحمد . وقال أبو العرب المتوفّى سنة 333 : تتَرّق زرارة بن أحمد فولّاه عبيد الله قضاء المهديّة وهو في مذهب الشيعة من الغالين ، وهو قاضيها إلى اليوم (طبقات 241) فلا مانع من أن يكون تولّى القضاء بالمهديّة على فترتين ، بينهما ستّة أشهر في قضاء المنصوريّة .
وفي خصوص قدوم النعمان من قضاء طرابلس إلى قضاء المنصوريّة ، ينبغي إصلاح ما أثبتناه في طبعتنا للمجالس والمسايرات ، 57 ، حيث قلنا إنّه تولّى قضاء المنصوريّة سنة 337 .
هٰذا ، ولا نعرف ابن أبي الدبس ، القاضي المذكور على طرابلس .

(2) حاولنا في طبعتنا لعيون الأخبار ، 487 أن نضبط هٰذا الاسم .

(3) عند ابن حمّاد (أخبار ، 39) : كانوا ألف صبيّ لا غير ، ولكنّه يميل إلى انتقاصهم .

نسخة [1] : ويقال إنه أنفق نحو ألف ألف دينار في هذه الأيام . وحدث في البلد عند ذلك أفراح عظيمة لم ير أحدٌ قبلها مثلَها .

وفي يوم الثلاثاء ، النصف من ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين ، وصل رسول من القسطنطينية في طلب الموادعة والهدنة ، ومعه هديّة عظيمة . فأظهر المنصور من عزّة الإسلام وقوّة أهله أمراً عظيماً وأنزل الرسول .

وفيها أُخِذ معبد بن خزر الزناتي صاحب أبي يزيد النكّاري أسيراً مع ابنه ، فقدما لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة ، فقُتلا بعدما شهّرا [2] .

وخرج المنصور على الساحل فانتهى إلى قابس ، ودخل أهل جزيرة جربة في طاعته ، وقدم لعشر خلون من جمادى الآخرة ، بعدما غاب ثلاثين يوماً .

وأمر القاضي النعمان بن محمد بجمع العلماء المالكيّة والشافعية والحنفيَّة والشيعة ، فاجتمعوا يوم الخميس النصف من صفر ، للنظر في هدنة صاحب القسطنطينية وموادعته ، وهل يجتمع رأيُهم على قبول المال منه وترك محاربته ، أو محاربته وترك موادعتِهِ؟ فقالوا : « ما رآه أمير المؤمنين فهو الرأي » . وكان رأيه قبول المال وتمَام الموادعة . فانصرفوا من عند النعمان فوافَوا خروج الأمير أبي تَميم ، ابن المنصور ، فسلَّموا عليه واجتمعوا عنده فسألهم عمّا جرى فأخبروه بمَا كان فأمرهم فانصرفوا .

ورُفع إلى المنصور أنَّ قاضي برقة [3] تقدم إليه خصمان ، فحكم على

(1) لم يقل لنا المقريزي ما هٰذه النسخة .

(2) هٰذا الثائر هو في الحقيقة ابن للزعيم الزناتي محمد بن خزر . انظر عيون الأخبار ، 396 هامش 94 و 432 ، هامش 145 .

(3) قاضي برقة : في معالم الإيمان ، 3 / 60 قصّة مماثلة جرت على محمد بن إسحاق الجيلي ، وكانت الوشاية ، لا بسبب موقفه من أحكام المواريث كما يبدو هنا ، ولكن بسبب رفضه لتقدير هلال العيد بالحساب ، وترك الرؤية . وقد سبق المالكي : رياض 2 / 404 إلى ذكر الحادثة بأكثر تفصيلاً وتهويلاً ، إلّا أنّه دون تهويل المقريزي هنا : فهو الوحيد الذي يذكر القتل بالرصاص المذاب .

أحدهما ، فقال له المحكوم عليه : لقد حكمت بغير مذاهب أهل البيت عليهم السلام .

فقال له : والله لا أحكم بمَذاهبهم ولو عُلّقتُ بيدي !

فأحضروه إلى القيروان وعلّق بيده على خشبة غرزت في غربيّ الجامع حتى مات . وكان يتَضَرَّع في شربة ماءٍ فلم يُسقَ . وكان معه صهره فأغلي الرصاص وصبَّ في دبره فمات .

وفيها أكَّد المنصور لابنه أبي تَميم معدّ أنّه وليّ عهده وخليفته ووصيُّه والقائِم بالخلافة من بعده .

مرض المنصور بعد نزهة بعين جلولاء

وخرج في شهر رمضان متنزّهاً إلى جلولاء . وهو موضع كثير الثمَار فيه من الأترجّ ما لا يحمل الجمل منه سوى أربع أترجّات لعظمه . وكان قد ورد عليه منه شيء إلى قصره فأعجبت به حظيَّتُه قضيب – وكان محبًّا لها – وسألته أن ترى ذلك على أغصانه . فسار بها وخرج معه جميع عسكره . فأخذه بجلولاء مطر عظيم وريح بها شديد . فخرج منها راكباً على فرسه . وقضيب في عمَّارية [1] ، يريد المنصورية . فدام عليه ذلك المطر والريح ، وقد وَحِل في الطريق ، فلم يُمكنه إلّا التَمَادي لما أراده الله . فكان يوجد العبيد السودان على الطريق قعوداً ، فإذا حرّكوا إذا هم موتى قد جفّوا في البرد لأنّه كان أمراً عظيماً . وكان بين يدي المنصور حسنون الرقَّاص فقال له : « يا حسنون ، احتَلْ في شيءٍ تجعله بين رجلَيَّ والركاب ، فإنّي أحسّ برد الحديد » . فقطع شيئاً من ثيابه وجعله بين رجليه والركاب .

ووصل المنصور إلى قصره بالمنصوريّة آخر النهار ، وقد مرَّ عليه برد شديد .
[200 أ] فأمر / في الوقت بإحماء الحمّام فأحمِيَ ، ودخل فاعتلَّ من وقته .

(٢) العمّاريّة : هودج يحمل على جمل للسفر .

وأتى عيد الفطر ، فصلّى بالناس وهو متغيِّر اللون ضعيف . فاستحكمت علّته في شوّال . فأوصى ابنه أبا تَميم أن يكفّنه في ثلاثة أثوابٍ بيض ، وأن يَمنع من النَّوح عليه والبكاء ، وأن يباشر بخدِّه الأرض – مع ما أوصاه به من حسن السيرة والعدل في الرعيّة – .

فلمّا كان يوم الجمعة آخر يوم من شوَّال سنة إحدى وأربعين وثلاثمَائة توفِّي بالمنصوريّة ، فغسَّله جعفر بن عليّ الحاجب ، وصلّى عليه ابنه أبو تَميم معدّ مع من حضر من الخاصّة ، ودُفن في قصره ليلاً .

ويقال إنّه أراد عبور الحمَّام في مرضه فنهاه طبيبه إسحاق بن سليمَان الإسرائيلي[1] عن ذلك ، فلم ينته . ودخل الحمَّام ففنِيت الحرارة الغريزيّة منه ولزمه السهر . فأخذ طبيبُه يعالج المرضَ دون السهر . فاشتدَّ عليه ذلك فقال لخاصَّته : أما في القيروان طبيبٌ سوى إسحاق ؟

فأتوه بشابٍ يقال له أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد بن الجزَّار[2] فجمع له مخدّراتٍ عدَّةً وكلّفهُ بشمِّها حتى نام . ثمّ خرج وهو مسرور بمَا كان منه . فجاء إسحاق ليدخل على المنصور فقيل له : هو نائم . فقال : إن كان صُنِع له شيءٌ منوِّمٌ فقد مات !

(1) في طبقات ابن جلجل ، 87 : مصريّ سكن القيروان ، تتلمذ لإسحاق بن عمران وخدم المهديّ عبيد الله . وقال الأستاذ إبراهيم بن مراد في ترجمته لابن الجزّار (الحوليّات 22 / 1983، إنّ إسحاق بن سليمان توفي بعد 341 وأنّه كان استُقدِم من زيادة الله الثالث سنة 293 . وأضاف أن ابن الجزّار تتلمذ عليه .

(2) في ترجمة ابن جلجل له ، 88 أنّه عاش نيفاً وثمانين سنة وأنّه كان صديقاً قديماً لأبي طالب موسى ، ابن المهديّ . فإذا كان ترباً لابن المهديّ – والمهدي ولد سنة 260 – فمن المقبول أن يكون مولده سنة 285 كمَا كتب الأستاذ إبراهيم بن مراد في فصله عن ابن الجزار بالحوليّات 22 / 1983 . وبهذا يكون عمره عند وفاة المنصور ، نحو 55 سنة ، وليس هٰذا العمر من الشباب في شيء .

فدخلوا فإذا به [قد] مات . فأرادوا قتل ابن الجزَّار فمنَعَهُم إسحاق من قتله وقال : لا ذنب له . إنّمَا داواه بمَا قد ذكره الأطبَّاء . غيرَ أنّه جهل أصلَ المرض ولم تُعرّفوه أنتم به . وذلك أني عالجتُه أريد تقوية الحارّ الغريزيّ ، وبه يكون النوم . فلمّا عالجه هو بمَا يطفىءُ الحارّ الغريزيّ ، علمتُ أنَّه قد مات .

وتوفّي وهو ابن أربعين سنةً كاملةً . وكانت خلافتُه سبع سنين وثمَانية عشر يوماً . وكان حسن السيرة في الناس . وكان فصيحاً خطيباً ، يخترع الخطبة لوقته . وكان حادّ الذهن حاضر الجواب بعيد الغور جيِّد الحدس شجاعاً عاقلاً . وكان كثيرَ القتال لأهل الفساد ، وبذلك استقام الأمر لولده من بعده .

وكان يشبّه بأبي جعفر المنصور ثاني خلائِف بني العبَّاس : وذلك أنَّ كلّ واحدٍ منهما اختلّت الدولة عليه ، وكاد أن يُسلَّ من الخلافة فهبّت له رياح النصر حتى تراجع أمره ولم يبقَ له منازع .

وكان للمنصور من الأولاد : أبو تَميم معدّ ، ووليَ الخلافة من بعده . وحيدرة ، وهاشم ، وطاهر ، وأبو عبد الله الحسين[1] .

وخمس بنات هنَّ : هبة ، وأسمَاء ، وأروى ، وأمّ سلمة ومنصورة[2] .

وكان له ثلاث أمَّهات أولاد .

وكان نقش خاتَمه : بنصر الباطن الظاهر ينتصر الإمام أبو الطاهر .

---

(1) أولاد المنصور : في الاتّعاظ ، 133 ، أنَّ حيدرة مات بمصر سنة 372 . ومات أبو عبد الله الحسين بالمغرب ، ولم يذكر له تاريخاً . ومات طاهر بالمغرب سنة 359 . وهاشم هو الذي ولد في أيّام فتنة أبي يزيد (انظر أعلاه) .

(2) لم يذكر المقريزي في الاتّعاظ ، 133 تواريخ وفياتهنّ ، واكتفى بأن قال : هبة وأسماء وأروى متن بمصر في مدَّة المعزّ ، وأم سلمة في مدَّة العزيز . أمَّامنصورة – وقد قرأها المرحوم الشيَّال : سمّور – فماتت بالمغرب .

وكان قضاته : أحمد بن الوليد[1] ، ثمَّ محمد بن أبي المنظور . ثمَّ عبد الله بن هاشم ، ثمَّ عليّ بن أبي شعيب ، ثمّ أبو محمد زرارة بن أحمد ، ثمَّ أبو حنيفة النعمان بن محمد التّميمي .

وكان حاجبه جعفر بن عليّ .

ولمَّا قدم المعزّ لدين الله أبو تَميم معدّ إلى القاهرة ، كان معه توابيت آبائه : المنصور إسمَاعيل هذا ، والقائِم أبي القاسم محمد ، والمهدي عبيد الله ، فدفنهم بتربة القصر من القاهرة . فلذلك ذكرتُهُ[2] في كتابي هذا .

وحكى أبو جعفر أحمد بن محمد المروروذي قال : «كنت مع المنصور في اليوم الذي أظهره الله فيه على أبي يزيد وهزمِه . فتقدَّمت إليه وسلّمتُ عليه وقبّلت يده ودعوت له بالنصر والظفر ، فأمرني أن أركب ، وقد جمع عليه سلاحه وآلة حربه ، وتقلَّد سيف جدِّه ذا الفقار ، وأخذ بيده رمحَين . فحدّثته ساعةً ، فجال به الفرسُ ، فردَّ أحد الرمحَين إلى يده اليسرى ، فسقط من يده إلى الأرض ، فتفاءلتُ له بالظفر ، ونزلت مسرعاً ، فرفعت الرمحَ من الأرض ، ومسحتُه بكمِّي وَرَفَعْتُه إليه وقبّلتُ يده وقلت [طويل] :

فألقت عصاها واستقرَّ بها النوى كما قرَّ عيناً بالإياب مسافِرُ / [200 ب]

فأخذ الرمح من يدي وقال : هلَّا قلت ما هو خير من هذا وأصدق ؟

قلت : وما هو؟

قال : قولُ الله عزَّ وجلَّ : ﴿وَأَوْحَيْنا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ، فإذا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ، فَوَقَعَ الحَقُّ وبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ، فَغُلِبُوا هُنالِكَ

(1) أحمد بن محمد بن أبي الوليد في المعالم ، 3/ 75 . كان مناهضاً للعبيديّين ، محرِّضاً لفقهاء القيروان على الانضمام إلى أبي يزيد . في استقضاء المنصور له دليل على تسامح الخليفة الفاطميّ .

(2) الضمير يعود على المنصور . فالمقريزي لم يقتصر على ذكر من دخل مصر حيّاً .

وانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ﴾ (الأعراف ، 117 - 119) .

فقلت : يا مولانا ، أنت ابنُ رسول الله وإمام الأمّة ، عليكم نزل القرآن ، ومن بيتكم درجت الحكمةُ ، فقلتَ أنتَ بمَا عندك من نور النبوَّة ، وقال عبدُك بمَا بلغَهُ من علمه ومعرفتِهِ من كلام العرب وأهل الشعر .

وكان الأمر كما قال : فمَا هو إلّا أن أشرف على عسكر أبي يزيد [حتّى] ضرب الله في وجوههم ، فقُتلوا وأُحرق معسكرهم وخيامهم بالنار ، وولّى أبو يزيد في بقيَّة أصحابه خائبين إلى داخل المغرب .

ولم يُر كصبره يومَ القيروان ، وهو يقاتل أبا يزيد . وقد ذكر حسن موقفه شاعره محمد بن الحرث فقال :

ولم أَرَ كالمنصور بالله ، ناصراً لدينٍ ، وأحْمَى مِنهُ مُلكاً وأمنَعَا [1]
ألم تَرَ يومَ القيروان وقوفَه وقد كادت الأكباد أن تتقطَّعا ؟ [2]
وأبرز عن وجه من الصبر أبيضٍ يقاتل وجهاً للكريهة أسفَعا
إذا استقبل الأبصار ، وهي طوامحٌ ثناها ، ولم تستكمل اللَّحظ ، خُشَّعا [3]

---

(1) في الروايتين الماضيتين : ولا أحمى لمُلكٍ .

(2) وفيهما : أن تتصدّعا .

(3) هذه الترجمة أكثر إفادة لدارس التاريخ من ترجمة الخليفتين السابقين المهدي والقائم . فبقدر ما اختصر المقريزي عرض الأحداث في ترجمة القائم ولا سيمَا ثورة أبي يزيد ، أطال هنا في ذكر تفاصيل تلك الفتنة ، وإن بقي عرضُه دون عرض الداعي إدريس في التفصيل . ولا شك عندنا أنَّ كُلّاً من المقريزي والداعي إدريس - وابن الأثير قبلهما - قد كرعوا من مَعين مغربيّ إفريقيّ لعلَّه تاريخ الرقيق أو تاريخ ابن الجزَّار أو تاريخ ابن شدَّاد .

ورواية المقريزي أكثر اعتدالاً من رواية الداعي إدريس : فليس فيها التمجيد المطلق التلقائيّ للخلفاء العبيديّين ، ولا التحامل الدائم المملّ على المذهب الشيعيّ ، وإنَّمَا هي رواية أمينة لا تسكت عن قساوة المنصور إزاء المتمرّدين والمخالفين وسوء معاملته للفقهاء المتحفِّظين تجاه الطقوس الجديدة ، ولكنها في المقابل لا تسكت عن الحالات التي يظهر فيها تسامح الخليفة مع المعارضين ورفقُه بالرعايا واستدراجُهم شيئاً فشيئاً إلى مؤازرته .

ولهذه الترجمة ميزة أخرى ، وهي اهتمامُها بالجانب الأدبيّ من حياة المنصور : =

781 - الخواجا نجم الدين السلّاميّ [671 - 743] [1]

إسمَاعيل بن محمد بن ياقوت ، الخواجا نجم الدين ، السلّاميّ [. . .] يقال لها السلاميّة ببلاد الشرق .

ولد سنة إحدى وسبعين وستّمائة ، وقدم إلى مصر تاجراً وآشتهر في الأيام الناصريّة محمد بن قلاوون ، وصار من تجّار الخاصّ ، وسافر مراراً إلى بلاد التتار ، وعاد بالرقيق من المماليك والجواري ، وغير ذلك من البضائع .

ودخل مع السلطان في أمور المملكة ، وسعى في الصلح بينه وبين الأمير جُوبان والقان بو سعيد [2] حتى تمّ ذلك . فعظمت مكانته وآزدادت وجاهتُه وتأتّتْ على يده أمورٌ موافقة لغرض السلطان فآزداد حبّه له ورتّب له الرواتب السنيّة في كلّ يوم من اللحم ، والعليق [3] ، والسكّر ، والحلوى ،

....

= فالمقريزي ينقل لنا ، علاوة على خطبه البليغة المؤثّرة ، شعرَ المادحين ، ممّن لم تذكرهم المصادر الأدبيّة ولا كتب التاريخ الواصلة إلينا (عدا عيون الأخبار) .

ولعلَّ الذي يبرّر حجمَ هذه الترجمة وطولها ، هو ثَراءُ شخصيَّة المنصور في حزمه وشجاعته ، واعتداله وحكمته ، وبيانه وفصاحته ، وصبره على الشدائد ، وحلمه مع الأعداء ، المزوج بالقسوة ، كصفحِهِ عن أبي يزيد وتهيئة قفَص العرض لجثّته ، ورقّة عاطفته نحو ابنه المعزّ ، وخضوعه لرغبة حظيّتة قضيب .

ولئن خصّص الباحثون دراسات للمهدي مؤسِّس الدولة وللمعزّ باني القاهرة ، فإنَّ المنصور الذي ضمِن بعزمه الدوام للدولة الفاطميَّة ، لم يحظ بالدرس ، وإنّه به لجدير .

(1) الوافي 9 / 220 (4124) ؛ الدرر 1 / 413 (964) ؛ النجوم 10 / 19 . وتاجر الخاصّ يعني التاجر في الرقيق .

(2) القان بو سعيد ابن خربندا آخر ملوك التتار . النجوم 9 / 272 و 309 (ت 736) . وتوفي جوبان سنة 728 .

(3) العليق والعليقة : ما يحتاجه الفرس من علف يوميّ .

والكماج[1] ، والرقاق ، مع الدراهم ، وكانت تبلغ في كلّ [يوم] مائة وخمسين درهماً . وأنعم عليه بقرية في بعلبك ، وأعطى مماليكه إقطاعاتٍ كثيرة المتحصّل فكان يقيم بالأرْدو الثلاث السنين والأربع ، والبريد لا يقطع عنه . وتُحْمَل له التحف من مصر ليفرّقَها على حسب ما يراه في أعيان الأردو .

وكان له ببلاد الشرق أيضاً عدّة ضياع ، منها السلاّميّة والماحُوزة والمراوزة والمصانف[2] .

وكان إذا قدم إلى مصر يخرج كريم الدين الكبير ، مع عظَمتِه ، إلى لقائه . وكتب له مرسوم أن لا يؤخذ منه عن مبلغ خمسين ألف درهم شيء للديوان السلطانيّ ، وما عداها فيؤخذ منها نصفُ ما يُؤخذ من غيره .

فلمّا مات أبو سعيد ووقع الاختلاف بتلك الديار بين المغل اتّضع بها جاهُه وغرم مالاً كثيراً . فكتب إلى السلطان يسأله في طلبه من الشيخ حسن . فكتب إليه بتجهيزه ، فجهّزه إلى مصر صحبة رسوله ، وسأله التوسّط بين السلطان وبينهم في دوام الصلح . فقدم في سنة ثمَان وثلاثين وسبعمائة[3] ، وأقام بالقاهرة حتى مات السلطان ، وأقيم من بعدِه ابْنُه الملك المنصور أبو بكر . [فـ]ـقبض عليه الأمير قوصون وصودر على مال ، ثمّ أفرج عنه ولزم داره حتى مات بالقاهرة يوم الأربعاء سابع جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة . ودفن بتربةٍ خارج باب النصر .

وكان ذا عقل وافر وتدبير جيّد ، وخبرة بأخلاق الملوك ومعرفة بآدابهم / [201 أ] وأغراضهم مع خلق ريّض وكلام سديد وشكالة وطلعة بهيّة .

---

(1) الكماج : خبز مستدير سميك (دوزي) .
(2) في الوافي : المناصف .
(3) السلوك 2 / 446 . والمجدُ هو الذي اقترح على السلطان أن يطلبه من الشيخ حسن الكبير .

782 - إسماعيل المحليّ [- بعد 540][1]

إسماعيل بن محمود بن أحمد بن الحسن ، المحليّ ، المزّيّ .

كان أصله من دمشق ، وسكن المحلّة[2] ، وولي الخطابة بجامعها ، وناب في الحكم ، وسمع من القاضي مجلّي[3] والسلفيّ وسعيد المأمونيّ . قال السِلفيّ : قرأ عليَّ مقالة السرّ[4] الخطابيّ قراءة صحيحة لا تُمَلّ . وكان له تصدير بالمحلّة

مات في حدود الأربعين وخمسمائة .

783 - ابن عوف المالكيّ [485 - 581][5]

إسماعيل بن مكيّ بن إسماعيل بن عيسى بن عوف بن يعقوب بن محمد ابن عيسى بن عبد الملك بن حميد بن عبد الرحمان بن عوف ، القرشيّ ، الزهريّ ، الفقيه ، رشيد الدين ، جمال الفقهاء ، صدر الإسلام ، أبو الطاهر ، ابن أبي الحرم ، المعروف بابن عوف ، المالكيّ .

مولده سنة خمس وثمانين وأربعمائة .

وتفقّه على أبي بكر محمد بن الوليد الطرطوشيّ ، وسمع منه الحديث ، ومن أبي عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم الرازيّ .

....

(1) طبقات القرّاء 1/ 169 (786) .
(2) « المحلّة الكبرى من ديار مصر » (طبقات القرّاء) .
(3) الفقيه مجلّي بن جميع .
(4) قراءتنا للاسم تخمينيّة ولعلّها : السريّ .
(5) الوافي 9/ 228 (4132) ؛ شذرات 4/ 268 ؛ عبر الذهبي 4/ 242 .

ومات بالإسكندرية ليلة الأربعاء الخامس والعشرين من شعبان سنة إحدى وثمَانين وخمسمائة .

ومن شعره ما كتب به إلى تقيّة آبنة غيث الأرمنازيّ[1] وقد كتبت تستنتيه في الاشتغال بالشعر فأجابها بهٰذه الأبيات [خفيف] :

قل لمن يعشق القوافي ويُفني ليله في تفكّر وهجود
كلّ ما هوِيته ليس يجدي[ـك] آنتفاعاً عليك يوم الخلود
لو تفكّرت في الذنوب وأسبلـ ـت سحاب الدموع فوق الخدود
كنت قد فزت بالنجاة وأصبحـ ـت سعيداً في طاعة المعبود

784 – زين الدين السقطيّ [– 739]

إسمَاعيل بن موسى بن عبد الخالق ، زين الدين ، السقطيّ ، السافعيّ .

قرأ القراءات على زكيّ الدين عبد المنعم وغيره .

وسمع بمِصر على أبي الحسن بن رشيق ، والحافظ عبيد ، وبقوص من أبي العبّاس القرطبيّ ، وغيره .

وبرع في الفقه . ودرّس بالمنكوتَمريّة بالقاهرة . وولي الحكم بقوص ، والبهنسا وبلبيس . وكفّ بصره .

توفّي في المحرّم سنة تسع وثلاثين وسبعمائة .

وكان عارفاً بالفقه والأصول والنحو والقراءات . وكان يقظاً صحيحَ الذهن .

(1) تقيّة الصوريّة ، أمّ عليّ الأدبية انساعرة ، لها ترجمة في الوفيات 1 / 297 (123) .

785 - الفخر ابن المليجيّ المقرىء [- 681][1]

إسماعيل بن هبة الله بن عليّ بن هبة الله ، أبو الطاهر ، فخر الدين ، ابن شرف القضاة أبي القاسم ، ابن ثقة الملك أبي الحسن ، عُرف بآبن المليجيّ ، المصري ، العدل ، المسند ، المعمّر ، المقرئ ، الشافعيّ .

قرأ القراءات على الإمام الفرضيّ النحويّ المقرئ أبي الجود غيّاث بن فارس بن مكّي بن عبد الله اللخميّ المنذريّ في سنة أربع وستمائة ، وهو آخِر من حدّث عنه في الدنيا .

وآحتيج إلى إسناده العالي ، فقرأ عليه جماعة ، منهم الشيخ [أثير الدين] أبو حيّان ، وأبو بكر الجعبريّ ، والقطب عبد الكريم بن عبد النور الحلبيّ . وختم بموته أصحاب أبي الجود .

وكان تاركاً للفن ، وإنّما ازدحموا عليه لعوالي روايته .

وتوفّي يوم [. . .] رمضان سنة إحدى وثمَانين وستّمائة ودُفن بالقرافة .

786 - أبو صالح ابن العديم [610 - 694][2]

إسماعيل بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن أحمد بن يحيى بن زهير بن هارون بن موسى بن عيسى بن عبد الله بن محمد بن عامر بن أبي جرادة ، أبو صالح ، عرف بابن العديم ، الحلبيّ ، الحنفيّ ، من بيت كبير مشهور .

---

(1) الوافي 9 / 235 (4140) ؛ شذرات 5 / 373 ؛ عبر الذهبيّ 5 / 335 ؛ النجوم 7 / 356 ؛ طبقات القرّاء 1 / 169 (789) .

(2) المنهل 2 / 429 (455) .

ولد بحلب سنة عشر وستّمائة . وسمع من جدّه أبي غانم محمد بن هبة الله .

وقدم مصر ، وحدّث بها بجزء أبي عليّ الكنديّ بسماعه من الحسين بن صصرا .

توفّي في المحرّم سنة أربع وتسعين وستّمائة .

787 – سيف الدين البوبكريّ [– بعد 743]

إسماعيل بن بكتمُر البوبكريّ ، الأمير سيف الدين . ابن الأمير سيف الدين .

تنقّل في الإمرة حتى صار من مقدّمي الألوف .

فلمّا مات الناصر محمّد قبض عليه وسُجن بالإسكندريّة . ثمّ أفرج عنه في أوّل سلطنة الصالح إسماعيل في جملة ستّة وعشرين أميراً .

788 – أَسَنْدَمُر كرجي [– 711][1]

[201 ب] أسندمر كرجي ، الأمير سيف الدين / .

تنقّل في الخدم إلى أن ولي برّ دمشق في سنة اثنتين وتسعين وستّمائة ، عوضاً عن طوغان لمّا جُهّز نائباً بقلعة بالروم .

ثم عزله العادل كَتْبُغا في ذي القعدة سنة خمس وتسعين وستّمائة بعلاء الدين ألجاي . ثم قبض عليه وقُيّد وسجن بقلعة دمشق في حادي عشرين محرّم سنة ستّ وتسعين .

....

(1) الوافي 9 / 248 (4156) ؛ المنهل 2 / 443 (465) ؛ النجوم 8 / 274 و 9 / 24 ؛ الدرر 1 / 413 (988) .

ونقل إلى طرابلس نائباً عوضاً عن الأمير قُطْلُوبَك المنصوريّ في سنة إحدى وسبعمائة ، فمهّد طرابلس وأقام الحرمة وسفك الدماء بأنواع الإرهاق .

فلما قدم غازان إلى الرحبة وعاد منها ، وبعث قُطْلُوشاه على العسكر إلى الشام ، قدم أسندمر بعسكر طرابلس إلى دمشق في مَن قدمها من العساكر . واجتمعوا عند العادل كتبغا على حماه . فقدم الخبر بأنّ طائفة من التتر هجموا القريتين وبها جمع كبير من التركمان بأموالهم وأهاليهم . وركب أسندمر هذا في ألف وخمسمائة وساق[ـة] فأدرك التتار بناحية عرض ، ومعهم ما كسبوه من التركمان . فثاروا إليهم وتركوا الأغنام وغيرها ناحيةً ليشتغل العسكر بنهبها ، فلم يُمكّنهم أسندمر من ذلك ، وقسم العسكر أربع فرق ، وقرّر أن تحمل فرقة على التتر ، فإذا اشتغلوا بالقتال أحاطت الفرق الثلاث بهم . وتقدّم في الفرقة الأولى وقاتل التتر ، فأدركته بقيّة أصحابه كما قرّر معهم وأوقعوا بهم وقعة شديدة ثبتوا فيها ثباتاً كبيراً . وترجّل منهم جماعة عن خيولهم ورموا بالنشّاب ، فنصر الله العسكر عليهم وهزمهم وقتلهم عن آخرهم فيمَا بين الظهر إلى العصر في يوم الحادي عشر شعبان سنة اثنتين وسبعمائة ، وكانوا نحو أربعة آلاف . واستنقذ أسَنْدَمُر مَن كان في أيديهم من حريم التركمان وأولادهم ورحالهم ، وعدّتهم تقارب الستّة آلاف نفس ، فنجوا بأنفسهم . ولم يَفقِد من العسكر إلّا أميرَين هما آنص الجمَدار المنصوريّ ومحمد بن باشْقِرد الناصريّ ، وستّة وخمسين من الأجناد . وأسر من التتر مائة وثمانون رجلاً . وعاد العسكر إلى حماه ، وكتب بالبشارة إلى دمشق ، فدقّت الكوسات بها ، وسرّح البريد إلى مصر لبشارة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وكان قد خرج من قلعة الجبل فسرّ بذلك ، وتفاءل بالنصر فصدق الفأل كما ذكر في ترجمته[1] .

ولم يزل [أَسَنْدَمُر] بطرابلس إلى أن ترك الملك الناصر محمد بن قلاوون

(1) ترجمة الناصر محمد بن قلاوون : ل 3 / 206 .

الملك وقام في السلطنة عوضَه المظفّر بيبرس الجاشنكير .

فلمّا تحرّك الناصر على أخذ الملك من بيبرس ، وسار من الكرك إلى دمشق ، قدم عليه [أَسَندَمُر] وسار معه إلى مصر . فولّاه نيابة حماه عوضاً عن قبجق في ثاني شوّال سنة تسع وسبعمائة . وبعث قراسُنْقُر نائب الشام ، والحاج بهادر الحلبيّ نائب طرابلس ليقبضا على المظفّر بيبرس ، وقد توجّه من إخميم على طريق السويس يريد صهيون . فلمّا قبضا عليه من ظاهر غزّة وحملاه إلى الخطّارة لقيهما أَسَنْدَمُر كرجي ، وقد بعثه السلطان ليقيّد بيبرس ويسير به مع قراسُنقر وبهادر حتى يوصلاه إلى السلطان . فقيّد بيبرس . وأسرّ إلى قراسنقر أن لا يدخل مصر ، وخوّفه من السلطان . فعاد هو وبهادر من الخطّارة إلى دمشق ، وسار أسندمر إلى مصر . فكان من قتله ما ذكر في ترجمته [(1)] .

ودخل أسندمر الخوف ، وأخذ يعمل في سفره من مصر ، حتى أذن له السلطان فسار إلى حماه . ثم صرف عنها بالملك المؤيّد عماد الدين إسمَاعيل ابن الأفضل فلم يُمكّنه من حماه .

فاتّفق موت قبجق نائب حلب . فسار أسندمر إليها ، وكتب يسأل السلطان كتابة تقليده . فغضب من ذلك وبعث التقليد ، وفي نفسه منه حزازات ، إلى أن أخرج الأمير كراي / المنصوريّ ، ومعه من الأمراء سنقر [الكماليّ] الحاجب ، [202 أ]
وأيبك الرومي ، وبينجار ، وكُجكن ، وبهادر آص ، في عسكر لحصار سيس . وكتب إلى المؤيّد عماد الدين إسمَاعيل صاحب حماه بالمسير مع كراي . وكتب إلى أسَندمر بتجهيز آلات الحصار على العادة والاهتمام بأمر سيس . وأسرّ السلطان إلى كراي عندما وادعه بالقبض على أسندمر .

فسار بالعسكر من القاهرة في مستهلّ ذي القعدة سنة عشرٍ وسبعمائة إلى حمص . فوافاه الأمير منكوتَمر الطباخيّ من مصر يوم عرفة ، وعلى يديه كتاب

(1) المظفر بيبرس الجاشنكير : ترجمته ، رقم 1004 .

السلطان لكراي بمَا يعتمده ، وعدّة كتب ملطّفة لأمراء حلب بمُساعدة كراي على أخذ أسَندمر . وتقدّم منكوتَمر[1] إلى حلب ، وتبعه كراي بمَن معه على جرائد الخيل ، وساروا[2] من حمص إلى حلب في يوم ونصف ، ودخلوها ليلاً ، وأتوا باب القلعة ، وأشاروا إلى نائب القلعة ، وكان في انتظارهم . فأخرج لهم رجال القلعة بالسلاح وآلات الحصار ، وزحفوا جميعاً على دار النيابة . وتلاحق بهم أمراء حلب . فسلّم [أسندمر] نفسه من غير قتال ، وقُيّد وسجن بالقلعة وأحيط بسائر موجوده .

ثمّ حُمل إلى قلعة الجبل مع بينجار وأيبك الروميّ ، فسُجن بها . وبعث إليه السلطان مع طغاي الدوادار يسلّم عليه ، ويأمره بعرض حوائجه . فقبّل الأرض ودعا للسلطان وسأله أن يقبّل الأرض عنه ، ويسأل السلطان عن سبب القبض عليه ، « فإني لا أعلم لي ذنباً يوجب هٰذا » . فقال السلطان : عُد إليه ، وعرّفه أنّي طيّب الخاطر عليه ، وله عليّ خدمة . ولكن « أنت قلت للسلطان يوم خرجتَ من عنده وودّعته للسفر إلى الشام ، وقد قال لك : أَوْصِني ، وعرِّفني ما أصنع ! – فكان جوابُك : أوصيك يا خوَند : لا تترك في دولَتِك كبشاً كبيراً وأخش[3] مماليكك !– وهو يقول لك : ما علمت اليوم بقي عندي كبش كبير غيرَك !

فلمّا بلّغه طغاي ذلك سكت . فلم يزل في الاعتقال حتى قُتل في ذي القعدة سنة إحدى عشرة وسبعمائة بالكرك .

وكان شجاعاً بطلاً سائساً داهية ، جبّاراً ظلوماً مهاباً ، من أحسن أشكال الرجال وأتَمّهَا .

---

(1) في المخطوط : كراي . وانظر النجوم 9 / 26 .

(2) في المخطوط : وساقوا .

(3) قراءة ظنّيّة ، وفي المخطوط : وامسى .

وكان كرجيّ الجنس له مهابة عظيمة في نفوس أهل الشام لشدّة جسارته ، وجرأته على سفك الدماء بأنواع المثلة ، من السلخ والشّنق والتوسيط وكحل الأعين وقطع الأطراف ، ومبالغة في هلاك الأجناد . وتعدّيه حدّ الإسراف .

وله مع ذلك سمعة ببلاد العدوّ وسطوة بين الطائفة النصيريّة . وكان عسوفاً في أحكامه ، كثير المال والحاشية ، بلغت عدّة مماليكه خمسمائة مملوك .

وكان كثير المكارم في عطائه ، ما من أحدٍ من حاشيته إلا وله سعادة ضخمة .

وكان أكولاً نهماً قويّ المعِدة : إذا أصبح ٱبتدأ بالفطور على زنجبيل مربّى [1] فيأكل منه رطلاً بالميزان . وقدّم له منقل [2] نار عُمل عليه مائة بيضة نيمَرَشْت [3] يشربها . ثم يركب . فإذا نزل من الركوب مُدَّ له السِّمَاط وقدّمت له خافقيّة فيها رميس [4] فيأكله عن آخره . ويُرفع السماط ، ويوضع الطاري [5] ، وتقدّم له خافقيّة فيها عشرة ديوك خَصًى سمَان جدًّا ، فيأكل منها ستّة . هٰذا غير الحلاوات والفواكه والنقل ، وغير عَشائه آخر النهار ، وسوى ما يأكله في الليل ، فإنّه كان يَعْمَلُ له بعد [الـ]ـعِشاء الأخيرة كلّ ليلةٍ خروفاً سميناً مطجّناً فيأكله جميعه ولا يفضل منه شيء . ثم يعمل بيده من الحلاوة السكب [6] صحناً كبيراً ويأكله كلّه .

وكان مرتّبه وهو بمِصر في كلّ يوم سبعمائة رطل لحم من ديوان السلطان تحمل إليه ، ويشتري عليها خمسمائة درهم . وكان له سماط عظيم جداً .

(1) مربّى ، أي معقود بالسكّر .
(2) منقل : جفنة من حديد تعمّر بالجَمر للشيّ .
(3) بيضة نيمَرَشت أو نيمبرشت : مسموطة ومنعقدة (دوزي) .
(4) رميس : خَروف مشويّ . والخافقيّة جفنة واسعة .
(5) لم نفهم الطاري ، ولعلّه اللحم الطريّ (دوزي) .
(6) ويقال أيضاً : السكب العثمانيّة (دوزي) .

وكان يحبّ الفضلاء ويقرّبهم ، ويسأل عن مسائل غامضة ، ويعرض أعتراضات / جيّدة : كتب مرّة فتوى وبعثها إلى دمشق فيها : أيّها أفضل ، [202 ب] الوليُّ أو الشهيد؟ والملك أو النبيّ؟ - فكتب عليها الشيخ صدر الدين محمد بن الوكيل مجلّداً ، وكتب الشيخ برهان الدين إبراهيم الفزاري ، وكتب كمال الدين ابن الزملكانيّ مصنّفَين ، وكتب شيخ الإسلام تقيّ الدين أحمد بن تيميّة مجلّداً .

وطلب ابن الوكيل لمّا ولي نيابة حلب قبل صلاة الجمعة ، فسأله عن قوله تعالى : ﴿ والنّجْمِ إذا هَوَى ﴾ (النجم ، 1) ، فقال : هٰذا الوقت يضيق عن الكلام على هٰذه المسألة . - فوهبه كتاب أسد الغابة لابن الأثير في نسخة مليحة ، وقال له : ألزمني ! - فكان بعد ذلك لا يفارقه حتى قبض عليه .

789 - أسندمر العمريّ [- 761] [1]

أسندمر العمريّ ، الأمير سيف الدين ، أحد المماليك الناصريّة محمد بن قلاوون .

تنقّل في الخدم حتى صار من جملة الأمراء . ثم أخرج لنيابة حماه عند انتقال الأمير طقتمُر الأحمديّ عنها لنيابة حلب ، فباشرها .

وقدم إلى الأمير يلبغا اليحياوي ظاهر دمشق ، ووافقه على خلع الكامل شعبان . فلمّا زالت دولتُه بأخيه حاجّي نُقل أسَندمر من نيابة حماه إلى نيابة طرابلس عوضاً عن أيدمر البدريّ المنتقل لنيابة حلب .

ثم عزل بالأمير منكليّ بغا الفخريّ ، وطلب إلى مصر ، فتوجّه في أواخر المحرّم سنة ثمَان وأربعين [وسبعمائة] ، فأقام بها حتى أخرج لنيابة حماه عوضاً عن

(1) الوافي 9 / 249 (4157) ؛ الدرر 1 / 413 (983) ؛ المنهل 2 / 445 (466) .

قُطلَيْجَا الحمَويّ بحكم انتقاله لنيابة حلب . فقدمها في نصف جمادى الآخرة سنة خمسين .

وتوجّه بالعساكر في سنة إحدى وخمسين إلى سنجار ، وعاد إلى حماه .

ثم عُزل بالأمير طان يَرَق[1] في ذي الحجّة منها ، وقدم إلى مصر .

ثم تأمّر بدمشق إلى أن قُبِض عليه في سنة ستّين ، وأعتقل بالإسكندرية إلى أن مات في أوائل سنة إحدى وستّين [وسبعمائة][2] .

790 – أسود بن نافع الفهريّ [– بعد 132][3]

أسود بن نافع بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع ،الفهري .

روى عنه عبد الرحمان بن شريح . ووليَ بحر مصر ورابطة الإسكندرية .

فلمّا بلغه أنّ مروان بن محمّد قدم مصر ، وهو يريد المغرب ، وأنّه قد عدّى النيل وقطع الجسر هارباً من جنود بني العبّاس ، سوّد بالإسكندرية ودعا إلى بني العبّاس . فخرج إليه العلاء بن كثير مَولى قريش في جماعة . وقلّدوه أَمرَهم . فوجّه إليهم مروان كوثرَ بن الأسود الغنويّ . وعثمَان بن أبي نِسْعَة الخثعميّ في جيش ، فٱلتقوا بالكِرْيَوْن . وعلى أهل الإسكندريّة عيسى بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع ، فقُتل عيسى وٱنهزم أصحابه ، فتبعهم كوثر حتى دخلها . فٱجتمع أصحاب الأسود على الغدر به وهم معسكرون . فبلغ الأسود ذلك فبعث إلى أبي شريح عبد الرحمان بن شريح بن عبيد الله بن محمود المعافري ليبحَثَ عمّا عزموا عليه ويخبره به . فمضى أبو شريح فقال لهم : أخبروني ما تصنعون بالأسود ؟

---

(1) في النجوم 10 / 225 : طَنْبَرَقَ ، وفي الوافي : طان بِرَق .
(2) في النجوم ، يلقّب أسنمُر العمريّ « رسلان بصل » .
(3) الولاة والقضاة 95 ، 96 ، 101 .

قالوا : نقتُله ونلحَق بمَروان فنقاتل معه – ونزعوا السواد ولبِسوا البياض . فرجع أبو شريح إلى الأسود ووجهه متغيّر . فلمّا رآه الأسود أنشد [وافر] :

وكلّ سريرة ، والظنّ غيبٌ   لها في وجه صاحبها دليل

أَعَزَمَ القوم على قتلي يا أبا شريح ؟

قال : نعم ، أصلح الله الأمير ، فٱلحق بمَأمنك !

فأمر المؤذّن فأذّن لصلاة المغرب . ثم أقام وتقدّم ، وهم في فضاءٍ . فصلّى بهم ركعة أو ركعتين طوّل فيهما جدًّا ، ثم وثب من سجوده إلى حصان له لا يدرك ، قد أعدّه وأوقفه بين يديه ، فركبه وهم سجود ، فمضى . فرفعوا رؤوسهم لمّا طال عليهم السجود فإذا هم لا يحسّونه .

ولحق ببرقة . ثم أتى المسوِّدة فأقطعه صالح بن عليّ منية بولاق التي بجيزة مصر ومنازل زَبَّان بن عبد العزيز بن مروان التي بالإسكندرية .

791 – أشعب الطمّاع [– 154] [1]

أشعب بن حميد – ويقال : أشعب بن جبير – ويعرف بابن أمّ حميدة . ويقال ٱسمه شعيب ، وكُنيته أبو العلاء – ويقال أبو إسحاق – المدينيّ ، مولى عثمان ابن عفّان – ويقال : مولى سعيد بن العاصي ، ويقال : مولى فاطمة بنت الحسين ، ويقال : مولى عبد الله بن الزبير . ويقال له : أشعب الطّمَع وأشعب الطامع .

---

(1) الوافي 9 / 269 (4192) ؛ وفيات 2 / 471 (294) ؛ الأغاني 19 / 69 ؛ فوات 1 / 37 ؛ زهر الآداب 1 / 161 .

ولاؤه للقرشيّين :

ويقال : أمّه جعدة مولاة أسماء بنت أبي بكر الصدّيق .

حدّث عن عبد الله بن جعفر ، وأبان بن عثمَان ، وسالم بن عبد الله بن عمر ، وعكرمة مولى ابن عبّاس .

روى عنه غيّاث بن إبراهيم ، ومعديّ بن سليمَان ، وأبو لبابة عثمَان بن فائد القرشيّ .

ووفد على الوليد بن يزيد وقدم مصر[1] . وكانت [عائشة] بنت عثمَان ربّته وكفلته ، وكفلت أبا[2] الزناد معه .

وكان يقول : حدّثني سالم بن عبد الله بن عمر ، وكان يبغضني في الله عزّ وجلّ – فيقال : دع هٰذا عنك ! – فيقول : ليس للحقّ مشرك .

وفي رواية : حدّثني عبد الله بن عمر ، وكان يبغضني في الله . – فقيل له في ذلك ، فقال : ما قلت إلّا حقًّا .

وهو معدود في الطبقة الثانية من التابعين .

وبه يضرب المثل فيقال : هو أطمع من أشعب .

ويقال : أشعب رجلان : أحدهما أشعب الطامع ، مولى عثمَان ، وهو ابنُ أمّ حُمَيدة – بضمّ الحاء وفتح الميم . وقيل : بل بفتح الحاء وكسر الميم – . والآخر : أشعب بن جبير مولى عبد الله بن الزبير . والصحيح أنهما واحدٌ .

اشتهاره بالملح والطمع :

ويضرب بمُلَحه المثل . وعمّر دهراً طويلاً ، وأدرك زمن عثمَان رضي الله عنه . وله نوادر مأثورة ، وأخبار مستظرفة . وكان من أهل مدينة الرسول

---

(1) قدومه مصر ذكره ابن خلّكان فقط . قال : وقدم على يزيد بن حاتم مصر .

(2) في المخطوط : ابن أبي الزنا . والإصلاح من الأغاني ومن المعارف 202 ، ومن الزهر .

ﷺ . وخدم سكينة بنت الحسين . وهو خال محمد بن عمر الواقدي وخال الأصمعيّ . قال الأصمعيّ : حدّثني جعفر بن سليمان قال : قدم أشعب أيّام أبي جعفر المنصور بغداد ، فطاف به فتيان بني هاشم ، فغنّاهم فإذا ألحانُه طريّة وخلقه على حاله . وقال : أخذتُ الغناء عن معبد ، وكنت آخذ عنه اللحن ، فإذا سُئل عنه قال : عليكم بأشعب فإنّه أحسن تأديةً له منّي .

وقيل له : طلبتَ العلم وجالستَ الناس . ثمّ تركت وأفضيتَ إلى المسألة ، فلو جلستَ لنا وجلسنا إليك فسمعنا منك ؟

فقال : نعم – فوعدهم فجلس لهم ، فقالوا له : حدّثنا .

فقال : سمعت عكرمة يقول : سمعت ابن عبّاس يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : خلّتان لا تجتمعان في مؤمن – ثم سكت . فقالوا له : ما الخلّتان ؟

فقال : نسي عكرمة واحدة . ونسيتُ أنا الأخرى .

وقال أشعب : أنا أشأم الناس : ولدتُ يومَ قُتل عثمان ، وختنت يوم قُتل الحسين .

وقال : دخلت على القاسم بن محمّد في حائط له . وكان يبغضني في الله وأحبّه فيه . فقال : ما أدخلك عليّ ؟ اخرج عنّي !

قلت : أسألك بوجه الله عزّ وجلّ لما جذذت لي عِذقاً .

قال : يا غلام ، جذّ له عذقاً ، فإنه سأل بمَسألة [لا يفلح من رَدَّها أبداً] [1] .

وقال الزبير بن بكّار : حدّثني غير واحدٍ من أصحابنا أنّ سالم بنَ عبد الله ابن عمر كان يستحلي أشعب ويضحك منه . وحدّثني عمّي مصعب بن عبد الله [قال :] حدّثني أبي عبد الله بن مصعب قال : كان أشعب بن جبير مولى

(1) الإكمال من الأغاني 19 / 84 .

عبد الله بن الزبير يجلس مع سالم بن عبد الله بن عمر في مجلسه ، وكان سالم يستخفّه ويذهب به معه إلى الغابة . (قال) فقال لي أشعب : كان سالم يذهب معه غلامان لأخيه عبيد الله . وكان معه سكّينان يقال لإحداهما الوجى والأخرى العجلة . فكان الشيخ إذا غفل وقعْنا بتينك السكينين في الأقناء فقطعناها بهما أوجى قطع خلقه الله . (قال) وقالا لي يوماً : ويحك يا أشعب غنّنا !

فقلت : كيف أصنع بالشيخ ؟ أفرق منه !

قالا : أَنصت ، فإنّه لا يبالي .

[203 ب] ففعلت ، فلم يقل لي شيئاً . ثم قال لي أحدُهما يوماً آخر : غنّني / صوتَ كذا ، ولك أن أرى هٰذا .

فقلت له : تفعل ؟

قال : نعم – وحلف لي .

فغنّيته بغناء أرقّ من ذلك ، فصاح بي سالم : هنا حسب ! هنا حسب ! فسكتُّ .

أخبار تطفّله :

وخرج سالم بن عبد الله متنزّهاً إلى ناحية من نواحي المدينة هو وحرمه وجواريه . وبلغ أشعبَ الخبر فوافى الموضع الذي هم به ، يريد التطفّل ، فصادف الباب مغلقاً . فتسوّر الحائط ، فقال له سالم : ويلك يا أشعب ، معي بناتي وحرمي !

فقال : ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنا فِي بَناتِكَ مِنْ حَقٍّ ، وإنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ (هود ، 79) .

فوجّه إليه سالم من الطعام ما أكل ، وحمل إلى منزله .

ودخل على سالم بن عبد الله ، فقال له : يا أشعب ، حمل إلينا جفنة من

هريسة . وأنا صائم . فاقعد فكل ! (قال) فحملت على نفسي ، فقال : لا تحمل على نفسك : ما يبقى يحمل معك . (قال) فلمّا رجعت إلى منزلي قالت أمرأتي : يا مشؤوم ، بعث عبد الله بن عمرو بن عثمان يطلبك ، ولو ذهبت إليه لحباك .

قال : فمَا قلت له ؟

قالت : قلت له إنّك مريض .

قال : أحسنت .

فأخذ قارورة دهن وشيئاً من صفرة . فدخل الحمّام فتمزّج به ثم خرج فعصب رأسه بعصابة وأخذ قصبة واتّكأ عليها . وأتاه وهو في بيت مظلم ، فقال له : أشعب ؟

فقال : نعم ، جعلني الله فداك ! ما رفعت جنبي من الأرض منذ شهرين – وسالم في البيت ، وأشعب لا يعلم – فقال له سالم : ويحك يا أشعب !

فقال : نعم ، جعلت فداك ، مريض منذ شهرين ما خرجت .

فغضب سالم [وخرج] فقال عبد الله بن عمرو : ويلك يا أشعب ، ما غضب خالي إلّا من شيء ؟

فقال : نعم ، جُعلت فداك : غضب من أنّي أكلتُ عنده جفنة من هريسة .

فضحك عبد الله وجلساؤه ، وأعطاه ووهب له . فخرج ، وإذا سالم بالباب فقال : ويحك يا أشعب ، ألم تأكل عندي ؟

قال : بلى ، جعلت فداك !

فقال سالم : والله لقد شكّكتَني .

خبثه واحتياله :

وقال أشعب : كان عبد الله بن عمرو بن عثمَان يستخفّني ، ويدعوني فأحدّثه وألهيه ، فمرض ، ولهوت في بعض خرجاتي أياماً ، ثم جئت فقالت لي زوجتي بنت وردان : ويحك ! أين كنت ؟ عبد الله بن عمرو يطلبك وقد مرض ، وهو يقلق بالنهار ويسهر بالليل . أرسل إليك [لـ]ـتلهيه وتعلّله فلم يجدك .

(قال) قلت : إنّا لله !

ثم فكّرت ساعة ، ثم قلت لها : هات لي قارورة دهن خلوقيّة ومنديلَ الحمّام .

ففعلت . فخرجت أريد الحمّام . فمررت بسالم بن عبد الله بن عمر فقال لي : يا أشعب ، هل لك في هريسة أهديت لي ؟

فقلت : نعم ، جعلني الله فداك .

(قال) فدعا بها ، فأتى بصحفة كبيرة فأكلتُ حتى شبعت ، فجعلت أتكاره عليها . فقال لي : ويحك ، لا تقتل نفسك ، فإنّ ما فضل منها نبعث به إلى بيتك .

قلت : وتفعل ؟

قال : ما أردتُ إلّا ذاك .

فكففت ، فبعث بها إلى بيتي . وخرجْت فدخلت إلى الحمّام واَطّليت ثمّ صببتُ عليّ دهن الخلوقيّة ثمّ سكبت عليَّ ماء . وخرجتُ وعليّ صفرة الدهن لم أستبق منه : فقد صار لوني أصفر كأنّه الزعفران . ولبست أطماراً لي وعصبت رأسي وأخذت معي عصا ، ثم خرجت أمشي عليها حتى جئت باب عبد الله بن عمرو بن عثمَان . فلمّا رآني حاجبُه قال : ويحك يا أشعب ظلمناك وغضبنا

عليك . وأنت قد بلغتَ من العلّة ما أرى . ما أصابك ؟

(قال) قلت : أدخِلني على سيّدي أخبرْه .

فأدخلني عليه فإذا عنده سالم بن عبد الله [بن عمر] فقال لي عبد الله بن عمرو : ويحك يا أشعب ظلمناك وغضبنا عليك ، وقد بلغتَ ما أرى من العلّة .

(قال) فتضاعفت وقلت له : أي سيّدي ، كنت عند بعض من أغشاه فأصابني قيء وتعفّن ، فما حملت إلى منزلي إلّا جنازة ، فبلغتني علّتك فخرجتُ أدِبُّ إليك .

(قال) فنظر إليّ سالم ، ثم قال لي : / يا أشعب ، ألم تكن عندي آنفاً ؟ [204 أ]

قلت : ومن أين أكون عندك ، جعلني الله فداك ، وأنا أموت !

فجعل يَمسح عينيه ثم يقول : ألم تأكل الهريس آنفاً عندي ؟

فأقول : وهل بي أكل جعلني الله فداك ، مع العلّة !

فقال : لا حول ولا قوّة إلّا بالله ، إنّي لأرى شيطاناً يتمثّل في صورتك ، وما أرى مجالستك تحِلّ – ووثب .

ففطن عبد الله بن عمرو وقال : أشعب ، تخدع خالي ؟ اصدقني خبرك !

(قال) قلت : بالأمان ؟

قال : بالأمان .

فحدّثته حديثي . فضحك ضحكاً شديداً .

في بلاط الوليد بن يزيد

وقال أشعب : دعا الوليد بن يزيد المغنّين . وكنتُ نازلاً معهم ، فقلت للرسول : خلني فيهم .

قال : لم أؤمر بذلك ، إنّمَا أُمِرتُ بإحضار المغنّين ، وأنت بطّال [1] ، لا تدخُلُ في جملتهم .

فقلت له : لا خوف عليك ، ولك مع هٰذا شرطٌ .

قال : ما هو ؟

قلت : كل ما أصيبُه فلك شطره .

فقال للجماعة : ٱشهدوا لي عليه !

فشهدوا . ومضينا ، فدخلنا على الوليد وهو لَقِسُ النفس [2] ، فغنّاه المغنّون في كلّ فن من ثقيل وخفيف فلم يتحرّك ولا نشط . فقام الأبجَرُ [3] إلى الخلاء ، وكان خبيثاً داهياً فسأل الخادم عن خبره وبأيّ سببٍ هو خاثر النفس . فقال : بينه وبين ٱمرأته شرّ لأنّه عشق أختها ، فغضبت عليه ، وهو إلى أختها أميل ، وقد عزم على طلاقها وحلف لها ألّا يذكرها أبداً برسالة ولا مخاطبة ، وخرج على هٰذه الحال من عندها . فعاد الأبجَرُ وجلس . فما استقرّ به مجلسُه حتى اندفع يُغنّي [طويل] [4] :

فبيني فإنّي لا أبالي وأيقني أَصَعَّدَ باقي حُبِّكُمْ أمْ تصوَّبا
أَلَمْ تعلَمي أنّي عَزوفٌ عن الهوى إذا صاحبي من غيرِ شيءٍ تغضّبا ؟

فطرب الوليد وارتاح وقال : أصبتَ يا عُبَيْدُ والله ما في نفسي – وأمر له بعشرة آلاف درهم ، وشرب حتى سكر . ولم يحظ أحد سوى الأبجر بشيءٍ . فلمّا أيقنت بٱنقضاء المجلس وثبت فقلت : إن رأيت يا أمير المؤمنين أن تأمرَ مَن يضربُني مائةً الساعةَ بحضرتك .

(1) بطّال هنا بمعنى : مهرّج ، مضحّك ، بهلوانيّ .
(2) لقس : ضيّق النفس .
(3) الأبجر : عبيدالله بن القاسم ؛ الأغاني 3 / 340 .
(4) الشعر لعبد الرحمان بن الحكم أخي مروان .

فضحك ثم قال : قبّحك الله ! وما السببُ في ذلك ؟

فأخبرتُه بقصّتي مع الرسول وقلت له : إنّه بدأني من المكروه في أوّل يومه بمَا اتّصَل عليَّ إلى آخره ، فأريدُ أن أُضربَ مائة سوط ويُضرب بعدي مثلها .

فقال : لقد لطفتَ ! بل أعطوهُ مائة دينار ، وأعطُوا الرسول خمسين ديناراً عوضاً عن الخمسين التي أراد أن يأخذها من أشعب .

فقبضتُها ، وما حظِيَ أحدٌ بشيءٍ غيري وغير الأبجر .

* * *

وقال ابن أبي عتيق : دخلت على أشعب ، وعنده متاع حسن وأثاث وآلات . فقلت له : ويحك ، أما تستحي أن تسأل الناس ، وعندك ما أرى ؟

فقال : يا فديتُك ، معي والله من لطيف السؤال ما لا تطيب نفسي بتركه .

وقال أشعب : كنت أنا وأبو الزناد[1] تربين نختلف إلى الكتّاب بالمدينة فذهب أبو الزناد علوًّا وذهبت سفالاً .

وأكل أشعب مع سالم بن عبد الله تَمراً ، فجعل يأكل زوجاً زوجاً ، فقال سالم : إنّ النبيّ ﷺ قد نهى عن القِران في التّمر .

فقال : اسكت ! لو رأى النبيّ ﷺ رداءةَ هٰذا التّمر لرخّص فيه حفنةً حفنةً !

وقيل لأشعب في امرأة يتزوّجها ، فقال : ابغوني امرأة أتجشأُ في وجهها فتشبع وتأكل فخذ جرادة فتتخم !

وكانت أم أشعب منقطعة إلى عائشة بنت عثمان فأسلمته عائشة في البزّازين ، فقالت له يوماً : تَعَلّمتَ ؟

(1) أبو الزناد مولى عثمان ؛ المعارف 202 .

قال : تعلّمتُ نصف العلم .

قالت : وما هو؟

قال : تعلّمتُ النشر ، وبقي الطيّ ، وأرجو أن لا أتعلّمَ الطيّ .

* * *

وقال لرجل حين سخن الدجاجة ثم ردّت فسخنت ثم ردّت فسخنت : دجاج هٰذا الرجل كآل فرعون يُعْرَضُونَ على النار غُدُوًّا وعِشِيًّا[1] ، فضربته
[204 ب] فاطمة بنت الحسين مائة سوط لهٰذا الكلام ، ووهبت له مائة دينار / .

* * *

وقال أشعب يوماً لأبنه : إنّي قد كبرت ، فأطلب لنفسك المعاش .
فقال : يا أبه ، إنّي مثل الموزة لا تحمل حتى تموت أمّها .

* * *

ووجد أشعب ديناراً فكره أن يأكله حراماً ، وكره أن يعرّفه فيأتي له طالب . فآشترى به قطيفة ، وآنبعث يعرّفها .

* * *

ودعا إنسان أشعب ، فقال أشعب : لا والله ما أجيبك ، أنا أعرف الناس بك وكثرة جموعك .

فقال : عليّ أن لا أدعوَ أحداً سواك .

فأجابه . فبينا هم كذا إذ طلع عليهم صبيّ ، وهم في غرفة ، فصاح أشعب : أي فلان ! تعال هٰهُنا ! من هٰذا الصبيّ؟ شرطت عليك أن لا يدخل علينا أحد !

....

(1) اقتباس من سورة غافر آية 46 .

فقال : جعلت فداك ! هذا ابني ، وفيه عشرُ خصال ما هنّ في صبي .

قال : وما هنّ ، فديتُك ؟

قال : لم يأكل مع ضيفٍ قطّ .

قال : حسبي ! التسع لك .

* * *

وقال أشعب : جاءتني جاريتي بدينار فأودعته [عندي] فجعلتُه تحت المصلّى بين يديّ . ثم جاءتني بعد أيام فقالت : هات الدينار .

فقلت : ارفعي المصلّى ، فإن كان ولد فخُذِي ولدَه ودعيه – وقد كنت جعلتُ معه درهماً – فرفعَت المصلّى وأخذتَ الدرهم . فقلت لها : إن تركتِه ولدَ لكِ كلّ جمعةٍ درهماً .

فتركته وعادت في الجمعة الثانية ، وقد كنت أخذتُه . فلم تره فبكت وصاحت . فقلت : ما يبكيك ؟

قالت : الدينار ، سرقتَه !

فقلت : مات دينارك في النفاس .

فبكت وقالت : كيف يَموت الدينار في النفاس ؟

فقلت لها : تصدّقين بالولادة ولا تصدّقين بالموت في النفاس ؟

* * *

وتولّع الصبيان بأشعب ، فقال لهم لينفّرهم عنه : إنّ في منزل فلان يقسمون الجوز ! – فتركوه وأقبلوا يجرون إلى منزل فلان . فأقبل أشعب خلفهم وهو يقول : لعلّه حقّ ؟

* * *

وقيل له : ما بلغ من طمعِك ؟

فقال : ما زفّت بالمدينة آمرأة إلّا كَنَسْتُ بيتي رجاء أن تهدى إليّ قبله .

* * *

ومرّ برجل وهو يشحذ طبقاً ، فقال : آجعله واسعاً ، لعلّهم يُهدون إلينا فيه !

* * *

وقال الضحّاك بن مخلد : كنت يوماً أريد منزلي ، فآلتفتّ فإذا أشعب ورائي ، فقلت له : ما لك يا أشعب ؟

فقال : يا أبا عاصم ، رأيتُ قلنسُوتك قد مالت ، [فـ]ـقلت : لعلّها تسقط فآخذها .

(قال) فأخذتها عن رأسي فدفعتُها إليه وقلت له : آنصرف !

* * *

وقال أشعب : ما خرجتُ في جنازة قطّ فرأيت آثنين يتسارّان إلّا ظننتُ أنّ الميتَ قد أوصى لي بشيءٍ .

* * *

وخرج [أبو] أشعب مع المختار [بن أبي عبيد] فقتله مصعب صبراً مع من قتل .

وذكر الخطيب أنه توفّي سنة أربع وخمسين ومائة .

أمّه كانت نمّامة :

وحكى أشعب عن أمّه أنها تُغري بين أزواج رسول الله ﷺ وتَمشي بينهنّ بالنّميمة ، وأنها زنت فحُلقت وطوّف بها أسواق المدينة ، وكانت تنادي على

نفسها : من رآني فلا يزنِ !

فقالت لها امرأة : يا فاعلة ، نهانا الله عزّ وجلّ عنه فعصيناه ونطيعك أنت ، وأنت مجلودة راكبة جملاً ؟!

* * *

وقال أشعب : تعلّقت بأستار الكعبة وقلت : اللهمّ اذهب عنّي الحرص والطلب إلى الناس ! – ومررتُ بالقرشيّين وغيرهم فلم يعطني أحدٌ شيئاً . فجئت إلى أمّي فقالت : ما لك قد جئت خائباً ؟

فأخبرتُها فقالت : لا والله . لا تدخل حتى ترجع فتستَقِيلَ ربّك !

فرجعت فقلت : يا ربّ أقِلني ! – فلم أمرّ بمَجلس من قريش وغيرهم إلّا أعطوني .

* * *

(قال) ووُهب لي غلام . فجئت أمّي موقَراً من كلّ شيءٍ . فقالت : ما هٰذا الغلام ؟

فخفت أن أخبرَها فتمُوت فرحاً . فقلت : وهبوا لي .

فقالت : أيّ شيءٍ ؟

فقلت : غَين .

قالت : إيش غين ؟

قلت : لام .

قالت : أيّ شيء لام ؟

فقلت : ألف .

قالت : إيش ألف ؟

قلت : ميم .

قالت : وأي شيء ميم ؟

قلت : غلام .

فغُشي عليها ، ولو لم أقطع الحروف لماتت الفاسقةُ فرحاً .

* * *

وتغدّى أشعب مع زياد الحارثيّ ، فجيء بصحفةٍ فيما مضيرة ، فقال أشعب للخبّاز : ضع ذلك بين يدي .

فقال زياد : مَن يصلّي بأهل السجن ؟

فقالوا : ليس لهم إمام .

فقال : أدخلوا أشعب يصلّي بهم .

فقال أشعب : أو خير من ذلك ؟

قال : وما هو ؟

قال : أحلف أن لا آكل مضيرة أبداً !

* * *

[205 أ] وصلّى أشعب يوماً إلى / جانب مروان بن أبان بن عثمَان . وكان مروان عظيم العجز ، فما لبث أن أفلتت منه الريح عند نهوضه ، لها صوت . فأنصرف أشعب من الصلاة يوهم الناس أنّه هو الذي خرجت منه الريح . فلمّا أنصرف مروان إلى منزله جاءه أشعب فقال له : الدية !

قال : دية ماذا ؟

قال : الضرطة التي تحمّلتُها – ولم يدعه حتى أخذ منه .

* * *

ورؤيَ أشعب ، وقد علّق رأس كلب وهو يضربه ويقول : تنبح للهديّة وتبصبص للضيف !

احتياله على جعفر الصادق :

وغذّى أشعب جدياً بلبن أمّه وغيرها حتى بلغ غاية ، وقال لزوجته : أحبُّ أن ترضعيه بلبنِكِ .

ففعلت . ثم جاء به إلى إسمَاعيل بن جعفر الصادق فقال : حبوتُك به ولم أجد مَن يستأهله سواك .

فنظر إسمَاعيل إلى الجدي فأعجبه ، فأمر به فذُبح وسمط .

ثم دخل أشعب على جعفر الصادق بن محمد [الباقر] واندفع يشهق حتى ٱلتفّت أضلاعُه ، ثم قال : أَخْلِني !

قال : ما معنا أحدٌ .

قال : وثب ٱبنُك إسمَاعيل على ٱبني فقتله وأنا أنظر إليه .

فٱرتاع جعفر وقال : ويحك ! وفيمَ قتلَهُ ؟ وتريد ماذا ؟

قال : والله ما لي في إسمَاعيل حاجة ، ولا يسمع هٰذا سامع أبداً بعدك .

فجزاه خيراً . وقام فدخل منزله وأخرج له مائتي دينار وقال : خذ هٰذه ولك عندي ما تحبّ .

وخرج جعفر إلى ٱبنه إسمَاعيل فإذا به مسترسل . فلما رأى وجه أبيه نكره وقام إليه . فقال : يا إسمَاعيل أوَفعلتها بأشعب وقتلتَ ولدَه ؟

فضحِك إسمَاعيل وقال : جاءني بجدي من صفته وخبرِهِ وأخبره بمَا كان منه . فقال جعفر لأشعب : رعتَني راعك الله !

فقال : روعتي في الجدي أكثر من روعتك في المائتَي دينار .

وقالت ٱمرأة لأشعب : هب لي خاتمَك أذكرك به .

فقال : اذكريني بأنّي منعتُك فهو أحبّ إليّ .

* * *

ورآه رجل يقلّب مالاً كثيراً ، فقال له : ويحك ، ما هٰذا ؟ ولعلّك أن تكون أيسر من الذي يعطيك ؟

فقال : إنّي مهرتْ في المسألة ، وأخاف أن أدعَها فتفلتَ منّي .

* * *

وقيل له : ما بلغ من طمعك ؟

قال : ما رأيت ٱثنين يتسارّان قطّ إلّا ظننتُ أنهما أمرا لي بشيءٍ .

* * *

وقال لأمّه : رأيتُك في النوم مطليةً بعسل ، وأنا مطليّ بعذرة .

فقالت : يا فاسق ، هٰذا عملُك الخبيث أراكـ[ـه] الله !

قال : إن في الرؤيا شيئاً آخر .

قالت : وما هو ؟

قال : رأيت أنّي ألطعُكِ ، وأنت تلطعينني .

قالت : لعنك الله يا فاسق !

* * *

وكان يتحدّث إلى ٱمرأة حتّى عُرف بذلك . فقالت لها جاراتها : لو سألته شيئاً ، فإنّه موسر ؟

فلما جاء قالت : إن جاراتي يقلن لي : ما يصِلُك بشيءٍ .

فخرج نافراً من منزلها فلم يقربها شهرين . ثم جاء ذات يوم فجلس على الباب ، فأخرجت له قدَحاً مملوءاً ماء فقالت : اشرب هٰذا من الفزع !

فقال : ٱشربيه أنتِ من الطمع !

* * *

ودخل يوماً على الحسين بن عليّ رضي الله عنهما ، وعنده أعرابيّ قبيح الوجه ، فسبّح أشعب حين رآه ، ثم قال للحسين : بأبي أنت وأمّي ، تأذن لي أن أسلح عليه ؟

قال : إن شئت – ومع الأعرابيّ قوس وكنانة ، ففوّق سهماً نحو أشعب وقال : والله لئن فعلت لتوكننّ آخر سلحة سلحتها !

فقال أشعب للحسين : فديتُك ، قد أخذني القولنج .

* * *

وغسل في وضوء رجله اليسرى وترك اليُمنى بغير غسل ، فقيل له : لم تركتَ غسلَ اليُمنى ؟

قال : لأنّ النبيّ ﷺ قال : أمّتي غُرٌّ محجّلونَ من آثار الوضوء ، فأنا أحبّ أن أكون مُطلق اليُمنى .

* * *

وسمع حُبّى المدنيّة تقول : اللهمّ لا تُمِتني أو تغفرَ ذنوبي !

فقال : يا فاسقة ، أنت لم تسألـ[ـي] المغفرة ، إنّما تسألـ[ـين] عمرَ الأبد !

* * *

وساوم بقوس عربيّة فقال صاحبُها : لا أنقصها من مائة دينار .

فقال أشعب : أعتق ما ملكـ[ـتُ] : لو أنّها إذا رمي بها طائر في جوّ السماء [فـ]ـوقع مشويًّا بين رغيفين ، ما أخذتُها بدينار !

* * *

وقيل له : أرأيت أحداً أطمعَ منك ؟

قال : نعم ! كلب تبعني أربعة أيام على مضغ العلك .

وقيل له : كان أبوك ألحى ، وأنت أثطّ ، فإلى مَن خرجتَ ؟

[205 ب] قال : / إلى أمّي !

خبره مع سكينة وزوجها :

وكان أشعب منقطعاً إلى سكينة بنت الحسين بن علي ، وكانت متزوّجة بزيد [بن عمرو][1] بن عثمَان بن عفّان . وكانت محبّة له ، وكان لا يستقرّ معها . تقول له : أريد الحجّ – فيخرج معها ، فإذا مضوا إلى مكّة قالت : أريد الرجوع إلى المدينة . – فإذا عاد إلى المدينة قالت : أريد العمرة . فهو معها في سفر لا ينقضي . وكانت حلّفته يَميناً لا كفّارة لها أن لا يتزوّج عليها ولا يتسرّر ولا يلمّ بنسائه ولا جواريه إلّا بإذنها .

وخرج الخليفة إلى الحجّ في بعض السنين فقال لها زيد : قد حجّ أمير المؤمنين ، ولا بدّ لي من لقائه .

فحلّفته أنه لا يدخل الطائف ولا يلمّ بجواريه . وٱمتنع أن يحلف لها بالطلاق . وبعث معه أشعب وأعطته ثلاثين ديناراً وحلّفته بالطلاق لزوجته بنت وردان أن لا يطلق لزيد الخروج إلى الطائف بوجهٍ ولا سبب . وخرجا . فلمّا حاذوا الطائف قال زيد : يا أشعب ، هٰذه ثلاثمائة دينار ، خذها وٱئذن لي أن ألمّ بجواريّ .

(1) الزيادة من الوفيات 2 / 394 (ترجمة سكينة) .

فقال : يا سّيدي ، إنّها سكينة ! فالله الله فيَّ !

قال : أوَ تعلمُ سكينة الغيب ؟

ولم يزل به حتى أذن له ، فمضى وبات عند جواريه . فلما أصبح لبِسَ أشعب حلّة وَشْيٍ لزيد قيمتُها ألف دينار وركب فرسه وجاء نساءً في أبيات قوم من العرب قريبة منهم ، فسلّم عليهنّ ، فرددن عليه وسألنَه عن نسبه فأنتسب بنسب زيد . فحادثنَه مليًّا حتى جاء شيخ فسلّم عليه وعظّمه وسأل عنه فأخبر بنسبه . فنظر إليه وقال : ما هٰذه خلقة قرشيّ ، وما هو إلّا عبدٌ ! – وبادر إلى بيته ، فعلم أشعب أنّه يريد شرًّا ، فركب ومضى ، والشيخ في إثره ، فرماه بسهم ما أخطأ قربوس السرج . فسلح أشعب في ثيابه حتى نفذ إلى الحلّة فصيّرها شُهْرة . ووصل إلى رَحْل زيد فغسل الحلَّة ونشفها ، وإذا بزيد أقبل ، فرأى ما أصاب حلّته وقربوس سرجه ، فقال : ما القصّة ؟ – فحدّثه الحديث ، فغضِب ووبّخه .

فلما عاد إلى سكينة سألت عن خبره كلّه فحدّثها . فقالت : هل مضيتَ إلى جواريك بالطائف ؟

فقال : سلي نفسك ؟

فدعت أشعب فسألته فحلف لها بكلّ يَمين محرجة أنّه ما مرّ بالطائف ولا فارقني .

فقال زيد : اليَمين التي حلفها لازمة لي إن لم أكن دخلت الطائف وبتّ عند جواريّ وغشيتهنّ جميعاً ، وأخذ منّي ثلاثمائة دينار وفعل كذا وكذا – وأراها الحلّة والسرج .

فقالت لأشعب : فعلتها ! أنا نفيّة من أبي إن أنفقتُها إلّا فيمَا يسوءُك .

ثم أمرت بكبس منزل أشعب ، وأحضَرت الدنانير واشترت بها بيضاً وسرجين وخشباً وعملت الخشب بيتاً حبسته فيه ، وحلفت أن لا يخرج منه حتى

يحضُنَ البيض كلّه إلى أن ينقب . فمكث أربعين يوماً إلى أن نقب وخرج منه فراريجُ كبيرة فربتهنّ وتناسلن وكنّ في المدينة يقال لهن : بنات أشعب .

792 – أشهب بن عبد العزيز [140 – 204] [1]
(فقيه مصر)

أشهب بن عبد العزيز بن داود بن إبراهيم ، أبو عمرو ، القيسيّ ، ثمّ العامريّ ، أحد فقهاء مصر وذوي رأيها .

ولد سنة أربعين ومائة . روى عن مالك والليث بن سعد ، ويحيى بن أيّوب ، وعبد الله بن لهيعة ، وداود العطّار ، وسليمَان بن بلال ، وطائفة .

وروى عنه سحنون ، والحرث بن مسكين ، ويونس بن عبد الأعلى ، ومحمد بن إبراهيم بن الموّاز ، وهارون بن سعيد الأيلي ، ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، وبحر بن نصر ، وطائفة .

وخرّج له أبو داود والنسائيّ . ويقال : آسمه مسكين ، ولقبه أشهب . وتفقّه على مالك ، ثم على المدنيّين والمصريّين . وقال الشافعيّ رحمه الله : ما رأيت أفقه من أشهب لولا طيش فيه . ولم يدرك الشافعيّ من أصحاب مالك رحمه الله سوى أشهب وابن عبد الحكم ، وكانت المنافسة [بينه وبين ابن القاسم] [2] .

وقال القضاعيّ : كان لأشهب رئاسة في البلد ومال جزيل ، وكان من أنظر أصحاب مالك .

وقال ابن عبد الملك : سمعت أشهب يدعو على الشافعيّ بالموت ، فذكرت

(1) وفيات 1 / 239 (100) ؛ الديباج 98 ؛ شذرات 2 / 12 .
(2) زيادة من الوفيات .

ذلك للشافعيّ فقال متمثّلاً [طويل] :

تمنّى رجال أن أموت ، وإن أمُت   فتلك سبيل لستُ فيها بأوحدِ / [206 أ]
فقل للّذي يبغي خلاف الذي مضى   تزوّد لأخرى غيرها فكأن قدِ[1]

(قال) فمات الشافعيّ ، فآشترى أشهب من تركته عبداً . ثم مات أشهب فآشتريتُ أنا ذلك العبدَ من تركة أشهب .

وقال ابن عبد البرّ : كان أشهب فقيهاً حسن الرأي والنظر ، فضّله ابن عبد الحكم على آبن القاسم .

وقال محمد بن عاصم المعافريّ : رأيتُ في [المنام] قائلاً يقول : يا محمّد ! - فأجبته ، فقال [كامل] :

ذهب الذين يقال عند فراقهم   ليت البلاد بأهلها تتصدّع !

وكان أشهب مريضاً ، فقلت : ما أخوفَني أن يَموت أشهب ! - فمات من مرضه ذلك .

وكانت وفاة أشهب بعد وفاة الشافعيّ بشهر . وقيل : بثمَانية عشر يوماً ، في شعبان ، أو سلخ رجب سنة أربع ومائتين . ودُفن بالقرافة بجوار قبر ابن القاسم رحمهما الله .

793 - أَصْبَغ بن عبد العزيز الأمويّ [- 86][2]

أصبغ بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف ، أبو زبان ، ابن الأمير أبي الأصبغ ابن الخليفة أبي الحكم

(1) البيتان لعبيد بن الأبرص أو لمالك بن القين . انظر ذيل السمط للميمني 104 وأمالي القالي 2 / 218 والعقد 4 / 443 ومروج الذهب 3 / 136 .
(2) الولاة والقضاة 54 ؛ النجوم 1 / 193 ؛ الديباج 97 .

ابن أبي مروان ، القرشيّ ، الأمويّ .

ٱستخلفه أبوه عبد العزيز بن مروان على الفسطاط لمّا خرج في سنة أربع وسبعين إلى الإسكندرية . ثم ٱستخلفه مرّة ثانية في سنة خمس وسبعين لمّا وفَد على أخيه عبد الملك بن مروان . فلمّا بعث عبد الملك بن مروان يسأل عبد العزيز أن ينزل له عن ولاية العهد ليعهد إلى الوليد وسليمَان ولدَيْه . أبى ذلك وكتب إليه : إن يكن لك ولد ، فلَنا أولاد . ويقضي الله ما شاء ، وإنّك لو رأيتَ الأصبغ لسرَّك ولم تقدّم عليه أحداً .

فلم يعش الأصبغ إلّا قليلاً ، ومات يوم الخميس لتسع بقين من شهر ربيع الآخر سنة ستّ وثمَانين . فمات بعده أبوه لثلاث عشرة خلت من جمادى الأولى .

قال عون بن عبد الله : قال لي أصبغ بن عبد العزيز بمِصر : سمعتُ من أبيك كلاماً نَفَعَني الله به : لأَنْ يُخطِىءَ الإمامُ في العفو خيرٌ من أن يُخطِىءَ في العقوبة [1] .

وقال كثيّر من مرثية . . . [2]

794 – أصبغ بن الفرج القاضي [– 225] [3]

أصبغ بن الفرج بن سعيد ، أبو عبد الله ، مولى عبد العزيز بن مروان فيمَا زعم ، وكان كثير من أهل مصر يدفعونه عن ذلك ولا يصحّحون له ولاءً . قال

---

(1) هذه الفقرة وردت في الوفيات في ترجمة أصبغ بن الفرج المالكي 1 / 239 (101) ولا توجد في الوفيات ترجمة لأصبغ بن عبد العزيز .

(2) في ديوان كثّير (نشر إحسان عبّاس) مراثٍ كثيرة لعبد العزيز بن مروان ولا ذكر لأصبغ فيها . وكذلك الكندي ، ذكر مراثي لغير كثيّر .

(3) وفيات 1 / 240 (101) ؛ الوافي 9 / 281 (4204) ؛ الديباج 97 ؛ شذرات 2 / 56 .

أبو عمر الكنديّ : سألتُ ابن يزيد عن أصبغ ، لمن ولاؤه ؟

قال : ليس لهم ولاءٌ ، هم من عبيد المسجد[1] .

وحدّثني ابن قديد عن أبي نصر قال : سمعتُ المزنيّ والربيع يقولان : كنّا نأتي أصبغ قبل قدوم الشافعيّ فنقول له : علّمنا ممّا علّمَك الله !

قال أبو نصر : وسمعتُ عمّي عبيد بن صالح يقول : قال لي مطرّف بن عبد الله الأصمّ : مِن أيّ بلد أنت ؟

قلت : من مصر .

قال : ما فعل عبد الله بن عبد الحكم ؟

قلت : مات .

قال : ما فعل أصبغ ؟

قلت : باقي .

قال : الحيُّ أفقه عندنا من الميت .

وأخبرني ابن يزيد عن ابن عثمَان قال : كانت بين عبد الله بن عبد الحكم وبين أصبغ منازعة ومباعدة ، وكان أحدهُما يرمي صاحبه بالبُهْتان .

قال ابن قديد : وأخبرني مقدام قال : أرسل ابن عتبة إلى عبد الله بن عبد الحكم : إنّ هٰذا الرجل قد وجب لك عليه حدّ ، قد شهر عندي بذلك فصرْ إليّ حتى أحدّه .

فأبى وقال : إن هو حدّه ، صرنا حديثاً ، وقالوا : حدّ فلان في سبب فلان .

قال ابن قديد : وكتب المعتصم في أصبغ ليحمل إليه في المحنة . فهرب إلى

---

(1) في عبيد المسجد. قال الصفديّ : كان بنو أميّة يَشترون للمسجد عبيداً ، فهم من ولدهم

حلوان واستتر بها .

قال الكندي : وكان فقيهاً نظّاراً . ولد بعد الخمسين ومائة ، ولم يلقَ مالكاً .

وقال ابن يونس : وكان يحيى بن عثمَان بن صالح يقول : هو من ولَد عبيد المسجد : كان بنو أميّة يشترون للمسجد عبيداً يقومون على خدمة المسجد ، فهو من أولاد أولائك العبيد يُنسب إلى ولاء بني أمية . وكان مضطلعاً بالفقه والنظر .

توفي يومَ الأحد لأربع بقين من شوّال سنة خمس وعشرين ومائتين .

وكان ذكر للقضاء في مجلس عبد الله بن طاهر فشنَّعَه سعيد بن عفير[1]

[206 ب] حدّثني علي بن الحسن بن قديد عن يحيى بن عثمَان بن صالح عن أبي يعقوب / يوسف بن يحيى البويطيّ ، حدّثه أنّه كان حاضراً في مجلس ابن طاهر حين أمر بإحضار شيوخ أهل مصر (قال) فقال لنا عبد الله بن طاهر : « إني جمعتُكم لترتادوا لأنفسكم قاضياً » . فكان أوّل من تكلّم يحيى [بن عبد الله] بن بكير فقال : أصلح الله الأمير ، ولِّ قضاءنا من رأيت ، وجنّبنا رجلَين : لا تولّ قضاءنا غريباً ولا زرّاعاً – يعرّض بالغريب لإبراهيم بن الجرّاح ، وبالزرّاع عيسى ابن فليح .

ثمّ تكلّم أبو ضمرة الزيدي[2] فقال : أصلح الله الأمير ، أصبغ بن الفرج الفقيه العالم الورع – وأصبغ حاضر المجلس .

فقال سعيد [بن كثير] بن عفير : ما بال أبناء المقامصة والصبّاغين يُذكرون لهٰذه المواضع التي لم يجعلهُم الله لها أهلاً ؟

....

(1) الحادثة رواها الكندي في كتاب الولاة والقضاة ، 434 .
(2) عند الكندي 433 : الزهريّ .

فقام أصبغ وأخذ بمَجامع ثوب سعيد بن عفير وقال له : إنّك لشيطان مفترٍ ! مِن أين علمتَ أنّي من أبناء الصبّاغين ؟ – وارتفع الأمر بينهما حتى كادت أن تكون فتنة . فذكر عبدُ الله بنُ عبد الحكم عيسى بنَ المنكدر وأثنى عليه بخير ، فقلّده ابن طاهر القضاء[1] .

وذكر زيد بن أبي زيد بن أبي الغمر عن أحمد [بن يحيى] بن وزير قال : كان أصبغ ابن الفرج خبيث اللسان لا يسلم منه أحد . إنّما كان لسانه صاعقة !

وتفقّه أصبغ بابن قاسم وابن وهب وأشهب .

وقال عبد الملك بن الماجشون : ما أخرجت مصر مثل أصبغ .

قيل له : ولا ابن القاسم ؟

فقال : ولا ابنُ القاسم !

وكان كاتب ابن وهب .

وقال ابن معين : كان أعلم خلق الله برأي مالك ، يعرف كلّ مسألة متى قالها مالك ، ومَن خالفه فيها .

وقال أبو حاتم : كان أجلّ أصحاب ابن وهب ، وهو صدوق . وقد روى عن ابن وهب ، وأسامة بن زيد بن أسلم ، وعبد العزيز الدراوردي ، وابن القاسم .

وعنه أبو حاتم ، ومحمد بن إسمَاعيل الترمذيّ ، ومحمد بن عون ، ويحيى ابن عثمَان السهميّ ، وخلق . وروى عنه البخاري ، وروى له الترمذيّ والنسائيّ بواسطة .

وقال العجليّ : ثقة صاحب سنّة .

---

(1) سنة 212 .

795 – أصلم القبجاقي [– 747][1]

أصلم القبجاقي ، الأمير بهاء الدين ، أحد المماليك المنصوريّة قلاوون .

ربّي بقلعة الجبل إلى أن قُتل الملك الأشرف خليل ، وأقيم بعدهُ الملكُ الناصر محمد بن قلاوون وعمل الأمير كتبغا نائب السلطنة ، وفرّق المماليك السلطانية ، وكان أصلم من نصيب الأمير سيف الدين الأقوشيّ المنصوريّ ، ثم انتقل إلى الأمير سلار فلزم خدمتَه . وعمله سلاح دار إلى أن زالت الدولة المظفّرية بيبرس وقدم الملك الناصر من الشام ، فتلقّاه أصلم بنَمْجاة[2] السلطنة وبشّره بهروب بيبرس ، فأنعم عليه بإمرة عشرة . وما زال تنقّله حتى صار من أمراء الألوف ، وبعثه على التجريدة إلى بلاد اليمَن في سنة خمس وعشرين وسبعمائة .

ثمّ قبض عليه وعلى أخيه سيف الدين قُرمُجِيّ في يوم الخميس مستهلّ جمادى الأولى سنة سبع وعشرين ، واَعتُقل في برج بقلعة الجبل . وسبب ذلك أنّه [أ]خرج سلاح خاناته وأخرج آلات السلاح بين يديه بإصطبله خارج باب زويلة من القاهرة ، وألبس خيوله آلة الحرب وعُدد القتال ، وسيّرها في الإصطبل ، فوشى به بعض أعدائه إلى السلطان أنّه قد اتّفق مع أخيه قُرْمُجي[3] وطائفة القبجقيّة على الفتك بالسلطان وتغيير الدولة ، وأنّه أمس عَرَضَ عُدّة سلاحه كلّها وألبسَ خَيلَه ورتّب هيئة ركوبه للقتال ، وكتب بذلك رقعة وألقاها في الإصطبل السلطانيّ ، فأخذها بعض سوّاس الخيل ، ووصلت إلى السلطان .

---

(1) الوافي 9/ 285 (4211) ؛ الدرر 1/ 416 (993) ؛ النجوم 10/ 174 ؛ المنهل 2/ 455 ؛ الخطط 2/ 309 .

(2) النمجاة : ضرب من الخناجر .

(3) في المخطوط : قرمشي . والإصلاح من النجوم 10/ 151 وممّا يأتي .

فلمّا قرأها بعث الحاجب إليه يسأله عمّا كان يعمله أمس في إصطبله . فأجاب بأنّي عرضت سلاحاً آشتريتُه على خيلي لأعرف ما يناسب منه ممّا لا يناسب . فلم يشكّ السلطان في صحّة ما نُقل عنه . وقبض معه على قَيْران صهر قرمُجيّ ، وعلى إتكان أخي آقوش الحاجب وسفّرهم مع طَرْخان بن بيسرى وبُرُلْغي قريب السلطان [لأمّه] إلى الإسكندرية . وتتبّع المماليك القبجقيّة فقبضهم . وطلب [الـ]أمير حسين بن جندر / من دمشق وأنعم عليه بإقطاع أصلم . [207 أ]

فأقام أصلم وأخوه في السجن ستّ سنين وثمَانية أشهر . ثمّ أفرج عنهما في صفر سنة أربع وثلاثين وخلع عليهما ، وأنعم على أصلم بإمرته .

ثمّ أخرجه في سنة إحدى وأربعين لنيابة صفد عوضاً عن أقسنقر السلاريّ ، فمات السلطان ، وهو بصفد .

ثمّ إنّ الأمير قوصون لمّا قام بتدبير الدولة جرّده مع الأمير أَلْطُنْبغا نائب الشام لإمساك طشتمُر حمّص أخضر نائب حلب . فقدم الأمير قطلوبغا الفخريّ إلى دمشق ، وردّ أصلم من قارا[1] . فأقام بعسكر صفد مع الفخريّ حتى توجّه معه إلى مصر ، وقد تسلطن أحمد بن محمد [بن قلاوون] ، فرسم له بالإقامة بمِصر على عادته أمير مائة ومقدّم ألف يجلس في المشوَر . فاستمرّ على ذلك حتى مات ، فأنعم بإقطاعه على الأمير طغيتمُر النجمي ، وكان إقطاعاً جليلاً عبرته مائة ألف دينار وأربعون ألفَ دينار .

وكانت له يدٌ طولى في الرمي بالنشّاب . وكان الملك الناصر الكبير دائمًا يجعلُه رأس الحلقة . وعظُم في الدولة الناصريّة أحمد وما بعدها .

وترك ثلاثة أولاد أمراء . وعمّر مدرسة بجوار داره في خطّ سوق الغنم خارج باب البرقيّة في غاية الحسن ، وأقيم بها خطبة .

1) قارا : بين دمشق وحمص .

796 – أطسز بن أوق الخوارزميّ [– 471][1]

أطسز بن أوق الخوارزميّ التركيّ مقدّم الأتراك . ومعنى أطسز : ليس معه قرين ، وهي كلمة تركية . وبعضهم يقول : أتسز بالتاء ، عوضاً عن الطاء ، وأصلُه كما قلت لك أوّلاً .

كان أمير دمشق ، لقّب نفسَه بالملك المعظّم ، وهو أوّل مَن ملك دمشق من الأتراك وقطع منها دعوة الخلفاء الفاطميّين وأعاد دعوة خلفاء بني العبّاس . وكان سببُ قدوم الأتراك إلى الشام أنّه لمّا تغلّب ناصر الدولة [الحسن] بن حمدان في سنة اثنتين وستّين وأربعمائة على مصر وقصد إبطال دعوة المستنصر بالله وتغييرَ دولته ندب الفقيه أبا جعفر محمد بن أحمد بن البخاري قاضي حلب وبعثه رسولاً إلى السلطان ألب أرسلان أبي شجاع محمد بن داود ملك العراق وخراسان يسأله أن يسيّر إليه عسكراً ليقيم الدعوة العبّاسية وتكون له مصر .

فمضى أبو جعفر إلى خراسان وبلّغ السلطان ألب أرسلان رسالة ناصر الدولة ابن حمدان . فتجهّز من خراسان في عساكر عظيمة ونزل الرها في أوّل سنة ثلاث وستّين وأربعمائة ، وبعث إلى محمود بن نصر بن صالح بن مرداس صاحب حلب يستدعيه فخاف منه ولم يتجاسر عليه . فقطع السلطان الفرات فقال له الفقيه أبو جعفر : يا مولانا ، احمد الله تعالى على ما أنعم به عليك فإنّه لم يقطع هٰذا النهرَ تركيّ إلّا مملوكـ[ـا] ، وأنتم اليوم قد قطعتموه ملوكاً .

فأحضر الأمراء والمماليك ، وأمره فأعاد الحديث . فحمد السلطانُ الله على ذلك . ثمّ خرج إليه محمود بن نصر فأكرمه وردّه إلى حلب بعدما نزل السلطان

---

(1) الوافي 6 / 195 (2652) تحت : أتسز . وكذلك في الكامل 8 / 111 . ذيل تاريخ دمشق 112 ، 120 – 125 .

على حلب ، وحاصرها شهراً في جُمَادى الآخرة ، فقطع محمود خطبة المستنصر من حلب وأقام الدعوة العبّاسية . وعزم السلطان على المسير إلى مصر ، فأتته الأخبار بأنّ ملك الروم قطع بلاد أرمينية يريد خراسان فعاد من حلب إلى بلاده وخلّف طائفة من الترك ببلاد الشام فيهم أطسز . فسار ومعه إخوتُه جاوليّ والمأمون وقزلو وشكلي [1] إلى أعمال دمشق . ونزل عليها وحاصرها في يوم الثلاثاء تاسع رمضان سنة سبع وستّين وأربعمائة . ثمّ انصرف عنها يوم الثلاثاء النصف من شوّال ، ومعه إخوتُه ففتحوا أعمال فلسطين . ثم آختلف الأتراك فصار بعضهم مع أمير الجيوش بدر الجماليّ بعكّا وبلاد الساحل التي في يده ، وبعضهم مع القاضي عين الدولة ذي الرئاستَين أبي الحسن محمد ابن القاضي أبي محمد عبد الله ابن القاضي أبي الحسن عليّ بن عياض بن أحمد بن أبي عقيل صاحب صور .

وبقي أطسز وإخوتُه بفلسطين ، وفتح الرملة وطبريّة وبيت المقدس / وصار [207 ب] يحاصر في كلّ سنة دمشق ويرعى زرعها . ومنع الزراعة حتى صارت الغرارة [من] القمح تباع بعشرين ديناراً . فلمّا كانت سنة سبع وستّين [وأربعمائة] حاصر شكلي بن أوق ثغر عكّا وأخذه بالسيف وقتل الوالي . فسارت إليه عساكر دمشق وحاربوه على طبريّة .

وفي سنة سبع وستّين حاصر أطسز بن أوق دمشق في يوم السبت سلخ ذي الحجّة عقيب هروب معلّى بن حيدرة . ورحل عنها يوم الجمعة لأربع خلون من صفر سنة ثمان وستّين ، وذلك أنّ معلّى بن حيدرة بن منزو [2] لمّا أساء السيرة بدمشق وثار الناس عليه فرّ منها إلى بانياس فأقاموا عليهم الأمير رزين الدولة انتصار بن يحيى المصموديّ زمام عسكر معلّى بن حيدرة في يوم الأحد مستهلّ المحرّم منها . وقدم أطسز إلى دمشق في شعبان ولم يزل محاصراً لها حتى غلت

(1) في المخطوط : سكلي . وأخذنا بقراءة الاتّعاظ 2/ 314 : شكلي .

(2) معلّى بن حيدرة الكنانيّ – أو الكتاميّ – كان والياً على دمشق من قِبل المستنصر : اتّعاظ 2 / 276 و 290 .

الأسعار ولم يُقدر على شيءٍ من الأقوات وبلغت غرارة الحنطة نيفاً وعشرين ديناراً .

ثم إنّه فتح البلد صلحاً ، ودخلها هو وعسكره يوم الاثنين [لِتِسعٍ بقين] من ذي القعدة منها ، وقطع خطبة المستنصر منها وأبطل الأذان بحيّ على خير العمل وأقام الخطبة للإمام المقتدي بأمر الله أبي القاسم ابن الذخيرة بن القائِم بأمر الله العبّاسيّ في يوم الجمعة خامس عشرين ذي القعدة . ونظر في أمور دمشق وأحوالها وكثر عسكره .

ثم فرّ إليه [ابن بلدكوش][1] خوفاً من أمير الجيوش بدر الجمالي . وحدّثته نفسُه بأخذ مصر فسار إليها في سنة تسع وستّين وأربعمائة ، وقد سار إليه ناصر الجيوش أبو الملوك تركان شاه ابن سلطان الجيوش يلدكوش ، وأهدى إليه ستّين حبّة لؤلؤ تزيد زنة الحبّة منها على مثقال ، وحجراً من ياقوت زنتُه سبعة عشر مثقالاً ، في تحفٍ كثيرة ممّا كان قد أخذه أبوه من خزائن القصر . وأغراه بأخذ مصر وأطمعه في أهلها . فحشد وهم على حين غفلة . وكان أمير الجُيوش بدر قد خرج لقتال العرب بالصعيد . فنزل أطسز في أرياف مصر وأقام بها شهر جمادى وبعض شهر رجب ، ومعه نحو الخمسة آلاف .

فلمّا بلغ ذلك أمير الجيوش قدم إلى القاهرة وآستعدّ إلى لقائه . وخرج في يوم الخميس سابع عشر رجب ، وسيّر المراكب في النيل بالعلوفات والميرة ، وسار في نحو الثلاثين ألفاً ما بين فارس وراجل . فخافه أطسز وعزم على العود عَن مصر إلى الشام ، فلم يوافقه أصحابُه على ذلك وقالوا له : قد وطئت ديارهم ، وتعود بغير فائدة ؟

فلم يلتفت إلى قولهم . فقال له أخوه المأمون وابن بلدكوش : لا تغرنّك

---

(1) الاتّعاظ 2/ 317 وقرأ الناشر : وكان شاه عوض : تركان شاه ، وهو آسمه الوارد في ترجمته بالمقفّى رقم 1026 .

كثرتهم ، فإنّهم سوقةٌ ، وصيحة واحدة تهزمهم . فلا تَرجع عن هٰذا الملك الذي أشرفتَ على أخذه !

وما زال به أخوه [1] حتى تقدّم لِلْقتال في يوم الثلاثاء ثاني عشرينه . وقدم [أمير] الجيوش . فتراخى أطسز عن الحرب إلى الليل بعدما آستظهرت ميمَنَتُه . فأحاطت العربُ به من ورائه ونهبوا سواده ، فآنهزم وقُتل أخوه المأمون ، ولحق أطسز بغزّة وأقام بالرملة حتّى وصل إليه من بقي من عسكره . ودخل دمشق يوم السبت العشرين من شعبان [سنة 469] .

وعاد أمير الجيوش مظفراً ، فندب العساكر مع نصر الدولة [أفتكين] [2] الجيوشيّ وبعثه إلى دمشق فحصرها أيّاماً ، وعاد في سنة سبعين [3] .

فلمّا خاف أطسز من ظفر أهل مصر راسل تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان يستنجده ، فتحرّك لذلك وسأل أخاه السلطان ملك شاه ابن ألب أرسلان أن يولّيه الشام ، فأقطعه السلطان أبو الفتح ملك شاه ابن ألب أرسلان الشام [فسار] إليها ونزل على حلب في سنة إحدى وسبعين ، فلم يقدِر عليها فمَثَّل بديار بكر ، وسار إلى دمشق وتسلّمها من أطسز .

ثم قبض عليه في ربيع الأوّل منها ، وقتل أخاه ، ثم أمر بخنقه فخنق بوتر لإحدى عشرة خلت من ربيع الآخر سنة إحدى وسبعين وأربع مائة ، فكانت مدّة ملكه بدمشق ثلاث سنين وستّة أشهر وواحداً وعشرين يوماً .

---

(1) هو شكلي التركيّ أمير طبريّة وأخو أطسز كما في ترجمة بدر الجمالي رقم 911 .

(2) بياض بالأصل والإكمال من ترجمة بدر أمير الجيوش . فالنقص ليس من المقريزيّ ولكن من ناسخ السليميّة .

(3) اتّعاظ 2 / 319 . والقائد هو نصير الدولة أفتكين الجيوشيّ كما جاء في ترجمة بدر الجمالي رقم 911 . وفي الكامل (سنة 471) : قائد يعرف بنصر الدولة ، لا غير ، وكذلك عند ابن القلانسيّ ، 112 . وفي الاتّعاظ 2 / 331 : « نصر الدولة أفتكين أجلّ غلمان بدر » .

797 - أُغْزُلُو العادليّ [- 719] [1]

[208 أ] أغزلو العادليّ ، الأمير سيف الدين / أحد مماليك العادل كَتْبُغا .

ربّاه صغيراً ، فلمّا تسلطن أعطاه إمرةً بديار مصر ، ثم ولّاه نيابة السلطنة بدمشق - وعمره نحو الثلاثين سنة - عوضاً عن أيبك الحمويّ الظاهري في يوم الاثنين أوّل ذي الحجّة سنة خمس وتسعين وستّمائة ، وكان العادل حينئذ بدمشق . فلمّا خرج منها وسار إلى العوجاء ركب عليه الأمير لاجين نائب السلطنة ، فٱنهزم منه إلى دمشق ، فسلّمه أغزلو القلعة والمدينة إلى أن ٱنحلّ عنه الأمر وانعقد للملك المنصور لاجين . [فـ]ـخرج من دمشق على البريد إلى قلعة الجبل في يوم الأحد خامس عشرين صفر سنة ستّ وتسعين ، وحضر الأمير سيف الدين قبجق المنصوريّ متوليًّا نيابة السلطنة بدمشق عوضاً عنه ، وأقام أُغُزلو بدمشق من جملة الأمراء الألوف إلى أن مات بها في [. . .] سنة تسع عشرة وسبعمائة ودُفن بتربته من قاسيون .

798 - أُغُزْلُو السيفيّ ، شجاع الدين [- 748] [2]

أغزلو السيفيّ ، الأمير شجاع الدين . أحد مماليك الأمير بهادر المعزّيّ .

كان يدّعي أنّه جركسيّ ، وجلب من عند الأرمن بقلعة الروم فٱشتراه بهادر

(1) الوافي 9 / 294 (4224) ؛ الدرر 1 / 418 (998) ؛ المنهل 2 / 463 (476) ؛ النجوم 9 / 245، وهو فيها : إغزلوا بالزاي .

(2) الوافي 9 / 294 (4225) ؛ الدرر 1 / 417 (997) ؛ المنهل 2 / 460 ؛ النجوم 10 / 165 وفيها : غُرلُو بدون همزة .

المعزّيّ ، وترقّى في خدمته إلى أن حبس ، فخدم بعده أميراخور بإصطبل الأمير بكتمُر السّاقيّ حتى مات . فآستقرّ أمير أخور الأمير بشتاك إلى أن قبض عليه فاستقرّ في ولاية أشمُوم وسفك دماءً كثيرة . ثم أخرج إلى نيابة قلعة الشوبك .

ثمّ قدم القاهرة وآستقرّ في الولاية يوم الاثنين ثامن عشرين ربيع الأوّل سنة خمس وأربعين وسبعمائة ، عوضاً عن نجم الدين أيّوب الكرديّ . ونُقل عن قليل من ولاية القاهرة إلى وظيفة شدّ الدواوين ، والدولة قد توقّف حالها . فأحدث أخذ البرطيل على الولايات كلّها ، حتى على شدّ جهة من الجهات . فرغب كثير ممّن كان لا يتأهّل للولايات فيها ، وبذلوا له المال الكثير فصار يحمله إلى بيت المال . وأغرى السلطان بأنّ هٰذا المال كلّه كان المباشرون يستأدونه لأنفسهم ، فحملتُه أنا إلى بيت المال لِتَمشِيَ أحوال دولة السلطان – وبالغ في إظهار الأمانة وبذل جهده في النهضة وقبض على خالد المقدّم وآحتاط على موجوده . فثقل على الأمراء ، إلى أن مرض الصالح إسمَاعيل بن محمد بن قلاوون ، وقام أخوه شعبان في طلب السلطنة من بعده ، وآستمَال عدّةً من الأمراء والمماليك .

وخالف عليه الأمير أل الملك نائب السلطنة في جماعة من الأمراء [فـ]انتدب أغزلو وتَمر الموساوي لإثارة الفتنة ، وضمن أغزلو أن يقوم بأمور مهمّة وأن ينزل في عدّة من المماليك إلى آصطبلات الأمراء ويأخذ خيولهم ومماليكهم ثم يقبض عليهم . فلمّا تحالف النائب والأمراء على الاتّفاق طلب أغزلو وقال له : ويلك ! أنت أيضاً صار لك كلام بين الأمراء ؟ – وأمر بأخذ سيفه فتنَمَّر وأراد أن يشهّر سيفه وقال : مَن يصل يأخذ سيفي ؟ – فصاح النائب بالحجّاب فتناولوا أغزلو بالضرب وحلّوا سيفه وخربوا شاشه وأوجعوه ضرباً وحملوه إلى السجن .

فلمّا جلس الملك الكامل شعبان على تخت السلطنة أخرجه وخلع عليه . وآستقرّ في الشدّ على عادته فزادت مكانتُه ، وآستخدم الولاة والكتّاب في الأعمال بمَال مُقرّر يُحمَل لبيت المال . وآستجدّ النزول على الإقطاعات التي للأجناد

ومقايضة بعضهم بعضاً بمَال يحمل لبيت المال ، وأخرج الإقطاعات لمَن يختارها ، وجعل المقرّر على الإقطاع نظير عبرته : فمَن طلب إقطاعاً عبرة مائة دينار حمل مائة دينار . ففسدت حال الأجناد وحال الأعمال والجهات ، فإنّه نالها من كان لا يتأهّل لها . وأحدث على الرزق حوادث تحصّل منها مال كبير ، وعمل لذلك ديواناً يُسمّى « ديوان البذل » .

فعظمت مكانته عند السلطان وزادت رتبتُه وكثرت مهابتُه ، وصادر الولاة . فلمّا تولّى تقيّ الدين ابن مراجل نظر الدولة تعاندا ، فعُزل عن الشدّ . [208 ب] ثم لمّا كانت الفتنة على الكامل قام فيها أيّمَا قيام ، وضرب / الأمير أرغون الكامليّ في وجهه فجرحه .

ثمّ لمّا كانت دولة المظفّر تمَكّن فيها أيضاً تمَكّناً زائداً ، وبقي يدخل مع الخاصّكية ويخرج معهم فنفذت كلمته ، وأخذ يغري المظفّر بالأمراء حتى قتل الأمير أقسنقر الناصريّ والأمير ملكتمُر الحجازيّ ، وقبض على عدّة أمراء ، فتمَكّن أغزلو من أموالهم . وآنفرد عند السلطان بالكلام في أمور الدولة كلّها . وجمع طائفة الجراكسة على السلطان وأمّر منهم جماعة . وصار يخلو به ليأخذ رأيه ، وأنعم عليه بإقطاع أيتمُش عبد الغنيّ وتقدمته ، ورسم أن يكون أمير سلاح ، وكثرت خلعه عليه وإنعاماتُه ، فعكف الناس كافّة على بابه لقضاء أشغالهم ، وخافه أمراء مصر والشام . وأقام على ذلك نحو أربعين يوماً وهو يتعاظم ويترفّع . وأخذ يحسّن للسطان القبض على الأمير أرقطاي نائب السلطنة وحطّ على ألجيبغا المظفّريّ وطنيرق ، وهما أخصّ مَن عند السلطان . فبلغهم ذلك عنه ، فراسل الخاصّكية والأمراء . وما زالوا بالسلطان يخيفونه عاقبة أمره حتى رسم بإخراجه لنيابة غزّة ، وإن آمتنعَ أُخِذ سيفُه ، فآغتنموا ذلك وقبضوا عليه في يوم الجمعة خامس عشر جمادى الآخرة سنة ثمَان وأربعين وسبعمائة بالقصر ، وقيّدوه وأدخلوه بيت الأمير جيبغا بالأشرفيّة وقتلوه قبل صلاة الجمعة . ودُفن خارج باب القرافة ، فخرجت يده من القبر بعد يوم ، فأخرجته العامّة

وجرّوه بحبل وأرادوا إحراقَه تحت القلعة حتى منعوا من ذلك .

وكانت عدّة من قَتَله في أربعين يوماً أحداً وثلاثين أميراً .

799 - الأغلب بن سالم التّميميّ [- 150] (1)

الأغلب بن سالم [بن سوادة] بن إبراهيم بن عقال بن خفاجة بن عبد الله ٱبن عبّاد بن محرث [بن الأشدّ] بن سعد بن الحرام بن سعد بن مالك بن سعد ٱبن زيد مناة بن تَميم .

وقيل : الأغلب بن سالم بن عقال بن محرث بن خفاجة .

وقيل : الأغلب بن سالم بن عقال بن عبد الله بن محرث بن سعد بن حرام ٱبن سعد بن مالك بن سعد بن زيد مناة بن تَميم ، أبو [. . .] التّميميّ .

كان ممّن قام مع أبي مسلم الخراساني بخراسان . ثمّ سار إلى إفريقية مع محمد بن الأشعث الخزاعيّ أمير مصر في سنة ثلاث وأربعين ومائة . فلمّا بلغ المنصورَ خروج محمد بن الأشعث من إفريقية بعث إلى الأغلب بولاية إفريقيّة في ربيع الأوّل سنة ثمَان وأربعين ومائة بعد مفارقة محمد بن الأشعث إفريقيّة ومسيره عنها إلى العراق . وأقام المضريّة بعده على إفريقيّة عيسى بن موسى الخراسانيّ فبقي أميراً ثلاثة أشهر .

فلمّا أتاه العهد ، قدم القيروان في جمادى الآخرة . وأخرج جماعةً من قوّاد المضريّة فسكن الناس . وخرج عليه جمع من البربر فسار إليهم فٱنهزموا من غير قتال . وسار يريد طنجة ، فكره الجند مسيره وتسلّلوا عنه إلى القيروان حتى بقي في جمع قليل . فكاتب الحسنُ بن حرب الكنديّ الجندَ ، وهو بتونس يدعوهم

(1) ابن عذاري 1/ 74 ؛ الاستقصاء 1/ 57 ؛ وفيات 3/ 322 (ترجمة ابن القطاع الأغلبيّ) .

إلى الفتنة فأجابوه . فسار إلى القيروان وملكها من غير مانع . فبلغ ذلك الأغلب فعاد مجدًّا . ثم خاف لقلّة مَن معه فعدل إلى قابس وجمع الناس وسار . فٱقتتل هو والحسن قتالاً كبيراً ٱنهزم منه الحسن ، وقتل كثير من أصحابه ، ومضى إلى تونس في جمادى الآخرة سنة خمسين ومائة .

ودخل الأغلب القيروان ، فجمع الحسن جمعاً عظيماً وقصد الأغلب . فخرج إليه من القيروان وقاتله ، فأصاب الأغلبَ سهمٌ فقتله في شعبان سنة خمسين ومائة .

وهو والد إبراهيم بن الأغلب أمير إفريقيّة . وكانت لبني الأغلب بإفريقيّة رئاسة عظيمَة كانت مدّتهم فيها مائة سنة وٱثنتي عشرة سنة وأشهراً .

800 - افتكين التركيّ [- 488][1]

أفتكين الأمير ناصر الدولة التركيّ ، أحد غلمان أمير الجيوش بدر الجمالي .

[209 أ] ترقّى في خدمه إلى أن ولّاه الإسكندريّة . فلمّا مات أمير الجيوش وقام من بعده بسلطنة مصر ابنه الأفضل شاهنشاه ، ٱستوحش منه أفتكين . وٱتّفق فرار الأمير أبي المنصور نزار بن المستنصر بعد موت أبيه ، خوفاً من الأفضل ، فصار إلى الإسكندريّة . فقام أفتكين بأمره وبايع له وجمع عليه الناس ، وقاتل الأفضل ابن أمير الجيوش ، إلى أن كانت الغلبة للأفضل ، فقبضه وحمله معه إلى القاهرة على بغلة ، وسجنه مدّة .

ثم تذكّره في بعض الأيام فأحضره إليه وفاجأه بكلام قبيح وسبّه ، فقال له : ما بعد الموت شيءٌ يُنتظر ، وما يؤمّنك أن أقول في حقّك ما تفزع به ما دمت حيًّا .

(1) الإشارة 59 ؛ النجوم 5 / 144 .

فقال : إلى هٰذا الحدّ؟

[فأمر] بالقباقيب فضرب بها من أيدي الجواري حتى مات .

(وقال) ما دخلت القباقب في اليَمين : فإنه كان حلفَ له ألا يقتله بآلة من آلات القتل .

وكان أفتكـ[ـين] رئيساً عارفاً بالأمور .

801 – أفلح الناشب [– بعد 362]

أفلح الصقلبيّ، المعروف بالناشب ، مولى المعزّ . كان من أمرائه على برقة . فلمّا جهّز المعزّ جوهراً إلى القاهرة كتب إلى جميع العمّال أن يترجّلوا لجوهر ، فأنف أفلح من ذلك وبذل لجوهر خمسين ألفَ دينار ليُعفِيَه من ذلك .

ولمّا قدم المعزّ إلى الديار المصريّة ففقد الزاد الذي صحبه تلقّاه أفلح من الزاد والطعام والآلات والجمال والبغال والخيول [بـ]ـمَا وسّع به على العسكر كلّهم ، وفضل منه ما صحبهم إلى مصر .

واستمرّ أفلح في خدمة المعزّ إلى أن دخل مصر[1] .

802 – آقوش العلائي القاري [– 702][2]

آقوش العلائي القاريّ ، [الأمير جمال الدين] المعروف بوالي البَهْنَسا . ترقّى في الخدم حتى ولي عدّة أعمال [بـ]ـديار مصر . وولي الكشف بالوجه القبليّ

(1) كنّا نأمل أن نجد معلومات ضافيةً عن هذا الوالي الذي مدحه ابن هانىء المغربي بقصيدة رنّانة (رقم 55 من ديوانه بنشر زاهد علي) . ولا يبدو من تلك المدحة أن أفلح صقليّ ، وقد أبدينا تساؤلات كثيرة بشأنه في رسالتنا عن ابن هانىء .
والجملة الأخيرة تشعر بأنّ والي برقة هذا قد ختم حياته بمصر بعد سنة 362 .

(2) الدرر 1 / 427 (1030) ؛ النجوم 8 / 154 ؛ السلوك 1 / 928 .

في محرّم سنة تسعين وستّمائة .

وكان شديد الكبر زائد الحمق ظالماً سفّاكاً . وآتّفق في موته أمر عجيب ، وهو أنّه لمّا أبحرت الشواني المجهّزة لفتح جزيرة أرواد [1] ، وشحنت بالرجال ، كان من جملتهم رجل من أصحاب آقّوش هٰذا . فطلب منه أن يعطيه لمؤنته كما فعل الأمراء بأجنادهم . فغضب منه وأخذ قوسه ورماه بسهم صادفَ صدرَه فخرّ ميتاً . فوقف أهله للأميرَين بيبرس وسلار ، وهما يومئذ القائمان بتدبير الدولة ، وشكوه . فطلب وأخرق به وأُلزِم بدية الجنديّ ، وحلف الأمير سلار النائب أن يكون عوض الجنديّ المقتول في السفر إلى جزيرة أرواد . فرتّب في أحد الشواني فتجهّز للسفر ، وآهتمّ بالشيني الذي هو مقدّمه ، وبالغ في زينته وتجميل عدّته .

وركب السلطان الملك الناصر والأمراء لعرض الشواني في يوم السبت ثاني عشر المحرّم سنة آثنتين وسبعمائة . وآجتمع الناس بساحل مصر ، وكان يوماً مشهوداً ملأ الناسُ فيه البرّ والبحر . وغدا الأمراء إلى برّ الروضة ، فتقدّم الشيني الأوّل ولعب ساعة مثلما يلعب في البحر وعمِل أعمال الحرب فأعجب به الكافّة ، وتلاه الثاني والثالث كذلك . وبقي الشيني الرابع ، ومقدّمُه آقوش المذكور ، فأعجل الرئيسَ في الخروج من البرّ ، فقال له : لا تعجِل فإنّ الشيني يُعوِزه أن يثقل .

فانحرف على عادته وقال : آخرج ، لا كتب الله علينا بالسلامة ولا أحياناً أن نُرَدَّ إليهم أبداً !

فما هو إلّا أن أخرجه الرئيس من الصناعة وتوسّط النيل ، إذ حرّكَهُ الهواء فمال ميلة واحدة وآنفلت فصرخ الناس صرخة واحدة ، ولم يسمع أكثرُ هولاً منها . وتكدّر ما كان الناس فيه من الصفاء ، وتنغّص سرورُهم ، وتلاحق

(1) تقع أرواد شمالي طرابلس الشام على خمسين ميلاً ، وجنوب أنطرسوس على ثلاثة أميال .

الناس بالشيني وهو قد صار مقلوباً ، أعلاه أسفلَه ، وأخرجوا الأجناد منه ، فلم يُفقَد سوى آقوش وحده ، بحيث إنّ الشيني انحدر به تيّارُ الماء إلى بولاق . ووقف ثلاثة أيام إلى أن ركب متولّي الصناعة والرئيس بالرجال وأقلبوه ، فإذا بامرأة الر[ئـ]ـيس ومعها ابنُها ترضعُه ، وهما حيّان ، فكثر العجب من ذلك .

وعمل شيني آخر وتوجّه به الأمير كُهُرْداش [الزرّاق] ، وفتح جزيرة أرواد كما ذكر في ترجمته[1] .

803 – آقوش الروميّ [– 709][2]

آقوش الرومي ، الأمير جمال الدين ، أحد المماليك المنصوريّة قلاوون .

تنقّل في الخدم إلى أن صار من الأمراء الألوف بديار مصر . فلمّا تحرّك الملك الناصر محمد بن قلاوون بالكرَك يريد أخذ السلطنة ، جرّد السلطان الملك المظفّر بيبرس آقوش هذا ليحفظ طريق السويس ، خشيةً من تسحّب العسكر إلى الناصر . فأقام هناك أياماً . وكان مهاباً يخافه مماليكُه خوفاً شديداً . فوثب عليه سبعة من مماليكه وقتلوه وهو نائم ، وأخذوا جميعَ ما معه وساروا إلى الملك الناصر ، وذلك في ليلة [. . .] شعبان سنة تسع وسبعمائة .

804 – آقوش العتريس [– بعد 719][3]

آقوش العتريس أحد الأمراء الناصريّة .

أنعم عليه بطبلخاناه . وأُقطع ثغرَ أسوان ليقيم بعيذاب ، وخرج في

---

(1) ترجمة كهرداش مفقودة .
(2) الدرر 1 / 426 (1027) .
(3) الدرر 1 / 427 (1029) .

تجريدة ، هو ، والآقوش ، ومحمد بن الشمسيّ ، وعليّ بن قراسنقر ، وطقصبا الحساميّ ، وبيبرس الكريميّ إلى عيذاب في سنة تسع عشرة .

805 – آقوش البرلّي العزيزي [– 661][1]

آقوش البرلّيّ العزيزيّ الأمير شمس الدين ، أحد مماليك الملك العزيز محمد ٱبن الظاهر غازي بن صلاح الدين يوسف بن أيّوب . فلمّا مات خدم بعده ٱبنَه الملك الناصر يوسف ، وتنقّل في خدمه إلى أن فرّ من دمشق خوفاً من قدوم هولاكو وصار إلى قطيا[2] يريد ديار مصر . ثمّ عاد منها وتركه مَن معه من العسكر ودخلوا القاهرة ولحقوا بالملك المظفّر قطز ، [و]كان من جملتهم آقوش هٰذا ، فأكرمه المظفّر ، وسار معه إلى قتال التتار فشهد وقعة عين جالوت .

فلمّا تمّت نصرة المظفّر على التتار رتّبه أميراً بالساحل وغزّة في شوّال سنة ثمان وخمسين وستّمائة ، وأضاف إليه جماعة من العزيزيّة .

فقدّر الله قتلَ المظفّر قطز عند عوده من دمشق ، وتملُّكَ الملك الظاهر بيبرس البندقداريّ بعده ، وإخراجه الأمير علاء الدين أيدكين البندقدار لقتال الأمير علم الدين سنجر الحلبيّ نائب دمشق من أيّام المظفّر قطز . فخرج إليه وقاتلَه وأسره وبعثه إلى مصر . وكان قد كتب الظاهر إلى آقوش أن ينضمّ إليه ، فسار معه إلى دمشق وأقام بها ، وبقي أيدكين يدبّر أمر دمشق . فكتب إليه الظاهر في صفر سنة تسع وخمسين [وستّمائة] بالقبض على بهاء الدين بُغدي الأشرفيّ وعلى شمس الدين آقوش البرلّي في عدّة من العزيزيّة والناصريّة ، فتوقّف أيدكين في ذلك . ثم اتّفق دخول بغدي عليه فقبضه . فثارت العزيزيّة والناصريّة إلى آقوش

(1) في المنهل 3 / 15 (512) والنجوم 7 / 113 ، 117 : البرنلي . وفي السلوك 1 / 493 : البرنليّ .

(2) قطيا : قرب الفرَما .

وخرجوا من دمشق ليلاً على حميّة إلى المرج . فأرسل أيدكين إلى آقوش بالمرج يطيّب قلبه ويحلِف له ، فلم يلتفت إلى ذلك ورحل إلى حمص ، ودعا الملك الأشرف موسى إلى القيام ، فأبى عليه . فسار إلى حماه وبعث إلى المنصور : إنّه لم يبقَ من البيت الأيّوبي غيرك ، فقُم لنصير معك ونمَلّكك البلاد ! – فأمتنع منه وردّه ردًّا قبيحاً . فأغتاظ ونزل على حماه وأحرق الزروع ، وسار إلى شيزر ، ثمّ توجّه إلى حلب وقد عاد إليها الأمير فخر الدين [. . .] الحمصيّ من كشف التتار بإلبيرة ومعه عسكر . فقال له آقوش : نحن في طاعة الملك الظاهر ، فتَمضي إلى السلطان وتسأله أن يتركني ومَن في صحبتي مقيمين بهٰذا الطرف ، ونكون تحت طاعته من غير أن يكلّفني وَطْءَ بساطه .

فسار الحمصيّ عن حلب ، وتمَكّن آقوش منها وأحتاط على ما فيها من الحواصل وأستبدّ بأمرها وجمع العربان والتركمان واستعدّ للقتال . فعندما وصل الحمصيّ إلى الرمل طرف مصر لقي الأمير آقوس المحمّدي الصالحيّ متوجّهاً بالعساكر لقتال آقوش . فبعث الحمصيّ إلى الملك بمَا طلبه آقوش فأنكر عليه وأمره بالانضمام إلى المحمّديّ والمسير لقتال آقوش . فعاد معه . وبعث تِلوَهما بالأمير علم الدين سنجر الحلبيّ لقتال آقوش على عسكر آخر بعد / ما رضي عنه [210 أ]
وأردفه بالأمير عزّ الدين [أيبك][1] الدمياطيّ على عسكر ثالث . فأجتمعوا على حلب ، وطردوه عنها ، وأقام الحلبيّ نائباً بها . ثمّ خرج عنها فعاد إليها آقوش ، وبعث إلى الملك الظاهر بالطاعة ، فأبى إلّا أن يحضر إليه .

وخرج السلطان من القاهرة ومعه الخليفة المستنصر أبو القاسم أحمد إلى دمشق ، وجهّز الأمير سيف الدين بلبان الرشيديّ ، والأمير شمس الدين سنقر الروميّ إلى حلب . فرحل عنها آقوش وملكاها ، فبعث الملك الظاهر لنيابة حلب الأمير علاء الدين أيدكين البندقدار ، ومعه عسكر كبير ، فملَكَها وأطمأنّت به .

(1) الزيادة من النجوم 7 / 160 .

فضاقت بآقوش البلاد ولم يبقَ بيده سوى البيرة . وخاف . فآضطرّه الحصار إلى أن سار إلى مصر رغبة في الطاعة . فكتب الملك الظاهر إلى النوّاب بالإحسان إليه في ترتيب الإقامات له في الطرقات . حتى قدم القاهرة في ثاني ذي الحجّة سنة ستّين وستّمائة . فتلقّاه السلطان وبالغ في الإحسان إليه وأكثر من العطاء له حتى سأل آقوش السلطان أن يقلّ من العطاء إليه ، وأن يقبل منه البيرة . فلم يفعل . فألحّ عليه حتى قبلها . وبقي في الخدمة إلى تاسع عشر شهر رجب سنة إحدى وستّين وستّمائة ، فقبض عليه ، وكان آخر العهد به .

806 – آقوش كرجي المطروحيّ [– 699][1]

آقوش كرجي المطروحيّ ، الأمير جمال الدين ، الحاجب ، أحد المماليك البرجيّة . . .

آستشهد على حمص في نوبة غازان لليلتين بقيتا من ربيع الأوّل سنة تسع وتسعين وستّمائة . وكان من فرسان مصر وشجعانها .

807 – « قتّال السبُع » [– 710][2]

آقوش الموصليّ ، الأمير جمال الدين قتّال السبع ، أحد مماليك الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل .

قدم إلى مصر بعد واقعة هولاكو في سنة ثمان وخمسين وستّمائة في جماعة ، منهم آقوش نَميلة ، وأيبك الموصليّ نائب طرابلس . وترقّى في الخدَم حتى عمله

....

(1) الوافي 9/ 325 (4264) ؛ السلوك 1/ 905 وفيه : أقش المطروحيّ نائب دمشق .

(2) الوافي 9/ 335 (4266) ؛ الدرر 1/ 427 (1032) ؛ النجوم 9/ 216 ؛ المنهل 3/ 26 (517) .

الملك المنصور قلاوون أمير علم . ثم نقل بعد وفاته وصار من أكابر الأمراء ، إلى أن مات في تاسع شهر رجب سنة عشر وسبعمائة .

وكان من القوّة والشجاعة على جانب كبير مع مكارم الأخلاق ودين ورأفة ورحمة .

808 – آقوش الكنجي [– 713][1]

آقوش الكِنْجي ، الأمير جمال الدين ، أحد المماليك الظاهرية .

ولّاه الملك الظاهر بيبرس قلعة مصياب[2] . ثم صُرف في الأيام المنصوريّة قلاوون . وأعيد وعُزل ثانياً في الأيّام الأشرفيّة خليل بن قلاوون . ثمّ أعيد فاستمرّ حتّى مات في [. . .] سنة ثلاث عشرة وسبعمائة . وكان قد تمَكّن في بلاد الإسمَاعيليّة تمَكّناً زائداً ، وعظمت مهابتُه ، واستحكمت طاعته بحيث لو أمر أحدَهم بقتل نفسه قتلها من غير توقّف . وغلَوا فيه على عادتهم في الغلوّ ، وادّعَوا أنّ روح إلاههم حلّت فيه ، تعالى الله عن ذلك .

وكان من مشاهير فرسان الخيل .

809 – آقوش الشهابيّ [– 678][3]

آقوش الشهابيّ أحد الأمراء الطبلخاناه في أيّام الملك السعيد محمّد برَكة بن الظاهر . يلقّب جمال الدين .

مات في سنة ثمَان وسبعين وستّمائة .

(1) السلوك 2/ 134 ؛ الدرر 1/ 427 (1031) .

(2) قلعة مصياب : إحدى قلاع الإسماعيليّة – السلوك ، 2/ 134 و 143 . وعند ياقوت : مصياف أيضا .

(3) السلوك 1/ 694 ؛ المنهل 3/ 31 (520) .

810 – آقوش الداوديّ الأفرم [– 716][1]

آقوش الداوديّ ، الأمير جمال الدين ، المعروف بالأفرم .

كان جركسيّ الجنس ، من قدماء مماليك الملك المنصور قلاوون ، وأحد أكابر البرجيّة السلاحداريّة . وكان في البرج مغرى بالصراع واللكام والعلاج والثّقاف[2] ورمي النشّاب ، إلى أن أنعم عليه بالإمرة في [. . .] فلم يترك ذلك .

وتحدّث مع بعض الخاصّكيّة في الخروج إلى الشام ، فقال الملك المنصور : آقوش الأفرم يريد الشام؟ لا بدّ له من نيابة دمشق ، إلّا ما هو في أيامي !

ثمّ أخرج إلى الشام في [. . .] وأقام بها مدّة طويلةً في لهوٍ ، إلى أن كانت سلطنة كتبغا ونيابة لاجين ، [فـ]ـاشتدّ عضدُه : فإنّه كان ابنَ خالة لاجين . فلمّا تسلطن لاجين أحضره من دمشق ، وجعله حاجباً ، وسكن قلعة الجبل .

وأتّفق أنّه لمّا قتل لاجين / كان بائتاً بالقاهرة في دار الشريف ابن تغلب ، [210 ب]
ومعه الأمير شرف الدين حسين بن جندر بك [الروميّ] ، وإذا الباب يُطرق وقائل يقول : خلّوا الأمير يكلّم السلطان ! – وتتابع الاستحثاث في الطلب . فهمّ الأفرم بفتح الباب فمَنعه أمير حسين . وأحسّ بالشرّ ، فأرخى أحدَ مماليكه من السطوح ليكشف الخبر فعاد بأن السلطان قُتل . فخرجا على حميّة وصارا إلى جهة قليوب في مماليكهما وأتباعهما ، وتردّدا في طريق بلبيس إلى أن أتقنا أمرهُما مع الأمراء . وأقبلا ، فإذا بالأمير بكتاش أمير سلاح قد قدم من التجريدة . فانضمّ

(1) الوافي 9 / 326 (4265) ؛ الدرر 1 / 424 (1024) ؛ النجوم 9 / 236 ؛ المنهل 3 / 9 (511) .
(2) الثقاف : ألعاب الخفّة .

إليه . وبقيَ أحد الأمراء السبعة الذين دبّروا الأمر حتى قدم الملك الناصر محمد آبن قلاوون من الكرَك وتسلطن ، فبعثه إلى دمشق ليحفظها .

فسار في سادس جمادى الأولى سنة ثمَان وتسعين وستّمائة ، فقدمها على [البريد] وقد سعى في نيابتها حتى كتب تقليده وجُهّز إليه في ثاني عشرينه ، ولبس من الغد تشريف النيابة ، وقبّل عتبة القلعة ودخل دار السعادة وجلس على السماط ، والأمراء والعساكر بين يديه . وأخرج الأمير سيف الدين قطلوبك [الفخريّ] إلى مصر . وفي نصف جمادى الآخرة ألبس الأمراء وأهل الدولة الخلع .

وقدم طلبُه من القاهرة ، فلم يزل بدمشق إلى أن قدم غازان ملك التتار وكسر العساكر الإسلاميّة على حمص . [فـ]ـقدم معها إلى القاهرة في ربيع الآخر سنة تسع وتسعين [وستّمائة] .

ثم عاد مع العساكر فقدم دمشق يوم السبت عاشر شعبان منها . وتوجّه منها في العشرين من شوّال لحرب الدرزيّة [1] سكّان جبال كسروان ، وقد آشتدّ ضرر الناس بهم ، ونزل بالعسكر عند هزيمَتهم إلى مصر منهم شدائد . فوافاه عساكر صفد وحماه وحمص وطرابلس مع نوّابها . فآمتنع الدرزيّة بجبلهم ، وهو صعب المرتقى ، وأقاموا به آثني عشر ألفَ رام فأنكوا العساكر ، وكثرت جراحاتُهم وهم ثابتون لقتالهم مدّة ستّة أيام حتى آنهزم الدرزيّة ، وصعد العسكر الجبل بعدما قتل منهم خلائق إلى أن لاذوا بطلب الأمان . فآستدعى الأفرم أكابرهم وألزمهم بإحضار جميع ما أُخذ من العسكر وقتَ الهزيمَة إلى مصر ، فأخذ منهم شيئاً كثيراً وفرض عليهم مائتَي ألف درهم ، وقبض على جماعةٍ منهم ، وعاد بهم إلى دمشق يوم الأحد ثالث ذي القعدة ، وألزم أهل دمشق بتعليق السلاح في الحوانيت وملازمة الرمي بالنشّاب ، وتقدّم لقاضي القضاة بدر الدين محمد بن

(1) وقعة جبل الدروز : السلوك 1 / 902 .

جماعة[1] بإلزام الفقهاء بذلك . ثم جلس في حادي عشرينه لعرض الناس فعُرضوا عليه طوائفَ طوائفَ من الفقهاء والأشراف وأهل الأسواق ، فقدّم على كلّ طائفة رجالاً يلون أمرَهم .

فقدم غازان في أوائل سنة سبعمائة إلى أنطاكية ، وجفل الناسُ قدّامَه إلى دمشق . فخرج السلطان بعساكره من مصر إلى العوجاء ، ثمّ عاد فآشتدّ خوف أهل دمشق وسار أكثرهم إلى مصر . ونادى الأفرم في تاسع جمادى الأولى : مَن أقام بعد هٰذا النداء ، فدمُه في عنقه ، ومن عجز عن السفر فعليه بالقلعة .

فجفل الكافّة وغلت أسعار المِبيعات فبلغت غرارة القمح ثلاثمائة درهم ، والرطلُ من لحم الضأن تسعة دراهم . وآشتدّ الإرجاف بمجيء غازان ، فخلَت بلاد الشام من أهلها وساروا بأجمعهم إلى مصر . ثم سكن الحال إلى أن كانت وقعة شقحب في رمضان سنة آثنتين وسبعمائة فشهدها .

ثمّ خرج في ثاني المحرّم سنة خمس وسبعمائة من دمشق بالعساكر لقتال أهل جبال كسروان بعدما نادى في الناس : مَن تأخّر من الأجناد والرجّالة شُنِق . فسار في خمسين ألفاً ، ونازلَهم وخرّب ضياعَهم ، وقطع كرومَهم ، وقاتلهم أحدَ عشر يوماً وملك الجبل عنوة وقتل من أهله جماعة وأسر ستّمائة رجل . وغنم العسكر/ مالاً عظيماً . وعاد في رابع صفر إلى دمشق[2] . [211 أ]

وأنشأ بصالحيّة دمشق جامعاً جليلاً في سنة سبع وسبعمائة ، ومدّ بعد فراغه للناس سماطاً عظيماً عليه سائر أنواع الأطعمة والحلاوات ، وحضره أهل العلم والصلاح . ثم مدّ من الغد سمَاطاً آخر للأمراء .

ولمّا قلق الملك الناصر من شدّة الحجر عليه وتوجّه إلى الكرك بحيلة أنّه يريد الحجّ ، وكتب إلى أمراء مصر أنّه نزل عن ملك مصر ، قام الأمير بيبرس

(1) بدر الدين ابن جماعة : انظر ترجمته في المقفّى ل 1632 .
(2) السلوك ، 2/ 14 .

الجاشنكير في السلطنة وكتب إلى نوّاب المالك بالدخول في طاعته ، فمَا منهم إلّا مَن أجاب بالسمع والطاعة ، ما عدا الأفرمَ ، فإنّه قال [1] : بئسَ ما فعلَه الملك الناصر بنفسه ، وبئس ما فعله أيضاً خوشداشنا – يعني بيبرس – وأنا فمَا يُمكنني الآن أن أحلف للسلطان الملك المظفّر ، وقد حلفت لغيره – يعني الناصر – ولكن أنا أرسلُ من جهتي إلى الملك الناصر رسولاً وأُرسل معه شهوداً يشهدون عليه أنّه خلع نفسه ، ويأذنُ لي في الحلف لغيرِه .

وبعث على البريد طائفة من أعيان دمشق فعادوا بجوابه ، يتضمّن شكرَه والثناءَ عليه ويعرّض بأنّه ترك السلطنة . فأصبح يوم الجمعة سادس عشر ذي القعدة سنة ثمَان وسبعمائة ، وقد جمع الناس بجامع بني أميّة ، وقرئ عليهم تقليده بنيابة دمشق على عادته ، وزيد في ألقابه وتعظيمه وتفخيمِه ، وخطب للملك المظفّر ، وزيّنت المدينة زينةً جليلة .

فٱستمرّ إلى أن تحرّك الناصر من الكرَك يريد ٱرتجاع الملك إليه فدافعَه عن ذلك ، وقام بأمر الملك المظفّر قياماً عظيماً ، والعساكر تتمزَّق من بين يديه وتصير إلى الملك الناصر حتى ذهب أكثرهم ، وعزم مَن بقي من أمراء دمشق بها على قبضه . ففرّ ليلاً إلى الشقيف .

ودخل الملك الناصر دمشق في ثاني عشر شعبان سنة تسع وسبعمائة . وبعث إليه [2] الأمير علم الدين سنجر الجاولي بالأمان فٱعتلّ عليه بحضور أحدِ ثقات السلطان إليه وحَلِفِه له ، فحلف السلطان له ووجّهه باليَمين صحبة الأمير الحاج أرقطاي الجمدار ، فقدم معه ، وخرج السلطان فتلقّاه . فلمّا عاينَ السلطانَ ترجّل ، وهو مشدود الوسط ، وتحت إبطه نِصفيّة [3] – يشير إلى أنّها كفنُه – فترجّل السلطان أيضاً له وعانقه ، وقد خرج معظم أهل دمشق . فلمّا رأوا

(1) السلوك ، 2/ 47 .
(2) أي ، إلى الأفرم .
(3) النصفيّة : ثوب خشن من القطن . وانظر النجوم 8/ 265 وما يتبعها .

السلطان يعانقه صاحوا بصوت واحدٍ : بتُربةِ والدِك الشهيد ، لا تغيّر عليه ولا تُؤذِه ! – وتباكوا . فأقبل السلطان عليه وأفاض عليه الخلع وأركبه ، ورسم له أن يجلس بدار السعادة ويحكم على عادته ويستقرّ في نيابة الشام ، فسرّ الناس بذلك فرَحاً به ومحبّةً له . وأصبح من الغد فقدّم للسلطان تقدمة سنيّة قيمَتُها مائتا ألف درهم .

وسار إلى مصر مع السلطان . فبلغ السلطان عنه ، وهو نازل ببركة الحاجّ ، أنّه قد عزم أن يثور هو وبرلغي الأشرفيّ [في] جماعة من البرجيّة ويفتِك بالسلطان ، فبادر وصعد إلى قلعة الجبل . وأصبح يوم الخميس ثاني شوّال ليجلس بالأعيان . فلمّا اجتمع الأمراء أشار الأفرم إلى مغنّيه مسعود وقال له : قم فغنّ « أحِبَّةَ قلبي » – فرفع عقيرته ، وكان شجيّ الصوت ، وغنّى بهٰذه الأبيات ، وهي لبعض المصريّين[1] قالها لمّا توجّه الملك الناصر إلى الكرك ، وهي [طويل] :

أحبّةَ قلبي إنّني لوحيد   أريد لقاكُم والمزار بعيد
كفى حزَناً أنّي مقيمٌ ببلدةٍ   ومن شفّ قلبي بالفراق فريد
أجول بطرفي بالديار فلا أرى   وجوه أحبّائي الذين أريدُ / [211 ب]

فطرب [الأفرم] وأخذ كلفتاه عن رأسه ووضعَها بين يديه ساعةً ، ودموعُه تتساقط على شيبته إلى [أن] أخذ الأمير قراسنقر نائب حلب الكلفتاه ووضعها على رأسه .

وخرج السلطان فجلس وصرف الأفرم عن نيابة الشام بقراسُنقُر ، وأنعم على الأفرم بصرخد . فسار إليها وأقام بها إلى أن مات الحاج بهادر الحلبيّ نائب طرابلس في ربيع الآخر سنة عشر وسبعمائة ، فنُقل إلى نيابة طرابلس ورسم له أن [لا] يدخل دمشق خشية أن تنشب أظفاره فيها ويقوم أهلها معه محبّة فيه . فتوجّه إلى

(1) في النجوم : لبعض عوام القاهرة (ج 9 / 10) .

طرابلس على مشاريق مرج دمشق في جمادى الآخرة منها ، وأقام بها على وَجل إلى [أن] خرج الأمير قراسنقر نائب حلب منها ولحق بمهنّا . فكتب إليه يستَميله فأجابه إلى موافقته ، وبعث بخمسة آلاف دينار إلى صهرِه الأمير عزّ الدين أيدمر الزَّرْدكاش بدمشق ليفرّقها على مَن يوافقه . وأنفق الأموال في عسكر طرابلس وسار بجماعة معه إلى قراسنقر .

وتوجّهوا في أخريات سنة ٱثنتَيْ عشرة وسبعمائة إلى خَرْبَنْدا ملك المغل فأقطع الأفرم همذان . وأقام بها حتى مات في ثالث عشر المحرّم سنة ثلاث عشرة وسبعمائة [1] . وقيل : بَلْ تأخرت وفاتُه إلى بعد العشرين وسبعمائة .

وحَكى عنه أنّه في ٱبتداء أمره رأى فقيراً مغربيًّا في القرافة الكبرى فقال له : يا آقوش ، إذا صرتَ نائبَ الشام ، إيش تُعطيني ؟

(قال) فقلت له : يا سيّدي ، ما أنا قدر هٰذا .

فقال : لا بدّ لك من هٰذا ! إيش تُعطيني ؟

فقلت : يا سيّدي ، الذي تقول .

فقال : تتصدّق بألفَي درهم عند السيّدة نفيسة وبألف درهم عند الشافعيّ .

فقلت : يا سيّدي ، بٱسم الله !

فضحك وقال : ما أظنّك إلّا تنساها ، وما تعود تذكرها إلّا إذا جئت هارباً إلى مصر .

(قال) فوالله لقد جعلت كلام المغربيّ ممثّلاً بين عينيّ حتى وليت النيابة فأنسانيه الله ، ثم ما ذكرتُه حتى دخلتُ في نوبة غازان مصر هارباً . فبينا أنا في القرافة إذ مررتُ بمَكان الفقير فذكرت قوله . فأحضرتُ على الفور الدراهم

(1) في السلوك 2/ 167 : في 23 محرّم 716 .

وتصدّقتُ بها .

ودخل عليه مرّةً القاضي محيي الدين يحيى بن فضل الله كاتب السرّ بدمشق وهو يلي نيابتها في أيام تحكّم الأميرَيْن بيبرس وسلّار فالتفت إليه وقال له ، وهو يشتكي من ٱفتياتهما ، وقال : والله هٰذا بيبرس لمّا كنّا في البرج كان يخدمني ويحكّ رجلي في الحمّام ويصُبُّ الماء عليّ ، وإذا رآني والله ما يقعد إلّا إذا قلت له : ٱقعد . وأمّا سلّار فما هو منّا ولا له قدر . إيش أعمل في دمشق ؟ والله لولا هٰذا القصر الأبلق والميدان الأخضر وهٰذا النهر المليح ما خلّيتُهم يفرحون بملك مصر !

ولمّا توجّه الملك الناصر إلى الكرَك قال : والله عملوا نحساً . كان ابن أستاذنا وهم حوله أصلح .

ولمّا ظفر بأهل جبال كسروان مدح بعدّة مدائح جمعها شمس الدين أحمد ٱبن يعقوب الطيبيّ وسمّاها « واقعة كسروان » .

وبلغ من التمَكّن في نيابة دمشق مدّة سلطنة المظفّر بيبرس مبلغاً عظيمًا بحيث كان يكتب تواقيع بوظائف كثيرة ويبعثها إلى مصر ليعلّم عليها السلطان فتُمضى كلّها . وكتب في دمشق عن السلطان : « بالإشارة العالية الأميريّة الكافليّة كافل الشآم أعزّها الله تعالى » . وشكا إليه أحدُ قُصّادِ الخدمة من المشير تاج الدين إبراهيم بن سعيد الدولة ، فكتب إليه [و]هكذا ابتدأ : واللك يا ابن سعيد الدولة ! ما أنت إلّا ابن تعيس الدولة ! وصلتَ أنّك تقطع جوامك القصّاد الذين هم عين الإسلام ؟ والله إن عدت [و]تعرّضتَ إلى أحدٍ من الشام
بعثتُ مَن يقطع رأسك ويَجيءُ به في مخلاة ! – وبعث / بذلك على البريد مع [212 أ]
مملوكه وأمره أن يدفعه إليه في وسط المحفل ويقول له شفاهاً ما في الكتاب . ففعل ذلك ، فلم يُطقه ابن سعيد الدولة وقام إلى السلطان الملك المظفّر بيبرس وأراه الكتاب ظنًّا أنّه ينتصر له . فلمّا قرأه أطرق زماناً وقال له : أرضِ الأفرمَ !

وإلّا واللهِ أنا بالبراءة منك . والله إن عمل معك شيئاً ما نقدر ننفَعُك ! – فسُقِط في يده ، ورجع إلى مداراته .

وكان قد آشتدّ خوفه من الملك الناصر بحيث [إنّه] لمّا كان في نيابة طرابلس يخرج في كلّ ليلةٍ بعد العشاء ، ومعه مَن يثقُ به من دار السلطنة إلى موضع حتى ينام فيه بالنوبة ، وخيلهم معهم ، وربّمَا هوَّموا على ظهور الخيل ، إلى أن ورد عليه الخبر بأنّ السلطان رسم له بنيابة حلب وطلبه إلى مصر ليلبس التشريف ويأخذ التقليد ، فطار خوفاً . وكان في المرج . فأتاه في الحال مملوك صهره أيدمر الزردكاش يعرّفه أنّه مأخوذ ويحرّضه على الفرار . فسار من وقته إلى قراسنقر . وكان قبل خروجه إلى المرج قد أتاه مملوك قراسنقر وهو يأكل . فلمّا فرغ قال له : أخوك يسلّم عليك ، وقد بعث معي هدية .

قال : وأين الكتاب ؟

قال : ما معي كتاب .

قال : فالمشافهة ؟

قال : ما معي مشافهة ، ولكن هديّة لا غير .

فقال : هاتها !

فأخرج خرقة وحلّها وناوله تفّاحة ثمّ ناوله بعدها مئزراً أسود ، ثم ناوله بعدهُما نصفيّة . ثم قام ليخرج ، وقال : ما معي دستور أن أقعد بعد إيصال الهديّة . فوجم الأفرم ، وسارّه ودفع إليه نفقة وأعاده . فقال الأفرم لبعض مَن حضرَه [: أتعرف ما في هٰذه الهديّة ؟

فقال : لا والله ! يا خوند ،] لا كثّر الله له خيراً فيمَا بعث !

فقال له : آسكت ويلك ! إنّه بعث يقول : إن كنت تريد أن تشمّ هواء الدنيا مثلما تشمّ هٰذه التفّاحة ، فسِر في الليل الذي هو مثل هٰذا المئزر ، وإلّا فهٰذه النِّصْفِيَّةُ كَفَنُكَ !

فكان هٰذا من نادر ما يُحكى في الذكاء والفطنة .

ولمّا سار كان عسكر مصر قد خرج فمَنَعَه من اللحاق بقراسنقر . فلمّا أشرف ورأى العسكر قال لمَن معه : شدّوا لي على حِصان ! – وكان حصاناً لا يُجارى – فركبه ، وعليه كِبرٌ أَطلَسُ[1] أحمر وكوفيّة ، وأخذ بيده الرمح ، وقدّم أثقاله وفرّق طُلبَه[2] وقال : إنّ هؤلاء إذا دخلوا على العسكر ولستُ فيهم ظنّوا أنّي في الصيد ، إذ ما القصدُ إلّا أنا ،. فمَا يعارضهمُ أحدٌ لئلاّ أجفل أنا .

وكان الأمر كما قال ، لأنّهم عبروا عليهم فلم يتعرّضوا لهم ، وعندما بعدوا أقبل وحدَه وشقّ العساكر فلم يفطن له أحد ، ونجا حتى لحق بأصحابه . ومن حَذرِه ، لم يجتمع بالأمير قراسنقر حتىٰ آستوثق منه بأيمَان مؤكّده خشية أن يكون قد باطن السلطان عليه .

وأتّفق أنّه نفد مالُه في توجّهه إلى غازان حتى كان قراسنقر يقوم به ، وينفخ النّار بنفسه ، ومماليكه نيام ما فيهم من رحمة ، وهو يتنهّد وعيناه تدمعان ، إلى أن وصل إلى بيوت سوتاي [فـ]ـعملت له ضيافة عظيمة ونصب له خيمة كبيرة ممّا كسبه التتار في نوبة غازان ، وعليها ألقاب الملك الناصر ، ونزل الأفرم به . وقام ليتوضّأ فرأى آسمَ الملك الناصر فوق رأسه فقال : كيف أعاندُ القدرة ! نحن في هٰذا المكان ، وقد خرجنا من بلاده ، وهو فوق رؤوسنا ! وإذا كان الله قد رفعَه [فـ]ـكيف نقدر نحن نضعُه ؟

ومن حيـ[ـن وصل إلى بيوت سوتاي] عاد إليه ناموس الإمرة ومشت مماليكُه في خدمته إلى أن لقِي خربندا وأنعم عليه بهمَذان .

وبعث إليه الملك الناصر الفداويّة[3] غيرَ مرّة فلم يظفروا به . وقفز عليه

(1) الكبر الأطلس : قماش ملوّن معصفر .
(2) الطّلب بالضمّ : مجموعة الجنود الذين يرافقون القائد .
(3) الفداويّة : الفدائيّون المتطوّعون لقتلهِ .

أحدهم ، وقدّامه بيطار ينعل فرَسه فأمسكه بيده وضمّه إلى إبطه حتى أخذه مماليكه ، فقرّره وقتله .

[212 ب] وحصل له في سنة أربع عشرة فالج . وكان قويًّا / يقاوم في الحروب الجماعة ، وله شغف باللهو والصيد . تمتّع بدمشق في القصر الأبلق الذي كان بالميدان تمَتّعاً لم يسبقه إليه أحد ، وقضى أوقاته ما بين قصف وصيدٍ . ومع ذلك فما كان يخلّ بالجلوس للنظر في المصالح ، وتفقّد أحوال الرعيّة ، وتحصين الحصون وملءِ كلِّ ثغر بمَا يحتاج إليه ، وترتيب رجاله وتفقّد أحوالهـ[ـم] ، وإدرار النفقات عليهم ، وادّخار السلاح . ولا يزال يتفقّد هذا بنفسه ، وقصّاده لا تنقطع من بلاد العدوّ فتأتيه بجميع أحوالهم . إلّا أنه كان يسمع كلامَ كلّ قائل ويُكْمِن ذلك في نفسه من غير أن يحرّك فيه ساكناً .

وكان واسعَ السماط كثيرَ الانشراح عليه ، مع كرم النفس ، إلّا أنّه كان قليل ذات اليد ، فلذلك قلّ عطاؤه . ويقال إنّه أكثرُ ما ملك سبعة آلاف دينار . وكان خيّراً عديم الشرّ والأذى ، يكره الظلم ، ويوصف بالحِلم والتُؤدة ، لم يسفك قطّ دماً إلّا بطريق شرعيّ .

وكان يعاشر جماعة من أهل العلم والأدب ، مثل الشيخ صدر الدين محمد ابن المرحّل[1] ، وبدر الدين ابن العطّار . وكان أهل دمشق يحبّونه محبّة زائدة ونقشوا رَنْكَهُ[2] على طرزهم وآلاتهم حتى نقشته النساء الحواظي على فروجهنّ .

ونظم فيه الأدباء عدّة أشعار . وكتب إليه الصدر ابن المرحّل وهو بصرخد هٰذه الأبيات ، وبعثها مع هديّة [طويل] :

أيا جيرةً بالقصر كان لكم مغنى رَحَلتُم ، فعاد القصرُ لفظاً بلا معنى

---

(1) ابن المرحّل – وابن الوكيل – محمد بن عمر ، له ترجمة في المقفّى رقم 2930 (ت 716) .

(2) الرَّنكُ : شعار الأمير يرسم على رايته وسلاحه .

وأظلَمَ لمّا غاب نورُ جمالِه وقد كان من شمس الضُّحَى نورُه أسنى
فلا تحسبوا أنّ الديار وطيبها زمانكُمُ ، لا والذي أَذْهَبَ الحُسْنا
لقد كانت الدنيا بكُم في غضارة ونُعْمَى ، فأعمى الله عيناً أصابَتْنا
ولا رقّت الآصالُ إلّا صبابةً ولا حرّكَت ريحُ الصَّبا طَرَباً غُصْنا
يعزُّ عليهم بُعدُ داريَ عنهُمُ وقد كنتُ منهم قابَ قوسَين أو أدنى
وأنّي ألاقي ما لقيتُ من الذي لقلبيَ قد أصمَى وجِسميَ قد أضْنَى
لقد كنتمُ يا جيرة الحيِّ رحمةً أياديكُمُ تَمحو الإساءةَ بالحُسنى

فوافته الهديّة والأبيات ، وكانت فاكهة ، وقد خرج إلى الصيد وليس مع خازن داره سوى ألف درهم ، فقال : هٰذا القدر ما يكفي الشيخ صدر الدين ، يا صبيان ، أقرضوني حوائصكم ! - فأخذ من مماليكه عشرين حياصة وبعثها إليه مع الألف وقال لقاصده : سلّم على الشيخ وقل له [وافر] :

على قدر الكساء مددتُ رِجلي وإن طال الكساءُ مددتُ زادة

811 - آقوش الشريفيّ [- 700] [1]

آقوش الشريفيّ ، الأمير جمال الدين ، أحد المماليك الصالحيّة النجميّة . [ترقّى في الخدم] وآستقرّ أمير جندار . فلمّا ملك قلاوون أخرجه من القاهرة لنيابة الصّلت [2] والبلقاء ، فباشرها بعسف ومهابة حتى مهّدَها .

ومات سنة سبعمائة .

(1) الوافي 9 / 324 (4261) ؛ السلوك 1 / 917 .
(2) الصلت بالأردن على يوم من عجلون ؛ السلوك 1 / 109 هامش 2 .

812 - آقوش الشمسيّ [- 679][1]

آقوش الشمسيّ ، الأمير جمال الدين ، أحد المماليك . . .

واستقرّ في نيابة حلب لمّا قام قلاوون بتدبير الدولة مع سلامش ابن الظاهر في تاسع رجب سنة ثمَان وسبعين وستّمائة ، فباشرها بحرمة وافرة إلى أن مات بها في أوائل سنة تسع وسبعين وستّمائة ، فوليَ بعده نيابة حلب سنجر الباشْقِرْدِي .

813 - آقوش الغتميّ [- 690][2]

آقوش الغتميّ ، الأمير جمال الدين[3] ، أحد أمراء مصر . مات شهيداً على عكّا وقت فتحها في جمادى الأولى سنة تسعين وستّمائة .

814 - آقوش نمِيلة [- 693][4]

آقوش الموصليّ ، الأمير جمال الدين ، المعروف بآقوش نَميلة .

كان من مماليك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل . وقدم هو وجماعة من المَواصلة بعد قتل هولاكو لؤلؤ في سنة ثمَان وخمسين وستّمائة ، منهم آقوش الموصليّ قتّال السبع ، وعزّ الدين أيبك الموصليّ نائب طرابلس ، فخدموا في

---

(1) الوافي 9 / 325 (4262) ؛ المنهل الصافي 3 / 21 (513) ؛ السلوك 1 / 684 ؛ النجوم 7 / 344 .
(2) السلوك 1 / 765 .
(3) في السلوك : سيف الدين .
(4) السلوك 1 / 795 .

الدول[ـة] ، وترقّى آقوش هٰذا إلى أن صار أمير طبلخاناه وأمير علم ، وولي الحجوبيّة .

ووافق الأمير بيدرا على قتل الملك الأشرف خليل بن قلاوون ، وباشر قتله فيمَن باشر . وكان أوّلُ مَن ظُفِر به من قتلةِ الأشرف ، هو والأمير سيف الدين بهادر رأس نوبة ، فضربت أعناقُها وأُلْقِيا في المجاير ، وذلك في العشرين من المحرّم سنة ثلاث وتسعين وستّمائة .

815 – آقوش المغيثي نائب إلبيرة [– 698] [1]

آقوش المغيثي ، الأمير جمال الدين ، نائب إلبيرة ، أحد المماليك سيف الدين سودِي نائب حلب .

تنقّل في الخدم إلى أن صار حاجباً بحلب . ثمّ نُقل بعد موت الأمير شرف الدين موسى إلى نيابة إلبيرة في جمادى الأولى سنة ستّ وخمسين وستّمائة ، فأقام بها أربعين سنةً .

ومات في سنة ثمَان وتسعين وستّمائة .

816 – آقوش الأشرفيّ نائب الكرَك [– 736] [2]

آقوش الأشرفيّ ، الأمير جمال الدين المعروف بنائب الكرَك -- ويلقّب البرناق لكبر أنفه – أحد المماليك المنصوريّة قلاوون .

ترقّى في خدمته إلى أن أنعم عليه بإمرة عشرة في سنة خمس وثمَانين.

(1) السلوك 1 / 879 .

(2) الوافي 9 / 336 (4267) ؛ الدرر 1 / 423 (1023) ؛ النجوم 9 / 310 ؛ المنهل 3 / 27 (518) ؛ السلوك 2 / 405 .

وستّمائة ، وجعله أستادار ٱبنه الملك الأشرف خليل ، وابن الخليليّ ناظر ديوانه . فٱستمرّ على ذلك إلى أن مات الملك المنصور وقام من بعدِه الأشرفُ خليل ، فولّاه نيابة الكرك عوضاً عن بيبرس الدوادار في ربيع الآخر سنة تسعين وستّمائة ، وهو على حصار عكّا ، وأنعم عليه بإمرة مائة فارس ودار طبلخاناتُه بين الخيم [. . .] .

وأقام في نيابة الكرَك إلى أن قدم إليها الملك الناصر محمد بن قلاوون في شوّال سنة ثمَان وسبعمائة فقام بخدمته . فٱحتال عليه حتى صيّره إلى مصر ، فأنعم عليه الملك المظفّر بيبرس بإقطاع بتخاص المنتقل إلى إقطاع برلغي الأشرفيّ بحكم أنّه ٱنتقل إلى إقطاع بيبرس قبل السلطنة .

فلم يزل بمِصر إلى أن زالت أيّام المظفّر وعاد الملك الناصر إلى السلطنة مرّة ثانيةً وأقرّه على حاله .

ثمّ بعثه نائبَ السلطنة بدمشق عِوضاً عن كراي المنصوريّ بعدما خُلع في مستهلّ جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة وسبعمائة وكتب على يده مسموحاً [1] لأهل دمشق بمَا كان قرّره عليهم كراي ، فسرّ الناس به .

ولم يزل إلى أن قدم عليه سودي نائب حلب في ربيع الأوّل سنة اثنتَي عشرة فتلقّاه وقام له بمَا يجب . وعند وداعه لمَسيره إلى حلب ناوله ملطفاً سلطانيًّا ، فإذا فيه تشوّق السلطان إليه ، وأنه ما هان عليه غيبتُه عنه ، ويستدعيه الحضور .

فبادر وركب في ثلاثة مماليك من غير أن يعلم به أحد من أمراء دمشق . وساق البريد إلى مصر ، وصعد قلعة الجبل فأكرمه السلطان وخلع عليه ، وجلس رأس المَيمنة ، والبوبكريّ رأس المَيسرة . وكان إذا دخلا إلى الخدمة قام لهما السلطان فيقبّلان له الأرض ، ويجلس كلّ واحدٍ منهما في رتبتِه . فاستمرّ

(1) المسموح ما يعيّنه السلطان للأشخاص أو الجماعات من المال ؛ السلوك 2/ 19 هامش 5 .

ذلك أياماً .

ثم قُبض عليه في يوم الاثنين ثاني ربيع الآخر هو وبيبرس المنصوريّ نائب السلطنة ، وسنقر الكماليّ ، ولاجين الجاشنكير ، وبينجار ، والركن الأشرفيّ ، ومغلطاي المسعوديّ ، وسجنوا ، وكان يوماً مهولاً ، وولي الأمير تنكز نيابة دمشق عوضَه . فلم يزل في السجن إلى أن أفرج عنه في ثامن عشرين شهر

[213 ب] رجب سنة خمسَ عشرة وسبعمائة ، وخلع عليه وأعطي / إقطاع الأمير حسام الدين قرا لاجين الأستادار بعد موته في ثالث عشر شعبان منها . واستمرّ على رأس المَيمنة ، والأمير بكتمُر البوبكري رأس المَيسرة . فلمّا كانت سنة تسع عشرة آستجدّ السلطان القيام من على كرسيّ السلطنة له وللبوبكري[1] ، فكان نائب الكرك يتقدّم على البوبكريّ تأدّباً معه عند تقبيل يد السلطان فلا يسهل هٰذا بالأمراء لمَا يعلمو[نـ]ـه من جلالة قدره وتقدّمه في الدولة ، ويرون أنّ هٰذا من سلامة صدره وسذاجته . ثم سألوا السلطان عن ذلك لعلمهم أنّ العادة جرت أن يتأخّر الكبير في تقبيل يد السلطان ويتقدّمه الصغير ، فكُشف عن تاريخ آبتداء أمرَيْهما فوُجد إمرةُ البوبكري بعده في سلطنة الملك الأشرف سنة تسعين وستّمائة .

ثم سار على العساكر من مصر وخرجت معه عساكرُ الشام إلى آياس كرسيّ مملكة سيس فنازلها وقاتلَ أهلها برًّا وبحراً ونصب عليها المجانيقَ حتى أخذَها من الأرمَن عنوةً في حادي عشرين ربيع الآخر سنة إحدى وعشرين[2] ، فوجد فيها ألفاً وثمانمائة فول قراره[3] وضمَانها في كلّ يوم ألفُ دينار ، فحاز العسكر منها مالاً كبيراً ، وخرّبَ برجَها وكان في غاية المنعة . ثم [أ]غاروا على بلاد تكفور[4] وغنموا مالاً عظيماً وعادوا إلى بلادهم ، وقدم الأمير آقوش إلى القاهرة .

(1) النجوم 9 / 57 .
(2) السلوك 2 / 229 .
(3) فول قرارة أو قزازة ، ولم نعرف المقصود .
(4) تكفور اسم ملوك الأرمن (السلوك 1 / 551 هامش 3) .

ثمّ خرج في ثاني صفر سنة اثنتين وعشرين ، ومعه من الأمراء سنجر الجمدار ، وألماس الحاجب ، وطرجي أمير مجلس ، وأصلم السلاح دار ، ومضى فيهم على عسكر لغزو سيس ، فسار إلى دمشق ، وخرجت معه عساكر بلاد الشام ، فأغار على بلاد سيس وخرّب وغنم وقتل ، وعاد في سابع عشرين جمادى الآخرة ، فخلع عليه ، وشكره السلطان على ما كان منه .

ثم ولّاه نظر المارستان المنصوريّ بعد القبض على كريم الدين الكبير عوضاً عنه في ربيع الآخر سنة ثلاث وعشرين ، فوجد فيه حاصلاً أربعمائة ألف درهم وسكّراً وغيره من الأصناف بمائة ألف درهم ، فلم يتعرّض للمال . واستجدّ قاعة بالمارستان للمرضى ، ونحت جميع حجارة المارستان ، والمدرسة والقبّة داخلاً وخارجاً وعلوًّا وسفلاً ، وأعاد ذَهَبَ الطّراز المكتوب حتّى عاد كأنّه جديد . وعمل خيمةً طولها مائة ذراع تظلّ الأقفاص التي يباع بها خارج المارستان من الشمس وأحكمها بأطنابٍ فيمَا بين أوّل جدار القبّة والمدرسة وبأعلى جدار المدرسة تجاه الصالحيّة ، وكانت باعة الأقفاص تتضرّر من حرّ الشمس فزال عنهم ذلك[1] . وقام بمَصروف هٰذا كلِّه من ماله دونَ مال الوقف . وكان يكشف أحوال المجانين ويدخل بهم إلى الحمّام ويكسوهم الثياب ، وأحضر لهم يوماً جماعةً فغنَّوهم ورقصوا على الغناء . وكان يبرّ مُباشري المارستان من ماله ويطلع في الليل إلى المئذنة ليتفقّد المؤذّنين . وكان للمارستان به حرمة وافرة لا يجسر أحدٌ أن يرمي على سكّان أوقافه شيئاً من بضائع السلطان ولا يتعرّض لهم بسوء .

وخرج أمير ركب الحاجّ في سنة سبع وعشرين فحجّ بالناس ، وعاد في خامس عشرين المحرّم سنة ثمَانٍ وعشرين .

ثمّ خرج في أوّل سنة أربع وثلاثين إلى نيابة طرابلس عوضاً عن

---

(1) ذكر المقريزي هٰذه الإصلاحات في الخطط 4/ 259 .

[قرطاي] ، وسبب ذلك ميله إلى الأمير أُلماس الحاجب كما ذكر في ترجمته[1] ، وقوّةُ نفسه ، ووفور حرمته بحيث انّ السلطان يقوم له كلّما دخل إلى الخدمة ، مع معارضة السلطان في أغراض له . ثمّ أخذ في إنكار ظلم الخاصّ والغضّ منه ، فأراد السلطان إزاحته عنه فطلب آستداره عزّ الدين المصريّ وحمّله إليه رسالة تتضمّن أنّ السلطان كثر حياؤه منه لكبر سنّه ، وأنه ما بقي يليق به المشي في
[214 أ] الخدمة / وقصَد السلطان أن يريحه من الخدمة ، وأسرّ إليه أنّه إن علم أنّ الأمير يختار التوجّه إلى طرابلس ويكون خاطرُه طيّباً فليتوجّه ، وإلّا فليُقم على حاله .

فلمّا بلغه ذلك آبتسم وقال : أنا ما أشتهي التوجّه ، ولا أخالف المرسوم — ثم قال : والله ، ما بقيَ يُخلّينا هنا ولا هناك .

فما زال المصري يتلطّف به حتى أجاب بالسمع والطاعة ، فخلع عليه السلطان من الغد وحمل إليه ألف دينار . ثمّ آستدعاه وطيّب خاطره وبعث معه الأمير سيف الدين بَرْسُبُغا مُسفِّراً [له] ليقلّده النيابة على العادة . فلمّا وصل بلبيس بعث إلى برسبغا بأنّي أريد أن أكون في مسيري منفرداً ، ولا أحبُّ أن أبقى معك في الترسيم إن ركبتُ ركبتَ معي ، وإن نزلتُ نزلتَ معي ، فسِر وحدَك وأنا أسيرُ وحدي ، فإنّي والله ما أهرب .

فلم يجد بدًّا من موافقته لمَا يعلم من حدّة خلقه ، حتى قدم به طرابلس . فأقام بها ، وهو يبالغ في طلب الإقالة ، وأن يكون بالقدس ، إلى أن وصلَت مركب للفرنج فيها عدّة سرّاق إلى ميناء طرابلس تطلب غرّة المسلمين ، فركب إلى محاربتهم ومعه طوائف الناس . فدفعت الريح مركب الفرنج عن الميناء وعاد بها أهلُها من حيثُ أتوا ، فلم يجد النائب بالميناء مركباً للمسلمين ليتبع به الغريم . وذكر أهل البلد أنّ الفرنج قدموا في السنة الماضية وأخذوا من الميناء مركباً

(1) ترجمة ألماس الحاجب تأتي بعد هٰذه : رقم 840 (ت 734) ويقول المقريزي فيها والعادةُ أنّ الأمراء لا يخالط الواحد منهم الآخر .

للتجّار . وهم هؤلاء الذين نراهم . فوقف حتى هيّأ الآلات لعمل مركب أنفق فيه أربعين ألفَ درهم من ماله ، إلى أن كملت عمارتُه . فقدمت مركب فرنج متحرّمين ، فركب في العسكر وأخرج المركب التي أنشأها وفيها عدّة من المقاتلة . في طلبهم ، فقاتلوهم وأخذوهم بعدما قتلوا منهم جماعة كثيرة ، وعاد ومركبُ الفرنج معهم . وكان لقدومهم فرح زائد بطرابلس ، وأخرج بالفرنج مشهورين ، وفيهم صاحب المركب ، وله معرفة باللسان العربيّ ، وقوّة نفس وشهامة . فأنكر أن يكون حراميًّا ، و[قال] إنّه تاجر . وقد نهب ماله وكان شيئاً كثيراً . فذكر بعض التجّار أنّه يعرف هٰذا الفرنجيّ وأنّه كان بقبرس فخرج عليه هٰذا في طريقه وقاتلهم في البحر وأخذ مركبهم . وٱعترف أيضاً بعضُ مَن مع الفرنجيّ من النواتيّة بأنّ هذا الفرنجيّ حراميّ ، وأنه هو الذي قدم في السنة الخالية إلى ميناء طرابلس وأخذ منها المركب .

فبعث حينئذ النائب وأحاط بمَوجوده ، وكتب يعرّف السلطان الخبر بنصّه فأجيب بالشكر . وحمل الفرنجي فبعث به مقيَّداً . فلمّا مثُل بين يدي السلطان أكثر منَ التظلّم ، وأنه تاجر قصَدَ بلادَ السلطان بهديّة سنيّةٍ ليقدّمها له ، ويتبضّع في بلاده ، فأخذ نائب طرابلس أمواله وجعله حراميًّا .

فشقّ ذلك على السلطان وطلب الأمراء حتى سمعوا هذا من الفرنجي . وأخذ ينكر على الأمير آقوش ويقول : ٱنظروا ما يعمل في بلادي كيف يفسد عليّ التجّار حتى يُشاع عنّي قبحُ السيرة في الممالك .

فٱستطال الفرنجيّ عند ذلك في الكلام وشنّع في القول بحيث رحمه الأمراء .

ثمّ كتب للأمير جمال الدين آقوش بإعادة مركب الفرنجيّ إليه وجميع ما أُخذ له ، فإنّه رجل تاجر ، والتاجر لا يُتعرَّض له . فلم يوافق [آقوش] على ذلك وأجاب بأنّ الناس قد تحقّقوا بأنّه مُؤذٍ يقطع الطريقَ ، فلا يسمعِ السلطانُ قولَه

فإنّه كذِب .

فكتب إليه بإعادة المركب وجميع ما أُخِذ إلى الفرنجي . فلم يجد عند ذلك بدًّا من تسليم المركب للفرنجيّ . وكتب يسأل الإعفاء من النيابة ، فأجيب بالإعفاء ، وأنّه يتوجّه إلى صرخد أو بعلبك . وتوجّه إليه الأمير برسبغا ، فسار من طرابلس إلى دمشق ليلبس خلعة صرخد من الأمير تنكز نائب الشام . فخرج [214 ب] إليه تنكز وتلقّاه وعمل له سماطاً / في دار السعادة . وحضر الأمراء فأمسكوه على السماط ، وسجن بقلعة دمشق في يوم الخميس نصف جمادى الآخرة سنة خمس وثلاثين . ثم نُقل منها إلى صفد فسُجن بقلعتها . ثم حُمل من صفد إلى الإسكندرية في مستهلّ شوّال . وأُعيد الأمير طينال إلى نيابة طرابلس .

فلم يزل آقوش بسجن الإسكندرية إلى أن أشاع السلطان بأنّ نائب الإسكندرية بعث يستأذن في تَمكين الأمير جمال الدين آقوش من إدخال المزين إليه ليقطع سَلعةً[1] ظهرت له في وسط رأسه . ثم بعث السلطان بابن منيف مقدّم الرماة ليُمضي قضاء الله فيه ، فقتله في يوم [الأحد سابع جمادى الأولى] سنة ستٍّ وثلاثين وسبعمائة ، فدُفن بها ثم نقل [. . .] .

وكان شكلاً غريباً في هيئته وزيّه ، فإنّه خرطانيّ الجنس . وكان عليه وقار وله حرمة وافرة ومهابة زائدة ، بحيث إذا رآه مَن لا يعرفُه هابه . وكانت أخلاقُه صعبة ، يضرب الألف عصا وأكثر ، فمات جماعة تحت ضربه ، منهم أحد بازداريّة السلطان : رآه خارج القاهرة بأراضي اللوق ، وهو يشتم سقّاءً عنده ويشتم أستاذه . فضربه أكثر من ألف وهو يقول له : أنت وإيّاه تتشاتمَا[ن] ، إيش كنت أنا ؟ — فمات بعد يومين . وهٰذه إحدى ذنوبه عند السلطان .

وقتل جارية السلطان زوجة بكتمُر الساقي بسبب الميراث ، لأنّ ٱبنته أيضاً كانت زوجة بكتمُر فضرب الجارية ستّمائة عصا .

(1) السَّلعة : تورّم يبرز بالرقبة أو غيرها .

وعمّر تحت الجبل مغارة كان يخلو فيها عدّة أيام ، واتُّهم أنّه كان يحفر فيها رغبة في الظفر بالمطالب[1] ، فكان يركب من بيته آخرَ الليل ، وتارة يخرج ماشياً ، وغلامُه يقود الفرس وراءه ، ومعه مملوك واحد ، حتى يصل إلى الجبل ماشياً . وكان يخرج إلى الخدمة أحياناً وهو ماش حتى يصل إلى القلعة ، والفرس على يد الغلام .

وأنشأ الصاحب أمين الملك في وزارته حوانيت بجانب باب النصر ليعمل علوّها ريعاً ، فبعث إليه بأنّ هٰذا الباب يدخل منه رسلُ ملوك الشرق ، وما ينبغي أن يُضيَّق بالبناء فيه ، فلم يكترث بقوله . فتركه حتى كمل البناء وركب ومعه غلمانُه وهدمه إلى الأرض .

وجدّد بناء قبّة النصر تحت الجبل ، وتولّى عمارتها من مال السلطان . وكان فيه خير ، وله صدقات وبرٌّ ومعروف .

وأنشأ جامعاً في طرف الحسينيّة بجوار قناطر الإوزّ خارج القاهرة .

وكان يعمل في يوم العيد سماطاً نظير سماط السلطان ، فإذا فرغ الناس من أكله عبَّأ أطباقاً كباراً ، في كلّ طبق أربع زباديّ[2] كبار وصحن مطويّ وبعث إلى جميع جيرانه حتى يعمّهم كلّهم ، ثم يبعث إلى بيوت أجناده وبيوت مماليكه وبيوت غلمانه ، كلّ واحد بآسمه ، ثم يتصدّق بمَا بقي . ولم يعرف عنه أنّه باع من شَوْنَتِه[3] إردبًّا فمَا فوقه ، بل جميع غلاله على كثرتها ينعم بها ويتصدّق بها .

ولم يَمرض قطّ فإنّه كان قليل الأكل بحيث لا يتناول الغداء في الأسبوع سوى مرّتين .

وما خرج قطّ في تجريدة إلّا وقام لجميع مَن يرافقُه بجرايتِه وعليق خيله

(1) المطالب : الكنوز المخفيّة في باطن الأرض .
(2) الزبديّة : الجفنة والصحن الكبير .
(3) الشونة : مخزن الحبوب المطمورة .

وأكلِه ، من يوم خروجه من القاهرة إلى يوم قدومه .

وطلع مرّة إلى سطح داره فرأى بادَهَنْج[1] مرتفعاً لموسى اليهوديّ صيرفيّ الأمير بكتمُر الساقي ، فبعث غلمانه فهدموه إلى الأرض .

وكان لا يلبس المفرك ولا المصقول[2] ، ويتوجّه إلى الحمّام سحراً وبيده طاسة ومئزر حتى يغتسل ، من غير أن يرافقه أحدٌ من غلمانه ولا مماليكه . فعرفه مرّةً بعض الناس فأخذ حجراً وحكّ رجليه وغسله بسِدْرٍ ، وهو لا يكلّمه . فلمّا خرج طلب الرجل وأمر به فضُرِبَ ، وقال : أنا ما لي مملوك ، ما عندي بابيّة ، ما لي غلمان حتى تتجرّأ عليّ .

وكان إذا خرج إلى جامعه لا يجسر أحدٌ من مماليكه ، ولا من قوّام الجامع أن يقيم به ، بل يبقى فيه وحده ، ومتى رأى فيه تُراباً أو خَللاً ضرب قوّامه ، فلم [215 أ] يشعر يوماً إلّا / بجنديّ من الأكراد قد بسط له سفرةً فيها قصعة لبن ورقاق . فقال له : مَن أعلمك بي !

قال : والله ، ولا أحد !

فطلب مماليكه وأكل ، وأمر له بستّمائة درهم . فاتّفق أن جاءه كرديّ آخر في الجامع بعد هٰذا بمِثل ذلك ، فضربه ستّمائة عصا .

وكان إذا مات لأحدٍ من أجناده فرس أعطاه ستّمائة درهم .

وكان يوقّع بخطّه على القصص فيُغرِبُ فيمَا يوقّع به : فمِن ذلك أنّه لمّا كان في نيابة دمشق رفع إليه رجل قصّة يسأل فيها الحضور . فوقّع عليها بخطّه : الاجتماع مقدّر .

وكتب إليه شابّ جميل الصورة قصّة يسأل فيها إقطاعاً ، فوقّع عليها

....

(1) البادهنج والبادنج : مخرج الدخان من السطوح .

(2) المصقول : قماش خفيف يلبس في الصيف ، أمّا المفرك فلا نعرفه .

بخطّه : مَن كان يومه بخمسين وليلتُه بمَائة ، ما له حاجة بالجنديّة !

وكتب إليه إنسان وهو بالكرَك : قد كثرت أذيّة هؤلاء الصبيان للمملوك ويسأل كفّهم عنه – فوقّع بخطّه : إن لم تصبر على أذى أولادهم ، وإلّا فآخرج من بلادهم !

ووقّع لآخر جرت له كائنة في الليل : قد أحصيناك ، فإن عُدتَ إلى مثلها خصيناك .

ولمّا أمسك بدمشق قال لتنكز : أمّا أنا فقد أمسكت ، ولكن خُذ أنت حذرَك منه ! – وأوصى تنكز لمّا عُيّن لنيابة دمشق بعده ، فقال : إن أردتَ أن تُقيم نائباً فآفعل ما أقول لك : آعلم أنّه يتلقّاك أهل غزّة إلى قطيا بالفاكهة والحلوى والخيول والتقادم . فإذا وصلتَ إلى غزّة جاءك أهل دمشق بالتقادم إليها . فإذا دخلت دمشق جاؤوا إليك وقالوا لك : هٰذا الصاحب عزّ الدين القلانسيّ محتشم كبير [و]رئيس دمشق ، والسلطان وغيره يقبل تقادمه وهداياه ، وقد عمل ضيافة وجهّزها إليك – فتأخذها فيجيء إليك غيره ويقول : يا خوند ، ينكسر خاطري لكونك ما جبرتني مثل فلان – فتقبل منه ، فتقدّم لك الخيول وغيرها ، وتنحلّ الإقطاعات والإمرة والوظائف ، فيأتون إليك بالذهب فتأخذ ، فيبلغ الخبر أستاذك فأكثر ما يصبر عليك لسنة ثم يعزلك . فلا تأخُذْ من أحدٍ شيئاً أبداً ! فإنّ جميع ما تأخذه في السنة [ما] يكون خمسين ألفَ دينار ، وأستاذك ينعم عليك في السنة بأكثر من مائة ألف دينار . ويبلغ أستاذك خبرُك فتطول مدّتك .

فكان الأمير تنكز يقول : ما خلّاني نائباً هٰذه المدّة كلّها إلّا الأمير جمال الدين !

817 – آقبغا الحسنيّ [– 717] [1]

آقبغا الحسنيّ ، الأمير علاء الدين ، أحد المماليك الناصريّة محمد بن قلاوون . ربّاه صغيراً وقرب من قلبه وشغف به شغفاً زائداً ، فأعطاه إمرة بمِصر وخوّله في نعم جزيلة . وٱستغرق أوقاتَه في اللهو ، وأكثر من معاقرة الخمر ، فكان لا يصحو ليلاً ولا نهاراً . ونهاه السلطان مراراً فلم ينتهِ .

فلمّا خاف سطوة السلطان لمَا يعرفه من بغضه للخمر وشربتها ، بذل مالاً جزيلاً للحكماء ، وقد تمَارض ، على أن يقولوا : دواؤه في شرب الخمر . – فٱحتمل السلطان شربَه الخمرَ لذلك وسمح له بشربه ، فأمِن وٱنهمك فيه ، وصار يعاشر العجم ، ويعاني اللعب بأنواع السلاح . فلم يطق السلطان ذلك ، وقبض على ثلاثة من العجم – عُشرائه – وشنقَ أحدَهم – وكحّل واحداً ، وقطع يدَ آخر ورجلَه . وحبس آقبغا في دارٍ بالقلعة ، ثم ضربه وخلّى سبيله ليسكنَ القاهرة بمُفرده من غير أن يُمكّنه من شيءٍ من ماله . فأقام عرياناً في تربة ستّة أيام لا يتجاسر أحدٌ على الوصول إليه إلّا بسرقة في الليل . فقام الأمراء في أمره وما زالوا بالسلطان حتى أخرجَه إلى دمشق على إمرة . وكتب إلى نائب دمشق الأمير تنكز أنّه متى وجده يشرب يقبضه ويحبسه فسار من يومه .

ومات [2] في أثناء سنة سبع عشرة وسبعمائة .

---

(1) الدرر 1 / 419 (1004) .

(2) في المخطوط : وسار . ولم نجد تاريخ وفاته في بقيّة المصادر .

818 - آقبغا عبد الواحد [- 744]

آقبغا الناصريّ ، المعروف بآقبغا عبد الواحد ، الأمير علاء الدين الأستادار .

قدم به التاجر عبد الواحد بن بدّال فٱشتراه السلطان الملك الناصر محمد بن فلاوون ، وجعل / ٱسم تاجره لقباً له . وحظيَ عنده وعمله من جملة [215 ب] الجمداريّة . ثمّ أقامه شادَّ العمائر فنهض بمَا ندب إليه منها وقام به أتمّ قيام ، زادت به مكانته وعظُمت مهابتُه .

ثم ركب البريد مبشّراً بعافية السلطان من سقوطه في الصيد عن فرسه وكسر يده ، فمَضى إلى الشام وهو يومئذ رأس نوبة الجمداريّة في نصف جمادى الآخرة سنة ثلاثين وسبعمائة ، فقدّم له النوّاب بغزّة وصفد ودمشق وحماه وطرابلس وحلب تقادم جليلة بلغت نحو المائة ألف دينار ، لعلمهم بمَنزلته من السلطان .

ثمّ وُلّي أستاداراً في محرّم سنة ٱثنتين وثلاثين بعد موت الأمير مغلطاي الجمالي . وأضيف إليه تقدمة المماليك ، فجعل عنبر السحرتيّ[2] نائبه . فلمّا قبض السلطان على عنبر السحرتيّ خلع على آقبغا عوضه تقدّمَ المماليك في سنة خمس وثلاثين ، وأذن له في عرض المماليك ، فعرضهم وٱشتدّ عليهم . وما زال على مكانته حتى مات السلطان ، ومعه خمس وظائف : أستادار ، شادّ العمائر ، مقدّم المماليك ، أمير منزل ، أمير مائة مقدّم ألف ، ولوَلدَيْه محمد وأحمد إمرتان . وهو أخو خوند طغاي [زوجة الناصر] ، وله من التّمَكّن في الدولة ما ليس لغيره .

(1) الوافي 9 / 304 (4236) ؛ الدرر 1 / 418 (1001) ؛ النجوم 10 / 107 ؛ المنهل 3 / 480 (485) .

(2) عنبر السحرتي هو لالا - أي مربّي - الكامل شعبان .

فلمّا أقيم الملك المنصور أبو بكر قبض عليه لشيء كان في نفسه منه أيام أبيه سببُه عدم مراعاته له ، في مستهلّ صفر[1] سنة اثنتين وأربعين ، وأحيط بدوره فباع أمواله وحمل وهو في الترسيم ما ألزم به ، فظهرت له نفائس كثيرة : منها أنّه أبيع لزوجته سراويل بمائتي ألف درهم منها عشرة آلاف دينار مصريّة . وأبيع لها خفٌّ وسرموزة[2] وقبقاب بخمسة وسبعين ألف درهم ، فوقف فيه كثير ممّن ظلمَهم وأخذ أموالهم من التجار وغيرهم ، ورافعوه ، فأرضاهم بنحو مائتي ألف درهم . وما زال في المصادرة حتى ركب الأمير قوصون على السلطان[3] ، فأفرج عنه في يوم السبت تاسع عشره ووقف معه .

فلمّا تمّ لقوصون ما أراده[4] أخرجه أميراً بدمشق ، فسار بأهله وأقام بها .

- ثم قدم إلى القاهرة صحبة الأمير قطلوبغا الفخريّ في نوبه سلطنة الناصر أحمد ، وخلع عليه فيمَن خلع عليه من الأمراء في يوم الخميس ثالث عشر شوّال منها ، وأخرج إلى نيابة حمص فأقام بها إلى جمادى الأولى سنة ثلاث وأربعين . ثم صرف وصار من جملة الأمراء المُقَدّمين بدمشق إلى شوال منها ، فاتُّهم أنّه كاتب أحمد الناصر بالكرَك بعد خَلعِه من السلطنة بأخيه الصالح ، فقبض عليه هو وعدّة أمراء ، وسجنوا بقلعة دمشق في [. . .] سنة أربع وأربعين [وسبعمائة] ، ثمّ نقل إلى الإسكندرية وقُتل بها[5] .

وكان ظالماً متكبّراً جبّاراً كثير الطمع ، قهر خلائق وأخذ منهم أموالهم بأنواع من الظلم .

---

(1) في السلوك 2/563 والنجوم 10/10 : كانت نكبتُه في آخر المحرّم 742 .
(2) السرموزة : نوع من الخفاف تلبس فوق النعل .
(3) خلع قوصون السلطان أبا بكر في 20 صفر 742 (السلوك 2/567) .
(4) ما أراده من تعويض المنصور أبي بكر بكجك .
(5) السلوك 2/660 .

وإليه تنسب المدرسة الأقبغاوية بجوار الجامع الأزهر من القاهرة ، ودار آقبغا بخطّ الخيْميّين قريباً من الجامع الأزهر أيضاً .

819 - آقجبا الحمويّ [- 759] [1]

آقجُبا الحمويّ ، الأمير فخر الدين ، أحد المماليك . . .

أحضره الصالح إسمَاعيل من حماه وعمله شادّ الشرَبخاناه فتمَكّن منه بحيث لم يكن أحدٌ بمَنزلته ومنزلة الوزير محمود بن شروين [2] . وكان يسامر السلطان وينادمه .

ثم أخرج بعد موته إلى حماه ، وقبض عليه في نوبة يلبغا اليحياوي وأحضر مع أبيه طابطا إلى القاهرة في شهر رجب سنة ثمَان وأربعين ، فأقام في الخدمة ، ثم أخرج في شعبان سنة آثنتين وخمسين .

[ومات في ربيع الآخر سنة تسع وخمسين وسبعمائة] [3] .

820 - آقبغا الناصريّ الحسنيّ [- بعد 770]

آقبغا الناصريّ الحسنيّ . كان من خواصّ الناصر حسن ، ومن بعده عمل دويداراً عند يلبغا . ثم عمل عند الأشرف دويداراً كبيراً بعد يلبغا ، وذلك في صفر سنة تسع وستّين . ثم قَبض عليه في جمادى الآخرة منها ونفاه إلى الشام بطّالاً .

---

(1) الوافي 9 / 305 (4237) ؛ الدرر 1 / 420 (1010) ؛ المنهل 3 / 493 (499) .

(2) هو نجم الدين وزير بغداد (ت 748) .

(3) تاريخ الوفاة من الدرر .

[216 أ] ثمّ أحضر إلى القاهرة ، ثم ناب في الكرك سنة خمس وسبعين ، ثم نُقل / إلى نيابة بهنسا فمات بها [في سنة بضع وسبعين وسبعمائة][1] .

821 - آقْسُنْقُر الناصريّ [- 748][2]

آقسنقر الناصريّ ، الأمير شمس الدين ، أحد المماليك الناصرية محمد بن قلاوون .

تنقّل في الخدم حتى صار من جملة الأمراء وزوّجه ٱبنته . فلمّا كانت أيّام الناصر أحمد ، أخرجه إلى غزّة نائباً في نِصْف ذي القعدة سنة ٱثنتين وأربعين وسبعمائة .

ثمّ أعيد إلى مصر في أيّام الصالح إسمَاعيل ، وٱستقرّ أميرأخور ، وعظم قدره وتزوّج بأردو أمّ الأشرف كجك ، فسكن ما بينه وبين الأمير أرغون العلائي ، وكان قد عيّنه السلطان والأمراء أن يخرج على التجريدة لقتال الناصر أحمد بالكرَك ، وحمل إليه عشرة آلاف دينار وخمسمائة حمل . فخيّل العلائيّ للسلطان منه أن يخامر مع أحمد ، فمَنعه من السفر . فشقّ عليه ذلك ، وٱنقطع عن طلوعه الخدمة .

ثم توجّه في التجريدة الرابعة صحبة الأمير جنكلي بن البابا في خامس ربيع الأوّل سنة أربع وأربعين ، وعاد بعدما أبلى بلاء كبيراً وجُرح في وجهه .

فأخرج إلى نيابة طرابلس في سابع رمضان منها عوضاً عن طرغاي الجاشنكير ، وباشرها مباشرة جيدة بعفّة وأمانة ومهابة .

---

(1) الدرر 1 / 420 (1006) .
(2) الوافي 9 / 311 (4246) ؛ الدرر 1 / 425 (1015) ؛ النجوم 10 / 178 ؛ المنهل 2 / 496 (501) .

فلمّا تسلطن الكامل شعبان ٱستدعاه من طرابلس في ربيع الآخر سنة ستّ وأربعين . فلمّا قدم عرضت عليه نيابة السلطنة بديار مصر عوضاً عن الأمير سيف الدين الحاج أل ملك ، فلم يوافق عليها ، واستقرّ من جملة الأمراء الأكابر ، وضخم أمره وأمر الأمير ملكتمُر الحجازيّ وعظما إلى الغاية . ثم خافا من الكامل أن يوقع بهما فأرسلا إلى الأمير يلبغا اليحياوي نائب الشام في السرّ أن يبرز إلى ظاهر دمشق ويعلما[نـ]ـه أنّهما قد عزما على فعل شيءٍ سيظهر . فكان من أمره ما ذكر في ترجمته[1] .

[فبلغ الخبر الملك الكامل] فلم يَجِدْ بُدًّا من إخراج عسكر إلى دمشق ، وقدّم عليه آقسنقر هٰذا . فلمّا سار قليلاً ركب الحجازيّ لحرب الكامل وأرسل إلى أقسنقر ، فقدم عليه بقبّة النصر ، وكان من إزالة دولة الكامل ما ذكر في ترجمته[2]. فأجلس أقسنقر والحجازيّ المظفّر حاجّي سلطاناً وصارا أجلّ أمراء دولته وأعظمهم قدراً ، إلى أن وشى بيبغا أروس إلى المظفّر بأنّهما قد عزما على الركوب عليه كما فعلا مع أخيه الكامل شعبان . فقبضهما وقتلهما في يوم الأحد تاسع عشر شهر ربيع الآخر سنة ثمَان وأربعين وسبعمائة .

وكان أميراً كريمًا له مواهب جزيلة مع شجاعة وقوّة نفس . وٱبتنى الجامع المعروف به قريباً من القلعة ، وهو كلّه مبنيّ بالحجارة ، وجدّ في عمارته بنفسه ، وفيه دفن ، رحمه الله .

---

(1) يُعلِنُ الصفدي عن ترجمة يلبغا بقوله : على ما يأتي في ترجمته في حرف الياء (الوافي 9 / 312) . ولمّا كان المقريزي كثيراً ما ينقل عن الوافي ، فلعلّه ٱعتزم أن ينقل ترجمة يلبغا أيضا أو أن يحرّرها من مادّته هو ، ولكنّه أعلن عنها بصيغة الماضي كأنها كتبت وتمّت . ولا نخاله سبّق الياء على الهمزة .

(2) ترجمة شعبان مفقودة .

822 - آقسنقر الروميّ شادّ العمائر [- 740] [1]

آقسنقر الروميّ ، الأمير شمس الدين ، [أحد المماليك الناصرية محمد بن قلاوون] .

ترقّى في الخدم [من الأوشاقية إلى أن] صار من أمراء الدولة ومن جملة الأمراخورية . فلمّا شغف السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون بالعمارة أقامه في سنة خمس عشرة وسبعمائة شادّ العمائر السلطانيّة وجعل لها ديواناً بلغ مصروفُه في كلّ يوم ما بين ثمَانية آلاف درهم إلى أثنتي عشر ألفاً .

ثم لما حجّ السلطان في سنة تسع عشرة أستخلفه على مكّة في طائفة من الأجناد ، خوفاً من هجوم الشريف حُمَيضة على أخيه عطيفة ، فأقام بها حتى قدم بدله الأمير بيبرس [الأحمديّ] [2] الحاجب فسار إلى مصر .

[فوشي به في سنة ثمَان وعشرين وسبعمائة أنّه أنشأ لنفسه عمائر وآشترى أملاكاً كثيرة بمَا يأخذه من الأمراء وأرباب الصنائع ومن أصناف العمارة . فتنكّر السلطان له وألزمه بحمل ماله . فعُني به الأمير قوصون وما زال يشفع له إلى أن أفرج عنه وأخرج إلى الشام على / إمرة بحلب ثم قبض عليه في سنة خمس [216 ب]
وثلاثين وأحيط بمَوجوده وسجن بقلعة حلب ، وأنعم بإمرته على بيبرس الحاجب] .

وأفرج عنه في سنة ثمَان وثلاثين وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه بدمشق فمات بها في سنة أربعين وسبعمائة .

---

(1) الترجمة مكرّرة تباعاً ، والثانية لا تكرّر الأولى ، وقد جاءت مطموسة عسيرة القراءة . ولم نستفد كثيراً بترجمة الدرر 1 / 421 (1013) ولا النجوم 9 / 322 .

(2) زيادة من النجوم 9 / 62 .

وإليه ينسب جامع آقسنقر بترعة السبّاعين على البركة الناصريّة بين القاهرة ومصر . وإليه تنسب أيضاً قنطرة آقسنقر على الخليج بجوار قبر الكرمانيّ تجاهَ الحبانيّة فإنّه عمّرها .

823 - آقسنقر السريّ [- 678]

الأمير شمس الدين السريّ أحد أمراء مصر الأكابر .

توفّي بغزّة في سنة ثمان وسبعين وستّمائة .

824 - آقسنقر السلاريّ [- بعد 744] [1]

آقسنقر السلاريّ المنصوريّ ، الأمير شمس الدين ، أحد المماليك المنصوريّة قلاوون . وعرف بالسلاريّ من أجل أنّه لمّا فرّقت المماليك بعد قتل الأشرف خليل صار إلى الأمير سلار ، فلمّا قدم الناصر محمد بن قلاوون من الكرك ترقّى في خدمه حتى صار من جملة الأمراء ، وولّاه نيابة صفد عوضاً من طشتمُر حمص أخضر المنتقل لنيابة حلب في سنة إحدى وأربعين وسبعمائة ، فسار في النيابة أحسن سيرة . ورأى أهل صفد من عفّته وعدله ما لا رأوا من غيره قبله ، إلّا أنّه أقام قليلاً ، وحمل منها إلى نيابة غزّة عوضاً عن أمير مسعود بن جعفر ، واستقرّ عوضه في صفد الأمير علاء الدين أصلم .

فقام بعد موت السلطان مع قطلوبغا الفخري في سلطنة أحمد الناصر وقدم معه مصر . فلمّا خرج الناصر أحمد من قلعة الجبل سائراً إلى الكرك عمله نائب الغيبة ، فباشر النيابة ، والناصر في الكرك ، إلى أن خلعه الأمراء وأقاموا أخاه الصالح

(1) الوافي 9/ 313 (4247) ؛ الدرر 1/ 425 (1014) ؛ المنهل 2/ 499 (502) ؛ النجوم 10/ 105 .

إسماعيل . فأقرّه على نيابة السلطنة فسكن دار النيابة بقلعة الجبل وجلس بشبّاكها واستقرّ يُخرج الإقطاعات التي عبرتها من ثلاثمائة دينار إلى أربعمائة دينار بغير مراجعة ، ويشاور فيمَا فوق ذلك . فمَشت أحوال الناس ، إلّا أنّه كان يخرج الجزء [1] اليوم ويرتجعه غداً ممّن أخرجه له ويقطعه لغيره ففتح باب المفاوضات والإقطاعات . وكان لا يردّ سائلاً .

فقبض عليه في يوم الأربعاء عاشر المحرّم سنة أربع وأربعين وقبض معه على صهره الأمير بيغرا أمير جندار ، وعلى قراجا الحاجب وعلى أخيه أولاجا ، وأخرجوا مقيّدين إلى الإسكندرية فسجنوا فيها واتّهموا أنّهم موافقون لأحمد الناصر ويكاتبونه . ثمّ قتل في [. . .] .

وكان حسن السيرة محبًّا لقلّة الأرزاق ، بحيث إنّه ما طلب منه أحد شيئاً إلّا أعطاه .

825 - كريم الدين الصغير [- 726] [2]

أكرم بن الخطير ، كاتب الحميديّ ، القاضي كريم الدين الصغير - يكنّى بأبي المكارم ، وتسمّى لمّا أسلم عبد الكريم - القبطيّ .

كان من جملة كتّاب مصر النّصارى ، وخدم عند التليليّ مملوك الأمير سنقر الأشقر والي البهنسا كاتباً . فلمّا كانت أيام خاله [3] ابن سعيد الدولة باشر به في ديوان الجيش إلى أن وليَ خاله كريم الدين عبد الكريم الكبير نظر الخاصّ .

(1) كلمة غير مقروءة . وفي اضطراب سياسته في الإقطاعات وسوء تصرّفه ، انظر النجوم 10 / 86 .

(2) الوافي 9 / 345 (4275) ؛ الدرر 1 / 428 (1036) ؛ المنهل 3 / 33 (522) ؛ السلوك 2 / 271 .

(3) التاج أبو الفرج ابن سعيد الدولة هو خال كريم الدين الكبير (الدرر 1 / 428 (1037) .

فاستقرّ أكرم بعدما أظهر الإسلام في نظر الدولة رفيقاً لتقيّ الدين أسعد بن أمين الملك[1] ، نقل إليها من ديوان الجيش واستقرّ في نظر الكارم والصحبة والقيد في يوم السبت خامس عشرين جمادى الآخرة سنة سبع عشرة [وسبعمائة] .

وقصد عدّة مرات مصادرة الولاة فمَنَعَه خالُه كريم الدين الكبير من ذلك ، فلم يعجبه منعه إيّاه ، وشكاه غير مرّة إلى الأمير أرغون النائب أنّه يَمنعُه من تحصيل مال السلطان . فلمّا قبض على كريم الدين [الكبير] رسم له على لسان النائب أن يتحدّث في مال السلطان كيف يحفظ فإنه ما بقي له أحد يعاضده / [217 أ] وأنا أسلّم له المملكة يتصرّف فيها كلّها : الخاصّ والمتجر وغيره ، ويُدبّر الخاصّ والدولة .

فجعل يتمنَّع من ذلك تمنّعاً كبيراً ، فرسم بحبسه مع خاله ، فسجن عنده ، ثم أفرج عنه معه .

وقبض عليه في يوم السبت سلخ ربيع الآخر وعلى ولده سعد الدين فرج الله ، وسُلّما للصاحب أمين الدين عبد الله بن الغنّام ، فأحضره بين يديه وأخرق به وأهانه وهدّده بضربه بالمقارع على تخليص المال ، وأخرجه حافياً . فنزل ولده مهاناً ليجمع المال ، وسجن أكرم ببرج في القلعة عند باب القرافة .

وكان من الاتّفاق العجيب أنّ أكرم هٰذا كان قد وشى بالأمير طيبغا العجميّ حتى أخذه السلطان من طريق مكّة وأحضره منكّلاً به وسجنه بهٰذا البرج وأخذ ماله . فكتب عندما أفرج عنه بحائطه : حضرت من مكّة يوم كذا ، وحُبست في هٰذا البرج ستّة عشر يوماً ، وكنت مظلوماً ، ففرّج الله عنّي . وأرجو أن يأخذ الله حقّي ممّن ظلمني – يعني أكرم هذا . فٱستجيب له ، وكان أكرم يرى خطّه وهو في البرج ويتأمّله .

---

(1) الشقيّ الاحول ، مرّت ترجمته برقم 734 (ت 716) .

وكان الوزير ابن الغنّام إذا آستدعاه للمطالبة يصيح به العامّة : بالله ذوِّقه المقترح كما يفعل بالناس ! – وكان قد آستجدّ أن يضرب مَن يعاقبُه على صدره بالعصيّ وسمّى هٰذا الضرب « المقترح » ، فتكاد العامّة عندما يُحضَر أن تختطفَه من شدّة بغضها له .

فبذل جهدَه في السعي حتى أعيَى من طلبه ، واستمَرّ ولدُه يحمل مدّة ستّة عشر يوماً – قدر ما أقام العجميّ – ثم أفرج عنه . فكان جميع ما حمل له مبلغ مائة وستّين ألف درهم ، باع فيها ثيابَ بدنه ، وأثاث بيتِه وأوانيه ، وداره بمَنشأة المهرانيّ .

ثم أخرج على البريد إلى صفد في ليلة الثالث والعشرين من جمادى الآخرة ، فأقام بها إلى أن قدم عليه البريد بآستقراره في نظر الشام عوضاً عن شمس الدين غبريال[1] ، فسار إليها على البريد في يوم السادس عشر من شوّال ، وقدم دمشق في ثالث عشرينه . فباشر الوزارة وضبط أمر دمشق ضبطاً زائداً وسار سيرة حسنة فأعجب به النائب وغيره ، إلى أن بلغ الفخر ناظر الجيش أنّ ولدَه أبا الفرج يكاتبه بمُتجدّدات أمور مصر وأخبار أهل الدولة ، ويكنّي عن أسمَاء الأعيان بألقاب يضعُها عليهم . فخيّلُوا للسلطان منه حتى رسم بإحضاره ، فقدم على البريد من دمشق في يوم الاثنين سادس شهر ربيع الأوّل سنة ستّ وعشرين ومثل بحضرة السلطان وهو بناحية سفط من الجيزة ، فلم يكترث به وبالغ في الإنكار عليه وأمره بمُلازمة داره . وبعث غبريال عِوضاً عنه إلى دمشق .

وأسرّ السلطان إلى الوزير مغلطاي الجماليّ بقتله سرًّا ، فتقدّم إلى والي القاهرة بذلك : فكمَن له جماعة يترصّدونه إلى أن خرج من داره راكباً في ليلة الاثنين رابع شهر ربيع الآخر يريد الحمّام ، فوثب به الجماعة ، وكان مستعدًّا فنجا بفرسه . وبطشوا بغلامه فقتلوه . وطار الخبر وانتشر في الناس حتى بلغ

(1) هو القاضي ابن صنيعة القبطيّ .

للسلطان ، فرسم بنفيه إلى أسوان . فأحضر[ه] الوزير هو وأولاده في يوم السبت تاسعه إلى مجلس السلطان وطالبه بالمال ، فأنكر أن يكون عنده مال ، فضرب ابنه سعد الدين بالمقارع ، وسُلّم أكرم إلى الوالي فوجد معه أوراقاً فيها مواقعات جماعةٍ فأعلم بذلك الوزير فطلبها ، فلم يوافق أكرم حتى بعث إليه السلطان مَن تسلّمها منه وقرأها ، فأفرج عن أولاده وأمر بعقوبته . فسُعِط بالخلّ والجير . ثم أخرج هو وولده سعد الدين في ليلة الاثنين حادي عشره وحملا في سلورة[1] مرّت / في النيل إلى أسوان ، فقدما ليلة الاثنين خامس عشرينه . وقتل أكرم في [217 ب] ليلة الثلاثاء سادس عشرينه ودُفن من غير أن يصلّى عليه ، وكان متّهماً أنّه على دين النصرانيّة .

وكان شرس الأخلاق ظالماً عسوفاً ، إذا غضب ارتعش بدنُه . وفيه مكارم وعصبيّة للنصارى . وكان هو أكبر الأسباب في بغض العامّة لكريم الدين الكبير . واتّفق أنه رأى في منامه أنّ النبيّ ﷺ [كان] جالساً في منزله على منبر ، ثم قام ومشى . فتبعه حتى أتى شاطىء البحر من فوق الماء فارتدّ عنه . فعُبّر ذلك بأنّ صاحب هذه الرؤيا يَموت مرتدًّا عن الإسلام وأنّ داره تخرب ، فإنّه عليه السلام بشير للمؤمنين ونذير للكافرين . فلمّا مات خربت داره وأُخِذ رخامها وتُركت على أقبح حال .

واتّفق أيضاً أنّه كان يلوذ بخدمتهم رجل يُعرَفُ بعليّ السائس فيه دعابة وبيده شدّ مذابح الغنم السلطانيّة بالحسينيّة . فلمّا باشر أكرم هذا وظيفة النظر وتسلّم الجهات من الأمير علم الدين سنجر الخازن ، صرفه وجعل له مرتّباً أكثر من معلومه في سلخ المذابح ، فلم يقبله وتشفّع بالأمراء وغيرهم إليه فأبى أن يعيده . وتعصّب له علم الدين ابن كريم الدين الكبير وجماعة ، وتحدّثوا مع أكرم ، وقد خرج من مجلس كريم الدين في إعادته ، فقال : يا جماعة ،

(1) السلّورو والسلاريّة : مركبة على النيل .

أنصفوني مِن هٰذا ؟ – ثم سأله : كم معلومُك في هٰذه الوظيفة ؟

قال : ثلاثة دراهم في اليوم .

فقال : إنّني أكتب لك ستة دراهم وتترك هٰذه الوظيفة ، فإنّك تتلف عليّ مال السلطان .

فقال له ابن هلال شادّ الدواوين : يا مولانا ، هٰذا الرجل يخشى من تغيّر الأمور وحدوث العوارض ، فيباشر غيرك فيجد أنّه كان بآسمه ثلاثة دراهم فصارت ستّة فيلزمه بالتفاوت .

فغضب وقال : يا مسلمين ، نحن كلّنا نروح ، أنا أروح ، هٰذا يروح ، كريم الدين يروح ، يَروح الجميع ، ويأتي من يطالبه بالتفاوت .

ومضى ، وذلك يوم الخميس بعد العصر ، فقبض على الجميع يوم الخميس بعد سبعة أيّام . وولي الصاحب أمين الدين عبد الله بن غنّام ، وألزم علي السائس بالتفاوت ، إلى أن حكى له ما جرى ، فعجب من ذلك وأفرج عنه وأعاد إليه وظيفته .

826 – أكدر بن حُمام [– 65][1]

أكدر بن حُمام – بضمّ الحاء المهملة – بن عامر بن صعب بن حثمة بن عكارمة بن هذيل بن سعد بن زر بن غَنْم بن أريش بن أراش بن خزيلة بن لخم اللخميّ ، أبو مصعب .

شهد هو وأبوه فتح مصر . وكان أحد فرسان لخم بمِصر ورئيساً في خلع عثمَان رضي الله عنه وقتله . وقد ولي بحر مصر لمعاوية بن أبي سفيان سنة ثمَان

(1) الولاة والقضاة ، 41 .

وخمسين ، وكان معاوية مكرماً له يتألّف قومه ، وكان يدفع إليه عطاءه ويرفع مجلسَه .

فلمّا سار مروان بن الحكم إلى مصر أشار الأكدر على عبد الرحمان بن عتبة ابن جحدم[1] أن يبعث مراكب في البحر تخالف إلى عيالات أهل الشام [218 أ] وذراريهم . فعقد له يوم قدم السائب بن هشام [بن كنانة العامريّ] ، وذلك للنصف من ربيع الأوّل سنة خمس وستّين على خمسة آلاف من الجند أهل الديوان ، وبعث به إلى الفَرَما ليَمنع مروان من المسير .

فتوجّه الأكدر في جيشه يوم ثمَاني عشرة من ربيع الأوّل وسار حتى أتى الفرما ، فلقي بها عروة – رجل من جذام – وكان على طلائع حبيش بن دَلجة القينيّ ، وكان حبيش على مقدّمة مروان ، فاقتتلوا ، وبرز عروة للأ[كدر] فتطاعنا فقتل الأكدر عروة . وأجمع الجند بمِصر على أن يبعثوا بمَراكب تخالف أهل الشام إلى منازلهم . فقال عبد الرحمان بن عتبة بن جحدم : ليس لها غير أبي مصعب – يعني الأكدر – فبعث إليه يأمره بالرجوع إلى مصر ، فاستخلف على جيشه ابن عمّ له يقال له : عوف ، ورجع إلى الفسطاط لخمس بقين من ربيع الأوّل / .

فلمّا قدم مروان بجيشه على عوف انهزم عنهم ودخل الفسطاط من غير قتال . ويقال إنّ مروان كتب إلى شيعته بمِصر أن أَخلُوا إليّ الطريق – يعني مقام الأكدر بالفرما – فقال كريب بن أبرهة [الأصبحيّ] لابن جحدم : لو رددنا الأكدر فوجّهناه في البحر يخالف مروان إلى الشام ؟

فردّه ووجّهه في البحر . فخرج الأكدر في خمسين مركباً لثلاث خلون من ربيع الآخر . فلمّا بلغ مروان مسيرُه جزع جزعاً شديداً خوفاً من مخالفتهم إلى عيالهم وبلادهم . فبعث الله ريحاً على المراكب وقد قربت من سواحل الشام

---

(1) وهو والي مصر لابن الزبير .

فكسرت بعضها وظفر مروان بمَن فيها . وألقى البحر الأكدرَ في ثلاثةَ عشر مركباً برشيد ، فصار إلى الفسطاط ، وشهد وقعة الخندق وأيّامه ، وكان رئيساً فيهم ومقدّماً على لخم وجذام في قتال مروان .

فلمّا غلب مروان على مصر وصالحه أهلُها [بعد أن أمّنهم على جميع ما أحدثوه] حضر الأكدر مع قومه من لخم فبايع مروان ، ومروان مُعرِض عنه . فأنكر قومُه ذلك وقالوا : يا أبا مصعب ، والله لقد رأينا لمَروان وجهاً لا يصلح المُقام معه في بلده ، فرأيُك في الخروج إلى المغرب أو تكون مستخفياً إلى حين خروجه عن مصر؟

فأبى الأكدر ذلك وقال : ما كنت لأخرج ، ولا أستخفي ، ومهما يصنع بي مروان بعد عهده ومواثيقه ، هل يصنع إلّا القتل؟ فوالله لقد أجلبتُ على عثمَان وسيّرت إليه الجيوش وشركت في قتله بكلّ ما أقدر عليه . ووالله لقد فعلتُ ذلك بمَروان فحال القدر عن بلوغ الأمل . ولقد كان معاوية يبعث بعطائي ، وأمر الولاة أن يؤخروني عن الوفادة إليه خشية أن يتذكّر صنيعي ، ثم ، الله الحكمُ بيننا وهو خير الحاكمين .

وجعل مروان يقدّم رجلاً ويؤخر أخرى في أمر الأكدر : يهمّ بقتله ويخشى العواقب . حتى أجمع على ذلك . فحرّض عليه نفراً من أهل الشام وقالوا : يا أمير المؤمنين ، إنّ الأكدر قتل منّا قتيلاً ونحن أولياؤه ، ولم يكن قتلُه له على معنى الفتنة .

فبعث مروان فأحضر الأكدر وهو لا يعلم إلى ما دعي؟ فلما دخل على مروان وليس معه أحدٌ من قومه سألهم عن قولهم : فأنكره ، فشهد عليه جمع من أهل الشام أنّه قتل قتيلاً منهم . وأشار عمرو بن سعيد الأشدق على مروان أن يعاجله . فأمر مروان أن تُضرب عنقُه فضربت .

وكان مروان يقول : لا يتمّ لنا أمرٌ والأكدر حيّ ! – ويخافه لأنّه سيّد لخم

وشيخُها ، له التقدّم والفضلُ والفقه ، ويخشى أن يحرّض عليه بعد خروجه . فدسّ عليه رجالاً يدّعون عليه قتل رجلٍ ، وقَتَله .

وكان الأكدر علويًّا ذا دين وفقه في الدين ، وجالس الصحابة وروى عنهم ، وهو صاحب الفريضة التي يسمّيها أهل الفرائض الأكدريّة .

وكان يومَ قتله عليه حلّة أخذها بألف دينار فقال لرجل ممّن حضره : يا ٱبن أخي ، إذا قُتل عمُّك فوارِ عورته وخُذ هٰذه الحلّة لك !

وكان قتلُ الأكدر للنصف من جمادى الآخرة سنة خمس وستّين [1] . وقال زياد بن قائد اللخميّ يرثي الأكدر ، من أبيات عديدة [متقارب] :

كما لَقِيَت لخمُ ما ساءَها   بأكدرَ لا تَبْعُدَنْ أكدرُ !
هو السيفُ جُرِّد من غمدِه   فلاقى المنايا وما يشعرُ
ولهفي عليك غداة الردى   وقد ضاق وِردُك والمصدرُ
وأنت الأسيرُ بلا منعة   وما كان مثلُك يُستأسَرُ

وقد روى ابن لهيعة قال : مرض الأكدر بن حمام بالمدينة ليالي عثمان رضي الله عنه ، فجاءه عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه عائداً فقال : كيف تجدُك ؟

قال : أنا لمَا بي .

قال : كلّا ! تعيش زماناً ، ويغدر بك / الغادرُ ، وتصيرُ إلى جنّة إن شاء الله . [218 ب]

وقال موسى بن عليّ [بن رباح] : غدر مروان بالأكدر بن حُمام بمَشورة عمرو بن سعيد بن العاصي ، وغَدَرَ عبد الملك بن مروان بعمرو بن سعيد بمَشورة روح بن زنباع . وقال روح عند قتل عمرو [بسيط] :

(1) النجوم 1 / 166 .

يا عمرو لا تنس أفعالاً فعلت بأكدر لا ينساه عمرو وأكدر[1]

وقد روى الأكدر عن عمر بن الخطّاب : تعلّموا المهن فإنه يوشك الرجل منكم أن يحتاج إلى مهنة .

وروى عن أبي هريرة : من قتل نفساً فليقاتل في سبيل الله حتى يُقتل .

وروى عن جماعة .

827 - الآقوش المنصوريّ [- بعد 724][2]

الآقوش المنصوريّ ، الأمير [جمال] الدين ، أحد مماليك الملك المنصور قلاوون [. . .] .

فلمّا كانت سنة أربع وعشرين وسبعمائة رُفِعَتْ قصّة لقصر السلطان تتضمّن تحذير السلطان من الركوب إلى الميدان ، فإنّ الآقوش قد وافق جماعةً من الأمراء على الفتك بالسلطان ، فطُلب وهُدّد فأقسمَ بالأيمَانِ المُحرجة أنه بريء ممّا رُميَ به ، وكيف يفعلُ هٰذا وقد منّ السلطان عليه وأخرجه من السجن ، وهو شيخ كبير؟

واتّهم ولدَه أنّه هو آفترى عليه من أجل نهيه عن الخمر ، فإنّه عن قريب سبّني وتوعّدني . فأمر به إلى الحبس .

وطلب ولده وقُرّر فآعترف [بـ]ـكتابة الورقة . فأخرج الآقوش وحُبس آبنُه مكانَه . وسُفّر إلى دمشق على إمرة بها[3] .

....

(1) البيت مختلّ .
(2) الدرر 1 / 428 (1035) .
(3) السلوك 2 / 257 .

828 – أَلْبَكي الساقي [– 702] [1]

ألبكي الساقي ، الأمير فارس الدين ، أحد مماليك الظاهريّة بيبرس .

ترقّى في خدمه إلى أن صار من أكابر أمراء مصر وشجعانها . ثمّ قبض عليه الملك المنصور قلاوون وسجنه ، في [. . .] وكان يخرجه من السجن فيتحدّث معه ويعيده إلى السجن . ثم أفرج عنه وولّاه نيابة صفد ، فأقام بها عشرة أعوام . وكان [. . .] .

فلمّا سخط الملك الأشرف خليل بن قلاوون على الأمير حسام الدين لاجين وقبضه وهو على حصار عكّا وبعثَه إلى صفد ليُعتقلَ بها ، أخذ ألبكي المقرعة وضربه على كتفه وقال له : ما تَمشي إلّا خواتيني – وأخذ جوخةً [2] كانت معه وطرطوراً ضمن بقجة [3] .

فقدّر الله تعالى أن صار لاجين سلطان مصر والشام ، فبعث إليه يقول : أحتفظ بالبقجة والجوخة والطرطور ! – ففرّ من حمص ، وكان قد خرج من صفد بعسكرها في جمادى الآخرة سنة سبع وتسعين وستّمائة لغزو سيس صحبة عسكر مصر والشام . فأغاروا على بلاد سيس في رجب منها وعادوا إلى حلب . فبعث السلطان الملك المنصور لاجين بالقبض على ألبكي وغيره من الأمراء . فلمّا فطنوا بذلك فرّوا من حلب ولحقوا بالأمير قِبجق نائب الشام وقد نزل على حمص ، وساروا معه منها في ليلة السبت خامس ربيع الأوّل سنة ثمَان وتسعين ولحقوا بالقان غازان ، فأكرَمهم وأنعم عليهم . وزوّج ألبكي بأخته وكانت بارعة الجمال .

---

(1) الوافي 9 / 352 (4280) ؛ الدرر 1 / 432 (1040) ؛ المنهل 3 / 37 (524) ؛ النجوم 8 / 204 .

(2) الجوخة : رداء من الصوف الأحمر (دوزي : ملابس) .

(3) البقجة : رزمة من الثياب .

وبهر عقل غازان لقيامه بآداب المغل وسياستهم فقرّبه وأفرط في دنوّه . وسار بهم إلى بلاد الشام ، وهزم عساكرَ مصر والشام على حمص في ربيع الأوّل سنة تسع وتسعين ، ونزل على دمشق واستناب قبجق على دمشق ، وأنعم على ألبكي بحمص وحماه ، ورحل عائداً إلى بلاده .

فرجع قبجق وألبكي إلى الطاعة وسارا والأمير بكتمُر السلاح دار إلى لقاء السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، فوافَوه في العشرين من شوّال ، وهو مخيّم بالصالحيّة . فتلقّاهم وبالغ في إكرامهم ، وقدم بهم إلى قلعة الجبل . وأنعم على ألبكي بإمرة في دمشق ثم ولّاه نيابة حمص .

فلم يزل بها إلى أن مات يوم الثلاثاء من ذي القعدة سنة اثنتين وسبعمائة ، فولي عوضه عزّ الدين أيبك الحمويّ نائب صرخد .

[219 أ] وكان مليح الشكل ليس في وجهه / شعرة كأنّه طلعة القمر . وكان كثير الأدب حييًّا رئيساً لم يُر قط في ليل ولا نهار بغير خفٍّ ولا أبدى رجلَه ولا مدَّها بحضرة أحدٍ .

وكان كلّما نزل من الركوب حمل جمدارُه شاشَه وفتحَه وتركه . فإذا أراد الركوب لفّه بيده مرّة واحدةً لا يزيد عليها ثمّ يركب .

وكان خيّراً ساكناً لطيف الحركات قريباً من الناس معروفاً بالشجاعة والثبات موصوفاً بالفروسيّة .

829 - ابن أخي أل ملك [- 756] (1)

ألبكي ، الأمير فارس الدين ، ابن أخي الأمير سيف الدين أل ملك النائب .

(1) الوافي 9 / 352 (4281) ؛ الدرر 1 / 432 (1041) .

ترقّى في الخدم حتى صار من جملة الأمراء . ثم ولي نيَابة غزّة بعد موت الأمير دِلِنْجي في جمادى الأولى سنة إحدى وخمسين[1] ، ثمّ صُرف بالأمير أرغون الإسمَاعيليّ .

وقدم القاهرة في جمادى الأولى سنة آثنتين وخمسين فأنعم عليه بإمرة طبلخاناه ، ثم نقل الى تقدمة ألف ، وأخرج إلى الصعيد إعانةً للأمير أزدمر الكاشف على العَرَب في شهر رجب سنة اثنتين وخمسين [وسبعمائة] .

ومات سنة ستّ وخمسين [في أواخر شوّال] .

830 - أُلْجَاي الدوادار [- 732][2]

أُلْجاي الدوادار ، الأمير سيف الدين ، أحد المماليك الناصريّة محمد بن قلاوون .

ترقّى في خدمه إلى أن أقامه دوادار صغيراً مع الأمير بهاء الدين أرسلان . ثم أنعم عليه بإمرة عشرة في شهر رمضان سنة سبع عشرة وسبعمائة بعد موت بهاء الدين أرسلان وجعله دوادار كبيراً ، فباشر الدواداريّة أجمل مباشرة من عفّة ونزاهة وطولة روح[3] وتأنّي ، بحيث إنّه لم يعرف عنه أنّه غضب على أحدٍ ولا جاهر أحداً بالسوء . ثمّ نُقل إلى إمرة الطبلخاناه ، حتى مرض ، ونزل من القلعة فمات بدار[ه] خارج باب زويلة مستهلّ شهر رمضان سنة آثنتين وثلاثين وسبعمائة ، وهو في سنّ الكهولة ، ودفن بالقرافة ، وكانت جنازته حافلة بالأمراء والأعيان .

---

(1) السلوك 2 / 821 .

(2) الوافي 9 / 353 (4285) ؛ الدرر 1 / 433 (1044) ؛ المنهل 3 / 39 (526) ؛ النجوم 9 / 297 ؛ السلوك 2 / 354 .

(3) في الوافي : وكان طويل الروح .

وكان يكتب الخطّ الجيّد ، ويحبّ الفضلاء ويعتني بأمرهم ويُكثر من معاشرتهم ليلاً ونهاراً ، ويجاريهم في عدّة فنون من فقه وغيره . وكان حنفيّ المذهب ، وله اختصاص بالشيخ تقيّ الدين السُّبكيّ ، وهو الذي نوّه به .

وشغف بالكتب فاقتنى منها شيئاً كثيراً . وكان يؤنّث المذكّر في خطّه ويعظّم وظيفتَه ويتبجّح بها . ولم يزل مشهوراً في[1] صغره إلى وفاته بالخير وحسن الطريقة .

وأنشأ داراً بالشارع خارج باب زويلة بلغت النفقة على بوّابتها خاصّة مائة ألف درهم ، عرفت بعده بالقردميّة ، ثمّ عرفت ببيت محمود فلمّا كادت الدار أن تفرغ عمارتُها عمِل فيها ألجاي مجتمعاً تُليت فيه ختمة شريفة بالغ في الاحتفال فيه ، وحضره عامّة أهل العلم فلم يُمتّع بهذه الدار ومرض بعد ذلك بقليل ، فطلب من السلطان الإذن في نزوله إلى داره ، فأذن له في ذلك . فقيل له فيه ، فقال : أنا أدرى بخلق أستاذي : قد يكون في خاطره أن يولّي الدواداريّة أحداً غيري .

ونزل إليها ، فلم يزل صاحبَ فراش حتى مات واستقرّ عوضه الأمير صلاح الدين يوسف المهمندار دوادار .

831 - أُلْجَيْبُغَا المظفّريّ [- 750][2]

أُلْجَيْبُغا المظفّر[يّ] ، الأمير سيف الدين .

رقّاه السلطان الملك المظفّر حاجّي بن محمد بن قلاوون بحيث لم يكن عنده أحدٌ في رتبته حتى زالت دولتُه ، والجيبغا أحد أمراء الشّور الذين تصدر الأوامر

(1) هكذا في المخطوط ، ولعلّها : من .

(2) الوافي 9 / 355 (4286) ؛ الدرر 1 / 434 (1047) ؛ المنهل 3 / 44 (528) ؛ السلوك 2 / 813 ؛ النجوم 10 / 245 .

عنهم . فأخرج إلى دمشق في أوائل سلطنة الناصر حسن على إقطاع الأمير لاجين أمير أخور صحبة الأمير طقبغا وطلب لاجين في تاسع شهر ربيع الآخر سنة تسع وأربعين وسبعمائة ، واُتّهم أنّه أراد الفتنة .

ثم نُقل من الإمرة بدمشق إلى نيابة طرابلس / عوضاً عن الأمير بدر الدين [219 ب]
أمير مسعود بن خطير في أثناء شعبان منها . فلم يزل إلى أوائل شهر ربيع الأوّل سنة خمسين ، [فـ]ـاَستأذن الأمير أرغون شاه نائب الشام في التصيّد بالناعم فأذن له ، فسار وأقام على بحيرة حمص أيّاماً يتظاهر بالصيد .

ثم ركب ليلاً بمَن معه من عسكر طرابلس وساق إلى خان لاجين ظاهر دمشق وأقام به من الثانية من النهار إلى قبيل الغروب . وركب بمَن معه وطرق أرغون شاه نائب الشام ، وهو بالقصر الأبلق من الميدان ليلاً ، وأمسكه وسجنه مقيّداً ، وقد عاونه على ذلك الأمير فخر الدين أياز السلحدار .

فلمّا أصبح نزل بالميدان الأخضر وطلب أمراء دمشق وعسكرها ، وأخرج كتاب السلطان بإمساك أرغون شاه ، فلم يشكّ أحدٌ في ذلك . واَحتاط بأموال أرغون شاه وجعلها عندَه في القصر الأبلق ، وذلك في يوم الخميس ثالث عشرين شهر ربيع الأوّل . وأظهر في يوم الجمعة ثانيه بأنّ أرغون شاه قد ذبح نفسه[1] وجهّز البريد وكتب على يد الأمير أيدمر الشمسيّ إلى السلطان بأنّه أمسك أرغون شاه وأنّه ذبح نفسه .

فلمّا كان يوم الثلاثاء اَرتاب الأمراء بدمشق بمَا هو فيه ، فركبوا لحربه ووقفوا تحت القلعة . فركب بمَن معه وواقَعهم وقتل منهم عدّةً وجرح جماعةً ، ومضى بمَن معه ، وقد حمل أموال أرغون شاه ، على [طريق] المزّة وسلك [سهل] البقاع إلى طرابلس .

(1) السلوك 2 / 801 .

فورد إلى دمشق مرسوم السلطان بإنكار[1] لما جرى من قتل أرغون شاه والاجتهاد في أخذ أُلْجَيْبُغا . فخرج عسكر الشام وربطوا عليه الدروب . فلمّا بلغه ذلك خرج من طرابلس ، فأدركه عسكرها عند بيروت وقد وقف له أمراء العَرب والتركمان والجبليّة وأهلُ بيروت . فوقف من الثانية من النهار إلى العصر وكرّ راجعاً ، فوجد عسكر طرابلس ، فواقعوه حتى سلّم نفسه . فأسلموه إلى عسكر دمشق ، وقد فرّ أياز في ثلاثة أنفار فقبض عليه نائب بعلبك وقدم به وبألجيبغا إلى قلعة دمشق[2] .

وحمل ألجيبغا إلى مصر صحبة الأمير [سيف الدين] باينجار الحاجب ، فوصل من مصر الأمير [سيف الدين] قجا السلاح دار في يوم الأربعاء بكتاب السلطان أن يُوَسَّط أُلجيبُغا وأياز . فركب العسكر في يوم الخميس حادي عشرين شهر ربيع الآخر – الغد – تحت القلعة ، ووُسِّطا وعُلِّقا .

وكان لِأُلْجَيْبُغا من العمر تسع عشرة سنة ما بقل عذاره وطرّ شاربه .

832 – ألدمر الناصريّ [– 730][3]

ألدمز ، الأمير سيف الدين ، الناصريّ ، أحد المماليك الناصريّة محمد بن قلاوون .

ترقّى في خدمه حتى صار من أمراء الألوف أمير جاندار . وتوجّه حاجًّا صحبة الركب ، وقد قدم ركب العراق إلى مكّة صحبة محمد الحويج[4] من أهل طوريز ، وكان صاحب هزل ومجون ، فتوصّل بأولاد الأمير جوبان إلى منادمة

(1) في المخطوط : بإمكان .
(2) السلوك 2 / 802 .
(3) السلوك 2 / 323 ؛ الدرر 1 / 434 ؛ المنهل 3 / 184 (610) وهو فيه : أيدمز .
(4) في السلوك 2 / 323 : أمير ركب العراق : محمد الحجيج .

أبي سعيد بن خربنده ملك العراق ، وبعثه في الرسالة إلى مصر . فراج عند السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وتردّد إليه مراراً . فبلغه عنه ما أغضبه فأسرّها في نفسه إلى أن بلغه مسيره بركب الحاجّ من العراق ، فكتب إلى الشريف عطيفة بن أبي نميّ أمير مكّة أن يتحيّل في قتله ، فأطلع ابنَه مبارك بن عطيفة على ذلك في عدّة من قوّاده فآستعدّوا لقتله . وتمَهّلوا إلى أن عادوا إلى مكّة بعد قضاء النسك ، وقد تقدّم بعض الحاجّ من المصريّين على العادة وتأخّر الأمير خاصّ ترك أمير الحاجّ والأمير ألدمر والأمير أحمد ابن خالة السلطان بمَكّة لأجل صلاة الجمعة .

فلمّا قام الخطيب على المنبر قصد عبيد عطيفة إثارة فتنة لينالوا غرَض السلطان في أمير ركب العراق ، وشرعوا في نهب السوقة والباعة وعبثوا بحاجّ العراق وخطفوا من متاعهم ، والشريف عطيفة جالس إلى جانب أمير الركب [1] . فصرخ الناس / وكثر ضجيجهم . فنهض ألدمر ومعه جماعة من [220 أ] المماليك ، وسبّ الشريف رميثة ظنًّا منه أنه يريد نهب الناس ، ولم يكن له علم بمَا أسرّه السلطان لعطيفة . ومسك بعض القوّاد [و]أخرق به ، فقام عطيفة وأخذ يلاطفه ليردّ[ه] وهو من قوّة نفسه لا يرجع ، وكان حادّ المزاج قويّ النفس معروفاً بالشجاعة . فقوي الأمر وزاد صياح الناس وركب مبارك بن عطيفة في قوّاد مكّة لابسين السلاح ، وركب مَن بمَكّة مِن جند مصر . فتقدّم خليل بن ألدمر وضرب بعض العبيد فوقعت فيه ضربة خرّ [بها] ميتاً . فآشتَدّ عند ذلك حنق ألدمر وتقدّم لأخذ ثأره فإذا المبارك بن عطيفة فرفع سلاحه ليضربه فبدره مبارك بحربة أنفذها من صدره [فـ]ـسقط ميّتاً ، وركب أمير الركب وخرج من مكّة بنفسه ، ورمى مبارك بن عطيفة بسهم في يده [فشلّت] [2] .

....

(1) يعني امير الركب المصريّ وهو الأمير خاصّ ترك (السلوك 2 / 324) .
(2) الزيادة من السلوك 2 / 324 .

وقاتل أحمد قريب السلطان[1] حتى خلص بمَن معه . وسار المصريّون والعراقيّون من غير أن يحصل الغرض[2] ، وذلك في يوم الجمعة رابع عشر ذي الحجّة سنة ثلاثين وسبعمائة .

فاتّفق في هٰذا اليوم بعينه أن آشتهر بالقاهرة ومصر قتل ألدمر وحصول الحرب بمَكّة حتى لم يبقَ أحدٌ إلّا وهو يتحدّث بذلك . وبلغ السلطانَ والأمراءَ ما يتحدّث [به] الناس وأنكروه . وانطلقت الإشاعة إلى الريف أيضاً . وما زالت حتى قدم مبشّرو الحاجّ فأخبروا بالحرب و[بـ]ـقتل ألدمر وولدِه في يوم الجمعة الذي حصلت فيه الإشاعة ، فكان ذلك من غرائب الاتّفاقات .

وترك ألدمر مالاً جمًّا ما بين نقدٍ وزراعات ومتاجر . وإليه ينسب حمّام ألدمر خارج باب زويلة من القاهرة[3] .

833 - أَلْطَبَرْس المجنون المنصوريّ [- 708][4]

ألطبرس المنصوري المعروف بالمجنون ، والي القلعة ، الأمير علاء الدين ، أحد المماليك المنصوريّة قلاوون .

كان ديّناً عفيفاً تغلب عليه سلامة الباطن ، وله أحكام يضحك منها . وكان

....

(1) ابن خالته في السلوك .
(2) الغرض هو قتل محمد الجويج الطوريزي أمير ركب العراق .
(3) في المنهل : جهّز السلطان جيشاً الى مكّة للأخذ بثأر ألدمر وابنه « ومن حينئذ حكمت الأتراك مكّة وانقمع أهلها الى يومنا هٰذا » وكذلك في النجوم 9 / 283 وأضاف : « ... وزال منها (مكّة) سطوة أشراف مكة الرافضة والعبيد ... وكرههم الملك الناصر ومَقَتهم وأقصاهم » .
(4) الوافي 9 / 359 (4289) ؛ المنهل 3 / 48 (530) .

فيه تسلّط على النساء بحيث يركب أيّام المواسم إلى القرافة ويفتك فيهنّ[1] ويشهّرهن شهرة بالغة .

وهو الذي عمّر فوق عقد القنطرة المعروفة بالمجنونة على الخليج [قبّة للفقراء] فقال [علم الدين أحمد بن يوسف ابن الصاحب] فيه [كامل] :

ولقد عجبتُ منَ ٱلطبرسَ وصحبه　　وعقولهم بعقوده مفتونَةْ
عقدوا عقوداً لا تصحّ لأنّهم　　عقدوا لمَجنون على مجنونَةْ

وتوفّي سنة ثمَان وسبعمائة .

834 - ألطنبغا الحمصيّ [- 678]

ألطنبغا الحمصيّ ، الأمير فخر الدين ، أحد الأمراء الظاهريّة بيبرس .

مات يوم السبت سادس عشر رمضان سنة ثمَان وسبعين وستّمائة .

835 - أَلْطُنْبُغا الجمَدار [- 693][2]

ألطنبغا الجمدار ، الأمير علاء الدين ، أحد المماليك المنصوريّة قلاوون .

تنقّل في الخدم بديار مصر إلى أن صار من جملة الأمراء . فلمّا ثار الأمير بيدرا نائب السلطنة بديار مصر على الملك الأشرف خليل بن قلاوون وقام معه جماعةٌ من الأمراء ، كان منهم أَلْطُنْبُغا هٰذا . فقتلوا [الأشرف] كما ذكر في ترجمته[3] ، وتسلطن من بعده أخوه الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وقام بتدبير

(1) في السلوك 2 / 51 : وينكّل بهنّ ، والعبارة هناك أبعد من اللبس وكذلك في النجوم 8 / 230 حيث أضيف : ... ومنعهنّ من الخروج الى الأسواق . واتّفق المقريزيّ وابن تغري بردي بوصف أحكامه بأنّها « قراقوشيّة » .

(2) النجوم 8 / 22 ؛ السلوك 2 / 795 .

(3) ترجمة خليل الأشرف ابن قلاوون ، رقم 1397 .

أمره الأمير كتبغا نائب السلطنة ، وتتبّع قتلةَ الأشرف ، فقبض على الأمير حسام الدين طرنطاي الساقي ، وسيف الدين نوغاي السلاح دار ، وسيف الدين أَلِناق[1] الساقي السلاح دار ، وسيف الدين أروس الحساميّ السلاح دار ، وعلاء الدين أَلْطُنْبُغا الجمَدار ، وسيف الدين أقسُنْقُر الحساميّ ، وناصر الدين محمّد خواجا ، في العشرين من المحرّم سنة ثلاث وتسعين وستّمائة . فاعتُقِلوا بخزانة البنود[2] من القاهرة ، وتولّى عقوبتَهم الأمير بيبرس الجاشنكير ، في كلّ يوم إلى يوم الاثنين خامس صفر [فـ]أخرجوا إلى باب القلعة ، وقطعت أيديهم وأرجلهم ، وسمّروا على الجمال وطيف بهم .

واشتدّ حزنهم وأسفُهم عليهم . وكان ألطنبغا هذا جميلاً . فلمّا قربوا من داره خرج حريمُه وأولاده يصيحون ، قد نشروا الشعور / وسوّدوا الوجوه ، [220 ب]
وألقت زوجته نفسَها من مكان عالٍ لترتَميَ عليه فقبض الجواري عليها ومنعنها ذلك ، فقطّعت شعرها وألقته عليه وقالت : يا ليتني كنت فداك !

وكانت أهوال شنيعة . وتركوا مسمّرين على الجمال عدّة أيام فمات منهم طائفة ، ووقعت الشفاعة فيمَن بقي ففكّت مساميرهم وحملوا إلى منازلهم .

فلم ترضَ مماليك الأشرف بذلك ، فأُخذوا من ديارهم وسُمروا مرّة ثانية ، فلم تحمل قواهم ذلك وماتوا ، فدفنوا بالقرافة .

836 – أَلْطُنْبُغا الماردينيّ [– 744][3]

أَلطنبغا الماردينيّ[4] الساقي ، أحد المماليك الناصريّة محمد بن قلاوون .

ربّاه صغيراً واختصّ به اختصاصاً كبيراً ورقّاه في خدمه حتى صار من

---

(1) في المخطوط : أباق ، والإصلاح من النجوم 8/ 22 ، والسلوك 1/ 795 .
(2) صارت سجناً للأمراء بعدما كانت مخزناً لأصناف السلاح (الخطط ، 3/ 305) .
(3) الوافي 9/ 364 (4292) ؛ الدرر 1/ 437 (1057) ؛ المنهل 3/ 67 (539) ؛ النجوم 10/ 105 ؛ السلوك 2/ 658 .
(4) في السلوك 2/ 658 وفي الوافي : الماردنيّ .

الأمراء الألوف وزوّجه بأبنتِه .

وآختصّ بعدَه بأبنه المنصور أبي بكر . واتُّهم أنّه وشى به أنّه يريد الفتك بقوصون فقام عليه قوصون وخلعه[1] . ثم إنّه خذل قوصون وشغب عليه وركب تعاويقه[2] عن الركوب حتى قبض عليه[3] . وأقدم بعده على ألطنبغا نائب الشام لمّا قدم وأخذ سيفه وقبض عليه فترفّع ووقفَ فوق آغاه[4] بهادر الدمرداشي فأسرّها في نفسه .

وأخرجه في أيام الصالح إسمَاعيل على البريد في خمسة سروج إلى نيابة حماه يوم [. . .] ربيع الأوّل سنة ثلاث وأربعين . ثم نقل بعد شهرين إلى نيابة حلب عوضاً عن طُقُزْدَمر في أوّل شهر رجب منها ، فمرض بعد قليل ومات مستهلّ صفر سنة أربع وأربعين وسبعمائة .

وكان جميلاً كريمًا صائب الحدس . أنشأ خارج باب زويلة من ظاهر القاهرة جامعاً في غاية الحسن أنفق عليه مالاً كثيراً .

837 – ألطنبغا التركيّ [– 642]

ألطنبغا بن عبد الله التركيّ ، الأمير شمس الدين ، أحد أمراء مصر .

ولي الغربية وغيرها ، وكان شهماً مقداماً ، له في الولاية أخبار دالّة على فهمه وخبرته .

توفّي ليلة السابع عشر من شهر ربيع الأوّل سنة آثنتين وأربعين وستّمائة .

---

(1) قام على المنصور أبي بكر وخلعه في 19 صفر 742 بعد 59 يوماً من تسلطنه (النجوم 10 / 16) .

(2) كلمة غير مفهومة ، ولعلّها : يعاوقه ، آعتماداً على ما في الوافي : وجعل يشاغله ويكسر مجاذيفه عن الحركة .

(3) قُبض على قوصون في صفر سنة 742 .

(4) سيف الدين بهادر التمرتاشي كان آغا الطنبغا نائب الشام (الوافي 9 / 365) .

838 - ألطنبغا الحاجب [- 742] [1]

ألطنبغا الحاجب ، الأمير علاء الدين ، نائب حلب ، أحد المماليك الناصريّة محمد بن قلاوون .

ترقّى في خدمه إلى أن ولّاه الحجوبيّة بحلب ، فأقام بها مدّة [. . .] . فلمّا مات الأمير سودي آستقرّ عوضَهْ في نيابة حلب لأيّام من شهر رجب سنة أربع عشرة وسبعمائة فشكرت دربته بالأحكام . وعمّر بها جامعاً حسناً .

ثم صرف بالأمير أرغون نائب السلطنة ، وقدم إلى مصر مع الأمير أُلجاي الدواداري في يوم السبت أوّل صفر سنة سبع وعشرين وسبعمائة . فأكرمه السلطان وخلع عليه وأسكنه بقلعة الجبل وأنعم عليه بإمرة مائة من جملة إقطاع الأمير أرغون النائب . واستقرّ الأمير أرغون في نيابة حلب [وبقي ألطنبغا] عوضه بمِصر من جملة الأمراء الكبار ، إلى أن ورد الخبر بمَوت أرغون نائب حلب ، فخلعَ على الأمير ألطنبغا واستقرّ في نيابة حلب كما كان . في يوم الخميس عشرين ربيع الآخر سنة إحدى وثلاثين ، وسار إليها على البريد ففرح به أهل حلب .

فتنكّر ما بينه وبين الأمير تنكز نائب الشام . وأخذ تنكز في الحطّ عليه . وأغرى السلطان بعزله وولاية طرغاي عوضه . فعُزل عن حلب بطرغاي وأحضر إلى مصر في سنة ثمَان وثلاثين . فلمّا قدم لم يُقبل السلطان عليه وتركه على باب الإصطبل ، والسلطان يطعم الجوارح بالميدان حتى فرغ فأحضره .

وبقي مقيمًا بالقلعة على إمرة طرغاي الطبّاخي وإقطاعه ، إلى أن قدم الأمير تنكز في حادي عشر جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين . فبعث

(1) الوافي 9/ 361 (4291) ؛ الدرر 1/ 436 (1055) ؛ المنهل 3/ 53 (534) ؛ النجوم 10/ 73 ؛ السلوك 2/ 614 .

السلطان [. . .][1] الحاجب إلى ألطنبغا أن يجهّز أمره ولا يصبح إلّا وهو سائر إلى غزّة ، وأردفه بتشريف نيابتها ، إرضاءً لخاطر تنكز .

فسار من الغد وقد شقّ عليه ذلك ، فتألّم له الأمراء . فلمّا خرج تنكز من مصر عائداً إلى دمشق سار ألطنبغا ليتلقّاه بالداروم وعمل له سماطاً يليق به . فلم يأكل منه غيرَ لقمة واحدة ، وركب ولم يبشّ لألطنبغا ولا آستدناه حتى نزل بالميدان ظاهر غزّة ، فأكبّ ألطنبغا يقبّل / يدَه ، وكشف رأسه وآعترف [221 أ] بالخطإ . فأقبل حينئذ عليه وحادثه وأكل طعامه وطاب خاطرُه عليه ، ثمّ سار بعدما خلع عليه .

فلم يزل على نيابة غزّة إلى أن تغيّر السلطان على تنكز . [فـ]ـكتب إليه بنيابة دمشق ، وأنّ الأمراء واصلون إليه بالعسكر حتى يسيروا معه إلى دمشق ، وأن الأمير طشتمُر قد رسم له بالتوجّه من صفد إلى دمشق ليجتمع هو والأمير قطلوبغا الفخريّ وأمراء دمشق ويقبضوا تنكز . فسُرّ بذلك أعظم مسرّة ، وأخذ في الأهبة للمسير ، وقدّم أحد نجّابته بمُلطفات إلى أمراء دمشق بذلك ، فبقُوا على أتمّ آستعداد إلى أن قدم عليهم الأمير طشتمُر نائب صفد وقبض على تنكز كما ذكر في ترجمته[2] ، وبعث به إلى مصر ، ونزل بالمدرسة النجيبيّة . وقام الأمير قطلوبغا الفخريّ وبقيّة أمراء دمشق بحفظ المدينة .

فقدم مملوك الأمير ألطنبغا إلى الأمير طشتمُر بعَودِه إلى صفد ، فتوجّه إليها . وقدم العسكر من مصر إلى غزّة صحبة الأمير بَشْتاك ، والأمير أرقطاي ، والأمير برسبُغا . فتلقّاهم الأمير ألطنبغا وأنزلهم ، ثم سار معهم يريد دمشق . فآلتقَوا مع تنكز على بيسان وهو محتفظ به ومرّوا لمقصدهم .

فقدم الأمير ألطنبغا ، والأمير بشتاك ومن معهما دمشق في يوم الاثنين سادس

(1) أغفل المقريزي اسم هذا الحاجب في السلوك أيضاً 2 / 461 .
(2) ترجمة تنكز رقم 1034 .

المحرّم سنة إحدى وأربعين . فخرج الناس إلى لقائهم ، ونزل ألطُنبغا بدار السعادة على العادة ، ونزل بشتاك بالميدان ، وتفرّق بقيّة الأمراء في عدّة أماكن .

وركب من الغد يوم الثلاثاء ألطنبغا [إلى] الموكب ومعه الأمراء . وقبض على الأمير صاروجا المظفّريّ ، والأمير ألجيبغا العادليّ ، وجنغية وطغية[1] ، وأوقعت الحوطة على موجودهم ، وعوقب جنغية وطغية وعوقب حواشيهما وأسبابُهما ، ثم وُسّطا تحت قلعة دمشق . وأكحل صاروجا . وتتبّعت أموال تنكز ، وتولّى بيعها ألطنبُغا وأرقطاي مدّة شهر ، فكان في ذلك أعظم عبرة ، فإنّ تنكز لم يعرف عنه أنه قصد أحداً فخاب قصده ، إلّا في ألطنبغا وأرقطاي ، فإنّه ما زال يحاول قتلَها ، والأقدار تحول بينه وبينهما ، بحيثُ إنّ السلطان كان يقول بعد قتله لتنكز : والله ما خلّصت ألطنبغا وأرقطاي منه إلّا كما تخلّص من الأسدِ فريستُه .

ونودي بدمشق : من [ترك] تنكز عنده وديعة [فلـ]ـيحضرها ، فإنّه كتب كلّ ماله في أوراق عند السلطان !

فخاف الناس وأتَوا بمَا عندهم . وصودر جماعة كثيرة من الناس بدمشق وأخذت أموالهم فكانت أيامٌ نكدات .

ثم رسم بتجهيز عساكر الشام لأخذ توريز . فتأهّبوا لذلك وأنفقوا في إصلاح شأنهم مالاً كثيراً تكلّفُوا له . وبينا هم في ذلك إذ قدم الخبر بمَوت السلطان فبطلت التجريدة . وحلف الأمراء والعسكرُ [لـ]ـلسُّلطان المَلك المنصور أبي بكر ابن الناصر محمد ، فلم تطل أيّامه وخلعه الأمير قوصون ، وأقام عوضه السلطان الملك الأشرف كجك ابن الناصر محمد ، وقصد أن يقبض أيضاً على الناصر أحمد بالكَرَك ، وبعث إليه تجريدة مع الأمير قطلوبغا الفخريّ ، وأخرج

(1) « وهما من ألزام تنكز » (أي أتباعه) . السلوك 2 / 507 .

بقيّة أولاد السلطان الملك الناصر محمد من قلعة الجبل إلى قوص . فغضب لذلك الأمير طشتمُر نائب حلب وبعث يعيبه على ذلك و[أ]نكر على الأمير بيبرس الأحمديّ موافقة قوصون على هٰذا . فقبض قوصون على مملوك نائب حلب [1] ، وكتب إلى ألطنبغا يحذّره من موافقة نائب حلب ويستميله إليه . وسيّر له إنعاماً سنيًّا ووعده عدّة مواعيد . فمال إليه وصار من حزبه .

هٰذا وقد اتّفق الأمير قطلوبغا الفخريّ مع الناصر أحمد بالكرك على سلطنته ، ووافقه طشتمُر نائب حلب وغيره من الأمراء . فأخذ ألطنبغا يحترس على الطرقات ، وكتب يعرّف الأمير قوصون بذلك كلّه . فكتب إليه أن يتوجّه إلى حلب ويقبض على طشتمُر نائبها ، وكتب / إلى نوّاب صفد وحمص وحماه [221 ب] وطرابلس بالمسير معه ، وبعث إليهم بالتشاريف والخلع والنفقات .

فسار في يوم الجمعة [. . .] جمادى الآخرة ، وقد اشتدّ المطرُ ، والناس يدعون عليه أن لا يسلّمه الله ! – فإنّ العامّة كانت تكرهُه وتسبُّه في وجهه وتدعو عليه . فنشب سِنان شَطْفَتِه [2] من خلفه في سقيفة [فـ]ـانكسر فتَفاءلوا عليه بالشؤم .

ومضى فلقيَه أرقطاي نائب طرابلس على حمص . وكتب إلى طقزدمر نائب حماه أن يتلقّاه ، فاعتذر بوجع رجله – وكان قد مال مع الناصر أحمد ، وبلغَهُم عنه ذلك . فبعث إليه ألطنبغا مَن حلّفه أنه باقٍ على طاعة الأشرف كجك ، ومضى إلى حلب . فورد عليه الخبر في سلميّة بفِرار طشتمُر من حلب يريد بلاد الشرق حتى نزل أُبُلُسْتَيْن وتوجّه إلى قيصريّة [3] . فدخل ألطُنبغا حلب بغير مانع . وكتب يعرّف قَوْصون فرار طشتمُر . وأخرج أمواله وباع موجودَه .

---

(1) نائب حلب : هو طشتمر حمّص أخضر ، النجوم 10 / 31 .

(2) الشطفة : الراية .

(3) أبلستين : مدينة ببلاد الروم (الأناضول) قرب أبهس مدينة أهل الكهف .
قيصريّة : مدينة كبيرة بآسيا الصغرى (الأناضول) .

فأتاه الخبر بأنّ الأمير قطلوبغا الفخريّ قد سلطن الناصر أحمد بالكرك وسار من عنده إلى دمشق ، وقد مال معه آقسنقر السلاريّ نائب غزّة وأصلم نائب صفد وطقزدمر نائب حماه ، وٱستخدم بدمشق الأجناد وجمع الأموال من الناس وخرج إلى خان لاجين . فكتب يعرّف قَوصون بذلك . فجرّد [قوصون] من أمراء مصر بَرَسْبُغا الحاجب وأمير محمود الحاجب في جماعة ، وساروا في أخريات رجب إلى غزّة . فسار آقسنقر منها إلى قطلوبغا الفخريّ بدمشق . فسار من حلب إلى حمص وخَلّف من معه . ثم سار حتى وصل خان لاجين ظاهر دمشق ومعه عشرة آلاف فارس ، وقد برز إليه قطلوبغا الفخريّ في ثلاثة آلاف فارس . فتردّدت الرسل بينهما ثلاثة أيّام بلياليها فلم يرجع أحد منهما إلى صاحبه ، ووقف مع غَرضِه : ألطُنبُغا في نصرة قوصون ، والفخريّ في نصرة الناصر أحمد حتى ضجرت العساكر . ثم ركب ألطنبُغا بكرة نهار [. . .] [1] بمَن معه ليحمل على الفخريّ ، فمال مَن معه إلى جهة الفخريّ وصاروا معه . فلم يبقَ مع الطنبغا سوى أَرُقْطاي نائب طرابلس في قليل من أمراء الشام ، منهم أَسَنْبُغا ابن البوبكري وأَيْدَمُر المَرْقَبي . فساروا إلى المرج وقصدوا طريق صفد ، وأحمد مشدّ الشرابخاناه أحد أمراء طرابلس ، ومعه جماعة ، في طلبهم . فلم يقدروا عليهم وعادوا عنهم .

فخُطب في دمشق لأحمد الناصر ، وكان برسبغا ومن معه قد دخلوا غزّة فكتبوا إلى قَوصون بهَزيمَة قطلوبغا الفخريّ . ثم قدم عليهم ألطنبغا بمَن معه غزّة وقد بلغوا الجهد من التعب فنزلوا بها وبعثوا بخبرهم إلى قَوصون . فكثر اضطرابه وبعث لألطنبغا ومَن معه بالأقبية والأقمشة الفاخرة ، وكان ما أرسله لكلّ من ألطنبغا وأرقطاي ثلاثين بدلة قماش ، وثلاثين قبا ، مُسَنجباً [2] بطرز زركش ، ومائتي كلفتاه ، ومائتي خفّ ، سوى كساوي مماليكهما وغلمانهما وحاشيتهما .

---

(1) في السلوك 2 / 585 : من الغد ، دون تدقيق . ولا ذكر لليوم في النجوم 10 / 36 .

(2) مسنجب : محشوّ بفروٍ (دوزي : ألبسة 328) .

وشرع في تجهيز أمره للسفر ، فٱختلف الأمراء عليه وأمسكوه كما ذكر في ترجمته .

وكان ألطنبغا وأرقطاي قد سارا بمَن معهما من غزّة ونزلوا على مدينة بلبيس . فبعث إليهم قوصون بتلجك ابن أخيه أن يلقوه تحت القلعة في يوم الاثنين ثامن عشرين رجب . فلم يرحلوا عنها إلّا [1] يومَ الثلاثاء . وعندما وصلوا إلى سرياقوس جاءهم الخبر بركوب الأمراء على قَوصون ، وأنّه محصور بالقلعة . فساروا إلى بركة الحُجّاج ، وإذا بطُلْب قوصون مع مائة من مماليكه قد خرجوا حميّةً ليعرّفوهم ما بأستاذهم ، فمَضَوا كما هم حتى وصلوا تحت القلعة . فقصدهم / الأمير أيدغمش ومن معه من الأمراء وسلّم عليهم وأصعدَهم إلى [222 أ] القلعة . ثم قبض على ألطنبغا وأرِقطاي من الغد يوم الخميس مستهلّ شعبان في سبعة عشر أميراً .

وكتب بٱستدعاء الناصر أحمد من الكرك ، والأمير قطلوبغا الفخريّ من دمشق ، ويعلمهما بمَسك قَوصون وألطنبغا وأرِقطاي فيمَن أمسكه . فقدم الناصر أحمد وٱستقرّ في السلطنة . وبعث بألطنبغا وغيره من الممسوكين إلى الإسكندرية فسُجنوا بها ، ثم قتَلَهم واحداً بعد واحدٍ . فلمّا دخلوا على ألطنبغا وجدوه قد تأهّب للمَوت وتوضّأ وشدّ من تحته حفاظاً [2] وٱستقبل القبلة . فأخذوا يعنّفونه على فعله وهو لا يكترث بقولهم . فلمّا أكثروا عليه قال : نحن حفِظنا اليَمين التي حلفناها لابن أستاذنا – يعني الأشرف كجك – وبقِينا عليها إلى هذه الساعة .

فقالوا له : أوصِ بمَا تريد .

قال : ما لي أحدٌ أوصيه على ولدي ، وقد وكّلته إلى الله .

ثمّ ٱستلقى وغطّى وجهَه فخنقوه حتى مات ، وذلك في أوّل ذي القعدة

(1) في المخطوط : الى . وقراءتنا أوفق لما في النجوم 10 / 39 : فلم يوافقه على السرعة .
(2) حفاظ : حزام تحتيّ لاتّقاء الإسهال (دوزي) .

سنة ٱثنتين وأربعين وسبعمائة ، وقد تجاوز الخمسين سنة .

وكان خيّراً له دربة بالأحكام وطولة روح في المحاكمات ، مليح الشكل ، مجيداً للّعب بالرمح ورمي النشّاب والكرة ، فارساً معدوداً من الأبطال ، قويًّا لم يقدر أحد أن يصرعه . وكان سخيًّا لا يدّخر مالاً ، ولا يتجر ولا يعمر ملكاً ، فريدا في أبناء جنسه ، إلّا أنّه لم تساعده الأقدار في نيابته بدمشق . وكانت أيّامه كثيرة الشرور والأنكاد . وركب هواه في معاندة طشتمُر نائب حلب حتى كان ما كان .

839 - أَلْطُنْقُش الجماليّ [- 745] [1]

كان مملوك الأفرم ، ثمّ تنقّل في الخدم بعدَه . وولّاه الناصر محمد الشرقيّة . ثمّ ٱستقرّ أستاداراً لابن السلطان آنوك[2] ، ثم ٱستقرّ أستادار السلطان .

وكان شهماً كثير العصبيّة لمَن يُعنى به ، مع سوء معاملة .

ومات في سنة خمس وأربعين وسبعمائة ، وهو صاحب التربة بالقرب من جامع الماردانيّ .

840 - أُلْمَاس الحاجب [- 734] [3]

ألمَاس الناصريّ الحاجب . الأمير سيف الدين ، أحد المماليك الناصريّة محمد بن قلاوون .

(1) الدرر 1 / 438 (1061) ؛ السلوك 2 / 674 ، وهو فيه ألطنقش بالقاف .
(2) آنوك ابن محمد بن قلاوون ، ترجمته آتية برقم 847 .
(3) الوافي 9 / 370 (4296) ؛ الدرر 1 / 438 (1063) ؛ النجوم 9 / 301 ؛ المنهل 3 / 89 (548 م) ؛ السلوك 2 / 365 .

ترقّى في الخدم حتى صار من أكبر أمراء الدولة ، وٱستقرّ حاجباً . فلمّا أخرج السلطان الأمير أرغون النائب إلى نيابة حلب شغر منصب النيابة ، فعظُمت رتبة ألمَاس وجلس في منزلة النيابة ، إلّا أنه لم يسمّ بالنائب ، وركبت الأمراء في خدمته عن آخرهم ، وجلس بباب القلّة من قلعة الجبل في رتبة النيابة ، ووقف الناس بين يديه .

وما زال على ذلك إلى أن حجّ السلطان سنة ٱثنتين وثلاثين [وسبعمائة] وتركه بالقلعة ومعه الأمير جمال الدين آقوش نائب الكرَك ، والأمير أقبغا عبد الواحد ، والأمير طشتمُر حمّص أخضر ، ولم يدع سوى هؤلاء الأمراء ، بل أخذ منهم طائفة في خدمته وفرّق بقيّتَهم في أعمال مصر ، وتقدّم إليهم أن [لا] يدخلوا القاهرة حتى يعود من حجّه .

فلمّا قدم من الحجاز تغيّر على ألمَاس وقبض عليه في صفر . وذلك أنّه بلغه عنه أنّه كان مدّة الغيبة يراسل آقوش نائب الكرك ويُواددُه – وكانت العادة أنّ الأمراء لا يخالط أحدٌ منهم الآخَرَ – وأنّه بدت منه مع ذلك قبائح من معاشرة الأحداث ومن كلام حُفظ عليه في حقّ السلطان ، وأنّه شُغف بشابٍّ من أولاد الحسينيّة خارج القاهرة يعرف بعُمَيْر كان ينزل إليه ويجمع الأويراتيّة مع عُمَير هٰذا ويعاقرهم الخمر . وأضيف إلى هٰذا كلّه أنّ الأمير بكتمُر السّاقي لمّا مات بطريق الحجاز وُجد فيمَا وُجِد له حُرَمْدان[1] فيه جواب ألمَاس له يتضمّن : إنّي أحفظُ لك القلعة إلى أن تجيء .

فلم يحتمِل السلطان ذلك ، وسلّمه بعد القبض عليه / لأقبغا عبد الواحد ، [222 ب] فخُنق بعد ثلاثة أيّام بقلعة الجبل في ليلة الثاني عشر من صفر سنة أربع وثلاثين وسبعمائة . وحُملَ إلى جامعه خارج باب زويلة فدُفن فيه . وأحيط بمَوجوده فوُجد له ستّمائة ألف درهم فضّة وأربعة آلاف دينار ذهباً وفلوس بمائة ألف

(1) الحُرَمْدان : كيس أو خريطة من جلد (دوزي) .

درهم ، وثلاثون حياصة من ذهب ، ومثلها كلوتات من ريش ، ومثلُها خِلع حرير ، سوى جواهر وتحف نفيسة . وأُخذ رخام داره المجاور لجامعه وكان فاخراً .

وكان ألمَاس أغتَمَ لا يعرف العربيّة ولا يفهم منها شيئاً .

841 - الحاج أَل ملك [- 747][1]

أَل ملك ، الأمير سيف الدين . الحاج .

أخذه الظاهر بيبرس في سنة ستّ وسبعين وستّمائة من كسب الأَبُلُسْتَين لمّا دخل بلاد الروم ، فصار إلى الأمير قلاوون فأنعم به على آبنه أمير عليّ .

وترقّى في الخدم أيّام سلطنة المنصور قلاوون حتى صار من الأمراء . وطالت أيّامه ، فآستقرّ في الأيّام الناصريّة محمد بن قلاوون من رؤوس المشور . وما زال جليل القدر حتى كانت أيّام الناصر أحمد بن محمد [فـ]ـأخرجه إلى نيابة حماه . وأعاده الصالح إسمَاعيل بن محمد وعمله نائب السلطنة بديار مصر عوضاً عن أقسنقر السلّاري في يوم الجمعة ثاني عشر المحرّم سنة أربع وأربعين [وسبعمائة] ، وجلس من الغد بشبّاك النيابة .

وأوّل شيء بدأ به أن بعث والي القاهرة إلى خزانة البنود بالقاهرة فكسّر ما فيها من أواني الخمر وأخرج منها الأسرى ، وكان الناصر محمد قد أسكن بها النصارى المأسورين عند مجيئه من الكرك ، فكثُر عددُهم وأكثروا من آعتصار الخمر حتى بلغت عدّة جرار الخمر الذي اعتصروه في سنة واحدة آثنتين وثلاثين ألفَ جرّةٍ وتظاهروا ببيع الخمر فقصدهم أهل الفسوق من الرجال والنساء

....

(1) الوافي 9/ 372 (4297) ؛ الدرر 1/ 439 (1064) ؛ المنهل 3/ 85 (547) ؛ النجوم 10/ 175 ؛ السلوك 2/ 723 .

والمردان ، وصارت حانة يُعلن فيها بأنواع الفواحش من الزنا واللواط والقمار وشرب الخمر ، وأنفَسَدَ بها كثير من نساء الناس وأولادهم ، ولم يقدر أحدٌ على إنكار ذلك .

فنزل إليها الوالي والحاجب وأزالوا ما كان بها من الفساد وهدموها كلَّها . وأشترى الأمير قماري الأستادار أرضها وحكّرها فبُنِيَت بها الدور .

وطلب الأمير أَل ملك أيضاً والي قلعة الجبل وألزمَه أن يكبس بيوت الأسرى بها ويريق ما بها من الخمور ، ففعل ذلك وأنزلهم من القلعة ، فسكنوا في مواضع وزال بذلك فساد كبير .

ومنع من نصب الخيم على شاطىء النيل وكانت من أعظم المفاسد فانكفّ الناس عن التظاهر بالمعاصي .

وأنعم عليه زيادة على إقطاع النيابة بناحيتَي المطريّة والخصوص من الضواحي وعبرتهما أربعمائة ألف وخمسون ألفَ درهم . وصار إذا شُكي إليه والي عمل كتب إليه في ظهر قصّة الشاكي ، وينكّت على الناس فيمَا يوقّع به : فوقّع لأمير عشَرة طلب زيادة على إقطاعه بمَائتي فدّان من الجبل الأحمر ! ووقّع على قصّة سأل رافعُها أن يقسّط ما عليه من الدَّين بمَا مقاله : [بسيط] :

ومن تقاضى ديون الناس يوفيها

وأرتفع إليه جنديان قد تقايضا[1] بإقطاعيهما وزاد أحدهما الآخر مبلغاً . فأخرج الإقطاع عنهما وحمل المبلغ لبيت المال .

وبعث بمَرسوم السلطان إلى الأعمال بإبطال جميع ما أستجدّ في الدول المنصوريّة أبي بكر والأشرف كجك والناصريّة أحمد والصالحيّة [إسمَاعيل] من

---

(1) تقايضا : تبادلا .

راتب أو رِزْقَةٍ[1] أو إقطاع وأن تعود الأمور على على ما كانت في الأيام الناصريّة محمد . وجدّ في إراقة الخمور ومعاقبة شَرَبَة الخمر . فلم يوافق الوقت ، وثقل على أهل الدولة وكرِهَهُ حاشية السلطان ، فإنّه كان إذا طلب منه أحد إقطاعاً أو مرتّباً يقول له : آذهب إلى باب الستارة وآطلب فلان الطواشي – أو : توسَّلْ إلى بعض المغاني[2] تقضي حاجتك .

[223 أ] فلمّا قام شعبان في طلب السلطنة بعد أخيه الصالح إسمَاعيل / لم يوافق الحاج أل ملك على أن يكون سلطاناً . فغلب وتسلطن شعبان الكامل . وأخذ أل ملك يستعفي من النيابة ، فصرفه عنها وولّى عوضه الأمير آقسنقر الناصريّ نائب طرابلس .

وخلع عليه في يوم السبت ثالث عشر شهر ربيع الآخر سنة ستّ وأربعين وآستقرّ في نيابة الشام عوضاً عن الأمير طقزتمُر وأخرج من يومه على البريد . فلم يدخل غزّة حتى لحقه البريد بتقليده نيابة صفد وأن يكون آبنُه وابنُ أخيه بحلب . فباشر نيابة صفد وتشدّد على عادته في إنكار المنكر إلى أن بعث إليه الكامل بمنجك السلاح الدار يستدعيه إلى مصر على إقطاع الأمير جنكلي بن البابا بعد موتة ، فسُرّ بذلك وخرج من صفد أوّل المحرّم سنة سبع[3] وأربعين ومعه تقدمة السلطان فيها نحو سبعين فرساً وكثير من الهجن والبخاتي ، وعشرون بقجة قماش .

فلمّا وصل غزّة قبض عليه وقُيِّد وأحيط بمَا معه ، وحُمل سيفُه إلى السلطان على العادة ، وحُمل هو إلى الإسكندرية فسُجن بها . فوُجد في شُوَنِه نحو ثلاثين ألف إردبّ غلّة .

وما زال محبوساً حتى قُتل في محبسه ، ونُقل إلى القاهرة فدُفن يوم الجمعة

(1) الرزقة : الاعطية ، وخصوصاً ما يعطى لنفقات المساجد .
(2) المغاني هنا : المغنّيات المطربات في الحفلات .
(3) في المخطوط : ثمان . والإصلاح من السلوك 2/ 699 .

تاسع عشر جمادى الآخرة سنة سبع وأربعين وسبعمائة .

وله بالقاهرة مدرسة وحمّام ، وبالحسينيّة جامعٌ . وكان جمّاعاً للمال يفعل فيه الخير ، ويحبّ أهل العلم والصلاح . وخرّج له الشهاب أحمد بن أيبك [الدمياطي] مشيخة حدّث بها وهو بشبّاك النيابة من القلعة .

وكان مهاباً محتشماً .

842 - أميّة بن عبد العزيز [(460) - 529][1]

أميّة بن عبد العزيز ، الحكيم ، الأديب البارع ، أبو الصلت ، الإشبيلي[2] . قدم مصر في سنة ستّ وتسعين وأربعمائة . وهرب منها في سنة ستّ وخمسمائة ، وذلك أنّه غرق مركب من مراكب الديوان بالإسكندرية وفيه جملة من مال السلطان ، فعظم ذلك على قاضي الإسكندرية ومشارفها مكين الدولة وأمينها أبي طالب أحمد بن عبد المجيد بن حديد . فجاءهم أبو الصلت ، وكان بالإسكندرية ، والتزم بإخراجها من البحر بجميع ما فيها من البضائع . فبعث ابن حديد يستأذن الأفضلَ ابن شاهنشاه أمير الجيوش في ذلك فأذن له . فاقترح أبو الصلت عليه عملَ حبالٍ من الحرير الخوارزميّ والجرجانيّ الرفيع ، وإحضار السِّنْدِيان الأسود لعمل ذلك ، فأحضر له ذلك .

وأراد ابن حديد أن يجمع له مَن في البلد ليجرّ الحبالَ فأبى [أبو] الصلت وقال : « جمع قليل يكفِي » . وخرج ابن حديد والناس عندما فرغ أبو الصلت من عمله ليرَوا جرّ المركب . فانتخب أبو الصلت مائة وخمسين رجلاً لجرّ المركب[ـة] بعدما أحكم الحبال فيها وهي غارقة في البحر . فلم يزالوا في جرّها إلى

(1) الوافي 9 / 402 (4333) ؛ معجم الأدباء 7 / 52 ؛ وفيات 1 / 243 (104) ؛ الخريدة (قسم المغرب) 1 / 91 ؛ ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء 501 .

(2) في الوفيات وغيرها : الدانيّ .

أن ظهرت . فكاثر الرجالُ في الجرّ فأنقطعت الحبال وردّت في وجوه الناس وصدورهم فأتلفَتْ عدّةً منهم . وشقّ على آبن حديد تَلَفُ الحبال . فغضب أبو الصلت منه لإعراضه عن استحسان ما فَعَله . وصوّت استهزاءً به في الملإ العظيم من الناس . فطالع آبنُ حديد الأفضَل بذلك وأغراه بأبي الصلت وأنّه أتلف المالَ وأنّه أثّر في الرجال آثاراً قبيحةً ، ولم يفِ بالشرط بإخراج المركب . فأعيد الجوابُ بحمله فحُمِل إلى القاهرة وسُجِنَ بالمعونة ، وفيه ألّف كتاب الحديقة ورسالة الأسطرلاب .

ولمّا فرّ لحق بيحيى بن المعزّ بن باديس الصنهاجيّ صاحب المهْديّة وأقام بها حتى مات يوم الاثنين مستهلّ المحرّم سنة تسع وعشرين وخمسمائة .

وكان كما قال في حقّه العماد الأصفهانيّ أوحد زمانه وأفضل أقرانه ، متبحّراً في العلوم ، وأفضل فضائله إنشاء المنثور والمنظوم . وكان له القدرة على علم الأوائل ، وله الباع الأطولُ في المنطق والأصول . وله مصنّفات ، منها : / [223 ب]
الحديقة ،على أسلوب يتيمة الدهر للثعالبيّ ، والرسالة المصريّة ، تجري مجراها . وله : تقويمُ الدهر في المنطق ، وغير ذلك . وله ديوان شعر فائق .

843 – **أمير كاتب** [685 – 758][1]

أمير كاتب ، ابن أمير عمر ، العميد ، ابن العميد أمير غازي ، الشيخ قوام الدين ، أبو حنيفة ، الفارابي ، الأتقاني ، الحنفي .

ولد بأتقان ليلة السبت تاسع عشر شوّال سنة خمسٍ وثمَانين وستّمائة . وقدم دمشق في عاشر رجب سنة سبع وأربعين وسبعمائة ، وآجتمع بنائبها الأمير

(١) المنهل 3 / 101 (554) ؛ الدرر 1 / 442 (1078) ؛ النجوم 10 / 325 ؛ السلوك 3 / 37 .

سيف الدين يلبغا اليحياوي ، وأختصّ به . وذكر له مسألة رفع اليدين في الصلاة وادّعى بطلانَ الصلاة بالرفع . فقام عليه قاضي القضاة تقيّ الدين السبكيّ ووهّى قوله .

ثم إنّه طُلب إلى القاهرة فقدمها ثاني ربيع الأوّل سنة إحدى وخمسين فراح على الأمير صرغتمش فعظّمه ، وولّاه تدريس مدرسته لمّا بناها بالصليبة خارج القاهرة .

وكان قد قام في أيام الملك الصالح صالح[1] على الشافعيّة ، وسعى في إبطال المذهب جملة حتى كاد يتمّ ذلك ، لولا [أن] تدارك الله بلطفِه وخيّب سعيَه .

ومات يومَ السبت حادي عشرين شوّال سنة ثمان وخمسين وسبعمائة بالقاهرة .

وكان قيّماً بمَذهبه – كتب شرحاً كبيراً على الهداية[2] – شديدَ التعصّب على الشافعيّة ، يتظاهر بتنقُّصِهم والطعنِ عليهم ، ويصرّح بأنه لو تَحَكّمَ فيهم لأتلَفَهم ، ويتمنّى ذلك ويجتهد فيه ويبذل جهدَه في إزالتهم من أرض مصر والشام .

وكان شديدَ الإعجاب بنفسِه كثيرَ المدح لها والفخر على الناس ، يرى أنّ كلّ أحدٍ دونَه .

وكان عارفاً بالعربية واللغة ، يقول شعراً سمجاً .

(1) تسلطن الملك الصالح صلاح الدين صالح ابن الناصر في جمادى الثانية سنة 752 .
(2) واسمه غاية البيان (المنهل) .

844 - أنص الملك المجاهد [- 723][1]

ابن السلطان الملك العادل كتبغا .

ولد بمِصر ونشأ بها . وعانى الفروسيّة ، وأكثر من الرمي بالسّهام حتى كان يرمي على قوس زِنتُه تُنيف على مائة وثمَانين رطلاً بالمصريّ .

وشهد مع الملك خليل حصار عكّة وأصاب كثيراً من أهله بسهامه ، فصوّب عليه أحدهم بسهم أصابت عينَه حتى خرج النصلُ من قفاه فتلِفت عينُه ، ثمّ بعد قليل ذهب ضوءُ أختِها . فلمّا ملك أبوه لقّبه بالمجاهد .

حجّ في سنة أربع وتسعين وستّمائة ، ومعه الأمير سيف الدين طجغي [2] وغيرُه من الأمراء . ففرّق مالاً عظيماً : أنعم على الشريف أبي اليمن أمير مكّة بعشرين ألفَ درهم ، وعلى أولاده بعشرة آلاف درهم ، وعلى الأمير طجغي بمائة وستّين ألفَ درهم ، منها بدلة كلّها زركش فيها قبَا تتريّ فيه ألف دينار . وفرّق على الغلمان والفقراء ثمَانين ألفَ درهم .

وعمِل طولَ الطريق روايا مملوءةً سكّراً وسويقاً ونحوه . وفرّق حلوى كثيرة حتى بيعت العلْبَة [من] الحلواء بدرهمَين والرطل السكّر بدرهم ونصف . وخلع على جميع مَن معه من الأمراء والأجناد وغيرهم .

فلمّا ثار الأمير حسام الدين نائب السلطنة بمَنزلة العوجاء من طريق الشام على الملك العادل كتبغا ، وهزمه ، وتسلطن عِوضه [3] ، طار الخبر إلى مصر ، فأراد الأمراء المقيمون بديار مصر إقامة المجاهد ابن كتبغا في السلطنة . وأخرج

---

(1) الدرر 1 / 445 (1081) ؛ السلوك 2 / 252 .

(2) هكذا في المخطوط ، ولعلّه : طغجي .

(3) تسلطن لاجين في محرّم 696 ؛ السلوك 1 / 826 .

الأمير كرتاي نائب الغيبة المالَ لنفقة العساكر ، وتحليفهم للمجاهد . فقال المجاهد : متى سُمع أنّ السلطان كان أعمى ؟ وليس قصدي سوى الحياة ، وهٰذا يوجب قتلي[1] .

وآمتنع منهم إلى أن حضر طقسبا الظاهريّ من قبل لاجين ، وحلّف الأمراء له ودخل على المجاهد فقال له : إن مات أبي ، فما مات مهما كان عمّي يعيش — يعني لاجين .

فلمّا قدم لاجين وملك قلعة الجبل رعى له ما فعلَه وأكرمه وخلع عليه ،
[224 أ] وأنزله في بيت أبيه بالقاهرة . فآستمرّ به إلى أن مات يوم الثلاثاء ثالث المحرّم / سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة .

وكان كريمًا حشماً جميلاً ذكيًّا . يركب مع عماه إلى الصيد ، وكأنه ذو عينين ، لا يخطىء في حركة من الحركات ، ما بين إرسال الجارح على الصيد ، وسَوق الفرَس تحتَه ونحو ذلك . وإذا وقف له أحد وسمع حسّه رماه بالبَندق فلا يخطئه . وكانت مواهبُه وعطاياه خارجةً عن الحدّ في الكثرة .

وكان السلطان الملك الناصر يعزّه إذا حضر إليه ويكرمه ويسائله عن حوائجه ، ويقول : ما أحسنَ إليّ أحدٌ بعد موت أبي ما أحسنَ إليّ [أنص][2] هٰذا . وكانت إخوته تسيءُ عليّ الأدب وتهيُنني . فإذا بلغه ذلك عنهم أَخرَقَ بهم ، وطلَبني ، وأكرمني ، وأجلسني على مخدّة ، ويرضيني بكل شيءٍ حسن ، ولا يخاطبني إلّا بـ « سيّدي » ويبرّني بذهبٍ له صورة .

فلمّا مات أكرم السلطانُ أولاده وأقرّهمْ على أوقافهم ، واشترت خوند طغاي أم أنوك[3] دار أبيه كتبغا بالقاهرة بمائة وعشرين ألف درهم .

---

(1) في الدرر : وهٰذا يعجّل موتي ، وأنا لا أبصر .
(2) الزيادة من الدرر 1 / 446 .
(3) هي زوجة الناصر ابن قلاوون (ت 749) .

845 – أنوشتكِين الدِزْبري [– 433] [1]

أنوشتكِين أبو منصور الدِزْبِريّ التركيّ الختني .

كان يلقّب بالأمير المظفّر ، أمير الجيوش ، عدّة الإمام ، سيف الخلافة ، عضد الدولة ، شرف المعالي ، منتخب الدولة ، مصطفى الملك .

ولد بختن[2] من بلاد [ما] وراء النهر . وسُبِي فبيع بكاشغر . وهرب منها إلى بخارى فاسترقّ بها وحُمل إلى بغداد وبيع بها . وجلب إلى الشام ، فٱشتراه بدمشق القائد دزبر بن أوتيم الديلمي في سنة أربعمائة ، وربّاه فعُرف بالشهامة والشجاعة وإصابة الرأي . وٱشتهر ذكره حتى اتّصل خبره بالخليفة الحاكم بأمر الله أبي علي منصور ابن العزيز ، فٱستدعى به من القائد دزبر فحمله إليه ومعه هديّة سنيّة ، وسيّره من دمشق فدخل إلى القاهرة في سنة ثلاث وأربعمائة .

ومثل بحضرة الحاكم فجعله من جملة الغلمان الحجريّة . وظهر منه عقل وأدب وشجاعة وفطنة وذكاء فأمره بلزوم الخدمة من سنة خمسٍ وأربعمائة . فواظب خدمة الحاكم فأعجب به ، وأحبّه الأجناد ، فطوّقه الحاكمُ وسوَّره وجعله قائداً وبعثه إلى الشام مع سديد الدولة ذي الكفايتين أبي الحسن علي بن أحمد المعروف بالضيف في سنة ستّ وأربعمائة .

فلمّا قدم دمشق تلقّاه القائد دزبر الذي كان أستاذه وترجّل له عن فرسه إلى الأرض وقبّل يده وأهدى إليه عدّة هدايا . فلمّا عاد إلى القاهرة من هٰذه السفرة ، لازم الخدمة . ثمّ خلع عليه وجرّد في السفارة .

ثمّ ولي بعلبك فظهر منه عدل في أحكامه وإنصافٌ للرعيّة . وكثر الثناء

(1) الوافي 9/ 425 (4361) ؛ ذيل تاريخ دمشق 71 .

(2) ختل باللام في الذيل .

عليه . فٱستدعي إلى القاهرة ، وسار حتى بلغ العريش . وتلقّاه كتاب [بـ]ـولاية قيساريّة فتأفّف من ذلك ، وسار إليها من العريش . ثمّ إنّه ٱستدْعِيَ من قيساريّة إلى الحضرة . فلمّا وافى الرملة خرج إليـ[ـه] سجلّ بولاية فلسطين [من] قبل الظاهر لإعزاز دين الله عليّ ابن الحاكم ، فقدمها في المحرّم سنة أربع عشرة وأربعمائة .

فخافه حسّان بن مفرّج ، وكانت له معه حروب كثيرة كان له في جميعها الظفر . فنمّى عليه حسّان وأغرى به الوزير حسن بن صالح الروذباريّ فتوغّر صدره عليه ، وسعي به إلى أن قبض عليه بعسقلان في سنة سبع عشرة وأربعمائة . فقام في أمره الأستاذ سعيد السعداء صاحب القلم عند الظاهر ، إلى أن أعاده إلى الخدمة ، وردّ عليه إقطاعـ[ـه] وأمواله .

ولم يزل بالقاهرة إلى أن فسد أمر بلاد الشام بتغلّب العربان عليها . وٱقتضى الحال إخراج عسكر من القاهرة فعيَّنَه الوزير عليّ بن أحمد الجرجرَّائيّ / وأقامه [224 ب]
على العسكر وكتب له أمير الجيوش وأطلق له خمسة آلاف دينار وأصحبه صدقة ٱبن يوسف الفلاحيّ ناظراً في الأموال ، وذلك في ذي القعدة سنة تسع عشرة وأربعمائة . وخرج في سبعة آلاف فارس سوى العرب والرجّالة . وركب الظاهر لوداعه .

وسار إلى الرملة ثم إلى القدس ، وجمع العساكر ، وحارب حسّان بنَ مفرّج وأوقع بصالح بن مرداس ، فٱنهزم منه حسّان ، وقتل صالح ، وٱستباح عسكريْهما . وبعث بذلك إلى المستنصر فأجيب بالثناء والشكر ، وزيد في ألقابه : منتخب الدولة ، سيف الإمامة ، عدّة الخلافة ، مصطفى الملك .

وسار بعد هٰذه الوقعة إلى حلب فحاربه صاحبُها شبلُ الدولة صالح بن نصر بن مرداس على حماه . فقتل في سنة تسع وعشرين ، وحمل رأسُه إلى القاهرة . وعاد الدزبري إلى دمشق ، ثم سار عنها إلى حلب ، وملكها . وقد كتب له المستنصر بمَملكة حلب ملكاً ، فأحسن إلى أهلها . واستولى على بالس

ومنبج . ثم عاد إلى دمشق . وكانت بينه وبين الروم في سنة ثلاثين وأربعمائة حروب ظفَّره الله فيها ونصره . وبعث إلى الخليفة المستنصر بالله نزار ابن الظاهر بِخبر ذلك . فأجيب بالثناء عليه والشكر وزيد في ألقابه : عدّة الإمام .

ولمّا عظم شأنه ٱطّرح الوزير الجرجرائيّ وقصّر به ، فغضب من ذلك .

وظهر في سنة ٱثنتين وثلاثين وأربعمائة بقلعة حلب نصف رأس زكريا النبي عليه السلام ، في جُرْنٍ من رخام مكتوب عليه ٱسمه ، وهو باقٍ بلحمه . وكان هٰذا الرأس ظهر بطبريّة وحمل منها إلى حلب في أيام سيف الدولة [. . .][1]، فبنى عليه الدزبري ضريحاً .

وسار إلى أرمناز[2] وجاهد الروم مرّة ثانية وٱستخلص منهم عدّةً من المسلمين كانوا عندهم في الأسر . وعاد إلى حلب . ثم سار منها إلى دمشق في سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة وأقام بها وشرع في بناء الإمارة بها . فاتّصلت به أمور من جهة مصر ، وأنّ الجرجـ[ـرّ]ائيّ في التدبير عليه . فٱقتضى ذلك نفوره ، وأعمل الحيلة في المسير إلى حلب . وأحسّ به العسكر فثاروا عليه وقاتلوه ونهبوا دار الإمارة بدمشق ، فانهزم ليلاً وخرج إلى حلب فوافاه بها كتاب المستنصر يتضمّن مخاطبتَه بغير ألقاب ، ويقبّح عليه فعله ، ويزري به ويعدّد مساوئَهُ ويهدّد تهديداً كثيراً . فأجاب وهو يطلب العفوَ وٱعتذر عن مسيره إلى حلب . فلم يُقم غيرَ ليال قليلة ومات يوم الأحد رابع عشرين جمادى الأولى سنة ثلاث[3] وثلاثين وأربعمائة . فدُفن بحلب ثم نقل منها إلى بيت المقدس . وكتب المستنصر إلى سائر البلاد الشاميّة بأنّ تابوته إذا مرّ ببلد يخرج أهل تلك البلد ويصلّون عليه ويَمشون خلفه . وسُيِّر إليه ثوب من ثياب الخليفة كُفّن فيه . وحُمِلَ من حلب إلى

(1) هنا كلام مقحم : وبين عساكر المصريّين غلب فيها سيف الدولة وحمَلَه الى حلب .
(2) أرمناز : على خمسة أميال من حلب .
(3) في الاتّعاظ 2 / 188 : نصف جمادى الآخرة 432 . وفي الذيل 78 : جمادى الأولى 436 . وفي ترجمة ثمال بن مرداس (رقم 1045) : في النصف من جمادى الأولى .

القدس ، فلم يَمُرّ ببلد من البلاد ، إلّا خرج عامّة أهله وصلّوا عليه ومشَوا خلف تابوته وشيّعوه حتى دُفن بالقدس .

وكان رحمه الله حسن السيرة محمود الطريقة وافر الذكاء ، مظهراً للعدل متينَ الدين . وفي آخر عمره انحرف عن مذهب الإسمَاعيليّة ، وكان هذا أعظم أسباب الوحشة بينه وبين أهل الدولة بمِصر .

وخلّف بعد موته ستّمائة ألف دينار عيناً ، وترك آلاتٍ وعُروضاً قوّمت بمائة ألف درهم . ونهب له من القصر بدمشق مائتا ألف دينار . ووجد له بديار مصر وبلاد فلسطين مبلغ مائتَي ألف دينار . ووُجد له عند التجّار مبلغ خمسين ألفَ دينار .

وكانت له مائدة من الفضّة تنقسم على أربع قطع وتجتمع بزرافين حسنة الصنعة ، وزنها بالرطل الشاميّ / مائة وثلاثون رطلاً . [225 أ]

وكان إذا دخل إلى مدينة يكون معه ألف بوق وستّمائة قصبة فضّة وثلاثمائة بوق فضّة صغار ، وثلاثمائة جنيب ، منها ثلاثون عليها سروج الذهب والزمرّد والعنبر .

ومن جميل أفعاله أنه لمّا كان بالقاهرة بلغه أنّ ببعض بلاد الصعيد نخلة تحمل في كلّ سنة عشرة أرادب تَمراً فأخذها ، فلم تحمل في تلك السنة شيئاً . فقيل له : إذا ظلم السلطان انْتُزعت البركة — فتاب إلى الله تعالى من الظلم وترك النخلة لأربابها .

وكان خليج الإسكندرية لكثرة ما فيه من الأسماك ، تُمسك بالأيدي ويأخذها الصبيان ، فضمنه ، فلم يؤخذ منه في تلك السنة شيءٌ ، ولا وجد في الخليج سمكة واحدة .

وورد عليه كتاب عبد الصمد بن أبي الفوارس صاحب طرابلس يعرّفه فيه غرَق شلنديين ، ونصّه بعد البسملة : أعرّف الأمير أعزّه الله — أي حفظه الله —

أنّ شلنديين – أي مركبين – صقعا من جانب البحر – أي غرقا – من شدّة موجه فهلك من فيهما – أي تلفوا .

فكتب إليه يوسف بن عليّ الفلاحي وزير الدزبري بدمشق عنه : ورد كتابك – أي وصل – وفهمناه – أي علمنا ما فيه – فأدّب كاتبَك – أي اصفعه – واستبدل به – أي اعزله – فإنّه مائق – أي أحمق – والسلام – أي انقضى الكتاب .

فأعجب الدزبري ذلك وأعطاه ألفَ دينار .

ويقال : إنّ الدزبري مات مسموماً لكثرة معاداة الجرجرائي له ، وأنّه هو الذي بعث إلى أهل دمشق حتى قاتلوه ونهبوا ماله ، والله أعلم .

والدِّزْبِريّ بدال مهملة مكسورة ثم زاي معجمة ساكنة من بعدها وباء موحّدة مكسورة وراء مهملة : نسبة إلى مولاه دِزْبر بن أويتم الديلمي .

ولأنوشتكين هٰذا صنّف أبو العلاء أحمد بن سليمَان المعرّيّ كتاب « شرف السيف » وقد بلغه عنه كلام جميل وتوجّه إليه بالسلام ويحفي المسألة عنه فأراد جزاءه على ما فعل .

وصنّف له أبو الهيجاء فارس بن حسن بن منصور بن البلخي البتهاني والد أبي الوحش غضنفر بن فارس كتاباً في سيرته .

وتزوّج أنوشتكين شوّاقة ابنة صمصام الدولة .

846 – أنوش الدرزي [– بعد 410] [1]

أنوش [تكين] البخاري الدرزي ، أبو عبد الله – وسمّاه بعضهم محمد بن إسماعيل ، أحد موالي الأتراك .

---

(1) انظر دائرة المعارف الإسلاميّة ، 2/140 (الدَرَزيّ) و 2/647 (دروز) ، واتّعاظ الحنفاء 2/118 ، وأخبار الدول المنقطعة لأبن ظافر 53 .

سلك طريق حمزة اللبّاد الزوزنيّ[1] في القول بحلول الإلاه سبحانه في الحاكم بأمر الله أبي عليّ منصور ابن العزيز نزار ، ودعا الناس إلى ذلك فكثرت أتباعُه وأصحابه ، وعلّق على باب داره سلاحاً كبيراً . وسمّى نفسَه سيِّدَ الهادين[2] ، وحياة المستجيبين . فكان الحاكمُ إذا ركب تعرّض له وخلا به ، إلى أن كان اليوم الثاني عشر من صفر سنة عشر وأربعمائة ، [فـ]ـاجتمعت طائفة من أصحاب الزوزنيّ على خيول وبغال ، ودخلوا الجامع العتيق بمِصر ركباناً ، وهم يُعلنون مذهبهم ويجهرون بإلحادهم . وتقدّم ثلاثة منهم إلى مجلس قاضي القضاة أبي العبّاس أحمد بن محمد [بن أبي] العوّام[3] ، والمتحاكمون ينتظرونه ، فتكلّموا بكلام أنكره الناس [فـ]ـضجّوا بالتكبير والتهليل والثناء على الله تعالى . فاجتمع أهل مصر بالجامع من كلّ جهة فصار تسبيحهم كأنّه دويّ الرعد . وتقدّم بعضهم فتلقّى القاضي ، وقد أقبل في موكبه يريد الجامع فعرّفه الخبر . فلمّا استقرّ في مجلس الحكم تقدّم إليه أحد الثلاثة وناوله رقعة من الزوزنيّ يأمره فيها بمَذهبه ويدعوه إليه . فقال له : « حتى أدخل إلى حضرة مولانا وأسمع كلامه » ، وطاوله[4] في الكلام ساعة فثارت العامّة بالرجل وقتلوه ورفيقيه جميعاً وأخذوا باقيَهم بالضرب حتى قتلوهم شرّ قتلةٍ . وتتبّعوا مَن كان على مثل رأيهم من أهل البلد فقتلوهم ، وجرّوا بأرجلهم في الطرقات / [225 ب]
وحرّقوهم . فبعث الحاكم من يومه فعزل متولّي الشرطتين وولّى غيرَه وطلب مَن أوقع بأصحاب الزوزني فقبض على أربعين رجلاً وقتلوا في أوقات متفرّقة .

فحنق عامّة العسكر والرعيّة واجتمع الأتراك لسبع بقين من صفر على دار أنوش تكين هٰذا يريدون أخذه ، فامتنع بها وقاتلهم من أعلاها فقاتلوه ، وهدموا

---

(1) حمزة بن علي بن أحمد الزوزنيّ اللبّاد ، دائرة المعارف 3 / 157 .
(2) سند في مخطوطنا وفي الدول المنقطعة والاتّعاظ . وسيّد في قراءة دائرة المعارف .
(3) القاضي ابن أبي العوّام (ت 418) .
(4) الذي أطال الكلام هو صاحب الزوزنيّ .

داره ونهبوها وقتلوا من أتباعه أربعين رجلاً ، وخلص هو منهم فارًّا فلم يقدروا عليه وصار إلى القصر . فلبس الأتراك السلاحَ وأرسلوا إلى الحاكم يسألونه أن يدفع إليهم أنوش تكين. وقالوا : نحن لا نمْنعك أن تتصرّف في ملكك كيف شئتَ . وهٰذا الرجل منّا ، ونحن لا نتركه .

فوعدهم بتسليمِه إليهم . فأنصرفوا عن القصر . فلم يبعثه إليهم . فركبوا في يوم الجمعة من الغد وَراسلوه في إنفاذه إليهم فخرج الجواب بأنّه قد قتله . فزحفوا بأجمعهم ومعهم بقيّة العسكر إلى مسجد ريدان يريدون الزوزني ، فلم يجدوه وأحرقوا باب المسجد وعادوا . فأشتدّ غضب الحاكم علىَ الأجناد في ربيع الأوّل ، ثم رضي عنهم في ربيع الآخر ، وطيّب قلوبَهم ، وأجرى الواجبات عليهم .

فلمّا دخل جمادى الآخرة أخذ يدبّر على أهل مصر وسلّط طوائف الرجّالة ، وتقدّم إلى مقدّمي السودان وغيرهم بمَا يفعلونه : فكانوا ينزلون إلى مدينة مصر طوائف فيكبسون الحمّامات نهاراً ويأخذون النساء ويلجون الدور ويسلبون الناس في الطرقات ليلاً ونهاراً . ثم وُجدت عدّة رقاع في المساجد تتضمّن تهديد أهل مصر بالقتل والحَريق ونهب المال وسبي الحريم فتزايد ضرر النّاس . وفتحت حوانيت البزّازين ونُهِب ما فيها ، والناس يصيحون من أعلى الدور فلا يجدون مَن يغيثهم . وصارت الحوانيت مفتّحةً ، والبلد في حركة شديدةٍ من نقل الأمتعة من الحوانيت إلى الدور .

ثم نزل جمع كبير من العبيد إلى مصر ، وقد غلقت الدروب قبل غروب الشمس ، فمرّوا في المدينة وفتحوا ما وراء الجامع من النحّاسين والبزّازين والسكريّين والمربعيّين[1] ودار الشمع ، وأخذوا ما قدروا عليه وأفسدوا ما بقي ، حتى كانوا يخلطون العقاقير بعضها ببعض ، ويخلطون الزيت بالمياه المختلفة

(1) كلمة غامضة ، وكذلك في الدول المنقطعة ، 56 .

ويفسدون هٰذا بهٰذا . فنزل بالناس من البلاء ما لا يُمكن وصفه . ونقلوا أمتعتهم من مصر إلى القاهرة ، وتزايد النهب ، وطرحت النيرانُ في أبواب القياسر المجاورة للجامع وقد نهبت . وتُخطّفت الناس فسُلِبوا وأخذت عمَائمُهم ، فعظم الضجيج والصراخ ، وكثر الدعاء ، فوقفوا إلى الحاكم فشكَوا ما هم فيه . وتقدّم بعض الأشراف في طائفة منهم للشكوى فصار للناس دويّ كالرعد وٱرتفعت شهب النيران بالحريق ، فقال الحاكم[1] : ما للنّاسِ ؟

فقالوا : يا مولانا ، عبيد الشرّ قد أخربوا البلد ، وسلبوا أهله وسبَوا حريمَه .

فقال : ومن أمرهم بهٰذا لعنهم الله ؟

فقال له بعض الأشراف : أراك الله في أهلك ما رأيناه في أهلنا .

فلم يزده على أن قال له : أيها الشريف ، أنت معذور لأنك مغتاظ .

فٱجتمع عند ذلك الأتراك والكتاميّون ، وتحالفوا على قتال الرجّالة . فكانت بينهم حروب كثيرة قُتل فيها عالَم كثير من الرجّالة . وطالت عدّة أيام والحاكم يركب حماره ويأتيهم ، فإذا رأوه تفرّقوا هيبة له ، ثم إذا مضى عادوا لحربهم . فٱشتدّ حنقُه على الأتراك والكتاميّين .

وهٰذا الدرزيّ هو الذي أدخل دعوةَ الحاكم إلى بلاد الشام والساحل وٱستجاب له عالم كثير منهم ، وصار لهم مذهب رديء ويعرفون إلى اليوم بالدرزيّة .

ومن مذهبهم كتمَان السرّ ، فلا يطلعون سواهم على عقائدهم . ويذكر أنّ هٰذا الدرزيّ أباح البنات والأخوات والأمّهات ، وهم إلى اليوم على ذلك ، ويصرّحون بأنّ الحاكم حيّ وأنّه سيعود .

---

(1) عبارة ابن ظافر : فتجاهل عليهم وقال : ...

847 – أنوك بن محمد بن قلاوون [721 – 741] [1]

[226 أ] أنوك بن محمد بن قلاوون ، الأمير / ناصر الدين ، ابن السلطان الملك الناصر ، ابن السلطان الملك المنصور ، أمُّه خوند طغاي .

ولد للنصف من جمادى الآخرة سنة إحدى وعشرين وسبعمائة . فأحبّه السلطان محبّة زائدة لشغفِه بأمّه ولجماله ، وعقد له على [. . .] ابنة الأمير بكتمُر السّاقي ، وقد حمل مهرها من بيت المال ، وهو عشرة آلاف دينار مصريّ . وحُمل معه مائتان وخمسون ثوباً من التفاصيل الحريرية [2] ، ومائتا نافجة [3] مسك ، وألف مثقال عنبر خام ، ومائة شمعة موكبيّة ، وثلاثة أرؤس من الخيل مسرّجة ملجّمة . فتوجّه بذلك كريم الدين الكبير ناظر الخاصّ ، والأمير طقتمُر الخزندار ، والأمير أيدغمُش أمير أخور في يوم السبت النصف من شهر رمضان سنة إحدى وثلاثين ، وهم بتشاريف جليلة . ثم أنعم عليه بإمرة مائة تقدمة ألف في يوم الاثنين ثالث عشرين صفر سنة اثنتين وثلاثين ، وأركبه من باب الدار . فمضى ، والأمراء في خدمته حتى خرج من باب القلعة الذي يعرف بباب القرافة ، ودار على سور القلعة إلى أن خرج من باب القلعة الكبير ، وعلى رأسه الشربوش [4] . وصعد منه إلى القلعة فنثرت عليه الدنانير والدراهم وخلع على أرباب الوظائف ، ومُدّ لهم سماط جليل ، وعُمِلت الأفراح مدّة أيّام .

ثم وقع الشروع في عمل الأفراح العظيمة لدخوله على زوجته . واستخدم

---

(1) الوافي 9 / 431 (4365) ؛ المنهل 3 / 108 (558) ؛ الدرر 1 / 446 (1083) ؛ بدائع الزهور 1 / 477 ؛ السلوك 2 / 553 ؛ تذكرة النبية 2 / 317 .

(2) التفصيلة : قطعة من القماش ، وكذلك الثوب المفصّل المخيط .

(3) النافجة : كيس للعطور ، « والمسك النفاجي » أجود (دوزي) .

(4) الشربوش : قبّعة للرأس عالية مثلّثة ، وهي خاصّة بالأمراء (دوزي) .

في ديوانه شرف الدين عبد الوهاب النشو أحد المستوفين ، وجعل الأمير ألطنفش أستاداره . فحمل رُنك[1] جدّه المنصور ، وتميّز على جميع إخوته مع صغر سنّه ، لأنّه ليس فيهم مَن معه إمرة مائة سواه ، وبقيّتهم إنّمَا هم أمراء أربعين .

وقدم الأمير تنكز نائب الشام لحضور المهمّ فأقام الفرح سبعة أيّام بلياليها . ولم يبقَ أمير إلّا وبعث حريمَه بالذهب وتفاصيل الحرير لنقوط المغاني[2] .

فلمّا كانت ليلة السابع ، وهي ليلة الجمعة حادى عشر شعبان منها ، جلس السلطان على باب القصر وجلس مقابله أنوك ، وتقدّم الأمراء على مراتبهم بإحضار شموعهم : فمَن قدّم شمعةً قبّل الأرض للسلطان ثم قبّلها للأمير أنوك – ثم أعفوا عن تقبيل الأرض لأنوك – فبلغت عِدتُها زيادةً على ثلاثة آلاف شمعة زنتها ألف قنطار ونيف ، ما فيها شمعة أمير إلّا وقد بالغ في جودتها وثقل وزنها وتحسينها بأنواع الزينة .

ثم أشعلت بأسرها ، وحملها الأمراء ومماليكهم ومشوا على حسب مراتبهم حتى مضى آخرهم . ونصب الأمير قوصون صاريَين عليهما نفط غَرم عليه مبلغَ ثلاثين ألفَ درهم . وأطعم الناس بالإيوان .

فلمّا انقضى عامّة الليل دخل السلطان إلى حيث مجتمع النساء ، فتقدّمته كلّ واحدة من نساء الأمراء وقبّلت الأرض وقدّمت ما أحضرته من التقدمة ، والمغاني تزفهّن . وكان المهمّ عظيماً جدًّا ، ذبح فيه من الغنم والبقَر والخيل والإوزّ والدجاج ما ينيف على عشرين ألف حيوان ، واستعمل فيه من السكر ثمَانية عشر ألف قنطار ، وبلغت قيمة شورة[3] العروس ألف ألف دينار مصرية حمل على [رؤوس] ثمانمائة حمّال ، وستّة وثلاثين قطاراً[4] من البغال سوى الحلي والمصاغ

(1) الرنك : الشعار .
(2) النقوط : ما ينشر على القيان من دراهم .
(3) الشورة والشِوار : ما تجهّز به العروس .
(4) قطار الإبل وغيرها : جمعُها المتتابع في السير .

والجواهر . وبلغت زنة الزركش والمصاغ ثمَانين قنطاراً مصريّة .

فلمّا نصب لم يُعجب السلطان وقال : رأيت شِوار بنت سالار ، وهو أكثر من هٰذا وأحسن ، على أنّ هٰذا يا أمراء ما يُقابَل به أنوك ! — والتفت إلى الأمير طقزدمر ، والأمير أقبغا وقال : جهّزا بنتَيْكما ، ولا تتخاسَسا[1] مثل الأمير — يعني بكتمُر .

وعظم ديوان أنوك حتى صار له تحت يدِ خزنداره من الذهب العين ستّمائة ألف دينار ، سوى ما كان له من أصناف المتجر . وكانت أخوته ، وهم أسنّ منه يركبون وينزلون في خدمته ويخلع عليهم ويعطيهم .

وقيل له : لم لا تلعب بالشطرنج ؟

فقال : الملوك لا يصلح لهم الشطرنج ، ولا النبيذ .

[226 ب] وكان يحبّ اقتناء البقر والغنم والإوزّ والبطّ . وقال مرّة : أنا أحبّ البقر / أكثر من الخيل .

ثم جدر وتغيّرت محاسنُه . وتوفّي يوم الجمعة [. . .] عشرين ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين وسبعمائة قبل موت أبيه بسبعة أشهر ، فدفن بقبّة المدرسة الناصريّة بين القصرين . وكانت جنازتُه عظيمة . واستمرّت أمُّهُ مدّة سنة تعمل على قبره في كلّ ليلة جمعةٍ ختمة تنفق فيها مالاً كثيراً للفقراء والقرّاء .

وكان قد شغف بمُغنّية تدعى زهرة . فلمّا مُنعت منه أشفى على التلف ، إلى أن أحضرت إليه . وأغضى السلطان عن ذلك وتغافل عنه ، وقد ساءه منه إعراضه عن ابنة بكتمُر واشتغاله بزهرة . فخرج عليه وأراد ضربه فمَنعته أمّه ، فرَجف[2] الصبيّ ولزمه المرض حتى مات .

....

(1) في الدرر : ولا تتباخلا .

(2) في الدرر : فحصلت له رجفة من ذلك فكانت سبب ضعفه .

848 - أونوجور بن محمد بن طغج [319 - 349] (1)

أونوجور - ومعناه محمود - بن محمد بن طغج بن جف بن بلتكين بن فوران بن قوري بن خاقان صاحب سرير الذهب ، الأمير أبو القاسم ، ابن الأمير أبي بكر الإخشيد ، ابن الأمير أبي محمد الفرغاني ، صاحب مصر والشام .

ولد بدمشق في سنة تسع عشرة وثلاثمائة . وكنّاه أمير المؤمنين المتّقي لله ، وجعله خليفة لأبيه في سنة آثنتين وثلاثين وثلاثمائة ، وسنّه يومئذ آثنتا عشرة سنة ، فدعي له بعد أبيه على منابر مصر والشامات من الرقّة إلى برقة بالكنية ، وكان أبوه قد أخذ البيعة على جميع القوّاد له في يوم الخميس لليلتين بقيتا من ذي القعدة سنة إحدى وثلاثين .

فلمّا مات الإخشيد بدمشق ورد خبر موته إلى مصر ، وبها أونوجور مع عمّه أبي المظفّر الحسن بن طغج في يوم الأربعاء لخمس خلون من المحرّم سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة . فاجتمع الناس ثمّ آفترقوا من غير رأي . وآنصرف الوزير محمد بن عليّ بن مقاتل (2) في أكثر أهل الدولة ووجوه البلد . ومضى أبو المظفّر إلى داره في خلق .

ثمّ أصبحوا من الغد إلى دار الإمارة ، وبعثوا إلى أبي بكر محمد بن عليّ الماذرّائي فأحضروه وشاوروه فأشار بإقامة أونوجور ، وأن يكون أبو المظفّر خليفته (3) فتقرّر ذلك ، وفوّض أمر الدولة لمحمد بن عليّ ، وأقيم ابنه أبو عليّ

(1) الولاة والقضاة ، 294 ؛ النجوم 3/ 291 ؛ العبر 1/ 306 .
(2) في النجوم : كان صاحب خراج مصر .
(3) في المخطوط : يخلفه .

الحسين بن محمد في الوزارة ، وقُبض على محمد بن علي بن مقاتل . وطلب منه المال ، وذلك في يوم الخميس سادس المحرّم . وحضر هٰذا العقد وجوهُ الناس بمِصر ، وأهل الرأي ، وهم : أبو بكر محمد بن علي الماذرّائي ، وأبو الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات ، وأبو الحسن محمد بن عبد الرحمان الروذباري كاتب الإخشيد ، وأبو بكر عليّ بن محمد بن كلا ، وأبو عبد الله الحسين بن طاهر العلويّ ، وأبو محمد عبد الله بن أحمد بن طباطبا ، وأبو القاسم أحمد بن محمد بن الحسين الرسيّ ، وأبو جعفر مُسَلّم بن عبد الله العلويّ ، وأبو محمد القاسم بن عبد الله الشبيه ، في كثير من الأشراف ووجوه الكتّاب . وكان أبو محمد الحسن بن طاهر العلويّ ، وأبو الحسين محمد بن الحسين بن عبد الوهاب بالشام . وحضر هذا المجلس من أهل الدولة أحمد بن بدر **السمَيْساطيّ** ، وأحمد ابن موسى الزغلمان ، وعمر بن فارس ، وفارس كور التركيّ ، وسائر الحجريّة .

وحضر أيضاً أحمد بن محمد النيسابوري قاضي مكّة . وعبد الله بن محمد الخصيبي القاضي ، وبكر بن محمد القاضي المالكي ، وأبو عبد الله أحمد بن شعيب بن الوليد قاضي مصر والرملة وطبريّة . وحضر من الشهود محمد بن يحيى ابن مهديّ المالكي ، وعبد الرحمان بن سلمويه الرازي ، وعلي بن أحمد بن إسحاق البغدادي وجمع كثير .

وركب أبو القاسم أونوجور من الغد يوم الجمعة إلى الجامع العتيق في جيش مصر ، وعمّه أبو المظفّر يحجبه ، وخلفه أبو بكر بن عليّ الماذرّائي . وخلع على الحسين بن محمد الماذرّائي . وكتب إلى دمشق بمَا أستقرّ عليه الحال بمصر فسكنت الأمور .

وسار كافور الإخشيدي بالعسكر ، ومعه أبو الفتح مزاحم بن محمد بن رائق مقيّداً وقدم إلى الفسطاط في أحسن زيّ وأكمَل عدّة في سلخ صفر . وجلس أونوجور جلوساً عاماً للناس / وأنشد الشعراء في رثاء أبيه ، فأنشد أبو الطيّب المتنبي يومئذ قصيدته التي أوّلها [بسيط] : [227 أ]

هو الزمان مُشتِّ[ـتُ] الذي جمَعا   في كُلّ يوم ترى من صرفه بدَعا [1]

وأنشد محمد بن الحسن بن زكريا بن أسد قصيدة أوّلها [خفيف] :

في الرزايا روائع الأوجال   والبرايا ذرّية الآجال [2]

وأنشد مهلهل بن يَموت بن المزرّع قصيدة مطلعها [خفيف] :

أيّ عزٍّ مضى من الإسلام   أيّ ركن أضحى حديث انهدام [3]

فكان يوماً عظيماً .

وفي ربيع الأوّل ورد الخبر بأخذ سيف الدولة عليّ بن حمدان دمشق ، وأنّه سار إلى طبرية ثمّ إلى الرملة ودعي له على جميع منابر الشام . فجلس أونوجور ، ومعه عمّه أبو المظفّر وغلام أبيه كافور حتى ندب العساكر إلى الشام ، وعليها أبو المظفّر وكافور . فسارا في جمع عظيم ومعهما الوزير أبو علي الحسين بن محمد بن علي الماذرّائي إلى الشام وقاتلا ابن حمدان ، ودخلا دمشق في جمادى الآخرة ، وبعثا بالأسرى من أصحاب ابن حمدان مع صالح بن نافع ، وعِدّتهم مائة رجل . فجلس لهم أونوجور جلوساً عامًّا ، وحضره الأشراف والوجوه والقضاة والرؤساء والشهود ، وعُرضوا عليه بعدما شهّروا بالبرانس .

فورد الخبر بخلاف غلبون بن سعيد المغربيّ متولّي إخميم وخروجه عن الطاعة . فندب لقتاله شادن الصقلبيّ فانهزم منه ، وعاد في شعبان بنفسه ، فأُخرج إليه عسكر آخر . ثم خرج أونوجور فلقيَه فأنهزم منه ، وملك غلبون دار الإمارة والمدينة ليلةَ الأربعاء سابع ذي القعدة . ثم عاد أونوجور في ضحى يوم الأربعاء فانهزم غلبون ولحق بالصعيد . فخرجت إليه العساكر وأحضر رأسه .

---

(1) هٰذا البيت غير موجود في ديوان المتنبّي ، وفي المخطوط : مشت بالذي .
(2) لم نعرف صاحب هٰذه القصيدة .
(3) مهلهل بن يموت له ترجمة في تاريخ بغداد 13 / 273 (7232) .

وتأخّر حاجّ البرّ في هذه السنة .

وصُرف أبو بكر محمد بن عليّ الماذرّائي بمُحمد بن الحسين بن عبد الوهاب .

وقدم كافور من الشام بالعساكر في عاشر ربيع الأوّل سنة ستّ وثلاثين بعدما هزم سيف الدولة بن حمدان على مرج عذراء ، وبدْر الإخشيدي بدمشق متوليًّا لها ، وأقام أبو المظفّر بالرملة متوليًّا لها .

وقام كافور بخلافة أونوجور ووقف بين يديه ، وآختار لمجالسته من يتأدّب به ليلةً في كلّ جمعة يتذاكرون بين يديه . وصار كافور يتولّى تدبير البلد كلّه ، إلى أن كان في المحرّم سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة ، شجر بينه وبين كافور ، فخرج إلى المختار بالجزيرة فأقام فيه . وكان أكثر الوجوه مع كافور . فتوسّط بينهما الشريف أبو جعفر مسلّم حتى صلح الأمر .

وكان رسم أونوجور كما كان أبوه الإخشيد : يصلّي الجمعة بالجامع العتيق ثلاث مرّات في السنة : أوّل رجب ، وأوّل شعبان ، وأوّل شهر رمضان ، وينزل كافور بين يديه يحجبه . وينزل في شهر رمضان ليلة الختم في الجامع العتيق يحضر الصلاة والدعاء .

فبلغ كافور في جمادى الآخرة سنة ستّ وأربعين وثلاثمائة أن أونوجور قد راسل الأولياء ووجوه الأمراء والقوّاد ، ووعدهم الولايات والمال الجزيل إن يقتل كافور إذا نزل في رجب للصلاة بعد انصرافه من الجمعة . فلمّا كان يوم الجمعة بعث كافور إلى أونوجور : إني أجد شيئاً ، وقد تقدّمت إلى الجيش أن يركبوا مع مولاي .

فأبى أونوجور وقال : لا بدّ أن تركب معي .

فلم يفعل . وانكشف الأمر ولم يتمّ ما أراد أونوجور . ويقال إنّه أنفق على ذلك نحو مائة وخمسين ألف دينار .

فلمّا دخلت سنة سبع وأربعين وثلاثمائة ، خرج أونوجور إلى الفيّوم متصيّداً ، وشكا / إلى فاتك المجنون غلام أبيه من كافور . فوعده بنصرته وأظهر [227 ب] الخلاف على كافور . ثم أمسك عن قتاله وقدم عليه واتّفق معه . فغضب أونوجور من اتّفاقهما وخرج إلى المختار بالجزيرة . فقلق كافور واضطرب البلد . فلم يزل الشريف أبو [جعفر] مسلّم يَمشي بينهما حتى دخل أونوجور ونزل في داره بالحمراء . فركب إليه كافور في جيش عظيم ومعه الشريف مسلّم ودخل عليه وقام بين يديه ، وأونوجور لا يرفع وجهه إليه ولا يكلّمه ، وهو مطرق . وأمر الشريف بالجلوس ، فاحتشم من كافور وقال لأونوجور سرًّا : الرجل قائم ، وأنا أنْصرِفُ معه وأعود .

فقال : عد إليّ .

فأخذ مسلّم بيد كافور وانصرفا . فاستوحش كافور وخافه . وكان أونوجور شجاعاً مقداماً . فلمّا كان بعد أيام ركب بعد المغرب ومعه شاكريّان وهو متقلّد سيفاً حتى وافى دار كافور ، فتهارب البوّابون والحجّاب ومرّوا سراعاً إلى كافور . فلمّا أعلموه قام يعدو إلى لقائه وقبّل يده . فقال له أونوجور : أأمنتَ يا أبا المسك ؟ لو أردنا شيئاً عملناه الساعة .

وانصرف . فما جسر كافور يخرج معه وأنفذ إليه هدية كبيرة . وكانت أمّ أونوجور هي التي ترفق به وتكسره عن كافور . فلم تزل الوحشة بينهما إلى أن اعتلّ علّة شديدة مات منها في يوم السبت لسبع خلون من ذي القعدة سنة تسع وأربعين وثلاثمائة ، وهو يوم خروج الحاجّ . فركب كافور إلى الجنازة وصلّى عليه وحمل إلى بيت المقدس ليدفن عند أبيه . فكانت ولايتُه أربع عشرة سنة وعشرة أشهر . ومات وله من العمر إحدى وثلاثون سنة .

وكان مشغولاً بالصيد والأكل والشرب والتنزه والأشعار ، لم يقتل أحداً ، ولا عاقب أحداً ولا صادر . وكان كالمغلوب مع كافور . ويحكى عنه شجاعة وسماحة وعفو كثير .

قال الشريف عبد الله أخو مسلّم : وقفتُ مع شبيب العقيليّ لننظر أونوجور وقد ركب . فقلت : كيف رأيت العسكر؟

فقال : رأيت شخوصاً وبطوناً وخصياناً ، وما رأيتُ في العسكر غيرَ صاحبه – يعني أونوجور .

وكان لأنوجور في كلّ سنةٍ أربعمائة ألف دينار جارية عليه من ضياع سلّمت إليه ، وله كاتب نصرانيّ يقال له إبراهيم بن مرزوق ، وسائر التصرّف لكافور . وأمّه أمّ ولد اسمُها كروم .

ووزر له أبو علي الحسين ابن أبي بكر محمد بن علي الماذرّائي ، ثم أبو الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات .

وفي أيّامه نزلت الروم على البرلس وعلى إخنا فشعّثوا وانصرفوا في ذي القعدة سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة . ونزلوا بالفرما وشعّثوا ثم ساروا إلى البرلس فنفر الناس إليهم في آخر سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة . ثم نزلوا على الفرما أيضاً في جمادى الأولى سنة تسع وأربعين وثلاثمائة . فخرج المسلمون إليهم وأخذوا مركباً وقتلو مَن فيه وأسروا عشرة .

وفي أيّامه سار صاحب النوبة في جيش عظيم وأوقع بأهل الواحات وقتل منهم وأسر ، وذلك في سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة .

وفي أيّامه جفّ النيل عن برّ مصر ، حتى استقى الناس من بحر الجيزة . وحُفر خليج إلى أن دخل الماء إلى ساحل مصر .

ووقع غلاء في المحرّم سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة .

وفي سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة كثر الفأر في أعمال مصر وأتلف الغلّات من القمح والكروم والأقصاب . ثم قصر النيل فنزع السعر حتى بيع القمح ويبتين ونصف بدينار ، ثم طلب فلم يوجد . [فـ]ـشعّث الرعيّة يوم الجمعة وكسروا منبر

الجامع العتيق في شهر رمضان سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة .

وفي أيّامه زلزلت مصر زلزلة عظيمة في ليلة / السبت لثلاث عشرة خلت [228 أ] من ذي القعدة سنة ثمَان وثلاثين وثلاثمائة ، أقامت أربع ساعات وخرج الناس في الليل من البيوت . ثم زلزلت مرّة ثانية في ليلة الخميس سادس صفر سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة زلزلة عظيمة بعد عتمة ، أقامت طويلاً ، وتهدّمت منها دور ، واضطرب حائط الجامع العتيق الشرقيّ . ثم زلزلت في خمس خلون من صفر سنة خمس وأربعين وثلاثمائة بعد عتمة زلزلة عظيمة ، ثم عادت في ثلث الليل ، ثم عادت بعد الأذان الثاني ، ثم عادت بعد الصبح ، ثم عادت من الغد في الثانية من النهار وكانت عظمتُها وشدّتها بنواحي بنها العسل سقطت عدّة دور منها ، وانشقّت الأرض وطفت مياه الآبار والرمال ، وخرج أهل القرى إلى الصحراء ، ثم عادت ليلة الخميس لتسع خلون من صفر في ثلث الليل . ثم كانت في ليلة الاثنين لعشر خلون من ربيع الآخر في ثلث الليل . فكانت الزلازل في هذه السنة متواترة ليلاً ونهاراً أقامت على ذلك ستّة أشهر إلى شهر رجب ثم سكنَت .

وزلزلت يوم السبت لثمَاني عشرة خلت من شهر رمضان سنة أربع وأربعين وثلاثمائة زلزلة عظيمة في الخامسة من النهار وكان فيها طول . ثم عادت يوم الثلاثاء بعد صلاة الصبح لسبع بقين من شهر رمضان . ثم زلزلت في شوّال سنة تسع وأربعين مرّتين زلزلة عظيمة .

849 - أباي متملّك النوبة [- 711] [1]

صاحب دمقلة . قدم إلى مصر في آخر سنة أربع وسبعمائة ، ومعه جمال وأنفار ورقيق وشبّ وسُنْباذج [2] ، فقدّم ذلك للسلطان ، وسأل النجدة على ثائر

(1) الدرر 1 / 450 (1100) ؛ السلوك 2 / 7 .

(2) السنباذج : حجر رمليّ صلب يصقل به (دوزي) .

قام عليه وأخرجه من ملكه . فأُنزل بدار الضيافة وخلع عليه ، وأجريت له الرواتب . واتّفق رأي الأميرين بيبرس وسلار ، وهما القائِمَان يومئذ بتدبير دولة الملك الناصر محمد بن قلاوون على تجريد عسكر معه ، فعيّن ثلاثمائة فارس من أجناد الحلقة والأمراء . وكتب إلى ولاة الأعمال القبليّة بإخراج العربان ورجال الوافديّة مع الأمير طقصبا والي قوص ليسيروا صحبة متملّك النوبة .

وسار إياي إلى قوص ، وأقام عند طقصبا حتى اجتمعت له العساكر من البرّ والبحر ، وسار بهم إلى بلاد النوبة . ففرّ الثائر بدنقلة ومعه جمع كبير .

وعاد طقصبا فمرّ به وبالعسكر أهوال كبيرة من محاربة السودان ، وقلّة الزّاد ، وصعود الجبال ، وسلوك الأوعار ، وعبور الجزائر بحيث بقي أكثر العسكر مشاةً لتلاف دوابّهم . وركبوا النيل إلى قوص فكانت غيبتهم تسعة أشهر ولمْ ينالوا طائلاً .

فأقام إياي على مملكة النوبة إلى أن قُتل في سنة إحدى عشرة وسبعمائة . وملك بعده أخوه كرنبش .

850 – أياز الملوحي

الأمير فخر الدين ، ولّاه المنصور قلاوون الأعمال الغربيّة عوضاً عن ناصر الدين محمد بن الحسن الجزريّ .

851 – أياز المقرئ [– 687][1]

إياز المقرئ الحاجب ، الأمير فخر الدين ، أحد المماليك البحريّة الصالحيّة . تنقّل في الخدم إلى أن صار من أمراء مصر . وكان من الحجّاب في الأيام الظاهرية

(1) الوافي 9 / 458 (4413) ؛ المنهل 3 / 21 (567) – تالي وفيات الأعيان ، 21 رقم 21 .

بيبرس . وكان يعتمد عليه ويثق به . وبعثه إلى أبغا ملك التتار ، وإلى غيره .

فلمّا ملك قلاوون جعلَه حاجبَ الحجّاب وعظم خبزه وكبرت منزلته ، وأعتمد عليه في مهمّاته . وبعثه لتحليف الفرنج بعكّا عندما هادنَهم في المحرّم سنة ثمانين وستّمائة .

ولم يزل مقرّباً جليل القدر إلى أن حجّ وعاد . فتوفّي عُقَيب عوده في ليلة الجمعة العشرين من شهر ربيع الأوّل سنة سبع وثمانين وستّمائة .

وكان من حسنات الدهر ، مُقْرِئاً ، سمع الحديث من ابن المقيّر ، وحدّث بدمشق والقاهرة / . [228 ب]

852 – أياز البانباشي [– 633]

الأمير فخر الدين ، أحد الأمراء الكبار في الدولتين العادليّة والكامليّة .

مات ببلاد الجزيرة في شهر ربيع الأوّل سنة ثلاث وثلاثين وستّمائة .

853 – إياز – ويقال إياس – الأمير فخر الدين[1]

كان أستادار الوزير سنقر الأعسر . فلمّا مات عزّ الدين أيدمر الرشيدي أستادار الأمير سلار النائب جعله أستداره من بعده ، إلى أن قبض على سلار فتسلّم إياز الأمير علم الدين سنجر الخازن شادّ الدواوين ليصادره . فبعث إليه بألف دينار ، وللوزير فخر الدين عمر بن الخليليّ بألف دينار . فأمّا الخازن فاستقبح أخذَها وردّ عليه ردًّا جميلاً . وقبل الوزير الألف التي بعثها إليه فلم تَمضِ غير أيام يسيرة حتى عُزل ابن الخليلي من الوزارة بالأمير بكتمُر الحساميّ ، وعزل الجاولي

---

(1) السلوك 2/ 89 .

من شدّ الدواوين[1] بإياز هذا ، وتسلّمها ليصادرَهما . فبعث الخازن إليه بألف دينار فردّها وقال لقاصده : سلّم عليه وقل له : ما لنا عنده شيء .

وبعث البنباش الخليلي بألف دينار فأخذها وقال لقاصده : عرِّفه أنّي أخذت وديعتي[2] التي كان أخذها منّي[3] .

854 - فخر الدين أياز [- 750][4]

أياز ، [الأمير فخر الدين] ، السلاح دار الناصريّ .

كان من الأرمن ، فأسلم على يد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وتنقّل في الخدم حتى عمله من جملة مشدّي العمارة . ثمّ أخرج على إمرة عشرة بطرابلس ، ونقل [إلى] إمرة دمشق في أواخر أيّام الأمير تنكز ، فأقام بها حتى توجّه صحبة الأمير قطلوبغا الفخريّ إلى مصر في نوبة الناصر أحمد . فأنعم عليه بإمرة طبلخاناه بدمشق ، فعاد إليها .

ثم ولي شدّ الدواوين بها عوضاً عن الأمير ينجي ، وعمل الشدّ جيّداً .

وعزل في نيابة الأمير طقزدمر . وعمل حاجباً صغيراً ، ثم نُقل منها إلى الحجوبيّة الكبرى بعد موت ألِلْمِش[5] الحاجب في نيابة يَلبغا اليحياوي ، واختصّ به ، ثم طلب إلى مصر .

(1) كان العزل في سنة 710 ؛ السلوك 2 / 89 .

(2) في المخطوط : وداعتي . والإصلاح من السلوك 2 / 90 .

(3) لم نتثبّت من اسم أياز ولا من تاريخ وفاته . ولعلّه أياز الشمسيّ المتوفّى سنة 722 حسمًا في السلوك 2 / 239 .

(4) الوافي 9 / 459 (4415) ؛ الدرر 1 / 448 (1093) ؛ المنهل 3 / 119 (566) ؛ السلوك 2 / 803 ، 813 ؛ النجوم 10 / 245 .

(5) سيف الدين ألِلْمِش (ت 746) له ترجمة في الوافي 9 / 370 (4295) .

واستقرّ في نيابة صفد في أيّام المظفّر حاجي . فلم تطل أيّامُه حتى خرج يلبغا بدمشق على المظفّر حاجي وهرب . فركب إياز بعسكر صفد إلى دمشق فقدمها يوم الأحد ثاني عشر [. . .] الأوّل .

وخرج بعسكرها إلى حمص وأقام بها حتى قبض على يلبغا بحماه ، فرجع إلى صفد . ونُقل منها لنيابة حلب في جمادى الآخر سنة ثمان وأربعين ، فأحبّه أهلها لحسن سيرته فيهم .

ولم يزل حتى حضر الأمير [ركن الدين] عمر شاه الناصريّ بطلبه إلى مصر على البريد ، فأمسكه وقيّده وسجنه بقلعة حلب في وسط شوّال منها . ثم نقل صحبة الأمير بلجك في الحديد إلى قلعة دمشق . وحُمل منها بعد قليل إلى الإسكندرية . فلم يزل مسجوناً بها حتى أفرج عنه ونُفيَ بطّالاً إلى طرابلس في ربيع الأوّل سنة تسع وأربعين .

ثم أنعم عليه بإمرة طبلخاناه بها عوضاً عن سنقر الجمالي ، ثمّ نُقل إلى دمشق .

ثم وُسِّطَ هو وألجيبغا في شهر ربيع الآخر سنة خمسين وسبعمائة على ما ذكر في ترجمة ألجيبغا [1] .

855 - أيبك البغداديّ [- 722] [2]

الأمير عزّ الدين المنصوريّ .

. . . فلمّا توجّه الأمير شمس الدين سنقر الأعسر لكشف القلاع الشاميّة استقرّ أيبك عوضه في الوزارة ، وخلع عليه في عاشر المحرّم سنة إحدى

(1) ترجمة ألجيبغا مرّت برقم 831 .

(2) الدرر 1 / 451 (1105) ، وفيها أنّه توفّي سنة 703 ، وفي السلوك 2 / 240 أنّه مات سنة 722 .

وسبعمائة [1] . ثم صرف بناصر الدين [محمد] ابن الشيخي [2] يوم الاثنين تاسع عشر شوّال سنة ثلاث وسبعمائة .

856 - أيبك الروميّ المنصوريّ [- بعد 713] [3]

أيبك الرومي المنصوري [الأمير عزّ الدين] ، أحد المماليك المنصوريّة قلاوون ، وأحد البرجيّة الأكابر ، وأشدّهم . كان ضخم البدن شكلاً تامّ القدّ لا يجرّ أحد قوسه ، مع الشجاعة والعفّة ، بحيث لم تعرف له فاحشة .

[229 أ] ترقّى في الخدم حتى صار من أكابر/ أمراء مصر . فجرت بينه وبين أيدغدي شقير مفاوضة بسبب تنقّل الإقطاعات ، خرج عليه فيها أيدغدي بحضرة الأمراء . وتعصّب له الأمير طغاي وغيّرا عليه السلطان حتى قبضه في رابع عشرين شوّال سنة ثلاث عشرة وسبعمائة .

857 - أيبك الحمويّ [- 703] [4]

الأمير عزّ الدين [التركيّ الحمويّ] الظاهري . كان هو وعلم الدين سنجر [أبو] الخرص من خواصّ الملك المنصور محمد ابن المظفّر محمود صاحب حماه . فبعث الملك الظاهر بيبرس البندقداري يطلبهما منه ، فاعتذر بمَرضهما . فأرسل إليه أن احملهما في محفّات . فلم يجد بدًّا من إرسالها . فلمّا قدما مصر أنعم على كلّ منهما بإمرة وصارا من خواصّ السلطان إلى أن مات .

---

(1) السلوك 1/ 918 .
(2) السلوك 1/ 954 .
(3) السلوك 2/ 128 .
(4) الوافي 9/ 479 (4440) ؛ الدرر 1/ 451 (1107) ؛ المنهل 3/ 132 (576) ؛ السلوك 1/ 956 - تالي وفيات الأعيان ، 24(25)

فأستمرّا بعده إلى أن صرف الملك الأشرف خليل بن قلاوون الأميرَ علم الدين الشجاعي عن نيابة دمشق ، فولي أيبك هذا عوضه في سادس شوّال سنة إحدى وتسعين وستّمائة ، فباشرها إلى أن صرفه الملك العادل كتبغا بمَملوكه أغزلُو في يوم الاثنين أوّل ذي الحجّة سنة خمس وتسعين [وستّمائة] ، وأوقع الحوطة على خيوله وأمواله وجميع موجوده .

ثم أنعم عليه بإقطاع أغزلو بديار مصر فسار إلى مصر وبقي بها إلى أن قبض عليه الملك المنصور لاجين في يوم النصف من ذي القعدة سنة ستّ وتسعين[1] ، وقبض على قراسنقر نائب السلطنة وعلى الحاج بهادر ، وسنقرشاه الظاهري ، والأقوش ، وعبد الله ، وكوري ، والشيخ عليّ ، وقيّد وسُجِن في الجبّ إلى أن قُتل لاجين وأعيد الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى السلطنة مرّة ثانية [فـ]أفرج عنه وعن قراسنقر النائب وسنقر الأعسر الوزير[2] في جمادى الأولى سنة ثمان وتسعين وخلع عليهم . وبعث لهم الأمراء التقادم الجليلة .

ثمّ ولي صرخد بعد نقل كتبغا الملك العادل منها إلى حماه في شعبان سنة تسع وتسعين ، ثم نُقل إلى نيابة حمص عوضاً عن [. . .] فأقام بها شهراً . ومات في تاسع عشر ربيع الآخر سنة ثلاث وسبعمائة ، فنُقل إلى دمشق ودُفِنَ بقاسيون . وعمل عزاؤه بعد دفنه .

وكان شجاعاً مقداماً . قال الذهبيّ[3] في ترجمته : كان ساكناً عاقلاً معروفاً بالشجاعة .

....

(1) السلوك 1/ 829 .

(2) السلوك 1/ 873 .

(3) في المخطوط : الدهيم ، والإصلاح من الدرر ، 1/ 451 .

858 - أيبك الشيخ [- 678][1]

الأمير عزّ الدين الكَرَكي ، أحد الأمراء الظاهريّة بيبرس .

مات في ذي الحجّة سنة ثمَان وسبعين وستّمائة .

859 - أيبك الفخري [- بعد 680][2]

الأمير عزّ الدين . استقرّ في ولاية مصر بعد وفاة الأمير أبي بكر بن أسباسلار[3] في سابع عشرين ربيع الآخر سنة تسع وسبعين وستّمائة . ثم عزل عنها بالأمير نجم الدين إبراهيم بن السَّديد في رجب منها ، وخرج والياً بقلعة صرخد ، ثم نُقل إلى ولاية قوص وإخميم في أوّل ذي القعدة سنة ثمانين وستّمائة عوضاً عن بهاء الدين قراقوش .

860 - أيبك العزّي [- 690][4]

الأمير عزّ الدين ، نقيب العسكر بديار مصر . أستشهد على عكّا عند فتحها في جمادى الأولى سنة تسعين وستّمائة .

وإليه تُنسب سويقة العزّي[5] خارج القاهرة قريباً من قلعة الجبل

(1) السلوك 1 / 674 ، وهو أيضاً « الشيخيّ » .

(2) السلوك 1 / 681 ، 683 ، 703 .

(3) الأسباسلار أو الإسفهسلار : مقدّم العسكر وحاجب السلطان ، السلوك 1 / 681 هامش 1 .

(4) السلوك 1 / 765 .

(5) تأتي هنا ترجمة أيبك الحمويّ مكرّرة عن 857 . وسويقة العزّي خارج باب زويلة ذكرها المقريزي في الخطط ، 3/ 173 .

861 - أيبك الموصليّ [- 698] [1]

أيبك الموصليّ ، الأمير عزّ الدين ، أحد المماليك المنصوريّة قلاوون .

تنقّل في الخِدم إلى أن ولّاه الملك المنصور قلاوون نيابة طرابلس والفتوحات ، فلم يزل بها حتى مات في صفر سنة ثمَان وتسعين وستّمائة .

وكان وقوراً مهاباً مجاهِداً في الفرنج والتتار ، عفيفاً عن الفواحش جميل السيرة حسن الثناء .

ووَلي نيابة طرابلس بعده سيف الدين كرد أمير أخور .

862 - أيبك الخزندار [- 709] [2]

أيبك الخزندار ، الأمير عزّ الدين ، أحد المماليك المنصوريّة قلاوون .

تنقّل في الخدم إلى أن صار من أمراء مصر . وآستنابه الملك الأشرف خليل مدّة غيبته في حصار عكّا على ديار مصر . ثم ولّاه في أوّل المحرّم سنة آثنتين وتسعين وستّمائة نيابة طرابلس عِوضاً عن طغريل الإيغانيّ .

فلمّا تسلطن العادل كتبغا بعد خلع الناصر محمد بن قلاوون توقّف عن الدخول في طاعته لولا قيام الأمراء عليه . فأسرّها السلطان في نفسه إلى أن خرج أيبك من طرابلس يتنزّه ، وكان له شغف بالخمر ، فحَنق من بعض [الـ]ـمماليك وضربه [فـ]ـكانت منيّته . فرحل أهله إلى مصر وشكوه . فوافق ذلك غرض السلطان . فكتب إلى الأمير عزّ الدين أيبك الحمويّ نائب الشام أن يرسل كرجي

(1) الوافي 9/ 478 (4439) ؛ المنهل 3/ 133 (577) ؛ السلوك 1/ 879 - تالي الوفيات ، 23(23) .

(2) الدرر 1/ 452 (1110) ؛ النجوم 8/ 279 ؛ السلوك 2/ 84 .

ليقبض عليه . فلمّا حضر إليه خدَعه وقال له : لتحضر إلى مصر !

فأظهر البشر وأنّه كان على عزمٍ من طلب الإقالة من طرابلس . وسار منها على البريد ، فلم يبعد سوى مرحلة حتى قيّده كرجي وبعث بالحوطة على جميع ماله ، وحُمِل إلى مصر فقدِمها في حادي عشر ذي القعدة سنة أربع وتسعين ، وٱعتُقل ببرج الساقية من قلعة الجبل ثلاثة وتسعين يوماً . وولي عوَضه نيابة طرابلس الأمير عزّ الدين أيبك الموصليّ الخزندار . ثم أفرج عنه وأنعم عليه بمَال وإقطاع مائة فارس .

وحجّ في سنة أربع وسبعمائة ، وأقلع عن شرب الخمر ، وٱستقرّ حتى مات في خامس رمضان سنة تسع وسبعمائة [1] .

وكانت تحته ابنة الملك الظاهر بيبرس . وكان حشماً يتناهى في الأسمطة الجليلة كلّ يوم ، سفراً وحضراً .

وكان سليم الباطن يخدَعُه مباشرو ديوانه في كلّ سنة : وذلك أنّهم يأخذون مالاً جليلاً من إقطاعه ، ثم يدسّون إليه مَن يُرافِعُهم فإذا أحضرهم لمحاقّة مرافعِهم صالحوه بشيءٍ يسير فقبله وخلّاهم .

863 - أيبك الأفرم الصالحيّ النجميّ [- 695] [2]

أيبك الأفرم ، الأمير عزّ الدين الصالحيّ النجميّ . يقال إنه حرّ الأصل من أهل برقة ، وأن ٱسم أبيه مصطفى . ثم صار من جملة مماليك الصالح نجم الدين أيوب وأحد سقاته .

---

(1) في الدرر : سنة 706 .

(2) الوافي 9 / 478 (4438) ؛ المنهل 3 / 130 (575) ؛ النجوم 8 / 80 ، 189 ؛ السلوك 1 / 749 ، 1024 . تالي الوفيات ، 19 (19) . والترجمة في الوافي والمنهل قصيرة جدّاً بالقياس مع هٰذه . وبالعكس لا يذكر المقريزيّ هنا افتقار ورثة الأفرم بعد ثرائه الواسع .

سمع من ابن رواج وحدّث .

[. . .] فلمّا ولي الملك المنصور قلاوون السلطنة أفرج عنه ورتّبه نائب السلطنة بديار مصر ، ثم عزله في رابع عشرين شهر رمضان سنة ثمان وسبعين وستّمائة بالأمير حسام الدين طرنطاي وعمله أمير جاندار على عادته .

وجرّده على عسكر إلى قتال الملك المسعود نجم الدين خضر بن الملك الظاهر بيبرس بالكرَك ، فخرج من القاهرة في سابع ذي الحجّة منها ، ونازل الكرك إلى أن قام سنقر الأشقر نائب دمشق بها ودعا إلى طاعته وأخذ مدينة غزّة فسار إلى غزة هو والأمير بدر الدين بيليك الأيدمريّ وكان منازلاً للشوبك ، وأخرجا أصحاب سنقر الأشقر من غزّة وأسرا عدّةً ممّن كان بها من أمرائه .

فلمّا قدم الأمير علم الدين سنجر الحلبيّ بعساكر مصر سار معه حتى قاتلوا سنقر الأشقر وهزموه عن دمشق . ثم خرج في أثر سنقر الأشقر بالعساكر فلم يدركوه وعاد .

فلم يزل في الخدمة إلى أن خرج إلى غزو النوبة في ثامن شوّال / سنة [230 أ] ثمانٍ وثمانين ، ومعه من الأمراء قبجق المنصوريّ ، وبكتمُر الجوكندار ، وأيدمر والي قوص ، ومن أجناد الأمراء وأجناد المراكز بالوجه القبليّ وعُربان الوجه القبليّ والوجه البحريّ زيادة على أربعين ألف راجل . وخرج معهم ملك النوبة ونائبه جُرَيْس[1] وتجهّز معهم من المراكب والحراريق لحمل الزاد والزردخاناه والأثقال خمسمائة قطعة .

فلمّا وصلوا أسوان مات ملك النوبة ، فبعث السلطان من القاهرة رجلاً من أولاد أخت الملك داود عوضاً عنه ليُملّكوه . فلمّا وصل أسوان انقسم الجيش نصفَين في البرّين الغربيّ والشرقيّ . فسار الأفرم في البرّ الغربيّ بنصف الجيش ، وساروا إلى قوص بالنصف الآخر من الشرق ، وقدّموا جريس نائب ملك النوبة

(1) السلوك 1 / 749 .

ومعه أولاد الكَنْز[1] فجهّز لهم الإقامات وتلقّاهم أكابر أهل النوبة من بلاد الدّو[2] إلى جزائر ميكائيل ، وهي البلاد التي تحت حكم جريس . فلمّا تعدّوا بلادَه نهبُوا ما مرّوا به وقتلوا مَن وجدوه وحرّقوا حتى دخلوا مدينة دمْقلة ، فلم يجدوا بها أحداً سوى شيخ فانٍ وعجوز كبير[ة] فأخبرا العسكر أنّ الملك سمامون قد تحصّن بجزيرة في النيل مسافـ[ـتـ]ـها من دمْقلة خمسة عشرَ يوماً وطولُها مسيرة ثلاثة أيام .

فسار إليه أيدمر والي قوص ومن معه ، ونزل تجاه الجزيرة ، فلم يصل إليه لعدم المراكب معه . وبعث إليه ليدخل في الطاعة وبذل له الأمان فأمتنع . وأقام العسكر ثلاثة أيام ، وأوهموه أنّهم قد أرسلوا في طلب المراكب والحراريق . فأنهزم عن الجزيرة إلى جهة الأبواب وليست في مملكته . فتركه من كان معه من السَّواكرة[3] – وهم الأمراء – وفارقه الأسقف والقسوس ومعهم الصليب الفضّة الذي يُحمل على رأس الملك وتاجُ المملكة ، وطلبوا الأمان . فأمّنهم أيدمر وخلع على أكابرهم ، وعادوا إلى دمْقلة في جمع كبير .

فعدّى الأمير عزّ الدين الأفرم وقبجق إلى البرّ الشرقيّ وتركا العسكر في مكانه وصارا إلى دمقلة . ولبس العسكر آلة الحرب وطلّبوا من الجانبين ورتّبت الحراريق في البحر ولعبت بالنفط . ومدّ الأفرم الخوان[4] في كنيسة أُسُوس التي هي أكبر كنائس دمْلقة . ثم ملّك الرجلَ الواصلَ من القاهرة ووضع تاج المملكة على رأسه . وحلف على الطاعة للملك المنصور وحلفت أكابر النوبة ، وتقرّر البقط[5] على عادته . وأقيم بدمْقلة مع ملِكِها من جهة السلطانِ رجلٌ من أصحاب أيدمر والي قوص يقال له ركن الدين بيبرس العزّيّ .

(1) أولاد الكنز : عربان من ربيعة (النجوم 7/ 188 هامش 1) .
(2) قلعة اللوّ ؛ السلوك 1/ 622 وفي النجوم 7/ 189 هامش 2 : الدرّ .
(3) السواكرة ، انظر السلوك 1/ 752هامش 1 .
(4) في السلوك 1/ 752 : السماط .
(5) البقط : الجزية . انظر السلوك 1/ 752 هامش 4 .

وعاد الأفرم بجميع العساكر إلى أسوان بعد أن كانت مدّة الغيبة عنها ستة أشهر . وسار إلى القاهرة فوصل في أوّل جمادى الأولى سنة تسع وثمَانين .

ولم يزل إلى أن قبض عليه الأشرف في يوم السبت ثاني شوّال سنة اثنتين وتسعين ، وأحيط بسائر أمواله ، وحُمل منها إلى بيت المال مبلغ مائة ألف وستين ألفَ دينار مصريّة ، ومن الغلّات ستّة وتسعون ألفَ إردبّ .

فأقام في الاعتقال إلى أن قُتل الأشرف وقام الأمير كتبغا النائب بتدبير سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون ، [فـ]ـأفرج عنه في سلخ صفر سنة ثلاث وتسعين . ثم لمّا تسلطن جعله أمير جاندار في يوم الخميس ثاني عشر المحرّم سنة أربع وتسعين .

فلم يزل على ذلك إلى أن مات بداره من مدينة مصر في يوم الأربعاء سادس عشرين صفر سنة خمس وتسعين وستّمائة . ودُفِن برباطه المطلّ على بركة الحبَش[1]. وكانت جنازته حافلة إلى الغاية .

وكان كثير الخير والإحسان . وعمّر كثيراً من المدارس والمساجد بإسنا وبقوص وبمَدينة مصر . وله بالرّصد إلى الآن رباطٌ يشرف على بركة الحبش .

وكانت دنياه / واسعةً مقبلةً ، وهو من وسائط الخير وأهل المعروف وأرباب [230 ب] المروءات ومن أهل الدين . وكانت أموالُه من الزراعة فإنّه كان يتتبّع أراضي الجرس فيشتريها أو يستأجرها ثم يعمّرها ، وكان مع هذا محظوظاً فيها فصار بيدِه عدّة بلاد ، وكل بلد يأخذها لا بدّ له من [أن] يعمل فيها أثراً : إمّا يبني مسجداً أو جامعاً أو مناراً يؤذّن عليه . وكان إذا سمع بمَسجد خراب عمّره . فبنى نحو ثلاثمائة مئذنة .

وبلغ متحصّله من الغلال ما ينيف على مائتي ألفِ إردبّ ، سوى التقاوى[2] . وكان له في الغَلاءِ أفعال فاضلة ، من إطعام الفقراء والأيتام

(1) رباط الأفرم مذكور في الخطط ، 4/ 297 .

(2) التقاوى ج تقوية ، وهي الحبوب المدّخرة للبذر .

وأرباب البيوت الخبزَ والطعام .

وأوصى أن يُخرج طلبُه على عادته ، وخيوله ملبسة وسناجقه منشورة ، وعلى مماليكه آلات الحرب مثل هيئة أيّام توجّهه إلى الغزاة في سبيل الله ، ففعلوا ذلك من غير دقّ الطبول . وشهِد نائب السلطان الأمير حسام الدين جنازته وجميع الأمراء والقضاة والمشايخ والفقراء ، وطلبه معهم على الحالة التي يخرج فيها إلى الغزو . فكثر خشوع الناس وآتّعاظهم به . وغلّقت مدينة مصر يومئذ .

وكانت فيه خبرة وشجاعة ومعرفة بالأمور ، منها أنّ المنصور قلاوون لمّا أفرج عنه عندما تسلطن وولّاه نيابة السلطنة باشرها قليلاً بعد آستعفائه فلم يُعفِه ، ثم تمَارض وآنقطع عن الخدمة في بيته فسأله آبنُه أسد الدين [. . .] عن فعله فقال : لي فيه أرب .

فلمّا عزم السلطان على عيادته صنع له الطبيب شيئاً تهيّج به وجهُه وآصفرّ لونُه . ودخل عليه السلطان فتوجّع له وقال له : تخبرني بحوائجك وما في نفسك حتى أقضيَه لك – ظنًّا منه أنه مريض وربّمَا مات من مرضه – ثم قال : قد مرضتَ في وقت حاجتي لرأيك في أمر مماليكي ومَن أُعطيه منهم الإمرةَ .

فقال : يا خوَند ، مماليكك نافعة ، وقد ربّيتهم وكلٌّ منهم يستحقّ الإمرة فلا تؤخّر أمرهم . وأمّا حاجتي التي في نفسي ، فإنّي قد كبرت وآعتراني هذا المرض ، وضعف بَصَري من الحبس ، ولا أصلح للحكم بين الناس ولا يحلّ لي ، وأريد أنّ السلطان يُعفيني من النيابة .

فانزعج السلطان من كلامه وآمتنع من إعفائه . فألحّ في تقبيل الأرض وطلب الإعفاء . فقال له : إن كان ولا بدّ ، فأشر عليّ بمَن يصلح .

فقال : إن قبل السلطان منّي ، فلا يُولِ إلّا مملوكه طرنطاي .

فوافق ذلك غَرَض السلطان وقام عنه . فدبّر نفسَه حتى زال عنه ما به . وقال لولده بعد ذلك : أنت صبيّ . هذا قد تسلطن وله مماليك يريد أن ينشئهم

ويكبّرهم ، فإنّه يثق بهم ويُعجبه تقديمهم ، ويفرح بهم . وأنا فما يُمكنه عزلي عن النيابة بغير ذنب ، فيحتاج أن يعملَ لي ذنباً ، ويقبض عليّ ويولي النيابة لمَملوكه ، ويبقى خلاصي ممتنعاً وقد شبعت حبساً ، فعملت ما عملت ، وأنت شابّ لا يصل فكرك إلى هٰذا .

وما زال منقطعاً حتى ولي طرنطاي النيابة ، وأنعم السلطان على مماليكه بالإمرتات [1] . ثم ركب إلى القلعة فعمله السلطان أمير جاندار .

864 – أيبك الأشقر [– 707] [2]

أيبك الأشقر ، الأمير عزّ الدين الشجاعيّ ، شادّ الدواوين .

كان من مماليك الأمير علم الدين سنجر الشجاعيّ . وترقّى بعده وولِيَ شدّ الدواوين عوضاً عَن [. . .] .

وتوفّي هو وابنُه وأمرأته وتتمّة أحد عشر شخُصاً من داره في شهر المحرّم من سنة سبع وسبعمائة . فكان يُرَى أنّ ذلك بدعوة لحِقَته : فإنّه لمّا توجّه إلى بلاد الصعيد لإنشاء المراكب لغزو بلاد اليَمَن عيّن شجرة جُمّيْز ليقطعها ، وكانت تظل على مسجد فيه طائفة من الفقراء ، وينتفعون بثَمَرها . فأتاه رجلٌ / منهم [231 أ] يُعتقد فيه الخير وسأله أن يتركها للفقراء فلم يفعل وأمر بها فقُطِعَت . فقال : اللهمّ ، كما قطع شجرنا ، اقطعْه واقْطَعْ شجره !

في تلك الليلة مرِض ، وركب من غدِه في النيل وقدم إلى داره وهو مريض فمات وجميع مَن في داره .

وكان مهاباً عظيم الحرمة شديد الصولة .

(1) الإمرتات : هكذا في المخطوط ولعلّه جمع إمرة في صيغة عاميّة .
(2) الدرر 1 / 450 (1103) .
(3) في السلوك 2 / 55 : في سنة 708 شهر المحرّم .

865 - أيتمُش الجمدار الناصريّ [- 755] [1]

أيتمُش الجمدار الناصري ، الأمير سيف الدين ، أحد المماليك الناصريّة محمد بن قلاوون .

ترقّى في خِدمَتِه حتى أنعم عليه في سنة أربع وعشرين وسبعمائة بإمرة طبلخاناه ، فعرف بالتؤدة والسكون وكثرة الأدب والحشمة ، والتباعُد عن الشرّ ، وحسن التصرّف والتدبير ، إلى أن كانت الأيّام الصالحيّة إسماعيل بن محمد . [فـ]ـاتّفق الرأي على إقامته وزيراً ، فامتنع من ذلك أشدّ الامتناع ، فلم يُترك وخُلع عليه في نصف ربيع الآخر سنة خمس وأربعين عوَضاً عن نجم الدين محمود بن عليّ وزير بغداد . ثم صُرف عنها .

وأقام على إمْرَته وعمِل حاجباً حتى خُلع عليه في يوم الجمعة سادس عشرين جمادى الأولى عوضاً عن قطلوبغا الحمويّ [على نيابة دمشق] . وسار إليها فقدِمَها في حادي عشر جمادى الآخرة . وسلك سبيل العافية ولم يُغيِّر شيئاً حتى طُلب إلى مصر . فخرج من دمشق يوم الخميس ثالث عشرين شهر رجب سنة اثنتين وخمسين ، فقبض عليه النائب قُبْلاي ، وجُهِّز إلى الإسكندريّة فحُبس بها .

ثمّ أُفرِج عنه ونُفي إلى صفد بطّالاً فوصَلَها في أخريات شهر ربيع الأوّل سنة ثلاث وخمسين ، وأقام بها إلى أن كانت نوبة الأمير بيبغا أروس ، [فـ]ـخلع عليه في ثالث شوّال منها ، واستقرّ نائبَ طرابلس عِوَضاً عن الأمير بَكْلَمش [الناصريّ] ، فمات بها في شهر رمضان سنة خمس وخمسين وسبعمائة .

وكان ليّناً وطيء الجانب .

---

(1) الوافي 9 / 482 (4445) ؛ الدرر 1 / 453 (1113) ؛ المنهل 3 / 137 (584) .

866 - أيتمُش السعديّ [- 684][1]

أيتمُش السعديّ ، أحد المماليك الظاهريّة .

ترقّى في الخدم حتى صار من الأمراء . فلمّا قبض الملك المنصور قلاوون على كُوُنْدَك بحمراء بيسان[2] فرّ أيتمُش ، ومعه بلبان الهارونيّ في نحو الثلاثمائة من الظاهريّة والسعيديّة ولحِقوا بقلعة صِهيَوْن عند الأمير سنقر الأشقر . فأقاموا عنده إلى أن نزل لقتال التتار وآجتمع بالملك المنصور قلاوون وقاتل معه . ثم عاد إلى صهيون فتأخّر عنه الأمير أيتمُش هذا وسنجر الدواداري وكراي التتري وقبجك[3] في جماعة ، وعادوا مع الملك المنصور إلى مصر . فردّ على أيتمُش إقطاعه وهو ناحية ناي وطنان[4] وجعله أمير مائة فارس كما كان ، وذلك في السبت آخر شعبان سنة ثمانين وستّمائة بحكم آرتجاعه عن الأمير أيبك الأفرم ، وأُعيد إلى الأفرم إقطاعُه القديمُ ممّن هو بيده .

ثم قبض عليه في يوم الاثنين خامس ذي القعدة منها وعلى الهارونيّ وغيره ، وآعتُقلوا . فمات أيتمُش في معتقله آخرَ شهر رمضان سنة أربع وثمانين وستّمائة .

867 - أيتمُش المحمّدي [- 736][5]

أيتمُش المحمّدي ، الأمير سيف الدين ، أحدُ المماليك المنصورية قلاوون ، ثم صار إلى آبنه الملك الناصر محمد بن قلاوون فخدمه .

---

(1) أيتمس وأيتامش وأتامش . ويلقّب سيف الدين .

(2) السلوك 1/ 686 ؛ النجوم 7/ 300 .

(3) في المخطوط : تماجي . والإصلاح من السلوك 1/ 691 .

(4) السلوك 1/ 702 هامش 3 و 4 .

(5) الوافي 9/ 440 (4380) وهو أوتامش ؛ الدرر 1/ 452 (1112) ؛ المنهل 3/ 112 (559) وهو أوتامش أيضاً ؛ النجوم 9/ 310 ؛ السلوك 2/ 405 .

وخرج معه إلى الكرَك في سنة ثمانٍ وسبعمائة فرتّبه بالقلعة ومعه أخوه أرقطاي وأرغون الدوادار ، إلى أن تحرّك في طلب الملك [فـ]ـبعثه إلى دمشق بلَطَفَيْن[1] ، أحدهما إلى الأمير قطلوبك المنصوريّ ، والآخر إلى الأمير بكتمُر الحساميّ الحاجب .

فنزل ليلاً على أحد مماليك قطلوبك وأعلمَه بما قدم فيه لِثِقَتِه به . فلمّا أعلم أستاذه عزم على قبض أيتمُش وحمله إلى آقوش الأفرم نائب الشام . فأوقف أيتمُش على هذا وأمكنه من النجاة بنفسه ، فطرق الأمير بهادر آص في الليل وحدّثه بخبره وما عزم عليه قطلوبك . فأمّنه وأنزلَ[ـه] عنده وقام بواجب حقّه .

[231 ب] وأركبه معه بكرة إلى الخدمة ، فإذا بقطلوبك قد أعلم النائب / بأنّ قاصدَ الملك الناصر حضر إليه في الليل وأنّ مملوكه هرّبَه . فأستدعى الوالي وألزمه بالفحص عنه وإحضاره وهدّده إن لم يُحْضِرْه بالقتل . فقال بهادرآص : ما نحتاج إلى هذا ، فإنه قد جاءني القاصد وأعلمني أنّ معه مشافهة لا يقولها إلّا لمولانا ملك الأمراء بحضرة الأمراء ، وقد أحضرتُه – وأشار إلى أيتمُش .

فتقدّم وسلّم عليهم من قِبَل الملك الناصر وبلّغهم ما كان فيه من الحجْر عليه حتى ترك السلطنة ، وما يريده منه الملك المظفّر ، وأنه يُريدُ السّيرَ إلى الشام ، ويريدُ أن يعلم مَن يَمنعه منكم .

فغضِب النائبُ وأمر به فقُبض عليه ووكّل به إلى الليل ، وأحضره وأعطاه ذهباً وأعاده إلى الكرَك .

فأخرجه [الناصر] ثانياً ومعه الملطّفات فقدم حماه على الأمير قبجق فأعتذر بأنّه مع قراسنقر نائب حلب حيث كان . فسار إلى حلب واجتمع بقراسنقر ، فأكرمه وكتب جوابه بالسمع والطاعة ، وأن تكون الحركةُ أوّل شعبان . فعاد إلى الكرَك بأجوبة قبجق وأسندمر نائب طرابلس بمِثل ذلك .

(1) اللطَف بفتحتين ج ألطاف : الهديّة .

ثم خرج إلى صفَد وبعث إلى الأمير ناصر الدين محمد بن بكتمُر الجوكندار نائب صفد ، وتلطّف به حتى ٱجتمع به سرًّا والتزم له بأمرائه ، وأخرجه ليلاً في المقابر وأجاب إلى الطاعة كما أجاب غيره .

ثم توجّه إلى القدس وٱجتمع بالأمير كراي المنصوريّ ، وأخذ جوابه بالحركة مع النوّاب ، وعاد إلى الكرك .

وسار السلطان إلى دمشق وٱستخلفه على الكرك . فلم يزل على نيابتها إلى أن قبض السلطان على الأمير بكتمُر الجوكندار نائب السلطنة وبعثه ليسجن بالكرك . [فـ]ـخاف من أيتمُش أن يتّفق معه ، فإنّه كان خوشداشه ومؤاخياً له . فصرفه عن نيابة الكرك بالأمير بغا الأشرفيّ ، وأحضرَه إلى مصر في أثناء سنة إحدى عشرة وخلع عليه وصار من أكابر أمراء مصر . فلمّا توجّه السلطان إلى دمشق في سنة اثنتَي عشرة وحجّ منها ، ٱستخلفَه بقلعة الجبل . فسار في مدّة غيبة السلطان سيرة جميلة [و]هابه الناس مهابة زائدة ، ومنع الأكابر من النخوة إلى أن قدم السلطان .

ثم أخرجه على عسكر إلى الحجاز في سنة ثماني عشرة ، وكانت له حروب مع الشريف حميضة بن أبي نُمَي أمير مكّة والشريف ودّي أمير المدينة قد ذكرت في ترجمتَي حميضة[1] ومنصور بن جماز .

ثم أخرجه في آخر المحرّم سنة تسع عشرة إلى برقة ، ومعه من الأمراء بلبان الخاصّ تركيّ وبلبان الحسنيّ وسنقر المرزوقي وصمغار بن سنقر الأشقر وبيكلي الجمدار وغرلوا الجكندار ونوغاي ، وثلاثمائة فارس من أجناد الحلقة . وسبب ذلك أنّ قائد وسليمان ، من أمراء عرب برقة ، وصفا للسلطان فرسَين عند جعفر ابن عمر وبالغا في مدحها فكتب يطلبهما منه ، فأنكرهُما . فأخذ قائِد وسليمَان يوحشان ما بينه وبين السلطان ويتّهمانه بالعصيان والامتناع من إعطاء زكاة

(1) ترجمة حميضة رقم 1311 . أمّا ترجمة منصور فمفقودة .

غنَمه ، وأنّه كثير الغارات على عُربان الطاعة ، ونحو هٰذا القول ، إلى أن جرّد أيتمُش على مَن تقدّم ذكره . وأخرج معه تمايد وسليمَان ، وكتب لعربان برقة بالركوب معه .

فسار إلى الإسكندريّة ، وتوجّه منها بعدما أحضر إليه سرًّا من يَخبُر الطريق ليسير به على غير الجادّة حتى يطرق العرب بغتةً . وكانت الجادّة مسافتُها إليهم نحو الشهرين . فدلّه على طريق توصلُه في ثلاثة عشر يوماً ، بعدما شرط عليه أن يأخذ منه مائة دينار ويخلص له بعد عوده من السلطان إقطاعاً ليقيم بالبحيرة فدفع إليه المائة الدينار وٱلتزم بالإقطاع ، وأخذ يسير بالعسكر . فأنكر قائد وسليمان سلوك العسكر في غير الجادّة وأرادوا [من] الأمير أيتمُش أن يرجع عن طريقه التي هو [232 أ] فيها / ويسلك الجادّة ، وخوّفوه عاقبتها . فلم يرجع إليها ومضى والعساكرّ تتبعُه حتى أشرف على منازل جعفر بن عمر بعد ثلاثة عشر يوماً ، وهم في غفلة لا علم لهم بالعسكر ، فبُهتوا عند رؤية الخيل . ووقف أيتمُش وبعث إليهم يدعوهم إلى الطاعة . فبعث جعفر إليه بأنّا في طاعة السلطان ، ونريد أن نعرف ما الذي أوجب مسيركم إلينا ؟

فأعادهم بأنّ معي مرسوم السلطان ، فليحضر جعفر ليسمع ما فيه .

فواعدوه الغد . فبات أيتمُش ليلته على ظهر فرسه هو ومن معه حتى أصبح . وأتاه أخو جعفر وأكابر قومه . فأبى إلّا حضور جعفر ، فٱمتنع من الحضور وقال : ٱبعث بالفرَسَين وغيرهما إلى السلطان ، وكان قايد وسليمَان قد عرّفاه أنّ الغرض إرسالُ الفرَسَين وتكفّلا له برجوع العسكر ووافقاه أن يكونا معه يداً واحدة .

فبعث يستنجد العربان فأتته طوائف طوائفَ ، فرابَ أيتمُش تَوَارُدُ العَرَب شيئاً بعد شيءٍ . فبادر إلى لبس السلاح وألبس أصحابَه ومنع العرب أن تركب معه ، وٱختار من الأجناد مائة وخمسين رامياً قدّمهم أمامه ووصّاهم أن لا يسوقوا ولا يسرعوا في السير حتى تحمل العرب برمّتها عليهم ، فحينئذ يكون الرمي

عليه من غير أن يحملوا على العرب ، بل يستقرّ كلّ واحدٍ من العسكر في موضعه . وركب ساقة العسكر وأفرد العَرَب ناحيةً وحرّك الطبول . فحملت عرب جعفر على العسكر حملةً واحدة برماح فيها ما يبلغ طوله ثمَانية أذرع وسنانُه قدر الذراع ونصف . فرشقهم العسكر بالنشّاب ، وأصيب غرلوا[1] وسقط عن فرسه فتلاحقوا به وأركبوه . فلم تثبت العرب للسهام ورجعت . ثم حملت حملةً ثانية ثم أخرى حتى تمّ لهم سبع حملات ، وهم ينهزمون فيها . ووصل العسكر إلى بيوتهم فإذا هي في جزيرة كلّها غابة أشجار ، فقاتلوا عند البيوت قتالاً عظيماً حتى آنهزموا إلى الجزيرة . فمنع أيتمُش العسكر من آقتحامها عليهم وحمى حريمَهم من النّهب ونادى : مَن تعرّض لنهب بيت شعراء ودخل إليه قُتل — ونادى بنهب الأغنام والجمال خاصّة ، فآشتغل العسكر بها وظفروا منها بما لا يدخل تحت حصر ، فكان الواحد يسوق المائة وفوقها ويترك أضعاف ما أخذ .

وآقتحم بعض الغلمان بيوت العرب فصاحت النسوان ، فأخرج أيتمُش الغلمان وقطع أيدي عدّة منهم وشقّ أنوف جماعة وقطع أعصاب طائفة ، فلم يجسر أحدٌ بعدها [أن] يدنو من الحريم . وبات العسكر على غاية التيقّظ والاحتراس .

فلمّا أصبح سار عائداً ومعه ستّمائة من الأسرى بعدما قتل عدداً كثيراً في الحرب . فعرضهم وعفا عنهم . وآفتقد عسكرَه فوجد فيهم اثني عشر قد جُرحوا وقُتل منهم فارس واحدٌ . وحاز العسكر مالاً عظيماً حتى أُبيع الجمل من عشرين إلى ثلاثين درهماً والرأس الغنم بدرهم ، ولم يبقَ للصوف والسمن قيمة من كثرته .

واستمرّ ستّة أيام بالسلاح ، وبعث بالبشارة إلى السلطان ، فبعث للقائه الأمير ألجاي الساقي فأخذ خُمس ما مع العسكر من المال للسلطان ، وفرّق ما بقيَ على[2] العسكر فجاء نصيب الواحد ما بين أربعة جمال إلى خمسة ، وما بين

(1) شجاع الدين غرلوا الجوكندار . السلوك 1 / 192 .

(2) في المخطوط : من العسكر .

عشرين رأساً من الغنم إلى ثلاثين . وعاد أيتمُش بمَن معه إلى القاهرة فشكره السلطان وخلع عليه .

ثم بعثه إلى ألقان أبي سعيد بن خربندا في سنة اثنتين وعشرين ، وعلى يده هدايا جليلة ليعقد الصلح بينه وبين أبي سعيد . وأنعم عليه بألفَي دينار ، فسار بتجمُّل لم يسرِ بمِثله أحد ممّن توجّه في الرسالة إلى الشرق من مصر ، فما ترك أحداً من مماليكه حتى عمل له الكلفتاه زركش والقبا بطراز ذهب / وشبه ذلك [232 ب] من الخيل والعُدد فإنّه كان كبير الهمّة عارفاً كريماً .

فلمّا قدم ماردين تلقّاه صاحبُها وأكرمه وبعث إليه التقادم ، فلم يقبل منه إلّا يسيراً ، وحمل إليه الهديّة السلطانيّة ومعها تقدمة [1] من جهته . فأركبَه عند فراقه فرَساً وقاد معه بغلاً وهجيناً [2] . فلم يبعد عن ماردين غير قليل حتى تلقّاه بعضُ أمراء أبي سعيد بالإقامات إلى أن قدم توريز . [فـ]ـركب الوزير خواجا علي شاه ومعه المجد محمد السلاميّ إلى لقائه ، فأكرمه وجهّزه إلى الأردو . فأجلّ ألقان أبو سعيد قدره وناوله الهنّاب [3] [بـ]ـالمشروب من يده ليشرب ، وهٰذه أعظم كرامةٍ عندهم . فآمتنع من شرب الخمر ، وآعتذر بأنّه حجّ فأعفاه . وبلّغ رسالة السلطان ودفع إليه كتابه . فأنزله ورتّب له في كلّ يوم ستّين رأساً من الغنم . وأعجب به أهل الأردو وبمَن معه لحسن زيّهم ، وحلّ عندهم محلاً رفيعاً ، فإنّـ[ـه] كان من خالص جنس المغل عارفاً بلُغتِهم منزلتُه من الترك منزلة النحويّ بين العامة ، ويكتب كتابة فائقة الحسن ، فلم يبقَ أحد فيهم من الأمراء إلّا وأضافه ، فمَا أضافه منهم أحدٌ إلّا وقدّم له تقدمةً تليق به . وفرّق راتبَه في فقرائهم ، وتقدّم إلى جميع مَن معه أن يعفّوا عن الفواحش . فتيسّر على يده ما

....

(1) التقادم : الهدايا .

(2) الهجين : مركوب من الإبل .

(3) الهنّاب : القدَح من الشراب ، ولعلّ الكلمة انتقلت إلى اللغات الغربيّة فيقال في الفرنسيّة مثلاً Hanap (وانظر دوزي في المادّة) .

أراده السلطان من الصلح ، وصعد الخطيب في يوم الجمعة منبر توريز ودعا للسلطان الملك الناصر بعد ألقان وحثّ على الصلح ورغّب المغل في الإسلام وعرّفهم أن المملكتَين صارتا مملكة واحدةً .

فلمّا تهيّأ سفرُه حلف أبو سعيد والأمير جوبان والوزير علي شاه على ما تقرّر وكُتبت نسخة اليَمين ، وغمره بالإنعام وسفّره . فقدم إلى مصر وأحضر إلى السلطان ما حصل له وهو نحو المائتي ألف درهم سوى القماش . وقدّم من عنده لؤلؤاً آشتراه بأربعين ألف درهم قُوّم بمائة ألف ، فأنعم السلطان عليه بذلك كلّه . فأقسم بالأَيمَان الحرجة أنّه لا بدّ من قبول السلطان لذلك جميعه . فحُمِل إلى الخزانة . وأنعم عليه بمائة ألف درهم ، وقدّم له كريم الدين الكبير عشرين ألف درهم .

فقدم عقيب ذلك رسول أبي سعيد لتحليف السلطان في رابع عشر جمادى الآخرة منها ، فحلف له : ثم سار في سابع جمادى الأولى سنة ستّ وعشرين في الرسالة لأبي سعيد وعلى يده هدايا جليلة ، وقدم يوم الثلاثاء [ثا]من عشرين شعبان وقد قضى المهمّات السلطانيّة فأكرمه السلطان ورفع محلّه .

وتوجّه أيضاً وعاد يوم الأحد رابع عشرين المحرّم سنة تسع وعشرين ، وتوجّه إلى مكّة على عسكر للنصف من صفر سنة إحدى وثلاثين لمُحاربة الشريف رميثة بن أبي نُمَي ، فقدم مكّة وقد خرج منها رميثة وجمع عُربانه يريد الحرب ، فتلطّف به أيتمُش ، وبعث إليه عشرة أحمال ما بين دقيق وبشمَاط [1] وشعير ، وخمسة آلاف درهم ، حتى قدم إليه طائعاً ولبس تشريف السلطان وآستقرّ في إمارة مكّة . وقصد أن يقدّم لأيتمُش ومَن معه من العسكر تقادم فلم يُمكّنه أيتمُش من ذلك . وعاد بمَن معه فقدم القاهرة في سابع جمادى الآخرة ، وقد كانت مدّة غيبته أربعة أشهر تنقصه[ـا] ثمانية أيّام .

ثم خرج لنيابة صفد عوضاً عن الأمير/ أرقطاي في سنة ستٍّ وثلاثين ، [233 أ]

(1) البشماط : كعك غير محشوّ .

وكان قد اعتراه مرض الفالج مدّة سنة وصار إذا دخل الخدمة السلطانيّة يتوكّأ على عصا ليتوفّر عليه حضور الخدمة . ونُقل أرقطاي إلى مصر على إقطاع أيتمُش وتقدمته . وأحسَنَ أيتمُش السيرة في أهل صفد ، فلم تطل بها أيامه ومات في السنة المذكورة[1] فوليَ بعده نيابة صفد الأمير طشتمُر حمّص أخضر .

وكان أيتمُش ططريّ[2] الجنس عارفاً بلسان المغل جيّد الخطّ به . وذلك هو سبب سعادته : فإنّ العادل كتبغا لمّا عرض المماليك أعجب بكلامه وجودة خطّه بالمُغُليّ فزاد في جامكيّته[3] ، واتّفق قدوم رسل ملوك الشرق بكتاب فقرأه على كتبغا وكتب جوابه . فأنعم عليه بإقطاع ، ثمّ ولي نيابة الكرك كما تقدّم وتنقّل في الأسفار والخِدم حيث كانت رسل أبي سعيد بن خربندا إذا قدمت مصر تُبْلِغُ السلطانَ عن أبي سعيد وحاكم دولته الأمير جوبان بأن لا يأتينا في الرسالة إلّا أيتمُش .

وكان السلطان إذا جلس عنده الأمراء في خلوة وتذاكرُوا سيَر بعضهم بعضاً يقول : اذكروا أيتمُش ، فإنّه [كان] ميمون الغرّة ما سيّرته في أمرٍ إلّا قضاه ولا وقف في حرب إلّا وانتصر .

ولمّا مات أنعم السلطان بجميع ما خلّفه على [أخيه] الأمير أرقطاي : فإنّ [أيتمُش] لم يترك ولداً .

868 - أيدغدي شقير [- 715][4]

أيدغدي شقير ، الأمير علاء الدين ، [المنكوتَمريّ] ، أحد مماليك الملك المنصور لاجين .

(1) السلوك 2 / 405 : في 13ذي القعدة .
(2) هكذا بطاءَيْن .
(3) الجامكية : الراتب .
(4) الدرر 1 / 455 (1119) ؛ السلوك 2 / 144 و 159 ؛ النجوم 9 / 41 .

ترقّى في خدمته إلى أن تسلطن [لاجين] فجعله من أمراء مصر .

ثم خرج إلى الشام فأقام بها بعد قتل لاجين . وتوجّه على عسكر من دمشق إلى الرحبة في سنة سبع وسبعمائة . فلمّا عاد الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى السلطنة مرّةً ثالثة قدم معه إلى مصر في سنة تسع وسبعمائة ، وتمَكّن منه تمَكّناً زائداً بواسطة خُشْداشِه الأمير طوغاي حتى صار يستشيره . فأكثر من رمي الفتن بينه وبين الأمراء وغيرهم ، فنفرت القلوب منه وكثر ذمّه ، ودسّوا عليه [لـ]لسلطان أنّه يريد الفتك به هو وخوشداشيته ، إمّا بأن يغتاله أو يسقيه السُمَّ . فبنى على صحة ذلك كما هي عادته أنّه لا يُكذّب خبراً يقتضي القدح في الملك ، وقبض عليه في مستهلّ شهر ربيع الأوّل سنة خمس عشرة وسبعمائة ، وقُتل في يومه . وكان قد بعث إليه السلطان في هٰذا اليوم بكرةَ النهار مع كريم الدين الكبير ناظر الخاصّ بألفَي مثقال ذهباً في كيسَين توجّه بهما إليه كريمُ الدين نفسُه إعانةً لهُ على عمارة إسطَبله [1] تحت القلعة . فقبض عليه بعد الظهر وأحاط بمَوجوده .

869 - أيدغدي الخوارزميّ [- 729] [2]

أيدغدي الخوارزمي ، الأمير علاء الدين ، أحد [. . .] .

ترقّى إلى أن صار من جملة الأمراء وعمل حاجباً نائباً . وبعثه الملك الناصر محمد بن قلاوون غيرَ مرّة في الرسالة إلى ألقان أزبك [3] . ثم أخرجه من مصر في سنة إحدى وعشرين وسبعمائة حاجباً بدمشق لمُغاضبته الأمير ألماس الحاجب فما

(1) اسطبله بالسين هٰذه المرّة .
(2) الدرر 1 / 454 (1116) .
(3) السلوك 2 / 164 .

زال بها إلى أن مات في أوّل شهر رمضان سنة تسع وعشرين وسبعمائة ، وأنعم بإمرته على قلبرص[1] ابن الأمير علاء الدين الحاج طيبرس .

870 - أيدغدي الشهرزوريّ [- بعد 705][2]

أيدغدي الشهرزوريّ ، الأمير علاء الدين .

كان من جملة الأكراد بمِصر . فلمّا قبض الظاهر بيبرس على الأمير بهاء الدين يعقوبا أمير الأكراد والشهرزوريّة وجماعة من أكابرهم ، فرَّ إلى بلاد المغرب في عدّةٍ من الأكراد ، وتعلّقوا بخدمة السلطان أبي يعقوب يوسف بن يعقوب المرينيّ . وتمَكّن أيدُغدي وتحدّث في أمور الوزارة وسار فيها سيرةً جيّدةً .

ثم قدم إلى القاهرة في سنة أربع وسبعمائة يريد الحجّ في حشمة زائدة وعبيد وخفدة ، ومعه هديّة جليلة للسلطان من أبي يعقوب[3] . وقدم معه ركب
[233 ب] المغاربة لقصد الحجّ . / [. . .] هٰذه الهديّة ومعها كتاب مرسله إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون ، فقبلت منه ، وأنزل في مكان يليق به ، وأجريت عليه الرواتب السنيّة ، إلى أن حجّ مع الأمير سلّار النائب .

فلمّا عاد في المحرّم سنة خمس وسبعمائة جهّزت معه هديّة فيها عشرون إكْدِيشاً[4] من أكاديش التتار التي أُخذت في وقعة شقحب مع عشرين أسيراً من التتر في عدّة من طبولهم وقِسيّهم وعدّة ثياب وتحفٍ . وأرسل معه علاء الدين أيدُغدي التليليّ[5] .

(1) ذكرت وفاته سنة 730 ؛ السلوك 2 / 326 .
(2) الدرر 1 / 454 (1117) ؛ السلوك 2 / 9 ، 15 .
(3) ذكر اسم السلطان المرينيّ في السلوك 2 / 9 مطوّلاً ، يوسف بن يعقوب بن عبد الحقّ ...
(4) الإكديش : فرس قصير ضامر عتيق (دوزي) .
(5) في السلوك : أيدغدي التليلي الشمسيّ مملوك سنقر الأشقر ، وأضاف إلى الوفد الأمير علاء الدين أيدغدي الخوارزميّ السالف الذكر .

871 – أيدُغدي التليليّ [– 728] [1]

أيدُغدي التليليّ ، الأمير علاء الدين الشمسيّ ، أحد أمراء دمشق .

[جهّزه الناصر رسولاً إلى صاحب المغرب مرّة . ومات بطّالاً بدمشق سنة 728] .

872 – أيدغمش الحكيميّ [– 680] [2]

أيدغمش الحكيميّ ، الأمير سيف الدين ، أحد الأمراء الظاهريّة .

قتله الملك المنصور قلاوون لمُوافقته كَوُنْدَك على الفتك بالسلطان ، وغرّقه في بحيرة طبريّة في خامس عشر المحرّم سنة ثمانين وستّمائة .

873 – أيدغمش الناصريّ [– 743] [3]

أيدغمش الناصريّ ، الأمير علاء الدين ، أحد المماليك الناصريّة محمد بن قلاوون ، انتقل إليه من الأمير سيف الدين بلبان الطبّاخي ، ونقله في الخِدم إلى أن صار من جملة الأمراء ، وعمله أمير أخور بعد مجيئه من الكرك وعَوْده إلى السلطنة ، عوضاً عن بيبرس الحاجب في سنة تسع وسبعمائة . فاستمرّ على ذلك حتى مات السلطان وأقيم من بعده ابْنُه المنصور أبو بكر . فوافق الأمير قَوْصون على خلعه وأعان عليه بخذلانه .

---

(1) الدرر 1 / 454 (1115) والزيادة منها .

(2) السلوك 1 / 686 .

(3) الوافي 9 / 488 (4452) ؛ الدرر 1 / 455 (1220) ؛ المنهل 3 / 165 (598) ؛ السلوك 2 / 637 ؛ النجوم 10 / 99 .

ثم توحّش ما بينه وبين قوصون في الأيّام الأشرفيّة كجك ، وٱنقطع عن طلوعه إلى القلعة أيّاماً ، وٱحترس على نفسه ، بحيث إنّه كان يُغلق باب السلسلة إذا ركب قوصون تحت القلعة في الموكب . فمَا زال به قوصون حتى عاد إلى مصالحته على دخل . فلم يُقم إلّا قليلاً وثار عليه فيمَن ثار من الأمراء وأخرجوه مقيّداً إلى الإسكندرية . ودبّر أمور الدولة ، وبعث الأمير جنكلي بن البابا والأمير بيبرس الأحمديّ إلى الناصر أحمد بالكرَك لِيُحْضِراه ، وقبض على عدّة من الأمراء ، وأفرج عن الأمير ملكتمُر الحجازيّ ومن كان معه من الأمراء ، وطلب عبد المؤمن والي قوص وقتَلَه لِقتله الملك المنصور أبا بكر ، وأعاد أولاد الناصر محمد بن قلاوون من نفيهم بقوص إلى قلعة الجبل ، وحلّف الأمراءَ والعسكر لِلنّاصر أحمد .

فلمّا ثبتت دولة الناصر أحمد أخرجه لنيابة حلب ، واستقرّ قماري أمير شكار عوضَه أمير أخور ، وسار في أوائل ذي القعدة سنة ٱثنتين وأربعين في نيابة حلب إلى أن خُلع أحمد الناصر بأخيه الصالح إسمَاعيل ، فرسم بنقله إلى نيابة دمشق في المحرّم سنة ثلاث وأربعين ، واستقرّ عِوضه في نيابة حلب الأمير طقزدمر . فقدم أيدغمش دمشق يوم الخميس العشرين من صفر فأقام بها إلى يوم الثلاثاء ثالث جمادى الآخرة منها . فركب حتى أطعم طيوره وعاد إلى دار السعادة ، وقرئت عليه القصص على العادة وأكل الطعام وعلّم على ما رسم بإمضائه ، وعرض طلبه ، وظلّ نهاره في تنفيذ الأشغال . ثم قام إلى داره فإذا جاريتان تتخاصمان ، فضرب إحداهما ضربتَين ، وأراد أن يضرب الثانية فسقط ميتاً .

فأخرج من الغد ودُفن خارج ميدان الحصى في تربة عمّرت له هناك .

وكان كثير العطاء جواداً . وترك ثلاثة أولاد أمراء هم : أمير عليّ وأمير حاجّ ، وأمير أحمد ، أمّرهم الناصر أحمد لعلوّ مكانة أيدغمش عنده .

وكان الصالح إسمَاعيل قد تنكّر عليه وكتب بإمساكه ، وذلك أنّه وُشي به

أنّه يباطن أخاه أحمد الناصر بالكرك . فوصل خبر موته ، والقاصِدُ بمَسكه في قطيا سائر إليه ، فعاد .

874 – أيدغمش [أيدكين] البندقدار [– 684] [1]

أيدغمش [أو أيدكين] البندقدار ، الأمير علاء الدين الصالحيّ / [234 أ] النجميّ ، أحد المماليك البحرية الصالحيّة .

كان مملوكاً للأمير جمال الدين موسى بن يغمور . ثم انتقل إلى الملك الصالح نجم الدين أيوب . وتنقّل في الخدم بديار مصر ، وجعله الملك الصالح بندقدار ورتّبه على عسكر بعجلون لمّا ملكها . ثم نقم عليه لكونه تزوّج سرّيّة الأمير علي ابن قليج بغير إذنه وطرده . ثم كتب بالقبض عليه فأخذ من البرّيّة وحمل إلى السلطان فأخذ منه بيبرس وغيره من المماليك وسجنه بعجلون ، إلى أن صار من الأمراء بعد زوال الدولة الأيوبيّة .

وأستنابه الملك المعزّ أيبك التركماني في سنة ثمَان وأربعين وستّمائة . وكان يجلس مع نوّاب دار العدل بالمدارس الصالحيّة بين القصرين للنظر في المظالم .

ثم ولي نيابة حلب في سنة تسع وخمسين ، وتركها لشدّة غلاء الأسعار بها وعاد إلى القاهرة سريعاً .

ومات بالقاهرة في شهور سنة أربع وثمَانين وستّمائة ، ودفن بخانكاه التي تعرَف بالبندقداريّة قريباً من صليبة [2] الجامع الطولوني خارجَ القاهرة .

وإليه يُنسب الملك الظاهر بيبرس البندقداري ، فإنّه كان في ملكه أوّلاً .

(1) في النجوم 7 / 365 : علاء الدين أيدكين البندقداريّ الصالحيّ النجميّ أستاذ الملك الظاهر بيبرس . وكذلك في السلوك 1 / 730 : أيدكين والشذرات 5 / 388 فلعلّ الناسخ استرسل في كتابة ايدغمش خطأً . وكذلك في الوافي 9 / 491 (4456) – والخطط ، 2/ 282 ، وتالي الوفيات ، 26(26) .

(2) الصليبة : مجمع الطريقين عند تقاطعهما (دوزي) . والمدرسة البندقداريّة ذكرها المقريزي في الخطط ، 4/ 282 .

875 – أيدكين الصالحيّ [– 690][1]

أيدكين الصالحيّ ، الأمير علاء الدين ، أحد المماليك الصالحيّة .

تنقّل في الخدم إلى أن ولي نيابة السلطنة بصفد ، وبها مات في سنة تسعين وستّمائة .

876 – أيدكين [الأزكشيّ] البريديّ والي القاهرة [– بعد 735][2]

أيدكين البريديّ ، الأمير [. . .] الدين .

[...] ثم استقرّ في ولاية القاهرة عوضاً عن ناصر الدين محمد بن سليك المحسنيّ في [يوم الخميس ثاني شعبان] سنة أربع وثلاثين وسبعمائة بسفارة شرف الدين عبد الوهاب النشو ناظر الخاصّ . فآستبدّ على أهل الرتب ، وتتبّع أهل الفساد ، وصار يتنكّر ليلاً ويَمشي بأزقّة القاهرة ويسمع مَن في الدور يغنّي وتشتمّ عنده رائحة خمر ، فيُحلّ به بلاءً عظيماً . فأخرق بجماعة من المستورين ، وقويت حرمتُه وزادت مكانته عند السلطان فلم يتلطّف بالأمراء بل شاققهم وتعامى عن مداراتهم .

وركب في ذي الحجّة منها إلى النخيلة خارج اللوق حيث يجتمع الزُّعَّر – وكان يُعمل هناك عدّة أخصاص يجتمع بها الناس للفرجة على الزعر[3] – وطرقهم على بغتة وأخذ كثيراً منهم وسلبَ خلقاً كثيراً ثيابهم . وجمع الباعة وطرحها عليهم

(1) الوافي 9 / 490 (4454) ؛ المنهل 3 / 153 (591) ، والترجمة فيهما أطول بكثير من هٰذه . ولم يذكر في السلوك .

(2) السلوك 2/ 372 ، والزيادات منه .

(3) الزعّر والدعّر والذعّر : الأوباش وأهل السوء . والخبر منقول بآقتضاب في السلوك 2 / 374 .

فبلغ ثمَنُها نحو الخمسة عشر ألف درهم .

ثم صرف عن الولاية لِتَنَكّر الأمير قَوْصون عليه في سنة خمسٍ وثلاثين ، وأخرج بطّالاً إلى الشام ، وأُقيم عوضَه في ولاية القاهرة بلبان الحساميّ .

877 - أيدمر القشّاش [- 702] [1]

أيدمر القشّاش ، الأمير عزّ الدين ، أحد المماليك [. . .] .

وولي في الأيّام المنصوريّة قلاوون الغربيّة فأرهف حدّه وأكثر من سفك الدماء ، فخافه أهل الفساد . فأضيف إليه ولاية الشرقيّة وكشفُ الوجه البحريّ .

فلمّا مات المنصور وقام من بعده ابنُه الملك الأشرف خليل وٱستوزر الصاحب شمس الدين محمد بن عثمَان بن السلعوس ، تكبّر عليه أيدمر هٰذا ولم يلتفت إلى مراسيمِه ، فشكا منه للسلطان شكوى كثيرة حتى كتب بإحضاره .

وكانت العادة أن يُحْضِرَ الولاةُ كلّ سنة للسلطان تقدمةً . فخرق أيدمر العادة و[أ]حضر تقدمةً عظيمة في سنة ٱثنتين وتسعين وستّمائة فيها ستّون حِجْرَةً [2] من عتاق الخيل ، وعشرون حصاناً ، ومائة هجين كلّهم يعني بحرية [3] ومقاود بعضُها فضّة وأكواز وسلاح كثير من أسلحة العرب . فأعجب بها السلطان وشكره . فسأل النائب بيدرا أن ينعم عليه بالمثول بين يدي السلطان ليقبّل الأرض فقال : لا ، بل يَذهب إلى الوزير ، فإنّه شكا منه أنّه أخذ لي شيئاً كثيراً من مالي .

فقال : ونفرض أنّه أخذ ؟ فقد أحضر قدرَ ما أخذ في هٰذه التقدمة .

(1) الدرر 1 / 457 (1125) وهو فيها : الحشّاش ؛ النجوم 8 / 160 و 205 والسلوك 1 / 946 وفيها : الشمسيّ القشاش .

(2) الحجرة : أنثى الخيل .

(3) كلمتان عسيرتا القراءة .

وأبى إلّا أن يذهب إلى الوزير . فعزّ ذلك على أيدمر وقال : ليفعل السلطانُ فيّ كلَّ ما يختار ! ولا أدخل إلى الوزير ، فإنّه كبير النفس وأنا أكبَر نفساً منه / ، فيحصل الضرر . [234 ب]

فلاطفه بيدرا ، وبعث قبلَه أحد الحجّاب إلى الوزير بالوصيّة عليه فإنّه رجل شيخ له قدر معتَبَر . ثم بعثه . فلمّا دخل على الوزير لم يعبأ به ، وتشاغل عنه ساعةً . ثم نظر له وقال : أنتَ الذي يقال لك القشّاش ؟

فٱشتدّ حنقُه ، ونظر إلى الوزير شزراً ، وخرج وهو يسبّه بالتركيّ ، والحاجب يصيح به فلا يلتفت إليه ، والنقباء في طلبه . فسبقهم إلى دار النيابة وقال لبيدرا : ألف ضربة بالسيف ، ولا وقوفي قدّام عامّي يُهِينُني ! - وحلّ سيفه وألقاه .

فسكّن بيدرا الشرّ وأظهر أنّه قد غضب عليه ، وأخذ سيفَه ووكّل به ، وأعلم الوزير بمَا فعل به .

فلمّا دخل إلى السلطان شكا من أيدمر وقوّة نفسه . فقال له السلطان : ما نجدُ مَن يقوم مقامه ، فإنّه متسلّط على المفسدين فلاطِفْ الأمر معه !

فخرج وطلبه من دار النيابة ورسم عليه ليعمل حساب البلاد .

فقال : قل للصاحب : أنا ما ولّاني الملك المنصور جابياً حتى أعمل الحساب ، وإنّمَا أقامني لأشنق وأوسّط وأسمّر وأحطّ ٱبن آدم على الخازوق ، وما أعرف غيرَ سفك الدماء . فإن كان للوزير حساب [فلـ]ـيطلُبْه من دواوينِه ! وإن كنت قتلتُ له أحداً من أقاربه [فـ]ـيطلبني بدمه ! - ونَهَرَ في شادّ الدواوين وفي المقدّمين .

فعادوا إلى الوزير بمَا قال ، فٱقشعرّ جلده من شناعة هذا القول . فأقام في الترسيم ثلاثة أيام [ثم] استدعاه السلطان وخلع عليه وقال له : قد سمعتُ أنّك قتلت خلقاً كثيراً ، فكم تبلغ عِدّتُهم ؟

فقال : زيادةً على ٱثنتي عشَرَ ألفَ رجل ، ما أعتقد أنّ الله أجرى حكمي على غير مفسدة .

قال : وسمعت أنّك سمّرت ثلاث نساء ، منهنّ اثنتان بكران . لمَ ذلك ؟

قال : شكا إليّ تاجر من أهل المحلّة عجوزاً وجَدَ معها شيئاً من ثياب أخيه ، وكان قد غاب مدّةً وٱنقطع خبرُه . فأنكرَتْ ما قال ، ففتّشتُها ، فإذا معها مصاغ فيه خواتم رجاليّة . فادّعت أنّه من حلي بناتها ، فعاقبتها ثلاثة أيام فلم تقرّ ولا عرّفتني ٱسم بلدِها ، حتى ذكر لي بعض الرقّاصين أنّها من ناحية بطشة بالقرب من المحلّة . فركبت وهجمت بيتها فوجدت فيها كثيراً من ملابس الرجال والنساء ، ووجدت لها ٱبنتين فعاقبت الثلاث عقوبة الموت ، فلم يعترف أحدٌ منهنّ ، فسمّرتهنّ . فكانت العجوز تئنّ من ألم المسامير ، فقالت لها ٱبنتها الصغرى وهي مسمّرة : يا أمّاه ، إيّاك أن يعيب علينا باعة المحلّة ! مُوتي وأنتِ ساكتة !

فشكره السلطان وأعاده إلى عمله ، فٱستمرّ فيه مديدة ، إلى أن حدث به مرض المفاصل . فطلب الإعفاء . وأقام بالقاهرة ، إلى أن سار الملك الناصر محمد ٱبن قلاوون إلى قتال التتار . فسار مع العسكر في محفّة حتى ٱلتقى الفريقان على شقحب . [فـ]ـلبس آلة حربه وركب فرسَه ، وبه من ورم رجليه وضربانهـ[ـما] ألم شديد . فقال له بعض أصحابه : يا خوند ، أنت رائح ترمي نفسك للموت !

فنهرَه وقال : وَيْلك ! والله لمِثل هذا اليوم كنتُ أنتظرُ ! وإلّا ، بأيّ شيءٍ يتخلّص القشّاشُ من ربّه إلّا بهٰذا ؟

ثمّ ٱقتحم بفرسه وحمل برمحه على العدوّ ، وكأن لم يكن به ألم قطّ . وقاتل حتى قُتل في يوم الأحد ثاني شهر رمضان سنة ٱثنتين وسبعمائة ، فوجد فيه عدّة جراحات .

وكان رحمه الله صاحب حرمة وافرة ومهابة زائدة . وٱقترح في أيّامه نوعاً

شنيعاً من العذاب : فأقام خوازيق في الأرض وجعل محدّدها منتصباً قائمًا ، وبأعلاها عودٌ من خشبٍ طويل ختامه بكرة فيعلّق الرجل من المفسدين بيده في
[235 أ] تلك البكرة ، وترفعه / حتى يصلَ إلى آخر الخشبة ، ثمّ يرخيه بسرعة فيقع على الخازوق فيخرج من جسده بحسب ما يقع عليه . فذعر أهل النواحي منه وآشتدّ خوفُهم وفزعُهم وصاروا بحيث لا يقدر أحدٌ منهم على لبس مئزر أسود ولا يتجاسر أن يتقلّد بسيف ولا يأخذ بيده عصا ولا يركب فَرَساً في مدّة ولايتِه .

وأقام عدّة جسور وتراع كثُر النفع بها ، منها جسر بين ملقة سندفا وأرض سمنود عُرف بالشقفيّ .

فلمّا كان بعد موته بمُدّة رآه رجل في نومه وسأله عمّا لقي ، فقال : سامحني ـ الله وغفر لي بعمارة جسر الشقفيّ .

878 - أيدمر الحلّيّ [- 667] [1]

أيدمر الحلّيّ ، الأمير عزّ الدين ، الصالحيّ ، النجميّ ، أحد المماليك الصالحيّة نجم الدين أيّوب .

ترقّى في الخدم حتى صار أكبر أمراء مصر وأعظمهم محلاً عند الملك الظاهر بيبرس ، وينوب عنه في غيبته لثقته به وآعتماده عليه ، مع قلّة خبرته ، غير أنّ الله خوّلَه نِعماً يقصر الوصف عنها .

ومات بدمشق في [أوّل شعبان] سنة سبع وستّين وستّمائة ، وقد أناف عن الستّين .

....

(1) المنهل 3 / 170 (600) ؛ الوافي 10 [(4458) ؛ النجوم 2 / 227 ؛ السلوك 1 / 574 .

879 – أيدمر الرشيديّ [– 708] [1]

أيدمر الرشيديّ . كان من مماليك الأمير بلبان الرشيديّ خُشداش الملك الظاهر بيبرس . وترقّى في خدمه إلى أن عمله أستداره . وآخر ما عمل أستدار الأمير سلّار نائب السلطنة ، فعظُم مالُه وقويَ جاهه . إلى أن قُتل سلّار فقبض عليه .

ثم مرض وتهوّس ومات بأسوإ حال في تاسع عشر شوّال سنة ثمَان وسبعمائة ؟ وعُدّ ذلك من بركة الشيخ عبد الغفّار بن نوح [2] .

وكان من كرماء الناس يقصِده أربابُ الحوائج فيسعدُهُم ويساعدهم . وكان منهمكاً في اللذّات ، فقام عليه الأمير بيبرس الجاشنكير وأغرى به الأمير سلّار أنّه يتلف مالَه في اللهو . فقال له سلّار : يا عزّ الدين ، بلغني أنّك تشرب الخمر وتعمل المقامات وتنعم وتُعطي ، فعرّفني : أيّ وقتٍ يسعُك لهٰذا ؟

فقال : إذا نزلتُ من خدمتك قبل المغرب أجد مكاني قد جُهّز فيه كلّ ما يحتاج إليه وحضر جماعتي ، فأقيم إلى آخر الليل وأفعل ما يفعله أرباب المجالس . ثم أتطهّر وأغيّرُ ثيابي وأصلّي الصبح وأفطر وأركب إلى خدمتك .

فتبسّم من كلامه وقال : أقِم على ما أنت عليه ولا تتغيّر عنه . فتتبّع أيدمر ما أوجب ذكرَ سلّار هٰذا ، حتى ظفِر أنّه من قِبل الأمير بيبرس . فركب إليه ومعه مكتوب معصرة ببلاد الصعيد ابتاعها بالقوّة والجاه بمائة وعشرين ألفَ درهم . فعندما رآه بيبرس ترحّب به وأجلسه وقال : لعلّ لك شُغلاً ؟

(1) الدرر 1 / 458 (1128) ؛ السلوك 2 / 51 . وتاريخ وفاته فيه نظر لأن سلّار النائب مات سنة 710 .

(2) عبد الغفّار القوصي (ت 708 أيضاً) كان للناس فيه اعتقاد (السلوك 2 / 50 ؛ النجوم 8 / 230) .

قال : نعم ، يا خوند ، لمّا سافرت إلى الصعيد آشتريت معصرة بجميع ما تحتاج إليه ، وقمتُ بعد شرائها بكلفها إلى آخر السنة . وما آبتعتُها إلّا على رسم الأمير ، وهٰذه مكاتيبُها . (وقال إنّ) الطلاق يلزمه ما يأخذ لها ثمَناً ، وترك المكاتيب وقام .

فمِن يومئذ كان بيبرس إذا سمع سلّار يذكر أيدمر يُثني عليه ويبالغ في شكره .

880 – أيدمر السِّنانيّ [– 707] (1)

أيدمر السنانيّ ، عزّ الدين ، أحد الأجناد . وله معرفة بتعبير الرؤيا ، ويقول الشعر . توفّي [سنة 707 بدمشق] (2) .

ومن شعره [كامل] :

يجد النسيمَ إلى الحبيب رسولاً ... دنِفٌ حكاه رقّةً ونُحولا
يُجري العيونَ من العيونِ صبابةً ... فتسيل في إثر الغَريق سيولا
وتقُولُ من حسد له : يا لَيتَني ... كنت آتّخذت مع الرسول سبيلا !

881 – أيدمر التركيّ المُحيَويّ [– 648] (3)

أيدمر بن عبد الله المحيويّ التركيّ ، علم الدين ، مملوك محيي الدين أبي المظفّر محمد بن محمد بن نَدى الجزري .

---

(1) الوافي 10 / 15 (4460) ؛ الدرر 1 / 457 (1123) ؛ السلوك 2 / 40 ؛ النجوم 8 / 227 . فوات ، 1/ 214(79) .

(2) الزيادة من السلوك . وفي الدرر : مات شيخاً في جمادى الأولى .

(3) الوافي 10 / 7 (4459) ؛ المنهل 3 / 172 (602) ؛ النجوم 7 / 210 ؛فوات ، 1/ 208(78) ؛ وديوانه طبع منه مختارات بالقاهرة سنة 1931 .

اشتغل بالأدب على جماعة ، منهم الإمام ضياء الدين أبو طالب بن عبد الله ابن أبي طالب بن سيّد السنجاري ، فبرع في الأدب ونظم كفاية المتحفّظ في اللغة ، وسمّاها « الغاية في نظم الكفاية » .

وله / قصيدة في فضل الصحابة ، وله ديوان شعر مشهور . وأقام بالقاهرة [235 ب] دهراً طويلاً . فلمّا كانت الوقعة بين الملك المعزّ عزّ الدين أيبك التركماني ملك مصر ، وبين الملك الناصر يوسف بن العزيز صاحب الشام على العبّاسيّة في يوم الخميس عاشر ذي القعدة سنة ثمان وأربعين وستّمائة ، خرج فيها فوجد في مدينة بلبيس على بعض الدكاكين وقد ضربه بعض الأعراب بدبوس على حنكه وقد ورم . فحمل إلى القاهرة فتوفّي بعد الوقعة بأربعة أيام في يوم الاثنين رابع عشر ذي القعدة المذكور .

ومن شعره يَمدح الملك الصالح نجم الدين أيّوب ، من أبيات [بسيط] :

نصرت بالرعب قبل البيض والأسل — ولطف صنع كصنع الله للرّسل
أوتيت بسطة تَمكين قهرت بها — معانديك فضَعْ وآرْفَعْ وصُل وطُلِ
تثبّتاً ما ظنّناه يكون لإنـ — ـسانٍ وقد خُلق الإنسان من عجل
له يقين أبي بكر وعدل أبي — حفصٍ وجود أبي عمرو وبأسُ عليّ [1]

ومن أخرى [رمل] :

حفظ الله لنا الصالـ — ـحَ مولانا وأبقاهْ
ووقاه حادثَ الدهـ — ـرِ ولا زال مُوَقّاهْ

وقال [الهزج] :

أما والسيف لا ترجى — له أوبة مضروب
بجدّ غير مصنوع — وحسن غير مجلوب

(1) أبو عمرو إحدى كنى عثمان (رضه) . وانظر الديوان ، ص 7 .

ورمح من قنا الخطِّ   إلى سمهرَ منسوب
صليب المتن مأمون الـ   ـحشا صدق الأنابيب
وطِرف يسبق الطَرف   جوادٍ غير مركوب
لقد ألبس هٰذا الديـ   ـن عِزًّا غيرَ مسلوب
بهٰذا الملِك الصالـ   ـح نجم الدين أيّوبِ

وقال من أبيات في الملك الجواد مظفّر الدين يونس بن مودود ابن العادل أبي بكر بن أيّوب عند وصوله غزّة [بسيط] :

ما بعد مرآك للآمال مُقترحُ   ولا وراء هواها فيك مُطَّرَحُ
أهلاً وسهلاً وأدنى الله دارك يا   ملكاً هو الروح والدنيا له شبحُ
أنتم ملوك بني أيوب إن فسدوا   يفسُدْ ويصلحُ أمر الناس إن صلحوا

وله [وافر] :

لقد عتب الأمير عليّ إذ لم   أسلّم إذْ مررتُ به لمَاما
ولو علم المراد بذاك منِّي   تبيّن عنده عُذري وقاما
هو الروح الأمين فلستُ إلّا   بظهر الغيب أقريه السلاما

وقال [وافر] :

أقول وقد تلاعبت الحميّا   بنا وطغى بسَورته الشرابُ
عدوتِ قضيّة الإنصاف فينا   وغُيِّب من حكومتك الصوابُ
أخذتِ الشاربين بمَا جناه   عليك العَاصِرون وما أصابوا
فقالت وهي تضحك في كؤووس   ينوبُ عن الثغور بها الحباب
وجُرمٍ جرَّهُ سفهاءُ قوم   فحَلّ بغير جارمه العذابُ

وله من أبيات [طويل] :

إلٓهي ، أتاك العالمون بفضلهم   من العمل الزاكي ففازوا وأدركوا

ولا فضل إلّا أنني بك مؤمن	وأنّي بحبّ المصطفى مُتمسِّك

وقال [سريع] :

حللتُ نفسي من عقال الهموم	بعقديَ الطرف بكتب العلومْ / [236 أ]
لمّا رأيتُ الحظّ بي قاعداً	قعدتُ أستأنيه حتى يقومْ

وقال [طويل] :

وذي سفهٍ أضحى يدير لسانه	فغيَّبته منِّي على صفح جُلَّدِ [1]
ولو شئت قول السوء فيه وفعلَه	لما خانني فيه لساني ولا يدي

وقال [كامل] :

أهلاً بغرّة وجهك الحسن الذي	غررُ المحاسنِ أهلُه وذووهُ
إن زارني فبفَضله أو زرته	فلفضلِه فالفضلُ لا يعدوه

وقال [رمل] :

حبّذا الفسطاط من والدةٍ	جنّبت أولادَها دَرَّ الجفا
يَرِدُ النيلُ إليها كدِراً	فإذا مازجَ أهليها صَفا
لطفوا فالمزن لا يألفهم	خجلاً حين رآهم ألطفا [2]

وقال [سريع] :

يا حبّذا مجلسنا مجلساً	قد حفّت النعمة جُلّاسَه
يجلو عليه الغصن أعطافه	زهواً ويُهدي الزهرُ أنفاسَه

وقال في قصر النهار [سريع] :

---

(1) قراءة هٰذا الشطر عسيرة .
(2) ابن سعيد : المغرب (مصر) 9 .

واهاً ليوم قه لهوت به متقارب الطرْفين مختصرِ
قطعت عن النُّهى مسافتها وثبا كمثل اللمح بالبصر[1]
لم تبد فيه الشمسُ طالعةً حتى تلاها الليل في الأثر

وقال [رجز] :

كأنّمَا الهالةُ حولَ بدرها كمامةٌ تفتّقت عن زهرها

وقال [مجتثّ] :

وليلة للمُعاني فيها أضطرابُ المريضِ
قد حال بين جفوني ولذّةِ التّغميضِ
رَقْص البراغيث فيها على غِناءِ البعُوضِ

وقال [منسرح] :

لو ينطق الدين قال مشتكياً يوماً مقال الشجيّ ذي الكمد
كم فارس لي وكم ظهير وكَمْ ركنٍ وكم صارمٍ وَمعتمَد
الحكمُ لله ما عُرِضتُ على الخذلانِ حتى تكاثَرت عُددِي
قد كنت ذا عزّة مُمَنَّعةٍ أيّام ما لي في الناس من أحدِ

وقال [وافر] :

إذا استقصى ودادك ذو وداد فقد أبدى مقدّمة الزَّهادة
إذا ما الشيءُ زاد إلى انتهاءٍ فلا يرقب سوى نقص الزيادة

وقال [كامل] :

لي صاحب مُتلوِّنٌ في خُلْقِهِ جمّ التقلّبْ

(1) لم نفهم صدر هٰذا البيت .

لو كان يَجني لم أُبَلْ   لكنّه يَجني ويَغضبْ

وقال [خفيف] :

لا أهنّي مولاي بالعيد إلّا   خوف تعطيل سنَّةٍ تُعتاد
فمن الجهل أن يُهَنّا بعيدٍ   مَن به الدهرُ كلّه أعيادُ

وقال [خفيف] :

خير صوم مضى وأعقب أجراً   ليس يَمضي وخير فطرٍ أتاكا
فتلقّاك بالسعادة هٰذا   وتوخّاك بالمثوبة ذاكا

وقال [كامل] :

يا نائياً عنّي ولم يبعد وإن   بخلت بقرب مزاره الأيّام
/ لو أن تقاربت القلوب فأهون   لانسا بتباعد الأجسام[1]   [236 ب]
لو كان أمكن سار كلّ عشيّة   منّي إليك تحيّة وسلام

وقال [كامل] :

كثر العجائب في الزمان ولا أرى   عجباً كمثل عجيبة بحصان
نقصوا فزاد النقص فأعجبوا   لزيادة حدثت من النقصان

وقال :

عابني شبيه العيو   ب ولو شئت عِبْتُهُ
لكن الفُحشُ لم تُعَـ   ـوّدْهُ نفسي فعِفتُهُ

وقال [كامل] :

انظر إلى الهرمَين واسمع منهما   ما يرويان عن الزمان الغابر

(٦) هٰذا البيت أيضاً صعب التقويم .

وانظر إلى أثر الليالي فيهما   نظراً بعين القلب لا بالناظر
لو ينطقان يُخبِّرانا بالذي   فعل الزمانُ بأوّلٍ وبآخر
وإذا هما بدوا لعينيْ ناظرٍ   وصفا له أدنى حوادث عابر

وقال [سريع] :

مررت مجتازاً بصوفيّة   لهم لحًى يضحك منها الجُحَا
ففيهم قطب فلو أنصفوا   أدير للصنع عليهم رحا

وكان يقرأ على العلّامة ضياء الدين أبي طالب بن عبد الله بن أبي طالب بن سيّد السنجاري ، وقد أقبل الطواشي جمال الدين كافور خادم محيي الدين الجزري أستاذه على فرس أشهب ، فقال ضياء الدين :

جاء الجمال وتحته مهر

أجز يا علمَ الدين :

فأنشد عقيب قوله من غير رويّة ولا فكر :

فتدفّقا فكلاهما بحر

فقال ضياء الدين :

فكأنّمَا كافور حين بدا

فقال علم الدين أيدمر :

كافور إذ خضَعَت له مِصرُ !

وكتب الصاحب كمال الدين عمر بن أحمد ابن العديم على ديوانه [طويل] :

وكنتُ أظنُّ التركَ تختصُّ أعيُنٌ   لهم إن رنت بالسحر فيها وأجفانُ

إلى أن أتاني من بديع قريضهم قوافٍ هي السحرُ الحلالُ وديوانُ
فأيقنت أنّ السحرَ أجمعه لهم يُقرّ له هاروتُ فيه وسحبان[1]

882 – أيدمر الدوادار [– 740][2]

أيدمر الدوادار ، الأمير عزّ الدين ، أحد المماليك الناصريّة محمد بن قلاوون .

عمله دوادار[اً] مدّة ، ثم أنعم عليه بإمرة في دمشق . وسار إليها في سنة سبع عشرة وسبعمائة . ومات في سنة أربعين وسبعمائة .

وكان خيّراً ، له معروف وصدقات ، وٱشتغال بالعلم ، ويكتب الخطّ المنسوب .

883 – أيدمر العلائي [– 676][3]

أيدمر العلائيّ ، الأمير عزّ الدين ، أخو أيدكين الصالحيّ ، أحد البحريّة الذين خرجوا في نوبة أقطاي . فكان من بينهم ، إذا أتوا إلى زرع أطلقوا خيولهم فيه ، فيُمسك هو فرسَه ولا يطعمُه إلّا ممّا يشتريه بمَاله[4] .

فلمّا ملك السلطان الملك الظاهر صفد ولّاه نيابتَها . وكان يقول : هو قاضي التُرك !

---

(1) الديوان 59 ، والنجوم 7/210 .

(2) السلوك 2/176 ، 505 .

(3) الوافي 10/6 (4458) ؛ المنهل 3/169 (599) ؛ النجوم 7/276 .

(4) النقل مبتور والقصّة غامضة ، وهي في المنهل أوضح : وكان الظاهر يتحقّق منه الأمانة والديانة ، ممّا رأى منه قبلَ سلطنتِه : فإنّهم كانوا إذا جاؤوا إلى زرع أطلقوا خيلَهم ، فكان العلائيّ يمسك فرسه بيده . . .

واتّفق في نيابته أنّ بعض البحريّة طارت شرارة نارٍ من شمعة بيده فأحرقَت قشر أرز وتعلّقت بحواصل منجنيقات فأحرقَتها كلَّها ، فكاتب السلطان بذلك وبذل من ماله ألف دينار لبيت المال عن نظير ما احترق من المنجنيقات . فعاد جوابُه : يُشنَقُ الرجلُ وما لنا حاجة بالذهب .

فأعاد كتابه بدفع ألفَي دينار . فأجيب : يُشنَق من غير مُعاودة ، وإلّا بعثنا مَن يشنقك ويشنقُه – كلّ هذا ولا يعلم الرجل ما جرى ، وامتنع من شنقِه ، تديّناً . فخاف والي القلعة سطوة السلطان فأخذ الرجل وشنقَه في يوم ثلج .

واتّفق قدوم بيت الرجل وأهلِه من مصر فرأوه مشنوقاً فعملوا عزاءه .

ومات العلائيّ في سنة ستّ وسبعين وستّمائة .

884 – أيدمر الظاهريّ [– 700] [1]

أيدمر الظاهريّ ، الأمير عزّ الدين ، أحد المماليك الظاهريّة بيبرس .

رقّاه في خدمه إلى أن أنعم عليه بإمرة وجعله أستادار . فلمّا قبض على الملك المغيث عمر صاحب الكرَك ، بعث أيدمر هٰذا والصاحب فخر الدين محمد بن حنّا في ليلة الجمعة رابع عشرين جمادى الآخرة سنة إحدى وستّين وستّمائة فتسلّمَا القلعة ، ووافاهُما السلطان وقد أقاما الخطبة باسمه . فرتّب أمور القلعة والمدينة واستنابَ أيدمر ، وأضاف إليه الشَّوْبك ، وأنعم عليه بثلاثين ألف درهم وغير ذلك من الآلات والأثاث ، وعاد إلى مصر .

فلم يزل بالكرك إلى أن قدم عليه السلطان في سابع صفر سنة سبعين وستّمائة ، وقرّر عِوضَه في نيابة الكرَك علاء الدين أيدكين الفخريّ . فتسلّمها في ثامنه . وأفهم أيدمر أنّه طلبه لنيابة حصن الأكراد ، وسار به معه إلى دمشق

---

(1) السلوك 1 / 917 .

فدخلها في ثالث عشره على حين غفلة بعدما كتب إلى النوّاب والأمراء ثمَانين كتاباً بخطّ فتح الدين محمد بن عبد الظاهر كاتب السرّ في يوم وليلةٍ بحضرته أنّه آستناب أيدمر هٰذا بدمشق عوضاً عن الأمير جمال الدين آقوش النجيبي . وبعث تشريفاً للنجيبي وأمره أن يتوجّه إلى مصر ، ويسلّمها إلى أيدمر فآمتثل ذلك وسلّمها لأيدمر .

فلم يزل في نيابة دمشق حتى مات الملك الظاهر ، وقام من بعدِه الملك السعيد محمد بركة خان [فـ]ـأقرّه في النيابة إلى أن آختلف عليه الأمراء وهو بدمشق وساروا إلى مصر وهو في إثرهم وكان من خلعه ما قد ذكر في ترجمته [1] .

[فـ]ـقدِم عسكر من حلب وفيهم [2] الأمير عزّ الدين أزدمر العلائيّ ، والأمير قراسنقر المعزّيّ ، والأمير آقوش الشمسيّ ، والأمير برلغي في نحو الألفين [وساروا] إلى دمشق ، وآتّفقوا على إقامة آقوش الشمسيّ في نيابة دمشق . وقبضوا على أيدمر [3] وسجنوه بقلعة دمشق في جمادى الأولى سنة ثمَان وسبعين وستّمائة .

ثم أفرج عنه في الدولة المنصوريّة قلاوون . وأقام بدمشق حتى مات برباطه في سفح قاسيون يوم الأربعاء ثاني شهر ربيع الآخر [4] سنة سبعمائة ، ودفن بتربته على نهر تورا .

وكان شجاعاً مقداماً كريمًا ، وله عدّة مماليك تأمّروا ، منهم سنقر الأعسر الوزير ، وأيدمر النقيب .

---

(1) ترجمة بركة خان مفقودة .

(2) في المخطوط : وقبض ، والإصلاح من السلوك 1/ 757 .

(3) في السلوك ذكر السبب : لأنّه ترك ابن أستاذه وخامر عليه ورجع من بلبيس

(4) في السلوك 1/ 917 : ربيع الأوّل .

885 – أيدمر العِزّي [– 702] [1]

أيدمر العزّيّ ، الأمير عزّ الدين النقيب ، أحد مماليك الأمير عزّ الدين أيدمر الظاهريّ نائب دمشق .

تقدّم في الأيّام الأشرفيّة خليل ، والأيّام الحساميّة لاجين بمُعاشرة الأمراء إلى أن أنعم عليه بإمرة وٱستقرّ نقيب المماليك عوضاً عن [. . .] .

وأُسر[2] في وقعة شقحب ، وقُتِل في ثالث شهر رمضان سنة ٱثنتين وسبعمائة .

وإليه تنسب سويقة العزّيّ[3] خارج باب زويلة من القاهرة . وكان كثير الهَزل خفيف الروح ، واسطة خير ، محبوباً إلى الناس .

886 – أيدمر الرفاء [– 702] [4]

أيدمر الرفّاء ، الأمير عزّ الدين ، أحد الأمراء المنصوريّة قلاوون .

استشهد في وقعة شقحب يوم الأحد ثاني رمضان سنة ٱثنتين وسبعمائة بعدما أبلى بلاءً عظيماً وأصيب فرسُه بسهم سقط به إلى الأرض . فعندما أحاط به المغل ، قتل منهم فارسَين وألقى الثالث إلى الأرض وٱعتنقه وتعاركا حتى قُتل هو وإيّاه جميعاً .

وكان من أحسن الأشكال وأجملها .

(1) الدرر 1 / 459 (1130) ؛ السلوك 1 / 935 و 946 . ومعركة شقحب وُصفت في السلوك 1 / 930 وفي النجوم 8 / 160 .

(2) في المخطوط : وأسرج . وبقيّة الكلام لا تني بٱستشهاده في الوقعة .

(3) وقد نسبها المؤلّف إلى أيبك العزي (ترجمة رقم 860 والخطط ، 3/ 173) .

(4) السلوك 1 / 947 ؛ والبطولة المرويّة هنا نسبتها الدرر 1 / 459 إلى أيدمر العزّي السالف الذكر .

887 - أيدمر العلائيّ الزرّاق [- نحو 760] [1]

أيدمر العلائيّ الجمقدار ، الأمير عزّ الدين الزرّاق ، أحد [. . .] .

ترقّى في الخِدم إلى أن ٱستقرّ في ولاية القاهرة عوضاً [. . .] .

ثم خلع عليه في يوم الخميس ثاني عشر المحرّم سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة ، وٱستقرّ أمير جندار عوضاً عن الأمير ألدمر المقتول بمَكّة[2]. وٱستقرّ في ولاية الإسكندرية ، وٱستقرّ عوضه بلبان البريديّ متولّي قطيا .

ثم أُمّر بدمشق في سلطنة حسن ، ثمّ نُقل إلى حلب أميراً . مات في حدود الستّين [وسبعمائة] . وكان ديّناً وَطيءَ الجانب .

888 - أيدمر الخطيريّ [- 737] [3]

أيدمر الخطيريّ ، الأمير عزّ الدين .

كان مملوكاً لشرف الدين أوحد الخطير [الروميّ] [4] والد الأمير مسعود بن الخطير ، ثم صار من جملة المماليك السلطانيّة ، وأنعم عليه بإمرة عند قدوم الملك الناصر محمد بن قلاوون من الكرَك وإقامته في السلطنة مرّة ثانية في جمادى الأولى

(1) الدرر 1 / 459 (1129) ؛ الوافي 10 / 18 (4463) ؛ السلوك 2 / 328 ، 487 ؛ هٰذا وسيرد بعد قليل - رقم 890 - ترجمة لأيدمر الزرّاق لا نخالها تتعلّق بنفس الأمير . فالاختلاف في التفاصيل أكثر من الاتّفاق .

(2) ترجمة ألدمر مرّت برقم 832 .

(3) الوافي 10 / 17 (4461) ؛ الدرر 1 / 458 (1126) ؛ المنهل 3 / 180 (607) ؛ السلوك 2 / 426 ؛ النجوم 9 / 312 .

(4) في المخطوط : ابن الخطير ، والإصلاح من السلوك .

سنة ثمَان وسبعين وستّمائة . وأقيم في أستداريّة السلطان نيابةً عن الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير بعد نني الأمير سنجر الجاولي في محرّم سنة ستّ وسبعمائة ، فاستمرّ في ذلك إلى أن خرج مع الملك الناصر يريد الحجّ في شهر رمضان سنة ثمَان وسبعمائة . فخرج إلى الكرَك وكتب معه بأنّه قد نزل عن السلطنة ، فقام بها بيبرس الجاشنكير وتلقّب بالملك المظفّر . فزادت مكانته .

وعندما توقّف ماء النيل عن الزيادة في سنة تسع وسبعمائة توقّع الناسُ الغلاء ، وامتنع الأمراءُ من بيع الغلال التي بالشون . فتقدّم الخطيريّ إلى مباشريه ببيع سائر غلاله وأن لا يتركوا منها إلّا قدر مؤنته لسَنةٍ ، وأن لا تباع غلّاته إلّا على الفقراء . فارتفق الناس بها .

ولم يزل إلى أن فرّ الملك المظفّر . فخرج فيمَن خرج معه من ألزامِه [1] إلى إطفيح في سادس عشر رمضان ولم يزل معه [حتى وصل المظفّر] إلى إخميم . فعاد [أيدمر] إلى القاهرة . وقد ملك الناصرُ قلعة الجبل . فخلع عليه ، ثم قبضه عُقيب ذلك هو وبكتوت الفتّاح أمير جندار ، وسُجنا بالإسكندريّة إلى أن مات الفتّاح . فنُقل الخطيريّ إلى مكانه . وكان للأمير بكتوت الخزنداريّ نائب الإسكندرية به عناية . فلمّا ورد عليه المرسوم بنقله بعث له في خفيةٍ إناءً كبيراً جدًّا فيه ماء . ومعه رغيف كبير من خبز يزن أرطالاً كثيرة ليتقوّت بذلك ، فإنّ السلطان كان يقتل الأمراء بمنعهم الزاد والماء ، فعندما دخل الخطيريّ إلى حيث مات الفتّاح ورأى ما ذكرنا فهِم المراد ، وتبلّغ به أياماً ونجا .

وطار الخبرُ إلى القاهرة بنقلِه إلى موضع الفتّاح فأَيِس منه أتباعُه وكان قد أسند وصيّتَه عند القبض عليه لأُستداره بدر الدين بيليك . فلم يزل يسعى له عند خواصّ السلطان ويَملأُ أعينَهم بمَا يُهديه إليهم من التحف حتى ودّ كلٌّ منهم لو خلص الخطيريّ . فشقّ عليهم ما صار إليه ولم يشكّوا في هلاكه ، وأطلعوا بيليك على هذا ووصّوه بحفظ مال أستاذه . فمَضى عنهم وترقّب ورودَ الخبر بموته . فلم

(1) الألزام : خاصّة السلطان من خرّاسه وحاشيته (دوزي) .

يَمضِ سوى أحدَ عشر يوماً حتى رأى في منامه قائلاً يأمرُه بالصدقة عن أستاذه . فلمّا أصبح تصدّق من شونة الخطيريّ بألف إردبّ قمحاً ، ومن ماله بعشرة آلاف درهم فضّة في يومه . ومضى الغد وبعده تتمّة ثلاثة عشر يوماً ، وإذا بقصّاد خواصّ السلطان أتَوه بطلبه . فلمّا أتاهم أخبروه أنّ السلطان البارحةَ ذكر الأمراء المحبوسين وقال : أتُرى الخطيريّ يعيش إلى اليوم أو مات ؟

فوجدوا السبيلَ إلى الكلام وسألوه في الإفراج عنه ، فقال : ما تدركونه إلّا وقد مات .

فقالوا : يرسم السلطان ونتّكل على الله . فإن كان حيًّا حصل له الفرَج وإن كان ميّتاً فيرحمه الله .

فأنعم بالإفراج عنه . فسرّ بذلك . وعقبها حضر الخطيريّ إلى القاهرة في أثناء ذي الحجّة سنة إحدى عشرة ، فأقبل عليه السلطان وأنعم عليه بإقطاعه ، وكان بيد الجاوليّ .

فآستمرّ من جملة أمراء مصر ، وعُدّ هٰذا من بركة الصدقة . فصار أمير مائة مقدّم ألف يجلس رأس الميسرة ولا يُمكّن من المبيت إلّا في قلعة الجبل ، فلا ينزل لداره برحبة باب العيد من القاهرة إلّا نهاراً ، ويطلع إلى القلعة آخر النهار ، فكانوا يرون هٰذا تعظيماً له .

ولم يزل على هٰذا إلى أن مات في يوم الثلاثاء أوّل شهر رجب سنة سبع وثلاثين وسبعمائة . وترك ولدَين أميرين : هما محمد وعليّ .

وكان من الأمراء الأجواد الأتقياء المحتشمين ، له / أطعمة مفتخرة وأسمطة [238 أ] جليلة ، بحيث إنّ مباشريه ذكروا له أنّ أطعمته تُحلّى بالسكّر المكرّر ، والقصد إنّمَا هو وجود الحلاوة ، ويكفي أن يكونَ السكّر غير مكرّر . فقال : لا ، فإنّه ليبقى في نفسي أنّه غير مكرّر [فلا يطيب] [1] .

(1) الزيادة من النجوم 9/ 312 .

وكان زائد التجمّل كبير الهمّة . أنشأ الجامع المعروف بالخطيري في رملة بولاق والربع بجانبه ، أنفق عليهما نحو أربعمائة ألف درهم فضّة . وأخذه النيلُ في حياته فجدّده ، كما قد ذكرتُه في أخباره عند ذكر الجوامع من كتاب « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار »[1] .

وأنشأ أيضاً داراً جليلة بخطّ المنحر المعروف اليوم بالدرب الأصفر قريباً من رحبة باب العيد قد ذكرتُها أيضاً عند ذكر الدور[2] .

ولم يلبس هو ولا أحدٌ من مماليكه قباءً مصقولاً قطّ . وحجّ ثلاث مرّاتٍ فرّق فيها مالاً عظيماً . وكان يخرج الزكاة في كلّ سنة . وكانت له صدقات جارية ، ومرتبات دائرة على ذوي الحاجات من أرباب البيوت مع مهابة قويّة وحُرمةٍ زائدة وشيبة منوّرة .

889 – أيدمر الشمسيّ[3]

أيدمر الشمسيّ ، الأمير عزّ الدّين .

ترقّى في الخِدم حتى صار من جملة الأمراء . ثم أخرج في أوّل أيام الناصر حسن إلى دمشق ، ونقل إلى صفد . وأنعم عليه بإمرة عبد الله بن اللمش . ثم أعيد إلى دمشق .

(1) في الخطط 4 / 111 .
(2) الخطط 3 / 70 .
(3) الوافي 10 / 18 (4462) ؛ السلوك 2 / 102 (سنة 711) .

890 - أيدمر الزرّاق [- بعد 748] [1]

أيدمر الزرّاق ، الأمير عزّ الدين ، أحد المماليك [. . .] .

ترقّى في الخدم حتى صار من جملة الأمراء . ثمّ عمل نيابة غزّة في سنة خمس وأربعين [وسبعمائة] . وأعيد بعد مدّة إلى القاهرة . ثم توجّه ومعه الأمير نجم الدين داود بن الزيبق للحوطة على أموال الأمير يلبغا اليحياويّ في جمادى الآخرة سنة ثمانٍ وأربعين . وعاد ومعه الأمير آقسنقر أمير جندار بالمال إلى السلطان الملك المظفّر حاجّي . فزالت دولته بعد تحوّله ولم يكن معه من الأمراء إلّا أيدمر هٰذا وآقسنقر وأيدمر الشمسيّ . فنقم الخاصّكيّةُ ذلك عليهم وأخرجوهم إلى الشام . فقدموها يوم عيد الفطر منها [سنة 748] .

ثم نقل الزرّاق إلى حلب في نصف شوّال المذكور على إمرة الأمير أسَنْدَمُر الحَسَنيّ .

891 - أيدمر الشَّيْخيّ [- 773] [2]

أيدمر الشيخيّ ، الأمير عزّ الدين نائب حماه ، أحد المماليك الناصريّة محمد ابن قلاوون .

ترقّى في الخِدم إلى أن أنعم عليه في الأيام المنصوريّة حسن بتقدمة ألف .

فلمّا قتل السلطان حسن عمِل أمير جاندار ، ثم أخرج إلى نيابة حماه عوضاً

---

(1) المنهل 3/ 182 (608) . وقد مرّت بنا - رقم 887 - ترجمة لأمير يدعى أيدمر العلائيّ الزرّاق ، وهو غير هٰذا ، كما يستفاد من الخطط ، 3/ 70 .

(2) السلوك 3/ 75 ، 160 ، 200 ؛ الدرر 1/ 457 (1124) ؛ المنهل 3/ 176 (603) .

عن عمر شاه في سنة تسع وستّين . وصُرف عنها في سنة أربع وستّين وسبعمائة ، وصار من جملة أمراء دمشق .

ثم أعيد إلى نيابة حماه عوضاً عن عمر شاه في سنة تسع وستّين ، وصُرف عنها في ثالث ربيع الآخر سنة إحدى وسبعين بالأمير كبجكي[1] ، وأنعم عليه بإمرة حلب . فلم يزل بها حتى مات في سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة عن بضع وخمسين سنة .

وكان خيّراً مهاباً متواضعاً يوصَفُ بدينٍ وإحسان .

892 – أيدمر « دقماق » [– 734][2]

أيدمر العلائيّ المعروف بدقماق ، أحد المماليك الأشرفيّة خليل بن قلاوون .

ترقّى في الخدم إلى أن صار من نقباء المماليك السلطانيّة . ثم ٱستقرّ نقيب الجيش حتى مات في سنة أربع وثلاثين وسبعمائة . فٱستقرّ عوضه الأمير صاروجا نقيب المماليك ، واستقرّ ناصر الدين محمد بن لاجين المحمّديّ نقيب المماليك [عوضاً] عن صاروجا .

وكان دقماق مشكوراً .

893 – أيمَن بن خُرَيم [– 86][3]

أيمَن بن خُرَيم – أوّله خاء مُعجَمة مضمومة ، ثم راء مهملة مفتوحة – بن

---

(1) في السلوك 3 / 182 : كنجككي .

(2) الدرر 1 / 459 (1132) ؛ السلوك 2 / 376 .

(3) انظر : الطيّب العشّاش : أيمن بن خريم ، أخباره وأشعاره ؛ حوليّات 9 / 1972 ؛ وأسد الغابة 1 / 188 (352) ؛ الأغاني 20 / 269 ؛ الوافي 10 / 30 (4475) .

فاتك – ويقال : خريم بن الأخرم – بن شدّاد بن عمرو بن الفاتك بن عمرو ابن أسد بن خزيمَة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان .

وأبوه الأخرم يقال له : فاتك . وقد قيل إن فاتكاً هو ابن الأخرم . ويُكنّى أيمَن بن خريم « أبو عطية » ، ويكنّى أبوه خريم بن فاتك « أبو يحيى » ، وقيل : « أبو أيمَن » .

وهو أسديّ من بني أسد بن خزيمَة .

شهد أبوه خريم بدراً مع أخيه سبرة بن فاتك . وقيل : أسلم خريم وابنه أيمَن يوم فتح مكّة ، والأوّل أصحّ : فقد صحّح البخاري وغيره أن خريم بن فاتك / وأخاه سبرة بن فاتك شهدا بدراً . ولقي [. . .] طلحة بن خويلد [238 ب] فقال له : ما بقي من كنانتك ؟

قال : نفخة أو نفختان بالكير – يعيّره بأنّه من القيون .

وروى أيمَن عن أبيه وعمّه . وروى عنه الشعبيّ . وهو شاميّ نزل الكوفة . وقدم مصر مع مروان بن الحكم سنة خمس وستّين ، واستعان به على ولده عبد العزيز بن مروان حتى كره الإقامة بمِصر . وكان شاعراً مُحْسناً .

قال الشعبيّ : أرسل مروان إلى أيمَن بن خريم يوم المرج يوم قتل الضحّاك ابن قيس الفهريّ : ألا تخرج تقاتلُ معنا ؟ ألا تتبعنا على ما نحن فيه ؟

فقال : إن أبي وعمّي شهدا بدراً ، وإنّهما عهِدا إليَّ ألّا أقاتل رجلاً يشهد أن لا إلّه إلّا الله وأنّ محمداً رسول الله . فإن جِئتني ببراءة من النار فأنا معك .

فقال : لا حاجة لنا بمَعونتك .

فخرج وهو يقول [وافر] :

ولستُ مقاتلاً رجلاً يصلّي ... على سلطانِ آخرَ من قريش
له سلطانُه وعليّ إثمي ... معاذ الله من سَفَهٍ وطيشِ !

أأقتلُ مسلماً في غيرِ جُرمٍ فلستُ بنافعٍ ما عِشتُ عيشي

وقال الدارقطني : قد روى أيمَن بن خريم عن النبيّ ﷺ . قال ابن عبد البرّ : أمّا أنا فما وجدتُ له روايةً إلّا عن أبيه وعمّه .

وقال أبو الفرج الأصبهانيّ : وكان أيمَن يتشيّع . وكان أبوه أحد من اعتزل حرب الجمل وصِفّين وما بعدهما من الأحداث فلم يحضرها . وقال مجالد : كان عبد الملك بن مروان شديدَ الشغَف بالنساء . فلمّا أسنّ وضعف عن الجماع ٱزداد غرامُه بهنّ . فدخل عليه أيمَن بن خريم فقال له : كيف أنت يا أيمَن ؟

قال : بخير يا أمير المؤمنين .

قال : كيف قوّتك ؟

قال : كما أحبّ ولله الحمدُ : إنّي لآكل الجذعة من الضأن بالصاع من البرّ ، وأشرب العسَّ المملوء أعبّه عبًّا ، وأرتحل البعير الصعب فأنضيه ، وأركب المهرَ الأرن فأذلّله ، وأفترع العذراء لا يُقعدني عنها الكبر ولا يَمنعني منها إلّا السحَر ، لا يرويني الغمر ولا ينقضي منّي الوطر .

فغاظ عبد الملك قوله وحسده ، فمَنعَه العطاء وحجبَه وقصَده بمَا يكره حتى أثّر ذلك في حاله . فقالت له ٱمرأته : ويحك ! أصدقني عن حالك ! فهل لك جُرمٌ ؟

قال : لا والله .

قالت : فأي شيءٍ دار بينك وبين أمير المؤمنين آخرَ ما لقيتَه ؟

فأخبرها . فقالت : إنّا لله ، ههُنا أُتيت ! أنا أحتال لك في ذلك حتى أزيل ما جرى عليك ، فقد حسدك الرجل على ما وصفتَ به نفسك .

فتهيّأت ولبست ثيابها ودخلت على عاتكة بنت يزيد بن معاوية ٱمرأة عبد الملك فقالت : أسألك أن تستعدي لي أميرَ المؤمنين على زوجي .

قالت : وما له ؟

قالت : ما أدري أنا مع رجل أو مع حائط ، وإنَّ لَهُ لسنين ما يعرف فراشي . فآسأليه أن يفرّق بيني وبينه .

فخرجت عاتكة إلى عبد الملك فذكرت له ذلك وسألته في أمرها . فوجّه إلى أيمَن فأحضره وسأله عمّا شكت آمرأته . فآعترف بذلك . فقال له : أولم أسألك عام أوّل عن حالك ، فوصفت لي كيت وكيت ؟

فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّ الرجل ليتجمّل عند سلطانه ، ويتجلّد عند أعدائه بأكثر ممّا وصفتُ نفسي به ، وإنّي القائل [متقارب] :

لقيتُ من الغانيات العُجابا　　لوَ ٱدرك منّي النساء الشبابا
يرى الشيب جمع النساء الحسان　　عناءً شديداً إذا المرءُ شابا
ولو كِلت بالمُدِّ للغانيات　　وضاعفتُ فوق الثياب الثيابا
يذدن بكلّ عصا ذائدٍ　　ويصبحن كلّ غداةٍ صعابا
إذا لم يُخالَطْنَ كلّ الخِلا　　طِ أصبحنَ مخرنطماتٍ غضابا / [239 أ]
علام يُكحِّلنَ حُورَ العيون　　ويحدثنَ بعد الخضابِ الخضابا
ويعركن بالمسك أجيادَهُنّ　　ويدنين عند الحجاب العيابا
ويبرقن إلّا لما تعلمون　　فلا تَمْنَعنّ النساءَ الضّرابا !

فجعل عبد الملك يضحك من قوله ، ثم قال : أولى لك يا ابن خريم ! لقد لقيتَ منهنّ ترحاً . فما ترى أن نصنع بينك وبينها ؟

قال : تستأجلها إلى أجل العنّين ، وأداريها لعلّي أستطيع إمساكَها .

قال : أَفعلُ ذلك .

ففعل وَرَدَّها إليه . وأمر له بما فات من عطائه وعاد إلى برّه وتقريبه .

وقال ابن قتيبة : قال له عبد الملك لمّا أنشده هٰذا الشعر : ما وصف

النساءَ أحدٌ بمِثل هٰذا ، ولا عرفَهُنّ أحدٌ معرفتك .

فقال له : لئِن كنتُ صدقتُ ، لقد صدقَ الذي يقول – وهو علقمة بن عبدَة – [طويل] :

فإن تسألوني بالنساء فإنّني   خبيرٌ بأدواء النساءِ طبيبُ
إذا شاب رأس المرء أو قلّ مالُه   فليس له في ودّهنّ نصيب
يُردن ثراءَ المال حيث علمنَه   وشَرخُ الشباب عندهُنّ عجيبُ

وقال أيمَن في شبيب ومحاربته الحجّاج بن يوسف ، من أبيات [متقارب] :

أبى الجُبناءُ منَ اهل العراق   على الله في الحرب إلّا قسوطا
يُقتِّلُهُم مائتا فارس   من السافكين الدماءَ العَبيطا
وخمسون من مارقات النسا   ءِ ، يجرُرْنَ للمنديات المروطا
وخيل غزالةَ تَنْتَابُهم   تحوزُ العراقَ وتجبي النبيطا
تكرّ وتحجر فرسانهم   كما أحجرَ الحيّةُ العـ[ـضـ]ـرفوطا
قَد آذى الخليفةَ ما يصنعون   ومستنصرَ الأمّة المستشيطا
فلو كان لوط إماماً لكم   لأَسْلَمتُمُ يومَ تُلْقون لُوطا

وقال [بسيط] :

تعاقد الذابحو عثمانَ ضاحيةً   أيُّ قتيلٍ حرامٍ – ذُبِّحُوا ! – ذَبَحُوا !
ضحَّوا بعثمان في الشهر الحرام ، ولم   يخشَوا على مطمح الكفّ الذي طمَحُوا
فأيُّ سُنّة جورٍ سنّ أوّلُهم   وبابِ سَوءٍ على سلطانهم فتحوا
ماذا أرادوا – أضلَّ [اللّٰه] سعيَهُمُ –   في سفح ذاك الدم الزاكي الذي سَفَحوا
فاَستورَدَتهُم سيوفُ المسلمين على   تمَام ظِمْىءٍ كما يُستَورد النَّضَحُ
إنّ الذينَ تولَّوْا قتلَه سفهاً   لَقُوا أثاماً وخُسراناً وما ربحوا

وقال أبو بكر الصولي : وكان يُسمّى « خليل الخلفاء » لإعجابهم به لحسن حديثه وعلمه وفصاحته . وكان بِه وضَحٌ و[...] [1] بزعفران فقدم على عبد العزيز بن مروان ، فكان حظيًّا عنده يؤاكله ويحتمل ذاك لإعجابه به . ثم خرج من مصر إلى الشام إلى بشر بن مروان ، وقال [وافر] :

ركبتُ من المقطّم في جمادى ... إلى بشر بن مروان البريدا
فمرّ بي البريدُ على شميل ... يجوب مهامِهاً غُبراً وسُودا / [239 ب]
أمير المؤمنين أقِمْ ببشر ... عمودَ الدين إنّ له عمودا
فلو أعطاك بشر ألفَ ألفٍ ... رأى حقًّا عليه أن يعودا
كأنّ التاجَ تاجُ بني هرقل ... جَلَوه لأعظم الأعياد عيدَا
يصافح خدّ بِشرٍ حين يُمسي ... إذا الظلماءُ صافحتِ الخُدُودا
[يُحَالفُ لونُه ديباجَ بشر ... إذا الألوانُ حالفتِ الخُدُودا] [2]

– قيل : إنّه عرّض بقوله : « إذا الألوان حالفت الخدودا » بكلف كان في وجه عبد العزيز –

وإنّا قد وجدنا أمّ بشرٍ ... كأمّ الأُسدِ مذكاراً وَلُودا

فأعطاه بشر مائة ألف درهم .

وكان سببُ خروجه من مصر أنّه دخل على عبد العزيز بن مروان وعنده نصيب . فقال له : يا أيمَن ، كم ترى ثمَن هٰذا العبد ؟

فنظر إلى نصيب فقال : والله لنعم ٱلغادي في إثر المخاض . هٰذا أيها الأمير أرى ثمَنه مائة دينار .

قال : فإنّ له شعراً وفصاحةً .

....

(1) كلمة غير مفهومة ، ولعلّها : وأخفاه .
(2) هٰذا البيت في الأغاني 20 / 276 .

قال : فثمنُه ثلاثون ديناراً .

قال : يا أيمَن ، أرفَعُه وتخفضُه ؟

قال : لكونه أحمق أيها الأمير ، أمثلُ هٰذا يقول الشعر أو يحسن شعراً ؟

فقال : أَنشِده يا نصيب .

فأنشده . فقال عبد العزيز : كيف تسمع يا أيمَن ؟

قال : شعر أسود هو أشعر أهل جلدته .

قال : هو والله أشعر منك !

قال : منّي أيُّها الأمير؟

قال : إي والله ، منك .

قال : والله أيها الأمير ، إنك لمَلُولٌ طرف .

قال : كذبت ، والله ما أنا كذلك ، ولو كنت كذاك ما صبرت عليك تنازعني التحيّة وتؤاكلني الطعام وتتّكئُ على وسادتي وفرشي ، وبك ما بك – يعني وضحاً كان بأيمَن –

فقال : أتأذن لي أن أخرج إلى بشر بالعراق ، وأحملني على البريد .

قال : قد أذنت لك .

وأمر به فحمل على البريد إلى بشر فقال الأبيات المذكورة .

وروى مسلمة بن محارب الزياديّ أنّ خريم بن فاتك مرّ بمَجذوم في الطريق فاحتمله وراءه فقال النبي ﷺ : رحم الله مَن فعَلَ هٰذا بالمجذوم !

وقال أبو اليقظان : كان لأيمَن فضل ودين . وكتب إليه عبد الملك بن مروان أن يقاتل معه عمرو بن سعيد [بن العاص ، الأشدق] فقال [وافر] :

أأُقتَلُ في حجاج بين عمرو ... وبين خصيمه عبد العزيز

فأُقتلُ ضِيعةً في غيرِ جُرمٍ ويبقى بعدنا أهل الكنوز ؟
لعمرُك ما هُديتُ إذن لرشدي ولا وفّقتُ للحرز الحريز
فإنّي تاركٌ لهما جميعاً ومعتزلٌ كما اعتزلَ ابن كوز

وقال [رمل] :

إنّ للفتنة شرًّا [بيّناً] فاصطبر للأمر حتى يعتدلْ
وإذا كان عطاءً فأْتِهم وإذا كان قتالاً فاعتزلْ
إنّما يُسعرها جُهّالُها حطب النار فدَعْها تشتَعِلْ

وقال – وقيل : هو لغيره – [وافر] :

يقول ليَ الأميرُ إذا رآني تقدّمْ حين جَدّ به المراسُ
فما لي إن أطعتُك غيرُ نفسٍ وما لي غيرَ هٰذا الرأس رأسُ

894 – أيوب ابن النحّاس [617 – 699] (1)

أيوب بن أبي بكر بن إبراهيم بن هبة الله بن طارق بن سالم بن عبد الله ، [الأسديّ] ، الحلبيّ ، [بهاء الدين] ، أبو صابر ، الحنفيّ ، ابن النحّاس ، [مدرّس القليجيّة وشيخ الحديث بها] .

سمع بمَكّة من ابن بنت الجمّيزى ، وبالقاهرة من يوسف الساويّ ، وببغداد من ابن الحارث ، وغيرهم . واشتغل كثيراً وأفتى ودرّس .

ومات في شوّال سنة تسع وتسعين وستّمائة .

(1) الوافي 10 / 36 (4448) ؛ المنهل 3 / 224 (630) ؛ النجوم 8 / 194 ؛ شذرات 5 / 445 .

895 - نجم الدين الكرديّ ، والي القاهرة [- بعد 740] [1]

/ أيوب ، الأمير نجم الدين الكرديّ .

خدم أستداراً للأمير الأكور [2] شادّ الدواوين . ثم ولي الشرقية [3] . وخلع عليه في يوم الاثنين عاشر صفر سنة أربعين واستقرّ في ولاية القاهرة عوضاً عن علاء الدين علي بن حسن المروانيّ ، وعُزل وأعيد مراراً .

896 - أيوب بن شاذي ، والد صلاح الدين [- 568] [4]

أيوب بن شاذي بن مروان بن يعقوب ، الملك الرحيم الأفضل [بن] شاذي بن مروان ، من أبناء أعيان دُوَيْن ، وبينه وبين جمال الدولة المجاهد بهروز صحبة . فاتّفق أنّ بهروز اتّهم بزوجة بعض أمراء دُوَين فخصَاه . فخرج منها واتّصل بلالا أولاد السلطان غيّاث الدين مسعود السلجوقيّ ، واختصّ به وصار يركب مع أولاد السلطان . فرآه السلطان يوماً مع أولاده فأنكره فقال اللالا : إنّه خادمٌ مثلي .

ثم صار يسيّره إلى السلطان فخفّ على قلبه ، ولعب معه الشطرنج والنرد ، وكان من أظرف الناس ، فحظيَ عنده . ومات اللالا فأقامه مكانه ، فاشتهر ذكره . واستدعى شاذي بن مروان ، فلمّا قدِم عليه أكرمه .

---

(1) الدرر 1 / 465 (1146) ؛ السلوك 2 / 421 ، 482 ، 648 .

(2) في السلوك 2 / 421 : الأكز .

(3) في جمادى الأولى سنة 739 (السلوك 2 / 463) .

(4) الوافي 10 / 50 (4488) ؛ وفيات 1 / 255 (107) ؛ الروضتين 1 / 209 ؛ دائرة المعارف الإسلاميّة 1 / 820 ؛ وانظر ترجمة صلاح الدين يوسف في الوفيات 6 / 139 (846) حيث ذكر دُوَين بأذربيجان .

ثم إنّ السلطان بعث بهروز والياً ببغداد وواليا عنه ، فسار معه شاذي وأولاده . وكانت تكريت قد أعطاها السلطان لبهروز فأرسل إليها شاذي ، فأقام بها مدّة ومات . فوليَ ابنُه نجم الدين أيوب عوضَه فنهض في أمرها وشكره بهروز .

فاتّفق أنّ عماد الدين زنكي صاحب الموصل لمّا قصد حصار بغداد أيام الخليفة المسترشد بالله الفضل بن أحمد المستظهر بالله . وكان من محاربة المسترشد ما كان وانهزام عماد الدين زنكي وعبوره على تكريت . خدَمه نجم الدين أيوب وأقام له السفن حتى عبر دجلة ، وتبعَه أصحابه فأحسن إليهم وسيّرهم . فبلغ ذلك بهروز فأنكر على نجم الدين وقال : كيف تظفر بعدوّنا وتحسن إليه ؟

واتّفق مع ذلك أن أسد الدين شيركوه أخا نجم الدين أيوب أتته امرأة باكية وذكرت أنّ فلاناً الاسفهسلار تعرّض لها وهي داخلة في باب القلعة . فقام وضرب الإسفهسلار بحربة [فـ]ـقتله . فأمسكه نجم الدين وأعتقلَه وكتب يُعلِم بهروز بخبره . فعاد جوابُه : إنّ لأبيكما شاذي عليّ حقّاً ، وما يُمكنني أن أكافِئكما بسوء . ولكن آترُكا خدمتي وآخرُجا من بلدي .

فخرج أيوب وشيركوه من تكريت وقصدا عماد الدين زنكي بن آقسنقر صاحب الموصل ، فأحسن إليهما وأقطعَهما إقطاعاً جيّداً . وما زالا في خدمته إلى أن ملك قلعة بعلبك . فاستخلف بها نجم الدين أيوب ، فأقام بها وعمّر بها الخانقاه النجميّة .

فلمّا قُتل عماد الدين زنكي وحصر مجير الدين آبق صاحب دمشق [1] بعلبك ضاق الأمر على نجم الدين ولم تأته نجدة من أولاد عماد الدين زنكي ، [فـ]ـسلّم آبق قلعة بعلبك على إقطاع ذكره بعدما حلف له ، وانتقل إلى دمشق بأولاده وتسلّم الإقطاع والمال . وقدّمه آبق وعمله من أكبر الأمراء .

---

(1) آبق بن محمد بن بوري بن طغتكين ، أتابك بو سعيد التركيّ (ت 564) .

وأتّصل أخوه شيركوه بنور الدين محمود بن زنكي وخدمه في أيّام أبيه فحظي عنده ، وجعلَه بعد موت أبيه مقدّم عسكره بحلب ، إلى أن ملك دمشق . فأقرّ أيوب وشيركوه بخدمته . وبعث شيركوه إلى مصر نجدةً لشاور كما ذكر في ترجمتهما[1]. فتوجّه صلاح الدين يوسف بن أيوب في خدمة عمّه أسد الدين شيركوه إلى مصر . وكان من تملّك شيركوه مصر ، ثمّ تملّك صلاح الدين يوسف بعدَه إلى أيّام الخليفة العاضد لدين الله ما كان .

فاستدعى [صلاح الدين] أباه نجم الدين أيوب من دمشق ، فجهّزه إليه نور الدين محمود في سنة خمس وستّين وخمسمائة . وخرج العاضد فتلقّاه عند صحراء الإهليلج خارج باب الفتوح وأقطعه الإسكندرية ودمياط والبحيرة / ، [240 ب]
وأقطع ابنه شمس الدولة توران شاه بن أيوب قوص وأسوان وعيذاب ، وعِبرتها في كلّ سنة مائتا ألف وستّة وستّون ألفَ دينار .

فسلك صلاح الدين مع أبيه من الأدب ما يليق به وعرض عليه الأمر ، فأبى وقال : يا ولدي ، ما اختارك الله لهٰذا إلّا وأنتَ له أهل .

فلمّا ٱستبدّ صلاح الدين بسلطنة مصر بعد موت العاضد ، وخرج إلى حصار الفرنج بالكرك ، ركب نجم الدين أيوب في يوم الثلاثاء ثامن عشر ذي الحجّة ليسير [على عادة الجند][2] ، وخرج من باب النصر ، [فـ]ـشبّ به فرسه وألقاه . فحمل إلى داره بالقاهرة ولزم الفراش حتى مات يوم الخميس لثلاث بقين من ذي الحجّة سنة ثمان وستّين وخمسمائة . ودفن بجانب أخيه شيركوه ، ثم نُقلا إلى المدينة النبويّة ودُفنا بجوار الحجرة الشريفة في تُربةٍ هناك سنة ثمَانين وخمسمائة .

وترك نجم الدين أيوب من الأولاد : السلطان صلاح الدين يوسف ،

(1) تراجم الشين مفقودة .
(2) زيادة من الوافي 10 / 50 .

والملك العادل سيف الدين أبا بكر محمداً ، وشمس الدولة توران شاه . وشاهنشاه ، وسيف الإسلام طغتكين ، وتاج الدين بوري ، وستّ الشام ، وربيعة خاتون .

وكان ديّناً خيّراً له صدقات وعقل رصين وكرم وسماح .

ورثاه الفقيه عمارة بقصيدتين .

897 - أيوب بن شرحبيل الأصبحيّ [- 101][1]

أيوب بن شرحبيل بن أكسوم بن أبرهة بن الصباح بن لَهِيعة بن شرحبيل ابن مرثد بن الصباح بن معديكرب بن جعفر بن ينوف بن شراحيل بن أبي شمر ابن شرحبيل[2] بن ياشر بن أشعر بن ملكي كرب بن شراحيل بن يعفر بن عمي ابن أبي كرب بن يعفر بن أسعد بن ملكي كرب شمر[3] بن أشعر بن ينوف بن أصبح الأصبحيّ .

أمّه أمّ أيوب بنت مالك بن نويرة بن الصباح .

روى عنه أبو قبيل ، وعبد الرحمان بن مهران .

وهو أحد أمراء مصر . ولّاه عمر بن عبد العزيز . وذلك أنّه لمّا ولي الخلافة قال : دلّوني على رجل من أهل مصر له شرَف وصلاح أولّيه صلاتَها .

فقيل له : بها رجلان : معاوية بن عبد الرحمان بن معاوية بن حديج ، وأيوب بن شرحبيل .

قال : أيُّ الرجلين أقصدُ ؟

(1) الكندي 67 ، 338 ؛ النجوم 1 / 263 ؛ تاريخ البخاري 1 / 417 (1335)
(2) في المخطوط : شرحبيل بن شراحيل بن ياشر .
(3) في المخطوط : أبي شمر .

قالوا : أيوب .

قال : فهٰذا أردت .

وكتب إلى أيوب بولايته ، وأمر البريد بكتمَان ذلك ، وأن تكون موافاتُه يومَ الجمعة .

فقدم الرسول ودفع الكتاب إلى أيوب ، فراح كما كان يروح ، فركع قريباً من المنبر ، وعبد الملك بن رفاعة أميرُ مصر يومئذ . فلمّا أذّن المؤذّن صعد أيوب المنبر فخطب الناس وصلّى بهم الجمعة وانصرفوا . وابن رفاعة لم يعلم ، وذلك في ربيع الأوّل سنة تسع وتسعين ، وجعل على شرطه الحسن بن يزيد الرعينيّ . فورد كتاب عمر بن عبد العزيز بالزيادة في أعطيات الناس عامّة . ومُنعت الخمرُ وكُسِرت أوانيها وعُطّلت حاناتها . ثم صرف الحسن عن الشرط في رجب بالحرث ابن داخر بن هاشم الأصبحيّ .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أيوب بفريضة للجند ، فقال : أَلْصِقْ ذلك بأهل البيوتات الصالحة ، فإنّمَا الناس معادن معادن .

وقسم للغارمين خمسةً وعشرين ألف دينار . وقفل أهل قسطنطينية ، ونزعت مواريث القبط عن الكور ، واستُعمل المسلمون عليها ، ومنع النساء الحمّامات .

وشُكيَ ضعف أيوب إلى عمر بن عبد العزيز فقال : إنّ أيوب زجرت به أعراق [1] صالحة فلان لين الأشراف وقصد قصد السادة .

ومات عمر بن عبد العزيز في رجب سنة إحدى ومائة واستخلف يزيد بن عبد الملك فأقرّ أيوب على صلاة مصر إلى أن توفّي لإحدى عشرة بقيت من رمضان .

(1) في المخطوط : رجوت به أعارق . والإصلاح من الكنديّ .

وقيل : نزع أيوب لسبع عشرة خلت من رمضان ببشر بن صفوان [الكلبيّ][1] . وكانت ولايته سنتين ونصفاً .

898 - أيوب الملك الصالح صاحب كيفا [- 727][2]

أيوب بن [أبي بكر] سيف الدين محمد بن [أبي] محمد [عبد الله] بن [توران شاه] بن أيوب بن شاذي بن مروان ، الملك الصالح ، ابن الملك الكامل ، / ابن الموحّد [تقي الدين] ، ابن المعظّم غيّاث الدين ، ابن الصالح [نجم الدين] ، ابن الكامل [ناصر الدين] ، ابن العادل [سيف الدين] ، ابن والد الملوك نجم الدين . [241 أ]

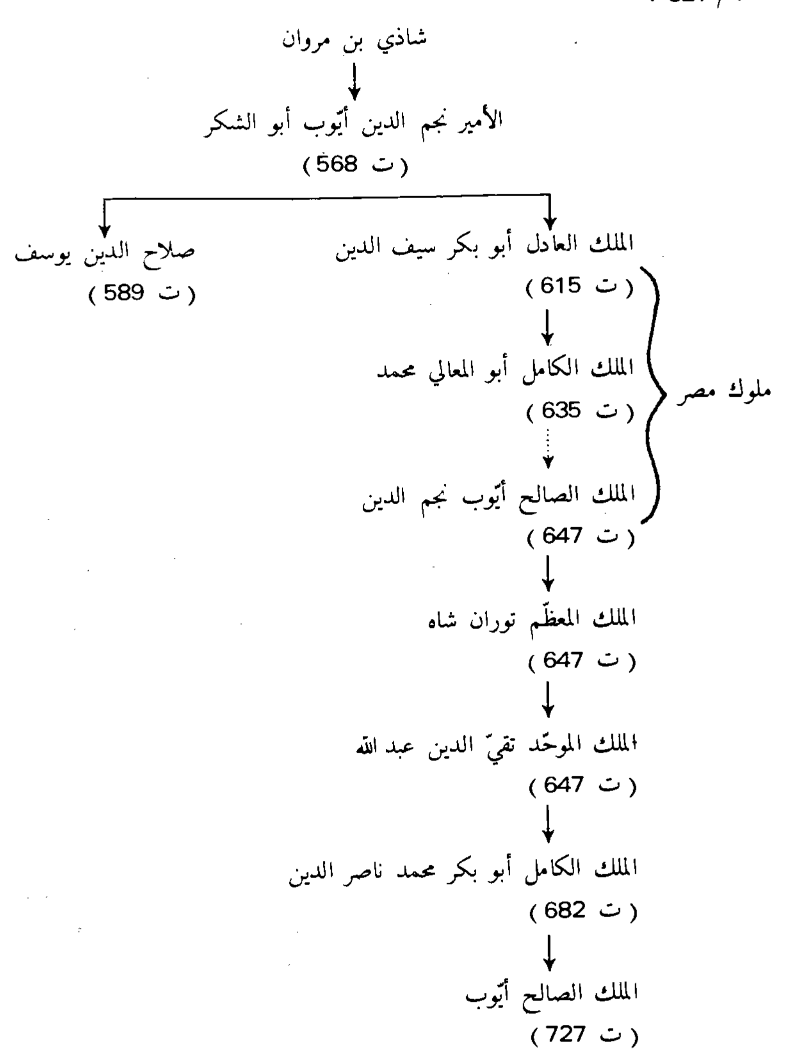
ولي حصن كيفا هو وأبوه وجدُّه . وقدم إلى دمشق حاجًّا في شهر رمضان سنة ستّ وعشرين وسبعمائة . وتوجّه إلى خدمة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون فقدم القاهرة . وحجّ وعاد مسرعاً خوفاً على بلده . فحال وصوله إلى الحصن تلقّاه أخوه وهيّأ له مَن قتلَه وقتلَ ولدَه ، واستقلّ بمُلكه .

(1) الكندي ، 69 .

(2) الدرر 1 / 462 (1138) والإكمال والتوضيح منها . فقد توالى على مملكة الحصن : المعظّم غيّاث الدين تُوران شاه ثمّ انتقل إلى سلطنة مصر ، فعوّضه ابنه الموحّد تقيّ الدين عبد الله . ثمّ خلفه ابنه الكامل أبو بكر ، ثمّ خلفه أيّوب صاحب الترجمة ، فقدم إلى القاهرة ولقي الناصر محمد بن قلاوون سنة 726 وحجّ فقاتله أخوه وقتله مع ولدِه واستولى على الحصن في أوائل 727 . فهو في الحقيقة الرابع من ملوك كيفا بعد جدّ أبيه وجدّه وأبيه .

هٰذا وقد تلتبس ترجمة أيّوب هٰذا بترجمة جدّه الأعلى نجم الدين أيّوب ابن الكامل ابن العادل بن أيّوب مؤسّس الأسرة الأيّوبيّة . فلهٰذا نورد هنا شجرة جزئيّة منقولة عن =

= معجم زامباور في ترجمته العربيّة ص 150 وما يليها، وعن دائرة المعارف الإسلاميّة 1 / 827 :



[حرف الباء]

899 - باديس بن زيري [- بعد 370]

باديس بن زيري بن مناد بن منقوش . أنفذه العزيز بالله نزار ابن المعزّ أميراً على حاجّ مصر في سنة سبع [1] وستّين وثلاثمائة . فلمّا وصل مكّة أتاه اللصوص وقالوا له : نحن نتقبّل منك الحاجّ بخمسين ألف درهم ، ولا تتعرَّض لنا [2] .

فقال لهم : كرامة ! اجمعوا أصحابكم حتى أعقد معكم ذلك .

فاجتمعوا نيفاً وثلاثين رجلاً . فقال : هل بقي منكم أحدٌ ؟

فحلفوا أنّه ما بقي منهم أحد . فأمر فقُطعت أيديهم كلّهم .

فلمّا قدم بالحاجّ بعثه العزيز بالله إلى أخيه يوسف المعروف ببلكين بن زيري خليفته على المغرب بكتاب . فقدم عليه يوم الأحد لسبع خلون من ذي الحجّة سنة سبعين وثلاثمائة ، فأقام بأشير مدّة وتوفّي بها .

900 - بارزطغاي الغزّيّ [- 616] [3]

بارزطغاي بن محمود بن أبي الفتح الحميريّ الغزّيّ ، أبو طالب .

تفقّه للشافعيّ ، ووليَ قضاء غزّة مدّة . ثم انتقل إلى إربل فمات بها .

---

(1) في المخطوط : تسع . والإصلاح من الدولة الزيريّة لهادي روجي إدريس ، 53 ، ومن ابن الأثير ، سنة 367 ، وحسن المحاضرة 2 / 280 .

(2) شرح إدريس هذه الصفقة بقوله : فاللصوص يشترون من باديس حقّ السرقة . وعند ابن الأثير قالوا : نتقبّل منك الموسم (أي تركنا نفعل ما نشاء) .

(3) المنذري ، 2 / 459 (1659) وهو عنده : بارزطغان . وفي المخطوط : المغربيّ عوض الغزّيّ .

وكان قد سمع بالإسكندرية من أبي الطاهر بن عوف ، وبدمشق من أحمد ابن حمزة الموازيني ومن عثمان . وحدّث بمدرسة المنذريّ وغيره . وذكره في معجمه .

وكانت وفاته سنة ستّ عشرة وستّمائة .

901 – باينجار رسول الخان أزبك

باينجار رسول الملك أزبك خان بن طغرل خان بن منكوتمُر بن طغان بن باطر بن جنكزخان .

قدمَ بالخاتون طلباي[1] ومعه [الشيخ] برهان الدين ، إمامُ القانِ أزبك ، وقاضي سراي ، على مائة وخمسين ، منهم إيتغلي وطقبغا ومنغوش وطرجي وعثمان خجا ، وهو مقدّم عليهم .

وكان شيخاً كبيراً لا يطيق من كبره المشي ولا القيام[2] ، فحُمل حتى حضر بدار العدل في يوم الاثنين ثاني شهر ربيع الآخر سنة عشرين وسبعمائة ، وجلس بين يدي السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ودفع كتاب ألقان أزبك وقال : أخوك ألقان أزبك يقول : أنت سيّرت طلبت من عظم القان بنتاً . فلمّا لم يبعثها إليك لم يطب خاطرك . وقد سيّرنا لك بنتا من بيت كبير ، فإن أعجبتك فلا يَكون عندك أكبر منها ، وإن لم تعجبك فاعمل بقول الله تعالى : « إنّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَماناتِ إلى أَهْلِها »(النساء ، 58) .

فقال السلطان : نحن ما أردنا الحسن ، وإنّمَا أردنا كبرَ البيت والقرب من أخي ، وأن نكون شيئاً واحداً .

---

(1) في السلوك 2 / 203 : طلنباي . وسيطلّقها السلطان فيتزوّجها منكلي بغا السلاح دار ؛ السلوك 2 / 298 .

(2) السلوك 2 / 204 .

ثمّ عقد عليها وأكثر من الإنعام والخلع على باينجار ومَن معه حتى أعادهم ، فساروا إلى الإسكندرية وركبوا منها البحر إلى اسطنبول [1] ، وساروا إلى بلاد أزبك .

902 - باينَجار المنصوريّ [- 716] [2]

باينجار المنصوريّ ، الأمير سيف الدين ، أحد مماليك الملك المنصور قلاوون .

ترقّى في الخِدم وصار من أمراء الألوف إلى أن قبض عليه الملك الناصر محمد بن قلاوون في يوم الاثنين ثاني ربيع الآخر سنة اثنتي عشرة وسبعمائة ، هو وآقوش نائب الكرك ، وبيبرس الدوادار نائب السلطنة [3] ، وسنقر الكماليّ ، ولاجين الجاشنكير ، وأُلْدُكُزْ الأشرفيّ ، ومُغلَطاي المسعوديّ .

وكان سبب تغيّر السلطان عليه بعد اختصاصه به أنّ الأمير أيدغدي شقير [4] حقد عليه كلاماً / مازحه فيه بحضرة السلطان ، فنقم عليه أنه يريد الفتك [241 ب] بالسلطان ونحو ذلك ، فتغيّر منه وقبضه .

وما برح في السجن حتى قُتل في سنة ستّ عشرة وسبعمائة .

وكان كريماً فيه مروءة وعصبيّة ، ويعمل سماطاً عظيماً . وبلغ من حشمته أنّ نصرانيًّا حضر إليه سرًّا من بلده بأوراق مرافعة في مباشرته تشتمِل على ثمَانية

(1) استعمال اسم اسطنبول عوض القسطنطينيّة دليل على أنّ إطلاق هذا الاسم الجديد على عاصمة بلاد الروم ، أي بيزنطة أو روما الشرقيّة ، قد بدأ قبل افتتاح العثمانيّين لها سنة 857 . وقد استعمل المقريزي في السلوك هذا الاسم مراراً .

(2) السلوك 2 / 168 وهو فيه بينجار ؛ النجوم 9 / 34 ، وفيهما أنّ سبب القبض عليه ميله إلى قراسنقر ؛ الدرر 2 / 4 (1271) .

(3) هو « صاحب التاريخ المشهور في 25 مجلّدًا » ؛ الدرر 2 / 43 (1384) .

(4) مرّت ترجمة أيدغدي شقير برقم 868 .

آلاف إردبّ غلّه ومائتي ألف درهم فضّة ، والتزم أنّه إن لم يحقّقها قام بها من ماله . فأخذها منه وصرفه سرًّا . ثم غسَلها وقال لبعض خواصّه : إنّ مباشري ديواني لهم عندي عدّة سنين وما منهم إلّا مَن آشترى له ملكاً أو جارية أو عهداً ، أو أنشأ سكناً مليحاً . فإذا سمعتُ من هٰذا اِحتاجوا إلى بيع ما يساوي ألف[ـا] بمَائتي درهم ، ويخرج آسمنا آسم النحس بين الناس .

وسكت عن مباشريه ولم يتعرّض لهم بشيءٍ .

903 – باورد بن براجوا [– بعد 721] (1)

من أمراء المغل . قدم إلى مصر في سنة إحدى وعشرين وسبعمائة فأكرمه الملك الناصر وأنعم عليه بخيل ومال وأعطاه إمرة طبلخاناه .

904 – بتخاص العادليّ [– 696]

بُتْخاص ، الأمير سيف الدين ، أحد مماليك الملك العادل كتبغا .

أعطاه الإمرة وجعله أستدار السلطان في رابع عشرين المحرّم سنة أربع وتسعين وستّمائة .

وقُتل على منزلة العوجاء يوم خلع كتبغا في ثامن عشرين المحرّم سنة ستّ وتسعين وستّمائة (2) .

(1) السلوك 2/ 215 .
(2) السلوك 1/ 820 وفيه أنّه قُتل بباب الدهليز بمنزلة العوجاء .

905 - بُتْخاص المنصوريّ نائب صفد [- 710] [1]

بُتخاص المنصوريّ ، الأمير سيف الدين ، أحد المماليك البرجيّة .

تنقّل في الخدم إلى أن صار من أكابر الأمراء . فلمّا عاد العسكر منهزماً من غازان إلى مصر ، اَستعفى الأمير كراي من نيابة صفد فولَيَها عوضَه بُتخاص هذا في جمادى الأولى سنة تسع وتسعين وستّمائة فباشر النيابة بمَهابة زائدة ، وأكثر من سفك الدماء ومَهَّد جبل عاملة ، وزادَ في التجبُّر إلى أن صُرف .

ثم قصد إقامة الأمير مظفّر الدين موسى ابن الملك الصالح عليّ بن قلاوون وخلع الملك الناصر محمد بن قلاوون ، ووافقه الأمير سيف الدين بكتمُر الجوكندار نائب السلطنة على ذلك . فوُشِيَ بهم إلى السلطان وقد كاد أمرهم أن يتمّ . فاستدعى بكتمُر الجوكندار ليلاً وشاغله بالحديث ، وقد بعث بهادر النقيب في عدّة مماليك لإحضار بتخاص طوعاً أو كرهاً . فلمّا أتاه الطلب أحسَّ بالشرّ وألبس مماليكه السلاح ، وقصد أن يفرّ ويعمل ما كان في نفسه . فعاجلته المماليك وأخذوه بعدما رماهم مماليكه بالنشّاب . وأدخلوه على السلطان ليلاً فقُيِّد وحُبِس ثم نقل إلى الكرَك فمات بحبسها في سنة عشر أو إحدى عشرة وسبعمائة .

وكان شجاعاً مقداماً شديد الكبر والحمق ، يرى في نفسه أنّه أكبر من جميع البرجيّة .

(1) الوافي 10 / 75 (4511) ؛ الدرر 2 / 5 (1276) ؛ المنهل 3 / 237 (640)

ولّاه الأمير أبو منصور تكين الشرط بعد وصيف في يوم السبت لثلاث بقين من رجب سنة سبع عشرة وثلاثمائة . ومات تكين[1] وولي أحمد بن كيغلغ[2] مصر فأقرّه على الشرط . ثمّ صرفه بالحسين بن علي بن معقل في يوم الأحد لأربع بقين من شوّال سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة .

فردّه محمد بن عليّ الماذرّائي إلى الشرط فحارب الجند بالجزيرة فانهزم منهم . وعاد ابن معقل إلى الشرط فكانت فتنة الجند وقيام حبشيّ في المغاربة لمُحاربتهم .

فلمّا قدم محمد بن تكين أعاد بجكم وصرف الحسين بن معقل عن الشرط في ثالث ربيع الأوّل ، فخالف على محمّد بن تكين ولحق بالمَغاربة في العشرين من جمادى الآخرة .

فلمّا تمّ الأمر لأحمد بن كيغلغ أعاد بجكم إلى الشرط وصرف ابن معقل في ثالث رجب .

ثمّ خرج بجكم إلى الحجّ وقد وليَ مصرَ محمد بن طُغْج الإخشيد ، وسار إليها فلحق به سعد بن عثمان[3] وهو على الشرط . فجعل أحمد بن كيغلغ بجكم

(1) مات تكين الخاصّة في 16 ربيع الأول 321 . وكان ولّى الشرطة لوصيف الكاتب في صفر سنة 313 في ولايته الثالثة لمصر .

(2) سكت المقريزي هنا عن ولاية محمد بن طغج سنة 321 ، لأنّها لم تدم إلّا 32 يوماً . ولم يدخل الإخشيد مصر (الكندي ، 281) . وولاية أحمد بن كيغلغ هي الثانية (شوّال 321) .

(3) في النجوم الزاهرة 3/ 252 : سعيد بن عثمان ، وكذلك عند الكندي ، 289 وقال إنّه توفي في 15 صفر 328 .

مكانه في رمضان سنة اثنتين وعشرين . فلمّا تسلَّم محمد بن طغج الفسطاط ، وكره حبشيّ والمَغاربة المقام معه وخرجوا / إلى الفيّوم ، خرج معهم بجكم ، [242 أ] وعليّ بن بدر ، ونظيف النوشريّ ، وعليّ المعدني . وكان من أمر صاعد معهم وقتله ما ذكر في ترجمته [1] .

فلمّا سار حبشيّ من الفيُّوم إلى الإسكندرية قدم بجكم وعليّ بن بدر في مراكب صاعد التي غنموها لمّا قُتل ، حتى قدِما الفسطاط أوَّل يوم من ذي القعدة سنة ثلاث وعشرين [وثلاثمائة] ، وأرسوا بجزيرة مصر ، وبها حينئذ الصناعة فشعَّثوها .

وخرج إليهم محمّد بن طغج فلم يُمكنه الوصول إليهم وعادوا من آخر يومهم إلى الإسكندرية ولحقوا ببرقة وكاتبوا صاحب إفريقية في إرسال جيشٍ ليأخذوا له مصر .

فمات حبشيّ [2] وقدم جيش إفريقية ، فسار بجكم على مقدّمته حتى ملك الإسكندرية في ربيع الآخر سنة أربع وعشرين [وثلاثمائة] [3] .

فبعث الإخشيد بأخيه الحسن بن طغج ، فقاتل المَغاربة وأسر عدّة منهم وقتل كثيراً وهزم باقيَهم ، وفيهم بجكم ، فلحق ببرقة وأقام بها إلى أن قدم على الإخشيد ومعه علي المعدنيّ مستأمِنَين ، وذلك في جمادى الأولى سنة ثمَانٍ وعشرين [وثلاثمائة] [4] .

....

(1) حرف الصاد في الأجزاء المفقودة من المقفّى .

(2) مات حبشيّ في صفر 324 .

(3) عند الكندي ، 288 ، كانت هٰذه الوقعة في 22 منه ، وكان على الجيش الفاطميّ يعيش وأبو تازرت الكتاميّان .

(4) بجكم الأعور هو غير أبي الحسين بجكم الذي خدم محمد بن رائق بالعراق وكانت له جولات مع البريدي .

وخبر الفتنة بين ولاة مصر المعزولين والمثبتين مستفيض في كتاب الكندي ، وفي النجوم =

907 – بُجَاس النوروزيّ [– 803][1]

بُجاس بن عبد الله النوروزيّ النحويّ . مات في رجب سنة ثلاث وثمَانمائة .

908 – بُحُر بن ضُبُع الرعينيّ[2]

بُحُر بن ضُبُع بن أُتُه بن يحمد بن مَوْهِشل بن عُقَب بن اللَيْشَرَح بن سعد ابن بدر بن شرحبيل بن حجر بن زيد بن مالك بن زيد بن رعين . ويقال : ذو رعين ، وآسمُه بريم بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمَن بن ميسع ابن حمير – واسمه العرنجج – بن سبأ ، وهو عامر بن شجب بن يعرب بن قحطان بن عابر بن سلاح بن أرفخشد بن سام بن نوح ، أبو [. . .] الرعينيّ .

وفد على النبيّ ﷺ مع يعفر بن عُريب بن عبد كلال ، وشهد فتح مصر وآختطّ بها . وكان بمِصر من ولده عددٌ .

....

= الزاهرة لابن تغري بردي ، وفي تراجم القوّاد والأمراء المعنيِّين في المقفّى كالإخشيد ، وأخيه الحسن بن طغج ومحمد بن تكين وحبشيّ رأس المغاربة وغيرهم .

وهٰذا التقاتل بينهم على الحكم مهَّد بدون شكّ لاستيلاء جوهر على مصر .

(1) المنهل 3 / 241 (642) ؛ الضوء اللامع 3 / 2 (رقم 6) ولم يقل إنَّ المقريزي ذكره في عقوده . وذكره في السلوك في مواضع : أنعم عليه بإمرة طبلخاناه (ج 3 / 367) في رمضان 781 وبولاية باب القلعة في جمادى الأولى سنة 790 (ج 3 / 578) . ولم يلقّبه بالنحويّ ، كما فعل هنا ، وكما فعل السخاوي : سيف الدين العثمانيّ النحويّ كبير الجراكسة في بلاده . وفي نزهة النفوس والأبدان 2 / 131 : بُجاس العثمانيّ لا غير .

(2) أسد الغابة 1 / 199 (370) ؛ الوافي 10 / 83 (4526) ؛ الإكمال 1 / 208 .

909 - بحر بن نصر الخولانيّ [180 - 267] [1]

بحر بن نصر بن سابق مولى خولان ، أبو عبد الله .

ولد سنة ثمَانين أو إحدى وثمانين . وقال الطحاوي : ولد بحر بن نصر ، والربيع المراديّ ، والمزني ، ثلاثتُهم في سنة أربع وسبعين ومائة .

روى عن عبد الله بن وهب ، وأيوب بن سويد الرمليّ ، والشافعيّ ، وبه تفقّه ، وضمرة بن ربيعة ، وأشهب ، وبشر بن بكر ، في آخرين .

وروى [عنه] ابن حوصا ، وأبو جعفر الطحاويّ ، وأبو بكر بن زياد النيسابوريّ ، وعبد الرحمان بن أبي حاتم ، وأبو عوانة الإسفراييني ، وأحمد بن مسعود بن عمرو العكري ، وجماعة .

قال ابن يونس : كان من أهل الفضل . حدّثني أحمد بن محمد بن سلامة قال : سمعتُ يونس بن عبد الأعلى ذكر بحرَ بنَ نصر ، فوثّقه . وقال الأصيفر : رأيتُه عند ابن وهب ، ووثّقه ابن ابي حاتم .

توفّي بمِصر ليلة الاثنين لثمانٍ خلونَ من شعبان سنة سبع وستّين ومائتين ، وصلّى عليه أخوه إدريس بن نصر الخولاني .

910 - بُجَير بن ذاخر الناشريّ

بُجير بن ذاخر بن عامر المعافريّ ثمّ الناشريّ .

حدّث عن عمرو بن العاصي ، وعبد الله بن عمر ، ومسلمة بن مخلد ،

---

(1) الطبريّ 1/ 114 وذكر له حديثاً في فضل يوم الجمعة ؛ تهذيب التهذيب 1/ 420 (775) .

وعقبة بن عامر الجهنيّ .

حدّث عنه الأسود بن مالك الحميريّ ، وعبد الله بن لهيعة . وكان سيّافاً لمسلمة بن مخلد ..

وروى أيضاً عن عبد العزيز بن مروان .

روى عنه ابنُه عليّ بن بجير . وجعل الدارقطنيّ الذي روى عن عبد العزيز غير بجير بن ذاخر ، وهو وَهْمٌ .

وذكره ابن يونس على الصحّة وبيّن أنّ عليّ بن بجير هو ابن ذاخر .

911 - بدر الجماليّ [405 - 487][1]

بدر ، أبو النجم ، الجماليّ ، المنعوت بالسيّد الأجلّ ، أمير الجيوش ، سيف الإسلام ، ناصر الإمام ، كافل قضاة المسلمين ، وهادي دعاة المؤمنين .

كان مملوكاً أرمنيًّا لجمال الدولة أبي الحسن علي بن عمّار صاحب طرابلس الشام [فلذلك عُرف بالجماليّ] . وما زال يأخذ نفسَه بالجدّ من زمن الشبيبة فيمَا يباشره ويوطّن نفسَه على قوّة العزم وينتقل في الخدم إلى أن ولي دمشق من قبل المستنصر بالله في يوم الأربعاء الثالث والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة خمس
[242 ب] وخمسين وأربعمائة ، فتسلّمَها ومعه الشريف القاضي ثقة الدولة ذو الجلاَلَيْن / أبو الحسن يحيى بن زيد الحسينيّ الزيديّ ناظراً في الأعمال[2] .

وأقام بها إلى أن خرج منها كالهارب من أهلها في ليلة الثلاثاء لأربع عشرة خلت من شهر رجب سنة ستّ وخمسين .

ثمّ وليَها ثانياً يوم الأحد السادس من شعبان سنة ثمَان وخمسين ، فأقام بها

(1) الخطط 1 / 211 ؛ ابن ميسّر (ماسي) 50 ؛ الإشارة 55 ؛ النجوم 5 / 141 .
(2) ابن القلانسيّ : ذيل ، 92 ؛ اتّعاظ ، 2 / 268 .

إلى أن بلغه قتلُ ولده بعسقلان . فخرج منها ونزل على مسجد القدم[1] خارج دمشق في شهر رمضان سنة ستّين وأربعمائة . فخرج الأحداث والعسكريّة إلى قصره وأحرقوه .

وفي سنة اثنتين وستّين نزل على صور وحاصر القاضي عين الدولة أبا الحسن محمد بن عبد الله بن عياض بن أبي عقيل الغالب عليها . ثمّ حصره في سنة ثلاث وستّين . وتتابع وصولُ الأتراك من العراق إلى أعمال فلسطين والساحل وبلاد الشام مع أتسز بن أوق الخوارزميّ وإخوته جاولي والمأمون وقرلو وشكليّ ، وأخذوا أعمال فلسطين واختلفوا هناك . فصار بعضهم مع أمير الجيوش بدر بعكّا وبلاد الساحل التي هي في يده ، وبعضهم مع القاضي عين الدولة محمد بن [عبد الله بن عياض بن] أبي عقيل صاحب صور . وبقي أتسز بن أوق الخوارزميّ وأخوه بفلسطين ، واستولى على الرملة وطبريّة والقدس . فلم يزل أمير الجيوش بعكّا إلى أن انتهكت حرمة المستنصر بتغلّب ناصر الدولة الحسين بن حمدان إلى أن قُتل . فاستطال عليه الأمير يلدكوش والأتراك والوزير ابن أبي كدينة . فكتب إلى أمير الجيوش كتاباً من إملاء الوزير أبي الفرج محمد بن جعفر ابن المغربيّ ، وهو يومئذ يتولّى الإنشاء ، يستدعيه للقدوم عليه وإنجاده ، من جملته [طويل] :

فإن كنتُ مأكولاً فكُن خيرَ آكل ... وإلّا فأدركني ولمّا أمزّق

فلمّا بلغه الكتاب قال : لبّيك ! – وكرّرها ثلاثاً . وكتب إلى المستنصر يشترط عليه أنّه لا يقدم إلّا بعسكرٍ معه ، وأنّه لا يُبقي على أحدٍ من عساكر مصر . فأنعم له بذلك .

فسار من عكّا في مائة مركب مشحونة بالأرمن ، وغيرهم من العسكر . فنهاه الناس عن ركوب البحر من أجل أنّ الوقت شتاء في كانون الأوّل ، فأبى .

(1) ذيل ... 93 .

ونزل على دمياط بعد [أربعين يوماً] من إقلاعه . فزعم البحريّة أنّهم لم يعرفوا صحوة تمَادت أربعين يوماً في الكوانين إلّا هذه ، فكان هذا الأمر بدءَ سعادتِه .

واستدعى تجّار تنيس واقترض منهم مالاً ، وقام له[1] سليمَان اللواتي بالعليق وغيره من الضيافة . وسار إلى ظاهر قليوب ، وبعث إلى المستنصر يقول له : لا أدخل إلى القاهرة ما لم تقبض على يلدكوش – فأمسكه . وعبر أمير الجيوش عشيّة يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة ستٍّ وستّين وأربعمائة ، ودخل على المستنصر ، فاستدناه وقرّبه ودعا له وشكر سعيَه وبالغ في كرامته . وقرّر أن يكون السفير بينه وبين أمير الجيوش الوزير ابنُ المغربيّ كاتبُ الإنشاء ، فصار ابن المغربيّ إليه وعرّفه ما فيه الغَرَض ، وصار من خواصّه .

ولم يكن عند أهل الدولة علمٌ من أنّ المستنصر استدعاه وظنُّوا أنّه قدِم زائراً ، فلم يتأخّر أحدٌ منهم عن ضيافته والقيام بمَا يتعيّن من كرامته ، وقدّموا إليه أشياء كثيرةً حتى كملت نُوَبُهُ مِنَ الجميع . [فـ]ـاَستدعى الامراء إلى دعوة صنعها لهم ، وقرّر مع خواصّه أنّه إذا بات الأمراء وجنّهُم الليل فإنّه لا بدّ لكلّ واحا منهم أن يصير إلى الخلاء لقضاء حاجته ، فمَن صار منهم إلى الخلاء يُقتل فيه ووكّل بكلّ أمير منهم واحداً من أصحابه ، وجعل له سائرَ ما هو بيدِ ذلك الأمير من إقطاع وجارٍ ودارٍ ومال وجوارٍ وغير ذلك .

فلمّا حضر الأمراء عنده وقام لهم بمَا يليق بهم ظلُّوا نهارهم عنده في أرغد عيش وباتوا مطمئنّين إليه . فلم يطلع الفجرُ حتى استولى أصحاب أمير الجيوش على بيوت الأمراء وصارت رؤوس الأمراء بين يديه . فقويت شوكته وانبسطت يده وخلت الديار له من منازع . فاستدعاه حينئذ المستنصر وقرّره في الوزارة وردّ إليه الأمورَ كلَّها وعاهدَه على ذلك . وكُتب له سجلٌّ نُعِتَ فيه بـ« السيّد الأجلّ أمير الجيوش كافل قضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين » ، وصار القاضي

---

(1) في المخطوط : وأقام . وانظر الاتّعاظ 2 / 312 .

والداعي نائبَين عنه يقلّدهُا/ هو . [243 أ]

وكان من جملة ما في سجلّه بعد التقريظ الكبير : وقد قلّدك أمير المؤمنين جوامع تدبيره وناط بك النظر في كلّ ما وراءَ سريره ، فباشِرْ ما قلّدك أميرُ المؤمنين من ذلك مدبّراً للبلاد ، مصلحاً للفساد ، ومدمّراً أهلَ العناد .

وخلع عليه بالعقد المنظوم بالجوهر بدل الطوق الذي كان للأمراء ، وزيد له الحنَك الذي يُعرفُ اليوم باللثام مع الذؤابة المرخاة ، وهي التي يقال لها العَذَبَة [1] ، وجعل له الطيلسان المقوّر – ويعرف اليوم بالطرحة ، وهي التي يلبسُها قاضي القضاة .

ونزل إلى داره ، فحضر إليه المتصدّرون بالجامع للسلام عليه . وقرأ القارئُ : « وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ » [آل عمران ، 123] ، وسكت عن تمَام الآية [2] ، فقال له بدر : والله لقد جاءت في مكانها ، وجاء سكوتُك عن تمَام الآية أحسن – وأنعم عليه .

وشرع في تدبير الأحوال ، واستبدّ بأمور الدولة ، وحجّر على المستنصر أتمّ حجر ، وكبر أمره ، وأخذ في تلافي ما آنتهك من حرمته . وكانت الأحوال قد فسدت والأمور قد تغيّرت وطوائف العسكر قد آنتشرت ، والوزراء يقنعون بالاسم دون نفاذ الأمر والنهي ، والرخاءُ قد أُيس منه ، والصلاح لا يُطمعُ فيه ، ولُواتة قد ملكت الوجهَ البحريَّ كلَّه ، والعبيد في الصعيد ، والطرقات قد انقطعت برًّا وبحراً إلّا بالخفارة الثقيلة ، والخراب قد شمَل مدينة مصر ، والعسكر [قد ثاروا] . فتجرّد لإزالة الفساد ، وساعدته الأقدار حتى أنشأ دولةً جديدةً ، واستعار ما كان قد تغلّب عليه أمراء البلاد وقضاتُها مثلَ عسقلان وصور وطرابلس . وقتل سائر أهل الفساد .

(1) انظر : ابن المأمون ، 76 .
(2) وتمامها : وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ .

وأنشأ داراً بحارة برجوان من القاهرة وسكنها ، فعُرفت بعدَه بدار المظفّر . وقتل من أماثل المصريّين وقضاتهم ووزرائهم وأعيانهم خلقاً كثيراً . وقدمت إليه عدّة من طوائف الأرمن تقوّى بهم .

فلمّا دخلت سنة سبع وستّين [وأربعمائة] حصر شكليّ[1] أخو أتسز [بن أوق] الخوارزميّ ثغرَ عكّا وأخذه بالسيف ، وكان به أولاد أمير الجيوش وأهلُه ، فلم يعترضهم بسوءٍ وأحسن إليهم وبعثهم إليه .

وفيها سار أمير الجيوش إلى الوجه البحريّ وأوقع بعرب لواتة وهزمهم وقتل مقدّمهم سليمـ[ـان] اللواتيّ وولده ، واستصفى أموالَها . ثم سار إلى دمياط وقتل عدّة من المفسدين وأحرقهم . واصلح سائر البرّ الشرقيّ من مصر .

ثم غدا إلى البرّ الغربيّ وقتل من الطائفة الملحيّة وأتباعهم بالإسكندريّة عدداً كبيراً بعدما أقام أياماً على الإسكندريّة يحاصرها حتى أخذها من الملحيّة عنوةً ، وعفا عن أهل البلد فلم يضرّهم بشيءٍ .

وفي سنة تسع وستّين اجتمع كثيرٌ من عرب جهنية والجعافرة والثعالبة وغيرهم بمَدينة طوخ[2] العليا من صعيد مصر واتّفقوا على محاربة أمير الجيوش . فخرج إليهم وسار حتى كان قريباً منهم [فـ]ـنزل بجاهم وأقام إلى نصف الليل . ثم أمر فضُربت طبولُه وأُشعِلت المشاعل ، وأكثر من وقود النار وضرب الطبول والبوقات ، وصرخ كلُّ مَن في عسكره وحملوا حملةً واحدةً على العَرَب ، فقُتل أكثرُهم بالسيف ، وانهزم باقيهم فغرقوا ولم ينج منهم إلّا قليل . واحتوى من أموالهم على ما لا يُحدُّ كثرةً وبعثها للمستنصر .

ثم سار إلى أسوان وبها كنز الدولة محمد قد تغلّب عليها وعظم شأنه وكثرت أتباعُه فقاتلَه وقتله . وبنى في موضع الوقعة مسجداً سمّاه مسجد النصر . ثم عاد

(1) اتّعاظ 2/314 ولم يقل إنّه أخو أتسز .

(2) بالصعيد غربيّ النيل (ياقوت) .

إلى القاهرة وقد صلحت أرض مصر كلّها أعلاها وأسفلُها ، وزالت العُربان والعساكر المفسِدة منها .

وقدم أتسز بن أوق الخوارزميّ في مدّة غيبته ببلاد الصعيد إلى القاهرة يريد الاستيلاء عليها ، فقاتلَه المستنصر وهزمَه .

ثمّ خرجت عرب قيس وعرب فزارة وسليم عن الطاعة فخرج إليهم وقاتلَهم وهزمهم إلى برقة .

ثم ندب في سنة سبعين وأربعمائة العساكر إلى دمشق وقدّم عليها نصر الدولة أفتكين الجيوشيّ ، فسار إليها وحاصرها مدّة أيام ، ثم رجع . فلمّا كانت سنة آثنتين وسبعين سيّر عسكراً آخر فحاصرها / حتى أشرف على أخذها ، ثم عاد [243 ب] خوفاً من قدوم تاج الدولة تتش .

وفي سنة سبع وسبعين عصى الأوحد ابن أمير الجيوش على أبيه بالإسكندرية وصار في جمع كثير من العرب . فسار إليه وحصر الإسكندريّة إلى أن أخذها وقبض على ولده وقتل كثيراً من الناس وأغرم أهل البلد مالاً كثيراً ، وبنى بها الجامع المعروف بجامع العطّارين ، وقتل ابنَه .

فلمّا كانت سنة آثنتين وثمانين وأربعمائة جهّز جيشاً [فـ]ـأخذ صور وصيدا وفتح جبيل[1] وعكّا ، وكانت بيد تاج الدولة تتش ، وأخذ غزّة من أصحابه وقبض منهم مالاً كثيراً من ذخائر تتش .

وفي سنة خمس وثمَانين أنشأ باب زويلة الكبير على ما هو عليه الآن ، وأنشأ باب الفتوح وباب النصر ، بناها له ثلاثة إخوة من أهل الرها .

ولم يزل على قوّة وسداد من أمره إلى أن مات بعد مرض طويل أُسكت فيه مدّة ولم يقدر على الكلام ، في ذي القعدة – وَقيل : في شهر ربيع ، وقيل :

(1) ابن ميسّر (ماسي) 28 .

في جمادى الأولى – سنة سبع وثمَانين وأربعمائة عن ثمَانين سنةً ، منها مدّة تحكّمه بديار مصر زيادة على عشرين سنة .

وكان شديد الهيبة مخوف السطوة كثير البطش ، قتل في سلطنتِه خلقاً لا يُعدّ من كبار المصريّين وقوّادهم وكتّابهم ووزرائهم .

وقد ذكره الشريف أبو يعلى محمد بن محمد ابن الهبّاريّة [1] في كتاب الصادح والباغم فقال [الرجز] :

كان بمِصر بدر له عليها الأمرُ
يقتل كلّ ساعة من أهلها جماعة
ويهرق الدماءَ حتى تُخالُ ماءَ
أصلحها بسيفه وجَوْرِه وحيفه
جزاءُ كلّ فعلٍ لديه سوءُ القتل
لمّا عصاه وَلَدُه وبان منه نَكَدُهُ
خنقه بيده ثمّ رمى بجسده
فغضب المستنصر وقال : هٰذا مُنكَر
فقال : لو عصاني قلبيَ في جثماني
نزعتُه من صدري ولم يكن بنكر
ثمّ غزا لواته إذ ظنّهم حماته
فحين قيد الأسرى قال : اقتلوهم صبرا
عشرين ألفاً كانوا حتى جرى الميدان
في النيل من دماهم ولجّ في إفناهم
وهو على ظهر الفرَسْ كضيغم إذا افترس

....

(1) ابن الهبّاريّة (ت 509) النجوم 5 / 210 . والمنظومة نشرها عزّت العطّار القاهرة 1936 . والأبيات في ص 60 منها بعنوان « مثل ملك ظالم لم يقتل بل مات حتفُ أنفه » .

ومات حتف أنفِهْ لم يعتسف بعسفِهْ

وكان واسع النفس بحيث إنّه كان اتّخذ وهو بعكّا ، ثلاثمائة قنطار بالشاميّ سكّراً ، فعزّ في سنة آثنتين وستّين وأربعمائة السكّر ، وبلغت قيمة القنطار إلى خمسين ديناراً ، وطُلب فلم يوجد في أوّل شهر رجب منها ، فقيل لبدر : ثمَنُ هٰذا السكّر الذي عندك خمسةَ عشرَ ألفَ دينار ، تبيعه أو بعضه ؟

فآمتنع وقال : نحن نحتاج إليه في هذه الشهور ، يعني رجب وشعبان ورمضان فآستعملت كلّها في مطابخه ، وسمحت نفسه بإتلاف هٰذا المبلغ الكبير من الذهب .

وعلى يده صلحت ديار مصر وعمرت بعد تحكّم الفساد بها وخرابها .

ومن محاسن سيرته أنه أباح الأرض لمَن يزرعها مدّة ثلاث سنين حتى تراجعت إلى الفلّاحين أحوالهم وآستغنوا في أيامه .

ومنها أنّه بسط العدل فأمّنت الطرق ، وحضر إلى مصر والقاهرة كثير من التجّار وأرباب الأموال بعد انتزاحهم عنها في أيام الشدّة .

ومنها كثرة كرمه : وقد حُكي أنّ علقمة بن عبد الرزاق العليميّ قصده ، فإذا على بابه أشرافُ الناس وأكابرهم ، فلم يتجاسر على العبور إلى مجلسه ، وبقي أيّاماً إلى أن خرج أمير الجيوش يريد الصيد . فوقف له على تلّ رمل وأشار برقعة في يده وأنشد [كامل] :

نحن التجار وهٰذه أعلاقنا ... دُرٌّ ، وجودُ يَمينك المبتاعُ / [244 أ]
قلّب وفتّشها بسمعك ، إنّمَا ... هي جوهر تختاره الأسماعُ
كسدت علينا بالشآم ، وكلّما ... قلَّ النَّفاقُ تعطّل الصُّنّاع
فأتاك يحملها إليك تجّارُها ... ومطيُّها الآمالُ والأطمَاعُ
حتى أناخو[هـ]ـا ببابك ، والرجا ... من دونك السمسارُ والبيَّاعُ
فوهَبتَ ما لم يعطِهِ في دهره ... هرَمٌ ولا كعبٌ ولا القعقاعُ

وسبقتَ هٰذا الناسَ في طلب العُلَى　　والناس بعدَك كلّهم أَتباعُ
يا بدرُ ، أُقسم : لو بك اعتصم الورى　　ولجوا إليك جميعُهم ما ضاعُوا

قال العليميّ : وكان بيده باز ، فدفعه لأحد مماليكه وجعل يستعيد الأبيات وأنا معه إلى أن ٱستقرّ في مجلسه . فلمّا ٱطمأنّ قال للحاضرين : من أحبّني فليخلع عليه !

فخرجتُ من عنده ومعي سبعون حملاً يحملون إنعامه ، وأمر لي من ماله بعشرة آلاف درهم [1] .

وهو أوّل مَن ولي في الدولة الفاطميّة الوزارة من أرباب السيوف ، وأقام دولة الأرمن بديار مصر .

912 - بدر [الكبير] الحماميّ [الطولوني] [- (310)] [2]

كان من غلمان أحمد بن طولون . وكان روميًّا حسن الخلُق : من حسن خُلقِه أنّه إذا قبّل أحد من الرجّالة يده باس هو رأسَه .

وما زال يترقّى إلى أن صار أكبر قوّاد مصر ، وتعيّن هو وصافي بعد قتل خمارويه . فلمّا صار الأمر إلى هارون بن خمارويه قبض كلٌّ من بدر وصافي على قطعة من الجيش حازها لنفسه وطالب عنها بأرزاقها وسأل أن يكون مالهم محمولاً إليه يتولى هو إعطاءهم في داره . ففعل ذلك به ، وصارت عدّة كلّ طائفة من الجند إلى دار مَن صاروا في جملتِه يَغدون إليه ويروحون من عنده ويطالبونه بأرزاقهم ويقبضونها من يد كاتبه ، لا يخافون ولا يرجون سواه .

(1) الخطط 2 / 330 .
(2) الطبري : سنوات 289 ، 290 ؛ تاريخ بغداد 7 / 105 ؛ اللباب 1 / 385 وفيه أنّه توفّي سنة 311 ؛ الأعلام 2 / 12 . والحماميّ نسبة الى الحمام الزاجل .

وخرج إلى دمشق ومعه نجح والحسين بن أحمد الماذرّائي في سنة ثلاث وثمَانين ومائتين ، فأصلح أمر الشام ، وآستخلف على دمشق طغج بن جفّ الفرغانيّ ، وعاد إلى مصر .

فحجّ بزي حسن وآلة جميلة وأنفق نفقة كبيرة ، وبنى ميضاة بباب الجامع العتيق بمِصر ووقف عليها قيساريّة ملاصقةً لها ، وجعل مع الميضاة ماءً عذباً في كيزان كبار فوضع في كلّ حلقة من حلق الجامع كوز ، وجعل أزياراً[1] مملوءةً ماءً مطلقة لسائر الناس .

وكان على صدقاته الليث بن داود فيَجِيءُ المساكين زمراً زُمراً إلى بابه وهم ينادون في الطريق : دار ليث ! فيأخذون الدراهم الصحاح والخبز واللحم المطبوخ قدوراً مملوءة ، وتُفرّقُ فيهم في الشتاء الجبابُ الصوف وفي يوم الأكسية . وما زال ذلك معروفاً قائمًا أيام حياة بدر كلّها .

فلمّا انهزم طغج بن جفّ بدمشق من الحسن بن زكرويه[2] القرمطيّ الذي يعرف بالمطوّق وبصاحب الجمل – ويُسمّى علي بن عبد الله – في سنة تسع وثمانين ومائتين ، خرج بدر وفائق بعساكر مصر وقاتلا القرمطيّ إلى أن قُتل وقام من بعدِه أحمد بن عبد الله – وقيل : عبد الله بن أحمد – صاحب الخال[3] فقاتله بدر حتى هزمه ، وفيه يقول ، من أبيات [كامل] :

سبقَتْ يديَّ يدا نصيـ ـرٍ هاشميّ المحتد

---

(1) الزير ج زيار وأزيار : الكوز الكبير .

(2) في العيون 4/ 18 : انهزم من يحيى بن ذكرويه .

(3) عند الطبريّ (سنة 289) وفي العيون والحدائق 4/ 109 : المقتول هو يحيى بن زكرويه ، والقائم من بعده أخوه الحسين الذي زعم أنّه أحمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق . وصاحب الخال هو أبو الحسن عليّ بن مهروية ، وصاحب الجمل هو أبو القاسم أحمد قتله مغربيّ بمزراق سنة 290 . وانظر ترجمة الأعصم القرمطي من هٰذا الكتاب (رقم 1146) .

وأنا ٱبن أحمد لم أقل كذباً ولم أتزيّدِ
من فرط بأسي قال بَدْ رٌ : ليتني لم أولدِ[1]

وأقاما بدمشق وحثّا محمّد بن سليمَـ[ـان] الكاتب على أخذ مصر وسارا معه حتى أزال دولة بني طولون من مصر في ربيع الأوّل سنة ٱثنتين وتسعين ومائتين .

[244 ب] ثمّ أخرج بدراً من مصر والياً على دمشق فخرج / قوّاد بني طولون ومواليهم .

913 - بدر الحقيقيّ

بدر الحقيقيّ . كانت إليه ضياع أبي أحمد بن المتوكّل بمِصر ، والطراز ، والخيل ، وضياعُها . وكان من وجوه غلمان أحمد بن طولون وكبارهم .

ولم يزل على ذلك إلى أن بعث أبو أحمد الموفّق نحريراً خادم المتوكّل ومعه كتاب إلى أحمد بن طولون في حمل ما يستعين به من المال في قتال صاحب الزنج . فلمّا قدم نحرير إلى مصر ورد في عقبه كتاب المعتمد سرًّا أنّ الموفّق إنّمَا أنفذ نحريراً إليك عيناً عليك ومستقصياً على أخبارك ، وأنّه قد كاتب بعضَ أصحابك ، فاحترسْ منه .

فٱحترس أحمد بن طولون على نحرير ، وتلطّف حتى أخذ منه الكتب التي كانت معه ، فإذا هي إلى جماعة من قوّاده يُضَرِّبُهم[2] عليه ويستَميل قلوبهم إليه ، منهم بدر هٰذا . فضربهُ بالسوط حتى مات .

---

(1) في النجوم 3 / 106 البيتان الأوّلان فقط وقد أخذنا فيهما بقراءة الناشر . والبيت الثالث غير مفهوم ، فعوّضنا فيه : من صرف ، ب : من فرط . وقائل الأبيات هو القرمطيّ ، يفخر على بدر الكبير .

(2) أي يغريهم به . والحادثة مرويّة في ترجمة أحمد بن طولون .

914 – بدر الإخشيديّ [– بعد 357]

كان أجلّ غلمان الأمير أبي بكر محمد بن طغج الإخشيد . وترقّى عنده حتى ولّاه دمشق في [. . .] .

فلمّا قدم محمد بن رائق إليها ، سار عنها إلى مصر . ثم أعيد إلى دمشق بعد موت الإخشيد . فلمّا دخل كافور الإخشيدي من الشام إلى مصر في ربيع الآخر سنة ستّ وثلاثين وثلاثمائة ، وتأخّر أبو المظفّر الحسن بن طغج بالرملة ، وقام كافور بخلافة الأمير أبي القاسم أونوجور ابن الإخشيد ، وخاطبه نُظراؤه الإخشيديّة بالأستاذ ، مثل جانك ، وطغان ، ومبشر ، ومرتاح الشرابيّ ، ومرتاح الخازن ، ومرتاح صلايه ، وشادن ، والحسين بن لؤلؤ ، ونحرير الأزغليّ ، ونحرير الخاصّة ، وبشارة ، وفرج البجكميّ ، وغيرهم ، آمتنع ، وكان بدمشق .

فأرسل كافور إلى أبي المظفّر يستدعيه فسار ، وعمل عليه حتى حصل بمِصر في ربيع الأوّل سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة . فخاطبه الغلمان من الكبار في أن يكاتب كافور بالأستاذ فأمتنع . فقبض عليه كافور وأعتقله بالإسكندريّة ودمياط مدة عشرين سنة ، وأجرى عليه في كل شهر مائة دينار .

فلم يزل حتى مات كافور . فأطلق من اعتقاله ، وأدخل من دمياط إلى مصر في رجب سنة سبع وخمسين وثلاثمائة . فكثرت الفتن وآشتدّ الخلاف ، فصار الإخشيديّة والكافوريّة إلى دار الشريف أبي جعفر مسلّم بن عبيد الله الحسينيّ للمشورة ، وقالوا لبدر هذا : أنت شيخ الجماعة ، فإيش الرأي ؟

قال : ما عندي رأي . قد شخت ، ولكن الذي أراه أن تطلبوا خادماً أسود آسمه كافور تقلّدو[نـ]ـه ، فإنّي أرى الأمر يستقيم .

فضحكوا وقاموا على غير شيء .

915 – بدر صاحب عبد الرحمان الداخل

بدر ، أبو الغصن ، مولى معاوية بن هشام بن عبد الملك .

فرّ مع عبد الرحمان بن معاوية من قريته ذات الزيتون بالشام لمّا طلبه المُسَوِّدة بعد قتل مروان الحمار ، إلى فلسطين . ثمّ تأخّر عنه لأمر ، ولحقه بمَال وجوهر بعَثت به إليه معه أخته أم الأصبغ ابنة معاوية بن هشام بن عبد الملك . فقبض عليه عبد الرحمان بن حبيب الفهريّ ، متولّي إفريقية ، وقرّره على مولاه عبد الرحمان ، فأنكر خبره . ثم أفرج عنه حتى لحق مولاه .

فقدّمه بين يديه يدعو له . فقدم الأندلس وتجسّس له ، وما زال حتى أخذ له البيعة وجهّز إليه مركباً فيه جماعة من الأعيان فبذلوا له الطاعة وساروا به ، إلى أن كان من أمره ما ذكر في ترجمته[1] .

وكان عبد الرحمان [. . .][2] .

916 – بدر الحبشيّ [– 576]

بَدر بن عبد الله ، أبو الضياء الحبشيّ ، مولى الشيخ أبي عبد الله محمد بن خداذاد المعدّل .

سمع أبا عبد الله الرازيّ وأبا الحسن الفرّاء ، وأبا القاسم بن الدوري [و]عبد الرحمان بن فاتك ، وأبا صادق وغيرهم ، وحدّث .

توفّي ليلة الخميس ثالث شوّال سنة ستّ وسبعين وخمسمائة .

(1) ترجمة عبد الرحمان الداخل : انظر رقم 1470 .
(2) كلمتان مطموستان .

917 – بُرُلْغي الأشرفيّ [– 711][1]

برلغي الأشرفيّ ، الأمير سيف الدين ، أحد البرجيّة. من المماليك المنصوريّة قلاوون .

كان أوّلاً مملوكاً للأمير حسام الدين مهنّا أمير العرب ، أسره في بعض غاراته على التتار وبعث به إلى الملك المنصور قلاوون / فأعطاه لولده الملك الأشرف [245 أ] خليل . وترقّى في الخدم إلى أن صار من الأمراء .

فلمّا أعيد الناصر محمد بن قلاوون بعد قتل المنصور لاجين ، وقويت البرجيّة ، وقام بأمرهم الأمير بيبرس الجاشنكير ، واشترك هو والأمير سلّار في تدبير أمور الدولة ، زاحمهُما برلغي في الأمر والنهي وقويت شَوكتُه باجتماع المماليك الأشرفيّة عليه . وتزوّج بابنة الأمير بيبرس فتضاعفت حرمته ، إلى أن كانت وقعة شقحب ظاهر دمشق مع التتار [فـ]ـانهزم هزيمة قبيحة .

فلمّا انتصر المسلمون وقدم السلطان دمشق ، عاد برلغي فمَنَعه السلطان أن يدخل إليه وقال : بأيٍّ وجهٍ تدخل إليّ أو تنظر في وجهي ؟

فلم يزل الأمراء به حتى عفا عنه ، وأنعم عليه بعد قدومه إلى مصر بثلاثين ألف درهم .

وسار بالركب إلى الحجّ في سنة ٱثنتين وسبعمائة ، وأبطل من الحرم الأذان بـ« حيّ على خير العمل » ، ومنع الزيديّة من الإمامة في الصلاة بالحرم ، وعاد إلى القاهرة .

فلمّا تسلطن بيبرس الجاشنكير وتلقّب بالملك المظفّر في شوّال سنة ثمَانٍ

(1) الوافي 10 / 287 (4794) ؛ الدرر 2 / 9 (1286) ؛ المنهل 3 / 357 (663) ؛ النجوم 9 / 216 ؛ السلوك 2 / 96 .

وسبعمائة ، أنعم عليه بإقطاعه قبل سلطنته ، فإنّه كان تزوّج بأبنته وجهّزها بيبرس بجهاز عظيم جدًّا . وأنعم بإقطاع برلغي على بدخاص ، وبإقطاع بدخاص على الأمير جمال الدين آقوش الأشرفيّ نائب الكرك .

فلمّا أهلّت سنة تسع وسبعمائة زفّت ابنة السلطان الملك المظفّر على برلغي ، وعمل مهمّ عظيم خلع فيه على جميع الأمراء وأرباب الوظائف .

فلم يتهنّـ[ـأ] بذلك ، وبعده [بـ]ـقليل تحرّك الملك الناصر من الكرَك لأخذ السلطنة . فخرج برلغي على العسكر يريد محاربتَه ونزل العبّاسة طرف الرّمل . فخامر العسكر ولحق بالناصر شيئاً بعد شيءٍ حتى لم يبقَ عنده الجند . فسار هو والأمير آقوش نائب الكرك ولحقا بالناصر ، بعدما وصل إلى برلغي من المظفّر في هٰذه الحركة زيادة على أربعين ألفَ دينار مصريّة .

فلقي الناصر بغزّة ، وقدِمَ معه إلى مصر في شوّال ، فلم يُمهله إلّا قليلاً ، وقبض عليه في ذي الحجّة منها ، وقبض معه على الأمير علاء الدين مغلطاي القازاني – وكان قد توجّه معه إلى السلطان من مصر .

فلمّا قدم الأمير مهنّا في سنة عشر وسبعمائة إلى مصر ، حدّث السلطان في الإفراج عنه ، فلم يجبه . وألحّ مهنّا إلى أن وعده بتخلية سبيله بعد شهر . وأجرى له راتباً ، ومكّن خدَمه وجواريَه من العبور إليه ، فرضيَ مهنأ بذلك وسار عائداً إلى بلاده .

[فـ]ـأخرج [السلطان حينئذ] مَن كان عنده ، ومنعه الأكل والشرب أياماً حتى يبست أعضاؤه وخرس لسانه وعجز عن الحركة . ثمّ قتل ليلة الأربعاء ثاني شهر رجب سنة إحدى عشرة وسبعمائة ، ودُفن بزاوية الجعبريّ في سابع رجب .

ورأى من السعادة وكثرة المال ما لا يُمكن حصره . وكان كريمًا يضرب ببيته المثل في كثرة الخير والحرمة وسعة العطاء . وكان يرى في نفسه أنّه أكبر من بيبرس وسلّار . فلمّا أراد السلطان قتلَه آستدعى الأمير أيتمُش المحمّدي وأمره أن يَمضي

إليه ، فإن وجدَه ميتاً دفنَه ، وإلّا قتَلَه ، فإن الطواشي الموكّل به أخبر أنّه أشرف على الموت . فقبّل أيتمُش الأرض وسأل أن يُعفى من ذلك . فأعفاه لمَا يَعلمُه من تديُّنِه ، واستدعى الأمير بدرجك وتقدّم إليه بذلك . فمَضى إليه فإذا به قد خرس لسانه ويبست أعضاؤه واحترقت آماق عينيه ، وهو جالس . فحاول أن يقوم لدخول بدرجك فلم يجدْ معه قوّة تنهض به ، وحاول ذلك بجهده حتى قام ، ثم سقط ، وصار يشير إليه بيده ، ولم يقدر على الكلام من الجوع . فرقّ له بدرجك وبكى رحمة له ، وخرج وهو يقول في نفسه : والله لا خلّيت هٰذا في صحيفتي أبداً .

وأسرّ بمَا رآه للسلطان فسبّه سبًّا فاحشا ، وقد ٱشتدّ حنقه منه ، وأخذ ينخسه في رَقبتِه بالمحاة ، ثمّ طَرَدَه وأبعده . وطلب الأمير قجليس وأمره بمَا تقدّم فخنقه . ووجد في المخدّة التي / كانت عنده أثر فمِه فيها ممّا يَكْدُمها [1] من الجوع . [245 ب]

918 - برلغي الصغير [- 749] [2]

برلغي الصغير ، الأمير سيف الدين ، قريب الملك الناصر محمد بن قلاوون [لأمّه] .

قدم إلى مصر سنة أربع وسبعمائة ، وترقّى حتى صار من جملة الأمراء . ثم تنكّر عليه وسجنه من سنة ٱثنتي عشرة إلى رجب سنة خمس وعشرين مدّة ثلاث عشرة سنة ، ثمّ أفرج عنه .

وذلك أنّه كان زوج ابنة المظفّر بيبرس . ثمّ قبض عليه وأفرج عنه . وكان لا

---

(1) كدم بوزن نصر وضرب : عضّ .

(2) الدرر 2 / 10 (1287) ؛ النجوم 10 / 236 وقد نبّهنا الى أنّ برلغي هٰذا يلتبس ببرلغي الأشرفيّ : كلاهما كان عضداً للملك المظفّر بيبرس الجاشنكير» .

يدعه في راحة ، إمّا يجرّده أو يقبض عليه ويسجنه . فكانت مدّة حبسه عشرين سنة متفرّقة .

فلمّا مات السلطان لم يزل منغّصاً . ثمّ انعم عليه بإمرة مائة فلم يقم غير أيام ، ومات في طاعون سنة تسع وأربعين وسبعمائة [1] .

919 - بِرْح بن عُسْكُر [2]

برح بن عسكر - ويقال : خُشكل ، ويقال : عسكل - بن وتار بن كرع بن حضرميّ بن النعمان بن مهريّ بن حيدان بن عَمرو بن الحاف بن قضاعة ، المهريّ .

وفد على رسول الله ﷺ وشهد فتح مصر واْختطّ بها وسكنها ، وهو رجل معروف من أهل مصر .

قال ابن لهيعة : كان الديوان في زمن معاوية بن أبي سفيان أربعين ألفاً ، منهم أربعة آلاف في مائتين مائتين . فأعطى مسلمة بن مخلد أهل الديوان أعطياتهم وأعطيات عيالاتهم وأرزاقهم ، ونوّاب البلاد من الجنود ، والكتبة ، وحملان القمح إلى الحجاز . ثمّ بعث إلى معاوية بستّمائة ألف دينار .

وقال ابن عفير : فلمّا نهضت الإبل لقِيهم برح بن حشكل المهريّ فقال : ما هٰذا ؟ ما بال مالِنا يخرج من بلادنا ؟ ردّوه !

فردّوه حتى وقف على باب المسجد ، فقال : أخذتم أعطياتكم وأرزاقكم وأعطيات عيالاتكم ؟

قالوا : نعم .

---

(1) في الدرر : وهو الذي غزا سيس وقتل صاحبها سنة 720 .
(2) أسد الغابة 1 / 208 (393) .

قال : لا بارك الله لهم فيه !

وكانت ٱمرأة برح نعم بنت يزيد بن قضم بن عويجي بن أخزر بن عمران بن الكتب بن ديني بن الدين بن مهري بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة .

920 – برغش العادليّ [– 608]

برغش بن عبد الله ، العادليّ ، صارم الدين .

كان من أمراء الملك العادل ابن أيّوب . وولّاه قلعة دمشق . ومات بها في رابع عشرين شهر ربيع الأوّل سنة ثمَانٍ وستّمائة .

921 – بسر بن أرطاة [– 86][1]

بسر بن أرطاة بن أبي أرطاة – وٱسم أبي أرطاة عمير – بن عويمر بن عمران بن الحليس بن سيّار بن نزار بن معيص بن عامر بن لؤَي بن غالب بن فهر ، أبو عبد الرحمان ، القرشيّ ، العامريّ .

يقال إنّه سمع من النبيّ ﷺ . وقيل : لم يسمع منه لأنّ رسول الله ﷺ قُبض وهو صغير . هٰذا قول الواقدي ويحيى بن معين وأحمد بن حنبل في آخرين . وقال ابن عديّ عن ابن معين أنّه قال : أهل المدينة ينكرون أن يكون بسر سمع من رسول الله ﷺ ، وأهل الشام يروون عنه عن رسول الله ﷺ .

وقال الواقدي : وكان من الشجعان ، إلّا أنّه كان غيرَ مرضيّ في دينه ،

---

(1) الإصابة 1 / 147 ؛ الاستيعاب (بهامش الإصابة 1 / 154) ؛ تاريخ خليفة بن خيّاط ، نشر أكرم ضياء العمريّ ، بغداد 1967 ص 294 ؛ ابن عساكر (بدران) 3 / 223 ،(**ابن منظور**)5 / 182 (87) الكامل في سنة 40 ؛ وقعة صفّين (فهارس) ؛ الأغاني : أخبار ربيعة الرقيّ .

وأبلى في الفتنة وكان فيها رأساً . ومات في أيام معاوية .

وقال ابن معين : كان رجل سوء خبيثـ[ـا] ، لا تصحّ له صحبة . وقال الهيثم بن عديّ : لم يكن في بني عامر بن لؤي أخبث من بُسر ولا أسوأ منه .

ولد قبل وفاة رسول الله ﷺ بسنتين ، ما رأى رسول الله ﷺ ولا سمع منه . وأخرج له الإمام أحمد [بن حنبل] في المسند حديثين .

شهد فتح مصر :

ويقال إنّه أحد الذين بعثَهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه لعمرو بن العاص ، وشهد فتح مصر بلا خلاف وآختطّ بها داراً وحمّاماً . ولمّا وقعت فتنة عثمَان رضي الله عنه ، لحق بمُعاوية بن أبي سفيان وصار من شيعته وخرج معه إلى صفّين ، فآستعمله على السّاقة حين كتّب الكتائب بصفّين [فـ]ـاستعمله على رجالة أهل دمشق ، فقال لمُعاوية : أنا لعليّ .

فقال له : أنت له لولا تَتَبّعك وتسرّعك في الحرب .

[246 أ] فلمّا عيّن معاوية أصحابه لقتال أصحاب عليّ رضي الله عنه / ندب بُسراً لقتال قيس بن سعد بن عبادة ، فطعَنه بُسر وآقتتلا ثمّ آنصرفا ، وقال بسر [رجز] :

أنا ابن أرطاة عظيم القَدْرِ مُرَدَّدٌ في غالب بن فِهرِ[1]
ليس الفرارُ مِن طباع بُسرِ أن يرجعَ اليومَ بغير وتر
وقد قضيت في العدوّ نذري ياليت شعري ، ما بقي من عمري؟

ونظر معاوية وكان واقفاً على التلّ ومعه وجوه قريش فقال : والله لقد دعاني عليّ للبراز حتى لقد استحييتُ من قريش .

فقال له عتبة بن أبي سفيان : الهُ عن هذا كأنك لم تسمَعْه ، فقد علمت

(1) وقعة صفّين ، 487 .

أنّه لا أحد يعتريه إلّا قتله .

وإنّمَا أراد معاوية بقوله بسرَ بنَ أرطاة ، فقال بسر : ما كان أحدٌ أحقّ بمُبارزته من بني حرب ، فأمّا إذا أبيتمُوه فأنا له .

قال له معاوية : أما إنّك ستلقاه في العجاجة غداً في أوّل الخيل .

فأتى بسر[اً] ابن عمّ له فقال : أما تعلم أنّ معاوية الوالي ، ثمّ من بعده عتبة ، ثمّ من بعده محمد [أخوه] ، فما يدعوك إلى ما أرى ؟

قال : الحياء : خرج منّي شيء فأنا أستحي أن أرجع عنه ، وهو الموت ، لا بدّ والله من لقاء الله .

قتاله لعليّ في صفّين :

فاستقبل عليًّا رضي الله عنه ، فطعنه عليّ وهو لا يعرفه فألقاه برجله فانكشفت عورتُه فانصرف عليّ . فناداه الأشتر النخعيّ : يا أمير المؤمنين ، إنّه بُسر بن أرطاة !

قال : دعه لعنه الله !

فقال الأشتر [رجز] :

أكُلَّ يوم رِجلُ شيخٍ شاغرة　　وعَورَة وسط العجاج ظاهرة ؟
تبرزُها طعنة كفّ واترة　　عمرو وبُسرٌ رُمِيا بالفاقرة

وقام بسر من طعنة عليّ وولّت خيلُه . ونادى عليّ : يا بُسر ، معاوية كان أحقّ بهٰذا منك .

فرجع بسر إلى معاوية ، فقال له : ٱرفع طرفَك يا بسر ، فقد أدال الله عمراً منك .

فقال النضر بن الحرث [طويل] :

أفي كلّ يوم فارس تندبونه　　له عَورة وسطَ العجاجةِ بادية؟
يكفّ بها عنه عليٌّ سنانَه　　ويضحكُ منها في الخلاءِ معاوية
بدت أمْسِ من عمرو فقنّع رأسه　　وعَورة بُسرٍ مثلها حذو حاذية
فقولا لعمرو وابن أرطاةٍ انظرا　　سبيلكما لا تلقيا الليث ثانية
ولا تحمدا إلّا الحصا وخصاكما　　هُما كانتا والله للنفس واقية
فلولاهُما لم تنجوا من سنانه　　وتلك بمَا فيها عن العود ناهية
متى تلقيا الخيلَ المُشيحة صبحةً　　وفيها عليّ فاترُكا الخيلَ ناحية
وكونا بعيداً حيث لا يبلغ القنا　　وحَمْيُ الوغى ، إنّ التجارب كافية
وإن كان منه بعدُ في النفس حاجة　　فعودا إلى ما شئتما ، هي ماهية

فكان بسر بعد ذلك إذا لقيَ الخيل التي فيها عليّ رضي الله عنه ، تنحّى ناحيةً . وتحامى فرسان أهل الشام عليًّا .

فلمّا انقضت أيام صفّين بعثه معاوية في سنة أربعين – وقيل : سنة اثنتين وأربعين – على ثلاثة آلاف فارس . فسار حتى قدم المدينة النبويّة ، وعليها أبو أيّوب الأنصاريّ من قِبَل عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، ففرّ منه إلى عليّ . ودخل بُسر المدينة بغير قتال ، فصعِد المنبر فنادى عليه : يا دينار ، يا نجّار ، يا زريق – وهٰذه بطون من الأنصار رضوان الله عليهم – ثم قال : أين شيخي الذي عهدتُه هٰهُنا بالأمس ؟ – يعني عثمان رضي الله عنه – ثم قال : يا أهل
[246 ب] المدينة ، والله لولا ما عهده إليّ معاوية ما تركتُ فيها محتلماً إلّا قتلتُه / .

عسفُه بأهل المدينة :

ثم أمر أهل المدينة بالبيعة لمعاوية ، وأرسل لبني سلامة فقال : ما لكم عندي أمانٌ ولا مبايعة حتى تأتوني بجابر بن عبد الله .

فأخبر جابر رضي الله عنه ، فانطلق حتى جاء أمّ سلمة رضي الله عنها ، فقال لها : يا أمّ المؤمنين ، ماذا ترين ؟ فإنّي خشيتُ أن أقتل ، وهٰذه بيعة

ضلال .

فقالت : أرى أن تبايع . وقد أمرت ابني عمر بن أبي سلمة أن يبايع .

فأتى جابر بُسراً فبايعه لمعاوية . وهدم بسر دوراً بالمدينة ، وأقام بها شهراً يستعرض الناس ، لا يقال له عن أحد إنّه شرك في دم عثمان إلّا قتله .

ثم انطلق حتى أتى مكّة ، وبها أبو موسى الأشعري رضي الله عنه ، فخافه على نفسه أن يقتله فهرب . فقيل ذلك لبسر ، فقال : ما كنتُ لأقتله وقد خلع عليًّا .

وكتب أبو موسى إلى اليمَن : إنّ خيلاً مبعوثة من عند معاوية تقتل الناس مَن أبى أن يُقرّ بالحكومة .

وأكره بسر الناسَ بمَكّة أيضاً على البيعة لمعاوية . ثم مضى إلى اليمَن وعليها عبيد الله بن العبّاس ، ففرّ منه إلى الكوفة حتى أتى عليًّا رضي الله عنه ، وآستخلف على اليمَن عبد الله بن عبد المدان الحارثيّ – وقيل : بل استخلف عمرو بنَ أراك الثقفيّ – فقتله بسر وقتل ابنه . ولقي ثقل عبيد الله بن العبّاس ، وفيه ابنان صغيران لعبيد الله قد وارتهُما أمُّهُما ، فأخذهُما من تحت ذيلها فقتلهُما ، ورجع إلى الشام .

وارتكب أموراً عظاماً في الإسلام ، منها قتلُ ابنَي عبيد الله بن عبّاس . وقد قيل إنّه إنّمَا قَتَلها بالمدينة ، والأكثر أنّ ذلك كان منه باليمَن .

وكان يحيى بن معين يقول : لا تصح له صحبة . وكان يقول فيه : رجل سوء .

وقال أبو الحسن الدارقطنيّ : له صحبة ، ولم تكن له استقامة بعد النبيّ ﷺ : هو الذي قتل طفلين لعبيد الله بن عبّاس بن عبد المطّلب باليمَن في إمارة معاوية ، وهما عبد الرحمان وقُثَم ابنا عبيد الله بن عبّاس .

ذبحُه طفلين لبعض أتباع عليّ :

وقال أبو مخنف : لمّا توجّه بسر بن أرطاة إلى اليمَن أخبر عبيد الله بن عبّاس بذلك ، وهو عاملٌ لعليّ عليها ، فهرب . ودخل بسر اليمَن فأُتي بٱبنَي عبيد الله بن العبّاس وهما صغيران فذبَحَهُما ، فنزل بأمِّهما عائشة بنت عبد المدان[1] من ذلك أمرٌ عظيم فأنشأت تقول [وافر] :

ألا من بَيَّت الأخوَيْـ ... ـن أمُّهما هي الثّكلى
تسائل مَن رأى ٱبنَيها ... وتستنعي فما تنعى[2]

وفي ذلك تقول أيضاً [بسيط] :

ها مَن أحسّ بُنَيَّيّ اللذَينِ هُمَا ... كالدُّرّتَين تشظّى عنهُما الصّدَفُ[3]
ها مَن أحسّ بُنَيَّيّ اللذَين هُما ... سمعي وعقلي ، فقلبي اليومَ مُختطفُ
ها من أحسّ بُنيّيّ اللذَين هُما ... مُخُّ العظام فمُخّي اليوم مُزدَهَفُ
حدّثتُ بُسراً وما صدّقتُ ما زعموا ... من قَتلِهم ومن الإفك الذي اقترفوا
أنحى على ودَجِ ٱبنَيَّ بمُرهفةٍ ... مشحوذة ، وكذاك الإثمُ يُقْرفُ
مَن ذا لوالهةٍ حَيْرى مُدَلَّهَةٍ ... على صبيّين ذلّا إذ غَدا السّلَفُ

ثم وسوسَت فكانت تقف بالموسم تنشد هٰذا الشعر وتهيمُ على وجهها . وقد روي أنّ هٰذين الابنين كانا عند رجلٍ من بني كنانة بالبادية . فلمّا أراد بسر قتلهما قال له الكنانيّ : فلِمَ تقتل هٰذين ، ولا ذنبَ لهما ؟ فإن كنت قاتِلَهُما فٱقتُلني مَعَهُما — فقتله وقتلهما بعدَه . وقيل : إنّ الكنانيّ أخذ سيفَه وقاتلَ عن الغُلامَين وهو يقول [رجز] :

---

(1) في الأغاني : أمّ حكيم جويريّة بنت خالد الكنانيّة .
(2) في الأغاني : وتستسقي فمَا تسقى .
(3) تشظّى : تفرّق وتطاير شظايا . وعند ابن عساكر : تجلّى .

الليثُ مَن يَمنعُ حافات الدار ولا يزالُ مصلتاً دون الجار / [247 أ]
ألا فتًى أروع غير غدّار ؟

وقاتل حتى قتل .

ولمّا ذبح بسر الغُلامَين خرجت نساءُ بني كنانة فقالت آمرأة منهنّ : يا هٰذا ، قتلت الرجلَ ، فعلامَ تقتل الوِلدان ؟ والله ما كانوا يقتلون في جاهليّة ولا إسلام ! والله إنّ سلطاناً لا يقوم إلّا بقتل الطفل الصغير والشيخ الكبير ، ويرفع الرحمة ، ويأتي بعقوق الأرحام ، لسلطان سوء !

فلمّا بلغ عليًّا رضي الله عنه ، قتلُ الغلامَين جزع جزعاً شديداً ودعا على بسر فقال : اللهمّ ، أَذهِب عقله ، ولا تُبقِ له من دينِه ما يستوجبُ به عفوَك !

فأصابه ذلك وفقد عقلَه ، فكان يهذي بالسيف ويطلبه فيُؤتى بسيفٍ من خشب ، ويُجعل بين يديه زقٌّ منفوخ ، فلا يزال يضربه . وما زال كذلك حتى مات في آخر أيّام معاوية .

وقال أبو عمرو الشيباني : لمّا وجّه معاوية بسر بن أرطاة لقتل شيعة عليّ رضي الله عنه ، قام إليه معن — أو عمرو — بن يزيد بن الأخنس السلميّ ، وزياد بن الأشهَب الجعديّ فقالا : يا أميرَ المؤمنين ، نسألك بالله والرحم أن [لا] تجعل لبُسر على قيس سلطاناً فيقتل قيساً بمَا قتلتْ بنو سُليم من بني فهر وكنانة [يوم] دخل رسول الله ﷺ مكّة .

فقال معاوية : يا بسر ، لا إمرةَ لك على قيس .

فسار حتى أتى المدينة فقتل آبني عبيد الله بن عبّاس ، وفرّ أهل المدينة ودخلوا حرّة بني سليم . وفي هذه الخرجة أغار بُسر على هَمْدان وسبَى نساءَهُم — فكُنّ أوّلَ مسلماتٍ سُبِينَ في الإسلام — وقتل أحياءً من بني سعد .

وذكر أبو بكر بن أبي شيبة عن زيد بن الحباب قال : حدّثني موسى بن

عبيدة : نا زيد بن عبد الرحمان بن أبي سلامة أبو سلمة عن أبي الرباب وصاحب له أنّهما سمعا أبا ذرّ رضي الله عنه ، يدعو ويتعوّذ في صلاةٍ صلّاها أطال قيامها وركوعها وسجودها . (قال) فسألناه : ممّ تعوّذتَ ، وفيمَ دعوتَ ؟

فقال : تعوّذتُ بالله من يوم البلاءِ ويوم العَودة .

فقلنا : وما ذاك ؟

قال : أمّا يوم البلاء فتلتقي فئتان من المسلمين فيقتل بعضُهم بعضاً . وأمّا يوم العَودة ، فإنّ نساءً من المسلمات يُسبَيْنَ فيُكشف عن سوقهنّ ، فأيَّتُهُنَّ كانت أعظم ساقاً اشتُرِيَت على عِظم ساقها . فدعوتُ الله أنْ لا يدركَني هذا الزمان ، ولعلّكما تدركانه .

(قال) فقُتل عثمان رضي الله عنه ، ثم أرسل معاوية بُسر بن أرطاة إلى اليمَن فسبى نساءً مسلماتٍ فأُقمْن في السوق .

والصحيح أنّ بسر بن أرطاة لمّا سار إلى اليمَن ٱستخرج ٱبنَي عبيد الله بن عبّاس من بيت أمّ سعيد بنت بزرج بن وهرام بن [...] ، ٱمرأة داود ٱبن هرم . وٱسم ٱبنَي عبيد الله بن عبّاس أحمد ومحمّد ، وأمُّهما عائشة بنت عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان الحارثيّ ، فذبحهما على درج القصّابين عند باب مدينة صنعاء ، وذبح على دمائهما سبعين شيخاً من الأبناء – هكذا نقلتُه من خطّ ابن الكلبيّ في كتاب « نسب الأبناء » له ، وهو عندي بخطِّه .

ولمّا صالح الحسنُ بن عليّ عليه الصلاة والسلام معاوية ، ٱجتمع الناس عنده ، وبُسر جالس إلى جانب عبيد الله بن عبّاس ، وهو واضع سيفه في حجره ، وقائمُه إلى عبيد الله ، إذ أخذ عبيد الله بقائِم السيف فٱخترطه ، ثمّ قام على رأس بُسر وقال : أي عدوَّ الله ، عمِدتَ إلى صبيّين صغيرين فقتلتهما عبثاً ؟

فألقَى بيده ، وقام إليه حبيب بن مسلمة الفهريّ فدخل بينهما فقال : أسألك بالله والرحم إلّا ما أعطيتَني السيفَ !

فأعطاه إيّاه ، وأقبل حبيب على بسر فقال : خذ سيفك ، عليك لعنة الله ! حمار خبيث ! قتلت آبنَي الرجل ، ثمّ جلست إلى جنبه ادنيت قائِم سيفك منه ! والله لو ضربك ما آنتطح فيك عنزان ! فتفرّقوا .

ولايته البصرة لمعاوية :

ثمّ ولّاه معاوية على البصرة في سنة إحدى وأربعين ، وأمره بقتل بني زياد آبن أبيه . وكان زياد / على فارس من قِبل عليّ رضي الله عنه . فقدم بسر البصرة [247 ب]
وصعد منبرها فشتم عليًّا رضي الله عنه ، وتنقَّصه وذكره بالقبيح ، ثمّ قال : نشدتُ الله رجلاً يعلم أنّي صادق إلّا صدّقني ، أو كاذبٌ إلّا كذّبني !

فقال أبو بكرة نُفَيْع [1] بن الحرث رضي الله عنه : إنّك تنشد عظيماً . والله ما صدقتَ ولا بررت ! – وفي رواية : اللهمّ ، إنّا لا نعلمُك إلّا كاذباً .

فأمر به فخنُق . فقام أبو لؤلؤة الضبيّ عليه فرمى بنفسه عليه فمَنعه . وقيل لأبي بكرة : ما حملَك على ذلك ؟

فقال : ناشدنا بالله ، ثمّ لا نصدُقه ؟

وأخذ بسر أولاد زياد : عبد الرحمان ، وعبد الله ، والمغيرة ، وسلماً وجزيًّا ، وكتب إلى زياد : لَتقدمَنَّ على أمير المؤمنين أو لأقتُلَنَّ بنيك !

فكتب إليه : لست بارحاً مكاني حتى يحكم اللهُ بيني وبين صاحبك . وإن قتلت ولديَّ ، فالمصيرُ إلى الله ، ومن ورائنا الحساب « وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ » (الشعراء ، 227) . فأراد بُسر قتلَهم . فأتاه أبو بكرة فقال : قد أخذت ولد أخي بلا ذنبٍ ، وقد صالح الحسن على ما أصاب أصحاب عليّ حيث كانوا . فليس عليهم ولا على أبيهم سبيل .

فأجّله أسبوعاً حتى يأتيه بكتاب معاوية . فركب أبو بكرة إلى معاوية وهو

(1) نُفيع هو أخو زياد آبن سميّة لأمّه (تهذيب التهذيب 10 / 469) .

بالكوفة . فلمّا أتاه قال : يا معاوية ، إنّ الناسَ لم يُعطوك بيعَتَهم على قتل الأطفال .

فقال : وما ذاك يا أبا بكرة ؟

قال : بسر يريد قتل بني أخي زياد .

فكتب له بتخليتهم . فأخذ الكتاب وعاد إلى البصرة يوم الميعاد وقد أخرج بسر أولاد زياد مع طلوع الشمس ينتظر بهم الغروب لقتلهم . وآجتمع الناس لذلك إذ رفع أبو بكرة ثوبه وكبّر ، فكبّر الناسُ معه . وأقبل يسعى على رجليه ودفع الكتاب إلى بسر فأطلقَهم . ثمّ صرفه معاوية بعبد الله بن عامر ، فكانت إقامتُه بالبصرة ستّة أشهر .

وبعثه فغزا بلاد الروم سنة ثلاث وأربعين وشتّى بأرضهم حتى بلغ القسطنطينيّة فيمَا زعم الواقديّ . وأنكر قوم أن يكون بُسر شتّى بأرض الروم .

ثمّ غزا بسر في البحر أيضاً سنة أربع وأربعين .

وغزا سنة خمسين أرض الروم ، وخرج على الصائفة في سنة إحدى وخمسين . وقيل : إنّه شتّى بأرض الروم في سنة آثنتين وخمسين ومعه سفيان بن عوف الأزديّ .

قلعة بسر بإفريقية :

وذكر أبو القاسم عبد الرحمان بن عبد الله بن عبد الحكم أنّ موسى بن نصير وجّه بسر بن أرطاة إلى قلعة من مدينة القيروان على ثلاثة أيّام فآفتتحها وسبى الذريّة وغنم الأموال ، فسُمّيت قلعة بُسر ، فهي لا تعرفُ إلّا به إلى اليوم . وكان ذلك سنة ستّ وثمَانين .

وذكر ابن السكن أنّه مات أيّام معاوية . وذكر محمد بن سعد أنّه عاش إلى

أيّام عبد الملك بن مروان ، وهو قول خليفة [1] وحزم بن حبّان . وحكى المسعوديّ أنه مات في خلافة الوليد بن عبد الملك سنه ستٌّ وثمَانين .

922 - بشارة الإخشيديّ الخادم [- بعد 388] [2]

. . . فلمّا مات سيف الدولة ابن حمدان بحلب ، سار بتابوته إلى دياربكر بشارة الخادم وتقيّ ، في جمادى الأولى سنة ستّ وخمسين وثلاثمائة ، وكان بينهما منافَرة . فأذاع تقيّ الدين عن بشارة أنّه كاتب حمدان ابن ناصر الدولة - وكان قد غلب على الرقّة عند وفاة عمّه سيف الدولة - وحثّ[ـه] على أخذ حلب . وكتب تقيّ إلى قرغويه القائِم بضبط حلب نيابةً عن سعد الدولة أبي المعالي شريف ابن سيف الدولة ، فقبض قرغويه على أسباب بشارة بحلب .

فلمّا بلغ ذلك بشارة داخلَ تقيّ [الدين] وآنسه فأنس به وصفّى نيّتَه له ، وأطلقه على أنّه يريد دياربكر ليعمل على أبي المعالي شريف ابن مولاه ويقبض عليه ويَملك التدبير ، وضمِن بشارة أنه يُسلّم له ميافارقين . فأظهر له بشارة القبول ، وسار بمَسيره إلى قريبٍ من ميافارقين .

فكتب بشارة مع مَن يثق به إلى أبي المعالي يحذّره الخروج إلى / لقاء تابوت [248 أ] أبيه ، ويعرّفه ما عزم عليه تقيّ . فلمّا قرب تقيّ كتب إليه بخبر التابوت وأن يخرج لتلقّيه . فأظهر أبو المعالي علّة وآمتنع من الركوب ، وأخرج كلّ مَن في البلد لتلقّيه . وضرب تقيّ مضاربه ولم يدخل المدينة ووكّل بأبوابها الرجال . فطلع بشارة على السور وغلّق الأبواب وخاطب أصحابَه عن الأمير أبي المعالي بكلّ جميل . فآنقلبوا عن تقيّ ، وبطل ما دبّره . وسار إلى منازكرد ، وكتب إلى أبي المعالي يطلب منه الأمان . فأمّنه حتى حصل عنده ، فقبض عليه وسلّمه إلى

---

(1) أي خليفة بن خيّاط ، 294 .

(2) تاريخ ابن عساكر (بدران) 3 / 228 ؛ النجوم 4 / 117 .

بشارة فقتلَه .

وسار إلى حلب في رجب منها ومعه بشارة . فلم يزل عنده أثيراً إلى أن مات في رمضان سنة إحدى وثمَانين وثلاثمائة . وبايع أجناده كلّهم ٱبنه أبا الفضائل سعيد بن شريف ، إلّا بشارة ، فإنّه ٱستأمن إلى العزيز بالله نزار ابن المعزّ [لدين] الله الفاطميّ في نحو أربعمائة غلام . وقدم عليه بالقاهرة ، ومعه وفاء الصقلبيّ أيضاً في ثلاثمائة غلام . فقبلهم العزيز – وكان يَميل إلى الأتراك أكثر منـ[ـه إلى] المغاربة ، لا سيّمَا الحمدانيّة ، لشدّة بأسهم وفضل النجدة فيهم . وولّى بشارة طبريّة ، وولّى وفاء ثغر عكّا ، وولّى رباحاً قيساريّة ، وذلك في سنة إحدى وثمَانين وثلاثمائة .

فٱستجلب بشارة من جند حلب عدّة وضبط الأمور ، وعزّ وقوي أمرُه بطبريّة . ولمّا خرج بكتكين التركيّ من القاهرة على عسكر كبير لقتال ابن الجرّاح ، سار إليه بشارة من طبريّة ليكون عوناً له على ابن الجرّاح . فلقيا ابن الجرّاح وهزماه عن الرملة . وسارا إلى دمشق وفيها قسّام فقاتلاه . وأبلى أصحاب بشارة في القتال بلاء حسناً لكثرة الرماة فيهم ، إلى أن أخذ قسّام وحُمل إلى مصر .

ولم يزل في طبريّة إلى أن كتب له من القاهرة بولاية دمشق . فسار ونزل عليها يوم الجمعة رابع رجب سنة ثمَانٍ وثلاثمائة . فٱجتمع جيشه مع عسكر جَيش بن الصمصامة على دمشق . فاستخلف على البلد ، وسار مع جيش في رابع عشر رجب إلى فامية ، وقد نزل عليها الدوقس متملّك أنطاكية فقاتلوه قتالاً شديداً انهزم فيه عسكر جيش وملك الروم ما معهم . فٱنهزم مَن كان مع بشارة من بني كلاب وغيرهم من العرب وتفرّقوا على طريق جوسيّة إلى بعلبك وعلى طريق الجادّة إلى دمشق .

فلمّا رأى جيش وبشارة ما نزل بالناس حملا فيمَن معهُما على الروم فٱنهزموا

وأحدهم السيف ، فقتل منهم نحو الخمسة الاف وقتل الدوقس[1]، وذلك يوم الثلاثاء لتسع بقين من رجب ، وتفرّق المنهزمون في الجبال ووصلوا إلى أنطاكية .
ونفر الناس بعد ذلك من دمشق وأعمالها ومن الساحل إلى عسكر جيش ، فسار بهم إلى مرعش . وسار بشارة إلى دمشق فنزلها يوم الاثنين النصف من شوّال ، وقدم جيش لتسع بقين من ذي القعدة فنزل بيت لهيا ، وكان الشتاء قد هجم .
فكُتب من مصر بصرف بشارة عن دمشق إلى طبريّة وولاية جيش .

923 - بشتاك الناصريّ [- 742][2]

بشتاك الناصريّ ، الأمير سيف الدين ، أحد المماليك الناصريّة محمد بن قلاوون .

جُلب من بلاد القان أزبك بن طقطاي ملك التتر ، فاشتراه السلطان بستّة آلاف درهم وسلّمه للأمير قوصون ليربّيَه . فترقّى في الخدم ، وشغف به السلطان وقرّبه وأفرط في العطاء له والإنعام عليه .

وأنعم عليه في ثالث المحرّم سنة ثمان وعشرين وسبعمائة بإقطاع الأمير سيف الدين كوجري أمير شكار فصار من أمراء الألوف . فلمّا مات الأمير بكتمُر الساقي أنعم السلطان بإقطاعه وحواصله ومغلّه على بشتاك ، ثمّ زوّجه بامرأته أمّ أمير أحمد بن بكتمُر ، وأسكنه إصطبله المطلّ على بركة الفيل ، واشترى جارية بكتمُر المدعوّة خوبي[3] بستّة آلاف / دينار وأتَتْه ومعها ما قيمتُه عشرة آلاف [248 ب] دينار وأخذ [أحمد] بن بكتمُر عنده . وحمى[4] الشرقيّة بعد بكتمُر .

(1) تعرّض ابن الأثير لهذه الحرب مع دوقس الروم تحت سنة 386 .
(2) الوافي 10 / 142 (4600)؛ الدرر 2 / 10 (1920) ؛ المنهل 3 / 367 (668) ؛ النجوم 10 / 74 ؛ السلوك 2 / 613 ؛ الخطط 3 / 113 .
(3) خوبي العوّادة ؛ الدرر 2 / 184 (1675) .
(4) حمى هنا بمعنى جبى أموالها .

وزاد أمره وعظُم محلّه بحيث كان السلطان يسمّيه في غيبته بالأمير . وبلغ إقطاعُه سبع عشرة طبلخاناه يتحصّل منها زيادة على مائتي ألف دينار مصريّة .

وأنشأ في سنة تسع وثلاثين جامعاً في غاية الحسن على بركة الفيل ، وتجاه بابه خانقاه مطلّة على الخليج .

وحجّ في سنة تسع وثلاثين فأنعم عليه السلطان عند سفَره بمائتي ألف درهم ومائة هجين وأربعين بختيًّا وستّين جملاً ، ولم يبق أحدٌ من الأمراء حتى بعث إليه بتقادم جليلة . فلمّا دخل مكّة فرّق بها على الأمراء الألوف ، كلّ أمير ألف دينار ، وعلى كلّ أمير طبلخاناه خمسمائة دينار ، وأنفق في جماعة من الأجناد ، وفي مَن حجّ من نساء الأمراء ، وفرّق في جميع المجاورين وفي أهل مكّة من آلأشراف والفقراء والزيالعة [1] حتى لم يدَع أحداً إلّا ووصله بمَال ، فبلغ مصروفه في هٰذه السفرة ثلاثين ألف دينار وأربعمائة ألف درهم فضّة ، سوى ما حمل في البحر من الغلال وغيرها .

وكان السلطان قد تقدّم إليه بإنه إذا فرغ من الزيارة بالمدينة النبويّة يَمضي على الكرك ليكشف حال الأمير أبي بكر ، ابن السلطان ، وأنّه يكتب إلى الأمير شطي أن يتلقّاه بقرية [2] . فسار من المدينة نحو الكرك فإذا شطي في انتظاره ومعه نحو أربعمائة فارس . فتخيّل منه وخاف أن يكون قد كتب إليه بقبضه إذا دخل الكَرَك . وركب ليلاً في ثقاته وترك بقيّة مماليكه مع طلبه ، وقصد عقبة أيلة وقدم منها إلى السلطان وقال له : إن أردتَ مسكي ، فها أنا جئتُ إليك برقبَتي !

فطيّب خاطرَه ولم يظهر له سوى البشر . وفي الباطن فإنّه قد ثقل على السلطان وأراد الفتك به ففاته غرضه منه ، وخلع عليه . وأخذ بشتاك في تفرقة هداياه ، وكانت شيئاً يجلّ عن الوصف ، بلغت قيمَة ما كان فيها من اللؤلؤ

(1) لم نجد الزيلع في المعاجم . وعند دوزي : الزلّاع هو الشخاذ والمهرّج .
(2) قراءة ظنّيّة ، ولعلّ اسم القرية ساقط .

والعطر والرقيق اثني عشر ألفَ دينار .

ثمّ بعثه السلطان إلى دمشق للقبض على تنكز نائب الشام . فقدمها في المحرّم سنة أربعين بعد أن كان قد قبض عليه ، وقدّم في خدمته عشرة أمراء ، منهم أرقطاي ، وبرسبُغا ، وطاجار الدوادار . فنزل بالقصر من الميدان وحلّف الأمراء الشاميّين للسلطان وذرّيته ، واستخرج أموال تنكز ، ووسّط جنغاي وطغاي مملوكَي تنكز ، وخرج بعد خمسة عشر يوماً عائِداً إلى مصر ، وقد تعلّق خاطره بنيابة الشام فلم يجسر على مفاتحة السلطان فيها .

وفرغت في هٰذه السنة عمارتُه للقصر المعروف به بخطّ بين القصرين .

ثم سار في سنة إحدى وأربعين ليتصيّد ببلاد الشام ، فكتب إلى نوّاب الشام بتعبئة الأنا [. . .][1] له والخروج لتلقّيه . فغاب أيّاماً وعاد .

فاتّفق مرض السلطان وأرجفَ به ، فتنافسَ بشتاك وقوصون ، وكادت الفتنة تقع بينهُما . وبلغ ذلك السلطان فشقّ عليه واستدعاهما ليُصلح بينَهما ، فلم يتمَالك نفسَه وغُشِيَ عليه ، فأقاما على شرّ . فبادر المشايخ من الأمراء إلى الاجتماع بالسلطان وما زالوا به حتّى عهد لابنه أبي بكر وأصلح بين بشتاك وقوصون وأسند إليهما وصيّته ، وجعَلَهُما مدبّري أمرِ ولده وحلّفهما ألّا يغدِرَ أحدُهما بالآخر ولا يخونه . فلمّا مات السلطان لم يوافق بشتاك على سلطنة أبي بكر واختار إقامة أخيه أحمد . فقام قوصون إلى الشبّاك وطلبه وقال له : أنا ما يجيء منّي ولا منك سلاطين لأنّا كنّا كذا وكذا ، وهٰذا أستاذنا أوصى لمَن هو أخبرُ به من أولاده / ، وهذا في ذمّته وما يسعنا إلّا امتثال أمره حيًّا وميتاً . وأنا ما أخالفك [249 أ] إن أردتَ أحمد أو غيره .

وما زال به حتى أذعن له وتحالفا وتعانقا وقاما إلى رجلَي السلطان فقبّلاهما ، ونصبا أبا بكر ابن السلطان ولقّباه بالملك المنصور ، وحلفا له فيمَن

(1) بقيّة الكلمة مطموسة .

حلف من الأمراء . فلم يكن غير أيّام قلائل حتّى سأل بشتاك نيابة الشام ، فلم يوافقه قوصون علىٰ ذلك ، فقوي توهّمُه منه . وأخذ يهادي خاصّكيّة السلطان ويسأل أكابر الأمراء في مساعدته على قصده ، إلى أن أنعم له السلطان . وتحدّث مع قوصون في ذلك فحطّ على بشتاك وقرّر مع السلطان بعد أن رجّعه عن إجابته بأن يَعدَه بولايتِه إذا قدم الأمير قطلوبغا الفخري المتوجّه لتحليف نوّاب الشام ، وأخبر بطاعتهم وحلفهم وأحضر معه نسخة يَمين الأمير ألطنبُغا نائب الشام . فعندما دخل أكابر الأمراء إلى الخدمة عرّفهم السلطان بأنّ الأمير بشتاك قد سأل في نيابة الشام – ولم يكن لهم علمٌ بمَا قرّره قوصون – فأخذوا في الثناء على بشتاك .

فطلبه السلطان وطيّب خاطرَه ووعده بالولاية عند مجيء نسخة حلف نائب الشام ، وتقدّم إليه بأن يتجهّز . فطار من الفرح كلّ مطار ، ونزل فعرض خيوله ، وبعث لكلّ من أكابر الأمراء ما بين فرَسين وثلاثة بالقماش المذهّب . وأخرج ذهبه وجواهره وتُحفَه وبعث إلى الأمراء الخاصّكيّة منها بشيء كثير . وفرّق جواريه أيضاً حتى لم يدع أحداً من الأمراء إلّا وبعث إليه بمَا ملأ عينه ، وعمَّ مماليكه وأجناده بعطاء كثير ، وخرج فيه عن الحدّ حتى تخيّل منه السلطان وقوصون وجعلا ذلك سبباً لمَسكه عند حضور الفخريّ من الشام . فإنّ الذي خصَّ قوصون من تفرقته هٰذه حجران لاعتصار السكّر بمَا فيهما من القند والعسل ، والأبقار ، والقدور[1]، والغلال ، وخمسمائة فدّان من القصب مزدرعة في أرض ملك له .

واتّفق مع ذلك أنّه أشيع بأنّ بشتاك يقتل الفخريّ عند قدومه . فقدِم بعض مماليك الفخريّ وهو بالرّمل عائد[اً] من الشام وأعلمه بذلك . فاستعدّ لمُحاربة بشتاك ، حتى وصل بئر البيضاء وقارب سرياقوس ، وقد خرج بشتاك بجيوشه بالريدانيّة خارج القاهرة حتى يعرض جماله . فبلغ الفخريّ أنّه أقام بالريدانية في

(1) قراءة ظنّيّة .

انتظاره حتى يفتك به . فلبس وألبس مماليكـ[ـه] ، وسار في لحق الخيل معرّجاً عن الدرب المسلوك حتى حاذى موضع بشتاك ، وقد كان عنده علم من قدوم الفخري . فعندما رأى سواده عن بعد بعث : [لا أريد] اجتماعي به ولا بغيره حتى أقف قدّام السلطان .

واشتدّ توهُّمُه وساق خشْيَةَ أن يدركه بشتاك حتى صعد القلعة ، وعرّف السلطان وقوصون والأمراء بطاعة النوّاب ، وأنّ بشتاك قصَد قتْلَه . ففاوضوه في القبض عليه عند طلوعه إلى الخدمة حتى تقرّر ذلك .

فلمّا كان وقت العصر من يوم الأحد ثامن المحرّم سنة آثنتين وأربعين[1] وعملت الخدمة بالقصر على العادة ، وحضر بشتاك فيمَن حضر ، تقدّم إليه الفخريّ بعد آنقضاء السماط ، ومعه الأمير طقزدمر وقبضا عليه وعلى ثلاثة من ألزامه ، وقُيِّد وحمل إلى الإسكندرية . وأحيط بجميع حواصله وحواشيه ، فوُجد له مبلغ مائتي ألف دينار ، ومن الجواهر والزركش والتحف شيء كثير جدًّا . ووجد له ثمانون جاريةً قد أعتَقَهُنّ وزوّجهنّ . ووجد اثنا عشر ألف إردبّ .

ثم قُتل في ليلة الجمعة تاسع عشر ربيع الأوّل منها .

وكان جميلاً حلوَ الوجه / ، في قدّه هيف ، زائد التيه لا يكلّم أستاداره [249 ب] وكتّابه إلّا بترجمان ، كثير الشبق يحكى عنه في ذلك أوابد . وتمَكّن من السلطان حتى أطلعه على سرّه الذي ما كان يطلع غيرَه عليه ، وبالغ في العطاء له بحيث أنعم له في دفعة واحدة بألف ألف درهم ليشتري بها [قرية] يبنا من ساحل رملة لدّ . وكان راتبه في كلّ يوم برسم شراء الفحم لشيّ اللحم عشرين درهماً منها دينار مصري . وسافر مرّة إلى دمياط فكان راتبه في كلّ يوم لسماطه خمسين رأسَ غنَم يذبحُها مع فرس ، سوى الدجاج والإوزّ .

وهو أوّل من أمسك من الأمراء الناصريّة محمد بن قلاوون بعد موته وقُتل .

(1) في المخطوط : وسبعين . والإصلاح من الوافي . ثمّ إنّ السلطان محمد بن قلاوون (ترجمة 3265) توفّي سنة 741 .

924 – بِشر بن مروان الأمويّ [– 75] [1]

بشر بن مروان بن الحكم بن أبي العاصي بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف القرشيّ ، الأمويّ ، أبو مروان .

أمّه [قُطيّة بنت بشر بن عامر ملاعب الأسنّة أبي براء بن مالك بن جعفر بن كلاب] [2] .

. . . وقدم مع أبيه إلى مصر ومكّة[3] مع أخيه عبد العزيز بن مروان ، وهو حدث ، فأقام عنده بمِصر . ثمّ شخص إلى الشام ، وخرج مع أخيه عبد الملك ابن مروان إلى العراق في سنة إحدى وسبعين فولّاه الكوفة بعد قتل مصعب بن الزبير . ثم ضمّ إليه البصرة عِوضاً عن خالد بن عبد الله القسريّ . وكتب إليه : أمّا بعد ، فإنك أخو أمير المؤمنين يجمعك وإيّاه مروان بن الحكم وإنّ خالداً لا يجتمع له مع أمير المؤمنين دون أميّة . فانظر المهلّب بن أبي صفرة فولّه حربَ الأزارقة ، فإنّه سيّد بطلٌ مجرّبٌ ، وأمدِدْه من أهل الكوفة بثمانية آلاف رجل .

فشقّ عليه ما أمره به في المهلّب وقال : والله لا قبلتُه !

فقال له موسى بن نصير : أيّها الأمير ، إنّ للمهلّب حفاظاً وبلاءً ووفاءً .

وخرج بشر يريد البصرة فتلقّاه المهلّب على بغل فسلّم عليه في غمار الناس . فلمّا جلس بشر مجلسَه قال : ما فعلَ أميركم المهلّب ؟

قالوا : قد تلقّاك أيها الأمير وهو شاكٍ .

---

(1) الطبري 6 / 193 (سنة 73 و 74) ؛ ياقوت : أدباء 2 / 647 ، 748 ؛ الشعر والشعراء ، 345 ؛ البلاذري : نسب 5 / 166 – 180 – شرح نهج البلاغة 1 / 395 ؛ البداية والنهاية 9 , ؛ الوافي 10 / 152 (4616) ؛ دائرة المعارف الإسلاميّة 1 / 1280 .

(2) الزيادة من مختصر ابن عساكر 5 / 213 (104) .

(3) لعلّها : من مكّة .

فهمّ بشر أن يولّي حرب الأزارقة غيرَه . ثم كتب إلى عبد الملك يعلمه بعلّة المهلّب ، وأنّ بالبصرة من يُغني غناءه . فكتب يعزم عليه أن يولّيَ المهلّب فولّاه .

وخرج صالح بن مسرح التّميميّ ومعه فرسانٌ من الخوارج ، فاتّبعه بشر فنكص عنه وكره لقاءه وأتى النهروان . فبعث إليه بشر وقتله وهزم مَن معه .

وخرج أيضاً يزيد بن بعثر التّميميّ ، فوجّه إليه بشر خيلاً فقتلَته .

وخرج هدبة بن عمر الطائيّ في جماعة ، فبعث إليه بشر فقتله .

ومات بشر بالبصرة بعد مقامه بها شهرين – وقيل : أربعة أشهر . وهو أوّل أميرٍ على البصرة مات بها .

وهو أوّل مَن أحدث الأذان والإقامة ورفعَ اليدين في العيدين . فلمّا سمع الناس ذلك أنكروه .

وهو أوّل من عاقب في التخلّف عن الغزو : وذلك أنّ الرجل كان إذا أخلّ[1] بوجهه الذي يكتب إليه في زمن عمر وعثمان رضي الله عنهما ، نُزعَت عمامته ، ويُقامُ للناس ويشهّر أمرُه . فقال مصعب : ما هذا شيء ! – وأضاف إليه حلق الرؤوس واللحى . فلمّا ولي بشر زاد فيه : فصار يُرفع الرجل عن الأرض ويسمّرونه في يديه بمِسمَارَين في حائط ، فربّمَا مات وربّمَا خرق المسماران يديه ، فقال فيه [بسيط] :

لولا مخافة بشر أو عقوبته وأن ينوّط في كَفّيَّ مسمارُ[2]
إذاً لعطّلتُ ثغري ثمّ زرتُكُمُ إنّ المحبّ لمَن يهواه زوّارُ

وكان بِشر سهل الحجاب ليِّن الولاية ، وله يقول أعشى بني شيبان

(1) في المخطوط : أدخل . والإصلاح من ابن عساكر ومن الأمالي 2/ 30 .
(2) في أمالي القالي 2/ 30 : وأن يُشدّ على كفّيَّ مسمارُ . وفي الشطر الرابع : إذا ما اشتاق زوّارُ .

[وافر] :

رأينا ما خلا أخوَيه بشراً　　من الفتيان سيّدَ عبد شمسِ
وسيّدَ مَن سواهم من قُرَيشٍ　　ويُصبحُ خيْرَهم أبداً ويُمسي
إذا خلا أخوك إلى أخيه　　خلا فيه بسعدٍ غيرِ نحسِ [1]
[250 أ] فأنت الثالثُ الموصى إليه　　وصيّةَ حازم في غير لبس /

وله يقول أيمَنُ بنُ خريم بن فاتك [وافر] :

ركبتُ من المقَطّم في جمادى　　إلى بشر بن مروان البريدا
فلو أعطاك بِشرٌ ألفَ ألفٍ　　رأى حقًّا عليه أن يزيدا

وقدم الأخطل البصرةَ وعليها بِشر ، وقد احتمل دياتٍ عن قومه وحلف لا يسأل إلّا ربعيّا ، فأتى مجلس بني سدوس فسألهم المعونة في حمالتِه فقال الأسعديّ [2] : أوَلستَ الذي يقول [وافر] :

إذا ما قلتُ : قد صالحتُ بَكْراً　　أبَى الأضغانُ والنسَبُ البعيدُ
وأيّامٌ لنا ولهم طِوالٌ　　يعَضُّ الهامَ فيهنّ الحديدُ
هُما أخَوان يصطليان ناراً　　رداءُ الحربِ بينَهُما جديدُ

والله لا نرفدك ولا نعينك ، وإنّك منّا للهوان لأهلٌ .

فقام وهو يقول [وافر] :

متَى آتِ الأراقِمَ لا يَضِرْني　　نبيبُ الأسعدِيّ وما يقولُ
فإن تَمنَعْ سَدُوسٌ درهمَيْها　　فإنّ الريحَ طيّبَةٌ قَبُولُ
وإنّ بني أميّةَ ألبَسَتْني　　ظلالَ كرامةٍ ليسَت نزولُ

---

(1) صدر البيت مختلّ الوزن .
(2) في تعليق الأب صالحاني : ديوان الأخطل ، 126 هو الغضبان بن القبعثري الشيباني .

سيحملها أبو مروانَ بِشرٌ   فذاك لكلّ مُثقلةٍ حَمولَ
ويكفيني الذي استكفيتُ منها   بفعلٍ لا يمُنُّ ولا يحولُ[1]

ولها تتمّة . ثم أتى بشراً فأنشده شعرَه وأخبرَه بمَا لَقِي . فقال : وكم حَمالتُك ؟

قال : خمسون ألفاً .

فأمر بها وقال : أنا أحقُّ برفدك من بني سدوس وبني أسعد . فقال يَمدحه [طويل] :

لعمري لقد أمست معدٌّ وأصبحَت   تُحبُّك يا بِشرُ بنَ مَروان كلُّها
أراها إذا ما زادك اللهُ رفعةً   كثيراً بها مسرورُها ومُهلُّها
تمنّى ويرجو أن تكون خليفة   ويرجوك للدنيا وللدين جلُّها
فإن أشرَفَت يوماً على هول غمرة   مخوفٍ رداها من بعيد مزلّها
فأنت الذي تقتاد منها لأهلِها   وأنتَ إذا ما اقتدتَها لا تُضلّها
حياتُك ما دامت لها العزّ والغنا   ومُلكُك يحيي ملكها ويثلُّها
يَعمّ عليهم من جزيل ببسطةٍ   يعيش بها ذو وَفْرِها ومُقلُّها
يراها الجوادُ البحرُ منك رغيبة   وأنت إذا أعطيتَها تستَقِلُّها[2]

وأمر بشر سراقة البارقي بهجاءِ جريرٍ فهجاهُ ، فقال جرير [كامل] :

يا بشر ، حَقٌّ لوجهك التبشير   أَهْجى بلا ذنبٍ وأنتَ أميرُ
قد كان حقًّا أن تقول لبارق   يا آل بارقَ فيمَ سُبَّ جريرُ ؟
لا يدخُلنَّ عليك إنّ دخولَهُم   نحسٌ وإنّ خروجهُم تطهيرُ

(1) قراءة البيت عسيرة ، وهو بعد مفقود من الديوان .
(2) الأبيات في الأغاني 8 / 312 . وديوان الأخطل 282 .

ولمّا قدم بشر استبطأ الفرزدقَ في إتيانه بالكوفة ، فاعتذر إليه من ذلك فقال [بسيط] [1] :

لو أنّني كنتُ ذا نفسَينِ إن هلكت ... إحداهُما بقيَت أخرى لمَن غبرَا
[250 ب] إذًا لجئتُ على ما كان من وجلٍ ... وما رأيتُ حذاراً يغلبُ القَدَرا /
كلّ أمرئ آمِنٌ للخوف أمّنه ... بشرُ بنُ مروانَ ، والمذعورُ من ذَعَرا
تغدو الرياحُ فتُمسي وهي فاترةٌ ... وأنتَ ذو نائلٍ يُمسِي وما فترا

فأكرمه وحباه وحملهِ على فرس عتيق وأمر حاجبَه أن لا يَمنعَه شيئاً . وكان الفرزدق لا يكون في قومه حمالة إلا احتملها وأدّاها عنه بشر حتى قيل إنّه كان ينادمه على شرابه .

وقال آخر[2] يذكر سهولة حجاب بشر [طويل] :

بعيدُ مردّ الطرفِ لم يَثْنِ طرفَه ... حذارَ الغواشي بابُ دارٍ ولا سِترُ
ولو شاء بشرٌ حال من دون بابِه ... طماطمُ سودٌ أو صقالبة حمر
ولكنّ بشراً سهّل الباب للّتي ... يَكون له في غِبّها الحمدُ والأجرُ

وقحط الناس في زمن بشر فخرجوا فاستسقوا وبشر معهم فمُطروا فقال سراقة بن مرداس البارقيّ [وافر] :

دعا الرحمانَ بشرٌ فاستجابا ... لدعوته فأسقانا السحابا
وكان دعاء بشر صوبَ غيث ... يعاش به ويُحيي ما أشابا
أغرّ بوجهه نسقى ونرعى ... ونَستجلي بغرّته الضبابا

ومرّ بشر بسراقة بعدما استسقى بالكوفة وقد دخل ماءُ المطرِ داره فقال : ما هٰذا يا سُراقة ؟

(1) ديوان الفرزدق نشر الصاوي 1 / 289 .
(2) هو الحكم بن عبدل الأسديّ . البيان والتبيين 3 / 310 ؛ عيون الأخبار 1 / 88 ؛ البخلاء ، 226 . وفي تاريخ دمشق 10 / 113 الأبيات لأيمن بن خريم .

قال : هٰذا ولم ترفع يديك بالدعاء . فلو رفعتهُما لجاء الطوفان .

وكان بشر صاحب شراب دخل البصرة لمّا قدمها بين الحكم بن المنذر بن الجارود ورجل آخر ، كلاهما يعلمُ الناسُ أنّه لا يدع الشراب ، فلم يزالا نديمَين له حتى مات .

وكان يقول الشعر فقال حين احتُضر لعبد الملك [طويل] :

إذا متّ يا خيرَ البريّة لم تجدْ أخاً لك يُغني عنك مثلَ غنائيا
يواسيك في الضرّاء واليسر جهدَه إذا لم تجد عند الحفاظ مواسيا
شريحان لوني من سوادٍ وحمرة تبدّلته من واضح كان صافيا
وكم من رسول قد أتاني بعَتبه إليّ ، ورُسلي يكتمُونه ما بيا

وقال مالك بن دينار : لمّا مات بشر بن مروان فدفن مات رجل أسود فدُفن إلى جنب قبره فلمّا أتت عليه ثلاث مررت بقبريهما فلم أعرف أحدَهما من صاحبه . فذكرت قول الشاعر [رمل] :

والعَطِيّاتُ خِساسٌ بَيْنَنا وسواءٌ قبرُ مُثْرٍ ومُقلّ[1]

وكان بشر في حجر عبد العزيز بن مروان ، وكان مروان قد جعل أصاغر بنيه في حجور أكابرهم . فلمّا ولي بشر العراق كتب إلى عبد العزيز [طويل] :

غَنِينا وأَغْنانا غنانا وغالَنا مآكل عمّا عندكم ومشارب[2]

فلمّا قرأ عبد العزيز كتابه قال : غير هٰذا كان أولى بأبي مروان . لو [قال]

---

(1) القصّة مفصّلة في البيان والتبيين 3 / 147 . وقراءتنا هنا ظَنّيَّة ، والبيت لعبد الله بن الزبعرى ، انظر تعليق عبد السلام هارون : البيان والتبيين 3 / 148 هامش 2 .
(2) البيت في تاريخ ابن عساكر 10 / 122 . وفيه : وعاقنا عوض : وغالنا .

كما قال عبد العزيز بن زرارة [1] [طويل] :

فإن ألكُ قد ودّعتُ نجداً وأهلَهُ فمَا عهدُ نجدٍ عندنا بذميمِ

فلمّا قرأ بشر كتابه قال : صدق والله أبو الأصبغ ، ما عَهْدُه عندنا بذميم .

925 - بشر بن أوس الجرشيّ [- بعد 131] [2]

بشر بن أوس ، أبو الجرّاح ، الجُرشيّ .

تسلّم الأمير حوثرة بن سُهَيْل [الباهليّ] إمرة مصر من حفص بن الوليد [الحضرمي] ، وأمر عبدَ الرحمان بن سالم الجيشانيّ بالصلاة بالناس ، وختم على الدواوين وبيت المال .

فلمّا قدم حوثرة آستخلفه على مصر . ثمّ خرج إلى الإسكندرية في سنة إحدى وثلاثين ومائة وآستخلفه على الشرطة .

926 - بشر بن صفوان [- 109] [3]

[251 أ] بشر بن صفوان / بن نوفل بن بشر بن حنظلة بن علقمة بن شراحيل بن عديّ بن أبي جابر بن زهير بن حباب بن هُبَل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عُذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب ، الكلبيّ .

شهد جدّه نوفل بن بشر صفّين مع معاوية ، وقُتل ومعه اللواء .

(1) عبد العزيز بن زرارة الكلابيّ (ت 50) ؛ الأعلام 4 / 141 ؛ الكامل 3 / 227 (سنة 49) .

(2) الكنديّ ، 88 ؛ النجوم 1 / 365 .

(3) النجوم 1 / 244 ؛ الوافي 10 / 150 (4610) ؛ الكندي ، 70 .

وقدم إلى مصر من قِبل يزيد بن عبد الملك بن مروان والياً عليها لسبع عشرة خلَت من شهر رمضان سنة إحدى ومائة بعد أيّوب بن شرحبيل . فجعل على شرطه شُعيب بنَ حميد ، ثم نزعه وولّاه التابوت[1] ، وجعل على شرطه أخاه حنظلة ابنَ صفوان . ونزلت الروم بتنيس فقُتل مزاحم بن سلمة أميرُها في جمع من الموالي .

وكتب يزيد بن عبد الملك بمَنع الزيادة التي كان عمر بن عبد العزيز أمر بها لأهل الديوان .

وكتب إلى يزيد يستأذنه في استخراج مَن في القبائل من قضاعة ، وكانوا متفرّقين ، فأذن له في ذلك . فأخرج مهرة من كندة ، وتنوخاً من الأزد ، وآل كعب بن عليّ من قريش ، وجهينة من أهل الراية ، وخشينا من لخم ، فجعلهم من سائر قضاعة دعوة مفردة .

وكان تدوين بشر هذا تدويناً رابعاً لأنّ الأوّل تدوينُ عمرو بن العاصي والثاني تدوين عبد العزيز بن مروان ، والثالث تدوين قرّة بن شريك ، والرابع تدوين بشر هذا .

ثمّ ورد كتاب يزيد على بشر بتأميره على إفريقية . فخرج إليها في شوّال سنة اثنتين ومائة ، واستخلف أخاه حنظلة بن صفوان على مصر . فلمّا دخل إفريقيّة بلغه أنّ عبد الله بنَ موسى بن نصير هو الذي دسّ بقتل يزيد بن أبي مسلم[2] ، فكتب إلى يزيد فأمره بقتله ، فقتله .

ثم وفد بشر إلى يزيد بهدايا جليلة ، فبلغه لمّا قدم مصر وفاةُ يزيد بن عبد الملك لأربع بقين من شعبان سنة خمس ومائة . فقدم بتلك الهدايا على هشام بن

---

(1) لم نعرف التابوت ، وقد ذكره الكندي أيضاً .

(2) يزيد بن أبي مسلم عامل إفريقيّة . وفي البيان المغرب 1 / 48 ، قتله حرَسُه لأنّه أمر برسم أسمائهم على أيديهم «كمّا تصنع ملوك الروم بحرَسها» .

عبد الملك فردّه إلى إفريقية ، فقدمها . وتتبّع أموال موسى بن نصير وعذّب عمّاله .

وولّى على الأندلس عنبسة بن سحيم الكلبيّ[1] وعزل عنها الحرّ بن عبد الرحمان القيسيّ .

وغزا في البحر جزيرة صقليّة فغنم شيئاً كثيراً وأصابه هولُ البحر فهلك من جيشه خلق كثير . وعاد فمَرض بالدميلة ومات في شوّال سنة تسع ومائة .

ويذكر أنّه نزع عن إفريقية في سنة خمس ومائة ورُدّ إليها في سنة ستّ ومائة . واستخلف على إفريقية قبل موته نقاش بن قرط الكلبيّ[2] .

927 - بشر بن نصر « غلام عرق » [- 302][3]

بشر بن نصر بن منصور ، أبو القاسم ، الفقيه الشافعيّ ، المعروف بـ« غلام عرق » ، وعرق خادم للسلطان كان على البريد بمِصر ، يقال له عرق الموت ، قدم معه فيمَن قدم من بغداد ، وتفقّه . وكان فقيهاً مَتَضَلّعاً ديّناً .

توفّي بمِصر في جمادى الآخرة سنة اثنتين وثلاثمائة .

وأخذ عنه الفقيه أبو بكر محمد بن أحمد بن الحدّاد ، وكان يقول : شيخنا ومعلّمُنا وقدوتنا . وكان القاضي أبو عبيد علي بن الحسين بن حربويه كثيراً ما يطلبه ، ويحبّ مجالسته .

وكان في يده حُبُس عرَق الخادم ، فإنّه كان قد ربّاه وحبّس عليه رباعاً بمِصر . فسعى ساع إلى أبي عبيد بأنّ حبسَ عرق في يد رجل لا يستحقّه ، ولم

(1) وولّى بعد عنبسة يحيى بن سلمة الكلبيّ ؛ البيان 2/ 25 والكامل 5/ 136 .
(2) لم نتبيّن هٰذا الاسم . وفي البيان 1/ 49 : استخلف العبّاس بن باضعة الكلبيّ
(3) حسن المحاضرة 1/ 400 .

يسمّه . فأحضره وقال له : هٰذا الوقف في يدك ؟

قال : نعم .

قال : مَن مُحَبّسه ؟

قال : مالكه .

قال : فمَن مالكه ؟

قال : محبّسه .

قال : فمَن محبّسه ؟

قال : مالكه .

فقال له القاضي : قد سمعتُ ما تقول . يا هٰذا ، مَن مالكُه ؟

قال : محبّسه .

قال : فمَن محبّسُه ؟

قال : مالكه .

فقال له القاضي : ما أحسبك تزول عن هٰذا الجواب إلى قيام الساعة .

قال : ولا عند النفخة الثانية .

فقال له القاضي : ما كلّ قصير اللِحيّـ[ـة] عاقل – وكان أبو القاسم بشر شيخاً ربعة حسن اللحية .

فقال له بشر : ولا كلّ قصير مجدور[1] عاقل – وهٰذه صفة أبي عبيد .

فغاظه ذلك وقال : يلازم .

فقام بشر ملزوماً[2] .

(1) يقول الكندي ، 525 : وكان كثير الجدريّ .

(2) ملزوم : موقوف ، محبوس (دوزي) .

[251 ب] فبلغ ذلك أبا بكر / بن الحدّاد ، فأتى إلى أبي عبيد فقال له : أيّد الله القاضي ، أليس القاضي على الرغبة في مجالسة شيخنا أبي القاسم بشر؟

فقال : بلى !

فقال : ولا تَغَيَّرتْ له حال عند القاضي زهّدته فيه ؟

قال : لا .

قال : فإنّه ملزوم بباب القاضي .

فأطرق أبو عبيد ثمّ قال : وإنّه للشيخ الذي دخل آنفاً ، وإنّ كلامَه لكلام فقيه . فاصرفه ولا تُدخله إليّ . - كأنّه احتشم منه .

فخرج ابن الحدّاد فصرفه . وما زال يعرف الاحتشام من القاضي إلى أن توفّي أبو القاسم رحمه الله .

928 - البَعِيث المجاشعيّ [- قبل 98][1]

البَعِيث الشاعر . اسمُه خِداش بن بشر بن لبيد - وقيل خداش بن لبيد - ابن بيبة بن قرط بن سفيان بن مجاشع المجاشعيّ .

قدم مصر ومدح عبد العزيز بن مروان . وكان خطيباً شاعراً بليغاً . وكان أخطب الناس . وقال : إنّي والله ما أرسل الكلام قضيباً خشيباً وما أريد أن أخطب الناس . وقال : [لا] آتي يوم الحفل إلّا بالبَائِت المحكّك . وقيل لرؤبة : مَن أخطبُ تَميم ؟

فقال : خداش بن لبيد بن بيبة - يعني البعيث .

(1) الأعلام 2/ 345 ؛ البيان والتبيين (الفهرس) ؛ دائرة المعارف الإسلاميّة 1/ 980 ؛ ياقوت : أدباء 11 / 52 .

وإنّما قيل له البعيث لقوله [طويل] :

تَبَعَّثَ منّي ما تَبَعَّثَ بَعْدَمَا أُمِرَّتْ حِبالي كُلَّ مِرَّتِها شَزْرا

وقال سحيم بن حفص : أخطب تَميم البعيثُ إذا أخذ القناة[1] .

وقال يونس[2]: لعمري لئن كان مُغَلَّباً في الشعر لقد كان غُلِّب في الخطب .

وفي الشعراء مِمّن يغلب شيءٌ قاله في شعره على اسمِه وكنيته فيُسمّى به ، بشرٌ كثير . فمنهم البعيثُ هذا .

929 - بُغا الصغير [- 737][3]

بغا الصغير ، الأمير سيف الدين ، أحد المماليك الناصريّة محمد بن قلاوون .

ترقّى في الخِدم إلى أن عمِله دوادار صغيراً مع الأمير ألجاي . فلمّا مات ألجاي تشوّف إلى أن يستقرّ دوادار كبيراً . فولّى السلطانُ صلاحَ الدين يوسفَ بنَ أسعد الدوادارية مدّة سنة ، ثمّ أخرجه إلى صفَد . وأقام بُغا في الدواداريّة بإمرة عشرة في آخر سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة ، رفيقاً لمحيي الدين يحيى بن فضل الله كاتب السرّ ، فسار سيرة جميلةً بسكون وهدوءٍ وعقلٍ ، إلّا أنّه كان يتعلّل من قرحة به وينقطع عن الخدمة أيّاماً . فبلغ السلطان أنّه في انقطاعه يشتغل باللهو من معاشرة الشباب ومعاقرة الخمر ، إلى أن قَدَّمَ قصّةً على لسان بعض التجّار في شيء طرحه عليه النشو من متجر الخاصّ . فما زال به النشو حتى عزله السلطان في سنة خمس وثلاثين وأخرجه إلى صفد فمات بعد قليل في سنة سَبْعٍ وثلاثين وسبعمائة .

---

(1) يضيف الجاحظ في البيان 3/ 11 : ... فهزَّها ثمَّ اعتمد بها على الأرض فرفعها .

(2) يونس بن حبيب النحويّ .

(3) الوافي 10/ 175 (4658) ؛ الدرر 2/ 12 (1294) .

930 - بغدوين صاحب القدس [- 508 / 1118] [1]

بغدوين بن [. . .] . ملك بيت المقدس بعد قتل أخيه كندفرَى على عكّا في سنة أربع وتسعين وأربعمائة [/ 1100م].[2] قدمها في خمسمائة فارس وراجل ، فخرجِ من مصر في رجب سنة خمسٍ وتسعين عسكرٌ لمَنع الفرنج ممّا بقي بيد المسلمين من البلاد الشامية . فسار إليهم بغدوين في سبعمائة فارس وقاتلهم ، فنصَرهُم الله عليه وقتلوا أكثرَ أصحابه ، ونجا إلى أجمة قصب ، فأضرموها عليه بالنار ، ففرّ وقد احترق بعض جسدِه .

وصار إلى الرملةِ والمسلمون في أثره . فسار إلى يافا بعدما عظم القتل والأسر في أصحابه . ثم كانت بينه وبين سعد الدولة القوّاسيّ مقدّم عسكر مصر وقعة في سنة ستّ وتسعين انهزم فيها سعد الدولة وقُتل ، وأخذ بغدوين أمواله .

ثمّ ظهرالمسلمون على نفر [3] بغدوين إلى الرملة ثمّ إلى يافا . وعاود الحرب مع ابن الأفضل مدّة . ثم ملك عكّا في سنة سبع وتسعين [/ 1104م] وسار إلى الفرما في سنة آثنتي عشرة وخمسمائة فبعث الأفضل ابن أمير الجيوش من القاهرة فأخذ بغدوين في نهب الفرما وخرّبها وأحرقها ، وعزم على الرجوع ، فأهلكه الله بها . وخاف الفرنج من إظهار موته فكتمُوه . وساروا به بعدما شقّوا / بطنه [252 أ]
وملَؤُوه ملحاً ودفنُوا ما في بطنه بالسبخة التي عُرفت به إلى اليوم قرب الودادة ، والعامّة تسمّيها سبخة بردويل وترجُم موضع قبره بالحجارة .

(1) ابن القلانسيّ ، 192 ؛ النجوم 5 / 208 . وبغدوين أو بلدوين هو Baudoin . وكندفرَى هو Godefroy.
(2) في النجوم 5 / 152 : سنة ثلاث وتسعين .
(3) في الكلام نقص .

931 - بقيّ بن مخلد [201 - 276] [1]

[. . .] ولد في شهر رمضان سنة إحدى ومائتين ، وطوّف الشرق والغرب وسمع [. . .] . وبلغت شيوخه مائتي ونيفاً وثمانين شيخاً . وكان إماماً عالماً قدوةً مجتهداً لا يقلّد أحداً ، ثقةً ، حجّةً ، صالحاً ، عابداً ، متهجّداً ، أوّاهاً منيباً ، عديمَ النظر في زمانه .

قال أحمد بن أبي خيثمة : ما كنّا نسمّيه إلّا المكنسة . وهل يحتاج بلدٌ فيه بقيّ أن يأتي منه إلينا أحدٌ ؟

وقال أبو الوليد [ابن] الفرضيّ : ملأ بقيّ الأندلس حديثاً .

وقال أبو عبد الملك القرطبيّ في تاريخه[2]: كان بقيّ طوالاً ، أقنى ، ذا لحية . وكان متواضعاً ، ملازماً لحضور الجنائز .

وكان يقول : إنّي لا أعرف رجلاً كان يَمضي عليه الأيّام في وقت طلبه ليس له عيش إلّا ورقُ الكرنب .

وقال بقيّ : لمّا رجعت من العراق أجلسني يحيى بن بكير إلى جنبه وسمع منّي سبعة أحاديث وقال : لقد غرست للمسلمين غرساً بالأندلس لا يقلع إلّا بخروج الدجّال .

وقال أبو محمد بن حزم : كان بقيّ ذا خاصّة من أحمد بن حنبل ، وجارياً في مضمار البخاري ومسلم والنسائي .

وقال بقيّ : كلّ من رحلت إليه ، فماشياً على قدمي .

(1) صلة ابن بشكوال 1/ 118 (281) ؛ ابن عساكر 3/ 277 ؛ (بدران) و5/ 235 (121) ؛ نفح الطيب 6/ 113 ، وفيه : بقيّ على وزن عليّ ؛ دائرة المعارف الإسلاميّة 1/ 986 . أعلام النبلاء ، 13/ 285(137)

(2) هو ابن عبد البرّ أحمد بن محمد (ت 338) له كتاب في أخبار علماء قرطبة .

وكان مجاب الدعوة . ويؤثر عنه إيثار حتى بِثَوبه . وقيل إنه كان يختم القرآن كلّ ليلةٍ في ثلاث عشرة ركعة ، ويسرد الصوم . وحضر سبعين غزاةً .

ومات في جمادى سنة ستّ وسبعين ومائتين .

ولمّا قدم من رحلته إلى الأندلس تعصّب عليه فقهاء زمانه لإظهاره مذهب أهل الأثر فمَنعهم عنه أمير الأندلس محمد بن عبد الرحمان المروانيّ واستنسخ كتبه وقال لبقيّ : انشر علمَك !

932 - بكّار بن قتيبة [182 - 270] (1)

بكّار بن قتيبة بن أسد بن أبي برذعة بن عبيد الله بن بشير بن عبيد الله بن أبي بكرة نُفيع بن الحارث [بن كلدة الثقفيّ] مولى رسول الله ﷺ ، يكنّى أبا بكرة .

بصريّ ولد بالبصرة سنة اثنتين وثمانين ومائة . تفقّه بالبصرة على هلال بن يحيى بن مسلم المعروف بهلال الرأي ، أحد أصحاب أبي يوسف ، وزفر بن الهذيل ، وأخذ عنه علم الشروط أيضاً .

وسمع أبا داود الطيالسيّ ، ويزيد بن هارون . ونَشر عِلمَ البصريّين بمِصر فحدّث عن عبد الصمد بن عبد الوارث ، وصفوان بن عيسى الزهريّ ، ومؤمّل ابن إسمَاعيل .

روى عنه أبو جعفر الطحاوي فأكثر ، وبه تخرّج . وروى عنه أيضاً أبو عوانة في صحيحه ، وأبو بكر بن خزيمَة .

---

(1) وفيات 1 / 279 ؛ ابن عساكر 3 / 282 (بدران) و 5 / 237 (ابن منظور) ؛ الكندي ، 507 ؛ رفع الإصر 1 / 140 ؛ النجوم 3 / 18 ؛ الوافي 10 / 185 (4668) ؛ شذرات 2 / 158 .

توليه قضاء مصر :

وكان له اتّساع في الفقه فولّاه المتوكّل قضاء مصر ، فقدمَها قاضياً ودخل الفسطاط يوم الجمعة لثمَان خلون من جمادى الآخرة سنة ستّ وأربعين ومائتين . فأقام على القضاء ثمَاني سنين حتى قدم أحمد بن طولون إلى مصر .

واستمرّ قاضياً حتى توفّي ليلة الخميس لستّ خلون من ذي الحجّة سنة سبعين ومائتين . وكانت مدّة ولايته على القضاء أربعاً وعشرين سنةً .

وكان محدّثاً جليلاً . حدّث بمِصر حديثاً كثيراً .

وجرت له مع أحمد بن طولون قصص ، منها أنّه بعث به إلى برقة لمّا خالف عليه ابنُه العبّاس بن أحمد ، فسار إليها ولقي العبّاس فيمَن خرج معه من مصر وحدّثه في الرجوع إلى أبيه فقال له : يا أبا بكرة ، المستشار مؤتمَن ، وأنا أقلّدك أمري : أسألك بالله : هل تأمنُه عليَّ ؟

فقال له : قد حلف لي أبوك أن لا يسوءك ، فأمّا أن يفيَ فليس ممّا أعلمُه ، وهٰذا الله دوني .

ثمّ عاد بكّار إلى أحمد بن طولون بغير طائل . فلمّا أُخذ العبّاس وأُسر أصحابُه بعدما أمّنهم أحمد بن طولون ، رأى بكّار أن لا أمان لهم : وذلك أنّ أحمد بن طولون أمّنهم خوفاً من النهب وسفك الدماء وهتك الحريم / ، فلم يرَ [252 ب] بكّار هٰذا أماناً . وعارضه يزيد بن محمد بن عبد الصمد ، ورأى أنّهم آمنون وذكر قوله عليه السلام : « المؤمنون تتكافأ دماؤُهم ويسعى بذمّتهم أدناهم »[1] ، فأسكته أحمد بن طولون وقال : أهل الفقه أدرى بهٰذا منك . وأمر باكتتاب محضر بمَا رآه وقتلهم .

(1) الحديث في سنن ابن ماجة ص 895 رقم 2683 .

غضب ابن طولون عليه وسَجنه :

ولمّا بلغ أحمد بنَ طولون القبض على المعتمد ومنعه من دارا ، استدعى بكّاراً من مصر إلى دمشق ، فاجتمَعَ بها مع مَن حضر لخلع الموفّق . فلم يكن منه ما يرضاه أحمد بن طولون . فتغافل عنه وأسرّها في نفسه إلى أن قدم مصر . فأمر بكشف بكّار وأوقفه للناس وأمر بسَجنه في جمادى الآخرة سنة سبعين ومائتَين ، وذلك بعدما خرّق سواده . ثمّ أحضر قيس بن حفص كاتب بكّار وأصحابه وأمرَهم برفع حساب ما جرى على أيديهم .

فاْجتمع أصحاب الحديث إلى أحمد بن طولون وشكوا إليه اْنقطاع سماع الحديث من بكّار ، وسألوه أن يأذن له في الحديث ، ففعل . وكان بكّار يحدّث وهو في السجن . وفي كلّ يوم جمعة يَلبس ثيابه ويتأهّب للرواح فيقول له الموكّل به : أعذرني أيّها القاضي ، ما أقدر – فيقول : اللهمّ اْشهد !

ثمّ [إنّ] ابن طولون بعث إليه يقول : إنّك زعمتَ أنّ المحجُورَ عليه يأمر وينهى ويكتب ويكاتب . فكيف رأيتَ حالَ المَمنوع ممّا يريد ؟ أنت أيضاً أوردتَ عليّ كتابًا من الخليفة بتقليدك القضاء فأنفذت ذلك لك . والآن فقد منعتُك حتى تورد عليّ كتابًا منه بردّك فأردّك حينئذٍ .

فلم يزل في السِّجن حتى مات أحمد بن طولون ، وقام من بعده ابنُه أبو الجيش خمارَوَيه بن أحمد بن طولون فأخرجه من الحبس فيمن أخرج من أرباب الجرائِم والتّهم . فلم يتمّ له شهر بعد إطلاقه حتى مات .

وقال أبو عمر الكنديّ : إنّ بكّار[اً] القاضي أطلق في شعبان سنة سبعين ، وذلك يقتضي أن أحمد بن طولون هو الذي أطلقه لأنّه مات في ذي القعدة سنة سبعين ، والله أعلم .

ندم ابن طولون على سوء معاملته لِبكّار :

وقال أحمد بن يوسف الكاتب : حدّثني نسيم الخادم قال : دعاني أحمد آبن طولون ، وقد مضت قطعة من الليل ، قبل وفاته بشهر واحدٍ ، فقال لي : آدخلْ إلى بكّار بن قتيبة ، فإن كان يصلّي فآنظر فراغه من ركعته ، ثمّ قُل له : أنت تعلمُ مَيلي إليك قديمًا وإكرامي لك ، وأنّه لم يُفسد محلَّك عندي إلّا أمرُ الخلع ، فإنّ شهادتك فيه شهادة مغلِّب للتّقيّة ، وقد شاع في عسكري أنّك نقمْتَ هٰذا الخلع . ووالله ما آنحرفت عن الناكث لآنحراف قلب ولا إساءة أعتدتُها له ولا أردتُ بخلعه إلّا الله عزّ وجلّ ، لأنّه أسر الخليفة ومنعه ما يجب له . والصواب أن تحضر مجلسي ويجتمع فيه أولياء أمير المؤمنين وتتبرّأ من الناكث براءةً تدلّ على صدق نيّتِك لأمير المؤمنين ، وترجع إلى عملِك وما كنّا عليه مِن إكرامك وموالاتك . وإن تأخّرتَ عن هٰذا فلا لومَ علينا فيمَا آتيناه إليك ممّا لا أؤثره والله فيك .

قال نسيم : ففتحت باب الحجرة التي كان بها فوجدتُه قائمًا يصلّي . فقلت وصحتُ : رسول الأمير ! – لأنّه كان ثقيلَ السمع – فوالله ما تجوّز في صلاته ولم يزل يقرأ ، ثمّ ركع وسجد ورفع رأسه وقام ، فقرأ صدراً كبيراً ، ثمّ ركع وسجد وجلس . فلمّا سلّم قلت : الأمير !

فقال لي : وما يريد الأمير ؟

فلمّا قصَصْتُ عليه الرسالة قال لي : قل له : أعزز عليّ بأن يَكون حرصُك على ما تفارقُه أكثرَ مِن ميلك إلى ما لا تنفكّ عنه . وقد أعنتني لأنّك تكلّفني التصديق لبلاغات لا يعتدّ بها الحكّام . فخِفِ الله في أمري ، فإنّي شيخ فانٍ وأنت مريض مدنف ، ولعلّ التقاءنا بين يدي الله عزّ وجلّ قريب . وقد والله نصحتُ لك ، والسلام .

(قال) فخرجتُ من عنده ، فقال : ما قال لك ؟

[253 أ] فقصصتُ عليه قوله . فقال : شيخ فان وعليل / مدنف ، ولعلّ الالتقاء بين [يدي] الله قريب – وأقبل يكرّرها . وقال لي : آنظر إلى أعفّ المضمونين إليك وَآكْتَرِ داراً ووكّله ببابها ، وأطلِق له آبنَي أخيه ومَن أحبَّ إليه .

فاكتريتُ داراً في حيّ الموقف ، وكان الموكّل به رشيق أخو سعد الفرغانيّ . ومات بعد أحمد بن طولون بأقلّ من عشرين يوماً .

سبب القطيعة بينهما :

وكان سبب ذلك كلّه [1] أنّ أمير المؤمنين المعتمد على الله أبا العبّاس أحمد ابن المتوكّل كانت أيامُه مضطربة الأحوال مختلفة التدبير كثيرة العزل والتولية بتدبير الموالي وغلبتهم عليه . فقام أخوه الموفّق بالله أبو أحمد ، الملقّب بالموفّق بالله ، والناصر ، والمنصور ، بالخلافة أحسنَ قيام وصار الحكمُ إليه ولا تُجبى الأموالُ كلُّها إلّا له . وولّاه المعتمد العهدَ بعدَه وخُطب له بذلك على المنابر فكان يقال : اللهمّ أصلح الأميرَ الناصرَ لدين الله أبا أحمد الموفّق بالله وليَّ عهد المسلمين أخا أمير المؤمنين . ولم يبقَ للمعتمد معه من الخلافة إلّا الاسم بحيث لم ينفذ له توقيع في كبير ولا حقير . فضجر من ذلك وكتب إلى أحمد بن طولون سرًّا يشكو من أخيه الموفّق ، فأشار عليه أن يلحق بمِصر ووعده بالنصرة له ، وأخرج من مصر والشام عسكراً إلى الرقّة ينتظرون وصول المعتمد إليهم ، وخرج بنفسِه من مصر يريد لقاء المعتمد وأقام بدمشق مترقّباً له .

فاغتنم المعتمد غيبة الموفّق عنه ، وسار في جمادى الأولى سنة تسع وستّين ومائتين ومعه جماعة من القوّاد ، منهم إبراهيم بن المدبّر ، وأحمد بن خاقان وخطارمش ، وغيرهم ، في أربعة آلاف فارس على خيل جريدة يريد مصر ، في

(1) انظر في سبب القطيعة : رفع الإصر 1 / 151 والطبريّ 9 / 620 .

هيئة متصيّد ، إلى أن وصل إلى عمل إسحاق بن كنداجق[1] عامل الموصل وعامّة الجزيرة . فكتب الموفّق وهو بالبصرة على حرب صاحب الزنج ، كتب إلى إسحاق يخبره أنّ المعتمِد قصدَ أحمدَ بن طولون ، وإن دخل مصر تنحّيت عن العلويّ حتى يغلب على دار السلطان . وإن آستولى أحمد بن طولون على أمره لم يبقَ منكم معشر الموالي آثنان – وناشده الله لما جرّد العناية في خروجه .

فقام إسحاق ، ووكّل بالطرق أصحابه ومنعهم أن يطلقوا[2] لأحدٍ ممّن مع المعتمد العبورَ . وسار فوجد المعتمد بين الموصل والحديثة ، فضرب مضربه دونه وركب حتى وافى مضرب المعتمد من غير أن يشعر به أحدٌ من أصحابه . فخرج إليه نحرير الخادم وسلّم عليه واستأذن له . فدخل على المعتمد ومعه ابنُه محمد بن إسحاق وجماعة من وجوه أصحابه ، فسلّم ووقف بأصحابه . فقال له المعتمد : يا إسحاق ، لمَ منعتَ الحشمَ من الدخول إلى الموصل ؟

فقال : وما معنى دخول الحشَم الموصل ؟

قال : لأنّي آثرتُ دخولَها .

قال : لا والله ، يا أمير المؤمنين ، ما إلى ذلك من سبيل . أخوك في وجه العدوّ وأنت تخرج من دار مستقرّك ومدينة آبائك ، ولئن صحّ هٰذا عنده ليرجعنّ عن مقاومة الخارجيّ حتى يغلبَ العدوّ على دار ملكك . وهٰذا كتاب أخيك .

فقال له : أنت غلامي وغلام أخي .

قال : كلّنا غلمانُك يا أمير المؤمنين ، ما أطعتَ الله . فإذا عصيتَه فلا طاعةَ لك علينا .

قال : فبِمَ عصَيْتُه ؟

(1) إسحاق بن كنداج أيضاً ، وكنداجيق .
(2) في المخطوط : أن لا يطلقوا . . .

قال إسحاق : تخلّي دار خلافة آبائك وتزيل أخاك عن عدوّ دولتك وتبعد عن مستقرّك ، ولا ترى أنّك عاصٍ لربّك ؟

ثمّ خرج من المضرب وترك أصحابـ[ـه] الذين دخلوا معه ، ووقفَ على باب المضرب ، وبعث نحريراً إلى المعتمد يسأله أن يبعث إليه خطارمش ونيزك[1] حتى يناظرهم . فبعث بهم إليه مع أخيه أبي عيسى ابن المتوكّل وإبراهيم بن المدبّر . فلمّا دخلوا مضرب إسحاق قال لهم : ما جنى على الإسلام أحدٌ جنايتَكم : أخرجتُم الخليفة في عدّة يسيرة ، وهارون الشاري[2] في جمع كبير بإزائكُم ، فلو عارَضَكُم وأسرَ الخليفة لكُنّا فضيحةً . ولولا أنّي لحقتُكم في عسكري / لذهب الخليفة وذهبتُم . [253 ب]

ثمّ وكّل بهم وبعث إلى مضاربهم ، فعاد دوابُّهم وغلمانُهم . فلمّا دجا الليل وجّه إسحاق ابنه محمد بنَ إسحاق ، وحبَش ووصيف ابنَي أخيه ، ومعهم ثلاثون رجلاً يحفظون المعتمد . وأصبح عند المعتمد وقال له : يا أمير المؤمنين ، ما مقامنا هَا هنا ، والأمر يضطرب بناحية أخيك ؟

فقال له : أحلف لي أنّك تنحدر معي ولا تسلمني .

فحلف له وانحدر به إلى سرّ من رأى . فتلقّاه أبو العبّاس أحمد ابن الموفّق وصاعد بن مخلد كاتب الموفّق ، فسلّم إسحاق المعتمد إلى صاعد . فأنزله في دار ووكّل به قائداً في خمسمائة رجل يَمنعون من الدخول إليه .

امتناع بكّار من خلع الموفّق :

فورد رسول أحمد بن طولون إليه وهو بدمشق وأخبره ما فُعل بالمعتمد . فكتب إلى أعماله بحمل القضاة والفقهاء . فلمّا اجتمعوا عنده بدمشق استفتاهم في خلع الموفّق . فأفتاه مَن حَضَر بأن يخلعَه إلّا بكّار[اً] فإنّه ضعّف الأمر ، فتغافل

---

(1) في المخطوط : تينك وكذلك الطبري 9 / 620 . والإصلاح من الكامل 6 / 49 .

(2) هارون الوازقي (الطبري 10 / 37) .

عنه أحمد بن طولون . وكتب كتاب خلع طويل[اً] خلّده في أمصاره وقُرِىءَ على منابر أعماله ، وهذه نسخته بعد البسملة :

هٰذا ما أجمع عليه القضاة والأولياء ووجوهُ الأمصار : إنّ أحمد بن طولون أحضرهم مجلسَه بمُعسكره في دمشق سنة تسع وستّين ومائتين وسألهم عمّا يوجبه ما أقدم عليه الناكث أبو أحمد في أمير المؤمنين المعتمد على الله من إيقاع احتياله في قبضه جيوشه وتشريد جملته بحملهم على السيف مرّة وغيلتهم بالسمّ أخرى ، وتخطّى ذلك إلى إخافة سربه وحمله على الائتمَار له في كثير ممّا آثَره . فلمّا كثر ذلك عليه وخافَه على نفسه أجمع على النفوذ إلى أحمد بن طولون والاعتصام به إذ كان ثقتَه وعُدّته ومَن خلص على تجريبه ورأى توقّفه عن مكاره الخلفاء قبلَه . وإنّ أبا أحمد لمّا رأى ذلك تخوّف أن يصير مأموراً بعد أن كان آمراً فكتب إلى إسحاق بن كنداج في قصده وردِّه . فشخص في جمع كثيف حتى وافاه بين الموصل والحديثة فردّه ، وأمير المؤمنين يناشدُه الله ويذكّره به ويعلمُه مروقَه من الدين ونقضَه ما أكّدته بيعته عليه ، وأنّه إن فعل ما أقدم عليه فقد فارق طاعتَه وبرئ من ذمّتِه ووجب على الأمّة جهادُه . فلم يُصغ إلى ذلك ولا اكترث به حتى أدخله سرّ من رأى وسلّمَه إلى صاعد ، فحبسَه ومنع منه جميع أهله وشمْله ، وغدا مقبوض اليد ، بعيد الناصر ، عُرضةً لسوء القول وقبيح الفعل ، يخاف على نفسه في آناء الليل والنهار . فالأمّة في حرج من القعود عن نصرته والأولياء في حنث من نقض بيعته ، والسنن داثرة ، والأحكام ضائعة ، والحقّ منبوذ ، والعدل شارد ، وعينُ الله تنظر . فرأى كلّ مَن حضر خلعَه ممّا كان أميرُ المؤمنين أثبتَه له من ولاية عنه ، والتبرُّؤ منه ، والجهادَ له إذ كان قد منع حقوقاً ثلاثة : أوّلها حقّ الإمامة ، والثاني حقّ الأخوّة ، والثالث حقّ النعمة عليه .

وأوقع مَن حضر من الحكّام شهادتهم عليه وفتياهم فيه ، وجعل عشرَ نسخ على نسق واحدٍ . وفي آخر الكتاب : يقول عبد الله بن محمد العمري القاضي بجند قنسرين والعواصم والثغور الشاميّة وجُندِ حمص : قد قُرئ عليّ هذا

الكتاب ، وهو قولي والحقُّ عندي ، والذي أفتيتُ به ، وقد صحّ عندي غدر الناكثِ المعروفِ بأبي أحمد ، وتعدّيه ، وخروجه عن طاعة أمير المؤمنين أيّده الله ، وأنّه استوجب بمَا كان منه ممّا سُمّي ووصف في هذا الكتاب إسقاط اسمِه وخلعه وقطْعَ الدعاءِ له ، وأنّه غير مُستحقٍّ لإمامة المسلمين ، ولا مأمون عليها ، ولا موثوق به فيها . وأشهدت على قولي وفتيَايَ مَن كتب شهادته في هذا الكتاب . وكتب عبد الله بن محمد القاضي خطّه يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة تسع وستّين ومائتين .

[254 أ] يقول عبد الحميد بن عبد العزيز القاضي على دمشق / والأردنّ وفلسطين ، قد قرئ عليَّ هذا الكتابُ من أوّله إلى آخره ، وهو قولي ، والحقّ عندي ، والذي أفتيتُ به ، وقد صحّ عندي غدرُ الناكث المعروف بأبي أحمد ، وتعدّيه ، وخروجُه عن طاعة أمير المؤمنين ، وأنه استوجب بمَا كان منه إسقاط اسمه وخلعه . . . – وحكى في شهادته مثل ما حكى صاحبُه حرفاً بحرفٍ .

يقول أحمد بن العلاء القاضي بديار مضر مثلَ ما قال صاحباه حرفاً بحرف .

شهد بكّار بن قتيبة القاضي بمِصر والإسكندرية ونواحيهما على ما سُمّي ووُصف في هٰذا الكتاب من أوّله إلى آخره ، وعلى إحسان أمير المؤمنين أعزّه الله إلى الناكث أبي أحمد ابن جعفر المتوكّل على الله ، وتفضُّلِه عليه ، وما كان من تعدّيه على أمير المؤمنين وغَدْره ، وأنّ الناكثَ أبا أحمد قد استحقّ بمَا كان منه خلعَه وترك الدعاءِ له . وكتب بكّار بن قتيبة بيده .

وصار الخاطب إذا دعا لأمير المؤمنين في أعمال أحمد بن طولون قال بعد الدعاء : اللهمّ اكفِهِ مَن ظلمَه وحصره ، واستنقِذْه ممّن أسره وجار عليه وقهرَه – يريد الموفّق – ثمّ يدعو للمفوّض لله جعفر ابن المعتمد وليّ عهده ولأحمد بن طولون فقط .

وخرج الموفّق إلى أمصاره بلعن أحمد بن طولون على ما فعله من خلعه

[ويقول :] إنّ الله عزّ وجلّ قد قَرَن بطاعته وطاعة رسوله طاعةَ أولي الأمر الذين انتخبهم اللهُ لإعزاز دينه وإقامةِ معالمِه فقال : « يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ » (النساء ، 59) . وإنّ عدوّ الله المباينَ لجماعة المسلمين المعروف بأحمد بن طولون أظهر ما كان منه من معصية وشقاق ، وكفر ونفاق ، فيمَا بين أقاصي المغرب إلى أكناف العراق ، ومرق عن الدين ، وخالف أمير المؤمنين ، وأخربَ ثغورَ المسلمين ، وقاتل فيها المجاهدين ، بأهل الفِسق من المخالفين ، وآستباح حرمَهم ، وسفك دماءهم . فلمّا تبيّن أميرُ المؤمنين أمرَه وعرف كُفرَه وغدرَه ، تبرّأ إلى الله عز وجلّ منه ، ولعنه لعناً ظاهراً ، وأمر بلعنِه ليلحقه ذلك من خواصّ الأولياء وعوامّ الرعايا . اللهمّ ، العَنْه لعناً يفلّ حدَّه ، ويتعِسُ جَدَّه ، ويجعلُه مثلاً للغابرين ، إنّك لا تُصلح عملَ المفسدين ، يا ربَّ العالمين .

وسار أحمد بن طولون إلى مصر ، وبعث إلى بكّار بعدما أسقط من مصر وغيرِها اسمَ الموفّق وأزاله من على الطراز . فسأله عن امتناعه من لعن الموفّق ، وقال : تتوقّف عن خلع رجل حصر الخليفة وحجر عليه وأسره واستبدّ بالأمر دونه ؟ مثل هٰذا أيُؤمن على المسلمين أو على خلافة ربّ العالمين ؟

فقال بكّار لرسوله : قل له : أنتَ أوردتَ عليّ كتاباً من الخليفة بتولية الموفّق العهد . فإن أوردتَ عليّ كتاباً منه أنّه خلعَه ، خلعتُه ، وإلّا لم أقل في هذا شيئاً .

قال : صدقت . أتيتُك بكتاب منه بتقليده العهد . فلم ترعَ عهدَه ، وهو نافذ الأمر مُطاعُ القول . وإنّه اليومَ محصور مأسورٌ مضيّقٌ عليه .

فقال بكّار : ما أقول في هذا شيئاً بغير حجة .

فقال أحمد بن طولون : أنت شيخ قد خرفت ونقُص عقلُك وأعجبك قول الناس : بكّار ! بكّار !

ثمّ أمر فحُبس .

بعض مناقب بكّار :

ومن مناقب بكّار أنّ أحمد بن طولون بقيت له بقيّة كبيرة من خراج على بعض المُتَقَبِّلين فاستتر وتغيّب ، وعمد قبل استتاره إلى ربع نفيس في ملكه يفي بمَا عليه من الخراج ويفضل ، فحبسه على ولده وخرج عن مصر . فرفع الخبر إلى ابن طولون فطلبه فلم يدركه . فطلب القاضي بكّار[اً] وقال له : صاحبُك – يعني أبا حنيفة رحمه الله – يقول بحِلّ بيع الحبس في الدَّين . نَحُلُّ حُبُسَ هذا الهاربِ منّا ونَأخُذُ مال السلطان منه .

فقال له بكّار : لا تفعل ، ولا تَسُنَّ سنّةً يستنُّ بها فيك ، لأنّ لك أوقافاً على وجوه ، فإن حللتَ حَلُّوا عنك .

فوقف عن ذلك وكفّ عنه وشكر لبكّار مشورته / عليه . [254 ب]

وباع مدين دابّة فظهرت بها عيوب فطالبوه بالرّدّ فأبى ، وبالتخطيط [1] فأبى . قالوا : فاليَمين !

قال : ما حلفتُ على حقّ ولا باطلٍ قطّ !

فصاروا به إلى بكّار فطالبوه فأنكر . فأرادوه على اليَمين فقال : ليس في هٰذا .

فطمعُوا في الردّ . فقال له بكّار : إمّا أن رددت ، وإمّا حلفتَ .

فقال : أخاف إن حلفت [أن] يعاودوني .

فقال : أضعهم في الحبس .

فحلف بالغَموس . ثم قال : وهذه رجحان اليمين : بلغتُ السماء مع الشيطان وأَفْنَيْتُ كواكبَ الرحمان ، ولعبت بالكعاب في الكعبة ، وأَعَنتُ عاقرَ

(1) لم نفهم المقصود بالتخطيط .

الناقة على صالح ، ولقِيتُ الله بذنب فرعون يوم قال : أنا ربُّكُمُ الأعلى ، وحاسبني الله على مثل مال قارون لا أعلم فيه مثقال ذرّة خير إلّا أنفقتُه في هدم المساجد ، وخراب الثغور ، وشرب الخمور ، والجمع على الفجور ، وضرب العود والطنبور ، والقمار بالطيور ، والكفر ببعث مَن في القبور ، إن لم أكن قدّمته بعشر دوابّ كانت تخلع أرسانها ، فكان هذا الدائن يجيءُ يصلح أرسانها بفم قليلاً قليلاً ، فكان السائس يزيد في سعره لهٰذا السبب .

فضحك بكّار حتى أمسك بطنه بيده وقال : لو عرفتم صاحبَكم لمَا تعبتم . آنصرِفوا راشدين !

وقال محمد بن موسى صقلاب : سمعت بكّار القاضي ، وذكر في مجلسه الوعيد ، فقال : الدليل على أنّ الله تعالى يُخلف وعيدَه قوله عز وجلّ : « لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ المُنافِقُونَ والّذِينَ في قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ والمُرْجِفُونَ في المَدِينَةِ لَنُغْرِيَنّكَ بِهِمْ ، ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيها إلّا قليلاً » (الأحزاب ، 60) . والله ما انتهَوا ، وما أغراه بهم ولقد جاوروه .

ولبكّار عدّة مصنّفات ، منها : كتاب الشروط ، وكتاب المحاضر والسجلّات ، وكتاب العهود والوثائق ، وهو كبير ، وكتاب نقض فيه على الإمام الشافعيّ في ردّه على الإمام أبي حنيفة . وسبب تصنيفه أنّه نظر في مختصر المزنيّ فوجد فيه ردًّا على أبي حنيفة ، فقال لبعض شهوده : آذهبا وآسمعا هٰذا الكتاب من أبي إبراهيم المزنيّ ، فإذا فرغ منه قولا له : سمعتَ الشافعيّ يقول ذلك ؟ وآشهدا عليه به . فمَضيا وسمعا من المزنيّ المختصر وسألاه : أنت سمعتَ الشافعيّ يقول ذلك ؟

قال : نعم .

فعادا إلى القاضي بكّار وشهدا عنده على المزنيّ أنّه سمع الشافعيّ يقول ذلك . فقال بكّار : الآن آستقام لنا أن نقول : قال الشافعيّ .

ثمّ ردّ على الشافعيّ هٰذا الكتاب .

وكان بكّار قد لقي في قدومه إلى مصر محمد بن أبي الليث قاضيَ مصر قبلَه وهو خارج إلى العراق ، فقال له : أنا رجل غريب ، وأنتَ قد عرفتَ البلد ، فدُلّني على مَن أشاورُه وأسكن إليه .

فقال : عليك برجلين : أحدهما عاقل ، وهو يونس بن عبد الأعلى ، والآخر زاهد وهو أبو هارون موسى بن عبد الرحمان .

فقال بكّار : صفهُما لي .

فوصفهُما له . فلمّا دخل مصر أتاه الناس . وأتاه يونس فرفعه وأكرمه ، وأتاه موسى ، فٱختصّ بهما .

وكانت [كلمته الأخيرة :] الحمد لله ، هكذا قدّر[1] .

933 - بكتاش الفخريّ [٠ - 706][2]

بكتاش الفخريّ ، الأمير بدر الدين ، أمير سلاح ، الصالحيّ ، النجميّ .

كان أحد مماليك الأمير الوزير فخر الدين [يوسف] بن شيخ الشيوخ . فلمّا مات أخذه الملك الصالح نجم الدين أيّوب . وترقّى في الخدم حتى صار من أمراء مصر في الأيّام الصالحيّة . وأعطي إمرة مائة وتقدّم ألف في أيّام الظاهر بيبرس . وأقام أميراً زيادة على ستّين سنة ، وعرف بأمير سلاح . وتردّد في الغزو مراراً عديدة في بلاد سيس وغيرها .

ولمّا قتل المنصور لاجين عُرضت عليه السلطنة فٱمتنع ، وأشار بإحضار

(1) هكذا في المخطوط ، والإضافة من عندنا .

(2) الوافي 10 / 188 (4674) ؛ الدرر 2 / 14 (1301) ؛ السلوك 2 / 30 ؛ النجوم 8 / 224 ؛ المنهل 3 / 385 (675) .

الملك الناصر محمد بن قلاوون من الكرَك . فصار الأمراء يتردّدون إلى داره بالقاهرة ويأكلون على سمَاطه ، إلى أن حضر الناصر من الكرَك وأُعيد إلى السلطنة ، فبالغ في إكرامه .

وما زال يُواظبُ الخروج إلى الغزاة حتّى مرض وقد أناف على الثمَانين . فخاف أستاداره بكتمُر الفارسيّ أنّه يَموت فيطالب من الديوان السلطاني بتفاوت[1] الإقطاع في مدّة إمرته وهي ستّون سنة وأن يلزم بالتقاوي[2] السلطانيّة ، فحسّن لولده ناصر الدين محمد أن يجتمع بالأميرَين بيبرس / [255 أ] وسلّار — وهُما يومئذ القائمَان بتدبير أمور الدولة ويبلّغهما سلام أبيه وأنّه يسألها الكلام مع السلطان في إخراج الإمرة عنه وكتابة مسموح لأولاده ومباشريه بما يخصّ السلطان من تَفاوُتِ الإقطاعات والانتقالات من ابتداء تاريخ إمرته وإلى حين خرج إقطاع الإمرة عنه ، ويذكر لها عنه أنّه قال : قد كبر سنّي وعجزت عن الركوب ، ولا يحلّ لي أكل هٰذا الإقطاع بغير استحقاق ، وأن يذكّرهما بما له من قديم الهجرة والتذمّم بخدمة البيت المنصوري ومناصحته .

وخيّل لابن بكتاش أنّه إن لم يفعل هذا حتى يَموت أبوه لا يبق له ولإخوته شيء ، ويحتاج إلى الاستدانة في وفاء ما يجب للديوان السلطانيّ . فانفعل له وبلّغ الأميرين عن أبيه ما رتّبه مع استداره . فتألّمَا وبكيا بكاءً كثيراً ورأيا من تمَام حقّ الأمير بكتاش المبادرة إلى آمتثال ما أشار به ، ولم يشكّا في صدق ولده .

وآجتمعا بالخدمة السلطانيّة مع الأمراء ، وقام ابنُ بكتاش فأعاد الرسالة على الجميع فلم يجدوا بُدًّا من إجابته . وكتب مرسوم سلطانيّ بمُسامحته ، وحمل إليه مع الأمير سنقر الكماليّ الحاجب والأمير بدر الدين محمد بن الوزيريّ ، وتقدّمهُما

---

(1) تفاوت الإقطاع أو التفاوت الجيشي : الفارق بين الدخل محسوباً بالسنة الهلاليّة والدخل بحسب السنة الخراجيَّة ، السلوك 2 / 19 حاشية 1 .

(2) التقاوي السلطانية : يبدو أنّها أموال تجمع للسلطان من الأقاليم ؛ راجع السلوك نفس الصفحة حاشية 3 .

ابنُ بكتاش ودخل على أبيه ومعه بكتمُر أستاداره ، وأخذا يقولان له ما هو فيه من المرض والعجز عن الحركة وأنّ الإقطاع الذي باسمِه يستكثر عليه ، ويعرّضان له بترْكه . فقال لهما : أنا أرجو أن يمُنّ الله بالعافية وأن أموت على ظهر فرسي مجاهداً في سبيل الله .

فذكرا له ما يتخوّفا[نـ]ـه بعد وفاته من كثرة المغرم للدين . فلم يعبأ بكلامهما ، وهما في ذلك إذ قدم الأميران بالمَسْموح ، فخرجا إليهما وقالا لهما : لا تُطيلا في الحديث معه فإنّه قد تغيّر عقله وآختلط .

فصدّقاهما فيمَا قالا . ودخلا عليه . وعرّفاه ما قال ولدُه عنه للسلطان بحضرة الأمراء ، وأنّه يسلّم عليه . وقد أجاب سؤاله وأخرج الإقطاع وكتب المسموح — وأخرجاه إليه — ثمّ بلّغاه سلام الأمراء عليه ، وأنّهم يقولون له : لو لم تبعث ولدَك بهٰذا ما أُخرج الإقطاعُ عنك بوجهٍ من الوجوه ، وأنّه قد رتّب لك في كلّ شهر خمسة آلاف درهم .

فلمّا بلّغاه هذا آشتدّ غضبُه وقال : قطع السلطانُ خبزي ؟

قالا : نعم — وأعادا عليه ما قاله ولدُه .

فآلتفت إليه وقال : أنت سألتَ في ذلك ؟

قال : نعم .

فسبّه . وقال للأَميرين : قولا للسلطان والأمراء : ما كنت أستحقّ أن يقطع خبزي قبل الموت ، وهم يعرفون ما فعلتُه معهم . وكان أملي أن أموتَ في الجهاد . وكذلك كنت أخرج كلّ سنة إلى الغزو في سبيل الله فلم يقدّر الله ذلك .

ثمّ استدار بوجهه إلى الحائط ، فقاموا عنه . فتمَادى مرضُه إلى أن مات في يوم [. . .] ربيع الآخر سنة ستّ وسبعمائة عن ثمَانين سنة .

وكان كثير الصدقة خيّراً وافر الحرمة في كلّ دولة ، فارساً شجاعاً ، له مقامات مشهورة في الحروب . ورأى من الحظّ شيئاً طائلاً في مدّة طويلة ولم

يُنكبْ قطّ . وكلّ سنة يخرج فيها إلى الغزاة . وكان يبعث النفقةَ لمَن يخرج معه من الأمراء والمقدّمين ، ويعمّهم بالشعير والأغنام . واقتنى المماليك الحشميّة النافعة . وكانت أخبازهم من عشرين ألف درهم في السنة إلى عشرة آلاف وهي أقلّها . وكان يكره من يتحدّث عنه في أمر المملكة ومتعلّقاتها . وكان الملك المنصور يبالغ في تعظيمِهِ بحيث قال لنائبه الأمير طرنطاي : ما بقي في الأمراء غير أمير سلاح إذا قلت فارس الجبل ما يُردّ وجهه عن عدوّه وإذا حلف ما يتحوّل وإذا قال صدق ، ولا يتطلّع إلى رفعةٍ .

934 – بكتمُر البوبكريّ [– 728] (1)

بكتمُر البوبكريّ ، الأمير سيف الدين ، السلاح دار ، أحد المماليك المنصوريّة قلاوون .

ربّاه صغيراً ورقّاه في الخدم وعمِله من جملة البرجيّة . فلمّا قبض / الأمير [255 ب] سنقر الطويل عرض جماعة من البرجيّة واختار منهم أربعة : بكتمُر هذا ، وأيدمر الخطيريّ ، وسنجر الجمقدار ، وطشتمُر الجمقدار . ثم عيّن من الأربعة بكتمُر وأنعم عليه بإمرة سنقر الطويل وهي طبلخاناه . فقال له الأمير بيدرا النائب : يا خوند ، أوّل إمرة الجندي تكون عشرة ثم ينقل منها إلى الطبلخاناه .

فقال : قد قلت شيئاً وما أرجعُ عنه – وكان البوبكري أوّل من نُقل من الجنديّة إلى إمرة طبلخاناه ، وذلك في نصف ذي القعدة سنة تسع وثمانين وستّمائة .

وتقدّم حتى صار من أكابر الأمراء الناصريّة محمد بن قلاوون ، وجعله أمير

....

(1) الدرر 2 / 15 (1304) ؛ النجوم 9 / 274 ؛ السلوك 2 / 208 ، 304 .

سلاح ويجلس رأس الميسرة ، والأمير آقوش نائب الكرَك رأس الميمَنة[1] .

فلمّا كانت سنة عشرين وسبعمائة رسم أن يتحوّل من القلعة ويسكن في دار الأمير كراي المنصوري بالقاهرة ، لأنّه ثقل عليه وصار يعارضه ويشير عليه بغير ما يريده . فسكن القاهرة إلى سنة ٱثنتين وعشرين . [فـ]ـعيّنه لنيابة صفَد ، وٱعتذر إليه على لسان الأمير أرغون بأنّ السلطان يستحي منه إذا رآه في الخدمة لمَا يعلمُه من تقدّمه وكبر سنّه ، وأنّه قصد بنيابته صفد إراحته .

فامتنع من ذلك وٱحتجّ بأنّه رجل غتميّ لا يعرف بالعربيّ ، وما حكم قطّ بين أحدٍ فلا أعرف ما يقول الناس إذا وقفوا لي . فأعرض السلطان عن هٰذا القول ، وبعث إليه بألفَي دينار مع كريم الدين ناظر الخاصّ وجهّز له تشريف نيابة صفد ، والإنعام على أولاده بإمرتات . فلمّا جاءه كريم أقام ساعةً حتى أذن له ، ثمّ دخل عليه فلم يحتفل به كٱحتفال غيره من الأمراء . فوضع الذهب والتشريف بين يديه ، وقام كالمغضب إلى السلطان .

فأصبح يوم الخميس ثاني شهر [رمضان] منها ، [فـ]ـألبس السلطان ولدَه الأصغر شربوش الإمرة ، فصعد في آخر النهار إلى الخدمة وجلس رأس الميسرة على عادته وٱستعْفى من صفد ، فأعرض عنه ، وقبض عليه وعلى أولاده في ليلة الجمعة ثالث شهر رمضان . فوقف غوغاء العامّة بكرة يوم الجمعة تحت القلعة وصرخوا بالسلطان : ما يستأهل مسكه ! — فٱشتدّ حنقه ، وبعث إليه مع قجليس فرساً وطعاماً وأمره أن يُقرئه السلام ويعتذر إليه ممّا وقع ويستعرض حوائجه . فسأل أن يفرج عن أولاده . فأجابه إلى ذلك وأفرج عنهم ليلة عيد الفطر ، ومنعهم من الخدمة السلطانيّة .

وبعثه إلى الإسكندريّة[2] فسُجن بها ، إلى أن كانت فتنة أهل الإسكندرية

---

(1) في الدرر : يجلس بكتمر رأس الميسرة ، وكذلك في بقيّة الترجمة . وفي المخطوط ، عكس هٰذا التوزيع .

(2) سجن بالإسكندريّة في رمضان 722 ؛ السلوك 2 / 238 .

[فـ]ـحمل إلى قلعة الجبل هو وبقيّة الأمراء المسجونين ، فقدموا في ثامن عشر رجب سنة سبع وعشرين ، وأرسل هو وتمُر الساقي إلى الكرَك[1] . ثمّ أحضر هو والأمير كراي ليفرج عنهما . فلمّا قدما بركة الحجّاج خرج إليهما الأمير مغلطاي الجمالي ، وصعد بهما إلى قلعة الجبل ، فسجن بكتمُر بها إلى أن مات يوم السبت نصف شعبان سنة ثمَان وعشرين وسبعمائة ، فشهد الأمراء جنازتَه ودُفن بالقرافة .

وكان جواداً ، له صدقات ومعروف ، سليمَ الباطن .

وترك ولدين من أمراء الطبلخاناه بمِصر ، ولم يقع هٰذا لغيره .

935 – بكتمُر الجوكندار [– 716][2]

بكتمُر الجوكندار المنصوريّ ، الأمير سيف الدين ، أمير جاندار .

ترقّى في الخدم حتى صار جوكندار وأحد أمراء الألوف بديار مصر . فلمّا كانت أيّام بيبرس وسلّار ، كان من أهل الحلّ والعقد . ولم يزل الملك الناصر محمد بن قلاوون يقول له إذا خاطبه : يا عمّ ، ويقول لأبنه ناصر الدين محمد : يا أخي .

وحجّ في سنة سبعمائة ، وأنفق في حجّه خمسةً وثمَانين ألفَ دينار وصنع معروفاً كثيراً ، من جملته أنّه حمل في البحر سبعة مراكب مشحونة بالدقيق والقمح وأنواع الإدام ، ما بين سكّر وعسل وزيت وحلوى ونحو ذلك . فوافى ساحل ينبع منها ثلاثة فنقَلها إلى ينبع وجعل ما فيها أصنافاً مثل التلال ، ونادى في الحجّاج : مَن كان محتاجاً إلى مؤنة أو شيءٍ من الإدام أو السكّر أو الحلوى

(1) السلوك 2 / 286 .

(2) الوافي 10 / 198 (4678) ؛ الدرر 2 / 18 (1307) ؛ المنهل 3 / 398 (680) ؛ السلوك 2 / 102 ؛ بدائع الزهور 1 / 440 .

فليحضر !

[256 أ] فأتاه المحتاجون فعمّهم / وفرّق ما بقي على مَن لم يحضر من الأغنياء وعلى أهل ينبع .

ووافت بقيّة المراكب جدّة فحملها إلى مكّة وفرّق ما فيها على أهل مكّة وعلى فقراء حجّاج الشام ، وعاد إلى مصر .

فلم يزل على حاله إلى أن ضجر الملك الناصر من شدّة الحجر عليه وعزم خاصَّكيّتُه على القيام معه . فآستدعى بكتمُر هذا وأعلمَه بحاله وما عزم عليه ، فوافقه على ما أراد ، وأنّه يهجم على الأمير[ين] بيبرس وسلّار في بيُوتهما ويأخذهما . فنُقل الخبر إليهما فاحترسا على أنفسهما ، وثارت فتنة كبيرة آلت إلى إخراج ثلاثة من خاصّكيّة السلطان إلى القدس ، ونفي بكتمُر إلى الصُّبَيْبَة في نصف المحرّم سنة سبع وسبعمائة . فأقام بها إلى شعبان منها ، فرسم له بنيابة صفد بعد وفاة سنقر شاه . فدخلها في ثمانمائة مملوك كانوا يركبون معه فيصير في عسكر يقارب عسكر صفد .

فما زال بها إلى أن خرج الملك الناصر من الكرَك وتوجّه إلى دمشق . [فـ]ـتوجّه إليه وقدم معه مصر . فولّاه نيابة السلطنة بديار مصر في يوم الخميس ثالث عشرين شوّال سنة تسع وسبعمائة .

فلمّا كان في سنة عشر وسبعمائة ، نقل إلى السلطان أنّه قد وافق الأمير بَتخاص المنصوريّ على إقامة الأمير [مظفّر الدين] موسى ابن [الملك] (1) الصالح عليّ بن قلاوون سلطاناً واستمَال مماليك المظفّر بيبرس . فبادر السلطان وقبض على بتخاص وأمير موسى ، ولم يظهر بكتمُر شيئاً . وتتبّع المظفّريّة وأمسك منهم جماعةً كثيرةً نحو المائة وعشرين . فلمّا أوقفوا بين يديه في الحديد ، أخذ بكتمُر الجوكندار فقال له أحدهم : ها هو شغلك المشؤوم .

(1) الزيادات من السلوك 2/ 91 – 92 .

فتغافل السلطان عنه وأمر بقتل الجميع ، ثمّ عفا عنهم ، وتغاضى عن بكتمُر الجوكندار إلى يوم الجمعة سابع عشر جمادى الأولى سنة إحدى عشرة [فـ]ـاستدعاه . فلمّا دخل إليه قبض عليه وعلى صهره أَلِكْتَمُر [الجمدار] [1] وعلى أيدغدي العثمانيّ ومنكوتمُر الطبّاخي ، وسجنوا . وفوّضت نيابة السلطنة بعده إلى الأمير بيبرس اللوادار المنصوريّ .

وحمل بكتمُر إلى الإسكندريّة فسُجن بها . ثمّ نقل إلى الكرَك فأقام بها مسجوناً في عدّة من الأمراء إلى أن قُتلَ في سنة ستّ عشرة وسبعمائة [2] .

وكان خيّراً ساكناً كثير المسالمة لا يرى سفكَ دم أحد ولا يعتني بالقصاص بل يعاقب بالضرب المؤلم حتى يبلغ قريب ألف ضربة ، ويقول : الحيّ خير من الميت ، فليُقم هذا في السجن ! - فكثر الفسادُ في أيام نيابته .

وكان كثير الخير والصدقات ، وقد تقدّم ذكر حجّته وما فعل فيها من أنواع الخير .

وأجرى الماءَ من عين إلى بلد الخليل عليه السلام وأنفقَ عليها أربعين ألفَ دينار . ولمّا فرغ منها وقُدّم له أوراق مصروفها لم يقرأها وغسلها كلّها وقال : شيءٌ خرجنا عنه لله تعالى لا نحاسب عليه .

وعظُم النفع بهٰذه العين ، فقد كان بلد الخليل معطّشاً تباع فيه الشربة بنصف درهم وربّمَا بلغت إلى درهم ، فوسّع الله على يديه وزال ذلك .

(1) الزيادة من السلوك 2 / 102 والنجوم 9 / 231 .
(2) وقتل معه سبعة أمراء « خُنِقوا في ليلة واحدة » ، السلوك 2 / 168 .

936 - بكتمُر السلاح دار الظاهريّ [- 703] [1]

. . . وخرج من القاهرة على عسكر فيه من الأمراء : عزّ الدين طقطاي ، ومبارز الدين أوليا بن قرمان ، وأيدغدي شقير الحساميّ ، وثلاثة آلاف فارس ، مدداً للأمير بدر الدين بكتاش الفخريّ أمير سلاح في قتال أهل سيس من الأرمن . فوصل دمشق في سابع عشر ذي القعدة سنة سبع وتسعين وستّمائة .

وخرج منها بالعسكر في عشرينه يريد حلب فأقام بها . وأخذ الأمير منكوتمُر نائب السلطنة بديار مصر يدبّر مع أستاذه الملك المنصور لاجين على قبض أكابر الأمراء بمِصر والشام . وبعث حمدان بن صلغاي من مصر على البريد إلى بلاد الشام بسبب ذلك ، وأن يرسل الأمير بكتمُر هٰذا إلى مصر على البريد ، ليفرّق شمْل الأمراء .

فسار بكتمُر من حلب ونزل بلبيس ، وقد عزم الأمير منكوتمُر النائب
[256 ب] على / قبضه ، فمنَعه السلطان من ذلك حتى يرد خبرُ قبض الأمراء بحلب . وكان بكتمُر قد أحسّ بالشرّ ، ووصّى قبل خروجه من حلب ، وأخذ ألفَ دينار فتصدّق بها طول طريقه . واتّفق أنّه لمّا نزل بلبيس اشتدّ خوفه وكثر قلقه وغلبه الفكر . فقام وصلّى ركعتين وسأل الله أن يكفيَه ما يخافُه وجدّ في الدعاء ، وإذا بالمسبّح قد صعد المئذنة على العادة وابتدأ بعد البسملة بقوله تعالى : « إنّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً مُبِينًا . . . » الآية (الفتح ، 1) . فتفاءلَ بذلك وسجد لله شكراً — وكان من المتديّنين المشهورين بالخير .

ثمّ ركب من ساعته وقد طاب خاطرُه حتى دخل على السلطان ، فبالغ في

(1) الدرر 2 / 16 (1305) ؛ السلوك 1 / 957 ؛ المنهل 3 / 401 (681) .

إكرامه وسأله عن العسكر وما جرى له في غزاته ، وأظهر له أنّه ما استدعاه إلّا لذلك ، وخلع عليه ، وأمر له بألف دينار إنعاماً ، وردّه إلى حلب .

فشقَّ ذلك على منكوتمُر وعتب السلطان فقال له : والله ما زلت أريد مَسكَه حتى دخل عليّ فغيّر الله ما كان في خاطري منه ، وٱستحييتُ منه لمَا له عليّ من الخدمة .

فلم يرضَ منكوتمُر ، وما زال به حتى كتب له تقليداً بِنِيابة طرابلس عوضاً عن الأمير عزّ الدين أيبك الموصليّ بعد وفاته في صفر سنة ثمَانٍ وتسعين ، ورتّب أنّه يجهّز طلبه وثقله إليها ، ويحضر بمُفرده على البريد إلى مصر لِيُشافِهَه السلطان بأمور مهمّة .

فلمّا ورد المرسوم بذلك أظهر البشرَ به ، وعلِم أنّه قد خُدع ، وٱحترز على نفسه ، وثار من حلب هو وفارس الدين ألبكي و[سيف الدين] [1] عزاز إلى حمص ، وعليها الأمير قبجق نائب دمشق ، وتحالفوا . ورحلوا في ليلة الثلاثاء ثامن ربيع الآخر منها ، ومضوا إلى القان محمود غازان . فأكرمهم وأنعم عليهم ، وسار بهم إلى بلاد الشام ، وهزم عساكر مصر في ثامن عشرين ربيع الأوّل سنة تسع وتسعين ، وولّى بكتمُر هذا حلب وحماه وحمص وعاد إلى بلاده .

فأقام بكتمُر وقبجق وألبكي بدمشق ، ثم ساروا يريدون مصر وقد عادوا إلى الطاعة ، فلقوا السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون على منزلة الصالحيّة في عاشر شعبان ، فأكرمهم وعاد بهم إلى قلعة الجبل وأجرى عليهم ما يليق بهم .

ثمّ أنعم عليه بإمرة مائة تقدمة ألف بديار مصر فلزم الخدمة حتى مات في [. . .] سنة ثلاث وسبعمائة .

وكان من أكابر الأمراء وفرسانها وشجعانها ، مشهوراً بالإقدام في الحروب ، حسنَ الشكل ، قويًّا إلى الغاية ، يرمي على ستّة وخمسين رطلاً

(1) الزيادة من السلوك 1 / 854 .

بالدمشقيّ ، مع خفّة روح وبشاشة وجه ومحبّة في الطرب ورغبة في السماع والرقص ومعاناة الظّرف ، ولبس الكامليّات والتبسّط في المطاعم الفاخرة ، وكثرة الإكرام والإحسان ، بحيث إنّه وشِي إليه بكاتبه شرف الدين المعروف بكاتب النطرون أنّه يُفسد مماليكَه بشرب الخمر وسعة العطاء ، وأنّه أخذ مركباً فيها ستّمائة إردبّ قمحاً عند وصلها من بلاد الصعيد إلى الشونة ، وباعها وأخذ ثمَنَها لنفسِه . فاستدعاه وأحضر مَن حاققَه على ذلك . فلم يزد الكاتبَ على أن نظر إليه طويلاً وتبسّم ، وقال : يا متعوس ، والله لقد رافعت وحش . ويلك ! أحد يسرق ستّمائة إردبّ ويوسّخ عِرضه ! ليتك قلت : ألف إردبّ أو ألفَين – وولّى قفاه وانصرف وهو يضحك ، والأمير أيضاً يضحك . فقيل له : إيش قال الكاتب حتى تركته ؟

قال : بلغني أنّه رجل كريم معطاء لا يُبقي على شيءٍ . فإن كان ما نُقل عنه صحيحاً فقد أتلفه وأكل به وشرِب ، وذهب ولم يبقَ معه شيءٌ ، فلا نحصل منه إلّا على شناعة نقيمُها على أنفسنا .

ولمّا انسحب إلى دمشق لم يخدم هذا الكاتب بعده أحداً حتى عاد . فشكر له ذلك . وأقام سنة يتناول ما رُتّب باسمِه على الحوائج خاناه السلطانيّة من اللحم والكماج [1] والسكّر والتوابل ونحو ذلك من غير أن يطلع الأمير عليه ، ويستهلكه في ملاذّه إلى / أن حضر الأمير يوماً عند الأمير سلّار نائب السلطنة ، [257 أ]
وقد حضر الأمير بيبرس الجاشنكير الأستادار والأمراء لأكل طعامه . فأخذ يعتبهم ويقول : إي والله يا أمراء ، أنتم تشبعوا اللحم ونحن نشتريه وما نشبع منه !

فأنكر الأمراء هٰذا إنكاراً عظيمًا وشقّ عليهم سمَاعُه . وقال له الأمير بيبرس : لمَ تقول هذا يا أمير؟ إن كان راتبُك ما يكفي نزيده .

فقال : ومَن له عندكم راتب ؟ من يوم حضرتُ ما رأيت راتباً ولا غيره .

---

(1) الكُمَاج : الخبز الأبيض أو الدقيق الرطب (دوزي) .

فظنّ بيبرس أنّ راتبه لم يصل إليه وخجل . فلمّا آنفضّوا من عند النائب آستدعى ديوان البيوت وهمّ أن يُوقِعَ بهم . فعرّفوه أنّ الراتبَ مصروف باسمِهِ إلى آخر يومه على يد كاتبه ما بين لحم وتوابل وجرايات وعليق . وكتبوا ذلك في قائمَة ، وبعثها إليه .

وكان بكتمُر لمّا وصل إلى بيته طلب كاتبه وذكر له ما وقع . فتبسّم وقال : والله يا خوند لقد أخجلتهم . – ووقف قدّامه قليلاً وخرج ، فإذا بنقيب معه ورقة بقبض الراتب قد بعثها الأمير بيبرس ، فأخذها منه وعاد إلى بكتمُر وقال له : قد أثّر كلامُك يا خوند عندهم وبعث الأمير بيبرس يطلبني .

فقال : اذهب إليه . وإن ذكر لك شيئاً ، آعتذِر عنّي بأنّي لم أقل ما قلتُ إلّا مزحاً .

فأراه أنّه متوجّه إليه وغاب قليلاً ، وعاد وهو يقول : يا خوند ، لا تسأل ما جرى عليهم بسبب ذلك : طلبوا ديوان الحوائج خاناه وقصدوا ضربَهم ثمّ مُصادرتهم كيف لم يذكّروا الأمير بأمر الرواتب ؟ فما زلت حتى خلّصتهم ، وقال لي الأمير بيبرس والأمير سلّار وبقيّة الأمراء : يا شرف الدين ، ما نعرف سرّ هٰذه القضية إلّا منك ، فقد خجلنا من الأمير – وحلفوا ما عندهم من هٰذا الأمر خبر . فالتزمتُ لهم أنّني أعرّف الأمير أن هذا الراتبَ وصل إليَّ وأنّي كنت أتناولُه ، وأبرّئ الأمراء من عتبه .

فمَشى هذا على بكتمُر وأعجبه منه هذا القول .

فلم يكن غير قليل حتى أعلمه خوّاصّه الحالَ بنصّه وأغرَوه بالكاتب . فلم يغضبه ذلك وقال [لـ]ـمَن أغراه : والك يا نحس ! أنا ما عرفت أنّه كان يأخذ الراتب لنفسه ! ومن أين كان هذا المسكين ينفق مدّةَ غيبتنا في البلاد ؟ ولا بدّ أن يكون قد آستدان بالأ[لوف] فوفّاه من الراتب .

فعُدَّ هذا من نادر كلام الأخلاق ، رحمه الله .

937 - بكتمُر العلائيّ [- 745][1]

بكتمُر العلائيّ . الأمير سيف الدين . أحد المماليك المنصوريّة قلاوون .

تنقّل في الخدم حتى صار من جملة الأمراء . وولي أستادار الملك الناصر محمد بن قلاوون مدّة . وجرّده إلى اليمَن صحبة الأمير بيبرس .

فلمّا قدم أخرجه إلى دمشق . ثمّ بعد مدّة ولّاه نيابة حمص . ثمّ نقله إلى غزّة ، ثم أعاده إلى نيابة حمص . وبها مات في سنة خمس وأربعين وسبعمائة .

وكان مهاباً كثير المال . وهو أخو الأمير بدر الدين بكتوت الفتّاح .

938 - بكتمُر الحاجب [- 728][2]

بكتمُر الحاجب ، الأمير جمال الدين الحساميّ .

كان من جملة مماليك الأمير حسام الدين طرنطاي النائب . فترقّى في الخدم إلى أن أنعم عليه المنصور لاجين بإمرة عشرة . ثم أنعم عليه بإمرة طبلخاناه في نصف ربيع الآخر سنة ستّ وتسعين وستّمائة بعد وفاة بلبان الفاخريّ نقيب الجيش .

ثمّ عمله أمير أخور في سنة سبع وتسعين [وستّمائة] ، فباشر ذلك إلى سنة إحدى وسبعمائة . فثقل على الأميرين بيبرس وسلّار من أجل أنّه أكثر الكلام مع الملك الناصر محمد بن قلاوون – وكان حينئذ محجوراً عليه ، وقصْدُ الأميرين أن لا يتعرّف به أحد – وصرفاه . فأقام بطّالاً مدّة ، إلى أن مات مغلطاي التقويّ

(1) السلوك ، 2/ 675 .

(2) الوافي 10/ 190 (4676) ؛ الدرر 2/ 17 (1306) ؛ المنهل 3/ 386 (677) ؛ النجوم 9/ 277 ؛ تذكرة النبيه 2/ 183 ؛ السلوك 2/ 314 .

بدمشق[1] ، فأنعم عليه بإمرته وأخرج من القاهرة ، وعُمل عوضَه أمير أخور علم الدين سنجر الصالحيّ . فاستقرّ / حاجباً بدمشق إلى أن أفرج عن الأمير سيف [257 ب] الدين بهادر الكَجَميّ الظاهريّ[2] . وأخرج إلى دمشق على إقطاع قيران شادّ الدواين ، واستقرّ حاجباً بها عوضاً عن بكتمُر ، ونقل بكتمُر من الحجوبيّة إلى شدّ الدواوين في سنة خمس وسبعمائة ، فباشر الشدّ إلى ثامن عشرين ذي الحجّة سنة ستّ . ثمّ نقل منه إلى الحجوبيّة ووليَ الشدّ عوضَه آقوش الرستميّ والي الولاة .

فلم يزل إلى أن تسلطن الملك المظفّر بيبرس ، وتحرّك الملك الناصر من الكرَك إلى دمشق ، فدخل بكتمُر في طاعته وسار معه إلى مصر .

فولّاه السلطان نيابة غزّة في سابع عشرين المحرّم سنة عشر وسبعمائة وتوجّه إليها .

ثمّ صُرف عنها بطقلقتمَر في سابع عشرين [. . .][3] ، وقدم القاهرة فولي الوزارة عن الصاحب فخر الدين عمر بن الخليليّ في [11 رمضان 710][4] .

ثم صرف بأمين الملك عبد الله بن الغنّام في سادس ربيع الآخر سنة إحدى عشرة [وسبعمائة] وعمل حاجباً .

ثمّ قبض عليه في أوّل يوم من ربيع الأوّل سنة خمس عشرة وسُجن وأُخِذ له عشرون ألف دينار وخمسمائة ألف درهم وغلال وقيود وغيرها ، تتمّة مائة ألف دينار .

فلم يزل في الاعتقال وهو مُكرّم إلى أن أفرج عنه في يوم الخميس ثالث عشر

(1) السلوك 1 / 923 .
(2) السلوك 2 / 17 .
(3) لم يذكر المقريزيّ الشهر في السلوك أيضاً ج 2 / 89 .
(4) الإكمال من السلوك 2 / 89 .

شوّال سنة ستّ عشرة ، فكانت مدّة سَجنه تسعة عشر شهراً وأيّاماً .

فأنعم عليه بنيابة صفد عوضاً عن بلبان البدري ، وأنعم عليه بمائة ألف درهم . فسار إليها وأقام بها إلى أن صُرف بطغاي الحساميّ الكبير . فقدم إلى القاهرة في سادس عشر صفر سنة ثمَاني عشرة ، وأنعم عليه بتقدمة ألف ، وجلس مع أمراء المشورة ، حتى مات في يوم [الأربعاء حادي عشرين ربيع الآخر] سنة تسع[1] وعشرين وسبعمائة .

939 - بكتمُر الساقيّ [- 733][2]

بكتمُر الساقيّ ، الأمير سيف الدين المظفّري ، أحد مماليك المظفّر ركن الدين بيبرس الجاشنكير .

ربّاه صغيراً وعُرف عنده بمَملوك قزمان . ثم أنعم عليه بإمرة في أوّل يوم من شهر رمضان سنة تسع وسبعمائة في جملة من أنعم عليه[م] ، وهم سبعة وعشرون أميراً ، ولبسوا الخلع جميعاً ، وشقّوا القاهرة على العادة التي كانت إذ ذاك ، فسخر العامّة بهم وقالوا : يا فرحة لا تمّت ! – وذلك أنّ المظفّر كانت أحوال دولته قد ٱختلّت بقوّة الملك الناصر محمد بن قلاوون وتحرّكِه من الكرك لارتجاع ملكه .

وكان كذلك ، وفرّ المظفّر في سادس عشره وبعث بمَن معه من المماليك . فاختصّ السلطان منهم بكتمُر هذا في جماعة ، وأثبت عند القاضي أنّ سائر مماليك سلّار وبيبرس اشتروا من بيت المال . فلمّا ثبت ذلك أعتق بكتمُر فيمَن أعتق ، وجعله ساقياً .

---

(1) في المخطوط : ثمان . والإصلاح من السلوك 2/ 314 والنجوم 9/ 277 .

(2) الوافي 10/ 193 (4677) ؛ الدرر 2/ 19 (1308) ؛ المنهل 3/ 390 (678) ؛ بدائع الزهور 1/ 464 ؛ تذكرة النبيه 2/ 235 ؛ السلوك 2/ 364 ؛ النجوم 9/ 300 .

وكان غريباً في بيت السلطان ليس له خشداشيّة ، فكان هو وحدَه ، وسائرُ الخاصّكيّة حزباً عليه .

وعظمت مكانته عند السلطان وزادت محبّته له ، وأكثر من الإنعام عليه ، وبالغ في تقريبه ورفعة قدره . وقدمت عليه أمُّه في سنة ستّ عشرة [وسبعمائة] فبالغ السلطان في إكرامها والإنعام إليها ، وكتب إلى الأمير جوبان وخواجا علي شاه وحكّام دولة بو سعيد ملك العراقين بتجهيز بقيّة أهل بكتمُر ، وكتب أسماءهم وأماكنهم .

وأقبل السلطان بكلّيته عليه ، وشغلَه حبُّه له عن غيره من الخاصّكيّة حتى إنّه وعك جسمه مرّة فمرّضه بنفسه ، وصار لا يفارقه ساعة واحدة ، ويسقيه الشراب ونحوَه من الأدوية بيده ، ويجلسه معه على الكرسيّ . وإذا قام للضرورة أمره أن يستَمرّ جالساً فوق كرسيّ المملكة ولا ينزلَ عنه حتىّ يعود .

ولمّا مات طغاي الكبير ، وكان الأمير تنكز نائب الشام منتمياً إليه ، قال السلطان لتنكز : خلّ بكتمُر يكون أخاك عوض طغاي واكتب إليه بمَا يريد .

ولمّا ٱستحقّ ولده الختانة عمِل له السلطانُ مهمًّا عظيمًا ، وختَن معه عدّةً من أولاد الأمراء في سنة ثنتي وعشرين ، وأقامت الأفراح أربعة / أيام . فبلغ ما [258 أ]
رماه الأمراء في طشت ابن بكتمُر الذي خُتن فيه أربعة آلاف وأربعمائة دينار وعشرين ديناراً ، وما وقع في طشت ابن الأمير طشتمُر حمص أخضر ثلاثة آلاف دينار تنيف قليلاً ، وفي طشت [ابن] الأمير منكلي بُغا الفخريّ نحو الألفَين وثمانمائة دينار . وأخذ ذلك جميعَه الذي خَتَنَهُم .

وفي ليلة الجمعة ثالث عشر ذي الحجّة سنة سبع وعشرين عقد الأمير أحمد ٱبن بكتمُر السّاقي على قطلوملك ابنة الأمير تنكز نائب الشام ، بإشارة السلطان ، وعمِل لها مهمًّا مدّة سبعة أيام ذبح فيه خمسة آلاف رأس من الضأن ، ومائة بقرة ، وخمسون فرساً . وناب المغاني عشرة آلاف دينار . وخلع على جميع

أرباب الوظائف ، وعلى نائب الشام ، قام بذلك كلّه السلطان[1] .

ثمّ توجّه بكتمُر في ركاب السلطان إلى الحجاز في خامس عشر من شوّال سنة آثنتين وثلاثين . فبلغ السلطان عنه أثناء طريقه أنّه قد وافق جماعة من المماليك السلطانيّة على قتله وأخذه الملك لنفسه . فهمّ بالعود إلى مصر وقد تزايد قلقُه . ثمّ مضى وهو في غاية القلق حتى نزل خُلَيْص[2][فـ]ـفرّ نحو ثلاثين مملوكاً إلى جهة العراق ، فكثر توهّمه من بكتمُر وأخذ يداهنه ويلطف بمُلازمته حتى لم يجد بكتمُر فراغاً من السلطان أن يجتمع بأهله : فإنّه كان إذا ركب أخذه بجانبه في مدّة سيره ، فإذا نزل جلس معه ولا يدعه لحظةً واحدةً ، حتى إن الأمير جنكلي ابن البابا بعث بآبنه ناصر الدين محمد إلى الأمير بكتمُر في حاجة عنّت له ، فأقام نحو عشرة أيام يتردّد إلى مخيّمه وهو لا يجده ، ثمّ آخر أمره وجدَه وقد خرج من عند السلطان فسلّم عليه وأخذ يحادثه ، فقال له : دعني حتى أقضي شغلاً ، وأسمع حديثك – ثمّ دخل الخلاء في خيمة وخرج ليجلس ، وإذا بجمدار بعث به السلطان في طلبه فأخذ يتوضّأ والجمداريّة تتوالى عليه ، فلم يفرغ من وضوءه حتى صار عنده آثنا عشر جمداراً ما منهم إلّا أن يستعجله ، فقام يَمشي وهو يقول : اللهمّ ، أرِحني بالموت حتى أستريح ممّا أنا فيه ! – ولم يتّسع له وقت لسمَاع كلام ابن البابا حتى دخل على السلطان .

فلمّا انقضى موسم الحجّ وعاد السلطان من مكّة ونزل المدينة النبويّة ، هبّت في الليل ريحٌ عاصفة أظلم منها الجوّ وأتلفت[3] جميع الخيم ، وكثر آنزعاج الناس واختبطوا ، وصار كلّ أحدٍ لا يهتدي إلى خيمته ويهجُم على موضع غير موضعه لشدّة الظلمة وقوّة الرياح . وآجتمع المماليك والأمراء حول دهليز السلطان وقد

(1) يبدو أنّ عقد آبن بكتمر وافق بناء قوصون ببنت السلطان ، والحفل واحد ؛ السلوك 2 / 289 .

(2) خليص : بين مكّة والمدينة .

(3) في المخطوط : وألف .

آشتدّ خوفه أن يُغتال في تلك الليلة . وآتّفق مع ذلك هجوم جماعة على أمير أحمد آبن بكتمُر تريد قتله – فآتّهم السلطان بأنّه ندبهم لذلك – فلم يتمكّنوا منه ، ورعب منهم وغُشي عليه .

ثمّ وقع الرحيل من المدينة ، وبكتمُر على عادته مساير السلطان بجانبه ، حتى وصلا بئر عليّ . [فـ]ـوجد أحمد بن بكتمُر في نفسه ألماً تزايد به إلى أن مات بوادي عنتر . ثمّ مات بعده أبوه بكتمُر بثلاثة أيام . فآتّهم السلطان أنه سمَّهُما . فحملا ودُفنا بعيون القصب [1] . وكان يوماً مهولاً ، خرجت فيه أمّ ولد بكتمُر بسببه [2] وصاحت على السلطان بأعلى صوتها : يا ظالم ، أين تروح من الله ؟ ولدي وزوجي ! زوجي كان مملوكك ، ولدي ، إيش كان بينك وبينه ؟ – وكرّرت ذلك حتى سمعها الأمراء ، وهو معرض عَنها . وذلك في يوم [الجمعة عاشر المحرّم سنة 733] [3] . ثمّ نُقلا حتى دُفنا بتربة بكتمُر من القرافة ، وعُمل اجتماع بها مدّة سبع ليالٍ يُقرأ فيها القرآن ، واحتفلت زوجتُه فيها احتفالاً زائداً وتصدّقت بمَبلغ ثلاثين ألف درهم . فرأى الشيخ زادة ، شيخ خانكاه بكتمُر في منامه آخرَ هذه الليالي السبع كأنّ بكتمُر السّاقي على عادته في مكانه الذي كان يجلس فيه إذا جاء لزيارته ، وعلى يَمينه آبنه أحمد ، وهو يقول له : يا شيخ ، كنت في مكان موحش ، فسألت الله تعالى أن يخلّصني منه حتى أجيء وأصلّي معكم وتدعو لي .

وكان بكتمُر قد حظي عند / السلطان حظوة ما نالها أحدٌ غيره ، وعظم [258 ب] شأنُه ، وصار هو الدولة لا يكاد السلطان يفارقه ، إمّا أن يكون بكتمُر عنده ، أو يكون هو في بيت بكتمُر . وأكثرُ أكلهِ في بيت بكتمُر ممّا تطبخه له أمّ أحمد

....

(1) عيون القصب بين العقبة والمويلح على مقربة من ساحل البحر الأحمر و 80 ميلاً من المويلح ؛ النجوم 9/ 105 هامش 2 .

(2) قراءة ظنّيّة .

(3) الإكمال من السلوك 2/ 364 والنجوم 9/ 105 .

آبن بكتمُر في قِدر فضّة ، وينام عندهم حتى ظنّ جماعة أن أحمدَ ابنُ السلطان ، ممّا يحبّه ويقبّله ويحمله . فشهر ذكر بكتمُر بحيث كان لا يهدى إلى السلطان شيء إلّا ويُهدى لبكتمُر مثلُه ، وغالب ما يحمل إلى السلطان يكون لبكتمُر فعظمت أمواله .

وكان يجمع خصالاً حميدة ، ولم يعارض السلطانَ في أمرٍ من الأمور ، وإذا أراد منه أمراً تلطّف فيه حتى يقضيه له . وكان السلطان يرجع إلى رأيه ويَميل حيث مال .

وكان يلاطف الأمراء ويكثر من الإنعام عليهم وعلى مَن دونهم حتى ملك حاشية السلطان بإحسانه إليهم . وبلغ من السعادة مبلغاً لم يحصل لأحدٍ من أقرانه ، وحُملت إليه أمُّه وإخوتُه وكثيرٌ من أهله من بلاد الشرق فشُمِلوا بنعمته .

واتّفق أنّ السلطان في حجّته هذه احتاج إلى مال ليفرّقه على الأمراء ، فحمل إليه بكتمُر أربعين ألفَ دينار قرضاً . وكان مع السلطان في هذه السفرة ثلاثة آلاف ومائة عليقة في كلّ يوم ، وكان مع بكتمُر ثلاثة آلاف عليقة .

وبلغت خيلُه مائة طوالة ، كل طوالة ستّة أرؤس – سوى ما له من الجشارات[1] – بمائة سائس ومائة سطل . وكانت عليقة خيله في كلّ يوم الفـ[ـا] ومائة عليقة .

ووجد له بعد موته ستّة وثلاثون ألفَ إردبّ غلّة ، وحواصل سلاح وغيره ، بمَا ينيف على مائة ألف دينار . وبيعت خيلُه بعدما أخذ السلطان منها أربعين فرساً بألفي ألفٍ ومائتي ألف وثمَانين ألفَ درهم ، سوى ما في الجشارات ، وسوى ما نهبَه الخاصّكيّة وأخذوه بثمَن بخس .

ووُجد له سَرْجٌ واحد وسيف واحد قيمتُهما ستّمائة ألف أخذهُما السلطان .

(1) الجشارات : الخيل المسنّة .

وأخذ له ثلاث[ـة] صناديق فيها الجواهر لا يدرى ما قيمتها . وأبيع له من سائر الأصناف مدّةَ أشهر ما بلغ مالاً عظيمًا . وخصّ موسى صيرفيّة ممّا تقا[ضى] مباشرو ديوانه بعد موته خمسة وعشرون ألف دينار . فانظروا إلى مال يسرق منه الصيرفي هذا القدر ما يكون جملتُه ؟

وكان بكتمُر فيه من الحشمة والرئاسة ورصانة العقل والسكون ما لا يوجد في أحدٍ من أمثاله . وكان مع هذه المنزلة العالية ليست له حماية ولا رعاية ، ولا لغلمانه ذكر ، بل يُغلَق باب اسطبله من المغرب ولا يكاد يوجد به لأحدٍ حسّ .

وعمّر القصرَ الجليل على بركة الفيل ، فبلغت نفقة الصنّاع فيه كلّ يوم ألفاً وخمسمائة درهم ، سوى العجل التي تجرّ الحجارة ، فإنها كانت من عند السلطان ، وسوى الحجّارين والفَعَلة ، فإن الحجّارين من عمائر السلطان ، والفعلة هم المقيّدون من أرباب السجون ، ويبلغ مصروف هٰذا نحو الألف وخمسمائة أيضاً ، وأقامت العمارة فيه نحو سنة .

وكان قريباً من الناس يتلطّف بهم ويسوسهم أحسنَ سياسة ، ومن دخل في أمره قضى شغله على أكمل الوجوه . وكان السلطان لا يخالفه في شيءٍ ، وإذا أنعم على أحدٍ بوظيفة أو إمرة يقول له : رُح إلى الأمير بكتمُر قبّل يده !

وكان يَمنع السلطان من مظالم كثيرة ظهرت منه بعد موته .

وخرج ، في حجّته التي مات فيها ، ساقة الناس بتجمّل زائد وحشمة وافرة ، فكان ثقله وحاله نظير ما للسلطان ، وتزيد عليه الزركش والآلات الذهب . ووجد في خزانته التي حملها معه ، بعد موته ، خمسمائة تشريف ، منها ما هو أطلس بطرز زركش وحوائص وكلوتات ذهب .

ولمّا زوّج آبنته من آنوك ابن السلطان حمل شورها من قصره المطلّ على بركة الفيل إلى قلعة الجبل نهاراً ، وكان شيئاً خارجاً عن الحدّ في الكثرة ، من جملته / زركش ومصاغ زنة ثمَانين قنطاراً من ذهب . [259 أ]

وكان من جملة مرتّبة على السلطان في كلّ يوم مخفيّتان تُحمل إليه بمَنّها[1] سبعمائة درهم حساباً ، عن كلّ مخفيّة ثلاثمائة وخمسون درهماً .

940 - بكتوت العلائيّ [- 693][2]

بكتوت العلائيّ ، الأمير بدر الدين . أرتجعه الملك المنصور قلاوون بعد موت الأمير علاء الدين [. . .] الأستادار فرقّاه حتى صار من أكابر أمراء دولته .

فلمّا أنهزم سنقر الأشقر عن دمشق ولّاه الملك المنصور قلاوون نيابة دمشق ، وكان بها الأمير علم الدين سنجر مقدّم العساكر المصريّة . فلزم الأدب مع سنجر المذكور ، ولم يعارضه في منع ولا عطاء ولا عزل ولا ولاية ، إلى أن صرف في حادي عشر ربيع الأوّل سنة تسع وسبعين وستّمائة بالأمير حسام الدين لاجين الصغير المنصوريّ ، وأستقرّ شادّ الدواوين بدمشق .

ثمّ صرف في شهر رجب سنة ثمانين بأيدكين الفخريّ . وقدم مصر وأستقرّ من أمرائها . وخدم الملك الأشرف خليل . وصار الأمراء إذا خرجوا من خدمة السلطان إلى خدمة ولده المنصور عليّ وأكلوا طعامه ، أنفرد عنهم فلم يرجع .

فلمّا ملك الأشرف بعد أبيه قرّبه وزاد في رتبته ، إلى أن مات في سنة ثلاث وتسعين وستّمائة ، وأتّهم الأمير كتبغا نائب السلطنة بأنّه سمّه خوفاً منه . وكان قد قام مع كتبغا على سنجر الشجاعي وصار يجلس فوق الأمراء .

وأصابه مرض في رجله فكان يصعد إلى القلعة راكباً وينزل على باب دار النيابة . وكان مهاباً له حرمة وصولة ويركب في موكب عظيم .

---

(1) قراءة ظنّيّة .

(2) الوافي 10 / 200 (4680) ؛ المنهل 3 / 411 (687) ؛ والترجمة مكرّرة بأختصار شديد بعد الترجمة القادمة .

941 - بكتوت الخزندار [- 680][1]

الأمير بدر الدين ، أحد أمراء مصر . آستشهد في واقعة التتار على حمص في رابع عشر رجب سنة ثمانين وستّمائة .

942 - بكتوت الأزرق [- 696]

بكتوت الأزرق ، الأمير بدر الدين .

ترقّى في خدمة الملك العادل كتبغا وهو أمير ، إلى أن تسلطن ، فأعطاه إمرة ، وأمّر معه بتخاص وجعله أستادار ، واغزلو ، وقطلوبك ، وكلّهم مماليكه ، في يوم الأحد ، وهو رابع عشرين المحرّم سنة أربع وتسعين وستمائة .

وقتل يومَ خُلع العادل كتبغا على العوجاء في ثامن عشرين المحرّم سنة ستّ وتسعين وستّمائة .

943 - بكتوت الفارسيّ [- 694]

بكتوت الفارسيّ الأتابكيّ ، الأمير بدر الدين ، أحد أمراء مصر .

مات في شهر رجب سنة أربع وتسعين وستّمائة بالقاهرة .

944 - بكتوت الفتّاح [- 710][2]

بكتوت الفتّاح ، الأمير بدر الدين ، أحد المماليك البرجيّة من مماليك المنصور قلاوون .

---

(1) السلوك ، 1/ 696 .

(2) الدرر ، 2/ 23(1318) .

ترقّى في الخدم إلى أن أنعم عليه بإمرة عند عودة الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى السلطنة مرّة ثانية في جمادى الأولى سنة ثمان وتسعين وستّمائة .

ثم عمل أمير جاندار بعد نفي بكتمُر الجوكندار في نصف المحرّم سنة سبع وسبعمائة .

فلمّا تسلطن بيبرس الجاشنكير آختصّ به إلى أن فرّ في سادس عشر رمضان سنة تسع وسبعمائة [فـ]ـخرج معه إلى إطفيح وسار إلى إخميم . ثم تركه وعاد إلى القاهرة ، وقد آستقرّ الملك الناصر بالقلعة ، فأكرمه وخلع عليه .

ثم قبضه بعد قليل وعمل بيبرس الأحمديّ أمير جاندار عوضَه ، وبعث الفتّاح وسجنه بالإسكندرية إلى أن مات جوعاً وعطشاً في [. . .] سنة عشر وسبعمائة بعدما أقام أحد عشر يوماً لا يأكل ولا يشرب .

وآتّفق في الليلة التي مات فيها [أنّه] شوهدت طيورٌ بيض حائمَة على مكانه . فلمّا / دُفن أقامت تلك الطيور تعتاد قبره أيّاماً . [259 ب]

وكان شجاعاً كريمًا خيّراً ، له مال كثير ومهابة زائدة ، وملك عدّة مماليك كثيرة .

وقال فيه :

يا أيّها الفتّاح قد غلقت ... في وجهك أبواب سعير الجحيم
هٰذا جزاء كلّ جبان أبى ... لو متّ بالسيف موت الكريم [1]

---

(1) لم نهتد الى قراءة صالحة لهذين البيتين .

945 - بكتوت القَرماني [- 749] [1]

بكتوت القرماني ، الأمير بدر الدين .

ترقّى في الخدم إلى أن ولي شدّ الدواوين بدمشق ، عوضاً عن طوغان نائب إلبيرة في ثاني شهر رمضان سنة إحدى عشرة وسبعمائة . وسار مع الأمير جمال الدين آقوش الأشرفيّ المعروف بنائب الكرك من القاهرة في أخريات ذي الحجّة ، وعلى يده مسموح بمَا قرّره كراي نائب الشام . فقدم دمشق في رابع عشره . واستقرّ إلى أن عزل بفخر الدين إياز الشمسيّ في أوائل سنة ثلاث عشرة ، ونُقل إلى نيابة الرحبة عوضاً عن بدر الدين [موسى] [2] الأزكشيّ .

ثم نُقل إلى نيابة حمص بعد أرقطاي في سنة ثمَاني عشرة . وعزل في صفر سنة تسع عشرة بالأمير بهادر البدريّ ، ونُقل إلى إمرة بدمشق . فبعثه الأمير تنكز نائب الشام إلى سيس في سنة أربع وعشرين لإحضار حملها فأحضر . ثم أراده أن يتوجّه إليه في سنة ستّ وعشرين فامتنع عليه . فأخذ سيفه وسجنه بالمدرسة العذراويّة ، وكتب بذلك إلى السلطان . فأجابه بأن يحمله إلى قلعة دمشق مقيّداً ويسجنه بها ، ويُنعم بإمرته على الأمير شهاب الدين قرطاي الصلاحيّ نائب طرابلس . فسُجن بها قليلاً .

ثمّ أخرج مقيّداً ونكل به وحُمِل على البريد مقيّداً إلى القاهرة ، وسُفِّر إلى الإسكندريّة هو والأمير [بكتمر] الأبوبكريّ ، وسنجر الجاوليّ فسُجنوا بها [3] .

ثم أفرج عن بكتوت بعد سبع سنين وأشهر في صفر سنة أربع وثلاثين ،

---

(1) النجوم 10 / 237 ، وهو فيها : سيف الدين - وبدر الدين في السلوك 2 / 793 .

(2) الزيادة من السلوك 2 / 123 .

(3) في شعبان 726 ؛ السلوك 2 / 274 ، ولم يسمّ البوبكريّ . وقد مرّت ترجمة بكتمر البوبكري برقم 934 .

وخُلع عليه وصار من جملة أمراء الطبلخاناه ، ورسم بجلوسه في مجلس الملك الناصر محمد ، هو وأمير غانم ، والأمير طقصبا الظاهريّ ، وأن يحضروا في المشورة ، وهم أمراء طبلخاناه .

ولم يزل على ذلك حتى مات في طاعون سنة تسع وأربعين وسبعمائة .

وهو من جملة المماليك المنصوريّة قلاوون ، وأحد البرجيّة ، ومن جملة المائة مملوك الذين أخرجهم الملك المنصور قلاوون لابنه الصالح عليّ لمّا سلطنه . فلمّا مات الصّالح ارتجعوا إلى البرج ، فلمّا كانت دولة البرجيّة تقدّم فيمَن تقدّم منهم ، إلى أن انتقضت دولة المظفّر بيبرس [فـ]أخرج شادّ الدواوين بدمشق .

وحدبت له في ظهره حدبة وهو مسجون انحنى ظهره منها .

وكان مع كثرة ماله وعظيم سعادته لا يزال يطلب الكنوز والمطالب ، ويعاني علم الكيمِياء ، حتى وهو في السجن .

وعمّر عدّة خرائب . وكان شجاعاً فارساً ، منْ أجلّ مماليك الأبراج .

946 – بكتوت الأقرعيّ ، الأمير بدر الدين [– 694][1]

ولي شدّ الدواوين بدمشق في أيام الظاهر بيبرس . وعُزِل في أيام السعيد بركة . وولي شدّ الصحبة في أيام المنصور قلاوون .

وكان ظالماً جبّاراً لا يقبل رشوة .

توفّي سنة أربع وتسعين وستّمائة . ورثاه العلاء الوداعيّ[2] .

---

(1) الوافي 10 / 200 (4681) ؛ المنهل 3 / 411 (686) .

(2) نقل الصفدي 10 / 201 بيتين للوداعيّ في رثائه .

947 - بكتوت المحمّديّ ، الأمير بدر الدين [- 686][1]

شدا شيئاً من النحو على الأثير أبي حيّان . وقال الشعر ، فمنه [مجتثّ] :

من لي بظبيٍ غريرٍ باللحظِ يَسبي الممالكْ
إذا تبدّى بليلٍ جلّى سناه الحوالكْ
من حور رضوان أبهى لكنّه نجل مالكْ

948 - بكتوت الخزنداريّ [- 711][2]

بكتوت الخزنداريّ ، الأمير بدر الدين ، أمير شكار ، متولّي الإسكندريّة ، أحد مماليك الأمير بدر الدين بيليك الخزندار نائب السلطنة في الأيام الظاهريّة بيبرس .

ترقّى في الخدم إلى أن عمله الملك العادل كتبغا أمير شكار وكبره . ثمّ ولي الإسكندريّة وعظمت مكانتُه عند الأميرَين بيبرس وسلّار أيّام تحكّمِهما .

فلمّا عاد الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى / الملك حقد عليه أنّه كتب إلى [260 أ]
المظفّر بيبرس لمّا آضطربت دولته أن يلحق به ليسير معه إلى برقة . وشره مع ذلك في كثرة ماله . وتربّص به الدوائر إلى أن آستأذنه في الحضور فأذن له ، وظنّ أنّه يقبض عليه عند حضوره . فلمّا قدم شكا إلى السلطان جفافَ ماء خليج الإسكندرية سريعاً ، وأشار بحفره ، وآلتزم بعمل ذلك من ماله . فأجابه

(1) الوافي 10 / 201 (4682) ؛ المنهل 3 / 412 (688) ؛ وفي الدليل الشافي 1 / 196 (687) أنّه توفّي سنة 686 .
(2) الدرر 2 / 22 (1216) .

السلطان لهٰذا وتقدّم إلى جميع الأمراء بالعمل معه فيه ، وكتب إلى ولاة الأعمال بمُساعدته [1] .

فسار للعمل في شهر رجب سنة عشر وسبعمائة . ولم تَمضِ إلّا نحو العشرين يوماً حتى اجتمع من رجال النواحي نحو أربعين ألف رجل ، وحضر مباشرو الأمراء ، ووقف مع بكتوت مع العمل الأمير بدر الدين محمد كيدغدي ابن الوزيريّ وجميع الولاة حتى كَمُل : فكان قياسُه من فم البحر إلى شنيار ثمَانية آلاف قصبة ، ومثلها إلى الإسكندريّة . وكان الخليج في الأصل من حدّ شنيار يدخل الماء إليه ، فجعل فم هٰذا البحر يرمي إليه وجعل عُمقَه ستَّ قصبات في عرض ثمَاني قصبات . فلمّا وصل إلى حدّ الخليج الأوّل حفر بمِقدار الخليج المستجدّ فصار شيئاً واحداً ، وركّب عليه السدود والقناطر . ووجد في الخليج صهاريج فيها رصاص كثير جدًّا ، أنعم السلطان به عليه ، فجاء في غاية الحسن . وأُنشيء عليه بلد عُرِفَت بالناصريّة ، وأنشىء عليه فوق المائة ألف فدّان ونحو ستمائة ساقية وأربعين ضيعة . وسارت فيه مراكب التجّار واستمرّ الماء فيه دائمًا ، واستجدّ بالإسكندريّة عليه نحو الألف غيط وعمّرت منه بلاد كثيرة ، انتقل إليها عالَم كثير بعدما كانت سباخاً . ثمّ أنشأ أيضاً جسراً : فإنّ بحر المالح كان إذا هاج تعذّر سلوك المسافرين إلّا بمَشقّة وخطر ، وصار هناك بحيرة عظيمة . فأقام ثلاثة أشهر يعمل رصيفاً مبنيًّا بالحجارة والجير ، وأحكم أساسه بالرصاص ، وركّب عليه نحو الثلاثين قنطرة ، وأنشأ بجانبه خاناً ، وأقام به خفراء وسوقةً يبيعون المآكل ونحوها ، ووقف عليه أرضاً تقوم بمَصالحه . فجاء مصروف هٰذا الجسر نحو الستّين ألفَ دينار ، قام بها من ماله .

وكان خواصُّه يلومونه على كثرة المصروف فيقول : دعه يذهب في وجهٍ نُؤجَر عليه ، ويكون لي ذخيرةً في الآخرة .

---

(1) عرض المقريزي لهٰذه الأشغال الكبيرة في السلوك أيضاً 2/ 111 .

فلمّا فرغ منه رافعه صهره إلى السلطان وأغراه بكثرة أمواله ، فٱستدعاه . فما هو إلّا أن توجّه من الإسكندرية [حتى] مرض . وقدم القاهرة مريضاً . فٱستدعى السلطان أمينَ الملك عبد الله بن الغنّام – وكان يومئذ يلي استيفاء الدولة . وكتب أوراقاً تتضمّن ما قاله صهر بكتوت من المرافعة ، فبلغت أربعمائة ألف دينار عيناً ، وبعث بها إليه مع الأمير بهاء الدين أرسلان الدوادار وابن الغنّام . فلمّا قُرئت عليه قال : قبّلا الأرض بين يدي مولانا السلطان وعرّفاه عن مملوكه أنّه : [إن] كان راضياً عنه ، فكلّ ما كتب في هٰذه الأوراق كذب . وإن كان غيرَ راضٍ فكلّ ما كتب صحيح . وها أنا قد قربت من الموت ، وكلّ ما لي فهو المتصرّف [فيه] وسنجتمع عند الله .

فمات في مرضه هٰذا في ثامن عشرين رجب سنة إحدى عشرة وسبعمائة .

وكان من الأمراء الأعيان الشجعان أرباب المروءات والعصبيّات والمكارم الكثيرة والذكاء . وخلّف مالاً عظيمًا ٱحتوى السلطان عليه .

وأنشأ خارج باب زويلة من القاهرة مسجداً ، ووقف أوقافاً متعدّدة على أنواع البِرّ .

949 – بلال المغيثيّ [– 699] (1)

بلال المغيثيّ الجلاليّ ، الأمير ، الطواشي حسام الدين ، أبو المناقب الحبشيّ ، الجمدار الصالحيّ ، أحد خدّام الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وعُرف بالمغيثيّ لأنّه كان في خدمة الملك المغيث فتح الدين عمر ابن الملك العادل محمد ابن الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبي بكر محمد بن أيوب . وكان حالك السّواد تامّ الشكل .

(1) الوافي 10 / 280 (4781) ؛ السلوك 1 / 905 .

[260 ب] حدّث بدمشق / ومصر عن ابن رواج وغيره . وما زال محترماً في الدول . ورتّبه الملك المنصور قلاوون لالا لأبنِه الملك الصالح عليّ وقال له : هٰذا ولدُك ، ربّيه – فقام بتربيته بحيث لا يركب ولا يدخل إليه أحدٌ إلّا بمَشورته .

وكان يجلس فوق الأمراء كلّهم مثل بيسريّ وسنقر الأشقر . وإذا رآه قلاوون [قال :] رحم الله أستاذَنا – يعني الملك الصالح نجم الدين أيوب – ثم يقول : كنت أسبل شرموزة هٰذا المقدّم حسام الدين حتى يخرج أقدّمها له .

وكان الأمير طرنطاي نائب السلطنة مرّة في دست نيابته وقد دخل إلى باب النحاس من القلعة ، وبلال هٰذا قدّامه ، فقال : يا طواشي حسام الدين !

فٱلتفت بغضب وقال : طواشي أبوك حتى تناديني يا طواشي ؟ مَن ربّاك بهٰذا الأدب ؟ – فخجل طرنطاي مع عظمتِه ومشى إليه وعانقَه وقبّل صدره وقال له : والله يا سيّدي وقع منّي سهو وقلّة أدب – ونحو ذلك من الاعتذار . وخشي أن يبلغ هٰذا عنه إلى السلطان ، لما يعلمه من علوّ منزلته عنده .

فلمّا كانت سلطنة الملك العادل كتبغا جعل إليه أمر الملك الناصر محمّد بن قلاوون . وهو مع ذلك كبير خدّام الحرم النبويّ .

وكان يسكن بدار الملك الصالح نجم الدين من قلعة الجبل . فإذا ٱنقضت الخدمة السلطانيّة دخل إليها ومدّ سمَاطه وحضر عنده عدّة من الأمراء وغيرهم لأكل طعامه ، فيجلس على طرف الإيوان ، ومرتبة الملك الصالح في صدر المكان . فإذا قيل له : لم لا تجلس فوق الإيوان ؟ يقول : هٰذا مكان أستاذي ، لا يُمكن الجلوس عليه ولا بالقرب منه .

وكانت له مكارم كثيرة وصدقات ومعروف . وله أوقاف على الحرم النبويّ وأوقاف على عتقائه وذراريهم ، أبطل كثير[اً] منها مجد الدين عيسى بن الخشّاب وكيل بيت المال بعد موته ، وأثبت أنّه وقفها وقد ٱختلّ عقلُه . وكان يهب الفرجيّة بالألف فمَا دونها .

ومدحه الشعراء . واتّفق أن شرف الدين القدسيّ الكاتب أنشده قصيدة يَمدحه بها أوّلها [خفيف] :

ما رأى الناس مثلَ حسنك لالا   هكذا هكذا وإلّا فلا لا !

فتبسّم وقال : يا شرف الدين ! الحُسن يكون بعد الثمَانين ؟ والله أسرفتَ في التّجمّل !

فقال : يا سيّدي ، أحسنُ الشعر ما كذب فيه الشاعر .

فأعجبه ذلك وأجازه خمسمائة درهم .

وكان يتأنّق في الأطعمة ، ويعجبه مَن يُمعن في الأكل على سمَاطه لكنّه يكره مَن لا يتحفّظ في أكله ، من إتلاف السفرة أو نثر الطعام بيده ونحو ذلك .

وما زال وافر الحرمة عظيم الوجاهة صاحب نعم جليلة وأموال جمّة ، وغلمَان وأتباع على خُلُقه وآدابه مع كثرتهم ، إلى أن خرج مع العسكر لقتال غازان . فمَرض ولم يحضر نوبة حمص ، وعاد من دمشق إلى السوادة ، فمات بها في تاسع شهر ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وستّمائة . ودُفن بقطيا ، ثم نقل منها إلى تربتِه بالقرافة .

وله إلى الآن أوقاف تُعرَف به . رحمه الله ، فقد كان من محاسن الخدّام وصلحائهم وكرمائهم وعظمَائهم .

950 - بلبان الحسنيّ [- 749]

بلبان الحسنيّ ، أمير جندار المنصور قلاوون .

كان صارماً مهاباً . عمّر زيادة على ثمَانين سنة . ومات في الطاعون العام سنة تسع وأربعين وسبعمائة .

951 - بلبان المشرفيّ [- 678]

بلبان المشرفيّ ، الأمير علم الدين ، أحد أمراء الطبلخاناه في أيام السعيد ابن الظاهر .

مات في سنة ثمَان وسبعين وستّمائة .

952 - بلبان النوفليّ [- 678]

بلبان النوفليّ ، الأمير ناصر الدين ، أحد أمراء الطبلخاناه في أيام السعيد .

مات في سنة ثمَان وسبعين وستّمائة .

953 - بلبان الروميّ دوادار العلامة [- بعد 679]

بلبان الروميّ ، الأمير سيف الدين . أقامه الملك المنصور قلاوون دوادار
[261 أ] العلامة لا غير ، مع القاضي فتح الدين / محمد بن عبد الظاهر في سادس جمادى الآخرة سنة تسع وسبعين وستّمائة .

954 - بلبان الروميّ الظاهريّ [- 680][1]

بلبان الروميّ ، الأمير سيف الدين الدوادار الظاهريّ . آستشهد في وقعة حمص بأيدي التتار لأربع عشرة خلت من شهر رجب سنة ثمانين وستّمائة .

(1) لعلّه نفس المترجم السابق .

955 – بلبان « الله كريم » [– 687]

بلبان العلائيّ ، أحد المماليك البحريّة الصالحيّة ، الأمير شرف الدين ، ويعرف بقول « الله كريم » .

ترقّى في الخدم إلى أن صار من أمراء مصر . وكان الملك المنصور قلاوون يكرمه ويزوره إذا مرض ، فإنّه خوشداشه .

ومات يوم الثلاثاء سادس عشرين جمادى الآخرة سنة سبع وثمَانين وستّمائة ، ودُفن بالقرافة .

956 – بلبان الطبّاخيّ [– 700] [1]

بلبان الطبّاخيّ ، الأمير سيف الدين ، أحد المماليك المنصورية .

كان مملوكاً للحاج إبراهيم إخوان سلّار[2] قلاوون . ربّاه صغيراً وكان يدخل معه إلى قلاوون . وكان أميراً يحمل شرموزته عندما يقدّم الطعام فاشتراه منه قلاوون بثلاثة آلاف درهم ورقّاه في خدمته إلى أن تسلطن . فأنعم عليه بإمرة . ثم ولّاه نيابة السلطنة بحصن الأكراد وما معه من الفتوحات في العشرين من ذي القعدة سنة ثمَان وسبعين وستّمائة .

ثمّ ولّاه الأشرف خليل نيابة حلب عوضاً عن قراسنقر في شوّال سنة إحدى وتسعين . فسار إليها وبعث العسكر إلى ملطية في ألفٍ وخمسمائة فارس عليهم

(1) الوافي 10 / 282 (4788) ؛ المنهل 3 / 422 (699) ؛ السلوك 1 / 917 ؛ النجوم 8 / 194 .

(2) إخوان سلار لقب يعني صاحب الخِوان ، أي المكلّف بالمطابخ . انظر صبح الأعشى ، 5/ 471 و 6/ 170 .

بكتمُر الحلميّ فهجموا ربَضها وأوقعوا بأربعة آلاف من المغل وقتلوا كثيراً منهم وعادوا بعيالهم .

فلمّا قدم غازان إلى الشام حضر نوبة حمص وأبلى فيها بلاءً عظيمًا ، وعاد مع المنهزمين إلى مصر في يوم الأربعاء ثاني عشر ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وستّمائة .

وخرج مع العسكر ثانياً في أوائل رجب منها إلى دمشق ، وطلب الإعفاء من نيابة حلب فأعفي ، وولي عوضَه قراسنقر .

وعاد إلى مصر فأنعم عليه بإمرة مائة . وأقام إلى أن خرج مع السلطان لحرب غازان في نصف صفر سنة سبعمائة ، وأقام بمَنزلة العوجاء . فمات بها في سابع عشر ربيع الأوّل منها ، فدفن هناك . وأوصى ألّا يُنقل من موضعه . فأنعم بإمرته على كراي عوضاً عن نيابة صفد .

957 – بلبان الفاخريّ [– 697] [1]

بلبان الفاخريّ ، الأمير سيف الدين ، نقيب الجيش بديار مصر .

توفّي في رابع عشر ربيع الآخر سنة سبع وتسعين وستّمائة . وكان أحد أمراء الطبلخاناه فأنعم بإمرته على الأمير سيف الدين بكتمُر الحساميّ طرنطاي أمير أخور بعدما كان بيده إمرةُ عشرة . واستقرّ في نقابة الجيش طيبرس الخزنداريّ .

958 – بلبان الجاشنكير [– بعد 709]

أنعم عليه الملك الناصر محمد بن قلاوون بإمرة في شوّال سنة تسع وسبعمائة .

---

(1) السلوك 1 / 850 .

959 - بلبَان طُرنا [- 734] [1]

بلبان طرنا ، الأمير سيف الدين ، أحد المماليك [. . .] .

ترقّى حتى صار أمير جندار . ثمّ ولي نيابة صفد في سنة آثنتي عشرة وسبعمائة عوضاً عن بهادرآص . فباشرها إلى أن جعل السلطان أمرَ الشام كلّه يرجع إلى الأمير تنكز ، ورسم لسائر النوّاب بمُكاتبته ليكاتب هو السلطان عنهم . فآمتثلوا ذلك وصاروا لا يتحرّكو[ن] بحركة حتى يستأذن كلّ منهم تنكز ، فتارة يجيب وتارة لا يعبأ . فلمّا أراد هٰذا أنف منه بلبان وقال : إنّ الإمرة أقلّ وأخسّ . لأن يخرج الإنسان فقيراً خيرٌ من مقاساة ما نحن فيه .

فبلغ كلامه تنكز فغضب ، وكتب يعرّف السلطان . فرسم في صفر سنة أربع عشرة بولاية بلبان البدريّ نيابة صفد ، والقبض على بلبان طرنا . فقبض عليه في حادي عشر ذي القعدة سنة أربع عشرة وسبعمائة ، وحمل إلى مصر مقيّداً فسجن بها ، إلى أن أفرج عنه يوم الاثنين رابع عشرين شعبان سنة ستّ وعشرين وسبعمائة ، وخلع عليه ، وسفّره إلى دمشق على إمر[ة] طبلخاناه / . ثمّ كانت له [261 ب] إمرة مائة . وكانت مدّة سجنه آثنتي عشرة سنة .

960 - بلبان البدريّ [- 727] [2]

بلبان البدريّ ، الأمير سيف الدين ، أحد المماليك الناصريّة محمد بن قلاوون .

---

(1) الوافي 10 / 283 (4790) ؛ الدرر 2 / 27 (1338) ؛ المنهل 3 / 421 (698) ؛ السلوك 2 / 274 ؛ النجوم 9 / 304 .

(2) الدرر 2 / 25 (1329) ؛ النجوم 9 / 269 ؛ السلوك 2 / 291 .

ترقّى في الخدم إلى أن صار من الأمراء . وولي إمرة الركب الشاميّ في سنة سبع وسبعمائة . وولي نيابة قلعة دمشق عوضاً عن بهادر السنجريّ في شهر رمضان سنة إحدى عشرة . وعزل منها ، وتوجّه إلى نيابة صفد بعد صرف بلبان طُرنا في صفر سنة أربع عشرة وسبعمائة . وصرف في شوّال سنة ستّ عشرة بالأمير بكتمُر الحساميّ المعروف بالحاجب . ودخل مصر . ونقل إلى دمشق من جملة الأمراء .

وولي نيابة حمص عوضاً عن بكتوت القرمانيّ في صفر سنة تسع عشرة .

ومات بها في ليلة الخميس أوّل شوّال سنة سبع وعشرين وسبعمائة ، ونقل إلى دمشق فصُلّي عليه ودُفن بسفح قاسيون .

وكان شجاعاً عاقلاً مهذّباً سليم الباطن . وخلّف مالاً جزيلاً .

ووليَ حمص بعده [الأمير بلبسطي] [1] .

961 - بلبان القبجقيّ [- 723]

[مات ؟] في سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة .

962 - بلبان الهارونيّ [- 692] [2]

بلبان الهارونيّ ، الأمير [سيف الدين] ، أحد المماليك الصّالحيّة .

ترقّى في الخدم وصار من جملة الأمراء . وكان ممّن أعان على قتل المظفّر بقُصَيْر وممّن قام مع كُوَنْدَك على المنصور قلاوون . ثم أفرج عنه . وقبضه الملك الأشرف خليل وقتله في أوّل ليلة من المحرّم سنة آثنتين وتسعين وستّمائة .

---

(1) بياض بالمخطوط ، والإكمال من السلوك 2 / 288 .
(2) السلوك 1 / 704 والنجوم 8 / 37 .

963 – بلبان الكُوُنْدَكي [– 730] [1]

بلبان الكُوُنْدَكي ، الأمير سيف الدين ، أحد مماليك كوندك نائب الملك السعيد بركة بن الظاهر بيبرس .

ترقّى في الخدم حتى صار من أمراء دمشق . ومات في تاسع عشرين شعبان سنة ثلاثين وسبعمائة .

وكان مشكوراً . فأخرج من مصر طنبغا حاجّي على إقطاعه .

964 – بلبان الشمسيّ [– 745] [2]

بلبان الشمسيّ ، الأمير سيف الدين ، أحد المماليك المنصوريّة قلاوون .

تنقّل في الخدم وصار أميراً . وتوجّه أمير الحاجّ فلم يحسن سياستهم ، فتنكّر له السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وأخرجه على إمرة بدمشق . ثمّ نقل إلى حلب وبها مات في سنة خمس وأربعين وسبعمائة .

965 – بلبان الغُلْمَشيّ [– 709] [3]

بلبان الغلمشيّ ، الأمير سيف الدين .

أصله مملوك ابن الصائغ بدمشق . وسمع بها الحديث في صغره . ثم قدم

(1) الدرر 2 / 27 (1341) ؛ السلوك 2 / 326 وهو فيه : الكوندي المهمندار الدواداري ، وكوندك النائب الظاهريّ معروف (السلوك 1 / 686) .

(2) السلوك 2 / 675 .

(3) الدرر 2 / 24 (1326) ؛ النجوم 8 / 151 .

مصر وتنقّل في الخدم وصار من أمرائها ، وولي الشرقية والكشف . وسفك دماءً كثير من المفسدين فهابته العربان وضجّوا بقولهم « الغُول مَشي » ، فبقي هٰذا اللقب عليه وقيل له الغُلْمَشي .

ومات في سنة تسع وسبعمائة .

966 - بلبان الجوكندار [- 706] [1]

بلبان الجوكندار ، الأمير سيف الدين ، أحد المماليك [المنصوريّة قلاوون] .

ترقّى في الخدم ، وولي نيابة قلعة صفد في سنة تسع وتسعين وستّمائة . ثم صُرف عنها وأعطي إمرة دمشق ، وولي شدّ الدواوين بها في ربيع الآخر سنة سبعمائة فشكرت ولايتُه . ونقل بعد علم الدين سنجر أرجواش إلى نيابة قلعة دمشق في جمادى الأولى سنة اثنتين وسبعمائة ، فباشرها إلى جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعمائة . [ثم] ولي نيابة حمص ، فما زال بها حتى مات في ذي الحجّة سنة ستّ وسبعمائة .

وكان بخيلاً أميناً عفيفا .

وولي حمص بعده تَمُر الساقي .

967 - بلبان الحساميّ [- 736]

بلبان الحساميّ ، الأمير سيف الدين أحد مماليك الأمير حسام الدين طرنطاي النائب .

(1) الوافي 10 / 283 (4789) ؛ الدرر 2 / 26 (1333) ؛ السلوك 2 / 31 ؛ النجوم 8 / 224 ؛ المنهل 3 / 420 (697) .

كان شحنة ، ثمّ آستقرّ من جملة البريديّة . فلمّا تنكّر الأمير قَوْصون على أيدكين[1] والي القاهرة طلب الملك الناصر محمد بن قلاوون بلبان هٰذا . فطلع إلى قلعة الجبل راكباً حماراً . فخلع عليه في [جمادى الأولى] [2] سنة خمس وثلاثين وسبعمائة ، وآستقرّ في ولاية القاهرة ، فنزل وقد ركب فرس الإمرة وباشر الولاية مباشرة مشكورة .

ثمّ صرف بعلاء الدين علي بن حسن المروانيّ في [شوّال سنة 735] [3] ، ثمّ ولي دمياط فأقام بها قليلاً وعاد .

فلم يزل في داره حتى مات في شهر رمضان سنة / ستّ وثلاثين وسبعمائة . [262 أ] وكان مشكوراً .

968 – بلبان البيسريّ السعودي [– 736] [4]

بلبان البيسريّ – ويسمّى عبد اللطيف – الشيخ سيف الدين ، أحد مماليك الأمير بدر الدين بيسريّ .

[خدم مدّة ثمّ][5] انقطع بزاوية أبي السعود [خمساً و][6] خمسين سنة وعمل بها شيخاً حتى مات سنة ستّ وثلاثين وسبعمائة ودُفن بها .

وكان مشهوراً بالخير والعفّة .

....

(1) بعد أيدكين : كان شحنة ، وكأنّها مكرّرة عن السطر السابق .
(2) بياض بالأصل ، والإكمال من السلوك 2 / 277 .
(3) بياض بالأصل ، والإكمال من السلوك 2 / 385 .
(4) الدرر 2 / 25 (1327) ؛ السلوك 2 / 405 وسمّاه عبد اللطيف بلبان بن عبد الله .
(5) إضافة من الدرر .
(6) إضافة من السلوك .

969 - بلبان المحمّدي [- 745]

بلبان المحمّدي ، الأمير سيف الدين ، أحد المماليك المنصورية قلاوون .

ترقّى في الخدم حتى صار من الأمراء . [. . .] في قتله الأشرف خليل بن قلاوون ، وفرّ مدّةً ، ثمّ عاد . فلمّا قدم الناصر محمد بن قلاوون من الكرَك قبض عليه سبعاً وعشرين سنة . ثمّ أفرج عنه وعمله أمير عشرة بطرابلس . ثم نقل بعد مدّة إلى إمرة دمشق فمات يوم قدومها سنة خمس وأربعين وسبعمائة [1] .

970 - بلج بن بشر القشيريّ [- 124] [2]

[بلج بن بشر بن عياض القشيري ، الدمشقيّ ، أبن أخي كلثوم بن عياض القشيريّ عامل هشام بن عبد الملك على إفريقية بعد عبيد الله بن الحبحاب . وقد ندب هشام كلثوماً لقتال البربر وولّاه إفريقية وبعث معه ثلاثين ألف فارس ، وعهِدَ إن حدث بكلثوم حدث ، أن يكون ابن أخيه بلج مكانَه فوصل جند الشام إلى إفريقية في رمضان سنة ثلاث وعشرين ومائة] [3] وسار بلج على مقدّمة كلثوم بن عياض إلى إفريقيّة فعامل أهل القيروان بالجفاء والتكبّر عليهم .

---

(1) الدرر 2 / 28 (1343) وبعض الكلام مطموس .

(2) الأعلام 2 / 50 ؛ نفح الطيب 3 / 19 ؛ تهذيب ابن عساكر 3 / 293 ؛ ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ج 1 / 296 ؛ البيان المغرب 1 / 54 ، 2 / 34 ؛ جذوة المقتبس 180 (رقم 336) ؛ بغية الملتمس 249 (592) ؛ حسين مؤنس : فجر الأندلس ، القاهرة 1959 ص 200 و 217 ؛ دائرة المعارف الإسلاميّة 1 / 1021 .

(3) سقوط طويل بالأصل ، والتعويض من المصادر الأخرى .

وسار مع كلثوم إلى قتال خالد بن حميد الزناتيّ رئيسَ البربر من الخوارج الصفريّة ، فقاتلوهم ، وقُتل كلثوم [بن عياض عمّه] ، وحبيب بن أبي عبيدة بن عقبة ٱبن نافع الفهريّ . وٱنهزم بلج ، وثعلبة [بن سلامة العامليّ] الجذاميّ ، وبقيّة [من] أهل الشام ، إلى الأندلس ، وفيهم عبد الرحمان [بن حبيب] بن أبي عبيدة . فٱتّبعهم [أبو] يوسف الهواريّ – وكان طاغية من طواغي البربر – فأدركهم فقاتلهم فقتل أبو يوسف وٱنهزم أصحابه ، ومضى بلج وثعلبة إلى الأندلس .

وكان كلثوم قد كتب إلى أهل الأندلس – وعليها عبد الملك بن قطَن الفِهريّ – يأمرهم بإمداده والخروج إليه ، فوافاهم بلج [وقد وقعوا إلى مجاز الخضراء ، وتقدّم عبد الرحمان بن حبيب أمام بلج إلى الأندلس . . . ثمّ قدِم بلج][1] ، فأقام بالجزيرة ، وكتب إلى عبد الملك بن قطن يعلِمُه أنّه خليفة كلثوم ٱبن عياض ، وشهد [بذلك] له ثعلبة الجذاميّ وأصحابه . وكان الرسول بينهما قاضي الأندلس . فسلّم عبد الملك بن قطن بولاية بلج ، على كره من عبد الرحمان بن حبيب ، فخرج عبد الرحمان من قرطبة كارهاً لولاية بلج .

ثمّ إنّ بلجاً لمّا قدم قرطبة حبس عبد الملك بن قَطَن في السجن . وثار عبد الرحمان بن حبيب ومعه أميّة بن عبد الملك بن قطن ، فجَمَعا لقتال بلج . فأخرج بلج عبدَ الملك بنَ قطن من السجن وقال له : قم في المسجد فأخبِر الناسَ أنّ كلثوماً كتب إليك أنّي خليفتُه . فقام وقال : أيّها الناس ، إنّي والي كلثوم ، وإنّي محبوسٌ بغير حقّ ! – فضرب بلج عنقه . ثمّ قدّم عبدُ الرحمان بن حبيب الجموع فخرج إليه بلج ومن معه من أهل الشام وكان بينهم نَهْر . فلمّا كان الليل عبر عبد الرحمان إلى قرطبة ، وخليفة بلج بها القاضي [وقد كان القاضي ٱتُّهم بدم عبد الملك بن قطن][2] ، فأخذه وسمَل عينيه وقطع يديه ورجليه وضرب عنقه

(1) زيادة من ابن عبد الحكم 296 .
(2) زيادة من ابن عبد الحكم 297 .

وصلبَه على شجرة وجعل على جُثّته رأس خنزير ، وبلج لا يشعر . ثم خرج من قرطبة فقاتله بلج فأنهزم عبد الرحمان . ثم جمع جمعاً آخر فقُتل بلج ومَن معه – ويقال : إنّ بلج لم يُقتل ، إنّمَا مات موتاً بعد قتله ابن قطن بشهر في سنة خمس وعشرين ومائة .

وقد قيل في خبر بلج أنّه لمّا فعلت البربر بإفريقيّة ما فعلت في سنة تسع عشرة ومائة حصروا بلجاً حتى ضاق عليه وعلى مَن معه الأمرُ وأشتدّ الحصر وهم صابرون ، فبعث بلج إلى عبد الملك بن قَطَن أن يرسل إليه مراكب يجوز فيها بمَن معه إلى الأندلس ، وعرَّفه ما هم فيه من الشدّة ، وقد أكلوا دوابّهم . فلم يجبه إلى عبور الأندلس ووعده بإرسال الميرة ولم يفعل . فاتّفق أنّ البربر قويت بالأندلس فأضطرّ إلى إدخال بلج ومن معه . فجمع أصحابه واستشارهم في ذلك ، فخوّفوه من بلج ، فقال : إنّي أخاف أمير المؤمنين أن يقول : أهلكت جندي – فأجازهم وشرط عليهم أن لا يقيموا غير سنة ويرجعوا إلى إفريقيّة . فأجابوه وأخذ رهائنهم وجازوا إليه . فلمّا رأى سوء حالهم وفقرَهم وعُريَهم كساهُم وخوّلهم ، وخرج بهم إلى شدونة ، فقاتل جمعاً من البربر وظفر [بـ]ـهم وغنِمَ أموالهم ودوابّهم وسلاحهم . فصلحت حال بلج وأصحابه ، وصار لهم دوابٌّ يركبونها .

فتقدّم إليهم عبد الملك أن يخرجوا من الأندلس . فأجابوه وطلبوا منه [262 ب] مراكب يسيرون بها / من غير الجزيرة الخضراء خوفاً من البربر الذين حصروهم . فامتنع عبد الملك وقال : ليس لي مراكبُ إلّا في الجزيرة . فأبَوا أن يتوجّهوا من طريق البربر خشية أن يقتلوهم . وألحّ عبد الملك على بلج في الخروج ، فثار به وقاتله وظفر به في أوائل ذي القعدة سنة ثلاث وعشرين ومائة ، وأخرجه من قصر قرطبة وقتله وصلبه ، ووليَ الأندلس . ففرَّ قَطَن وأُمَيَّةُ ، آبنا عبد الملك بن قَطَن ، وصار أحدهُما بماردة والآخر بسرقسطة . وآستنجدا بأهل البلاد والبربر فاجتمع لهما مائة ألف مقاتل . ورجعوا فقاتلهم بلج قتالاً شديداً جُرح فيه عدّة

جراحات ، وظفر بأبني عبد الملك والبربر ومَن معهم ، وأكثرَ من القتل فيهم ، وعاد إلى قرطبة مظفّراً منصوراً [1] . فبقي سبعة أيام ومات من الجراحات في شوّال سنة أربع وعشرين ومائة . فكانت ولايتُه أحدَ عشر شهراً . فقام من بعده ثعلبة ابن سلامة العامليّ .

971 - بلك المظفّريّ [- 749] [2]

بلك المظفّري ، الأمير سيف الدين ، أحد مماليك المظفّر بيبرس الجاشنكير ، ثمّ أحد مماليك الناصر محمّد .

ترقّى في الخدم حتى صار أمير مائة مقدّم ألف . ومات في طاعون سنة تسع وأربعين وسبعمائة . وكان حشماً رئيساً .

972 - بلك الجمدار الناصريّ [- 749] [3]

بلك الجمدار الناصريّ ، الأمير سيف الدين ، أحد المماليك الناصرية محمد ابن قلاوون .

ترقّى في الخدم حتى صار من أمراء الطبلخاناه بديار مصر . ثمّ أخرج لنيابة صفد في الأيام الصالحيّة إسمَاعيل [4] . وعُزل بالأمير ألْ ملك ، وأعيد إلى مصر أميرَ مائة مقدّم ألف في شهر ربيع الآخر سنة ستّ وأربعين . فلم يزل على ذلك حتى مات في طاعون سنة تسع وأربعين وسبعمائة .

---

(1) روى ابن الأثير هذه الأحداث في الكامل تحت سنوات 117 و 123 و 124 .
(2) النجوم 10 / 236 .
(3) الدرر 2 / 28 (1346) ؛ الدليل الشافي 1 / 199 (ولم ترد الترجمة في المنهل الصافي) .
(4) في آخر صفر 744 ؛ السلوك 2 / 646 .

973 - بلجك الناصريّ [- بعد 753] [1]

بلجك الناصريّ ، ابن أخت الأمير قوصون .

كان معظّماً في أيام خاله ، وتزوّج بنت تنكز فصار عديل السلطان .

فلمّا زالت دولة قوصون أخرج إلى حلب أمير مائة [و]أعيد في شوّال سنة ثمَان وأربعين ، وأمير تقدمة ألف في الشام في سنة تسع . ثم ولي نيابة عشرة في المحرّم سنة خمسين . ووقعَت له مع العرب وقعة أسروه فيها ثمّ أطلقوه . فأعيد إلى دمشق بإمرة .

ثمّ نقل إلى مصر في سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة في إمرة بيبغا أروس .

974 - بُنان الحمّال الزاهد [- 316] [2]

بُنان بن محمد بن حمدان بن سعيد ، أبو الحسن الحمَّال ، واسطيّ سكن مصر ، ومات بها في سنة ستّ عشرة وثلاثمائة .

وهو من جملة المشايخ القائلين بالحقّ والآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر ، له في ذلك مقامات مشهورة وكرامات مذكورة وأحوال جميلة .

وكان يدخل على الأمراء فيأمرهم بالمعروف من غير محاباة ، وينهاهم عن المنكر بلا مداجاة . وكان أزهد أهل زمانه بمِصر ، وله مع أبي الجيش خمارويه ابن أحمد بن طولون ومع الأمير تكين قصص معروفة ، وأحوال مرضيّة .

(1) في السلوك 2/334 : ملجك .

(2) طبقات الشعرانيّ 1 / 98 (187) ؛ جامع كرامات الأولياء 1 / 369 ؛ طبقات السلميّ ، 291 ؛ حلية الأولياء 10 / 324 ؛ الرسالة القشَيْريّة 31 ؛ حسن المحاضرة 1 / 512 ؛ شذرات 2 / 271 ؛ تاريخ بغداد 7 / 100 (3543) ؛ النجوم 3 / 220 .

وصحب أبا القاسم الجنيد وغيرَه . وعنه أخذ [أبو الحسن] النوريّ [1] . وحدّث بمِصر ، وآخر مَن روى عنه الحسن بن رشيق .

وسُئل عن أحوال الصوفيّة فقال : الثقةُ بالمضمون ، والقيام بالأوامر ، ومراعاة السرّ ، والتخلّي عن الكونين بالتشبّث بالحقّ .

وقال : رؤية الأسباب على الدوام قاطعة عن مشاهدة المُسبِّب ، والإعراض عن الأسباب جملةً يؤدّي بصاحبه إلى ركوب الباطل .

ومن كراماته أنّ الأمير أبا الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون لمّا خلع على كاتبه بحنس بن مسيس النصرانيّ وأركبه فرساً ، نظر إليه بنان ، فٱستعظم ركوب نصرانيّ فرساً . فقام إليه برفقٍ وأمره بالنزول وقال : ما يجوز لمِثلك أن يركب هذا .

فثار بحنس وحلف أنّه ما اختار ذلك . وانصرف بحنس وبنان . فبلغ أبا الجيش ما فعله بنان ، فغضب وأمر بإحضاره . فأعلم ببركتِه عند الخاصّ والعامّ ، وخُوّف أن ينقلب البلد وتثور الرعيّة ويتفاقم الأمر . فعظم في قلب أبي الجيش ذلك وقال : أحبّ لقاءه وسؤالَه الدعاء .

فأحضره مكرّماً ، فكأنّمَا صاح في الناس صائح ، فلم يبقَ أحدٌ في البلد حتى لحقه . فما بلغ / الميدان إلّا ومعه زيادة على عشرة آلاف . وتزايد الناس [263 أ]
حتّى ظُنَّ أنّه لم يبقَ في البلد أحدٌ من كلّ صنف . وعرف أبو الجيش ذلك فٱزداد في قلبه محبّة وقال : أنا أمتحنُ هٰذا الرجل بمَا أتبيّن به موضعه من الله سبحانه .

فأمر بأن يطلق عليه السبع إذا دخل إليه . وأدخل بنان فسلّم فردّ عليه السلام ، وجلس من غير إذنٍ له بالجلوس ، وجيء بالسبع فأطلق عليه . فلمّا رآه السبع ، وكان ضارياً ، أقبل إليه منكّساً رأسَه مرخياً أذنَيه ، وتقدّم إليه يريد

(1) أبو الحسن النوريّ : الزيادة من الشذرات 2 / 273 وفي تاريخ بغداد 7 / 101 أبو الحسين التوزيّ .

أن يتمَسّح به ، فأقبل بنان ينفض بكمّه في وجه السّبع . وكانت عليه جبّة صوف ، فلم يبرح السبع حتى تمَسّح به ودار حوله ومرّغ وجهه على ثيابه وبصبص بذَنَبه بين يديه ، وبنان يبعده عنه ، وأبو الجيش يبكي وجميع مَن حضر ، لما شاهدوه من السبع مع بنان . فعلم أبو الجيش منزلته عند الله تعالى من العظمة ، وكان قد جلس في مستشرف له لينظره ، وعرّف بنان بذلك عند دخوله إليه ، فأشار إليه بالسلام ، فردّ عليه مردّ مَن قد هاب ما شاهده ، وقال لأحدٍ [مـ]ـمّن حضره أوّلاً : إنّه من عباد الله المخلصين المنتخَبين لما كان منه [مـ]ـمّا شاهدناه . والآن فمِن حقّ السياسة أن تقول له عنّي : قد أنكرنا ما كان منك إلى بحنس بن مسيس كاتِبنا فيمَا اخترناه له ، وقد صفحنا لك عمّا كان منك ، فلا تعُد بعد هٰذا إلى معارضة سلطانك في فعله !

فعرّف الغلامُ بنانَ ما قال الأمير . فقال بنان : قل له : يا هٰذا ، — ولم يقل : أيّها الأمير — لا تعُدْ أنت إلى ما عمِلت ، فإنّك إن عدتَ عُدنا ، وكان الله سبحانَه عوننا ، ويده تعالى فوق يدك .

فقال له جماعةٌ ممّن حضرَه : أيّها الأمير [قد] شاهدنا من حاله مع السَّبُع ما فيه كفاية ، ويلزمنا التقرّب من قلبه ومسألتُه الدعاءَ لنا .

فقال : قد علمتُ ما علمتُم ، وإنّمَا راسلته بمَا توجبه السياسة . (وقال) ارجع إليه وٱقرأ عليه السلام وقل له : ٱعمل يا شيخ ما شئت ، وٱنهَ عمّا أحببتَ وٱأْمُرْ بمَا تشاء ، فما يعارضُك أحدٌ فيمَا تختاره وتأمر به من أمر بمَعروف أو نهي عن منكر ، وأنا معاونُك على ذلك ومعاضدُك عليه رغبةً في ثواب الله عزّ وجلّ ، وسَلْه الدعاء لنا في وقتنا هٰذا ولا تخلنا في أوقات خلواتك بين يدي الله جلّ ثناؤه من هديّة الدعاء لنا . [وقال للغلام] وٱصرفْه في حفظ الله مكرّماً وسَلْه إن تكن له حاجة كائنةً ما كانت قضيناها .

وٱنصرف بنان لمّا بلّغه الغلام ذلك من غير أن يذكر حاجة . فلمّا خرج قيل

له : ما الذي كان في قلبك حيث شمّك السبع ؟

فقال : كنت أتفكّر في ٱختلاف العلماء في سُؤْرِ السّباع .

ولمّا طلب الرجّالة أيّام هلال بن بدر أمير مصر أبا زنبور الحسن بن أحمد عامل الخراج ، فرّ منهم ودخل على بنان . فأمره أن يدخل الكنيفَ . فٱقتحم الرجّالة على بنان داره يسألون عن أبي زنبور ، فقال لهم بنان : أبو زنبور في الكنيف – فظنُّوه يهزأ بهم فتركوه وٱنصرف[ـوا] عنه . فقام إلى أبي زنبور وقال : يا حسن صدقناهم ، وقد يسّر الله فأحدِثْ تُربةً في هٰذا الموضع الخسيس .

فقال أبو زنبور : الله الله يا أبا الحسَن ، دعني من صبرك ، إنّي أُقتل !

فقال : لا بأس عليك .

وأقام عنده إلى أن تفرّق القوم وهدأ الطلب عنه ، فٱنصرف [. . .] .

ولمّا ٱحتضر قيل له : من يصلّي عليك يا أبا الحسن ؟

فقال : من ٱختار الله – ثمّ أغمي عليه فصرخت أمّ أولاده وقالت : واخرابَ بيتي بعدك !

ففتح عينيه وقال لها : بعده .

فكانت آخر كلامه وقضى . فغُسّل وكُفّن في ملبس صوف عملته له امرأته الريفيّة – [وقد] أوصى بذلك – وأخرجت جنازته لصلاة الصبح يوم الاثنَين لليلتين خلَتا من شهر رمضان سنة ستّ عشرة وثلاثمائة . / وحضر الأمير تكين . [263 ب]
فلولا نزوله من دابّته [لـ]ـأنّه يريد [أن] يتبع الجنازة ، لما مشى بالنعش من كثرة الخلق . وما فُتح بمِصر حانوت في ذلك اليوم . فلمّا بلغ المصلّى أقبل الشريف أبو إبراهيم إسمَاعيل بن أبي عبد الله محمد بن إسمَاعيل بن القاسم الرسّيّ من الحيّ . فقيل لتكين : هٰذا أبو إبراهيم . – فقدّمه وصلّى عليه .

فحدّث أبو إبراهيم أنّه لمّا كان بالحيّ – وهو قرية بين اتفيح ومصر – أخذه

ما قرُب وما بعُد من القلق بأمر الدار والدخول . فقال لغلمانه : أسرجوا ، فإنّي أخاف أن يكون قد حدث بدارنا حدث .

فسار في الليل . فلمّا أصبح وطلعت الشمس تأمّل الأكوام فإذا هي مبيضّة بالناس . فقال لغلمانه : كدّوا ! فليست الحادثة بدارنا . الحادثةُ بالبلد !

فكدّوا حتى ألحقه الله الصلاة على بنان . فكان أبو إبراهيم ممّن اختاره الله له ، وكان موضعاً لذلك .

975 - بهادر الناصريّ [- 680] [1]

بهادر بن باينجار ، الناصريّ ، الأمير بهاء الدين ، ابن الأمير حسام لدين .

كان من أعيان الأمراء وأكابرهم ، وبلغ من العمر نحو السبعين سنة . ومات وأبوه حيّ قد كفّ بصره .

مات بغزّة في رابع عشر شعبان سنة ثمانين وستّمائة .

976 - بهادر رأس نوبة [- 693] [2]

بهادر ، الأمير سيف الدين رأس نوبة ، أحد أمراء مصر ، من جملة مَن باشر قتْل الملك الأشرف خليل بن قلاوون . فأُخذ هو والأمير آقوش قتّال السبع وضربت أعناقُهما في ثاني عشرين المحرّم سنة ثلاث وتسعين وستّمائة .

واتّفق لبهادر هٰذا أمرٌ فيه معتبر : وهو أنّه عمّر داراً بجوار المشهد الحسيني

(1) الدليل الشافي 1 / 199 (699) ؛ المنهل 3 / 427 (701) ؛ الوافي 10 / 295 (4808) ؛ السلوك 1 / 625 (على ذكر قدوم أبيه بينجار سنة 675) .
(2) النجوم 8 / 22 ؛ السلوك 1 / 795 .

من القاهرة ، فوجد بأرضها عدّة أموات ، فنبش قبورَهم وحمل الرمم وألقاها . فبعث إليه الشيخ تقيّ الدين محمد ابن دقيق العيد ينهاه عن ذلك . فقال لرسوله : قل للشيخ : إذا متّ أنا [فـ]ـدعهم يجرّوا برجلي للمجاير حتى يرموني !

فلمّا بلغ الشيخَ ذلك عنه قال : وقد يكون ذلك .

فاتّفق أنّه لمّا ظفر به وبقتّال السبع ضربت أعناقهُما وعُمل في رجلِ كلّ منهما حَبلٌ وجرّ إلى المجاير حتى ألقي فيها . فكأنّمَا كان ينظر إلى عاقبة أمره من ستر رقيق ، نسأل الله العافية .

977 - بهادر المعزّي [- 739] [1]

بهادر المعزّيّ ، الأمير سيف الدين ، أحد مماليك الملك المنصور لاجين .

خدمه من ٱبتداء إمرته . ولم يكن بمَملوك ، وإنّمَا هو من أبناء تركمانِيِّي حلب . ربّاه صغيراً ، فلمّا تسلطن جعله أحد الأمراء بمِصر ، وٱستمرّ في الإمرة إلى أن قبض عليه الملك الناصر محمد بن قلاوون في عاشر المحرّم سنة خمس عشرة وسبعمائة وسجنه بالإسكندرية . ثم نقله منه وسجنه إلى أن أفرج عنه في يوم الاثنين سادس عشرين جمادى الآخرة سنة ثلاثين بشفاعة الأمير تنكز نائب الشام . فكانت مدّة سَجنه خمس عشرة سنة وثلاثة أشهر وستّة عشر يوماً . فأنعم عليه بإمرة سنجر الجمقدار ، ونُقل سنجر إلى إمرة بهادرآص بدمشق بحكم وفاته [2] .

ولم يزل على ذلك حتى مات ليلة الجمعة تاسع شعبان سنة تسع وثلاثين وسبعمائة .

---

(1) السلوك 1 / 470 ؛ الوافي 10 / 298 (4811) ؛ النجوم 9 / 318 ؛ الدرر ، 2/ 29 (1352) ؛ المنهل ، 3/ 430(705) .

(2) السلوك 1 / 320 .

وكان جميل الوجه في صغره مشهوراً في كِبَره ، يرمي السهام بيَمينه وشمَاله ، ويجيد لعب الرمح وسائرَ فنون الفروسيّة ، مع ذكاءٍ وفطنة .

وآشتمَلت تركتُه على نحو مائة ألف دينار وخمسين ألفَ دينار [1] .

978 - بهادر الشهابيّ [- 802] [2]

بهادر بن عبد الله ، الأمير الطواشيّ سيف الدين العثمانيّ ، **مقدّم المماليك** .

خدم الملكَ الظاهر برقوق وهو أمير . فلمّا آستبدّ بمَملكة مصر أنعم عليه بإمرة طبلخاناه وجعله مقدّم المماليك . فباشر ذلك مدّة الأيّام الظاهريّة .

وتوفّي في أيّام الملك الناصر فرح يوم الأحد سابع عشر رجب سنة آثنتين وثمَانمائة ، وقد بلغ سنّ الهرم ، وكثر ماله ، وتزايد طمعُه وشرَهُه .

979 - بهادر البدريّ [- 740] [3]

بهادر البدريّ . ولي نيابة حمص بعد بكتوت القرماني في صفر سنة تسع عشرة وسبعمائة / ثمّ نقل في سنة خمس وعشرين إلى نيابة الكرَك عوضاً [عن] [264 أ]
بيليك الجماليّ . ثمّ صرف بعد أشهر ورسم بإقامته بدمشق بخطّ الأمير تنكز نائب الشام عليه .

ثمّ وقع بينه وبين الأمير تنكز كلام ، فلم يتجامل في الردّ فرسم بضربه ،

---

(1) في النجوم : مائة ألف ، وزاد : أخذها النشو ناظر الخاص .

(2) الدليل الشافي 1 / 201 (709) وفيه : الشهابيّ الطواشيّ الروميّ . وكذلك في السلوك 3 / 1025 والنجوم 13 / 18 وكذلك في الضوء اللامع 3 / 19 (94) . وفي مخطوطنا : العثمانيّ ؛ وانظر المنهل الصافي ، 2/ 436(711) .

(3) النجوم 9 / 324 ؛ السلوك 2 / 505 .

وسَجَنَه مقيّداً في سنة سبع وثلاثين . ثمّ أخرج بعد مُدّةً إلى طرابلس ، فمات بها في سنة أربعين وسبعمائة .

980 - بهادر آص [- 730] (1)

بهادرآص ، الأمير سيف الدين ، أحد المماليك المنصوريّة قلاوون .

تنقّل في الخدم إلى أن صار من جملة أمراء دمشق . فلمّا تحرّك الملك الناصر يريد عودَه إلى السلطنة ، وبعث أيتمُش المحمّديّ إلى دمشق يدعو الأمراء ، قام معه قياماً كبيراً . وخدمه لمّا قدم دمشق وسار معه إلى مصر .

وعاد أميراً بدمشق . فلم يزل بها إلى أن قُبض على كراي نائب دمشق . فحكم بها من خامس عشرين جمادى الأولى سنة إحدى عشرة وسبعمائة إلى أن حضر الأمير آقوش نائب الكرَك على نيابتها ، وعلى يده ولاية بهادر نيابة صفد .

فسار إليها . ثمّ صرف ببلبان طُرنا في سنة آثنتي عشرة وسبعمائة ، وعاد إلى دمشق . فأقام بها من جملة الأمراء . ثمّ قبض عليه في ربيع الآخر سنة خمس عشرة وسجن بالكرَك . ثمّ نقل إلى الإسكندريّة فسُجن بها مدّة .

ثمّ أُفرج عنه في ثامن عشر جمادى الآخرة سنة سبع عشرة وسبعمائة ، فخلع عليه وأعيد إلى دمشق من جملة أمرائها ، بعدما أقام مسجوناً نحو الخمس سنين .

فلم يزل بها حتى مات في تاسع عشر صفر سنة ثلاثين وسبعمائة ، ودُفن بتربته خارج باب الجابية . وكانت جنازتُه حافلة .

وكان شجاعاً مقداماً في الحرب ، كثير الصدقة والمعروف . وكان له ثلاثة أولاد أمراء ، فكان يضرب على بابه ثلاث طبلخانات . وكان محسوداً على أولاده ونعمته .

---

(1) الوافي 1 / 297 (4810) ؛ المنهل 3 / 428 (704) ؛ النجوم 9 / 281 ؛ السلوك 2 / 326 ؛ الدرر ، 2/ 30 (1357) .

981 - بهادر الإبراهيميّ [- بعد 720] [1]

بهادر الإبراهيميّ ، الأمير سيف الدين . ويقال له « زِير أُمّو » .

ترقّى في الخدم إلى أن صار نقيب المماليك . ثمّ صرف بدقماق في سنة ستّ عشرة وسبعمائة وترك على إمرته . وخرج أمير الحاجّ من مصر غير مرّة .

ثمّ سار على عسكر لقتال الشريف حميضة بن أبي نُمَيّ في سنة سبع عشرة ، فجبن عنه وتوانى في أمره حتى فرّ . فلمّا عاد تنكّر عليه وقبضه في محرّم سنة ثمَاني عشرة وسجنه بالإسكندرية . وأنعم بإمرته على مغلطاي الجماليّ . فأقام مسجوناً إلى صفر سنة عشرين . وفرّ منه . فقبض عليه وحمل إلى السلطان هو وبهادر التقويّ الزرّاق فكحّلا بالنار حتى ذهب بصرهُما .

982 - الحاج بهادر الحلبيّ [- 710] [2]

بهادر الحلبيّ ، المعروف بالحاجّ بهادر السلاح دار ، الأمير سيف الدين ، أحد المماليك المنصوريّة قلاوون .

أسره الأمير ركن الدين الحلبيّ ألكتمُر في وقعة [عين] جالوت سنة ثمان وخمسين وستّمائة . فلمّا قبض الظاهر بيبرس على الحلبيّ أخذ بهادر فيمن أخذ من مماليكه .

تنقّل في الخدم إلى أن صار من جملة الأمراء . ثمّ قبض عليه الأمير لاجين في نصف ذي القعدة سنة ستّ وتسعين وستّمائة وسُجن . وأفرج عنه في جمادى

(1) السلوك 2 / 202 ؛ الدرر ، 2/ 31(1360) .

(2) النجوم 9 / 216 ؛ السلوك 2 / 96 ؛ المنهل 3 / 436 (712) ؛ الوافي 10 / 295 (4809) ؛ الدرر ، 2/ 33(1369) .

الآخرة سنة خمس وسبعمائة . وأنعم عليه بإمرة قيران[1] مشدّ الدواوين بدمشق ، وأن يكون حاجباً بها عوضاً عن الأمير بكتمُر الحساميّ بحكم آنتقاله إلى شدّ الدواوين .

ثمّ أخرج إلى حلب على إمرة ، ثمّ نُقل إلى إمرة مائة بدمشق ، فأقام بها مدّة ، وداخل آقوش الأفرم نائبَها ، وآختصّ به إلى أن ولي بيبرس الجاشنكير السلطنة وفرِح به الأفرم ، [فـ]ـتغيّر الحاجّ بهادر عليه بعد مداخلته في مجالس أنسه ، وأخذ يغيّر الأمراء عليه ويقول : هؤلاء الجراكسة متى تمكّنوا منّا أهلكونا وراحت أرواحُنا . فقوموا بنا نعمل شيئاً قبل أن يعملوا بنا ! – يعني بالجراكسة الأفرم نائب الشام والمظفّر بيبرس سلطان مصر . فإنّهما كانا جركسيّيْ الجنس – . وتحالف هو والأمير قطلوبك الكبير على الفتك بالأفرم متى ظفرا به .

فبلغ الأفرم ما عزما عليه . فلم يزل بالحاج بهادر إلى أن استصلحه بزعمه [2] /وقال : بعد أن سلمتُ من هٰذه الحيّة ما بقيتْ أفكّر في تلك العقرب – يعني [264 ب] بالحيّة الحاج بهادر . وبالعقرب قطلوبك الكبير . فإنّ بهادر كان معروفاً بالجرأة ومحبّة الفتن لا يكاد يصبر عن تعاطي الخمر . حتى إنّه كان يمرّ بين القصرين بالقاهرة ويتناول الخمر . وفعل ذلك بدمشق . وكان أشبه الناس بالملك الظاهر بيبرس .

فلمّا تحرّك الملك الناصر محمد بن قلاوون من الكرَك يريد آرتجاع الملك من المظفّر بيبرس . أرسل الأفرم الحاج بهادر وقطلوبك الكبير يزكًا قدّامه[3] . فنزلا على الفوّار وأظهرا مناصحة الأفرم . وأبطنا له الغدر . وبعثا إلى الملك الناصر وحلفا له . ثمّ سارا إليه ودخلا معه دمشق . وحمل بهادر الجتْر على رأسه وهو داخل إلى دمشق .

---

(1) في المخطوط : خيران . وقيران له ترجمة في الدرر . 3/ 344(3284) .
(2) في الوافي والمنهل : على ظنّه .
(3) اليزك هو الحارس .

وسار معه إلى مصر فولّاه نيابة طرابلس عوضاً عن أسندمر كرجي في يوم الخميس ثاني شوّال سنة تسع وسبعمائة . وخرج هو والأمير قراسنقر نائب الشام من القاهرة وقبضا على المظفّر بيبرس خارجَ غزّة ليحضراه إلى السلطان . فأشار بهادر على قراسنقر بأن لا يرسله إلى السلطان بل يوصله إلى صرخد أو صِهيَون حيث رسم السلطان قبل أن يرسم بقبضه . فإن وجدَا من السلطان ما يحبّا[ن] [وإلّا][1] كانا يخوّفانه أبداً بإطلاق بيبرس . فلم يوافقه على ذلك وبعثه . وسار[ا] إلى محلّ ولايتهما .

فلم يزل بهادر بطرابلس إلى أن مات بها لأيّام من ربيع الآخر سنة عشر وسبعمائة . فسرّ السلطان بمَوته . وولي بعده نيابة طرابلس الأمير آقوش الأفرم .

وكان فارساً شجاعاً مشهوراً بذلك . ونال سعادة عظيمَة في أيّام حجوبيّته بمِصر والشام . وكان هو القائِم بنصرة الملك المنصور لاجين على الملك العادل كتبغا بحيث إنّ كتبغا لمّا ركب من الدهليز ورأى طلب بهادر هٰذا وميله عليه مع لاجين قال : والله لقد خطر لي أنّه ركب في نصرتي ! فبعده ما بقي حديث ! — وهرب حينئذ . وكان كتبغا هو الذي أقام بهادر وقدّمه وعمله حاجباً في أيّام نيابته .

فلم يرع له لاجين حقّه وقبض عليه عندما تمكّن سلطانه . فبعث إليه من حبسه يقول : هٰذا جزائي منك ؟

فأجابه : إنّي أعلم ما فعله كتبغا معك وما أعطاك . وبعد هٰذا لولا أنت ، ما جرى عليه شيء . وماذا عسى بقيت أرضيك أو [أ]ملأ به عينك ، وأنا أعلم أنّي ما أقدر أفعل معك مثل كتبغا أبداً .

فقال ، لمّا بلغه هذا : قل له : أنا والله ما فعلت الذي فعلت مع كتبغا

(1) الكلام غامض في المخطوط ، والتوضيح من السلوك 2/ 80 والنجوم 8/ 274 ، والزيادة منّا .

لأجلك . وما قمت عليه معك إلّا لمّا رأيت أحوال المسلمين في دولته فاسدة ، ورأيت قصده كثير[اً] أبناء جنسه – يعني الأويراتيّة – فعلمتُ أنّ نيّته للمسلمين غير جميلة . فقمت لله تعالى .

[ثمّ] إنّه قام مع الملك الناصر حتى أعاد الملك إليه فما وفّى له ، وأخرجه إلى طرابلس ، وأخذ في العمل عليه ، وبعث له كتاباً يتضمّن كثرة الشكر منه والثناء عليه . فلمّا فرغ من قراءته أنشد [بسيط] :

وما تمَسُّكُ بالوعد الذي وعَدَتْ إلّا كما تُمسِكُ الماءَ الغرابيلُ

وقال لقاصد السلطان : والله لا جاء منه خير ! وأيّ شيءٍ صدق فيه حتى يصدق الآن ؟ ولكن نستأهل كلّنا ! آه ، لو سمعوا منّي ! فإنّي عرفت والله أنّه ما يبقي على أحد ممّن أحسن إليه ، وقلت لهم ، فما سمعوا .

ثمّ أملى على كاتب السرّ جواباً خشناً فتلطّف في الكتابة ، حتى [إذا] فرغ أخذه منه ، وكتب بخطّه كلاماً منكياً ، من جملته : أنت لمَن صدقتَ حتى تصدق لي ؟ والله ، لا جاء منك خير أبداً !

فاشتدّ حنق السلطان عند قراءته ، ولم تَمضِ غير أحد عشر يوماً حتى قدم عليه نعيُه . فيقال : إنّه مات مسموماً . وسُرّ السلطان بمَوته سروراً زائداً ، وقال لخاصّته : إنّه دخل في قلبي منه رعب وخوف لا أقدر أصفه ، حتى إنّي لا أكاد أصدّق بمَوته . وهو أنّي لمّا كنت في الغرابي وأنا أريد مصر لم أشعر ببهادر هٰذا إلّا وهو إلى جانبي بفرسه ثمّ قال لي بصوت مزعج ٱنزعجت له أعضائي : ٱسمع يا خوند/ ! [265 أ]

قلت : نعم .

فقال : اعرف أيّ شيء عملَت معك مماليك أبيك وأبصر في أين كنت وأين أنت الآن ! فلا تسمع فيهم كلاماً ، وٱحفظهم يحفظوك ، وإيّاك وكلام الصبيان ، فكلّ مائة صبيّ ما يكونوا بقدر رجل شيخ في رأيه !

(قال) والله لقد ٱرتعدت منه مفاصلي .

ثمّ أخذ يسبّه ويلعنُه .

وكان كريمًا صاحب رأي جيّد وحرمة بالغة وكلمة نافذة .

983 - بهادر الصقريّ [- 725] [1]

بهادر الصقريّ [بهاء الدين] [2] ، أحد مماليك المؤيّد هزبر الدين داود بن المظفّر شمس الدين يوسف ابن المنصور نور الدين عمر بن عليّ بن رسول التركمانيّ ، ملك اليمَن[3].

قدم إلى مصر مع تاجره وعُرض على المظفّر بيبرس الجاشنكير فلم يعجبه . وكان قد قدم رسول المؤيّد صاحب اليمن بهديّته وسأل ٱبتياع مماليك من مصر لتقوى بهم حرمته في بلاده ، فأنعم له بذلك . فٱشترى رسوله ثمانية مماليك ، منهم بهادر هذا ، وسافر بهم إلى اليمن . وما زال المؤيّد يبتاع المماليك حتى بلغت عدّتهم عنده إلى خمسين . فرتّب له منهم أرباب وظائف ، ما بين سلاح داريّة وجمداريّة وسقاة ، إلى أن مات في سنة إحدى وعشرين وسبعمائة ، وملك بعده ٱبنُه الملك المجاهد سيف الإسلام عليّ ، وعمره نحو الاثنتَي عشرة سنة . وثار عليه غير واحد ، وكثر الاختلاف ، وٱشتدّت الحروب في سنة ٱثنتين وعشرين [وسبعمائة] .

فٱجتمع المماليك على بهادر هٰذا وقاموا في خدمته وٱئتمروا بأمره وكبسوا البلاد وساروا إلى مدينة زبيد ونازلوها ، وقد ٱمتنع أهلها . فخدعهم بهادر حتى سلّمُوه

(1) الدرر 2 / 32 (1367) ؛ السلوك 2 / 265 .

(2) إضافة من السلوك 2 / 267 .

(3) ملك الهزبر داود الرسولي من سنة 696 إلى سنة 721 وخلفه ٱبنه الملك المجاهد الى سنة 764 (انظر جداول بوزوورث : الدول الإسلاميّة ، 76) .

البلد ، فدخلها وٱستولى عليها ، وعَزّ بها جانبه وحسنت أحواله ، وتسلطن ولقّب نفسَه الملك الكامل ، وخطب لنفسه بزبيد وضرب السكّة بٱسمِهِ فنقش على أحد الوجهَين : الملك الكامل ، وعلى الآخر : بهادر الصقريّ . ومدّ يده إلى الأموال فصادر الناس وأخذ أموالهم .

فبعث المجاهد يسأل الملك الناصر محمد بن قلاوون النجدة ويعده مواعيد كثيرة . فندب إلى اليمَن عسكراً عليه الأمير بيبرس الحاجب في سنة خمس وعشرين . فلمّا بلغ أهلَ زبيد قرب العسكر منهم ، خاف بهادر على نفسهِ وأظهر أنّه يريد لقاءهم ، وفي الباطن إنّمَا قصد الفرار . فلم يَخْفَ ذلك على الناس ، وثارُوا به ، وهم يصيحون : « مجاهد يا منصور ! » وقتلوا جماعة من المماليك . فنجا بحشاشة على فرس ، ونُهِبَت حواصله وأموالُه بأجمعها ، فٱستغنى بها أهلُ زبيد لكثرتها . وبعثوا إلى مجاهد بتعز أن يحضر لتسلّم المدينة . فعاش بعد أن كاد يتلف وتراجع إليه الناس ونزل من قلعة تعز وملك زبيد .

فلمّا قدم عليه العسكر كما ذُكر في ترجمة الأمير بيبرس الحاجب[1]، كتب بيبرس يستدعي بهادر وبقيّة الأمراء المؤيّديّة . فحضر بعدما حلف له أنّه لا يؤذيه ولا يُمكّن من أذاه . فتلقّاه وأكرمه هو ومَن حضر معه من الأمراء . ثمّ رحل به مع المجاهد من زبيد إلى تعز في نصف شهر رجب منها . وبقي في خدمة المجاهد هو وجميع المؤيّديّة . فأخذوا في تخويفه من العسكر وتقوية عزمه على إتلافهم وكبسهم على حين غفلة . فمال إلى قولهم وتواعدوا على إحضار أصحابهم وأتباعهم وعشائرهم ، فإذا صعد العسكر جبل صبِر لقتال أهله واستقرّ بأعلاه ، ركبوا ليلاً وصَبَحُوا الخيم وألقَوا فيها النار ونهبوا جميع ما فيها وحصروا العسكر تحت الجبل فلا يفلت منه أحد ، وكان هذا من تدبير بهادر . فنُقل ذلك بنصّه إلى الأمير بيبرس فكتمه . وأصبح على أنّه يصعد الجبل . فركب الموكب وأخذ يدافع عن الصعود وقتاً بعد وقتٍ . وٱتّفق حضور بهادر بمُفرده ، فأكرمه بيبرس ، وكان قد

(1) ستأتي ترجمة بيبرس الحاجب برقم 993 .

أظهر له مودّة وأخوّةً ووعده بمَواعيد كثيرة ، وأنّه يحمله إلى مصر ويعرّف السلطان منزلتَه ويأخذ له إمرةً بمِصر . فانخدع له . وكان هذا من بيبرس تطميناً له فإنّ السلطان قد عهد إليه أن يقتله .

[265 ب] فلمّا أتاه ٱختلى به ، فأخذ يعرّفه أنّ المجاهد قد ٱستفسد ثلاثمائة مملوك من / العسكر ليقيمُوا عنده باليمَن ، وحذّره من وقوع فتنة . فشكره بيبرس على نصحه وٱفترقا . فأقام بيبرس وهو في قلق زائد . فأتاه الناصح ليلاً وأخبره أنّ بهادر قد عزم على الفرار إلى الجبال . فبادر إلى الركوب بكرة النهار ، وٱجتمع إليه العسكر ، وأتاه المجاهد في أمرائه . وتأخّر بهادر في خيمَته . فلم يتمَالك بيبرس نفسه وبعث إليه بٱبنه ليحضر ، خوفاً أن يفوتَه . وتبع ٱبنه في جماعة وقبض بهادر وأتي به ، وعرف الأمراء ما نقله عن المجاهد . وأوقع الحوطة على موجوده ، ووسَطه بالسيف نصفَين . فخرج أهلُ تعز بنسائهم فرَحاً بمَوته وهلاكه ، وضربوا الطبول والمزاهر ودعَوا للسلطان دعاءً كثيراً .

984 - تاج الملوك بوري الأيّوبيّ [556 - 579] (1)

بوري بن أيّوب بن شاذي بن مروان تاج الملوك ، أبو سعيد ، الروادي الأصل ، أخو السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب .

ولد ليلة الأربعاء السابع والعشرين من ذي الحجّة سنة ستٍّ وخمسين وخمسمائة .

[. . . .] قتل على باب حلب في شهر ربيع الأوّل سنة تسع وسبعين وخمسمائة . وقيل : توفّيَ ليلة الخميس ثالث عشرين صفر . وقيل : كان عمرُه يومَ مات ٱثنتين وعشرين سنة وشهراً وخمسة وعشرين يوماً .

---

(1) النجوم 6 / 96 ؛ شذرات 4 / 265 ؛ وفيات 1 / 290 (121) .

وكان شهماً جواداً شجاعاً كريمًا ما للدنيا في عينه وقع . وله شعر كثير ، منه يرثي أخاه المعظّم ثوران شاه من قصيدة [كامل] :

يا لَلرجال لنكبة قد أوهنت جلَد الجليد وحُسنَ صبر الصابرِ
طرقَت فِنَا الملكِ المعظّم فأنثنى من بعد بهجتِه كرَبعٍ داثرِ
وكذلك الأيامُ منذُ عرفتُها ترمي أكابرَ أهلها بكبائر

قال فيه العماد [1] : ذو الكرم الظاهر ، والمحتد الطاهر ، والفخر الصادع نجرُهُ الصادق ، والنّجْرُ السّامي قدرُه السامقُ ، طِفلُ السِنّ ، كهلُ السَّنا ، أهل المدح والثنا ، نشأ بالفضل متشبّثاً ، وبالفَضْل مُتَحَدّثاً ، وبالنبل منبعثاً ، له الفطرة الذكيّة الزكيّة ، والهمّة العليّة الجليّة ، والعزمة الماضيةُ المضيّة . لم يبلغ العشرين سنُّه ، ولم يورق في ترعةِ الترعرع غصنُه . وله نظمٌ لطيفٌ وفهم شريف [اهـ]. وأنشد له قوله [طويل] :

أيا حاملَ الرُّمْحِ الشبيهِ بقدّه ويا شاهراً سيفاً حكى لحظَه عَضْبا
ضَعِ الرمحَ وأغمدْ ما سللتَ ، فربَّمَا قتلتَ وما حاولت طعناً ولا ضربا

وقوله [مجتثّ] :

لي في الأنام حبيب ينمَى إلى الأتراك
أشكو إليه غرامي فما يرقّ لشاكي
يظلُّ يضحَكُ عُجبًا والطرفُ منّيَ باك
فديتُه من غزالٍ بعَينه فتّاك
ظبيْ أَغارُ على ريـ ـقِهِ من المسواك
يا ليتني كنتُ في كفّـ ـه عُوَيْدَ أراكِ

وله ، وقد آستبعد أخوه الملك الناصر منه قولَ الشعر [طويل] :

(1) الخريدة : شعراء دمشق والشعراء الأمراء من بني أيّوب ص 135 .

أيا ملكاً ما زال يفعل جودُهُ على سائر الحالاتِ ما يفعَلُ القطرُ
أتنكِرُ نثرَ الدرّ من بحرِ خاطري وتعلمُ أنّ الدّرَّ مسكنُه البحرُ

985 – بُنان سعيد السعداء [– 544] [1]

بنان ، أحد خدّام القصر في أيام الحافظ ، وهو الملقّب سعيد السعداء . وهو صاحب الخانقاه التي صارت بعده لصلاح الدين ، فوقفَها على الفقراء برحبة العيد بالقاهرة .

وكان موت هذا الخادم في شوّال سنة أربع وأربعين وخمسمائة : أمر الخليفة بأن يحرق بالنار فأحرق عند باب البحر ورُمي برأسه ، وعلّق بباب زويلة ، وكان جنى جنايةً اقتضت عقوبتَه بذلك .

986 – بهرام تاج الملوك الأرمنيّ [– 535] [2]

بهرام بن أسيد ، الوزير سيف الإسلام ، تاج المُلوك ، الأرمنيّ .

[266 أ] كان يزعم أنّه من نسل داود عليه السلام . وكان من جملة الأرمن / الواصلين إلى ديار مُضَر من قلعة الروم ، وسكن مع الأرمن في ناحية تلّ باشر [3] مدّةً . فلمّا مات كبير الأرمن ، كان بهرام أحقَّ بمَكانه ، فتَعَصَّب عليه جماعة

....

(1) الخطط 3 / 401 وقد نقل عن ابن ميسّر هذا الأسم : بنان أو بيان وقال إنّ اسمه قنبر أو عنبر . وانظر تعليق أيمَن فؤاد سيِّد رقم 491 من طبعته للمنتقى من أخبار مصر لأبن ميسّر ص 144 ، و ص 90 من طبعة ماسي .

(2) الاتّعاظ 3 / 97 ثمَّ 155 الى 162 ثمَّ 175 . ابن ميسّر (ماسي) 79 والمنتقى (فؤاد أيمن السيِّد) 123 ؛ النجوم 5 / 242 ؛ دائرة المعارف الإسلاميّة 1 / 968 .

(3) تلّ باشر شماليّ حلب ، وقلعة الروم غربيّ الفرات . ولعلَّ تنقّلهم الأوّل كان الى ديار مضر كمَا أثبتنا .

من الأرمن وأقاموا غيره . فغضب وخرج من تلّ باشر وقدم القاهرة . وقتل يازمان [1] القائِم بأمر الأرمن في قلعة الروم . وكان بهرام أحقَّهم بمَوضعه ، فمُنع وقام غيره بتغضّب وقع . فترك البلاد وخرج منها مغاضباً إلى القاهرة ، وصار من الجند .

وكان ذا عقل متوفّر ورأيٍ صائب وإقدام في الحروب ، فزيدَ في إكرامه لأجل ذلك وترقّى في الخدم [و]لقّب بتاج الدولة . وخرج مع المؤتمَن أبي تراب حيدرة أخي الوزير المأمون البطائحيّ مقدَّماً على طائفة الأرمن حين توجّه لغزو لواتة في سنة سبع عشرة وخمسمائة وشهد حروبه ، ثمّ عاد إلى القاهرة .

وما زال بها إلى أن كانت فتنة الحسن ، ابن الخليفة الحافظ لدين الله ، ففرّ منه إلى الغربيّة وجمع مقطعيها والعربان والأرمن ، وسار يريد القاهرة ، وقد عاثت حشودُه في القرى والضياع ونهبوها ، وكثرت الفتن بالقاهرة بين الأجناد والسودان حتى أخرج السودان بعد قتل حسن الطائفة الجيوشيّة والفرجيّة والإسكندرانيَّة من القاهرة وقتلوا كثيراً منهم ونهبوا ما قدروا عليه .

فلمّا قدم بهرام بحشوده ، تعلّق الأجناد به وأدخلوه على الخليفة وألزموه أن يُوليَه الوزارة ، فلم يجد بدًّا من إجابتهم ، وخاف أن تثور الفتنة مرّةً أخرى . فخلع عليه يوم الجمعة سادس عشر جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وخمسمائة – وقيل : لإحدى عشرة خلت منه – وهو باقٍ على دين النصرانيّة ولُقِّبَ بسيف الإسلام تاج الخلافة فٱشتدّ ذلك على الخليفة .

وٱقتضى الحال توليتَه ، فقيل له : يا أمير المؤمنين ، إنّه نصرانيّ لا يرضاه المسلمون ، ومن شرط الوزير أن يرقى مع الأيام المنبر في الأعياد لِيُزَرِّرَ عليه المزَرّرة الحاجزة بينه وبين الناس ، والقضاة نوّاب الوزراء من زمن أمير الجيوش ويذكرون النيابة عنهم في الكتب الحُكميّة النافذة عنهم إلى الآفاق وكتب الأنكحة .

(1) قراءة هذا الاسم تقريبيّة .

فقال : إذا رضيناه نحن ، فمَن يخالفُنا ؟ وهو وزير السيف وأمّا صعود المنبر ، فيستنيبُ عنه قاضيَ القضاة . وأمّا ذكره في الكتب الحُكميّة فلا حاجة إلى ذلك ، ويُفعل ما كان يُفعَل قبل أمير الجيوش .

فكثُر الإنكار من الناس لوزارة بهرام ، إلّا أنّه لم يدخل في شيء مشكل ، وساس الأمور بعقل جيّد وتدبير حسن ، وأنفق في الجند جملة من الأموال فاستقامت أحوالُه وراسله الملوك وزالت الفِتن من البلاد في أيامه ، فلم ينكر عليه شيءٌ سوى أنّه نصرانيّ . وكان يقعد في يوم الجمعة عن الصلاة ويعدل إلى مكان بمُفرده إلى أن تنقضي الصلاة . وسأل الخليفةَ أن يسمح له في إحضار أهله فأذن له في ذلك فأحضرهم من تلّ باشر ومن بلاد الأرمن حتى صار منهم بمِصر قدر الثلاثين ألفَ إنسان . فاَستطالوا على المسلمين ، وكثر جَوْرهم وبنَوا عدّة كنائس وأديرة ، حتى كان كلّ رئيس منهم يبْني له كنيسة . فخاف أهل مصر منهم أن يغيّروا الملّة الإسلامية ، وكثرت الشكايات فيه وفي أخيه الباساك وكان قد ولّاه قوص ، فعظم ذلك على الأمراء .

وتفاقم أمر النصارى ، ووصل إليه ابن أخيه المعروف بالسبُع الأحمر ، فأطلق الأسرى من الفرنج . وشنعت القالة وكاتب أهلُ الدولة الأمير رضوان بن الولخشيّ والي الغربيّة ، فحشد لقتال بهرام ، وخرج من سَخَا في ثلاثين ألفاً حتى نزل دجوة ، وبهرام لا ينزعج . فلمّا قرب من القاهرة جمع بهرام الأرمن وقال لهم : قد علمتم بأنّا غرباء ولم نزل نخدم هذه الدولة / ، والآن فقد كثر بغضهم لأيّامنا وما كنت بالذي أكون [عبد قوم] [1] وأخدمهم من حال الصبا ، فلمّا بلغت الكبر أقاتلهم؟ والله لا ضربت في وجوههم بسيف أبداً ! سيروا بنا ! [266 ب]

ثمّ اَجتمع بالخليفة وفاوضه في أمره . فقال له : يغلبني عليك الإسلام .

---

(1) النصّ مضطرب في المخطوط ، والتقويم من الخطط 3/ 160 ولعلّ السياق الأصحّ : عند قوم أخدمهم ...

فأيس حينئذ وسار بالأرمن . وقيل : بل ركب في عساكر مصر ، وخرج ومعه الأرمن ، يريد محاربة رضوان . فلمّا ٱلتقى الجمعان خامر عليه الأمراء ولحقوا برضوان ، فٱنهزم بالأرمن . وأخذ ما خفّ من المال وخرج من باب البرقيّة في حادي عشر جمادى الأولى سنة إحدى وثلاثين ، وسار يريد قوص ، وبها أخوه الباساك . وأوسق مراكب كثيرةً وسيّرها في النيل بمَا يحتاج إليه . فعندما خرج من القاهرة تكاثرت الغوغاءُ على دار الوزارة ونهبوها وهتكوا حرمتَها ، وخرجوا إلى دُ[و]ر الأرمن بالحسينيّة خارج باب الفتوح فنهبوها كلّها ، ونهبوا كنيسة الزهري ، ونبشوا قبرَ البطريك أخي بهرام ومثّلوا برمّته .

وطار خبر هزيمَة بهرام في سائر إقليم مصر حتى وصل الخبر إلى قوص قبل وصوله إليها . فثار المسلمون بالباساك وقتلوه . فقدم بهرام بعد قتلِه بيومين إلى قوص ، ومعه من الأرمن نحو الألفَين ، فرأى أخاه الباساك على مزبلة وقد رُبط معه كلب . فحنق ووضع السيفَ في أهل قوص فقتل منهم خلقاً كثيراً ، ونهب البلد وخرج إلى أسوان ، ونزل بالأديرة البيض – وهي أماكن حصينة عدّتها ثلاث[ـة] ديارات في غربيّ مدينة إخميم . وتقدّم إليه [1] بأن يسرّح مَن معه من الأرمن إلى بلادهم ، ومن رضي منهم أن يقيم بمِصر فلّاحاً فليفعل . فأقام بأهله وولده ، وخرج جماعة ممّن معه إلى أرض الشام ، وبقيت منهم بقيّة كثيرة وتمنّوا أن يكونوا فلّاحين . فردّت لهم جهات ، منها سملّوط وأَتْلُوسَنا وإِبْوان والبرجين في صعيد مصر ، وضيعة أخرى بالمحلّة .

فسار إليه الأوحد ناصر الدين إبراهيم ، أخو الوزير الأفضل رضوان بالعساكر شرقاً وغرباً ، وقد تبعه الأسطول في النيل ، ومعه أمانٌ لبهرام ليعود مكرّماً وطائفته على إقطاعاتهم . فلم يزل على الأديرة البيض . فتقرّر الحال مع

(1) هكذا في المخطوط ، والعبارة مقحمة ، والعرض في الخطط 3 / 161 أوضَحُ : فتفرّق عنه عدّة من الأرمن وساروا يريدون بلادهم .

بهرام على إقامته بها من غير أن تكون حرب . فلم يزل هناك إلى أن آستدعاه الخليفة الحافظ في شهر رمضان سنة ثلاث وثلاثين ، وأنزله معه في القصر وأكرمه ، إلى أن هلك في الرابع والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة خمس وثلاثين وخمسمائة . فحزن عليه الحافظ حزناً كثيراً لأنّه كان يشاوره في تدبير الدولة والأمور فيعجبُه رأيُه ويفتن بحزمه وعقله . وصار يوم موته على القصر غمّة وأمر بغلق الدواوين ، وآستحضر بطرك الملكيّة ليجهّزه ، فقام بأمره . وأخرج وقتَ الظهر في تابوت عليه الديباج ، وحوله النصارى يبخّرون باللبّان والسندروس والعود . وخرج الناس كلُّهم مُشاةً ، ولم يتخلّف عن جنازته أحدٌ من الأعيان . وخرج الخليفة راكباً بغلتَه خلف التابوت بعمامة خضراء وثوب أخضر من غير طيلسان وسار والأَقِسَّاءُ يعلنون بقراءة الإنجيل ، والخليفة على حاله إلى دير الخندق خارج القاهرة – وقيل : بل في الكنيسة المستجدّة ببنيان الزهريّ – فنزل الخليفة عن بغلته ونزل على شفير القبر وبكى بكاءً كثيراً ، حتى دُفن . ثمّ عاد [1] .

وكان بهرام عاقلاً حسن السياسة جيّد التدبير مقداماً في الحرب .

987 – بهرام التركمَانيّ [– 639]

بهرام بن عمر بن بهرام ، الأمير شمس الدين ، ابن الأمير حسام الدين ، التركمانيّ .

مات بمَدينة بلبيس في رابع ذي القعدة سنة تسع وثلاثين وستّمائة . وحُمل ميتاً فدُفن خارج باب النصر من القاهرة .

وحدّث بشيءٍ من شعر جعفر ابن شمس الخلافة [2] بثغر دمياط .

(1) هٰذه الرواية مشابهة لرواية ابن ميسّر (سنة 535) والاتّعاظ 3 / 175 .

(2) جعفر ابن شمس الخلافة « مجد الملك الأفضليّ الشاعر المشهور – ت 622 » ؛ وفيات 1 / 362 (139) .

988 - بهرام شاه صاحب بعلبك [- 627] [1]

بهرام شاه بن فرّخشاه [بن توران شاه] بن أيّوب بن شاذي بن مروان ، الملك الأمجد ، مجد الدين [صاحب بعلبك] .

989 - بهرام بن [...] مقدّم الباطنيّة [- 522] [2]

كان من أهل [...] فلمّا قتل خاله إبراهيم الأزدابادي ببغداد في [...]/ هرب إلى الشام وصار داعي الإسمَاعيليّة بها . وتردّد في البلاد يدعو [267 أ] أوباش الناس وطغامهم إلى مذهبه . فاستجاب له منهم مَن لا عقل له وكثر جمعُه . إلّا أنّه كان يخفي شخصَه فلا يعرف . وأقام بحلب مدّة ونفق على إيلغازي صاحبها ، وأراد إيلغازي أن يعتضد به لاتّقاء شرّه وشرّ أصحابه ، فإنّهم كانوا يقتلون كلَّ مَن خالفهم . وأشار إيلغازي على طغدكين صاحب دمشق بأن يجعله عنده لهٰذا السبب ، فقبل رأيه وأخذه إليه . وأظهر حينئذ شخصَه بدمشق وأعلن بدعوته ، وكثر أتباعه من كلّ من يريد الفساد والشرّ . وأعانه الوزير كمال الدين أبو عليّ ظاهر بن سعد المزدغانيّ قصداً للاستعانة به على ما يريده . فعظم شرّ بهرام واستفحل أمره في سنة عشرين وخمسمائة ، وصار أتباعُه أضعافَ ما كانوا . إلّا أنّه خاف عامّة دمشق لفظاظتهم وغلظتهم ، فطلب من أتابك طغدكين حصناً يأوي إليه هو وأتباعُه ، فأشار عليه الوزير طاهر بتسليم حصن بانياس إليه ، فسلّمه إليه في ذي القعدة من السنة المذكورة وسار إليه . فاجتمع أصحابُه عنده من كلّ ناحية ، وملك عدّة حصون ، منها القدموس .

(1) ترجمة مبتورة ، والإكمال من مفرّج الكروب لابن واصل 3 [ومن دائرة المعارف الإسلاميّة 1 / 969 .

(2) خبر بهرام الباطنيّ في ذيل تاريخ دمشق 215 و 221 . وذكره المقريزيّ باختصار في الاتّعاظ 3 / 121 .

وأقام خليفته بدمشق يدعو إلى مذهبه ، فكثر وآنتشر ، وعظم خطبه وحلّت المحنة بظهوره . وآشتدّ الحال على الفقهاء والعلماء وأهل الدين ، إلّا أنهم لا يقدرون على أن ينطقوا فيه بحرف واحدٍ ، خوفاً من سلطانهم ومن شرّ الإسمَاعيليّة . فلم يقدر أحد على إنكار هذه الحالة . وشرع أصحابُ بهرام في قتل مَن يعاندهم ومعاضدة من يُؤازرهم بحيث لا ينكر عليهم أمير ولا وزير .

فلمّا مات ظهير الدين طغدكين أتابك دمشق في صفر سنة آثنتين وعشرين [وخمسمائة] وقام من بعده آبنه تاج الملوك بوري في سلطنة دمشق أقرّ الوزير ظاهر المزدقانيّ على وزارته . وبثّ بهرام دعاته من بانياس في سائر الجهات فاستغوَوا خلقاً كثيراً ، وآمتدّت أيديهم وألسنتهم إلى الأخيار ، وقتلوا كثيراً من الناس تعدّياً وظلماً . وأعانه الوزير بغير رضى تاج الملوك .

فلمّا أراد الله إنفاذ أمره في بهرام خدع برق بن جندل مُقَدّم وادي التّيم حتى وقع في يده فقتله صبراً . وتألّم الناس لقتله وأعلنوا لعنَ قاتله عامة . فحنق صخر[1] بن جندل لقتل أخيه وثار في أخذ ثأره ، وجمع لقتال بهرام . فخرج إليه وقاتله بوادي التّيْم فقتل بهرام ومَن معه في يوم الجمعة سابع ربيع الآخر سنة آثنتين وعشرين وخمسمائة ، وحُمِل رأسُه إلى القاهرة[2] ، فخلع على مَن أحضرَه ، وأنعم عليه بمَال جزيل .

990 – قاضي القضاة بهرام الدميري [(734) – 805][3]

بهرام بن عبد الله بن عبد العزيز بن عمر بن عوض ، قاضي القضاة ، تاج الدين ، أبو البقاء ، الدميريّ ، المالكيّ .

(1) في النيل 222 : الضحّاك بن صخر .

(2) فبهٰذا آستحقّ ترجمته في المقفّى : دخل مصر برأسه .

(3) المنهل 3 / 438 (713) ؛ الضوء اللامع 3 / 19 (96) ؛ السلوك 3 / 1108 ؛ النجوم 13 / 29 .

أخذ الفقه عن الشيخ خليل وغيره وبرع فيه حتى صار من أئمّة المالكيّة بديار مصر ، وأفتى ، ودرّس بالشيخونيّة والحجازيّة . ونابَ في الحكم عدّةَ سنين . فلمّا مات قاضي القضاة جمال الدين [عبد الرحمان] [1] بن محمد بن خير ، ولي بهرام قضاء القضاة المالكيّة من قِبل الأمير منطاش ، القائِم بتدبير الدولة ، في يوم الاثنين ثاني عشرين شهر رمضان سنة إحدى وتسعين وسبعمائة . فباشر الحكم والقضاء .

وخرج مع الأمير منطاش فيمن خرج لمحاربة الملك الظاهر برقوق بالشام . فلمّا آنهزم منطاش إلى دمشق ، وعاد الملك الظاهر برقوق إلى مصر بالخليفة ، والملك المنصور حاجي ابن الأشرف ، وقضاة القضاة ، أقرّه على وظيفة القضاء . ثمّ صرفه في يوم الاثنين ثامن عشر ربيع الأوّل سنة آثنتين وسبعين وسبعمائة بالشيخ شمس الدين محمّد الركراكيّ المغربيّ . فلزم داره إلى أن مات في يوم الاثنين سابع جمادى الآخرة سنة خمس وثمانمائة عن سبعين سنة .

وكان عالماً بالفقه مشاركاً في غيره . وصنّف كتاباً في الفقه سمّاه « الشامل » ، آختصر فيه شرح الشيخ خليل على آبن / الحاجب ، فجاء في مجلّد [267 ب] وشرحه في عدّة مجلّدات .

991 – بهم القائد الطولونيّ [– بعد 256] [2]

بهم بن الحسين ، أحد قوّاد أحمد بن طولون ، بعثه لقتال بغا الأصغر لمّا خرج بأرض مصر فظفر به . ثمّ عقد له على جيش وضمّ إليه آبن عجيف ، فخرجا إلى الصعيد يوم الخميس لتسع عشرة خلت من ربيع الأوّل سنة ستّ وخمسين ومائتين ، فآلتقوا بإبراهيم بن محمد الصوفيّ [3] بناحية إخميم في ثالث

(1) الزيادة من السلوك 3 / 658 .
(2) الكندي ، 213 .
(3) ابن الصوفي العلويّ : انظر ترجمته في الجزء الأوّل رقم 378 .

ربيع الآخر ، وهزموه ، وآحتوَوا على جميع ما معه ، وقتلت راحلته . فبعث أحمد بن طولون إلى بهم بخلع وطوق من ذهب صامت ، وأجازه إجازة عظيمة ، وقاد بين يديه خيلاً حساناً ، فكان بهم إذا ركب في الأعياد ركب بذلك الطوق .

992 – البهلول بن عبيدة [– 233] (1)

بهلول بن عمر بن صالح (2) بن عَبِيد[ة] بن حبيب بن صالح ، التّجيبيّ ، أبو الحسن (3) .

روى عن أبيه (4) ، ومالك وعبد الله بن فرّوخ .

روى عنه عثمان بن أيّوب المعافريّ [التونسيّ] .

ومات سنة ثلاث وثلاثين ومائتين .

993 – بيبرس الحاجب [– 743] (5)

بيبرس [الأحمديّ] الحاجب ، الأمير ركن الدين .

ترقّى إلى أن صار من أمراء الألوف بديار مصر ، ووَلّي حاجباً . ثمّ صُرف في سنة سبع عشرة وسبعمائة بالأمير سيف الدين ألمَاس ، وآستمرّ على إمرته . ثمّ سافر إلى مكّة في شهر ربيع الأوّل سنة عشرين ليقيم بها حتى لا يهجم الشريف

(1) الإكمال 6 / 53 ، وفيه بحث طويل في نسبه : هل هو ابن صالح أم ابن عمر ؛ رياض النفوس 1 / 281 ؛ لسان الميزان 2 / 67 (256) وزاد في نسبه : الفَرْدميّ ، وفردم بطن من تجيب .

(2) في المخطوط : ابن صالح بن عمر ، والإصلاح من بقيّة المصادر ، ويبدو أنّ خطأ المقريزيّ ناتج عن توقّفه عند الترجمة الأولى للبهلول في تاريخ ابن يونس ، كما بيّن صاحب الإكمال .

(3) أبو عمرو في رياض النفوس .

(4) في تبصير المنتبه لأبن حجر 3 / 917 : وأبوه عمر روى عن أبيه صالح بن عبيدة .

(5) الدرر 2 / 41 (1377) ؛ السلوك 2 / 259 – المنهل الصافي ، 3/ 474(720) .

حُميضة على أخيه عطيفة بن أبي نُمَي . فلمّا قتل حميضة عاد إلى مصر .

وسافر إلى دمشق في سنة إحدى وعشرين ، وخلف الأمير تنكز حتى عاد من حجّه ، وقدم إلى مصر .

ثمّ سار إلى بلاد اليَمَن في سنة خمس وعشرين ، وسبب ذلك قدومُ رُسل الملك المجاهد سيف الإسلام علي ابن المؤيّد هزبر الدين داود ابن المظفّر [يوسف] ابن المنصور نور الدين عمر بن عليّ بن رسول بكتابه يشكو من الاختلاف عليه ويسأل النجدة بعسكر . وكان قد ثار بهادر الصقريّ [1] وملك زبيد وتلقّب بالملك الكامل ، وملك عمر بن أيبك الدوادار [2] عدن ، وملك آخر الجبال ، وملك المنصور [...] حَرَض والمَهْجَم [3] ، وملك آخر الجبال الشرقية . وزحف ابن الدوادار على المجاهد وحصره بتعَز ، فكتب ثانياً يسأل النجدة ويعد أنّه إذا وصل عاد وأوقر أحمالهم بالهدايا والتحف ، ويخصّ السلطان بجميع ما في قلعة دُمْلُوَة ، وبها ذخائر ملوك اليمَن كلّهم ، فتشتمِل من النقد واللؤلؤ والجواهر على شيء لا يدخل تحت حصر ، وأقلّ ما يحمله منها عشرة أحمال من ذهب وحِملا[ن] من الجواهر . وشكا من الحصر والذلّ والهوان ما رقّ له قلب كلّ قاس .

فشر[ه] [4] السلطان إلى الاستيلاء على اليمَن ، واستدعى الأمراء . وقرأ عليهم الكتاب وعيّن لتقدمة العسكر بيبرس هذا ، ومعه من الأمراء سيف الدين طينال الحاجب ، وأضاف إلى كلّ منهما خمسَ طبلخاناه وأميرين من العشرات ، وأربعة من مقدّمي الحلقة ، وثلاثمائة مملوك ، سوى مماليكهم ومماليك الأمراء . وفرّقت أرزاقُهم في يوم الاثنين خامس صفر سنة خمس وعشرين وسبعمائة . وندب الأمير عزّ الدين أيدمر الكجكيّ لتحصيل جمال العرب بالأجرة ، وأنفق في

(1) بهادر الصقريّ مرّت ترجمتُه : رقم 983 .
(2) في غاية الأماني 499 و 501 : الدويبار .
(3) غاية الأماني ، 504 .
(4) فشر في المخطوط .

الأمراء : فبعث إلى بيبرس ألف دينار وإلى طينال ثمَانمائة دينار ، ولكلّ من أمراء الطبلخاناه عشرة آلاف درهم ، ولكلّ من العشرات بألفي درهم ، ولمُقدّمي الحلقة ألف درهم لكلّ مقدّم ، ولم ينفق في أجناد الحلقة شيئاً وأمتنع من النفقة فيهم ، فاحتاجوا إلى تجهيز أنفسهم ، وعاقدوا على كل جمَل إلى مكّة بمائة وستّين درهماً ، وإلى ينبع بمائة وثلاثين ، واحتاج كلّ منهم إلى أربعة جمال . وكتبت تذكره لبيبرس بما يفعله ورُسم له أن لا يخرجَ عمّا فيها ، وخلع عليه وعلى الأمراء .

ورحل طينال في يوم الثلاثاء عاشر ربيع الآخر ، ومعه من أمراء الطبلخاناه ططر العقيقيّ ، وكوكاي طاز ، وعليّ بن طغريل الايغانيّ ، وأيبك الكوندكيّ ، وجارباش أمير علم . ومن أمراء العشرات بلبان الدواداري ، وطرنطاي
[268 أ] الإسمَاعيلي والي باب القلّة[1] / في عدّة من المماليك وأجناد الحلقة . ثمّ تبعه الأمير بيبرس مقدّم العسكر ومعه من أمراء الطبلخاناه آقول الحاجب ، وقجمار [الجوكندار] ، وبلبان الصرخديّ ، وبكتمُر العلائيّ أستادار ، وألجاي الحساميّ الساقي ، ومن أمراء العشرات أيدمر الكوندكيّ ، وإبراهيم ابن التركماني في عدّة من المماليك والأجناد . ورحلوا في حادي عشره ، وقد حمل إلى بيبرس مبلغ خمسين ألف درهم مرصدة لمَن عساه يمُوت فرسُه في الطريق فينعم عليه بأربعمائة درهم ، فإن مات جملُه أُعطي ثلاثمائة درهم . وحمل برسمهم من منفلوط في البحر أربعة آلاف إردبّ قمحاً وشعيراً لتفرّق فيهم نجدة .

فساروا إلى مكّة وارتفقوا بمَا حمل في البحر ، وساروا ، ومعهم الشريف عطيفة ، والشريف رميثة ، آبنا أبي نُمَي بعرب الحجاز ، وقدّموا كافور[اً] الشبيليّ[2] خادم صاحب اليمَن بين يديهم ليخبره بقدوم العسكر في خامس جمادى الآخرة . فقدموا حلى بني يعقوب بعد أثنيْ عشر يوماً وقد رعبت منهم أهل

(1) باب القلّة هو أحد أبواب قلعة الجبل .
(2) في المخطوط : الشليليّ ، والإصلاح من السلوك 2 / 265 .

البلاد . فلم يتعرّضوا لأحدٍ بسوء . ورحلوا بعد [أيّام] في العشرين منه ، حتى نزلوا على حرض . ورحلوا في أوّل شهر رجب ، فقدم الخبر بأنّ المجاهد قويَ أمرُه عندما آشتهر في البلاد خبرُ مَجيءِ عسكر مصر ، وقد آتّفق أهل زبيد على أخذ بهادر الصقريّ وركبوا عليه . ففرّ منهم ونُهبت أمواله وتسلّمَها المجاهدُ . فتقدّم إليه من العسكر عبد الله البريديّ ، ثم الأمير عزّ الدين الكونذكيّ ، فسرّ بهم وآعتذر إليهم من تأخّر الإقامات عن العسكر بمَا هو فيه . فوافى العسكر ظاهر زبيد ، وخرج المجاهد إلى لقائهم في زيّ يضحك منه ، وأكثرُ مَن حوله عُراة مُشاة بيد كلّ منهم جريدة أو خشبة فيها خرقة بها رَنْك[1] السلطان ، ومعه فرسان بيد كلّ منهم فرس يقوده وقد جلّله من فوق السرج ، وفيهم من يركب البغال بسراويلات ودراريع ، قد شدّوا سيوفَهم فوقَ دراريعهم . والمجاهد في بني عمّه عليه عمامة فوقها عصابة ملوّنة بأطراف مخيش وبنو عمّه بهذه الهيئة . فدهش عندما رأى العسكر وقصد أن يترجّل عن فرسه . فتقدّم إليه آقول الحاجب ومنعه حتى قرب العسكر منه [فـ]ـألقى نفسَه ومَن معه إلى الأرض ، فترجّل له أيضاً الأمير بيبرس والأمير طينال ، وأركباه وسارا به في الموكب وهُما بجانبيه إلى الخيم . وأنزلاه وقدّما له التشريف السلطانـ[ـيّ] المحمول باسمِه من مصر بالكلفتاه الزركش والحياصة الذهب . فألبساه وأركباه وركبا بالعسكر في خدمته إلى زبيد ، وقد عمل لهم سماطاً ليس بذاك ، فلم يتقدّم أحدٌ ولا أكل منه[2] . وآعتذر إليه الأمير بيبرس بأنّ هذا لا يكفي العسكر ، وغداً يعمل بكرة النهار سمَاطاً يليق ، ويقرأ مرسوم السلطان . وتركه وعاد بمن معه إلى الخيام .

فلمّا أصبحوا وقد تهيّأ السمَاط ، ونصب للمجاهد كرسيّ عالٍ وأجلسوه عليه ، والسمَاط بين يديه ، ودار السقاة ، ووقف النقباء والحجّاب والجاشنكيريّة على عادة أسمَطة السلطان بمِصر ، ووقف الأمير بيبرس رأس

---

(1) الرَّنك هو الشعار يرسم على الرايات والأعلام والسلاح .

(2) زاد في السلوك 2 / 266 : « ... خوفاً من أن يكون فيه ما يخاف عاقبتُهُ » .

الميمنة والأمير طينال رأس الميسرة حتى أنتهى فراغ السمَاط ، صاح الجاويش على أمراء المجاهد وأهل دولته ليحضروا . فجاؤوا وأخذوا مجالسهم . فقُرئ عليهم كتاب السلطان يتضمّن دخولهم في طاعة المجاهد . فقبّلوا الأرض وأجابوا بالسمع والطاعة وتباشروا بذلك . ثمّ عرض المجاهدَ خلعَه على الأمراء فأنفوا من لبسها استقلالاً لها .

وكتبوا إلى بهادر الصقريّ وغيره أن يحضروا . فحضر الصقريّ بعدما حلف له الأميران بيبرس وطينال أن لا يُمكّنا أحداً من أذاه . فتلقّياه وأكرماه .

وقلّت العلوفات عند العسكر وطلبوا من المجاهد ما يعلف للدوابّ فلم يبعث شيئاً . وعنّفَه الأمراء بسبب ذلك وقالوا له : أينَ ما وعدتَ به السلطان من أنّك [268 ب] تقوم/ بكلفة العسكر منذ يدخل إلى بلادك حتى يرجع ؟

فلم يهتزّ لتعنيفهم وأعتذر بخراب البلاد ، وكتب إلى الضياع بحمل الغنَم والذرة . وسار إلى تعز في أمرائه ، ومعه من أمراء مصر الكوندكيّ والإسمَاعيليّ ، وأقام العسكر على زبيد . فعادت جمالهم وقصّادُهم من الضياع بالخيبة ولم يقابلهم أحدٌ ، فأمتدّت عند ذلك أيديهم بأخذ ما قدرت عليه . ورحلوا إلى تعز في نصف رجب فتلقّاهم المجاهد بأمرائه وقد جمع خلقاً كثيراً فكان لهم يوم مشهود . وشكوا إليه ما بهم من الجهد لقلّة علف الدوابّ فوعدَهم ومنّاهم ، ثمّ حمل أهل البلاد إليهم شيئاً يسيراً .

وسيّر الأمراء الشريف عطيفة أمير مكّة والكوندكيّ مع رسل المجاهد إلى ابن أخيه [الملك الظاهر المقيم] [1] بدُمْلُوة يدعو[نـ]ـه إلى الطاعة . وأقام العسكر في جَهد من قلّة الجالب وارتفاع سعر الذرة ، والمجاهد يسوّف بينهم ، حتى تبيّن أن أمراءه خيّلوه من العسكر وانتزاعه من الملك ، وحسّنوا له العمل عليهم وإتلافهم . فأوّل ما ظهر من ذلك قطعُ ماءٍ ينزل من جبل صَبِر كانت الدوابّ

(1) الزيادة من السلوك 2 / 267 .

ترِدُه . ثمّ تخطَّفوا الغلمان . فركب العسكر على أهل الجبل وقد أخذوا عدّة من جمال الأمراء ولبسوا السلاح ، فامتنع أهل الجبل وأعلاه [1] ورمَوا الحجارة بال[ـمـ]ـقاليع على العسكر فأصابوا الأميرين بيبرس وآقول ، وقتل من الأجناد أربعة ، ومن الغلمان ثمانية . وبات العسكر تحت الجبل .

فلمّا أصبحوا بلغهم أنّ المجاهد قد عَزم على الغدْر بهم واستفسد نحو ثلاثمائة مملوك ليقيموا عنده ، وأنّ المصقريّ عوّل على الهروب . فبادر بيبرس وقبض على الصقريّ وعلى الغياث وأحاط على موجودهما وتمكّن المجاهد منه ففرّق على العسكر من موجوده عشرين فرساً عوضاً عمّا مات من خيولهم . ثمّ أخرج بيبرس بهادر الصقري ووسّطه نصفَين بالسيف حسب ما رسم له به في التذكرة . فسرّ أهل تعز بقتله سروراً عظيمًا . وقُيِّد الغياث ووكّل به ثم وسّط بعد ذلك أيضاً .

ثمّ حضر الشريف عطيفة والكوندكيّ بأنّ صاحب دملوة أجاب بالسمع والطاعة . فتقاضى الأمراءُ المجاهدَ إنجازَ ما وعد به السلطان من المال وغيره . فأجاب بأنّه لا قدرة له على المال إلّا من دُمْلُوة ، صمّم على ذلك وأشهد على نفسه بقضاة بلده أنّه عاجز عن القيام بالعسكر لخراب بلاده وعدم قدرته على المال ، وقد أذن لهم في الرحيل ، وأنّه عاجز أيضاً عمّا وعد به السلطان في كتبه إليه . وكتب خطَّه مع شهادة قضاته . فرحل العسكر عائداً بخُفّي حنين إلى أن قدم مكّة حادي عشر رمضان وقد تلفت دوابُّهم وهلك أكثرها . وساروا منها ثاني شوّال فقدموا القاهرة يوم الخميس أوّل ذي القعدة ، وصعدوا قلعة الجبل يوم الاثنين خامسه . فخلع على الأمراء كوامل مطرز زركش وحَوايص . وقد توحّش ما بين بيبرس وطينال . وذكر بيبرس أنّ ذخيرته كانت ثلاثين ألف دينار مصريّة لم يتأخّر منها غير ألف دينار وأربعة آلاف درهم ، وأتلف[ـت] البقيّة في هذه السفرة .

---

(1) هكذا ، ولعلّ الكلام ناقص .

فلمّا كان يوم الاثنين تاسع عشر ذي القعدة المذكور طلع بيبرس إلى الخدمة على عادته وتوجّه إلى دار النيابة ، [فـ]ـقال له الأمير أرغون النائب : قد رسم السلطان أن تتوجّه إلى نيابة غزّة – فلم يوافق ، فقبض عليه وسجن . وأنعم بخبزه على ألمَاس الحاجب ، وبخبز ألمَاس على طينال ، وفرّق خبز طينال على جماعة من المماليك السلطانيّة .

وسبب قبضه أنّ طينال وشى به إلى السلطان أنّ المجاهد صاحب اليمَن حمل إليه في الليل حملين ذهباً ، وأن ٱبنَه أخذ من بهادر الصقريّ خاتمَين ياقوت لا قيمة لهما وأخذ سيفه وحياصة وفيها أربعة أحجار ياقوت ولعلُ [1] . وكان

[269 أ] السلطان قد علّق آماله بما وعده به المجاهد من المال . فلمّا / عاد العسكر بغير شيءٍ وبلغه هذا عن بيبرس لم يطقه [فـ]ـقبض عليه وقيّده ، وسلّم خازنَ داره وكاتبَه إلى الأمير الوزير مغلطاي الجمالي ليعاقبَهما على إحضار الحملين الذهب والحياصة والخاتَمَين .

فأمّا الخاتمَان فكان علي بن بيبرس قد أخذهما من الصقريّ وباعهُما في القاهرة بمَبلغ خمسمائة درهم . فتتبّعها حتى أحضرهما ، فإذا أحدهما بفصّ ياقوت أصفر . والحياصة والسيف كان المجاهد قد أنعم بهما على أحدِ مماليك بيبرس . فلم يرهما السلطان بذلك الوصف ، فتبيّن له كذب طينال . فأمر بتخفيف القيد عن بيبرس .

وما زال في السجن حتى أفرج عنه بعد تسع سنين في يوم الاثنين ثاني عشرين رجب سنة خمس وثلاثين [وسبعمائة] وأنعم عليه بإمرة آقسنقر شادّ العمائر . ثمّ نقل في سنة تسع وثلاثين على إمرة بدمشق [2] .

....

(1) اللعلُ حجارة كريمة حمراء (دوزي) .

(2) في السلوك 2 / 637 : مات بها في رجب 743 .

994 - بيبرس الجالق العجميّ [- 707] [1]

بيبرس العجميّ ، المعروف بالجالق ، الأمير ركن الدين ، الصالحيّ ، النجميّ ، أحد المماليك الصالحيّة نجم الدين أيّوب .

.... وتوفّي سنة سبع وسبعمائة عن ثمَانين سنة بمَدينة الرملة ، وحُمل إلى القدس ، وهو آخر من بقي من الصالحيّة . وكان شجاعاً مقداماً ، إلّا أنّه ما حضر مصافًّا إلّا وكان أوّل مَن انهزم منه بعدما يبلي فيه بلاءً عظيمًا . وكان يقال عنه : قد كملت فيه الفروسية إلّا أنّه ليس له سعد .

وكان خيّراً ديّناً عنده مقدار من ماله برسم الأجناد يقرضهم منه إذا احتاجوا في تجريدهم ويصبِر به عليهم مدّة ، فذهب له في هذا الوجه مال جزيل .

995 - بيبرس الركنيّ [- 740] [2]

بيبرس الركنيّ ، المظفّريّ ، الأمير ركن الدين [الجمدار] .

كان من مماليك الأمير بكتمُر السلاحدار ، ثمّ صار إلى الأمير بيبرس الجاشنكير قبل أن يتسلطن . فلمّا زالت أيام المظفّر بيبرس وعاد الناصر محمد إلى ملكه وثار عليه اَبنُ أخيه موسى ابن الصالح عليّ ابن قلاوون ، كان بيبرس هٰذا ممّن وافقَه . فنمّ به إلى السلطان فعرف له ذلك [3] .

---

(1) المنهل 3 / 474 (719) ؛ الدرر 2 / 41 (1376) ؛ الوافي 10 / 348 ؛ **السلوك** 2 / 40 ؛ النجوم 8 / 227 وفيها : الجالق كلمة تركيّة تعني الفرَس الفرِه .

(2) السلوك 2 / 505 ومنه عرفنا سنة وفاته ؛ النجوم 9 / 325 .

(3) السلوك 2 / 92 . والعبارة هنا غامضة لاْقتضابها . وفي السلوك أنّ بيبرس الجمدار وافق الجماعة ثمّ خانهم فبلّغ إلى محمد بن قلاوون خبر المؤامرة .

وما زال ينتقل في الخدم حتى أنعم عليه بإمرة . ثمّ ولي كشف البحيْرة . ثم ولي الإسكندرية [1] ، وحصّل بها مالاً جزيلاً . فانتدب لمرافعتِه حسن بن الصاوي من أجناد الثغر ، وقرّر في ذهن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون أنّه يحصّل من الخمر خاصّة ثلاثين ألف دينار في السنة وأنّـ[ـه] يجلبه من بلاد الفرنج ويبيعه في الفنادق المشحونة بالبغايا ، وأنّ له بالثغر ثلاثين بستاناً ، أقلُّها بألفِ دينار ، إلى غير ذلك من الأملاك .

فخرج جمال الدين إبراهيم جمال الكفاة ناظر الخاصّ ، ومعه الامير نجم الدين محمود وزير بغداد للكشف عنه وإيقاع الحوطة على أمواله . وخلع على عزّ الدين أيدمر الزرّاق بولاية الإسكندرية عوضَه . فقبض عليه ناظر الخاصّ وأحاط بمَوجوده . فكثرت القالة السيّئة فيه من جهة تضمينه الخمر ونحوه من الفواحش . ووجد له عدّة بساتين وأملاك ومتاجر ، فقام الأمراء في مساعدته حتى تقرّر عليه حمل عشرين ألف دينار وهو في بيتِه ، فحملها في أيّام [2] . ومات عقيبها في [. . .] . فبيعت أملاكُه بالإسكندرية بخمسمائة ألفٍ وستّين ألف درهم عنها [3] خمسة وعشرون ألفَ دينار ونيّف . وبيعت تِركتُه بنحو عشرة آلاف دينار أخرى .

وكان قبل ولايته معروفاً بتلاوة القرآن وملازمة الصلاة والعفّة . فلمّا ولي ساءت سيرتُه وشره في أخذ المال وتحصيله من جهات غير مرضيّة .

996 - بيبرس التاجي [- بعد 712] [4]

بيبرس التاجي ، الأمير ركن الدين ، أحد البرجيّة . ترقّى في الخدم إلى أن ولّاه الأمير بيبرس الجاشنكير ولاية القاهرة في عشرين المحرّم سنة إحدى وسبعمائة

(1) في 13 محرّم 729 (السلوك 2/ 309) .
(2) السلوك 2/ 488 .
(3) هكذا في المخطوط ، ولعلّ بالكلام سقوطاً . وفي السلوك 2/ 493 : 560 ألفاً . ولم يزد
(4) الدرر ، 2/ 41 (1374) .

عوضاً عن ناصر الدين بن الشيخيّ . ثم صُرف عنها في [...] وأقام بدمشق من جملة أمرائها إلى أن قبض عليه في ربيع الأوّل سنة أثنتي عشرة وسبعمائة ، هو وبيبرس المجنون ، وسنجر البرواني ، وطوغان المنصوريّ ، وسجنوا بقلعة دمشق ، ثمّ حملوا مقيّدين إلى الكرَك[1] .

997 – بيبرس التلاويّ [– 703][2]

بيبرس / التلاويّ ، الأمير ركن الدين ، أحد المماليك [...] . [269 ب]

[...] ومات بدمشق بعدما أقام في شدّ الدواوين بها سنة واحدةً وسبعةً وأربعين يوماً – منها [أيام مرضه] سبعة أشهر – [مات] في يوم الاثنين تاسع رجب سنة ثلاث وسبعمائة .

وكان ظلوماً غشوماً عسوفاً جبّاراً . ووليَ بعده قيران الدواداريّ شادّ طرابلس .

998 – بيبرس الزاهديّ الأحدب [– 692]

بيبرس الزاهديّ الأحدب الرمّاح ، الأمير ركن الدين ، أحد المماليك [...] .

تنقّل في الخدم وصار من أمراء مصر . فلمّا جرى للملك السعيد ما جرى[3] وسبق الأمراء إلى القلعة ، كان بيبرس هذا قدّامه فتقطّر عن فرسه فتكوّنت له منه

(1) السلوك 1 / 118 وأضاف : لميلهم مع قراسنقر .

(2) الدرر ، 2/ 41 (1375) – السلوك 1/ 929 و 956 ، والإكمال منه . ولم نتمكّن من سدّ الثغرة الأولى في الترجمة .

(3) أي خلع السعيد نفسه وأنعزاله بالكرك في ربيع الأوّل 678 ؛ السلوك 1 / 654 ، ولم يذكره المقريزي من بين المشاركين في الأحداث .

حدبة وعرف بذلك .

ولم يزل حتى مات في سنة أثنتين وتسعين وستّمائة .

وكان جواداً .

999 - بيبرس الموفّقيّ [- 704] [1]

الأمير ركن الدين ، المنصوريّ ، أحد المماليك المنصوريّة قلاوون .

كان من مماليك الأمير [...] الموفّق نائب الرحبة . فبعثه بتقدمة إلى الملك المنصور ، فوافى دمشق وقد ثار بها الأمير سنقر الأشقر ، فأخذه وما معه ، وصار في جملته إلى أن أنهزم من دمشق وقبض عليه فارتجع لديوان السلطان .

وترقّت به الأحوال إلى أن صار من أمراء دمشق . ومات بها يوم الأربعاء ثالث عشرين جمادى الآخرة سنة أربع وستّمائة . وظهر أنّه خنقه مماليكه وهو سكران . فأثبت أولاد سنقر الأشقر أنّه مملوك أبيهم ، واستولَوا على موجوده [2] .

1000 - بيبرس الرشيديّ [- 680]

الأمير ركن الدين ، أحد المماليك الظاهريّة . قُتل مع كوندك في نصف المحرّم سنة ثمَانين وستّمائة [3] .

....

(1) الدرر 2 / 43 (1385) _ المنهل ، 3/ 381(725) .

(2) في الدرر : آدّعوا ولاءه فلم يتمّ لهم ذلك .

(3) السلوك 1 / 686 . وقتل كوندك بسبب تآمره مع جماعة من الظاهريّة والسعيديّة على السلطان قلاوون .

1001 – بيبرس الصيرفيّ [– 671]

بيبرس الصيرفيّ ، الأمير ركن الدين ، أحد المماليك [...] .

ترقّى إلى أن صار أحد الأمراء بديار مصر . ومات في رابع عشر ربيع الآخر سنة إحدى وثمَانين وستّمائة .

1002 – بيبرس طقصوا [– 692] [1]

بيبرس الناصريّ ، الأمير ركن الدين ، يقال له : « طقصوا » .

تنَقَّلَ في الخدم إلى أن صار من أمراء مصر في أيّام الملك الظاهر بيبرس وأيّام المنصور قلاوون ، وتزوّج الأمير لاجين الصغير بأبنته . ثمّ قبض عليه الملك الأشرف خليل بن قلاوون وخنقه مع جماعة من الأمراء في أوّل ليلة من المحرّم سنة أثنتين وتسعين وستّمائة بقلعة الجبل .

1003 – بيبرس المنصوريّ [– 725] [2]

بيبرس المنصوريّ ، الأمير ركن الدين ، أحد مماليك الملك المنصور قلاوون .

تنقّل في الخدم إلى أن تأمّر في الأيّام المنصوريّة ، وولي نيابة الكرَك إلى أن صرفه الملك الأشرف خليل بن قلاوون بالأمير جمال الدين آقوش . وقدم مصر فأقام بها إلى أن صار دوادار السلطان .

فلمّا تسلطن الملك الناصر محمد بن قلاوون بعد مقتل أخيه الملك الأشرف

(1) السلوك 1 / 780 و 782 : وخُنق طقصو الحَمُو وأطلق لاجين الصهر .

(2) الوافي 10 / 352 (....) ؛ الدرر 2 / 43 (1384) ؛ المنهل 3 / 479 (724) ؛ السلوك 2 / 269 ؛ النجوم 9 / 263 دائرة المعارف الإسلاميّة 1 / 1162 .

خليل وتحكّم كتبغا في الدولة ، أعطى بيبرس هذا إمرة مائة فارس وتقدمة ألف ، وبقي على حاله دوادار . وفوّض إليه أمر ديوان الإنشاء في المكاتبات والأجوبة والبريد ، فباشر ذلك أيام كتبغا ، وأيّام المنصور لاجين إلى أن قُتل وأعيد الناصر إلى السلطنة فٱستمرّ به .

وكان يباشر كتابةَ السرّ شرفُ الدين عبد الوهاب ابن فضل الله العمريّ . فبعث إليه يوماً أن يكتب إلى نائب الشام كتاباً عن السلطان بشيءٍ ذكره . فقال : لا بدّ من مشاورة السلطان والنائب .

فغضب بيبرس منه واستدعاه . فلمّا جاءه لم يكترث به ، وقال له : كيف أقول لك : والك ، اكتب ما تكتب !

فقال : تأدّب يا أمير ! و[لا] تقل : والك !

فقام إليه وضربه على رأسه ثلاث ضربات . فخرج من عنده ، وكان يسكن بالقلعة ، وعبر إلى الأمير سلّار النائب ، وهو أيضاً في دار النيابة بالقلعة وشكا إليه ما نزل به ، فسكّن من روعه وأقرّه عنده إلى وقت الخدمة السلطانيّة ، [فـ]ـعرّف الأمراء ما كان من بيبرس ، وتحدّث مع الأمير بيبرس الجاشنكير – وكانا [1] حينئذ هما القائمَان بأمور الدولة – فاتّفق الجميع وأنكروا على بيبرس ، [270 أ] وأمر به / فأخذ سيفُه وعُنّف تعْنيفاً كثيراً . وصُرف من الدواداريّة بالأمير عزّ الدين أيدمر في جمادى سنة أربع وسبعمائة ، وصار من جملة الأمراء الكبار .

فلمّا عاد الملك الناصر إلى الملك بعد المظفّر بيبرس الجاشنكير أعاده إلى الدواداريّة في يوم الخميس ثاني شوّال سنة تسع وسبعمائة ، وأضاف إليه نيابة دار العدل ونظر الأحباس . ثمّ ٱستقرّ في نيابة السلطنة بعد القبض على الأمير بكتمُر الجوكندار ، وخلع عليه في يوم السبت ثامن عشر جمادى الأولى لسنة إحدى عشرة بعدما استعفى من النيابة ، فلم يعفه .

....

(1) أي : سلّار وبيبرس الجاشنكير .

وباشر النيابة إلى أن قبض عليه في يوم الاثنين ثاني ربيع الآخر سنة آثنتي عشرة ، وسجنه هو وآقوش الأفرم وسنقر الكماليّ في أربعة أمراء أخر[1] . وولي بعده النيابة الأمير أرغون الناصريّ . فلم يزل في السجن إلى أن أفرج عنه بشفاعة أرغون النائب ، وأحضر من الاسكندريّة هو والأمير بهادرآص في ثامن عشر جمادى الآخرة سنة سبع عشرة [وسبعمائة] ، فلزم بيته . وكانت مدّة سجنهما نحو الخمس سنين .

ثمّ أنعم عليه بإمرة ثمانين بديار مصر على إقطاع مغلطاي بن أمير مجلس وخلع عليه وجلس رأس الميسرة في [...] سنة ثماني عشرة . وحجّ في سنة ثلاث وعشرين . ومات ليلة الخميس خامس عشرين شهر رمضان سنة خمس وعشرين وسبعمائة عن ثمانين سنة ، ودفن بتربته خارج القاهرة .

وكان أميراً حشماً كثير الأدب عاقلاً ، له صدقات ومعروف . وأنشأ مدرسة بسويقة العزيّ خارج باب زويلة تعرف بالمدرسة الدواداريّة ورتّب فيها درسا للحنفيّة وجعل لها أوقافاً دارّة . وكان يخرج من داره في السحر ومعه الدراهم فيتصدّق بها سرًّا .

وألّف تاريخاً سمّاه : « زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة » ، يدخل في أحد عشر سفراً ، ويقال إنّه آستعان في تأليفه بكاتبه [أبي البركات][2] ابن كبر النصرانيّ .

وكان يجلس رأس الميسرة ، وكان حنفيّ المذهب له اشتغال بالفقه . وأجيز بالفتوى والتدريس . وكان يلازم الصلوات الخمس في الجماعة ويحيي ليله صلاة وقراءة . ويقضي نهاره بسماع الحديث والبحث في العلوم .

---

(1) زاد في السلوك 2 / 117 : لميلهم الى قراسنقر .

(2) في النجوم 9/ 264 هامش 1 : كاتبه شمس الرئاسة ركبي النصرانيّ . وابن كَبر القبطي له ترجمة في دائرة المعارف الإسلاميّة ، الملحق 5 ـ 6/ 389 (ت بين 720 و 726) .

وكان دائم البشر طلق الوجه لا يسمع غيبة أحد ولا يرى [1] بالهمّة مع العفّة والديانة . وكان يخرج زكاة ماله وعست [2] غلّاته [3] .

1004 - بيبرس الجاشنكير [- 709] [4]

بيبرس الجاشنكير المنصوريّ . السلطان الملك المظفّر ، ركن الدين .

كان يعرف أوّلاً بالعثمانيّ . وملكه الملك المنصور قلاوون ، فترقّى في الخدم ، وعمله جاشنكير فعرف بذلك .

ولاؤه للمنصور ولبنيه :

وكان أشقر اللون مستدير اللحية ، يوصف بعقل ودين وتنزّه عن الفواحش من المحرّمات . فأنعم عليه بإمرة طبلخاناه ، ومال إليه المماليك البرجيّة إلى أن مات المنصور ، ومدّة أيام الأشرف خليل بن قلاوون ، إلى أن قُتل [الأشرف] بتروجة ، فكان أوّل مَن نعاه وأشاع قتلَه فحلّ كلفتاه وصاح : « واسلطاناه ! » ، فركب العسكر وانضمّ إلى الأمير كتبغا وقاتلوا الأمير بيدرا قاتل الملك الأشرف وقتلوه وأقاموا في السلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون [5] ، وقام الأمير كتبغا بتدبير أمور المملكة . وجعل بيبرس أستادار السلطان عوضاً عن الأمير لاجين المعروف بالحسام الأستادار ، بحكم أنّه بقي أتابك العساكر . فلم يتمّ ذلك سوى أيّام يسيرة حتى فسد ما بين الأمير سنجر الشجاعيّ وزير الدولة وبين الأمير

(1) كلمة لم نفهمها .

(2) كلمة عسيرة القراءة .

(3) ختم ابن تغري بردي ترجمته في المنهل بهٰذا التعليق الطريف : « فهؤلاء كانوا هم الأمراء ، لا مثل أمراء عصرنا ، هٰذه البقر العاجزة » . وما أحوجنا الى هٰذه الخواطر في كتاب المقفّى !

(4) الوافي 10 / 348 (4843) ؛ النجوم 8 / 232 ؛ دائرة المعارف الإسلاميّة 2 / 1160 ؛ الدرر 2 / 36 (1375) ؛ المنهل 3 / 467 (718) ؛ السلوك 2 / 45 ، 71 ؛ الخطط 2 / 416 .

(5) هٰذه السلطنة الأولى سنة 693 .

كتبغا نائب السلطنة وقبض الشجاعيّ على عدّة من الأمراء ، منهم بيبرس الجاشنكير من الموكب السلطانيّ في يوم الخميس ثاني عشرين صفر سنة ثلاث وتسعين وستّمائة . بعدما ضُرب بدبوس على رأسه ضربةً لم يزل / بعد ذلك أثرُها [270 ب] في رأسه . وحُمل هو والأمير برلغي إلى الإسكندريّة فسُجنا بها إلى أن تسلطن لاجين . فأخرجه فيمَن أخرج من الأمراء ، وأنعم عليه بإمرة في مصر .

فلمّا قُتل لاجين[1] كان من جملة الأمراء الذين دبّروا أمر مصر بعد قتله . وٱلتفّت الطائفة البرجيّة بأسرها عليه وٱئتمَروا بأمره . وقامت الطائفة الصالحيّة كلّها مع الأمير سلّار .

ٱقتسام الحكم بينه وبين سلار :

فلمّا قدم الملك الناصر محمد بن قلاوون من الكرك وأعيد إلى السلطنة ، ٱستقرّ بيبرس أستاداراً ، وسلّار نائب السلطنة ، وقاما بتدبير سائر الأمور . وقدّم كلّ منهما حاشيته . ولم يجعلا للناصر من الأمر سوى مجرّد الاسم فقط . وقوي مع ذلك جانب البرجيّة وصارت لهم حمايات كثيرة ، وتردّد الناس إليهم في الأشغال . والقائِم بذلك كلّه بيبرس . فوقع التحاسد بينهم وبين الصالحيّة أتباع سلّار . وعظم بيبرس عن مباشرة الأستاداريّة ، فٱستناب فيها عنه الأمير علم الدين سنجر الجاوليّ وحكّمه في جميع أمورها ، وٱشتغل هو بتدبير الأمور ، إلّا أنّه يتأدّب مع الأمير سلار النائب ، ويركب بين يديه .

ولمّا تحرّك غازان محمود ملك التتار لأخذ بلاد الشامْ ، خرج هو وسلار بالناصر من القاهرة في عساكر مصر إلى غزّة . فثار به الأويراتيّة وضربه برنطاي [فـ]ـجرح بوجهه . وكانت الفتنة التي ذكرت في ترجمة الناصر محمد بن قلاوون[2] . فلمّا سكنت الفتنة ، أخذ البرجيّة في إغراء بيبرس بسلار ، وأنّه قد وافق السلطان على إمساك بيبرس . فداري سلار الحال حتى رضي بيبرس ،

(1) قُتِل لاجين سنة 698 .

(2) ترجمة الناصر محمد بن قلاوون رقم 3265 .

وساروا جميعاً إلى الحرب . فوافاهم غازان على وطأة حمص . فعندما توافق الفريقان عرض لِبيبرس حُمّى حادّة وأخذه إسهالٌ مُفرط لم يقدر معه أن يثبت على الفرس . فركب المحفّة واْعتزل القتال . فلمّا كان من الكسرة على حمص ما كان وعادت العساكر إلى مصر في ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وستّمائة وتجهّزت لحرب غازان مرّة ثانية ، سار بيبرس وسلار بالعساكر إلى دمشق في شعبان منها . وبعثا النوّاب إلى الممالك وقتلا مَن بقي من التتر . بعد رحيل غازان . بحلب . وقرّرا أمور الشام [و]عادا إلى القاهرة في ثالث شوّال . ثم خرجا مرّة ثانية بالملك الناصر إلى جهة الشام في صفر سنة سبعمائة لحرب غازان . وعادوا جميعاً من العوجاء في جمادى الأولى . فقام بيبرس في أمر النصارى قياماً يشكره الله عليه : وذلك أنّهم كانوا قد تزايد ترَفُهم[1] وكثُر طُغيانُهم وصاروا يتفنّنون في ركوب الخيُول المسوّمة والبغلات الرائعة بحَلي الفضّة والذهب . ويتأنّقون في جودة الملابس الفاخرة ، وإليهم سائر أعمال الدولة يتصرّفون فيها برأيهم كيف أحبّوا . فاْتّفق أنّ بعض المغاربة [2] رأى أحد المتعمّمِين راكباً وحوله عدّة من المسلمين يَمشون في ركابه ويسألونه ويتضرّعون له ويقبّلون رجلَه ، وهو لا يعبأ بهم ولا يلتفت إليهم ويصيح فيهم وينهرهم ويسبُّهم سبًّا قبيحاً ويُطردُهم غلمانُه . فلمّا أنكر ذلك قيل له : وهو مع ما ترى نصرانيّ !

فلم يتمَالك نفسَه وصعد من فوره إلى الأمير بيبرس ، ودخل عليه وهو يبكي ، وأخبره بمَا رأى ، وشنّع في القالة عليه . وقال : كيف ترجون النصرَ على أعدائكم ، وأنتم تُعِزّون من أذلّ اللهُ ، فتُركبون النصارى الخيولَ ، وتُمَكّنونهم من زيّ أهل الإسلام ، حتى أذلُّوا المسلمين واستهانوا بهم ؟ — ونحو ذلك من القول .

....

(1) هكذا في المخطوط ، ولعلّها : ترفُّعُهم .

(2) السلوك 1 / 909 : المغربيّ هو وزير ملك المغرب وقد مرّ بالقاهرة حاجّاً . وانظر في ص 911 هامش 1 التعليق الهامّ من الناشر .

تشديده على النصارى واليهود في اللباس :

فأثّر كلامه في نفس بيبرس ، واجتمع بالأمير سلار النائب ، وطلب القضاةَ والفقهاء وبطرك النصارى ورئيس اليهود ، وبرز مرسوم السلطان بحمل أهل الذمّة على حكم الشرع . فاجتمعوا بالمدرسة الصالحيّة بين القصرين من القاهرة ، وفوّض أمرَهم لقاضي القضاة شمس الدين أحمد السروجي الحنفيّ . فألزم بطرك / [271 أ] النصارى وأساقفتَهم وديّانَ اليهود بتغييرهم زيّ طوائفهم ، وأن يتميّز النصارى بلبس العمائِم الزرق ، واليهود بالعمائِم الصفر ، وأن لا يركبوا الخيولَ ولا البغال ، وأن يَمتنعوا من سائر ما منعتهم منه الشريعة المحمّدية ، ويلتزموا سائرَ ما شرطه عليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه . فالتزموا ذلك ، وأشهد عليه البطرك أنّه حرّم على جميع النصارى مخالفة ذلك والعدول عن شيء منه . وقال رئيس اليهود وديّانهم : أوقعتُ الكلمة على مَن خالف هذا من اليهود . وكتب عن السلطان إلى سائر أعمال مصر والشام بذلك . فلمّا كان يوم خميس العهد [1] وهو العشرون من شهر رجب جمع سائر نصارى مصر والقاهرة ويهودها ، وألزموا بأن لا يخدم أحد منهم في شيءٍ من دواوين السلطان ، ولا دواوين الأمراء ، وشدّد عليهم في المنع من ركوب الخيل والبغال ، وأن لا يخالفوا شيئاً ممّا شرط عليهم ، وهُدّدوا بالقتل إن خالفوا . ثمّ نوديَ بالقاهرة ومصر عليهم أنّ مَن خالف منهم ما أُمر به سُفِك دمُه . فضاقوا ذرعاً بذلك وبالغوا في السعي بالأموال ليعفَوا من ذلك ، فامتنع بيبرس من إعفائهم وبذل جهدَه في الثبات ومعارضة الأمراء حتى اضطرّ النصارى الحالُ إلى الإذعان ، وأسلم من أعيانهم غيرُ واحدٍ ، أنفةً من لبس الأزرق وركوب الحمار . وسار البريد إلى سائر أعمال الشام بحمل اليهود والنصارى على [ما] شرح .

فامتدّت أيدي العامّة ، وهدموا عدّة كنائس بفتوى الشيخ نجم الدين أحمد

(1) قال ناشر السلوك : هو المسمّى عيد العدس يأتي قبل الفصح بثلاثة أيّام .

آبن محمد بن الرفعة . وجمع القضاة والفقهاء للنظر في ذلك ، فصرّح ابن الرفعة بوجوب هدمها ، وامتنع ابن دقيق العيد من الفتوى بهدمها ، ووافقه الفقهاء على ذلك . فغلّقت الكنائس بإقليم مصر مدّة سنة حتى بعث الأَشْكُرِي[1] متملّك القسطنطينيّة يشفع في فتحها ففُتحت عدّة كنائس حينئذ . واستمرّ النصارى بسائر المملكة من دمقلة ببلاد النوبة إلى الفرات يلبسون العمائم الزرق واليهود يلبسون العمائم الصفر ، ولا يركب أحدٌ منهم فرساً ولا بغلة . وهم على هذا إلى اليوم .

ثمّ خرج من القاهرة هو والأمير سلار وأكثرُ الأمراء للنصف من ربيع الأوّل سنة إحدى وسبعمائة إلى الصعيد ، وكانت واقعة العرب كما ذكرت في ترجمة الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وعاد .

فخرج حاجًّا في أوّل ذي القعدة سنة إحدى وسبعمائة ، ومعه ثلاثون أميراً ، فدخل مكّة ، شرّفها الله تعالى . وقبَضَ على الشريفَين رميثة وحميضة آبنَي أبي نُمَي وحملهما إلى القاهرة ، وأقام في إمارة مكّة أخويهما عطيفة وأبا الغيث ، وقدم إلى القاهرة أوّل يوم من المحرّم سنة اثنتيـ[ـن] وسبعمائة ، ومعه الشريفان مقيّدين ، فسجنَهما .

مشاركتُه في وقعة شقحب :

ثم سار إلى دمشق في ثامن رجب سنة آثنتين وسبعمائة ، ومعه من الأمراء طغريل الإيغانيّ ، وكراي المنصوريّ ، وبيبرس الدوادار ، وسنقر شاه ، ولاجين الروميّ ، بمُصافّهم[2] ، وثلاثة آلاف من الأجناد . وذلك لأنّ غازان نازل قلعة

(1) الأَشْكَرِي لقب اباطرة بيزنطة منذ القرن السابع هجري / الثالث عشر ميلادي وهو محرّف عن آسم أوّل امبراطور بعد استيلاء الصليبيّين على القسطنطينيّة ، وكان اسمه تيودور لاسكاريس Lascaris (عن السلوك 1 / 179 هامش 2) . وانظر قاموس روبار الأعلام تحت هٰذا الإسم .

(2) المصافّ مُفاعَل من صافّ العساكر أي رتّبهم للحرب ، ولعلّها : مُضافهم . أي ما يضاف إلى عددهم وعدّتهم .

الرحبة ، وبها عَلَم الدين سنجر الغتميّ ، فلاطفه مدّة حتى رحل عنه عائداً إلى بلاده ، وجهّز ثمَانين ألفاً مع قطلوشاه أحد عظماء دولته إلى الشام . فدخل بيبرس دمشق في نصف شعبان ، وكتب يستحثّ السلطان على القدوم إليه . فخرج ببقيّة العسكر من قلعة الجبل حتى وافى ظاهر دمشق ، فكانت وقعة شقحب [1] التي انهزمَت فيها جيوش التتار وقتل أكثرهم ، وأبلى بيبرس فيها بلاءً عظيمًا وقاتل بنفسه قتالاً مشهوراً ، هو وسلّار ، إلى أن كشف الله بهما التتار وهزمَها ، كما ذكر في ترجمة الناصر محمد بن قلاوون . وعاد معه إلى قلعة الجبل في شوّال .

فندب زوج ٱبنته الأمير بُرلغي إلى الحجاز ، وبعثه أميرَ الركب ، وجهّز معه الكتبَ إلى الشريفين أبي الغيث وعطيفة أميرَي مكّة / بأن لا يؤذّن في الحرم بحيّ [271 ب] على خير العمل ، ولا يتقدّم بالحرم إمام زيديّ يؤمّ بالزيديّة في الصلوات الخمس ، وأن تترك البدعُ التي أحدثَت في جوف الكعبة ، وهي أنّهم زعموا أنّ بها شيئاً سمّوه : « العروة الوثقى » ، وكان الحاج يقاسي في صعوده إلى الكعبة حتى يُمسك هٰذه العروةَ أموراً شديدة ، وتنكشف فيها عوراتُ النساء . وأحدثوا أيضاً مسماراً بالكعبة [2] ، فيجد الناس في مسّه ألمًا زائداً وتذهب لهم أموال عديدة . فبطل ذلك كلّه على يد بيبرس .

---

(1) وقعة شقحب في رمضان 702 . وانظر تفاصيلها في السلوك 1 / 930 وما يليها .

(2) شرح ابن حجر في الدرر 2 / 37 أمر المسمار فقال : ولمّا حجّ بيبرس قلع المسمار الذي في وسط الكعبة ، وكان العوامّ يسمّونه « سرّة الدنيا » . ينبطح الواحدُ منهم على وجهه ويضع سُرَّته مكشوفة عليه ويعتقد أنّ مَن فعل ذلك عُتق من النار .

ولم يفصّل قصّة العروة الوثقى وٱكتفى بنعتها بالحلقة التي يسمّونها العروة الوثقى . وقال المقريزيّ في السلوك 2 / 940 : [وأمر بيبرس] ألّا يربط الحاج حتّى يقبضوا على ما كان في الكعبة ممّا سمّوه العروة الوثقى ... وكان يحصل من التعلّق بها ... عدّة مفاسد قبيحة .

ولم يقل انّ هٰذا الإجراء تمَّ عند حجّ بيبرس كما يقول ابن حجر .

مقاومته للعادات الفاسدة :

ثمّ أبطل عيدَ الشهيد من مصر ، وكان من أجلّ مواسم النصارى ، يخرجون بأجمعهم إلى ناحية شبرا من ضواحي القاهرة في اليوم الثامن من شهر بشنش [1] أحدِ شهور القبط ، ويلقون في النيل تابوتاً فيه أصبع بعضٍ من سلف لهم - ويزعمُون أنّ النيل لا يزيد ما لم يُلقَ فيه هذا الأصبع - فيكون في اجتماعهم من شرب الخمر والتجاهر بالفسوق ما لا يُمكن وصفه . فقام بيبرس في ذلك ، وكتب إلى ولاة أعمال مصر بالنداء في الأعمال ألّا يخرج أحدٌ لعمل عيد الشهيد . وبعث الحجّابَ إلى شبرا فمنعُوا الناس من الاجتماع بها . فكبُر هذا على النصارى ، وسعَوا بمَن أظهر الإسلامَ منهم عند التاج ابن سعيد الدولة ، وهو أخصّ الناس بيبرس حتى خيّله أنّ في منع ذلك عدمَ طلوع النيل وانكسار الخراج . فلم يعبأ بقوله وصمّم على إبطاله فبطلَ .

ثمّ لمّا خرّبت الزلزلة جامع الحاكم [2] بالقاهرة التزَمَ بعمارته وأعاده كأحسن ما كان ورتّبت فيه عدّة دروس ، ما بين فقه على المذاهب الأربعة ، وحديث ، وقراءات ، وأقام به عدّة قرّاء يقرؤون القرآن ، وعمل فيه خزانة كتب جليلة شحنها بأنواع من كتب الفقه والحديث والتفسير والنحو واللغة وغير ذلك ، وحفر فيه صهريجاً يَملأ من ماء النيل ويسيل طول السنة ، ووقف على ذلك ما يكفيه فاستمرّ وقفُه .

وخرج إلى الحجّ مرّة ثانية أوّل ذي القعدة سنة أربع وسبعمائة ومعه جماعة من الأمراء فأعاد الشريفين حميضة ورميثة ابنَي أبي نُمَي إلى إمارة مكّة ، وقبض على أخويهما [3] .

---

(1) بشنش في شهور القبط هو أيار / ماي . مروج الذهب 2 / 335 . وانظر حديث هذا العيد في السلوك 2 / 941 .

(2) جامع الحاكم . انظر النجوم 8 / 140 هامش 1 .

(3) لم يشرح المقريزيّ هنا ولا في السلوك 2 / 11 سبب تراجعه في أمر أولاد أبي نمي ، وكان في حجّته الأولى قبض على حميضة ورميثة .

بداية التنافر مع سلّار :

فلمّا دخلت سنة ستٍّ وسبعمائة تنافر هو والأمير سلار بسبب الأمير علم الدين سنجر الجاولي ، فإنّه كان ينوب في وظيفة الأستداريّة . فثقل عليه[1] الجاوليّ وما زال يغري بيبرس به حتّى صادره . فشقّ ذلك على سلّار من أجل أنّه كان صديقاً له ، وحدّث بيبرس في الإغضاء عنه فلم يرجع إليه وأفترقا على غير رضاً . وكان بيبرس يركب إلى موكب سلّار عند ركوبه يومَ الخدمة وينزل عند منزله ، فترك الركوبَ معه وأنفرد بحاشيتِهِ في موكب وحده ، فتوقّع الناسُ الفتنةَ بينَهُما مدّةَ أيامٍ ، وأستعدّ البرجيّة أتباع بيبرس وركبوا بالسلاح من تحت ثيابهم خوفاً من مفاجأة الشرّ ، إلى أن ركب من الأمراء آقوش الموصليّ قتّال السبع ، وبيبرس الدوادار ، وبرلغي ، وسنقر الكماليّ الحاجب . وبكتوت الفتّاح ، في عدّة كبيرة ، وما زالوا بهما حتى سكن الشرّ . وأخرج الجاولي إلى الشام بطّالاً ، وعُزل سعد الدين محمد بن [محمد بن] عطايا من الوزارة . فعاد بيبرس إلى ما كان عليه من موادّة سلّار .

ومنع مراكب النزهة أن تدخل في الخليج الكبير التي تسمّيه العامّة الخليج الحاكميّ ، وكان يَمرّ فيها من أختلاط الرجال بالنساء ، وهنّ مزيّنات باديات الوجوه ، ومن شرب الخمور قبائح يتلف فيها مال عظيم ويُقتل بسببها عدّة من الناس . فبطلَ ذلك ، وصار الخليج لا يعبر فيه من المراكب إلّا ما يحمل غلّة أو متجراً ، لا غير .

فلمّا كان أوّل المحرّم سنة سبع وسبعمائة كثر قلقُ الملك الناصر وضجره من شدّة الحجر عليه ، فهمّ بالقبض على بيبرس وسلّار وثبتَ ذلك من

(1) في الكلام نقص . وفي السلوك 2 / 22 كانت بوادر الخصومة بين كاتب بيبرس وهو التاج ابن سعيد الدولة ، وسنجر الجاوليّ وهو من أصدقاء سلّار . فالجاولي ثقل على التاج فأخذ يغري مولاه بيبرس .

خاصّكيّته[1]، ووافقهم الأمير بكتمُر الجوكندار أمير جاندار . فنُقل ذلك إليهما ، فاحترسا على / أنفسهما ، وثارت فتنة انجلت عن إخراج ثلاثة من الخاصّكيّة إلى القدس ، ونفي بكتمُر إلى الصُّبَيْبَة [2] ، و[تمّ] الصلح مع السلطان . فقوي أمر بيبرس قوّة زائدة ، وآستظهر على سلّار النائب بكثرة حاشيته ، وهم جلّ أهل الدولة ، وعظمت مهابته . وعزم على إخراج الناصر إلى الكرك ، فمَنعه سلّار بحسن تلطّف . [272 أ]

فشرع في بناء الخانكاه بدار الوزارة من القاهرة فجاءت في أحسن هندام وأجلّ قالب ، لم يعمل قبلها مثلُها بديار مصر . ومساحتُها فدّان وثلث .

تنازل الناصر عن السلطنة :

وما زال على وفور الحرمة ونفوذ الكلمة إلى أن توجّه الملك الناصر للحجّ وعرّج من الطريق إلى الكرك ، وأقام بها ، وكتب بنزوله عن السلطنة . فوافى كتابُه مع الأمراء الذين ساروا معه ، في يوم الجمعة ثاني عشرين شوّال سنة ثمَان وسبعمائة . فآجتمع سائر الأمراء ، وفيهم بيبرس . فدار الكلام بينهم فيمَن يلي السلطنة ، ومال الأمراء الكبار إلى سلطنة سلّار فعرّضوا بذلك له فآمتنع منه . وكبر هذا وصعب على البرجيّة أتباع بيبرس ، فقاموا من المجلس خوفاً من انعقاد أمر سلّار فتفرّق الجميع على غير سلّار [3] . وخلا أتباع سلّار به ولامُوه على امتناعه وخوّفوه من سلطنة بيبرس أنّه لا يبقيه ولا يبقي أتباعه . وما زالوا به حتى أظهر أنّه إذا أعيد عليه السؤال، قَبِل .

واجتمع البرجيّة على بيبرس واتّفقُوا كلُّهم على سلطنتِه ، ومنْع سلّار بكلّ طريق من أن يلي السلطنة ، وتحالفوا أنّه متى تسلطن سلّار جذبوا سيوفَهم يداً

(1) قراءة ظنّيّة . وفي السلوك 2/ 33 : وشكا [السلطان] ذلك لخاصّكيّته .
(2) الصبيبة قلعة بانياس ؛ النجوم 6/ 281 هامش 2 .
(3) هكذا في المخطوط . ولعلّ الأنسب : على غير آتّفاق . وانظر السلوك 2/ 45 .

واحدة وقتلوه . ودخلوا إليه فطال خطبهم معه ، وهو لا يُوافقهم على السلطنة . وأنّ الأمر قد انتظم لسلّار ، إلى [أن] قاموا من مجلسِه ليلاً على غير رِضا ، وصاروا إلى الأمير برلغي ، وكانت ابنةُ بيبرس تحته ، وأخبروه بمَا وقع . فوافقَهم هو وبقيّة أصحابه من الأمراء على مرادهم . وأخرجت الأسلحة واستعدّ الفريقان للحرب .

فبلغ ذلك سلّار ، فاستدعى أتباعه من الأمراء ، وتلطّف بهم حتى رضُوا بمَا يختاره . وجلس بشبّاك دار النيابة ، وحضر بيبرس وسائر الأمراء والمماليك . وجيءَ بالخليفة أبي الربيع سليمَان والقضاة . وقُرئ عليهم كتاب الملك الناصر ، وشهد أيدمر الخطيريّ والحاج أل الملك بنزوله عن السلطنة . عند قاضي القضاة زين الدين عليّ بن مخلوف المالكيّ[1] . فأثبت النزول .

وأعاد الأمراء القولَ فيمَن يلي السلطنة ، وأشاروا بسلطنة سلّار . فقال : نعم ، بشرط أنّ كلّ ما أشير به لا تخالفو[نـ]ـني فيه .

تولية بيبرس السلطنة :

فلمّا ٱلتزموا موافقتَه حَلّفهم على المصحف ألّا يخالفوا له قولاً . فقلق البرجيّة ونظر بعضهم إلى بعض ، خوفاً من تمَام الأمر لسلار . فلمّا حلف الأمراء كلّهم قال سلّار : والله يا أمراء ، أنا ما أصلح للملك ، ولا يصلح له إلّا أخي هٰذا -- وأشار إلى بيبرس ، ونهض قائمًا . فقامت البرجيّة بأجمعها وقالت : صدق الأمير ! -- وأخذوا بيد بيبرس وأقاموه كَرهاً ، وصاحوا على الجاويشيّة فأعلنوا بٱسمِه ، وأفيضت عليه الخلعة الخليفيّة -- وهي فرجيّة حرير أطلس أسود ، وطرحة -- وتقلّد سيفَيْن على العادة ، وركب فرس النوبة بالرقبة الزركش من دار النيابة . ومشى سلّار وسائر الأمراء والعسكر بين يديه ، وعبر من باب القلعة إلى

(1) توفّي هٰذا القاضي سنة 717 ؛ النجوم 8/ 233 هامش 2 .

الإيوان [1] ، وجلس على تخت السلطنة ، وتلقّب بالملك المظفّر ، وصار يبكي بحيث يراه كلّ أحد ، وذلك في يوم السبت ثالث عشرين شوّال [سنة 708] [2] . ثمّ قام ودخل إلى القصر وتفرّق الناس ، بعدما كان يظنّ أنّ الفتنة تعظم بين أتباع سلّار وأتباع بيبرس ، فلم يتحرّك ساكن . وحضر الأمراء يوم الاثنين خامس عشرينه للخدمة فأظهر لهم الغمّ بمَا نزل به ، وأنّه أُكرِه على ما هو فيه . وخلع على الأمير سلّار واستقرّ في نيابة السلطنة على عادته . وكتب إلى الأعمال بالبشارة : فخرج بيبرس الأحمديّ إلى حلَب ، وبلاط إلى حماة ، وأيبك البغداديّ / وزير بغداد وساطي إلى دمشق . وكتب تقليد الملك الناصر بنيابة [272 ب] الكرك والشوبك . فوردت أجوبةُ الجميع بالسمع والطاعة والدعاء له على المنابر وضرب السكّة بأسمِه ، إلّا الأمير آقوش الأفرم . فإنّه توقّف حتى بعث إلى الملك الناصر مَن يثق به ، فلمّا عاد وأخبره بتركه السلطنة حَلَف للمظفّر وخطب بأسمِه في يوم الجمعة سادس عشر ذي القعدة .

فأستدعى الخليفة والقضاة وجدّدت له الولاية بالسلطنة مرّة ثانية ولبس الخلعة الخليفيّة ، وكتب له العهد من إنشاء علاء الدين علي بن عبد الظاهر ، وحمله الصاحب ضياء الدين عبد الله النشائيّ [3] على رأسه ، وحضر الأمراء قراءته .

ثمّ ركب السلطان من الغد بشعار السلطنة في موكب عظيم إلى قبّة النصر ، وقد خلع على سائر أرباب الدولة ، من أرباب السيوف والأقلام ، فبلغت عدّة الخلع إلى ألف ومائتَي خلعة ، وعلى السلطان فرجيّة سوداء بطرز ذهب وعمامة سوداء ملمّعة بقطع ذهب وهي مدوّرة اللفّة ، وسيفاه على عاتقَيه ، والوزير ضياء

(1) الإيوان هو دار العدل ؛ الخطط 2 / 226 .
(2) السلوك 2 / 45 .
(3) في السلوك 2 / 27 : الصاحب ضياء الدين أبو بكر بن عبد الله بن أحمد النشائيّ ناظر الدواوين .

الدين قدّامه على فرس ، والعهد على رأسه في كيس حرير أسود . ثمّ عاد إلى القلعة ، وكان يوماً مشهوداً .

بعض أعماله المعماريّة :

وشرع في إنشاء جسر من قليوب إلى دمياط ، فعمل عمله في نحو شهر ، وجاء طوله مسافة يومين [1] في عرض أربع قصبات من أعلاه وستّ من أسفله ، بحيث سار عليه ستّة أرؤس من الخيل صفًّا واحداً ، وعظم الانتفاع به ، فإنّ السلوك في أيام النيل كان يَمتنع في البرّ إلى دمياط لعموم الماء الأراضي .

ورمّ ما تخرّب من قناطر الجيزة فحصل بها نفع زائد .

ثمّ كتب في سنة تسع إلى الأفرم نائب الشام بإبطال المقرّر على الخمور بسائر البلاد الشاميّة من الساحل وغيره [2] ، فبطل ذلك وأريقت الخمورُ وغلّقت الخمّارات . وعوّض الأجناد الذين كان مرتّبهم على مقرّر الخمور جهةً سواها .

وشرع في تقديم البرجيّة ، فأمّر منهم جماعةً ، وندب واحداً منهم كان يعرفه بالصرامة والقوّة لتَتبُّعِ المنكرات بالقاهرة ومصر وإزالتِها حيث كانت . فأحضر واليَيْ القاهرة ومصر ومقدّمَيهما وجميع الخفراء ، فضربِ جماعةً منهم بالمقارع حتى دلّوه على مَن عنده خمر ، فكتب أسمَاءهم وأماكنهم ، وكبس البيوت على حين غفلة ، ومعه طوائف من العامّة ، وأراق خموراً كثيرة جدًّا . فافتضح كثير من الناس ، ونهب العامّة نهباً كثيراً من أمتعة أهل الدور . فشنّعت القالة وتحدّث الأمراء مع السلطان في ذلك حتى رسم بالكفّ عنه .

(1) عبارة السلوك 2 / 49 أسلم : يسير عليه الراكب يومَين .
(2) في السلوك 1 / 53 ما يُشعر بأنّ الإبطال كان من الأفرم ابتداءً ، فعمّم بيبرس الحجر على سائر مملكته .

تعسّر الحال بمصر في مدّته :

وكثر الإرجاف بحركة التتر إلى بلاد الشام ، فبرز الدهليز السلطانيّ إلى الريدانيّة خارج القاهرة ، وقد فشت الأمراض الحادّة في الناس وعمّ الوباء ، وتوقّفت زيادة النيل وارتفعت الأسعار حتى بلغ القمح خمسين درهماً الإردبّ . وترقّب كلّ أحدٍ شدّة القحط ، فخرج الناس واستسقَوا . وتأخّر وفاء النيل بعد النوروز بتسعة وأربعين يوماً فلم يوف إلى تاسع عشر بابه[1] حتى صارت العامّة تلهج كثيراً بقولها :

سلطاننا رُكَين ونائبُنا دُقين
يجينا الماء من أين ؟
يجيبوا لنا الأعرج يجيء الما ويدّحرج[2]

ثمّ سار عدّة من الأمراء على ألفَي فارس إلى حلب ، فأخذت دولته في الاضطراب : وذلك أنّه كثر توهّمُه من الملك الناصر وقصد كلّ أحد من أتباعه وألْزامه أن يرقى إلى أعلى من منزلته ، وصاروا يتّهمون الأمير سلّار النائب بمُباطنة الناصر ، وأغروا السلطان به وحسّنوا له القبض عليه ، فجبُن عنه . ومع ذلك فلم يترك الملك الناصر بل وجّه إليه بالأمير مغلطاي أيْتُغلي[3] ، ومعه كتاب يتضمّن إرسال ما أخذَه من مال مصر وخيولها والمماليك الذين عنده ، مع المال الذي استولى عليه من حاصل الكرَك . فلاطفه الناصر وبعث إليه مائتَي ألف درهم ، فلم يقنعه ، وبعثه مرّة / ثانية وأمره بإغلاظ القول عليه وأخذ الخيل التي [273 أ]

....

(1) بابه من شهور القبط : تشرين الأوّل / أكتوبر (مروج 2 / 335) .
(2) في بدائع الزهور 1 / 424 شرح لهذه النعوت : ركين تصغير ركن الدين وهو لقب بيبرس ، ودقين نعت سلّار لأنّه كان « أجرود ، في حنكه بعض شعرات » . أمّا الأعرج فهو الناصر ابن قلاوون « وكان به بعض العرج » .
(3) علاء الدين مغلطاي أيتغلي ، السلوك 2 / 58 .

عنده والمماليك ، فعزّ على الناصر ، وبلغ المظفّر ، فكثر قلقُه وجمع الأمراء ليأخذ رأيَهم . فأتّفقوا أن يتوجّه إليه بعض الأمراء ويتهدّده بأخذ الكرَك منه متى لم يرجعْ عمّا هو فيه .

وهم في المشور إذا بكتاب الأمير آقوش الأفرم نائب الشام قد ورد يخبر بأنّ الملك الناصر قد خرج من الكرك ولا يدري أين يقصد . فوقع العزم على تجريد العساكر ، وأعيد جوابُه بأخذِ الطرقات عليه . وطار هٰذا الخبر بديار مصر . فعزم الأمير سيف الدين نوغاي القَبْجَاقيّ أحد ألزام الأمير سلّار النائب على الفتك بالملك المظفّر ، ووافقه عدّة من المماليك . فلمّا ركب السلطان إلى جهة بركة الحجّاج للصيد ، وعاد من صَيدِهِ يريد القلعة ، همّ نوغاي بمَا في نفسه ، وصار يتقرّب من السلطان قليلاً قليلاً . ففطن البرجيّة به وأستداروا حول السلطان وأحترسوا عليه حتى صعد القلعة . فأتّهم البرجيّةُ سلّار بمُوافقة نوغاي وأغروه به . فأستدعاه السلطان وحدّثه في مسك نوغاي ومَن وافقه ، فدافع عنه وخوّف عاقبة مسكِهِ من تغيّر الخواطر ، وأشار عليه بالتغاضي وأنصرف .

فبلغ الخبر نوغاي ، فركب بعد المغرب من ليلة الخامس والعشرين من جمادى الآخرة سنة تسع [وسبعمائة] ومعه الأمير علاء الدين مغلطاي القازانيّ ، والأمير سيف الدين تقطاي الساقي ، وستّون مملوكاً ، وشقّوا القاهرة ومرّوا ، يريدون الملك الناصر بالكرَك . فارتجّت القاهرة وبلغ السلطانَ مسيرُهم فاستدعى سلّار في الليل ، وبعث في طلبهم الأمير علاء الدين سمُك أخا الأمير سلّار ، وقطز ابن الفارقانيّ [1] في جماعة من أتباع سلّار نحو الخمسمائة فارس . فتباطؤوا في السير حتى قدم نوغاي بمَن معه غزّة وعرّجوا إلى الكرَك بعدما أخذوا من قَطْيا

(1) في المخطوط : ابن القازانيّ ، والإصلاح من السلوك 2/ 60 .

الحمَل [1] ، وهو مبلغ مائة وعشرين ألفَ درهم ، وأخذوا خيل الوالي والعربان . وعاد سمُك من غزّة بالعسكر .

تورّعه عن الإيقاع بسلّار :

فزاد إغراء البرجيّة السلطان بسلّار وأشاروا عليه بقبضه وتجريد من يثق به حتى يأخذ الطرقات على مَن لعلّه يَتَسَحَّب من مصر إلى الكرَك . فأخرج من الأمراء سيف الدين بينجار أحدَ أمراء الألوف ، والصارم الجرمكيّ ، في طائفة ، وبعث الأمير جمال الدين آقوش الروميّ بجماعته إلى طريق السويس ، وقبض على أحد عشر مملوكاً ، وأميرٍ يقال [له] سيف الدين أيطرا من الأويراتيّة فيمَن اتّهم بالناصر . فخاف البقيّة وخرج مائة وعشرون مملوكاً من المنصوريّة والأشرفيّة والأويراتيّة وساروا ، فأدركهم بينجار والجرمكي وحارباهم ، فجرح الجرمكيّ في فخذِه جرحاً بالغاً سقط منه إلى الأرض وانهزم البقيّة . وسارت المماليك حتى قدموا الكرَك .

فٱختلّ أمرُ المظفّر وكثر تأنيبُ البرجيّة له ولومُه على الإغضاء عن سلّار ، فلم تطاوعْه نفسُه على موافقتهم وٱعتذر إليهم بكثرة حاشيته وأنّ مسكَه لا يتأتّى إلّا بعد حربٍ عظيمةٍ لا يُدرى عاقبتُها . وعزم على تجريد عسكر كبير إلى الكرك ، وعيّن من الأمراء برلغي الأشرفيّ زوج ابنته ، وجمال الدين آقوش نائب الكرك ، وأيبك وزير بغداد ، وطغريل الايغانيّ ، وباكير [2] ، وتتمّة عشرة أمراء مقدّمين وثلاثين من أمراء الطبلخاناه ، وأرسل إلى برلغي عشرة آلاف دينار ، وإلى كلّ من المقدّمين ألفي دينار ، ولكل من الطبلخاناه ألف دينار ، ولكل من مقدّمي الحلقة ألف درهم ، وللجندي خمسمائة درهم ، فأنفق فيهم مالاً عظيمًا .

---

(1) الحَمل : ما يحمل الى خزينة السلطان من جِباية ولايةٍ ما (دوزي) . وانظر السلوك 2/ 10 هامش 3 .

(2) في السلوك 2/ 62 : الأمير سيف الدين تناكر .

بدء آختلال أمره بعد تحرّك الناصر من الكرك :

فساروا من القاهرة في العشرين من شعبان ، ونزلوا العبّاسة ينتظرون قدومَ البريد من دمشق . فلم يلبثوا إلّا يسيراً حتى ورد كتاب نائب الشام بأنّه أخرج عدّة أمراء من / دمشق ويستحبّ خروج عسكر مصر ، فإنّ قراسنقر نائب حلب [273 ب] وغيره من النوّاب قد دخلوا في طاعة الملك الناصر ، وانّه حلّف عسكره بدمشق أن لا يخونوا السلطان ولا يتوجّهوا إلى الملك الناصر . فاشتدّ عند ذلك قلق المظفّر ، وجمع الأمراء ليأخذ رأيهم ، وإذا بمملوك الأمير برلغي قدم من العبّاسة بكتابه يخبر أن مماليك آقوش الروميّ قتلو[ه] وأخذوا جميع ما معه وساروا إلى الملك الناصر ، وأنّ عدّة من أمراء الطبلخاناه ، وكثيراً من مماليك الأمراء تبعوهم يريدون الناصر ، ومتى لم يخرج بنفسه فسد الأمر . فسُقط في يده .

وأخرج من الأمراء بشاش وبكتوت الفتّاح وطائفة من البرجيّة ، فلحقوا بالأمير برلغي عوضاً عمّن تسحّب ، وقوّاه بألفَي دينار ، وكتب إليه : إنّي سائر إليك عقيب هؤلاء .

فعزم برلغي على الرحيل من العبّاسة بمَن معه إلى الشام . فلمّا كان الليل رحل معظم العسكر يريدون الكرَك محبّةً في الناصر . فانزعج برلغي وكتب إلى الملك المظفّر يعلمُه بفساد حال العسكر ، وأنّه غلبه وقد لحق أكثره بالناصر ، ويستحثّه على الخروج ، وافتتح الكتاب بقوله [سريع] :

كنّا نُداريها فقد مُزِّقَت ... واتّسع الخرق على الراقع [1]

وختم آخره بقوله [وافر] :

وما غلظت رقابُ الأسدِ حتى ... بأنفُسِها تولّت ما عناها

---

(1) البيت في أمالي القالي 3 / 72 غير منسوب إلى شاعر معيّن . ولم ينقل البيتان في السلوك ولا في النجوم .

فلمّا وقف عليه قال لحامله : قل لبرلغي : لا تخشَ من شيءٍ ، فإنّ الخليفة أميرَ المؤمنين قد عقد لنا بيعةً ثانية وجدّد لنا عهداً قُرئ على المنابر ، وجدّدنا عهد اليمين على الأمراء ، وما بقي أحدٌ يجسر أن يخالف ما كتب به أمير المؤمنين ، فإنّه قد أكّد في كتابة العهد .

وناوله قاصدَ برلغي وقال : اذهب به إليه ودعه يقرأ وحدَه ، ثمّ يجمع الأمراء والجند في مخيّمه ويقرؤه الموقع عليهم ثمّ يبعثه إليّ ، ويرحل بالعسكر فإنّ نائب الشام ينتظر قدومه . – ودفع إليه ألفَي دينار أخرى ليوصلها إلى برلغي .

فلمّا وصل العهد إلى برلغي فتَحَه فإذا أوّلُه : « إنَّه مِنْ سُلَيْمَانَ » (النمل ، ٣٠) ، فقال : « وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحُ . . . » (الأنبياء ، 81 وسبأ ، 13) . ثمّ التفت إلى الذي جاء به وقال : قل له : يا صقيع الذقن ، والله ما بقي أحدٌ يلتفت إلى الخليفة – ثم قام وهو مغضب .

تجديد البيعة من الخليفة لم يجدِ شيئاً :

وكان سبب كتابة هذا العهد أنّه لمّا ورد كتاب الأفرم نائب الشام بأنّه حلّف العسكر ، أشار صدر الدين محمد بن المرحّل ، وشمس الدين محمد بن عدلان على المظفّر بأن يجدّد الخليفةُ له البيعة ، وتقرأ على المنابر وعلى الأمراء ويجدّدوا أيمَانهم بالوفاء ، فإنّ ذلك أثبتُ للمملكة . فأعجبه ذلك . وكتب عن الخليفة بعد البسملة : من عبد الله وخليفة رسول الله ﷺ على المسلمين ، سليمَان بن أحمد العبّاسيّ ، لأمراء المسلمين وجيوشها : « يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وأَطِيعُوا الرَّسولَ وأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ » (النساء ، 59) . وإنّي رضيتُ لكم بعبد الله تعالى الملك المظفّر ركن الدين نائباً عنّي على الديار المصريّة والبلاد الشاميّة وأقمْتُه مقام نفسي لدينه وكفايته وأهليّته ، ورضيته للمؤمنين ، وعزلتُ مَن كان قبله بعد علمي بنزوله عن الملك . ورأيتُ ذلك متعيّناً عليّ ، وحكمْت بذلك

الحكّام الأربعـ[ـة] . وأعلموا رحمَكم الله أن الملك عقيم[1] ليس بالوراثة لأحدٍ ، سالفٍ عن سالف ، ولا كابرٍ عن كابر . وإنّي استخرتُ الله تعالى وولّيت عليكم الملك المظفر ، فمَن أطاعه فقد أطاعني ومَن عصاه فقد عصاني ، ومن عصاني فقد عصى ابنَ عمّي أبا القاسم ﷺ . وبلغني أنّ الملك الناصر ابن السلطان الملك المنصور شقَّ العصا على المسلمين وفرّق كلمتَهم وشتّت شملهم وأطمع عدوّهم فيهم وعرّض البلاد الشاميّة والمصريّة إلى سَبْيِ الحريم والأولاد وسفك الدماء ، وتلك دماء / قد صانها الله من ذلك . وأنا خارجٌ إليه ومحاربُه إن [274 أ] استمرّ على ذلك ، ودافعٌ عن حريم المسلمين وأنفسهم وأموالهم هٰذا الأمرَ العظيمَ ، وأقاتلُه حتّى يفيءَ إلى أمر الله . وقد أوجبتُ عليكم يا معاشرَ المسلمين كافّةً الخروجَ تحت لوائي اللواءِ الشريف . فقد أجمعت حكّام المسلمين على وجوب دفعِه وقتاله إن استمرَّ على ذلك حتى يفيء إلى أمر الله ، وأنا مستصحب معي لذلك السلطان الملك المظفّر ، فجهّزوا أرواحكم ، والسلام ، والحمد لله وحده .

وقُرِئ على منابر الجوامع وقت الخطبة في يوم الجمعة . فلمّا وصل الخطيب بالجامع الأزهر إلى ذكر الملك الناصر صاحت العامّة : نصره الله ! — وكرّرت ذلك . فلمّا وصل إلى ذكر الملك المظفّر صاحوا : لا ! لا ! ما نريدُه ! — وارتجّت القاهرة وضجّ أهلها بسبب هٰذا طول يومهم .

انضمام الشام إلى الملك الناصر :

فقدم البريد من دمشق بكتاب الأفرم يتضمّن أن امراء الشام كلّهم وسائر النواب قد مالوا مع الملك الناصر ، ويُشير عليه أن يخرج بنفسه ، وإلّا فسد الحال . وقدم قاصد الأمير برلغي أيضاً بكتابه يخبر أنّ جميعَ مَن معه من أمراء الطبلخاناه ساروا إلى الملك الناصر ولم يبقَ معه سوى نائب الكرك ، ووزير

(1) الملك عقيم : لا وراثة فيه بالنسب . وانظر التعليق الهامّ من ناشر السلوك المرحوم محمد مصطفى زيادة 2 / 65 هامش 4 .

بغداد [1] ، وباكير ، وألدكز ، والفتّاح لا غير . فجبُن عن الخروج وأظهر كراهة سفك الدماء ، وتعلّل بولاية الخليفة له وعزل الملك الناصر ، وأنّه ما لم يقبلوا ذلك ترك لهم الملك واستسلم لقضاء الله .

فركب برلغي وآقوش نائب الكرَك من العبّاسة وسارا يريدان الملك الناصر . وعاد وزير بغداد وبكتوت الفتّاح في مَن بقي من البرجيّة إلى المظفّر فعنّفوه على تفريطه وتوانيه . وكان قد أمّر من مماليكه وألزامه في أوّل رمضان عدّة سبعة وعشرين ، وشقّوا القاهرة بشعار الإمرة على ما كانت العادة . فصارت العوامّ تقول : يا فرحة لهم ، يا فرحة لا تمّت !

وأخرج طائفة من مماليكه إلى الصعيد . فلمّا بلغه تسحّب برلغي صهره أيس من البقاء في السلطنة واتّضع حاله وظهر عليه الخذلان ، فتجرّأت عليه البرجيّة وعنّفوه تعنيفاً خشناً لتغاضيه عن سلّار ، ونسبوا كلّ ما وقع إليه – وكان كذلك [2] . فوافقهم على قبضه يوم الاثنين نصف رمضان إذا دخل إلى الخدمة . فبلغ ذلك سلّار فلم يحضر وتمارض . فبعث المظفّر يستدعيه ليأخذ رأيه فاعتذر بشدّة الألم عن الحضور .

وأصبح بيبرس يوم الثلاثاء سادس عشره فطلب الأمراء واستشارهم ، فأشار عليه الأمير بيبرس الدوادار والأمير بهادرآص بالنزول عن السلطنة والإشهاد عليه بذلك كما فعل الملك الناصر ، ويبعث يستعطفه ، [وقال :] وتخرج إلى أطفيح حتى يأتيك جوابه .

تنازل بيبرس عن السلطنة :

فمال إلى هذا وجهّز خيّالة وأخذ من الخزائن ما وقع عليه اختياره وركب

....

(1) في السلوك : أيبك البغداديّ .

(2) تبسّط المقريزي في هٰذا الحكم في السلوك 2 / 70 ، فزاد : فإنَّ سلّار لمّا فاتته السلطنة وقام فيها بيبرس ، حسدَه ودبّر عليه .

ومعه الأمير أيدمر الخطيريّ أستادار ، وبكتوت الفتّاح ، وقجماس ، وباكير ، في عدّة من ألزامه . فكأنّمَا نودي في الناس أن قد فرّ السلطان ! - فاجتمعوا من كلّ جهة ووافوه وهو قد خرج من باب الاصطبل فصاحوا عليه وتبعوه وهم يبالغون في الصياح . ورماه بعضهم بالحجارة ، فنثر عليهم دراهم ليتشاغلوا عنه فلم يلتفتوا إليها ، وعدَوا خلفه يسبّو[نـ]ـه ويشتمو[نـ]ـه ويصيحون عليه . فلمّا زادوا ردّ إليهم طائفة من المماليك وسيوفهم مسلولة فرجعوا عن أعقابهم .

وكانت مدّة سلطنته عشرة أشهر وأربعة وعشرين يوماً ، كان كما قيل [خفيف] :

أعجلَتْها النوى فما نلت منها طائلاً غير نظرةٍ من بعيد

ومرّ بيبرس سائراً إلى إطفيح ، وكان لا ينزل منزلة إلّا وتذهب طائفة بعد طائفة ممّن معه ويأتونَ/ القاهرة ، إلى أن وصل إخميم ، فتركه الخطيريّ [274 ب] والفتّاح وعادا ، وتَبِعَهُما أكثرُ المماليك . وبيبرس يراهم فلا يقدر على منعهم .

وقدم عليه بيبرس الدوادار وبهادرآص بأمان الملك الناصر والإنعام عليه بصهيَون ، وطلب ما معه من المال وغيره ، فقبِل ولايةَ صهيَون وسلّم ما أخذه من المال وغيره لكاتبه كريم أكرم الكبير ليحضر به إلى السلطان . وسأل أن يحلف له السلطان فأجابه إلى ذلك وحلف بحضرة أيتمُش المحمّدي وسيّره إليه . فكتب الجواب بالطاعة .

القبض عليه بأمر من الناصر :

وتوجه على طريق السويس يريد الشام ، فبعث السلطان في طلبه الأمير أسندمر كرجي على جماعة من المماليك ، فوافى مدينة غزّة وقد نزلها الأمير قراسنقر نائب الشام ومعه النوّاب فأقاموا حتى بلغهم قرب بيبرس ، فساروا بأجمعهم إليه فلقوه شرقيّ غزّة ، وعليهم السلاح ، وقد لبس مماليك بيبرس أيضاً السلاح ليقاتلوا العسكر فكفّهم بيبرس عن ذلك وساق فرسه إلى الأمراء مستسلمًا لهم

فأخذوه وعادوا به إلى غزّة وأنزلوه وحدَه وأحاطوا على اسلحة مماليكه كلها . ووكّلوا بهم وباتوا يحرسونهم . فلمّا كان من الغد ساروا بيبرس يريدون مصر إلى أن نزلوا الخطارة . [فـ]أتاهم أسندمر كرجي وأمرهم بتقييده وأركب على بغل وسار به أسندمر .

فقدم قلعة الجبل سحر يوم الأربعاء ثالث عشر ذي القعدة . فلمّا كان الليل استدعاه السلطان . فلمّا مثل بين يديه قبّل الأرض . فأجلسَه وأخذ يعنّفه ويعدّد عليه ما فعل به حتى فرغ ، وهو ساكت . ثمّ قال : يا مولانا السلطان ، كلّ ما قلتَه فعلتُه ، وما بقي إلّا مراحمُ مولانا السلطان .

فقال : اليوم أنا أستاذك ؟ وبالأمس تقول لمّا طلبتُ إوزًّا مشويًّا : أيّ شيء يعمل بالوزّ ؟ الأكل هو عشرون مرّة في النهار ؟

ثمّ أمر فأخرج إلى موضع خال فتوضّأ وصلّى العشاء الآخرة ، وأتاه السلطان في خواصّه وقتله [1] . ثمّ حمل على جنوية [2] وغسّل من الحوض الذي تحت القلعة . واشترى له بعض الركابين قطناً بربع درهم وكفّنه ودفنه في تربة الفارس اقطاي خلف القلعة في ليلة الجمعة النصف من ذي القعدة سنة تسع وسبعمائة .

وبيعت تركتُه فوجد له شيء كثير إلى الغاية ، منه ثمانون بدلة ثياب كاملة .

ثمّ نقل منها بعد موته إلى تربتِه بسفح المقطّم .

مناقبه :

وكان من خيار ملوك الدولة التركيّة ، صالحاً ، عابداً . معدوداً من فرسان الخيل ، قويَّ [3] الشوكة ، عظيم الحرمة ، محترماً عند الخاصّة والعامّة ، إلى أن

(1) السلوك 2/ 81 ؛ والنجوم 8/ 275 أكثر تفصيلاً .
(2) الجنوية : أضلاع من لوح يُسيّجُ بها .
(3) في المخطوط : بأقوى .

ولي السلطنة [فـ]ـزالت حرمتُه وذهبت مهابتُه من قلوب جميع الناس . وبقي له دينه وورعُه وعفّتُه وطهارةُ ذيله وقلّة أذاه وصدق كلامه .

ووفّى للأمير سلّار بما عاهد عليه وثبت ، فلم يتغيّر ولا مال مع من ميّله عنه ، ولا أصغى إلى كثرة إغرائهم ، حتى إنّ أمرَه لمّا اضطرب قال في بعض الليالي لمؤذّنه شمس الدين محمد البلخي : إيش تسمع ؟

فقال : الذي أسمعه : أنا أختصر للسلطان بيت شعر من قول المتنبي [بسيط] :

أيَملك الملك ، والأسياف ظامئة   والطيرُ جائعة ، لحمٌ على وَضَمِ ؟

فقال : ويلك ، بس تفسّر[1] أنت والمتنّبي ، والله لا لقيت الله تعالى بدم مسلمٍ[2] قطّ !

وكان له في حياته صدقات ومعروف على الأيتام وأرباب البيوت ، وكان له وهو أمير سبعمائة مملوك .

1005 – بيبرس الأحمديّ [– 746][3]

بيبرس الأحمديّ ، الأمير ركن الدين ، أحد المماليك المنصوريّة قلاوون ومن جملة البرجيّة .

ترقّى في الخدم إلى أن عمله الملك الناصر محمد بن قلاوون أمير جندار مقدّم ألف بعد قبضه على بكتوت الفتّاح في شوّال سنة تسع وسبعمائة . ثمّ عمله أمير/ [275 أ]

(1) كلمة غير مفهومة .
(2) في المخطوط : مسلمة .
(3) الوافي 10 / 353 (4848) ؛ الدرر 2 / 35 (1372) ؛ المنهل 3 / 479 (724) ؛ السلوك 2 / 698 ؛ النجوم 10 / 143 .

سلاح . فاستمرّ إلى أن قبض عليه وعلى الأمير سيف الدين أيبك الروميّ المنصوري في رابع عشرين شوّال سنة ثلاث عشرة [وسبعمائه] ، وبعث إليه مع الأمير قجليس يقول له : أنت وأيبك خوشداشك قال لكما المنجّمون بأنّه يتسلطن وأنت وافقته على هٰذا .

فلمّا بلّغه قجليس ذلك قال : اللهمّ إن كان هٰذا الأمر صحيحاً فقسٍّ قلب السلطان علينا ، وإن كان كذباً فحنّن خاطره علينا !

فأعاد قجليس قوله على السلطان ، فقال : عُد وفكّ قيدَه فإنّه ما يكذب .

ففكّ القيد وأتاه به ، فأنعم عليه بإمرته على عادته . ولم يعرف عن السلطان أنّه قبض على أمير وأفرج عنه ، غيرَه .

وما زال على مكانته حتى مات السلطان ، وكانت تلك الاختلافات من بعده . [فـ]ـأراد الناصر أحمد أن يقبض عليه فاحترس على نفسه وانقطع عن الخدمة وأظهر أنّه مريض . فأخرج لنيابة صفد . ثمّ كتب لأقسنقر الناصريّ نائب غزّة بالقبض عليه بصفد . فإلى أن يجمع أقسنقر عسكر غزّة ويسير بهم بلغ خبرُه الأحمديّ . فسار من صفد وقد لبس للحرب هو ومماليكه . فقاتله عسكر صفد فقتل منهم خمسة ومضى إلى دمشقَ فقدمها ، وبها الأمير ركن الدين بيبرس الحاجب ، والأمير طرنطاي الحاجب ، في عدّة من خشداشيّته . فتلقّوه وأكرموه .

فلم يكن غير يومين حتى قدم كتاب الناصر أحمد من الكرَك ، وقد سار إليها من قلعة الجبل وأقام بها ، يأمر فيه بالقبض على الأحمديّ . فأجابوا بالسمع والطاعة ، ودسّوا للأحمديّ بأن يركب للحرب . ثم ركبوا حتى واجهوه وكاسرُوا عن قتاله وأعادوا القاصد بجواب غير طائل . وكتبوا إلى أمراء مصر ، وإلى أيدغمش نائب حلب ، وإلى الحاج أل ملك نائب حماة ، حتى انتقضت دولة أحمد وتسلطن الصالح إسمَاعيل بن محمد ، فكتب إليه نيابة طرابلس فتوجّه من

دمشق إليها فأقام بها نحواً من شهرين .

ثمّ طلب إلى مصر ، وولي طرابلس عوضه الأمير أروم بغا[1] . فلمّا قدم الأحمديّ إلى قلعة الجبل ، أنعم عليه بإمرة ، وجهّز[ه] لحصار الناصر أحمد في الكَرَك ، فبالغ في ذلك فلم ينل منه غرضاً ، وعاد إلى القاهرة .

فأقام بها حتى مات في سنة ستّ وأربعين وسبعمائة ، وقد قارب الثمَانين سنة .

وكان فيه برٌّ وكرمُ نفس وإيثار للفقراء ، مع الشجاعة ، وحسن الشكالة ، وقوّة النفس ، وشدّة البأس ، والديانة والصيانة . وله عناية بأقتناء الخيول المسوّمة والمماليك الحشمة ، ولم يركب قطّ حِجرة ، وإنّمَا يركب الفحولة . وكان يحبّ الشجعان ، ولا يزال يأخذ مماليكه بالمواظبة على اللعب بالرمح والرمي بالنشّاب ، ويعتني بآلات الحرب ، حتى إنّه بعد خروجه من صفد وهو لابس ومماليكه فضل عنه ثمَانون قرقلاً[2] وثمَانون بَرْكُصْطُوَان[3] ومائة خوذة ونحو خمسين ألف فردة نشّاب ، وغير ذلك من السروج والآلات .

وكان أحد مَن يسار إليه بعد الملك الناصر محمد في التولية والعزل . وهو الذي قوّى عَزْمَ الأمير قَوصون على إقام[ـة] أبي بكر ابن الناصر في السلطنة وخالف رأي الأمير بشتاك ، ثمّ لمّا أخذ أبو بكر في اللعب قال في القصر : إيش هٰذا اللعب ؟ – فأنْفَلَّ ندماء السلطان الملك المنصور أبي بكر .

....

(1) في المنهل : أرنبغا وكذلك في السلوك 2 / 637 .
(2) القرقل : نوع من الدروع تُتّخذُ من صفائح الحديد المغشّاة بالديباج ؛ السلوك 1 / 746 .
(3) البَرْكُصْطُوان وهو ما يسمّى أيضاً التجفاف : كساء مزركش يلبس للخيل إمّا للوقاية وإمّا للزينة ؛ السلوك 1 / 177 (هامش) ودوزي .

1006 – بيبغا التركمانيّ [– 707][1]

بَيْبُغا التركماني الخاصّكيّ ، الأمير سيف الدين ، أحد مماليك الملك الناصر محمد بن قلاوون .

كان شابًّا جميلاً كريمًا ، له عند السلطان مكانة مكينة ويرجع إلى قوله . إلّا أنّه لم يسعد جَدّه : وذلك أنّ السلطان لمّا ضاق ذرعه من شدّة تحكّم الأميرين بيبرس وسلّار عليه ، قصد الاستبداد بالأمر ، وواعد الأمير بكتمُر الجوكندار على الفتك بالأميرين . فلم يتمّ له ذلك ، وعلما بمَا وقع الاتّفاق عليه ، فاتّفقا مع الأمراء وما زالوا بأجمعهم حتى أخرج السلطان إليهم بعدّة من خاصّكيّته ، منهم بيبغا هٰذا ، وأيدمر المرقبيّ ، وخاص ترك . فأوسعهم بيبرس وسلّار سبًّا وتوبيخاً وحملاهم على البريد إلى القدس في ثالث عشر المحرّم سنة
[275 ب] سبع وسبعمائة . فبعث الأمير آقوش الأفرم نائب الشام / ينكر على الأميرين إخراج خاصّكيّة السلطان ويهدّدهما بأنّهما إن لم يعيدوهم إلى السلطان لحضر بنفسه وأعادهم . فلم يجدا بدًّا من إحضارهم .

وأنعم على بيبغا بإمرة فلم يُمَتّع بها ومات من السنة في [...] . فاشتدّ حزن السلطان وأسفُه عليه لشدّة غرامه به ، ونزل بنفسه من قلعة الجبل حتى رتّب له تربة ، وتقدّم إلى وكيله شهاب الدين أحمد بن عليّ بن عبادة بعمارتها من ماله . فلمّا كملت جعل عليها عدّة أوقاف للقرّاء والفقهاء والمؤذّنين وغيرهم من أرباب الوظائف بها ، وهي باقية إلى يومنا .

(1) في السلوك 2/ 35 و 37 اسمه يلبغا . وفي النجوم 9/ 185 : بيبغا كما هنا . وفي الخطط 3/ 168 و 4/ 320 : يلبغا أيضاً . وتراجم الياء مفقودة من المقفّى .
ولم يرد ذكر بيبغا بالباء في السلوك ولا في الخطط . وقد اعتبر ناشر النجوم 9/ 185 هامش 3 قراءة يلبغا في أحد الأصلين تصحيفاً ، ولعلّها هي القراءة الصحيحة إذا اعتمدنا الخطط والسلوك .

1007 - بيبغا تتر حارس الطير [- بعد 751] [1]

بيبغا تتر ، الأمير سيف الدين ، عُرف بحارس الطير ، أحد المماليك الناصريّة محمد بن قلاوون .

تنقّل في الخدم حتى صار أحد أمراء الألوف في أيّام الكامل شعبان بن محمد بن قلاوون على إقطاع طرنطاي الجمقدار لمّا أخرج لنيابة حمص في ربيع الآخر سنة ستّ وأربعين وسبعمائة .

ثمّ ولّاه الناصر حسن نيابة السلطنة في يوم [السبت ثامن] [2] ذي القعدة سنة إحدى وخمسين عوضاً عن بيبغا أروس [3] ، وقد توجّه إلى الحجّ . فلمّا خلع الحسن بأخيه الصالح صالح عزله عن النيابة بالأمير قبلاي وأخرجه إلى نيابة غزّة .

1008 - بيبغا أروس القاسميّ [- 754] [4]

بيبغا أروس القاسميّ ، الأمير سيف الدين ، أحد المماليك الناصريّة محمد بن قلاوون .

ترقّى في الخدم إلى أنّ عمله السلطان من الخاصّكيّة . وأوّل ما شُهر ذكره في

(1) في النجوم 9 / 171 : يلبغا حارس طير الناصر ، فالتردّد بين بيبغا ويلبغا متواصل : بيبغا ططر في النجوم 10 / 168 ، 190 ، 220 و 262 . وكذلك في السلوك ج 2 في مواضع كثيرة ، مع تأرجح بين ططر بالطاء وتتر بالتاء . وفي الوافي 10 / 358 (4852) : بيبغا تتر .

(2) الإكمال من النجوم 10 / 220 .

(3) تأتي ترجمته بعد هذه .

(4) الوافي 10 / 355 (4851) ؛ الدرر 2 / 44 (1387) ؛ المنهل 3 / 486 (731) ؛ السلوك 2 / 935 ؛ النجوم 10 / 293 ؛ بدائع الزهور 1 / 552 .

أيّام الصالح إسمَاعيل ، فرتقّى حتى صار من أمراء الألوف . وأنعم عليه المظفّر حاجي في يوم بألفَي دينار ومائة قطعة قماش وأربعة أرؤس خيل مسرجة بسروج ذهب ، وعمله أمير مجلس .

ثمّ استقرّ نائبَ السلطنة بديار مصر عوضاً عن الأمير أرقطاي في خامس شوّال سنة ثمَان وأربعين وسبعمائة . فلم يزل إلى أن توجّه إلى الحجّ ، فعزله السلطان الملك الناصر حسن بالأمير بيبغا ططر[1] في ذي القعدة سنة إحدى وخمسين .

وكان قد شكر في نيابته لقلّة ظلمه ، و[لـ]ـأنّ من مات أعطى ابنه إقطاعه أو مرتّبه .

ثمّ كُتب بإمساكه فأمسك على ينبع في سادس عشرين ذي القعدة وقُيِّد . فأخذه الأمير طاز معه حتى طاف وحجّ وهو مقيّد . ثمّ مضى به الأمير طينال الجاشنكير إلى الكرَك ، فدخلها يوم الأحد سابع محرّم سنة اثنتين وخمسين .

ثمّ أفرج عنه الصالح ، وقدم إلى القاهرة . وولي نيابة حلب عوضاً عن الأمير أرغون الكامليّ . ومضى به الأمير عزّ الدين طقطاي مسفّره ، فقدم غزّة ، وبها الأمير بيبغا تتر وقد عزل من نيابة السلطنة بديار مصر بالأمير قبلاي . فعمل له سمَاطاً وقبض عليه وبعث به إلى الكرك ليعتقل بها ، وذلك في شعبان منها . ثمّ أفرج عنه وقدم في نصف رجب منها وخلع عليه بنيابة حلب في تاسع عشره عوضاً عن أرغون الكامليّ ، ونقل أرغون لنيابة دمشق . فسار إلى كفالته وصحبته مسفّره الأمير طقطاي . فلم يقم بحلب سوى عدّة أشهر وخرج عن الطاعة ووافقه الأمير شهاب الدين أحمد الساقي نائب حماه ، والأمير بَكْلَمُش نائب طرابلس ، رابنُ دُلْغادِر قَراجا وحيّار[2] بن مهنّا ، وألطنبغا برناق نائب

(1) يرد هٰذا اللقب أحيانا بتاءين : تتر .

(2) أخذنا بقراءة الدرر ، 2/ 169 (1638) لضبط هٰذا الاسم ، وكذلك الدليل الشافي ، 1/ 280 (967) .

صفد . فخرجت العساكر طائفةً بعد أخرى من القاهرة لحربه ، بعد أن كتب إليه أن يحضر .

ثمّ سار الملك الصالح صالح في سابع شعبان سنة ثلاث وخمسين وقد بلغه خروج بيبغا أروس من حلب بجموعه في ثالث عشر رجب ونزوله على حماه ثمّ على حمص ، وأنّه لمّا وصل إليه الكتاب بحضوره قبض على مَنْ حمله إليه وقيّده . ودخل دمشق في خامس عشرينه وقد سار عنها الأمير أرغون النائب إلى الرملة بغير ممانع . فلمّا بلغه مسير السلطان رحل من أصحابه قراجا بن دلغادر وحيّار بن مهنّا بمَن معها ، فاضطربَ أمرُه وتَفَحَّذَ[1] عنه كثير ممّن معه ، وخرج يريد حلب في تاسع عشر شعبان . فكانت مدّة إقامته بدمشق أربعة وعشرين يوماً قُبُحت فيها آثار أصحابه وساءت سيرتهُم ونَهَبُوا وسبَوا وحرقوا عامّة ما بين حلب ودمشق من الضياع .

ونزل السلطان غزّة فلقيه الأمير أرغون نائب الشام على بُدَّعَرش ، وسار في العساكر إلى دمشق ، فقدمها غزّة / شهر رمضان . وسار الأمراء في طلب بيبغا [276 أ] أروس وقد قدم حلب في تاسع عشرين شعبان فإذا هي ممتنعة عليه . فبات ظاهرها لينازلها من الغد ، فأدركته عساكر من أهل حلب وطرابلس وحماه في جمع كبير من العرب وأهل بَانْقُوسا[2] . فلم يَثْبُتْ لهم وظنّ أنّهم عسكر السلطان ، وولّى منهزماً بمَن معه . فأخذهم العربان وأهل حلب ونهبوا خزائنه وأثقاله ، ونجا بنفسه ومعه أمير أحمد نائب حماه وبكلمُش نائب طرابلس في مائة ونيّف حتى لحق بقراجا بن دلغادر . فكوتب بالقبض عليه فامتنع . فخلع على رمضان أحد أمراء التركمان وعمل عوضاً عن ابن دلغادر ، فقبض عليه وبعث به إلى حلب فقتل بها في شهر ربيع الأوّل سنة أربع وخمسين وسبعمائة .

(1) هكذا أيضاً في السلوك 2/ 871 وقد شرحها الناشر بمعنى : تأخّروا عنه وخذلوه .
(2) جبل بانقوسا : قريب من حلب شماليّها .

1009 - بيدرا المنصوريّ [- 693][1]

بيدرا ، الأمير بدر الدين ، أحد المماليك المنصوريّة .

أصله المغوليّ :

أصله من المغل الذين أسروا بعد وقعة عين جالوت على حلب . فكان منهم أمّ بيدرا ، وهو طفل تحمله على ظهرها في لباد . فحُملت فيمَن حمل إلى مصر في أيّام الظاهر بيبرس ، ومن جملتهم كتبغا ، وهو مراهق . ففرّقهم الظاهر على الأمراء وكان في نصيب قلاوون المرأة وٱبنها وكتبغا . فزوّج أمّ بيدرا بسنجر الشجاعيّ .

وترقّى في الخدم بديار مصر حتى صار من جملة الأمراء أمير مجلس . ثمّ نقل إلى الأستداريّة . فلمّا قبض الملك المنصور قلاوون على وزيره الأمير علم الدين سنجر الشجاعيّ ، فوّض الوزارة بعده إلى بيدرا في يوم الثلاثاء سابع عشر ربيع الأوّل سنة سبع وثمانين وستّمائة . وٱستقرّ تقيّ الدين نصر الله بن فخر الدين الحوجريّ معه ناظر الدواوين[2] .

ثمّ صرف عن الوزارة في يوم الخميس تاسع عشر شهر ربيع الآخر بقاضي القضاة تقيّ الدين عبد الرحمان ابن بنت الأعزّ ، وكانت مدّة وزارته شهراً .

تولّيه الوزارة للمنصور قلاوون ثمّ لأبنه الأشرف :

ثمّ أعيد إليها مرّة ثانية بعد تَوَفُّرِ[3] ابن بنت الأعزّ منها . فلم يزل يباشر الوزارة حتى مات الملك المنصور وقام من بعده ابنه الملك الأشرف خليل وقبض

....

(1) الوافي 10 / 360 (4855) ؛ المنهل 3 / 493 (724) ؛ السلوك 1 / 788 .

(2) السلوك 1 / 741 : « ... شريكاً لثلاثة وهم ابن السنهوريّ والحرانيّ وابن الحلبيّ .

(3) هٰذه عبارة السلوك 1 / 742 أيضاً ولا نجد في المعاجم توفّر من الشيء .

على طرنطاي النائب [فـ]ـولي بيدرا نيابة السلطنة بديار مصر بعد طرنطاي في تاسع عشر ذي القعدة سنة تسع وثمانين وستّمائة . وحضر مع الملك الأشرف فتحَ قلعة الروم .

وسار من دمشق في شهر شعبان سنة تسعين ، ومعه من الأمراء قراسنقر الجوكندار نائب حلب ، وبكتوت الأتابكيّ . وبكتوت العلائيّ ، على عسكر كبير لقتال أهل جبال كسروان . فبعث من جهة الساحل الأمير بيبرس طقصو وأيبك الحموي في فرقة ، وسار بمَن بقي . فالتقَوا بالجبل وقد فتر عزم بيدرا عن قتالهم طمعاً في مال رشي به ، حتى أخذ أهل الجبال في الأوعار والمضايق جماعة من العسكر ، ووقعت الكسرة وآختلّ الحال . فآحتاج بيدرا إلى تطمين أكابر أهل الجبال ، وخلع عليهم . فتغيّرت قلوب الأمراء وأنكروا عليه . فعاد إلى دمشق . وخرج السلطان إلى لقائه وترجّل له عند السلام . ثم أنكر عليه إنكاراً كبيراً . فخاف [بيدرا] عاقبة ذلك ومرض في أوائل شهر رمضان – وتحدّث الناس بأنّه قد سُقي السمّ – فتصدّق بمَال جزيل ، وأخرج من في سجونه ، وردّ غصوباً كثيرة إلى أربابها ، وعمل مُهِمًّا عظيمًا[1] في عاشره بجامع دمشق وقُرِىء القرآن الكريم به . وعاد مع السلطان إلى مصر .

فلمّا توجّه السلطان إلى بلاد الصعيد استخلفه على مصر بقلعة الجبل ، وهو ضعيف . فآنتهى السلطان إلى قوص ، وكشف الوزير شمس الدين محمد بن السلعوس الوجه القبليّ فوجد الجهات التي في ديوان بيدرا من الإقطاعات والمشتراوات والحمايات[2] أكثر من الجهات الجارية في ديوان الخاصّ السلطانيّ . ووجد الشُّوَنَ السلطانيّة خالية من الغلّات وشُوَنَ بيدرا مملوءةً . فعرّف السلطان ذلك وأغراه به حتى تغيّر عليه .

---

(1) في المخطوط : مجتمعاً . والإصلاح من السلوك 1 / 779 .

(2) في السلوك 1 / 782 : ... وما آشتراه وما حَمَاه .

كشف أحواله الماليّة :

فبلغ الخبر بيدرا فجعل يتلافى ذلك . وجهّز تقدمة عظيمَة ، من جملتها خيمة حرير أطلس أحمر معدني بأطناب إبريسم ، وأعمدة صندل محلّاة ، ومُفَصَّلة بفضّة مذهبة ، وبَسَطَها بُبُسُطٍ حرير ، وأخرجها إلى ناحية العدويّة[1] ، ومعها بقيّة / التقدمة . [276 ب]

غضب الأشرف على بيدرا لأحتجانه مال السلطان :

فلمّا عاد السلطان من بلاد الصعيد نزل بها . فلم يعبأ بها ولا بالتقدمة وطلع إلى القلعة . فأرتجع للخاصّ بعضَ ما بأسم بيدرا . ولمّا خرج السلطان ليتصيّد بالجيزة قدم الوزير شمس الدين محمد بن السلعوس إلى الإسكندرية ، فكتب إلى السلطان بأنّ نوّاب الأمير بيدرا استولَوا على ما في الثغر من القماش وغيره وأنّه [لم] يجد ما يكفي به الإطلاقات[2] من التعابي القماش الإسكندراني . فلمّا وقف السلطان على الكتاب استشاط غضباً واستدعى بيدرا وسبّه وبالغ في إهانتِه والإخراق به بحضرة الأمراء . فدارى الحالَ حتى خرج من المجلس وقد تميّز من الغيظ . فطلب الأمراء الذين يهوَون[3] هواه وحدّثهم بما نزل به من السلطان ، وقد كانوا شاهدوا ما جرى ، وأخبرهم أنّه يترقّب منه أن يقبض عليه . فأشاروا بمُبادرة السلطان لئلّا يفعلَ فيه وفيهم كما فعل في سنقر الأشقر وجرمك وغيره .

(1) العدويّة : بلدة خارج القاهرة قرب بركة الحبش ؛ السلوك 1 / 783 هامش 1 .
(2) الإطلاقات : شرحها ناشر السلوك 1 / 788 هامش 4 بأنّها الهبات التي يعطيها السلطان أو يقرّرها أو يزيد في قيمتها .
(3) في المخطوط : يهون . وفي السلوك : ... ومَن يوافقه .

ٱغتيال الأشرف وتسلطن بيدرا :

فتحالفوا وتعاقدوا على قتله وركبوا مع بيدرا وقتلوا الأشرف كما قد ذكر في ترجمته[1] . وعادوا إلى الوطاق ونزلوا بالدهليز[2] السلطانيّ وعقدوا السلطنة لبيدرا وأجلسوه في مرتبة السلطنة وقبّلوا الأرض وحلفوا على الوفاء له ولقّبوه بالملك الأوحد – وقيل : بالملك المعظّم ، وقيل : الملك القاهر – وذلك في يوم السبت عاشر المحرّم سنة ثلاث وتسعين وستّمائة .

فأوّل ما بدأ به أن قبض على بيسري ، وبكتمُر السلاح دار أمير جندار وأمر بقتلهما . فقام الأمراء وشفعوا فيهما ، فرسم عليهما . وركب من فوره تحت السناجق ، والأمراء بين يديه ، وسار يريد القاهرة . وكان الأمير كتبغا قد توجّه للصيد في طائفة من الأمراء . فلمّا بلغه قتلُ السلطان أقبل مسرعاً إلى الوطاق ، فلقي الأمير برلغي ، وبيبرس الجاشنكير ، والحسام لاجين الأستادار ، وبكتوت العلائيّ ، وجماعة المماليك السلطانيّة . فساروا جميعاً في إثر بيدرا يريدون قتاله . فلحق بيدرا الزَّرَدْخاناه وهي سائرة عند المساء ، فسأله مَن فيها عن السلطان فقال : أنا قتلتُه .

فقال له الأمير بيبرس أمير جاندار : يا خوند ، هٰذا الذي فعلتَه كان بمَشورة الأمراء ؟

قال : نعم ، أنا قتلتُه بمَشورتهم وحضورهم . وها هم كلّهم حاضرون وأشار إلى الأمير لاجين نائب الشام ، وقراسنقر نائب حلب ، وبيسري وغيره . ثمّ شرع يعدّد مساوىء الملك الأشرف ومخازيه ، وٱستهزاءَهُ بالأمراء ومماليك أبيه ، وإهماله لأمور المسلمين وتوليته الوزارة لابن السلعوس ، ونفور الأمراء منه

(1) ترجمة الأشرف خليل بن قلاوون رقم 1397 .
(2) الوطاق والدهاليز : الخيمة .

لمَسكه الأمير عزّ الدين أيبك الأفرم ، وقتل الأمير سنقر الأشقر وجرمك وطقصو وغيره[1] ، وتأميره مماليكه ، وقلّة دينه ، وشربه الخمر في شهر رمضان ، وفسقه بالمردان .

أنتقام كتبغا من قاتلي الأشرف :

وسأل عن الأمير كتبغا فلم يره . فما هو إلّا أن طلع النهار يوم الأحد إذ أقبل الأمير كتبغا في طُلْبٍ كبير نحو الألفَي فارس من المماليك السلطانيّة والأمراء . فألتقى بالأمير بيدرا في الطرّانة[2] ، وقد رتّب كتبغا جماعة ترمي بالنّشاب على بيدرا . وحمل بنفسه وبمَن معه عليه حملة منكرة وقال : يا بيدرا ، أين السلطان ؟ — ورماه بسهم ، وتبعه الرماة ، فلم يثبت بيدرا وانهزم وتفرّق عنه أصحابه ، والطُلب في إثره ، إلى أن أُخذ فقُطعت يده ثمّ كتِفه قِصاصاً منه بمَا فعله بالأشرف . ثمّ قطعت رأسُه ورُفعت على رمح وسُيّرت إلى القاهرة ، فطيف بها .

ووجد في جيبه رقعةٌ فيها فتيا نصُّها : ما يقول فقهاء الإسلام في رجل يشرب الخمر في شهر رمضان ويفسق بالمردان ولا يصلّي ؟ فهل على قاتله ذنب أم لا ؟ — فكتب في الجواب : يقتل ولا إثمَ على قاتله .

تخوّفه من السلطنة :

ومن غريب ما وقع أنّه لمّا ولّاه الأشرف نيابة السلطنة دخل عليه المجد عيسى ابن الخشّاب وهو في خلوة ، فقبّل يده وهنّأه . فقال له : يا مجد الدين ، تُهنّئني بأمر أنا أخشى عقباه وأنشد [طويل] :

ومن يحمد الدنيا لشيء يسرّه — فسوف لعمري عن قليل يلومها
[277 أ] / إذا أدبرت كانت على المرء حسرة — وإن أقبلت كانت كثيراً همومُها

(1) هؤلاء خنقهم الأشرف خليل سنة 691 ؛ تشريف الأيّام والعصور لأبن عبد الظاهر ، 281 .
(2) هي طرنوت القديمة (مركز كوم حماده اليوم) ؛ النجوم 8 / 16 هامش 1 .

ثمّ دمعت عيناه ساعة ، فكأنّه نظر إلى الغيب من ستر رقيق . وكان كما قال .

وجرح مرّة بالرمح في وجهه ، فقال السراج الورّاق [كامل] :

عجباً لرمح في يَمينك طرفُه ... من جرأة فيه لطرفك طامح
ولَوَأنّه في غير كفّك ما ٱرتقى ... يوماً ولو كان السماك الرامح

وقال فيه علاء الدين عليّ بن المظفّر الوداعيّ [كامل] :

عمُرت بعدلكمُ البلادُ وأقبلت ... فترى ربوعاً أو ربيعاً أخضرا
والناس كلّهمُ لسانٌ واحدٌ ... داع : أدام اللهُ دولةَ بيدرا !

حبّه للكتب والغناء :

وكان يرجع إلى دين وعقل ، ويحبّ الكتب في أنواع العلوم ، وٱقتنى منها جملة وٱستنسخ أيضاً جملة . وكان يحبّ الفضلاء ويقدّمهم ويكرمهم . وكان حسن الوجه مهاباً مأمونَ الغائلة سهل العريكة بشوشاً لطيفاً ظريفاً حسن الأخلاق محبّباً إلى الناس ، له شغف زائد بالطرب : وجد له بعد موته ستّون جارية ما فيهنّ إلّا مَن تتقن صناعة . وكان له نديم أعمى لا يكاد يفارقه . وكان يحبّ التأنّق في المآكل ويعتني بها ، حتى إنّه لمّا سافر مع السلطان إلى قلعة الروم أراد السلطان أن يطعم الأمراء حلاوة سكب [1] بمَنزلةِ الورادة وندب الحسام أستادار لذلك ، فاحتاجت الحلوى إلى فستق ، فوجد صحبة الأمير بيدرا منه ثمَانية أحمال بغير قشر وستّة أحمال بقشر ، فبعث منه حملاً عملت منه الحلوى وفرّقت على الأمراء .

وٱشتملت محاسبة إقطاعه بعد قتله فيمَا بين ورثته وبين الأمير كتبغا ، فإنّه

....

(1) السكب أو السكب العثمانيّة : نوع من الحلوى (دوزي) .

أخذ النيابة بعده واستولى على إقطاعه بمَا فيه من الغلال وغيرها ، فشطّبَ[1] على المحاسبة من الديوان السلطانيّ بينهم على ستّة آلاف إردبّ قمحاً ، ومائتي إردبّ برسيمَا ، وثلاثمائة وثمَانين رأسَ بقر ، وستّة أحجار معاصر ، وأربعة آلاف قطعة قند واثني عشر ألف مطر[2] عسل ، ومائتي قنطار سكّر ، وألفَي إردبّ فولاً ، وثلاثمائة ألف درهم فضّة .

1010 - بيدمر البدريّ [- 748][3]

بيدمر البدريّ ، الأمير سيف الدين ، أحد المماليك الناصريّة محمد بن قلاوون .

تنقّل في الخدم حتى صار من أمراء الألوف بعد موت الناصر . ثمّ أخرج إلى دمشق فأقام بها إلى أن طلبه الكامل شعبان بن محمد وولّاه نيابة طرابلس عوضاً عن الأمير آقسنقر الناصريّ ، فلم يكن غير قليل حتى ثار الأمير يلبغا اليحياوي نائب دمشق على الكامل ، فقدم عليه ووافقه على ما أراده .

فلمّا زالت دولة الكامل بأخيه المظفّر حاجي طلبه إلى مصر وولّاه نيابة حلب عوضاً عن طقتمُر الأحمديّ ، فتوجّه إليها . ثمّ طلب فقدم القاهرة وولي نيابة حلب عوضه الأمير أرغون شاه . فلم يُقم بالقاهرة إلّا نحو شهرين ، وأخرج هو والأمير الوزير محمود بن عليّ بن شروين ، والأمير طوغاي تمُر الدوادار إلى الشام على الهجن في عاشر جمادى الأولى سنة ثمَان وأربعين وسبعمائة . فأدركهم الأمير منجك اليوسفيّ بغزّة وقتلهم في ليلة [في العشر الأواخر من][4] جمادى الأولى المذكور .

(1) شطّب الحاسب دفتره : ختم حسابَه بعلامة وكتب تحتها الرقم النهائيّ (دوزي) .
(2) المطر : مكيال للسوائل . فطر الزيت بتونس كان يساوي نحو عشرين ليتراً (دوزي) .
(3) الوافي 10 / 363 (4858) ؛ المنهل 3 / 497 (748) ؛ الدرر 2 / 46 (1392) .
(4) زيادة من الوافي . وفي السلوك 2 / 754 : في أوائل جمادى الآخرة .

وكان يكتب خطًّا جيّداً وينسخ عدّة ربعات بخطّه ويعتني بالمصاحف . ويتصدّق في كلّ شهر بخمسة آلاف درهم فضّة . ويقوم من الليل في ورد له دائمًا ، ويعرف بين الأمراء بالدين والعقل والحشمة . وله مدرسة بالقاهرة[1] .

إلّا أنّه لمّا ولي نيابة حلب أخذ من الولاة والنوّاب والمباشرين الرسومَ والتقادم ثمّ عزلهم ، واستجدّ عوضهم على رسوم فرضها عليهم ، وترفّع على الأمراء حتى كرهوه وكرهوا مماليكه لسوء سيرتهم .

واتّفق أنّ رجلاً من الأعيان توفّي عن بنت وترك مالاً جزيلاً ، وأوصى أن تزوّج ابنتُه بابن عمّها . فرغب بعض الأكابر فيها وتزوّجها على / كره منها . فلم [277 ب] تطب لها الإقامة وألحّت في طلب طلاقها منه حتى قالت : إن تطلّقني وإلّا كفرت ! — واتّصل ذلك بالقاضي فجدّد إسلامها وحقن دمها . وطلبها النائب بيدمر وابنَ عمّها وضربه عرياناً ضرباً مبرّحاً ، ثم ضرب المرأة فأفحش في ضربها وقطع أنفها وأذنيها وشهّرها . فازداد الناس له بحلب بغضاً ومقتاً . فلم يُمهل بعدها إلّا قليلاً وعزل .

1011 – بَدْرَجَك الناصريّ [– 724][2]

الأمير بدر الدين . كان متقدّماً عند الملك الناصر ، وحجّ معه سنة تسع عشرة وسبعمائة ، وبعثه بشيراً بالسلامة إلى دمشق فحصل له مال كثير .

وكان جيّداً متواضعاً . مات سنة أربع وعشرين وسبعمائة .

(1) قريباً من المشهد الحسينيّ (السلوك) .
(2) السلوك 2 / 201 ؛ الدرر 2 / 4 (1274) .

1012 - أبو الخير بدل التبريزيّ [552 - 631][1]

بدل بن أبي المعمّر بن إسمَاعيل بن أبي نصر ، الإمام أبو الخير ، التبريزيّ .

سمع بدمشق من أبي الفرج يحيى بن محمود الثقفيّ ، وأبي الحسين أحمد بن حريزة بن عليّ ، والحافظ أبي محمد القاسم بن عساكر . وسمع بأصبهان من جماعة ، وبنيسابور .

وقدم مصر فسمع من البوصيري ، وأبي الحسن علي بن نجا ، وكتب وحصّل . وأستوطن مدينة أربل وتولّى دار الحديث بها . وانتقل إلى حلب وسكنها حتى مات بها في ثالث جمادى الأولى سنة ستّ وثلاثين وستّمائة ، وقد تجاوز السبعين سنة .

1013 - برسبغا الحاجب [- 742][2]

برسبغا الحاجب ، الأمير سيف الدين ، أحد المماليك الناصريّة محمد بن قلاوون .

ترقّى في الخدم إلى أن أنعم عليه بإمرة وعمله حاجباً رفيقاً لبدر الدين مسعود ابن الخطير . ثمّ ولّاه حاجباً كبيراً عوضاً عن أمير مسعود في سنة إحدى وأربعين وسبعمائة ، وأنعم عليه بإقطاعه وتقدمته من غير أن يخلع عليه .

فلمّا مات السلطان قبض عليه بعد قوصون ، ثمّ أخرج إلى الإسكندريّة

(1) الوافي 10 / 100 (4551) ؛ تذكرة الحفّاظ 4 / 1424 ؛ عبر الذهبيّ 5 / 149 ؛ شذرات 5 / 180 .

(2) الوافي 10 / 114 (4569) ؛ المنهل 3 / 282 (655) ؛ الدرر 2 / 7 (1280) ؛ السلوك 2 / 605 .

وقتل بها هو وقوصون وغيره في شوّال سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة .

وكان الناصر يسلّم إليه مَن يصادره ليعاقبه ، فسلّم إليه النشو وأقاربَه ، فعاقبهم حتّى ماتوا تحت العقوبة . وبعثه بعد إمساك الأمير تنكز نائب الشام ، فتولّى مصادرة أهلها . وسلّمه أيضاً الصاحب أمين الملك ابن الغنّام فمات في عقوبته .

وكان مع هٰذا ليّن الجانب بسليم الباطن .

1014 - بركات صاحب البديعيّة [- 513] [1]

ظهر بمِصر في أيام الأفضل ابن أمير الجيوش ، واقتدى به جماعة يعرفون بالبديعيّة . وكانوا يجتمعون بدار العلم من القاهرة ، وصرّحوا بأمور قبيحة . فلمّا بلغ الأفضل ذلك أمر بغلق دار العلم والقبض على بركات . فهرب واختفى عند أستاذَين من أهل القصر فأدخلاه في زيّ جارية اشترياها إلى القصر ، وقاما بحقّه وجميع ما يحتاج إليه . وصار أهله يدخلون إليه في بعض الأوقات .

فاتّفق أنّه مرض ومات . فقال الأستاذان لزمام القصر : إنّ إحدى عجائزنا قد توفّيت ، وإن العجائز يغسّلنها على عادة المقصورات ويشيّعنها إلى تربة النعمان بالقرافة - فأذن في ذلك وأطلق العُدّة ، وأخذا في غسله ، وأخذا من أهله ثياباً معلمة وشاشية ومنديلاً وطيلساناً مقوّراً [و]ألبساه .

فلمّا قطعوا بعض الطريق أراد الأستاذان أن يكمل الأجر بزعمهما فقالا للحمّالين : هو رجل تربيتُ[ـه] عندنا ، فنادُوا عليه نداءَ الرجال واكتمُوا الحال ، وهٰذه أربعة دنانير لكم .

فسرّ الحمّالون بذلك ودفنوه . ثمّ عادوا إلى صاحب الدكّان وعرّفوه بمَا

(1) القصّة منقولة هنا وفي الخطط 2 / 335 عن ابن المأمون : أخبار مصر ، 44 .

جرى وقاسمُوه الدنانير فخاف على نفسه وعلم أنّ هٰذا الأمر لا يخفى . فمَضى بالحمّالين إلى الوالي وذكر له القصّة . فأودعهم السجن وأخذ الذهب منهم ، وكتب مطالعة إلى الأفضل . فأخذها القائد أبو عبد[الله] محمد بن [أبي] شجاع فاتك البطحائيّ [الذي قيل له بعد ذلك المأمون] [1] ، وكان حينئذٍ يدير أمور الأفضل ، فعندما رآها قال : هو بركات المطلوب . وأحضر الأستاذين والحمّالين وكشف عن القبر بحضورهم ، فإذا هو بركات . فلمّا علِم الأفضل بالقضيّة أمر الأستاذَين بلعن بركات ، وأحضر مَن كان في الاعتقال من أصحاب بركات / [278 أ] وأمرهم بلعنه والتبرّىء منه . فمنهم من لعنَه وتبرّأ منه فأطلقه . ومنهم مَن امتنع من ذلك – وكانوا خمسة نفر وصبيًّا لم يبلغ الحلم . فأمر بضرب رقابهم ، وقال بلفظه للصبيّ : تبرّأ منه وأنعم عليك وأُطلِق سبيلك .

فقال له : الله يطالبك إن لم تُلحِقني بهم ، فإنّي مشاهد ما هم فيه – وأخذ يسفه [2] على الأفضل . فأمر بضرب عنقه . وطلب الأستاذَين فلم يقدر عليهما . وفرّ حميد القصّار فلم يظفر به .

وكانت واقعة بركات في سنة ثلاث عشرة وخمسمائة .

1015 – بَرْجَوان العزيزيّ [– 390] [3]

برجوان العزيزيّ ، أبو الفتح ، المنعوت بالأستاذ .

كفالته للحاكم عند موت العزيز :

كان خصيًّا صقلبيًّا أبيض [4] ، ربّي في دار العزيز بالله وولّاه القصور . فلمّا

(1) زيادة من أخبار مصر .
(2) قراءة ناشر أخبار مصر : وأخذ بسيفه على ...
(3) الخطط 3/3 ؛ وفيات 1/270 (112) ؛ الوافي 10/110 (4564) ؛ اتّعاظ 2/25 .
(4) في الوافي : وكان أسود .

حضرته الوفاةُ أوصى برجوان على ٱبنه أبي عليّ المنصور . ومات العزيز بالله فبادر برجوان إلى أبي عليّ ابن العزيز ، فإذا هو على شجرة جمّيز يلعب في دار من دور بلبيس – وبها مات العزيز . فقال له برجوان : بسّك[٣] تلعب ! ٱنزل !

فقال له : ما أنزل والله الساعة !

فقال : انزل ويحك ! الله الله فينا وفيك .

فنزل ، فألبسَه العمامة الجوهر على رأسه وقبّل له الأرض وقال : السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته – وخرج به إلى الناس على تلك الهيئة ، فقبّلوا له الأرضَ وسلّموا عليه بالخلافة ، وسار به إلى القاهرة .

واستمرّ بالقصر أعظَم ما كان إلى أن فسدت أحوال أمين الدولة أبي محمد الحسن بن عمّار . فتقدّم الحاكم بأمر الله إلى الأستاذ برجوان بالنظر في التدبير وجميع ما كان ابن عمّار ينظر فيه ، وأن يُنهيَ إلى الحاكم أحوال الدولة يوماً بيومٍ . فنظر في يوم الجمعة لثلاث بقين من شهر رمضان سنة سبع وثمَانين وثلاثمائة ، وبكّر إلى القصر ، ونهى عن التعرّض لأحدٍ من الكتاميّين والمغاربة ، ووجّه إلى دار ابن عمّار فمنع أحداً أن يتعرّض إليها ، وصان ما بقي فيها – وكانت قد نُهبت – وأمر بأخذِ مَن وُجدَ معه شيءٌ من النهب ، وأخذ عريف الباطليّة[2] وألزمَه بإحضار ما نهبوا فأحضروا شيئاً كثيراً . وأجرى الرسومَ التي كان ابنُ عمّار قد قطعها لأصحاب الرواتب ، وأجرى على ابن عمّار ما كان يُجرى له في أيّام العزيز .

وٱستكتب أبا العلاء فهد بنَ إبراهيم النصرانيّ ، وجعل إليه التوقيع عنه . ورتّب الغلمانَ الأتراك في القصر ، وأمرَهم بمُلازمة الخدمة ، وتفقّد أحوالَهم ، وأزاح عِلَلَهم وعِلَلَ أولياء الدولة وفحص عن أمور الناس ، وأزال ضروراتهم .

---

(1) أي : كفاك لعبا ! وهي عبارة الاتّعاظ 1 / 291 .

(2) انظر تعريف الباطليّة في الاتّعاظ 2 / 13 هامش 2 .

ومنع الناسَ من الترجّل له فكانوا يلقَونه في داره ، وإذا تكاملوا ركبَ وساروا بين يديهِ إلى القصر .

استقامته في الوزارة ثمّ انحرافه :

ثمّ إنّه لمّا تمكّن قصّر في الخدمة وتشاغل بلذّاته وأقبل على سمَاع الغناء وشُغف بكثرة الطرب ، وكان شديدّ الميل إليه والمحبّة له ، يحضر إلى داره المغنّين من النساء والرجال ، ويجمعهم عنده فيصير كواحدٍ منهم . وصار يجلس في داره حتى يَمضي صدرٌ من النهار ويتكامل الناس على بابه ، ثمّ يخرج ويركب إلى القصر ، فلا يُمضي من الأمور إلّا ما يختار من غير مشاورة .

فأنف الحاكِم من هٰذا وتجرّد للنظر في الدولة ، ونقم على برجوان أموراً عدّها عليه من سوء أدبه ، وحمل برجوان عليها دالّته على الحاكم بأنّه قديم في دار أبيه ، وأنّه ربّاه صغيراً ، وقام بأمر دولته . فكان الحاكم يقول : والله إنّي لأذكر وقد ٱستدعيتُه يوماً ونحن ركبان ، فصار إليّ ورجلُه على عُنق فرَسه وبطنُ الخفّ قبالةَ وجهي ، فشاغلته بالحديث ولم أره تَكَبُّرَه في ذلك ، إلى غير ذلك ممّا يطول شرحه .

[278 ب] فلمّا كان يوم الخميس سادس عشرين شهر ربيع الآخر سنة تسعين / وثلاثمائة ، أنفذ الحاكم إلى برجوان عشيّة يستدعيه للركوب معه إلى المقس . فجاء بعدما تباطأ وضاق الوقت . فدخل إلى القصر ، ورؤساء الدولة والموكبُ بالباب الذي يخرج منه الحاكم إلى المقس ، فلم يكن بأسرع من خروج عقيق الخادم يبكي ويصيح : قتل مولاي ! – وكان هٰذا الخادمُ عيناً لبرجوان في القصر قد ٱصطنعه وجعله على خزانة الخاصّ .

تخلّص الحاكم منه :

فٱضطرب الناس لذلك ، وبادروا إلى باب القصر الكبير ووقفوا هناك ، فأشرف عليهم الحاكم ، ووقف رَيْدان صاحب المظلّة وصاح بهم : مَن كان في

الطاعة فلينصرف إلى منزله ويبكّر إلى القصر المعمور ! – فأنصرف الجميعُ .

وكان في خبر برجوان أنّه لمّا دخل إلى القصر ، كان الحاكم قائمًا في بستان يقال له « دويرة التين والعنّاب » ، ومعه ريدان الصقليّ . فعندما سلّم برجوان ووقف ، مشى الحاكم وخرج من باب الدويرة . فوثب ريدان وضرب برجوان بسكّين كانت معه في خُفّه ، وتناوبَه قومٌ قد أعدُّوا لقتلِه بالسكاكين والخناجر ، وآحتزُّوا رأسه ودفنُوه موضعَه وألقَوا عليه حائطاً .

فكانت مدّة نظر برجوان سنتين وثمانية أشهر تنقص يوماً واحداً .

ونزل جعفر بن مهذّب متولّي بيت المال لأخذ تركته ، فوَجَدَ له مائة منديل [يعني عمامة] ، شروب ملوّنة معمّمة كلّها ، على مائة شاشيّة ، وألف سراويل [دبيقيّة] [1] بألف تكّة حرير أرمني ، ومن الثياب المخيطة والصحاح ، والحلية ، والطيب ، والفرش ، والصياغات الذهب والفضّة ما لا يُحصى كثرةً ، ومن العين ثلاثةً وثلاثين ألف دينار ، ومائةً وخمسين فرَساً لركابه ، وخمسين بغلة ، وثلاثمائة رأس من الخيل والبغال لغلمانه وللنقل والحمل ، ومائة وخمسين سرجاً ، منها عشرون ذهباً . ووجَدَ له من كتب العلم والأدب شيئاً كثيراً . وحُمِل لجارِيَتِهِ من مصر إلى القاهرة رَحْل على ثمَانين حماراً .

وأدخل جميع ذلك إلى القصر .

قال ابن خلّكان : وبَرْجَوان بفتح الباء الموحّدة وسكون الراء وفتح الجيم والواو ، وبعد الألف نون . هكذا وجدتُه مقيَّداً بخطّ بعض الفضلاء .

وقال ابن عبد الظاهر : وكان بَرْجَوان يسمّى « الوَزغ » سمّاهُ بِهِ الحاكم .

....

(1) زيادة من الخطط 3/ 4 .

1016 – بيسري الشمسيّ [– 698][1]

الأمير بدر الدين ، الصالحيّ ، النجميّ ، أحد المماليك البحريّة الصّالحيّة .

أصله مملوك الأمير شمس الدين قراسنقر الكامليّ . ثم انتقل إلى الملك الصالح نجم الدين أيّوب ، وترقّى في خدمه . فلمّا آل ملك مصر إلى المماليك البحريّة صار من أمراء الألوف الأكابر [....] .

آعتقله قلاوون وأفرج عنه الأشرف خليل :

فلمّا ولي قلاوون السلطنة داراه مدّة ، ثمّ قبض عليه في أوّل صفر سنة إحدى وثمانين وستّمائة ، وآعتقله في الجبّ[2] بقلعة الجبل ، إلى أن أفرج عنه الملك الأشرف خليل في يوم الأربعاء ثامن عشر شعبان سنة تسعين ، وكتب له إفراجاً سلطانيًّا نسختُه : الحمد لله على نعمه الكاملة ، ومراحمه الشاملة ، وعواطفه التي أضحَت [بها][3] بدُورُ الإسلام بازغةً غير آفلة ، ومواهبه التي تجول وتجود وتحيي رَميم الآمال في يومها بعد رَمْسِها بأمْسِها في أضيق من اللحود ، ويقرّ لها بالفضل كلّ جَحود . أحمدُه حمداً يعيد سالفَ النعم ، ويفيد آنفَ الكرَم ، الذي خصّ وعمّ . وأشهد أن لا إلٰه إلّا الله وحدَه لا شريك له ، شهادةً يُؤَدّي حقوقها ونَجتنِب عُقوقَها ، وأشهد أنّ محمداً عبدُه ورسوله ، المبعوث بمَكارم الأخلاق ، والمنعوت بالحلم والعِلم على الإطلاق ، صلاةً لا تزال عقودُها حسنة الاتّساق [صلّى الله عليه] وسلّم تسليمًا كثيراً . وبعد ، فإنَّ أحقَّ مَن عُومل بالجميل ، وبلغ / من مكارم هٰذه الدولة القاهرة الرجاء والتأميل ، [279 أ]

---

(1) الوافي 10 / 364 (4859) ؛ المنهل 3 / 500 (741) ؛ النجوم 8 / 185 ؛ السلوك 1 / 880 .

(2) جبّ القلعة : وصف المقريزيّ هٰذا المطبق الفظيع في السلوك 2 / 310 وفي الخطط 3 / 306 .

(3) نقل ناشر السلوك 1 / 769 هامش 4 نصّ هٰذا الإفراج نقلاً عن نهاية الأرَب للنويريّ . والإكمال منه .

مَن إذا ذكرت أبطال الإسلام كان أوّل مذكور ، وإذا وصفت الشجعان كان أمام صفّ كلّ شجاع مشهور ، وإذا تزيّنت سمَاء الملك بأنجم كان بدرَها المنير ، وإذا اجتمع ذوو الآراء على امتثال أمرٍ كان خيرَ مشير ، وإذا عُدّت أوصاف أولي الأمر كان أكبر أمير ، كم تجمّلت المواكب من حوله بأعلى قدر ، وترتّبت المراتب منه بأبهى بدر ، وهو المقرّ الأشرف العالي المولويّ الكبيريّ البدريّ بيسريّ الشمسيّ الصالحيّ النجميّ الملكيّ الأشرفيّ ، فهو الموصوف بهٰذه الأوصاف والمِدَح ، والمعروف بهٰذه المكارم والمِنَح . فلذلك اقتضى حسنُ الرأي الشريف العالي المولويّ السلطانيّ الملكيّ الأشرفيّ الصلاحيّ – لا زالت الكُرب في أيّامه تكشف ، والبدور تكتسي في دولته الغرّاء شرَفاً ولا تخسف – أن يفرج عنه في هٰذه [الساعة] من غير تأخير ، ويمثل بين يدي المقام الأعظم السلطانيّ بلا استئذان نائب ولا وزير ، إن شاء الله .

وجُعل الإفراج في كيس أطلس أصفر ، وخُتم عليه بخاتم السلطان . وتوجّه به إلى الجبّ الأمير بدر الدين بيدرا نائب السلطنة ، والأمير زين الدين كتبغا في جماعة من أكابر الأمراء . وأخرج [بيسريّ] من الجبّ بقلعة الجبل ، وقُرئ عليه الإفراج ، ورُسم بكسر قيدِه ، وأحضر إليه التشريف السلطان[يّ] . فقال : لا نفكّ القيد ولا نلبس التشريف إلّا بعد أن نمثل بين يدي السلطان – وصمّم على ذلك . فأعلم السلطان بمَا قال ، فرسم بفكّ القيد وحضوره بمَا عليه من هيئة السجن . فكسر القيد وحضر . فعندما رآه السلطان انتصب له قائمًا وتلقّاه وأكرمه ، وألبسَه التشريف وأجلسَه بجانبه ، وأنعم عليه بأموال جزيلة وأقمشة كثيرة ، وأمّره لوقته على مائة فارس بإقطاع جليل ، من جملته منيةُ بني خصيب دربستا[1] بالجوالي والمواريث الحشريّة[2] .

(1) دربستا كلمة فارسيّة بمعنى : كاملة (حاشية ناشر السلوك 1 / 770 رقم 1 وص 884 حاشية 7 .

(2) المواريث الحشريّة هي التركات التي لا وارث لها فتعود الى خزانة السلطان . السلوك 1 / 770 حاشية 2 .

وقرّبه وأدناه وآختصّ به في خلواته . فكان بيسريّ مِن يومئذ يكتب « بيسريّ الأشرفيّ » ، بعدما كان يكتب « بيسري الشمسيّ » .

تنكّر السلطان لاجين عليه :

ولم يزل على إمرته إلى أن مات الأشرف ، وتسلطن من بعده أخوه الملك الناصر محمد ، ثم خُلع بالعادل زين الدين كتبغا . فلمّا قام عليه[1] المنصور لاجين وتسلطن ، قبض عليه[2] من أجل أنّ لاجين عزم على أن يعهد لمَملوكه ونائِبه الأمير منكوتمُر بالسلطنة ، ويقرن اسمه بآسمِه في السكّة والخطبة ، وحدّث بيسري في ذلك ، فأنكر عليه غايةَ الإنكار وقال : إنّ منكوتمُر لا يصلح للجنديّة وقد أمّرته وقدّمته فصبر الناس لك على هٰذا ، وجعلته نائب السلطنة ومشّيْتَ[3] الأمراء والجيوش في خدمته فأجابوا لذلك طاعةً لك وطلباً لرضاك ، مع ما تقدّم من أَيمَانك عند السلطنة[4] أنّك لا تقدّم مماليكَكَ على الأمراء ولا تُمَكّنهم منهم ، فلم يقنعك ما خوّلتَه فيه حتى تريدُ أن تجعلَه سلطاناً مثلك ! هذا ما لا يوافقُك الناس عليه أبداً .

وحذّره عاقبة ذلك . فأمسك عنه لاجين حتى قام ، وأعلم منكوتمُر بمَا كان منه . فأسرّها في نفسه ، وأخذ في التدبير عليه . وتحيّل على بهاء الدين أرسلان أستادار بيسري حتى مال معه ووافقه على ما يأتي ذكره . وحسّن للسلطان أن يندب بيسري لكشف جسور الجيزة فتقدّم إلى بيسري بذلك ، فخرج إليها بسائر مماليكه وأتباعه . وصار يحضر الخدمة بالقلعة في يومي الاثنين والخميس ، ويعود إلى مخيَّمِه بالجيزة حتى أتقن عملَ الجسور . فآستأذن السلطانَ في عمل ضيافة يحضرها بالجيزة فأجابه إلى ذلك ، فشرع في الاهتمام بعمل المهمّ .

---

(1) على كتبغا .
(2) على بيسري .
(3) كلمة غير مفهومة ، والتوضيح من السلوك 1 / 833 .
(4) أي : عند تسلطنك .

ووجد منكوتمُر السبيل / إلى كيده وحمل أرسلان أستادار بيسري على أن وشى [279 ب] إلى السلطان بأنّ بيسريّ على عزم ٱغتيال السلطان إذا حضر إليه .

سعاية منكوتمر ضدّه :

وٱتّفق مع هٰذا أنّ بيسري بعث يطلب من منكوتمُر الدهليز السلطانيّ لينصِبَه للسلطان حتى يجلس فيه يوم المهمّ . فسلّمه لمماليكه بغير علم السلطان . فعندما مرّ الدهليزُ من تحت القلعة على الجمال مع مماليك بيسري ، رآه السلطان فأنكره : وأرسل إلى منكوتمُر يسأله عنه ، فأنكر أن يكون عنده علم ذلك ، ولكنّ مماليك بيسري أخذوه من الفراشخاناه السلطانيّة من غير ٱستئذان – وأخذ يغري السلطان بأنّ أخذَ الدهليز يحقّق ما نُقل عنه . فأمر السلطان بإعادة الدهليز فأعيد . وقوِي في نفسِه صدقُ ما رُمِي به بيسري .

وفاته في الاعتقال :

فبلغ ذلك بيسري فلم يأخذ بالحزم . وحضر على عادته إلى الخدمة في يوم الاثنين سادس ربيع الآخر . فتلقّاه السلطان وقام له على العادة وأجلسَه بجانبه وبالغ في إكرامه . وقدّم السماط فٱعتذر عن الأكل بأنّه صائِم . فرفع له السلطان من الطعام ما يكون لفطوره وأخذ يحادثُه سرًّا ليشغله عن القيام حتى رُفع السماط وخرج الأمراء . فعندما قام بيسري وٱنتهى إلى أثناء الإيوان ، استدعاه . فلمّا جاء قام له وأجلسَه وحادثه طويلاً حتى ٱنصرف الجميع . وتركه فقام ومشى . فٱستدعاه ثانياً وحادثَه طويلاً وناوله شيئاً . فقبّل عند ذلك بيسري يدَ السلطان وقام ، وقد خلا المجلس والدهاليز من الأمراء والمماليك . فعارضه سيف الدين طغجي وعلاء الدين أيدغدي شقير ، ومضيا به [إلى] القاعة الصالحيّة فٱعتُقل بها . وأحضرت إليه زوجتُه . ولم يزل في الاعتقال حتى مات في تاسع عشر شوّال سنة ثمان وتسعين وستّمائة . وأخرج من القلعة ودُفن بتُربته خارج باب النصر .

نماذج من كرمه :

وكان شجاعاً كريمَ النفس عاليَ الهمّة حشماً فخوراً . وكان مُفضلاً على مماليكه بحيث كان فيهم مَن له عليه في كلّ يوم مائة رطل لحماً راتباً . ومنهم مَن راتبه نصف قنطار لحماً . وأقلّ راتب مماليكه عليه في اليوم خمسة أرطال لحم . وفيهم مَن له عليه في كلّ يوم راتباً ستّون عليقة لخيله . وما منهم إلّا مَن له عليه في مرتّبه السكّر وتوابل الطعام . وكان عليق دوابّه لخاصّة نفسه في كلّ يوم ثلاثة آلاف عليقة . وراتب سماطه ثلاثة آلاف رطل لحم . ويُنعم بالألف دينار وبالخمسمائة دينار ، وأقلّ إنعامه مائتا دينار .

ولمّا فرّق الأمير زين الدين كتبغا نائب السلطنة المماليك السلطانيّة على الأمراء ، كانت حصّتُه ستّين مملوكاً نزلوا من القلعة في خدمته إلى إسطبله . فجلس على ثوب السرج وعرض خيله وأعطى كلاًّ منهم فرَسَين وبغلاً ، حتى عمَّهم بذلك . وركب من فَوره وعاد إلى القلعة .

وشكا إليه أستاداره مرّةً قلّةَ الحاصل عنده وعرَّض له بالاقتصاد وتقليل العطاء ، فغضب عليه وعَزله وقال : لا تُرِني وجهَك بعدها !

ولمّا عمّر داره المعروفَة بقصر بيسري من خطّ بين القصرين بالقاهرة في الأيّام الظاهريّة بيبرس بالغ في إتقانها وأكثر من المعروف فيها ، ولم يكن هٰذا من عادة أمراء مصر يومئذ ، فلامَه السلطانُ على ما فَعَله وقال له : يا أمير ، ماذا خلّيت للبيكار ؟ فقد أنفقتَ مالك جميعَه في عمارة دار !

فقال : خلّيت للبيكار صدقات السلطان . والله ما عمّرت هذه الدار إلّا حتى يقال في بلاد العدوّ : إنّ بعض مماليك السلطان عمّر داراً غرم عليها أموالاً عظيمة .

فأعجب السلطانَ قولهُ وأنعم عليه بألفَي دينار .

ولم يعرف عنه قطّ أنّه شرب في كوز واحدٍ مرّتين ، لكنّه إذا شرِب منه لم يعاوِدْه ، وجُدّد له غيرُه .

وكان من أحسن الناس وأعرفهم بالفروسيّة . ومقاماتُه في الغزوات مذكورة ، ولم يُرَ في زمانه / أكرمُ منه ، ولا يزال عليه دَيناً أربعمائة ألف درهم [280 أ] فصاعداً ، فكلما أدّى ما عليه منَ الدَّين استدان شيئاً آخر لكثرة عطائه ، ولا تجاسر أحدٌ على لومه في ذلك من خواصّه ، وضرب جماعةً بهذا السبب . ومات ، وعليه زيادة على أربعمائة ألف درهم أُدّيَت من ثمَن موجوده .

1017 - بيغجار [الساقي] الناصريّ [- 731] (1)

كان من أمراء الطبلخاناه في زمن الناصر محمد بن قلاوون . ومات في ربيع الأوّل سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة .

1018 - بيغرا الناصريّ [- 754] (2)

[الأمير سيف الدين بيغرا بن عبد الله الناصريّ ثمّ المنصوريّ] (3) . كان من أمراء الناصر . وتقدّم في سلطنة [. . .] ولمّا نكل الكامل شعبان نائب السلطنة بمِصر قرّره حاجباً كبيراً يحكم بين الناس ، ورتّب له موقفين بين يديه لمُكاتبات الولاة . ثمّ ولي كشف الجسور بالوجه القبليّ . ثمّ نُفي إلى حلب في سنة أربع وخمسين وسبعمائة . وكان مشكور السيرة .

....

(1) السلوك 2 / 338 وهو فيه : بغجار الساقي . والدرر 2 / 48 (1397) وهو فيها : بيغجار الساقي .

(2) الدرر 2 / 48 (1396) وفيها أنّه أخرج إلى حلب أميراً . وبها مات في شوّال 754 ؛ النجوم 10 / 294 وفيها أنّه مات وهو بطّال بحلب ؛ السلوك 2 / 905 .

(3) في المخطوط : بيغل المنصوريّ .

1019 – بيليك الأيدمريّ [– 687] [1]

بيليك الأيدمري ، الأمير بدر الدين ، أحد الأمراء الصالحيّة .

تنقّل في الخدم من أيّام الصالح أيوب حتى صار من أعيان الأمراء في الدولة الظاهريّة والمنصوريّة . وٱشتهر بالشجاعة والكرم وحسن الرأي مع الحرمة الوافرة وسلامة الباطن التي يُظَنُّ أنّها بَلَهٌ . ويقال إنّه كان يُظهِرُ ذلك ويتصنَّعُه حتى يُؤمَن جانبُه ويطمئنَّ على نفسه . وله في ذلك أخبار : منها أنّه قُرئ عليه حسابُه فوجد فيه باسم ولده بلجك ألف درهم ، فانزعج انزعاجاً كثيراً وقال لأستاداره : والك ! أنت مجنون ؟ تصرف من مالي ألفَ درهم ؟ – وأراد أن يخرق به . وكان كاتبُه يعرف حاله ، فقال : لا تغتظ يا خوند ، ما هي ألف ، وإنّمَا هي تسعمائة وتسعة وتسعون درهماً لا غير .

فسكن غضبُه وأعجبَه كلامه . وممّا يؤيّد أنّه [كان] عاقلاً غيرَ مغفّل أنّ ٱبنه بلجك كان من الفرسان المعدودة ، فمات وأبوه مجرّد في سيس . فرسم السلطان أن لا يخبره أحدٌ بموته ، وإن أخبره أحدٌ شنقتُه . فلم يجسر أحد [أن] يخبره حتى قدم وسأل عنه . فقيل : هو في الصيد – فركب للسلطان وتلقّاه من قبّة النصر وترجّل له وعانقه وردّه إلى بيته وبعث إليه على الفور النائب طرنطاي ، فقبّل يدَه وبلّغَهُ سلام السلطان . فقبّل الأرض . ثمّ قال له طرنطاي : يقول لك السلطان : يعيش رأسك في ولدك .

فقال : مات بلجك ؟

فقال : نعم .

(1) المنهل 3 / 515 (750) ؛ السلوك 1 / 447 ، 666 وأماكن أخرى ، ولم يذكره في وفيات سنة 687 ولا 686 كمَا قال صاحب المنهل .

فتبسّم وقال : بلجك مات . السلطان يعيش وألف مثل بلجك يمُوت .

ولم يظهر الحزن . فلمّا قام عنه طرنطاي وهو يتعجّب من أمره سأله كاتبه ، وكان يدلّ عليه : لم تظهر الحزن عندما عزّاك السلطان ؟

فقال له : والله كنت أحسب لك عقل . والله لمّا قال طرنطاي : ولدك مات أحسست نشابة في قلبي . ولكنّ الملوك ما يريدو[ن] من يُظهر لهم الحزنَ على أحدٍ .

وتوفّي سنة سبع وثمانين وستّمائة .

1020 - بيليك المحسنيّ [- 695] (1)

الأمير بدر الدين ، أبو شامة . ولي الكشف بالوجه القبليّ في الدولة المنصوريّة قلاوون . ومات في سنة خمس وتسعين وستمائة .

1021 - بيليك الطيّار [- 699] (2)

بيليك الطيّار[يّ] ، الأمير بدر الدين ، أحد المماليك [....] . ولّاه المنصور قلاوون نيابة صفد في حادي عشرين شوّال سنة ثمان وسبعين وستمائة عوضاً عن [علم الدين] سنجر الكرجي .

....

(1) المنهل 3 / 511 (747) وهي أطول ممّا هنا ؛ الوافي 10 / 368 (4864) ومادّتها مختلفة عمّا هنا ؛ النجوم 8 / 79 ؛ السلوك 1 / 688 وسمّاه السلاح دار ، ولم يُذكر في وفيات 695 .

(2) السلوك 1 / 667 و 886 . وفيه أنّه استشهد في وقعة حمص مع التتار في ربيع الأوّل 699

1022 - بيليك المسعوديّ [- 690] [1]

الأمير بدر الدين ، أحد أمراء مصر . مات على عكّا عند فتحها في جمادى الأولى سنة تسعين وستّمائة .

1023 - بيليك المحسنيّ الجزريّ [- 739] [2]

بيليك المحسنيّ ، الجزريّ ، الأمير بدر الدين .

ترقّى في الخدم حتى وليَ الغربيّة . وصرف منها بأياز الملوحيّ في رمضان سنة ثمَان وسبعين وستّمائة .

وتوجّه في الرسالة إلى اليمَن ، ومعه شرف الدين إبراهيم بن فرج كاتب الدرج في خامس عشرين ذي القعدة سنة ثمَانين ، وقدم .

ثمّ ولي كشف البحيرة . ونُقل منها إلى ولاية القاهرة عوضاً عن أيدمر [عزّ الدين] الزرّاق في ذي الحجّة سنة ثلاثين وسبعمائة . وعُزل بأيدكين البريديّ في سنة أربع وثلاثين ، وأُخذ إلى الإسكندرية هو وعلاء الدين بن هلال [الدولة] فسُجنا بها لتنكّر النشو ناظر الخاصّ / عليهما . ثمّ نُفيَ ومعه ابناه ناصر الدين [280 ب]
محمد ، وشهاب الدين أحمد إلى طرابلس [3] . فمات بها في سنة تسع وثلاثين وسبعمائة .

---

(1) الوافي 10 / 367 (4863) ؛ المنهل 3 / 511 (746) ؛ السلوك 1 / 765 .

(2) السلوك 1 / 665 : وهو فيه ناصر الدين . وفي وفيات سنة 739 ، 2 / 471 لقّبه بدر الدين .

(3) في السلوك 2 / 418 أنّه سجن في رجب 736 وأفرج عنه في شعبان 737 . ولم يذكر من الابنين إلّا واحداً ولم يسمّه باسمه بل قال : ابن المحسنيّ .

وكان عفيفاً ديّناً ، إذا وجد فقيراً أو مظلوماً دفع إلى غريمِهِ ما يطلبه منه ولا يرجع عليه به .

وكان مشهوراً بالفروسيّة ومعرفة الخيل وتربيتها وحسن المعاملة .

وقد ولي ٱبنُه محمد بن بيليك ولايةَ القاهرة أيضاً .

[حرف التّاء]

1024 - تبر الإخشيديّ [- 360][1]

/ نافق في شعبان سنة تسع وخمسين وثلاثمائة بأسفل الأرض ، فأرسل [281 ب] إليه جوهر القائد يستعطفه فلم يجب . فسيَّر إليه عسكراً فحاربه بناحية صهرجت ونَهَبَها ومضى منهزماً إلى الشام في البحر . فأُخِذ بمَدينة صور وحمل إلى القاهرة فدخل على فيل مع عليّ بن جعفر بن فلاح وشهر في البلد وسجن إلى صفر سنة ستّين وثلاثمائة . [و]اشتدّت المطالبة عليه بالمال وضرب بالسوط ، وقبضت ودائعُه ، وقبض على جماعة من أصحابه وسجنوا في القيود . وفي ربيع الآخر جرح نفسَه فأقام أيّاماً ومات . فسُلخ بعد موته وصُلب عند كرسيّ الجسر[2] خارج مصر إلى جانب من صلب من أصحابه .

1025 - ترمش الطولونيّ [- 283][3]

ترمش بن عبد الله ، أحد موالي الأمير أبي الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون .

---

(1) ٱتّعاظ 1 / 120 ، وهو فيه : القائد أبو الحسن تبر الإخشيديّ .

(2) كرسيّ الجسر : كثيراً ما يذكر هٰذا الموضع ، ولا ندري ما علاقته بالجسر ، وذكره ابن دقماق ، 1 / 35 بما لا يُعَيِّن موقعه .

(3) برمش بالموحّدة التحتيّة في النجوم 2 / 81 وقال : غلام خزري لخمارويه . وهو في كتاب الولاة للكندي 242 : يرمش بالياء آخر الحروف .

ترقّى في الخدم إلى أن ٱختلف القوّاد على جيش بن خمارويه ، وٱجتمعوا على خلعه . فهجم عليه ترمش وأمسكه وهمّ بقتله ثمّ كفّ عنه . وخلعوه وأقاموا أخاه هارون بن خمارويه (1) ، وقام بأمره أبو جعفر محمد بن أبّا ، فلم تنضبط الأمور ، وتغلّب بدر وصافي وفائق ونحوهم من القوّاد على الدولة .

فعزّ ذلك على ابن أبّا ، وكان صاحب مكر ودهاء ، وفي نفسه حقد على ترمش لكونه قبض على الأمير جيش حتى تمّ خلعه ، وأنّه قال لابن أبّا : أنت خليفته ونصف ذَنْبِه عليك (2) - وجرّه إلى المنظر وألّب عليه حتى هرب منه وأفلت من القتل . فخلا به يوماً وقال له : يا ترمش ، ويحك ! أما ترى ما نحن فيه مع هؤلاء القوم ؟ (3) قد انقلبت الدولة روميّة ، ما لنا معهم أمرٌ ولا نهي ! - وكان ترمش خزريًّا أحمقَ ، فبسط لسانه في بدر وغيره [من الأروام] (4) ، ودسّ إلى بدر غلاماً نوبيًّا ، فوقف له على باب الأمير وفي كمّه مِشْمَلٌ (5) . فلمّا خرج بدر أقبل إليه وقبّل فخِذه ، فأكبّ بدر على رأسه يقبّله - وكانت هٰذه عادته - فقنّعه (6) النوبيّ بالمِشمَل فشجّه . ووقعت الصيحة فقُبض على النوبي ، وقالوا : ترمش دسّه .

فغضب الناس لبدر وركبوا إلى دار ترمش . فركب ترمش في غلمانه ومَن ٱنضمّ إليه وخرج يريد الحرب . فركب ابن أبّا إلى الأمير هارون وأركبه . فلمّا رآه الناس انضمّوا إليه ، وسار . فأقبل ترمش ليقاتل فناداه الناس : مولاك ! مولاك !

---

(1) خلع جيش في 10 جمادى الآخرة 283 ؛ النجوم 3 / 94 .
(2) عبارة النجوم تشرح الكلام هنا : ... وكان ينبغي لك أن تؤدّبه وتسدّده .
(3) في المخطوط : الروم ، وليس مستبعداً حسبمَا يأتي من كلام ترمش ، وأخذنا بقراءة النجوم 2 / 103 .
(4) زيادة من النجوم .
(5) المشمل : السيف القصير الدقيق يخفيه المرءُ تحت ثوبه .
(6) قنّعه بالسيف : علا رأسَه به وضربه .

فقال : أروني ، أنا لا أقاتل مولاي ، وإنّمَا أقاتل هؤلاء الروم بني الزانية !

فأومأ إلى الأمير . فلمّا رآه رمى بنفسِه عن فرسه إلى الأرض فابتدره الرجال يتعاورونَه بأسيافهم حتى قُتل . ورجع الأمير هارون إلى داره ، ونهبت دار ترمش وجميع أسبابه .

وكان قتلُه في [. . .] .

1026 – تركان شاه بن بلدكوش [– بعد 466][1]

ناصر الجيوش ، أبو الملوك ، ابن سلطان الجيوش .

كان أبوه كبير الأتراك بمِصر ، واستبدّ بعد قتل ناصر الدولة الحسن [بن الحسين بن حمدان][2] ، إلى أن دخل أمير الجيوش [3] . وقبض عليه المستنصر بالله أبو تَميم معدّ وقتله كما ذكر في ترجمته[4] . ففرّ ابنه[5] تركان شاه إلى الشام في عدّة من العساكر ، والتجأ إلى أطسز بن أوق الخوارزمي مقدّم الأتراك بدمشق وأهدى إليه ستّين حبّة لؤلؤ مدحرجة ، زنة كلّ حبّة فوق المثقال ، وحجراً من ياقوت ، زنتُه سبعة عشر مثقالاً ، إلى غير ذلك من التحف . وأغراه بملك مصر وأطمعه في أخذه حتى سار إليها ، وكان من خبره ما تقدّم ذكره في ترجمته [6]

---

(1) الاتّعاظ 2 / 317 ؛ ابن القلانسيّ 109 .
(2) زيادة من الاتّعاظ .
(3) بدر الجمالي : ترجمة رقم 911 .
(4) ترجمة المستنصر وترجمة بلدكوش كلاهما مفقودتان .
(5) في الاتّعاظ 312 ، 317 : كان شاه (حوادث 466) .
(6) أطسز بن أوق : ترجمته رقم 796 .

1027 - تَميم بن المعزّ الفاطميّ [337 - 374] [1]

تَميم بن المعزّ لدين الله أبي تَميم معدّ بن المنصور بنصر الله أبي الطاهر إسماعيل بن القائم بأمر الله / أبي القاسم محمد بن المهديّ عبيد الله ، الأمير أبو عليّ ، أكبر أولاد المعزّ . [281 أ]

تحويل ولاية العهد منه إلى أخيه عبد الله :

ولد بالمغرب لستّ بقين من رجب سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة . وعهد إليه أبوه بالخلافة بعده . فلمّا أخذ مصر جوهر القائد كتب المعزّ إلى جوذر الصقلبيّ ، وكان بالمهديّة ، يأمره بالوصول إليه . فلمّا وصل أسرّ إليه أنّه قد ردّ العهد من تَميم إلى عبد الله ، وكلّف[٢] جوذر بذلك . فلمّا قرب جوذر أمر المعزّ ولده الأمير تَميم بن المعزّ أن يخرج في العساكر إلى لقائه لأنّه كان مكيناً عنده . فخرج تَميم ومعه أخوه عبد الله خلفه حتى قرب من جوذر . فترك جوذر تَميماً وقصد عبد الله وترجّل وقبّل يده. وقال للناس : هذا مولاي ومولاكم .

فرجع الناس كلّهم وراء عبد الله ورجع تَميم وحده ، وصار عبد الله وليّ العهد من ذلك اليوم . وكان الذي دعا المعزّ إلى خلع تَميم من العهد أنّه رأى أنه لا يعقب ، وتحرُّفه الأدب .

ومات مع زوال الشمس في يوم الثلاثاء ثالث عشر ذي القعدة سنة أربع وسبعين وثلاثمائة[٣] في بستانه بخليج بني وائل خارج مدينة مصر ، وكان العزيز بالله مبرزاً بعين شمس ، فعاد إلى البستان وأقام به حتى فرغ من جهازه . وغسّله

(1) وفيات 1 / 301 (رقم 125) ؛ الحلّة السيراء (رقم 108) ؛ النجوم 4/ 133 ؛ حسن المحاضرة 1 / 561 .

(2) انظر خبر هذا التعيين في سيرة الأستاذ جوذر 139 ووترجمتها الفرنسيّة ، هامش 467 .

(3) وفي بعض المصادر أنّ وفاته كانت سنة 368 (البداية والنهاية 11 / 293) .

القاضي محمد بن النعمان وكفّنه في ستّين ثوباً . وأخرج من البستان مع المغرب وحُمل بين يديه فصلّى عليه بالقرافة ، وحُمل إلى القصر فدُفِن به .

شيءٌ من شعره :

وكان تَميم فاضلاً شاعراً ماهراً لطيفاً ظريفاً . وقال في كتاب « معاقرة الشراب » : إنّ تَميماً ركب في النيل متنزّهاً فمرّ ببعض طاقات الدور المشرفة على النيل وجارية تغنّي [كامل] :

نبّهتُ ندماني بدجلةَ مَوْهِناً والنجمُ في أفُقِ السماءِ معلَّقُ
والبدر يضحَكُ وجهُه في وجهها والماء يرقُصُ حولَنا ويُصفِّقُ

فاستحسن ذلك وطرب عليه وما زال يستعيده ويشرب عليه حتى انصرف وهو لا يعقل سكراً . فلمّا أصبح عارضه فقال [متقارب] [1] :

شربْنا على النيل لمّا بدا بمَوْجٍ يزيدُ ولا يَنقُصُ
كأن تكاثُفَ أمواجه معاطفُ جاريةٍ ترقُص

فأحسن ما شاء . وبلغ هذا الشعر عبد الله بن محمد الكاتب [2] ، فجمع شعراء إفريقية وأمرهم أن يقولوا في معناه فلم يأتوا بطائل .

....

(1) ديوان تميم ، 255 .

(2) عبد الله بن محمد الكاتب : أمير إفريقيّة من قِبَل الصنهاجيّين . انظر عنه رسالة هـ. ر. إدريس عن الدولة الزيريَّة 1 / 48 و 1 / 66 .

هٰذا وقد أقحِمَت في المتنِ ترجمة لهٰذا الوالي علّم عليها الناسخ - أو غيره - بحرف (ح) في أوّلها ، وكأنّه ينبّه على أنّها ليست من متن المقفّى ، وهذه الحاشية المقحَمة تقول : [عبد الله بن محمد بن أبي العبّاس الأغلب نشأ بإفريقيّة وتعلّم الخطّ والترسّل فأستكتبه زيري ابن مناد ، ثمّ استكتبه أبنه أبو الفتح يوسف بن زيري [وكان] حاذقاً بلسان البربر . فبعثه يوسف إلى المنصوريّة عوناً لأبي نصر زيادة الله بن القديم ، فقدمها ثالث رمضان سنة ثلاث وستّين وثلاثمائة فأمر ونهى مع ابن القديم إلى أن تحاسدا وثارت الحرب بينهما ، وقبض على ابن القديم وسجنه حتّى مات . واستبدّ بأمر إفريقيّة في ثامن ربيع الأوّل =

وقال [خفيف] :

وانجلى الغيمُ عن هلالٍ تبدّى   في يَدِ الأفق مثلَ نصفِ سِوارِ [1]

وقال [خفيف] :

وكأنّ الصباحَ في الأُفْقِ بازٍ   والدُّجَى بين مِخلَبَيْه غُرابُ [2]
وكأنَّ السماءَ لجّة بَحرٍ   وكأنّ النجومَ فيها حَبابُ

وقال [بسيط] :

ناولتُها شِبهَ خدَّيْها مشعشعةً   بكراً كأنّ سَناها ضَوْءُ مِقباس
[281 ب] / تقَبّلَتْها وقالت وهي ضاحكة   وكيف تُسقَى خدودُ الناس للناس ؟
... قلت : آشْرَبي ، إنّها دمعي ، وحُمرتُها   دمي ، وطابخُها في الكأس أنفاسي
قالت : إذا أنت من حبّي بكيتَ دماً   فسقّنيها على العينين والرأس
5 يا ليلةً بات فيها البدرُ مُعتَنِقي   وباتتِ الشمسُ فيها بعضَ جلّاسي
وبتُّ مُستَغنِياً بالثغرِ عن قَدَحٍ   وبالخدود عن التّفاح والآس [3]

وقال [بسيط] :

قالت وقد نالها للبين أوجَعُه   والبينُ صعبٌ على الأحباب مَوقعُه
آجعَل يدَيْك على قلبي فقد ضعُفَت   قُواه عن حمل ما فيه وأَضْلُعُه [4]

= سنة أربع وستّين [وثلاثمائة] إلى أن قتله الأمير أبو الفتح منصور بن يوسف يوم الأحد لأحدى عشرة خلت من رجب سنة سبع وسبعين وثلاثمائة هو وابنه يوسف بن عبد الله ، فدفِنا بغير غسل ولا كفن [و] ردّ عليهما التراب في اصطبل] .

(1) الديوان ، 183 .
(2) الديوان ، 70 .
(3) الديوان ، 249 .
(4) في المخطوط : قواي . والتصويب من الديوان ، 260 .

وٱعْطِفْ عليَّ المطايا ساعةً فعسى ... مَن شَتَّ شملَ الهوى بالبَين يَجْمَعُه [1]
كأنّني يومَ ولَّتْ حسرةً وأسىً ... غريقُ بَحْرٍ يرى الشاطي ويُمنَعُهُ

وقال [طويل] :

إذا حان من شمس النهار غروبُ ... تذكّر مُشتاقٌ وحن غريبُ
... وما بلدُ الإنسانِ إلّا الذي له ... به سكَنٌ يشتاقُه وحبيبُ
... تُرى عندهم علمٌ وإن شطّت النوى ... بأنَّ لهم قلبي عليَّ رقيبُ [2]

وقال [كامل] :

واللهِ لولا أن يقال تَغَيَّرا ... وسَلَا ، وإن كان التسلّي أجدرا [3]
لأَعدتُ تفّاح الخدودِ بَنَفْسَجاً ... لَثْمًا وكافورَ الترائب عَنْبَرا

وقال [كامل] :

يومٌ لنا بالنيل مُختصَرُ ... ولكلّ وقتِ مَسَرَّةٍ قِصَرُ [4]
والسُّفنُ تصعَدُ كالخيول بنا ... فيه وحَشْدُ الماء منحدِرُ [5]
وكأنّمَا أمواجُه عُكَنٌ ... وكأنّمَا داراتُه سُرَرُ

وقال [بسيط] :

أما ترى يومَنا قد جاء بالعجب ... فما ٱنتظارُك باللذّاتِ والطرَبِ ؟
والبدرُ في الأفُقِ الغربيِّ تحسَبُه ... قد مَدَّ جسراً على الشطّينِ من ذهب [6]

---

(1) في الديوان : بالوصل .
(2) الديوان ، 52 .
(3) في الديوان ، 464 وفي ترجمة الوفيات وكذلك اليتيمة 1 / 292 : وصبا وإن كان التصابي ...
(4) الديوان ، 241 : ولكلّ يوم .
(5) الديوان : في موجه والماء ينحدر . وفي الوفيات : فيه ، وجيش الماء ينحدر .
(6) هذان البيتان لا يوجدان في الديوان ، على كثرة المقطوعات من الوزن والرويّ .

وقال [طويل] :

رأتني وقد شبّهتُ بالورد خدَّها   فتاهت وقالت : قاس خدِّيَ بالورد !
كما قال إنّ الأُقحُوانَ كمبْسَمي   وأنّ قضيبَ الآس يشبهُه قدِّي
وحقٍّ صفا ماءِ النعيم بوَجْنتي   وحسنِ الجبينِ الصّلتِ والفاحِمِ الجَعْدِ
لئن عاد للتشبيه يوماً حرمتُه   لذيذَ الكرى ، لا بل أُذَوِّقُه فقدي !
إذا كان هذا في البساتينِ عندَهُ   فقولوا له : لِمْ جاءَ يطلبُهُ عندي ؟ [1]

وكان قد طال عهده بالاجتماع مع أخيه عقيل وعمّه حيدرة ، فلمّا التقَوا في [282 أ] يوم عيد الفطر / سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة قال لهما في بعض مخاطبته ارتجالاً [خفيف] :

لم أفارقكُما اختياراً . وهل تخـ   ـتارُ يُمنى اليديْنِ بُعدَ الشمال ؟ [2]
حاش لله من قِلًى وصدودٍ   وسلّو وجفوة وملال
أنتُما نور ناظِرَيَّ وهل في الـ   ـنّاس خلقٌ لنُور عينَيه قال؟
أنتما حيثما حللتُ مقيما   ن بقلبي وساكنان ببالي [3]
غيرَ أنَّ الزمانَ أبخَلُ من أن   يتمادى على إدامةِ حال
شأنُه نقضُ ما استتمّ من الأمـ   ـر وإفسادُ ما انتهى من حلال
فاعذرا مَن عذلتُماه على البُعـ   ـدِ ولُومَا في البعد جَوْرَ الليالي
لا أُهَنِّيكما بعيدٍ لأنَّ الـ   ـعيدَ نقصٌ [لنا] من الآجال
إنّمَا عيدُنا العزيزُ الذي نلـ   ـنا بنُعماهُ منتهى الآمال
كلّ يوم لنا بجلوى أبي المنـ   ـصور عيدٌ مجدّدُ الإقبال

---

(1) هذه الأبيات أيضاً مفقودة من الديوان ومن اليتيمة ومن مختارات الحصريّ (زهر 757 – 764) .
(2) في الديوان ، 346 : فقد الشمال .
(3) هذا البيت ساقط من الديوان .

ملكٌ من بني الوصِيّ عزيزٌ نبويٌّ الهدى كريمُ النوال [1]

إكرام أخيه نزار العزيز له :

وتنزّه أخوه أمير المؤمنين العزيز بالله إلى بركة الحبش يوماً ، فخرج إليه تَميم راجلاً حافياً حتى لقيَه فسلّم عليه بالخلافة وقال : يا أميرَ المؤمنين قد وجب على عبدك الضيافة . قال : نعم . ودخل معه إلى بستانه وقد أمر بجنيبة من الجنائب التي كانت بين يديه وأقسَمَ على تَميم أن يركبها ويسايره . فلمّا توسّطا البستان نظر إلى ثمَرٍ يلوح الذهب عليه فتعجّب منه واستطرفه ودنا من شجرة فأخذ منها ثمَرةً واحدةً فقرأها فإذا عليها مكتوب بالذهب [وافر] :

أنا الثمَرُ الذي غُذِيَتْ غُصوني ببَرْدِ الماءِ في حرز حريزِ
حَسُنْتُ فليس يصلُحُ أن يُحَيَّى بأمثالي سوى الملكِ العزيز [2]

فجعلها في كمّه وقال : « هذه ضيافتي عندك » . وآنصرف إلى قصره . فبعث إلى أبي جعفر بن مهذّب صاحب بيت المال فقال : « ما عندك من ضرب هذه السنة ؟» – وكان ذلك في أوّلها – فقال : « مائة ألف وسبعة وستّون ألفاً » . فأمره أن يحملها إلى الأمير تَميم فحملت إليه من ساعته مع راشد العزيزي وقال له : أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول لك : « آستعِن بهذه على مروءتك » [3] ، فقبّل الأرض وبعث إليه من الغد قصيدة يَمدحه فيها ويشكره .

(1) في الديوان : كريم الفعال .
(2) هٰذان البيتان مفقودان من الديوان ومن مختارات اليتيمة وزهر الآداب ، ولكنهما موجودان في ترجمة الحلّة السيراء 1 / 291 (رقم 108) . وقد جاء البيت الأوّل على هٰذا النحو :
أنا الليمون قد غذيت عروقي ببرد الماء في حرز حريز
(3) في الحلّة السيراء : على مؤونتك .

عطفه على أهل الغناء :

ووصل إلى مصر فتى من أهل بغداد كانت له نعمةٌ فزالت عنه . فنزل في بعض دور الكراء ، وكان القيّم عليها رجلاً فيه مروّة . فنظر إلى البغداديّ وهو لا يتصرّف في تجارة ولا غيرها ، فسأله عن حاله ومقصده فقال : توفّي أبي وترك لي نعمةً طائلةً ، فأقبلتُ على القصف واللهو حتى أتيت عليها وأفضيت إلى بيع الديار والعقار . فلمّا لم أدع شيئاً أرجع إليه ، ولم تكن لي صنعة أتصرّف بها ، رأيتُ أنّ مكابدَة الفقر ومسألةَ الناس في غير بلد الإنسان الذي يُعْرَفُ به أسترُ ، فتحمّلتُ إلى هذه البلدة .

قال : وما تعرف صنعةً تعودُ عليك بقُوتِكَ ؟

قال : لا ، إلّا أنّي أغنّي بالعود غناءً لا أحكمُه ولا أرضاه .

قال : فغنّ ! فإن كان غناؤُك ممّا ينفق ببلدنا ما أخذتَ قدراً [1] تنفق منه . وإن كان ممّا لا ينفق سترتُ على نفسك وتحمّلتُ قوتَك ما بقيتُ وبقيتَ .

[282 ب] وأحضر له عوداً فغنّى / غناءً مقصّراً لو سأل عليه جِذْرَ درهم واحدٍ لما وجده . فقال له : أستر حالك ، ويدك مع يدي فيمَا ملكت ، وثوبُك مع ثوبي .

فأقام على ذلك مدّة من الزمان . ثمّ إنّ المصري قال للبغدادي : ويحك ! قد سنح لي رأي ، ووالله ما أشير به عليك لأنّي ضِقت من مُقامك .

قال : اُذكر رأيك .

قال : تنظّف اليومَ ثيابَك ، فإذا كان الغداة لبسْتَ وتطيّبتَ وتصدّيتَ لقاءَ

---

(1) قراءة ظنّيّة ، ولعلّ « ما » زائدة . وفي المخطوط : جذرا – أو خذرا ، ولم نجد لها ما يناسب المعنى . وستأتي بعد قليل كلمة « جذر درهم » واضحة الخطّ ، فأبقيناها لأنّ جذر العدد في الحساب جزءٌ منه بعد القسمة .

الأمير تَميم وعرّفتَه أنّك من وجوه أهل بغداد وأنّك كنتَ في نعمة فزالت عنك . وقل : « إنّي دُفعتُ من بلدي قاصداً إليك ومعوّلاً بعد الله عليك ، وليست لي حرفة تعود عليّ ، إلّا أنّي أغنّي غناءً لا أحمدُه » ، ونظرتَ إلى ما يكون منه [1] وعدتَ إلى حالك عندي .

ففعل البغداديّ ذلك ووافى الأمير تَميماً عند ركوبه فسلّم عليه وذكر له ما أوصاه به صاحبُه . فالتفتَ إلى حسن الطرّاز فقال له : احمل الرجل واحتفظ به ، فإذا أنا عدتُ من قصر أمير المؤمنين ، ذكّرتني به .

فلمّا عاد إلى قصره واستقرّ به مجلسُه وحضر ندماؤه دَعا البغداديّ وكان عنده حسن بن الجزّاز وقسّام ونحرير وابن الحويلا [2] وجماعة من كبراء المغنّين المذكورين بمِصر . فلمّا أكلوا وشربوا غنّى القومُ على مراتبهم حتى انتهَوا إليه . فأمر الأمير بعوده فوضع في حجره فضرب وغنّى . فتغامز المغنّون وضحكوا منه فغضب الأمير تَميم وقال : « أبِضَيفي تستخفّون ومنه تضحكون ؟ » فأطرق القومُ إجلالاً له ومهابة . فلمّا كان في آخر المجلس قال للبغداديّ : أين منزلك ؟

قال : والله يا مولاي ما لي منزل ، وما نزلت إلا عند رجل حرّ تحمّل ضيافتي منذ وصلتُ إلى هٰذه البلدة ، وأنا أتعرَّضُ في كُلّ يوم إلى رؤيتك فإذا أمكنتني قطعتني هيبتُك .

فدعا بحسن الطرّاز قهرمانه فقال له : احمل إلى حجرة هٰذا كفايتَها من الفرش والآنية والأطعمة والأشربة . واحمل إليها جاريتين لفراشه وخادمين لخدمتها وابعثهنّ مع قلاوون الصقلبي وعرّفه [أني] وهبتُه له ومُره بلزوم دهليزه .

فلمّا خرج البغداديّ قرّبت إليه بغلة فارهة بسرج مُحَلّى ومعه غلامان ، ومشى به حسن حتى أنزله في الدار . فلمّا كان من غدٍ وحضر الندماء ، دعا به

(1) في المخطوط : منك . ونظرت معطوف على لبست وتطيّبت وتصدّيتَ ...
(2) لم نجد هٰذه الأسماء في مراجعنا .

فجاء في ثياب نفيسة وبزّة حسنة . فلمّا طعموا وشربوا جاء حسن قهرمانه فقال له : يا مولاي أنفذ فلان الوكيل على ضيعة كذا بثلاثة آلاف دينار .

قال : أحضرها !

فجاء بها وفرّغها بين يديه وقال : يا بغداديّ ، كيف تراها ؟

قال : يا مولاي ، هذا مال عظيم .

قال : تطارُحُكِ عليّ وقصدُكَ إليّ أعظمُ منه . ارفعْه مباركاً لكِ فيه .

فأدرك المغنّين من حسده ما أحدّ مزاج حسن الطرّاز ، فلم يخرج إلّا محموماً فـ[ـتـ]ـخلّف أيّاماً قليلة وكان ذلك سببَ موته .

وما كان يمُرّ له يوم من الأيّام إلّا أفاد فائدة جليلة . فبعث البغداديّ إلى صديقه المصريّ الذي دلّه على الأمير تَميم وقال له : هذه نعمتُك التي كنت سببها وأنسي [1] فيها . فقد كنتَ شركتني في مالك مبتدئاً بالفضل فوالله لا مددتُ يدي إلى حبّة فما فوقها إلّا من تحت نظرك .

فبلغ ذلك الأمير تَميماً فاستحسَنه وكانا جميعاً في خدمته حتى مات تَميم .

عطفه على المحبّين :

وكان بمِصر رجل موسر من أهل طرابلس يعرف بابن فرح له نعمة عريضة إلّا أنّه قبيح الوجه وحش الصورة . فمَرّ يوماً بدار ابن الشعيري النخّاس فرأى عنده جارية حلوة أديبة حاذقة للغناء فوقعت بنفسه فخاطبه على ثمَنها فوافقه على خمسمائة دينار . فلمّا علمت أنه أرادها امتنعت أشدّ الامتناع فلم يصبر عنها لما خامره منها . فسأل أحد أصحابه فاشتراها ومضى بها إلى دار ابن فرح ، وكانت في بعض الشوارع المسلوكة ، فوجّه طعاماً كثيراً وفاكهة وشراباً . فشمّرت الجارية عن ساعديها وأصلحت من ذلك ما يجب وعبّت الفاكهة ونضدَتها وروّقت

---

(1) هكذا في المخطوط ، ولم نهتد الى قراءة شافية .

الشراب وجلست في انتظار مولاها في روشنٍ[1] / ترى منه كلّ جاءٍ وذاهبٍ . [283 أ]
فلمّا نظرت إليه وعرفته أظهرت به سروراً وقدّمت إليه طشتاً فتوضّأ وغسلت بيديها وجهه ورجليه وقرّبت له الطعام فأكل وقد كاد أن يطير سروراً لما رأى من انشراحها . ثمّ شربت ثلاثاً وسقته وتناولت العود فغنّت له كلّ شيءٍ حسنٍ . فما زالا في أطيب عيش وأنعم بال حتّى [إذا] كان ثلث الليل أقبل الأمير تَميم في ذلك الشارع وبين يديه مشاعل . فلمّا قرب منها ألقت العود وكسرته وألقت بنَفسها إليه . فوقف وآرتاع وقال : ما هٰذا ؟

فقالت : « آستجرتُ بالله وبالأمير » . ثمّ قصّت حديثَها كُلّه . فدعا بمَولاها ، فلمّا نظر إليه عذَرها وأمر بحملها إلى قصره . فلمّا عاد إليه أحضرَها ومولاها وقال له : يا هٰذا ، ليس لك فيها مستمتع وقد كرهَتْك . فكم ثمَنُها ؟

قال : خمسمائة دينار .

فأمر بإحضار ألف دينار وقال له : هذه خير لك منها إن طبت عنها نفساً .

فأخذ المال وأثنى وشكر وآنصرف ، فأمر بإيصاله إلى بيته . ونظر إلى غلام له تركيّ أمرد قيمته ألف دينار فقال لها : « خير لك من مولاك » وأعتقَها وزوّجها منه .

تسريحه لجارية رغم تعلّقه الشديد بها :

وذكر محمد بن أبي نصر الحميدي[2] : نا أبو محمد عليّ بن أحمد بن سعيد آبن حزم[3] بن غالب الفارسيّ : نا أبو البركات محمد بن عبد الواحد الزبيري :

---

(1) الروشن : النافذة على الشارع .

(2) الحميدي صاحب الجذوة (ت 488 / 1094) ، والقصّة واردة في ترجمة محمد بن عبد الواحد الزبيري (رقم 104 ص 66 من طبعة ابن تاويت) . وكذلك في مختصر ابن عساكر : 23/ 20(48) .

(3) هو ابن حزم الفقيه الظاهريّ صاحب كتاب الفصل وطوق الحمامة ، وأصله من الفرس كما قال الضبيّ في البغية .

حدّثني أبو علي حسن بن الأشكري المصري قال :

كنتِ من جلّاس تَميم ابن أبي تَميم وممّن يخفّ عليه جدًّا (قال) : فأرسل إلى بغداد فابتيعت له جارية رائقة فائقة الغناء ، فلمّا وصلت إليه دعا جلساءه (قال) - وكنت فيهم - : ثمّ مُدّت الستارة وأمرها فغنّت [كامل] :

وبدا له من بعد ما اَنْدَمَل الهوى　　برقٌ تألّقَ مَوْهناً لَمَعانُه
يبدو كحاشيةِ الرّداءِ ودونه　　صعب الذرى متمنّع أركانه
وبدا لينظُرَ كيفَ لاحَ فلَمْ يُطِق　　نظراً إليه وصدَّهُ سَجَّانُه [1]
والنارُ ما اَشتمَلَتْ عليه ضلوعُه　　والماءُ ما سمَحَتْ به أجفانُه

(قال) : فأحسنت ما شاءت ، وطرب تَميم وكلُّ مَن حضر . ثمّ غنّت [طويل] :

سيسليك عمّا فات دولة مُفضلٍ　　أوائلُه محمودةٌ وأواخِرُهْ
ثنى الله عطفَيه وألّفَ شخصه　　على البرِّ مُذْ شُدّت عليه مآزِرُهْ

(قال) : فطرب تَميم ومن حضر طرباً شديداً . ثم غنّت [بسيط] :

أستودع الله في بغداد لي قمراً　　بالكرخ من فَلَك الأَزْرار مطلَعُهُ [2]

فاشتدّ طرب تَميم وأفرط جدًّا . ثمّ قال لها : تَمنّي ما شئتِ فلكِ مُناكِ !

فقالت : أتمنّى عافيةَ الأمير وسعادته .

---

(1) هٰذا البيت ساقط من الجذوة . وهو مثبت في رواية ابن خلّكان للقصّة (ترجمة موسى بن عبد الملك الأصبهاني ، رقم 750) وفيها أن المقطوعة للشريف أبي عبد الله محمد بن صالح الحسنيّ ، وهو شاعر علويّ ثار على المتوكّل العبّاسي فسجنه ثلاث سنين فمدحه بالقصيدة التي منها هذه الأبيات ومطلعها :

طرب الفؤاد وعاودت أحزانُه　　وتفرّقت فِرَقاً به أشجانه

(انظر ترجمته في تجريد الأغاني ، 1773) .

(2) في الوفيات 5 / 338 أنّ هٰذا البيت من عينيّة محمد بن زريق المشهورة .

فقال : والله لا بُدَّ لك أن تتمنّى !

فقالت : على الوفاء أيها الأمير بمَا أتمَنّى ؟

قال : نعم .

قالت : أتمَنّى أن أغنّيَ هذه النوبة ببغداد .

(قال) : فامتقع لون تَميم وتغيّر وجهه وتكدّر المجلس ، وقام وقمنا . (قال ابن الأشكري) : فلحقني بعض خدمه وقال لي : « ارجع فالأمير يدعوك ! » فرجعت فوجدتُه جالساً ينتظرني . فسلّمت وقمتُ بين يديه ، فقال : ويحك ! أرأيتَ ما آمتُحِنّا به ؟

فقلت : نعم أيها الأمير .

فقال : لا بدّ لنا من الوفاء وما أثق في هذا بغيرك . فتأهَّبْ لحملها إلى بغداد ، فإذا غنّت هناك فاصرفها .

فقلت : سمعاً وطاعةً .

(قال) : ثمّ قمت وتأهّبت . وأمرها بالتأهّب . وأصحبها جاريةً له سوداء تعادلها وتخدمها . وأمر بناقة ومِحمَلٍ [1] فأُدْخِلَت فيه وجعلها معي وسرت إلى مكّة مع القافلة فقضينا حجّنا . ثمّ دخلنا في قافلة العراق وسرنا . فلمّا وردنا القادسيّة أتتني السوداء عنها فقالت : تقول لك سيّدتي : أين نحن ؟

فقلت لها : نحن نُزُولٌ بالقادسيّة .

فانصرفت وأخبرتها . فلم أَنْشَبْ [2] أن سمعت / صوتها قد ارتفع بالغناء [283 ب] [كامل] :

لمّا وردنا القادسـ ـيّة حيث مجتمَع الرفاقِ

---

(1) المحمل هو الهودج .
(2) أي : لم ألبَثْ .

وشممت من ارض الحجـ ـاز نسيمَ أنفاس العراق
أيقنتُ لي ولمن أُحِـ ـبُّ بجمع شمل واتّفاق
وضحكت من فرح اللقـ ـاء كما بكيت من الفراق [1]

فتصايح الناس من أقطار القافلة : أعيدي بالله ! أعيدي بالله ! (قال) : فما سُمع لها كلمة . ثمّ نزلنا الياسريّة وبينها وبين بغداد نحو خمسة أميال في بساتين ينزل الناس بها فيبيتون ليلتهم ثمّ يبكّرون لدخول بغداد . فلمّا كان قرب الصباح إذا بالسوداء قد أتتني مذعورة . فقلت : ما لك ؟

قالت : إنّ سيّدتي ليست بحاضرة .

فقلت : ويلك ! وأين هي ؟

- قالت : والله ما أدري .

(قال) : فلم أحسّ لها أثراً البتة . ودخلت بغداد وقضيت حوائجي بها وانصرفت إلى تَميم فأخبرتُه خبرَها فعظم ذلك عليه واغتمّ له . ثمّ ما زال بعد ذلك ذاكراً لها واجماً عليها[2].

(1) جاء في الهامش : هٰذه الأبيات لأبي عمران موسى بن عبد الملك الأصبهاني صاحب ديوان الخراج أيّام المتوكّل . مات في شوّال سنة 246 ، وتتمّتها :

لم يبق لي إلا تجـ ـشّم هذه السبع البواقي
حتى يطول حديثنا بصفات ما كنا نلاقي

والأبيات في ترجمته بوفيات الأعيان (رقم 750) .

(2) هٰذه الترجمة لا تفيدنا فيما كنّا نأمله : معرفة الأسباب الحقيقيّة لعزله عن ولاية العهد ، فقد سكت عنها المقريزي واكتفى بالسبب « الرسميّ » المتداول ، وهو أنّه لا يعقب ، ولعلّه كان عنّيناً أو حصوراً أو مبتلى بشذوذ الجنس ، ممّا تشعر به سيرة الأستاذ جوذر .
ونفهم من سيرة جوذر أيضاً أن هناك أسباباً سياسيّة ، أي تآمراً مع بعض أفراد الأسرة من أبناء القائم والمهدي على المعزّ .
وقد طرق المقريزي المعنى المألوف بخصوص هٰذا الشاعر الرقيق : وهو حبّه للغناء والمجالس الأدبيّة . وخروجه الكثير إلى البساتين والجولات على النيل ، مع طيبة نفسه وكرمه =

1028 – أبو الطاهر الباديسيّ [– 565]

تَميم بن المعزّ بن يعلى الباديسيّ ، الفقيه أبو الطاهر ، المالكيّ . يروي عن سند بن عنان الأزديّ . توفّي سنة خمس وستّين وخمسمائة .

1029 – تكين الخاصّة [– 321]

الأمير أبو منصور الخزري . ولي مصر من قِبل المقتدر بالله على صلاتها فدعي له بها يوم الجمعة لإحدى عشرة خلت من شوّال سنة سبع وتسعين ومائتين . وقدمَها يوم السبت لليلتين خلتا من ذي الحجّة ، وتقدّم إليه بالجدّ في أمر المغرب والاحتراس منه فعقد لأبي النمِر أحمد بن صالح على برقة فبعث معه بجيش فلقي حباسة بن يوسف فواقعه . ثمّ صرفه بخير المنصوريّ فقاتل حباسة خيراً وهزمه .

وكتب تكين إلى المهديّ عبيد الله صاحب إفريقية كتاباً على لسان أمير المؤمنين المقتدر بالله يدعوه فيه إلى الطاعة والتّمَسُّك بها . وجَمَع وجوه أهل مصر وقُرِىء عليهم وأنفذه إليهم [1] وذلك في سنة ثلاثمائة .

= الكبير . والصورة بعد إيجابيّة ، فليس فيها تفاصيل فحش أو مجون أو خروج عن جادّة الأخلاق كما نجده في مصادر أخرى .

وأفادتنا الترجمة أخيراً ببعض الأبيات التي خلا منها ديوانه المنشور .

ثم إنّ إدراج ترجمة عبد الله بن محمد الكاتب في المتن مع التنبيه إليها بحرف «ح» قد يعني أنّ المقريزي كان ينوي تخصيص فصل في معجمه لهذا الأمير الإفريقيّ رغم أنّه لم يذكر له زيارة إلى مصر . ولعلّ المؤلّف كتبه في هامش مسوّدته فجاء الناسخ فأقحمه داخل النصّ سهواً أو غلطاً .

وكذلك نتساءل في شأن التنبيه في الحاشية إلى صاحب الأبيات القافيّة والتعريف به : هل هو من المقريزيّ نفسه أم من بعض النسّاخ أو المحشّين ؟

(1) أي إلى العبيديّين بإفريقيّة ، وانظر العيون والحدائق ، 163 .

وخرج رجل بمَدْيَن [1] يقال إنّه من آل أبي طالب . فبعث إليه تكين محمد آبن طاهر صاحب الشرطة فأتى به وشهّره في رابع عشر شعبان منها .

وأمر تكين في يوم نوروز أو المهرجان بجمع المؤنّثين [2] فأمرهم بإظهار المعازف والمزامير والطبول وشهّرهم في لباسهم وطافوا الفسطاط ومرُّوا على الجامع العتيق ، وذلك يوم الثلاثاء سابع ذي القعدة منها .

وقدم عليه الخبر بدخول حباسة إلى الإسكندريّة في ثامن المحرَّم سنة اثنتين وثلاثمائة ، فبعث بالخبر إلى بغداد فقدمت الجيوش في العشرين من صفر مدداً له . وقدم الحسين بن أحمد الماذرّائي وأبو بكر محمد بن عليّ الماذرّائي [3] من بغداد على الخراج بمِصر في تاسع ربيع الأوّل [سنة 302] ، ومعهما أحمد بن كيغلغ وأبو قابوس [4] محمود بن حمك في جمع من القوّاد ، فبعث تكين مقدّمته في الخامس من جمادى الأولى إلى الجيزة . وخرجت الجيوش يوم الاثنين تاسعه فعسكر بالجيزة . ونودي بالنفير بالفسطاط . وقابل حباسة يوم الخميس لثمَان بقين منه ، وهزمه وقتل رجاله . وتبعه طائفة من الناس فخرج عليهم كمين لحباسة قتل منهم عشرة آلاف ، ومضى حباسة إلى المغرب .

فقدم المظفّر مؤنس الخادم من بغداد للنصف من شهر رمضان ومعه جمعٌ من الأمراء فصرف تكين عن مصر يوم الخميس الرابع عشر من ذي القعدة سنة

(1) مدين : تقع على بحر القلزم (البحر الأحمر اليوم) وهي من أعمال مصر الشرقية (ياقوت) .

(2) في المخطوط : الوثنين ، والإصلاح من الكندي ، 269 .

(3) الماذرّائيُّون : الحسين بن أحمد المعروف بأبي زنبور : خدم الطولونيّين وكلّف بالخراج في مصر والشام مراراً وتوفي سنة 314 أو 317 (انظر تعليق عمر السعيدي ناشر العيون والحدائق في الفهرس ، وانظر ترجمته في المقفّى رقم 1223 .

أمّا محمد بن علي الماذرائيّ فقد ولي خراج مصر إلى وفاته سنة 345 (العيون والحدائق ، 488 وانظر ترجمته رقم 2713) .

(4) في المخطوط : أحمد بن كيغلغ أبو قابوس وأبو قابوس محمود بن حمك ، والإصلاح من الولاة والقضاة 269 .

آثنتين وثلاثمائة وأخرجه في سابع ذي الحجّة [سنة 302] .

ثمّ ولي مصر ثانياً بعد موت ذكا الأعور[1] ، وتسلّم [له] خليفته[2] حتى قدم ، والعسكر بالجيزة ، لقتال أبي القاسم ابن المهديّ صاحب إفريقية . فنزلها يوم الخميس لإحدى عشرة خلت من شعبان سنة سبع وثلاثمائة وحفر خندقاً ثانياً .

وأقبلت مراكب إفريقية تريد / الإسكندرية فبعث إلى ثمِل الخادم فقدم [284 أ]
بمَراكب طرسوس فقاتل سليمَان وهو على مراكب إفريقية وأسره وقتل أكثر مَن معه . وقدم بسليمَان ومَن بقي إلى تكين فقتلهم .

وقدم المظفّر مؤنس الخادم من العراق مدداً إلى تكين في المحرّم سنة ثمَان وثلاثمائة ، فعسكر معه بالجيزة وسارا بعسكريهما يوم الخميس لثماني عشرة خلت من صفر سنة سبع وثلاثمائة وملكا الفيّوم . فمضى أبو القاسم حتى بلغ برقة ، ولم يكن لقاء .

وعاد إلى الجيزة يوم السبت الرابع من ربيع الأوّل سنة تسع وثلاثمائة . فصرَف مؤنسُ تكينَ عن مصر يوم الأحد لثلاث عشرة خلت من ربيع الأوّل بأبي قابوس محمود بن حمك ثمّ أعاده يوم الجمعة لخمس بقين من ربيع الأوّل ، فأقام أربعة أيام وصرفه عنها وأمره أن يسير إلى الشام فخرج في أربعة آلاف من أهل الديوان فقال ابن مهران [وافر] :

وَلِيت ولايَةً وعُزِلت عنها كما قد كُنتَ تَعْزِلُ مَنْ تُوَلِّي
رحِمتُك يا أبا منصورَ لمَّا خرجتَ كذا بلا عَلَم وطبل[3]

---

(1) توفّي ذكا الأعور في 11 ربيع الآخر 307 (العيون والحدائق ، 276) .
(2) تسلّم ولاية مصر باسم تكين في انتظار قدومه .
(3) هٰذه الترجمة تنقل في شيء من الاقتضاب ما جاء في كتاب الولاة والقضاة للكندي ، كأن يختصر المقريزيّ الأحداث ويحذف الشعر ، ويغفل حدثاً تكرّر أو يخلط بين التواريخ والمدد : =

1030 - تُلَك الحسنيّ [- 753][1]

تلك الحسنيّ ، الأمير سيف الدين الأرغونيّ ، أحد مماليك الأمير آقوش الأفرم . ونسب إلى الأمير أرغون الدوادار النائب .

ترقّى في الخدم حتى صار من جملة الأمراء . وأخرج على إمرة طبلخاناه بدمشق فقدمها في آخر شعبان سنة ثمَان وأربعين . وعمل حاجباً ثانياً في نيابة الأمير أيتمُش سنة خمسين ، إلى أن طلب في خامس عشرين شعبان سنة ٱثنتين وخمسين ، فعمل حاجباً صغيراً بالقاهرة .

ثمّ عمل أمير أخور عوضاً عن الأمير قردم في أواخر شهر ربيع الأوّل سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة بإقطاعه ، وهو حاجب . وخرج في الخدمة السلطانيّة إلى دمشق في نوبة بيبغا أروس . فمَرِض بها . وعاد فمات بغزّة في شوّال منها[2] .

....

= فالمعروف أنَّ تكين ولي مصر ثلاث مرَّات والثالثة كانت سنة 311 (الكندي ، 280) ، وهٰذه الولاية الثالثة لم يذكرها المقريزيّ ، كأنَّه اعتبر رجوع تكين إلى الولاية بعد اثني عشر يوماً من عزله الثاني ، توليةً ثالثة .

ثم إنَّه لا يتتبَّع حياة مترجمه إلى آخر مراحلها ، فلم يذكر مثلاً وفاته (الكامل ، سنة 321) ولا ذكر تلقيبه بتكين الخاصّ (المغرب لابن سعيد ، 152) أو تكين الخاصَّة (الكامل) . وانظر ترجمة تكين في تهذيب ابن عساكر 3 / 340 والوافي 10 / 386 (4883) .

(1) الدرر 2 / 52 (1410) وقد ضبط ٱبن حجر اسمه فقال : بضمٍّ أوّله وفتح اللام الخفيفة بعدها كاف ؛ السلوك 2 / 859 وقال : ويعرف بتلك الشحنة .

(2) في السلوك 2 / 885 : وهو عائد الى القاهرة . وبعد هٰذا جاء في الترجمة كلام مضطرب أو مقحم أو معاد : وولي أمير أخور إلى دمشق على إقطاع أمير مسعود من خطه سنة خمسين ، وكان أكبر أمرائها . ثمّ طلب على إقطاع الأمير قردم بعد إخراجه إلى دمشق في سادس عشرين ربيع الأوّل سنة ثلاث وخمسين .

1031 - ابن الحنبليّ الواعظ [- 620] [1]

تمّام بن عبد الهادي بن أبي البركات عبد الوهاب بن أبي الفتوح [2] عبد الواحد بن محمد بن عليّ ، الأنصاريّ [الخزرجيّ السعديّ العبّاديّ] الواعظ ، أبو القاسم ، حسام الدين ، الشيرازيّ الأصل ، الدمشقيّ ، الحنبليّ .

سمع من السلفيّ وحدّث عنه . ومات بمِصر في [الخامس من] ذي الحجّة سنة عشرين وستّمائة .

1032 - تَمُر الساقي [- 743] [3]

تمُر الساقي ، الأمير سيف الدين المنصوريّ ، أحد المماليك المنصوريّة قلاوون .

تنقّل في الخدم إلى أن صار من جملة الأمراء . وولي نيابة حمص بعد موت بلبان الجوكندار في ذي الحجّة سنة ستّ وسبعمائة . ثمّ صرف عنها ، وأقام بدمشق من جملة أمرائها .

فلمّا تسحّب الأمير جمال الدين آقوش الأفرم هو وقراسنقر نائب حلب إلى خربندا رسم لتمُر هٰذا بنيابة طرابلس عوضاً عن الأفرم ، وأرسل إليه التقليد ، وكتب إليه أنّه إذا مرّ بحمص وخرج نائبُها بيبرس العلميّ إلى لقائه ، يقبض عليه ويحمله إلى دمشق .

---

(1) التكملة لوفيات النقلة للمنذريّ 3 / 111 (1956) والزيادات منها .

(2) في التكملة أبي الفرج .

(3) الدرر 2 / 54 (1419) ؛ السلوك 2 / 616 .

فسار تمُر من دمشق في ربيع الأوّل سنة ٱثنتي عشرة وسبعمائة ونزل على حمص ، فوجد الأمير بكتوت القرمانيّ شادّ الدواوين بدمشق قد عاد من كشف القلاع . وأقام على حمص ، فخرج بيبرس العلميّ إلى لقاء تمُر على العادة ونزلا . فبالحال أحاط به تمُر والقرمانيّ وقبضا عليه ، وسار به القرمانيّ إلى دمشق . وتوجّه تمُر إلى طرابلس وأقام على نيابتها .

وقُبض عليه في ربيع الآخر سنة خمس عشرة ، وسُجن بالكرَك ، ثمّ نقل إلى مصر . وٱستقرّ عوضَه[1] فسجن بها . ثمّ أحضر في ثامن عشر رجب سنة سبع وعشرين لمّا كاتب فيه أهل الإسكندرية ، وسُيِّر هو والأمير بكتمُر البوبكريّ إلى الكرَك . ثمّ سجن مدّة سنين[2] وأفرج عنه في رجب سنة خمس وثلاثين [وسبعمائة] ، وأمّر على إمرة طبلخاناه بالشام ، فاستمرّ إلى أن مات بها سنة ثلاث وأربعين .

1033 – تمُربغا المنصوريّ [– 698][3]

[284 ب] تمُربغا المنصوريّ / [الأمير سيف الدين] . كان رفيق الناصر محمد [بن قلاوون] لمّا خلع في المرّة الأولى من السلطنة ونقل إلى الكرك . فأقام معه مدّة . ثمّ نقل إلى طرابلس فمات بها في سنة ثمَان وتسعين .

وكان جميل الصورة كثير الأدب مقبلاً على اللهو . وله مسجد بالقرب من الميدان الكبير .

....

(1) كأنّ في الكلام نقصاً ، ولكن بدون بياض .

(2) في الدرر : نحو العشرين سنة . وفي السلوك 2 / 378 : أفرج عنه في جمادى الأولى سنة 735 وكان قد قبض عليه سنة أربع عشرة فكانت مدّة سَجنه إحدى وعشرين سنة .

(3) السلوك 1 / 882 . والزيادة منه .

1034 – تنكز الحساميّ نائب الشام [– 741] (1)

تنكز الحساميّ ، الأمير سيف الدين ، أبو سعيد ، نائب السلطنة بالشام .

جَلبه إلى مصر :

جلب إلى مصر صغيراً مع الخواجا علاء الدين [....] السيواسي ، فاشتراه الأمير حسام الدين لاجين قبل سلطنته . فلمّا تسلطن وقُتل انتقل تنكز إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون . وصار من جملة خاصّكيّته ، وشهد معه واقعة وادي الخزندار ، ثمّ وقعة شقحب . وأنعم عليه بإمرة عشرة . ثمّ خرج معه إلى الكرَك .

فلمّا عاد إلى السلطنة مرّة ثالثة بعد فرار الملك المظفّر بيبرس أنعم عليه بإمرة في يوم السبت خامس عشرين شوّال سنة تسع وسبعمائة مع جماعة من المماليك ، عدّتُهم اثنان وثلاثون مملوكاً ، أنعم عليهم الجميعَ في هذا اليوم بإمريات ما بين طبلخاناه وعشرات ، وركبوا بالشرابيش من قلعة الجبل وشقّوا القاهرة من باب زويلة إلى القبّة المنصوريّة بين القصرين ليحلفوا كما كانت العادة ، وآشتعلت لهم الشموع والقناديل في سائر طرقاتهم ، وأوقفت لهم أربابُ الملاهي في عدّة مواضع ، وكان يوماً مشهوداً .

ثمّ نقله من إمرة العشرة إلى الطبلخاناه ، ثمّ إلى التقدمة وألزمه هو وسودي بمُلازمة الأمير أرغون النائب ليتعلّما منه الأحكام ، فبقيا يلازمانه كلّ يوم مدّة سنة .

(1) الدرر 2 / 55 (1424) ؛ الوافي 10 / 420 (4926) ؛ المنهل 4 / 156 (797) ؛ فوات 1 / 251 (88) ؛ السلوك 2 / 506 ؛ النجوم 9 / 145 ، 327 .

تولّيه نيابة دمشق :

فلمّا آستدعى الأمير جمال الدين آقوش الأشرفيّ ، المعروف بـ«نائب الكرك» إلى مصر ، وحضر إليه ، ولّى تنكز عوضَه نيابة دمشق يوم السبت مستهلّ شهر ربيع الآخر سنة آثنتَي عشرة وسبعمائة . وخشي أنّه لا ينهض بأعباء نيابة دمشق فشرك معه الأمير سيف الدين الحاج أرقطاي ، والأمير حسام الدين طرنطاي البجمقدار[1]. وتقدّم إليه أن لا يستبدّ بأمرٍ دونهما ولا ينفردَ برأي ولا تدبير ولا كتابة مطالعة عنهما . وسيَّره وهما معه على البريد في يوم الجمعة سابعه . فوصلوا دمشق في يوم الخميس عشرينه .

فلمّا جلس بدار السعادة وحضرُه الأمراء والقضاة وأهل الدولة على العادة ، قام علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن سلمَان بن غانم الموقّع وأنشد [كامل] :

بشّرَ دمشق [...] بوجوده ... فيها ومَن ظهرت دلائل جوده
إذ جاءها الرحمان منه برحمة ... وسمت جميعَ الأرض عند وروده
ويَمين طلعتِه وطالعه الذي ... شرقت علينا نيّرات سعوده
طابت دمشق لأهلها وجميع مَن ... فيها بمَا سكنت بخفق بنوده
كم في المغاني من معان أطربت ... فرحاً بمَقدمِه ومَنٍّ وروده
وتناثرت ورد الحباء حيًّا له ... لمّا جنينا الدرّ من تقليده
[وَ] كأَنْ غداة قدومه بسروره ... حقًّا يرى ذاك النهار كعيده

فشكره على ذلك . وركب الموكب على العادة في تجمّل عظيم ، وجلس وأرقطاي إلى جانبه ، وقرئت القصص عليهما . وأقام تنكز حرمة وافرة ، فهابه أمراء دمشق وخشوا عاقبته .

(1) البشمقدار في السلوك 2/ 118 .

تأميره على كافّة أمراء الشام :

فلمّا راك السلطان البلاد الشاميّة في سنة ثلاث عشرة ، زاد إقطاع النيابة عن عادته . ورسم أن تكون كتب نوّاب بلاد الشام كحَلَب وحماه وطرابلس وصفَد وغيرها ترد على تنكز بمَا [1] عادته أن تردَ على السلطان / ويكاتبَ [285 أ] السلطان بمَا تشتمِل عليه ويجاوبه عنها . وبقيَ أمرُ البلاد الشاميّة كلّها لا يخرج منه شيءٌ عنه .

وخرج أوّل المحرّم سنة خمس عشرة بعساكر مصر والشام ، ومعه القضاة ، وهو بزيّ الملوك من العصائب السلطانيّة والكوسات - ولم يفعل ذلك نائبٌ قبله - وجرّ ثلاثة وثمَانين نجيباً من الخيل ، وسار وفي إثره عسكر صفَد وحَماة وطرابلس إلى حلب . وتنكّر على الملك المؤيّد عماد الدين إسمَاعيل صاحب حماة من أجل أنّه لم يتلقّاه [2] مِن بُعد ، وأبى أن يأكل طعامه ، وأعرض عنه .

فلمّا نزل حلب جرّد منها عسكراً إلى ملُطية ، وكان في ظنّ كلّ أحدٍ أن العساكر متوجّهة إلى سيس . ثمّ سار في إثره ونازل ملطية يوم الثلاثاء ثالث عشرين المحرّم حتى تسلّمها من أهلها . فأقرّ كلّ أحدٍ على ما هو عليه . وقبض على مندوه الكرديّ متولّي الخراج . ونهب العسكر المدينة فقام تنكز وأخرجهم . ورحل بمَال كثير وأسرى متعدّدة وعاد إلى دمشق في سادس عشر ربيع الأوّل ، وقد قاسى الأمراء منه ما لا يوصف من الحيف والترفّع ، بحيث كان إذا ركب يترجّل سائر الأمراء وتَمشي في خدمته ، حتى البوبكريّ ، إلى أن ينزل .

جامع تنكز بدمشق :

فلمّا كانت سنة ثمَاني عشرة أنشأ بالشرَف القبليّ خارج دمشق جامعاً في غاية الحسن ، وهدم أماكن كثيرة استجدّت في أسواق دمشق كانت قد ضيّقت

(1) التعبير أسلم في السلوك 1 / 137 .
(2) في السلوك 2 / 142 : لم يتلقّه بالجَزم الصحيح .

الطرقات من باب جسر الحديد إلى باب الفراديس . وفي سوق الخيل أيضاً حتى ذهبت عن آخرها ، وكانت شيئاً كثيراً ، فلم يتجاسر أحد على الكلام فيها .

وحجّ سنة إحدى وعشرين ، وآستخلف عنه الأمير بيبرس الحاجب إلى أن عاد . ثمّ قدم إلى مصر يوم الأربعاء تاسع عشر شهر رجب بعد الاستئذان ، فأكرمه السلطان وقرّبه ، ورسم لسائر الأمراء أن تحمل إليه التقادم والهدايا ، فلم يبقَ أحدٌ منهم حتى بالغ فيمَا يحمله إليه ، وبلغت قيمَة ما جاءه من التقادم ثمَانين ألفَ دينار ، منها مبلغ أربعة آلاف دينار حملت إليه من السلطان ، ونحو عشرة آلاف دينار من كريم الدين ناظر الخاصّ . وبلغت عدّة السلاسل الذهب والفضّة التي حضرت إليه في الخيل أربعين سلسلة . ورسم أن تكون الخلع التي يخلعها على مَن يحضر من مماليك الأمراء إليه بالتقادم من الخزانة السلطانيّة .

فأقامَ بقلعة الجبل خمسة أيّام ، وسار عائداً إلى دمشق على البريد يوم الاثنين رابع عشرينه . فقدمها في يوم الاثنين أوّل شعبان ، وكان يوماً مشهوداً .

وأضاف إليه السلطان الكلام في أمر سيس ، ومنع الأمير ألطنبغا نائب حلب من ذلك في سنة أربع وعشرين . فابتدأت العداوة بينَهُما .

وقدم إلى مصر باستدعاء في عاشر شهر ربيع الأوّل سنة خمس وعشرين . فأقام أيّاماً ، وعاد بإنعامٍ جزيل .

وقدم في سنة سبع وعشرين باستدعاء فبالغ السلطان في إكرامه ، وأنزله بدار الأمير بكتمُر الساقي ، وكان السلطان قد خرج إلى لقائه بسرياقوس . وأشار السلطان بأن يزوّج ابنته من الأمير أحمد بن [بكـ]ـتمُر الساقي ، فعقد لها عليه وجهّزها جهازاً عظيمًا ، وكان من جملته دائر بيت فيه مبلغ ستّين ألفَ مثقال من الذهب . وألبسه السلطان تشريفاً كاملاً ، بلغ مصروف القبا الفوقانيّ خاصّة مبلغ أربعة وخمسين ألف درهم فضّة .

منشآته العمرانيّة بالشام :

وعاد إلى دمشق فنظر في أوقاف الجوامع والمساجد والخوانق والزوايا والربط والمدارس ، ومنع أن يُصرف لأحد من أرباب معاليمها شيء حتى يَرُمَّ شعثَها فعمرت كلّها أحسن عمارة . ونظر في مقاسم المياه التي تتفرّق في الدور فكسح ما ٱجتمع فيها من الأوساخ وفتح منافذ كانت استدّت وصار الوَخم يعتاد أهل دمشق في كلّ سنة بسببها فتفشو بها الأمراض في الناس لما يخالط المياه . فزال ذلك كلّه وسرّ/ الناس سروراً كبيراً ، وكثر الدعاءُ له والثناءُ عليه . وبلغ [285 ب] المصروف على ذلك ثلاثمائة ألف درهم .

وبلغه قلّة الماء بمَدينة القدس فأخرج بعض ثقاته بمَال ليجري إليها عيناً وكتب إلى ولاة الأعمال بإخراج الرجال للعمل ، فأقاموا سنة في عملها حتى دخلت القدس . وبنى بها مصنعاً سعته مائة ذراع [1] فعظم نفعُ أهل القدس بها . وعمّر لهم بها حمّاماً وخانكاه وقيساريّة ، فكثر الناس بالقدس في أيامه .

وقدم إلى بيروت تجّار الفرنج بمائة وأربعين أسيراً مسلمين اشتروهم ممّن أسرَهم ليبيعوهم . وكان قاضي القضاة جلا[ل] الدين محمد بن عبد الرحمان القزوينيّ قد قرّر معهم أن يفيدهم في الأسرى عشرين درهماً تكون ربحاً على رأس المال . ففعل ذلك تنكز بعدما حلف تجّار الفرنج أنّهم اشتروهم بكذا ، وأعطاهم المال . وكتب الأسرى وزوّدهم وبعث بهم إلى السلطان فعظُم سرور الناس بهم وأعلنوا بالدعاء له .

تطهير دمشق من الكلاب :

وأمر شهاب الدين بن برق والي مدينة دمشق ووالي البرّ بجمع الكلاب كلّها من جميع الجهات ، وألزم التجّار والباعة بإحضارها وإلقائها في خندق المدينة ، وبنى حائطاً يحجز بين ذكورها وإناثها . فصار الناس يأتون بالكلاب من النواحي

(1) التفاصيل في السلوك 2 / 302 .

إلى تحت الطارمة[1] ومعهم الطبولُ والزمور وهم في ضجيج حتّى يلقوهم إلى الخندق ، وقد خرج النساء والصبيانُ وعامّة الناس لرؤيتها ، وأكثروا من إلقاء المأكل لهم . فاستمرّ الناس في جمع الكلاب نحو شهر حتى آمتلأ بهم الخندق وشنع عوارهم ، فقال الشعراء في ذلك وأكثروا .

ثمّ قدم على السلطان في محرّم سنة ثلاثين فأنعم عليه بمائة ألف درهم من مال مصر ، وكتب له من مال دمشق بمائة ألف أُخرى . وعاد في رابع عشره .

ثمّ قدم في سادس جمادى الآخرة سنة إحدى وثلاثين ، وصحبته الأمير أرقطاي نائب صفد ، فأكرما وأعيدا إلى محلّ ولاياتهما .

وقدم في سنة آثنتين وثلاثين لحضور عُرس الأمير آنوك ابن السلطان ، فلمّا آنقضى عاد إلى دمشق .

وقدم في صفر سنة ثلاث وثلاثين لهناء السلطان بعوده من الحجّ سالماً . وكتب له تقليد بإضافة غزّة إليه . فبلغ إنعام السلطان عليه في هٰذه النوبة ألف ألف درهم سوى الخيل ، والسروج ، وما له على الشام من عَين وغلّة وأنعام . واشتمَلت أوراق كلفته على ثلاث وعشرين قائمَة بمَا يحتاج إليه ، ومن جملته طلابان[2] ذهباً صرفاً زنتهُما ألف مثقال ، والقباء الذي يلبسه عند سفره يتَقوَّم على السلطان بألفَي دينار مصريّة فيه ألف وخمسمائة دينار .

تكرّر قدومه إلى مصر :

وقدم في محرّم سنة أربع وثلاثين فأنعم عليه بمائة ألف درهم .

وقدم في سنة ثمَان وثلاثين[3] . فخرج السلطان إلى سرياقوس يريد لقاءه .

(1) طارمة قلعة دمشق : منظرة لجلوس السلطان سقفها على هيئة قبّة ، السلوك 2/ 874 هامش 3 .

(2) في المخطوط : طلاباز . ولم نفهم المقصود .

(3) قبل هٰذه قدم تنكز في 2 رجب 737 وقال المقريزي في السلوك 2/ 411 : وهي القدمة الحادية عشرة .

وبعث إليه أوّلاً الأمير قوصون بالإقامات ، فعمل له سماطاً جليلاً . ثمّ بعث بأولاده عندما قرب ، وركب في إثرهم . فلمّا قرب ترجّل له السلطان ، فترجّلت الأمراء وألقى تنكز بنفسه عن الفرَس إلى الأرض ، وأسرع في جريه وهو يقبّل الأرض ويقوم وقد دهش ، حتى آنكبّ على قدمَي السلطان يقبّلها . فأمسك رأسه بيديه وأمرَه أن يركب ، فركب وساير السلطان حتى نزل ، فأنعم عليه . وأقام أيّاماً وعاد .

إكرام الناصر ابن قلاوون له :

وقدم في سنة تسع وثلاثين ومعه أولاده ، فركب السلطان إلى لقائه ، ومعه أولاده ، إلى بئر البيضاء . فلمّا قاربه ترجّل له وقبّل رأسه وضمّه إليه بعدما كان يجيء إليه أمير بعد أمير ويسلّم عليه ويبوس يده وركبتيه راجلاً على قدميه ، وهو راكب فرسه ، وبعدما خرج إليه الأمير قوصون إلى الصالحيّة بالإقامات . ثمّ سار به السلطان ، وقد بالغ في إكرامه ، وأنزله بالقلعة على العادة . ثمّ نزل إلى داره التي بخطّ الكافوري من القاهرة ، وهيّأ تقادم للسلطان والأمراء على قدر منازلهم وحملها إليهم من الغد ، فكانت شيئاً يجلّ عن الوصف ، بلغت قيمتُها مائتَي ألف دينار وعشرين ألف دينار ، ومثلها جوهر بثلاثين ألف دينار ، وزركش بعشرين ألف دينار . فأكرمه / السلطان بأن أخذ يده في يده وعبَرَ به إلى الدور [286 أ] حتى خرجت إليه ابنتُه فقبّلت يده . ثمّ خرجت بنات السلطان جميعهنّ ، فصار السلطان يقول لكلّ واحدة منهنّ : بوسي يد عمّك ! – فتتقدّم وتقبّل يد تنكز . ثمّ عيّن آثنتين [منهنّ] لولدَي تنكز ، فقبّل تنكز الأرض .

وخرج هو والسلطان وسار معه إلى الصيد نحو بلاد الصعيد فبالغ السلطان مبالغة زائدة في إكرامه واحترامه ، بحيث إنّه جاء إليه وقدّامه من الأمراء ملكتمُر الحجازيّ ، ويلبغا البحيريّ ، وألطنبغا الماردينيّ ، وآقسنقر وآخر[ون] ، على يد كلّ منهم طير من الجوارح ، فقال له : يا أمير ، أنا أمير شكارك ، وهؤلاء بازداريتك ، وهٰذه طيورك !

فأراد أن ينزل عن فرسه ويقبّل الأرض فمَنعه .

وكان لتنكز مملوك قد شغف به يقال له جنغية ، فصار السلطان يستدعيه عندما تنتظم الحلقة ويناوله الصقر من يده ليرمي به على الصيد ، ثم يسير ومعه تنكز حتى يرمي جنغية الصيد بصقر السلطان ، هٰذا وتنكز ، كلّما فعل السلطان ذلك ، نزل وقبّل الأرض واستعفى من فعل هذا مع جنغية ، إلى أن أعفاه .

فلمّا قدم السلطان من صيده ، تقدّم إلى النشو بتجهيز مال لمهر ابنَي تنكز ولتجهيزه للسفر . فحمل له أربعة عشر ألف دينار عين ، منها برسم المهر ألفان ، وبرسم تسفير تنكز اثنا عشر ألفاً . وعقد لابنتيه على ٱبنَي تنكز في بيت الأمير قوصون .

فلمّا ولدت ابنة تنكز من السلطان جاءت بابنة . وعندما قدم البشير بولادتِها ، وتنكز عند السلطان ، قام على قدميه وقبّل الأرض ، ثمّ سجد لله شكراً وقال : يا مولانا السلطان ، كنت أتمَنّى أن تأتي بابنة ، فلو وضعت ذكراً [لـ]ـخشيتُ من كمال السعادة . فإنّ السلطان تصدّق عليّ في هذا المهمّ وجبرني حتى غمَرني بصدقاته .

ثمّ أخذ السلطان في تعبئة ما جرت به العادة من الإنعام على تنكز ، وضاعف له في الخيل وتعابي القماش وغيرها ، وأحضر ذلك بين يديه واختار منه الأحسن وبعث به إليه . فبلغ ما صُرف على تنكز من الخزانة وغيرها نحو المائة ألف وخمسين ألفَ دينار عيناً . وكان راتبُه كلّ يوم أربعة آلاف درهم .

تفويض حكم الشام إليه مُطلقاً :

ثمّ سافر بعدما أقام في هذه النوبة بمِصر شهرين ، وقد كتب له تقليد بتفويض الحكم في جميع مملكة الشام ، وأن النّوّاب بأسرها تكاتبه بمَا يكاتب به السلطان ويكون هو الذي يكاتب السلطان بمُهمّاتهم . وأنعم على مغنّية قدمت معه بعشرة آلاف دينار ، سوى ثلاث بدلات زركش وثلاثين تعبئة قماش ،

وأربعة [بدلات] مقانع [1] وخمسمائة دينار من الحريم .

وكانت مكاتبة السلطان له : أعزّ الله أنصار الجناب – فكتب له : « أعزّ الله أنصار المقرّ الكريم العالي الأميري » . وزيد في ألقابه : الأتابكي ، الزاهديّ ، العابديّ . وفي نعوته : « معزّ الإسلام والمسلمين . سيّد الأمراء في العالمين » . ولم يكتب ذلك في الدولة التركيّة لأحدٍ سواه .

فقدم تنكز دمشق وسرّ الناس بقدومه . ثمّ سار منها بالعسكر فمرّ على حماه ونزل عند المؤيّد ، وخلع عليه . ثمّ مضى إلى حلب وتوجّه إلى بلاد سيس . فبعث إليه تكفور بتقادم وطلب الهُدنَة ، فهادنَه . وكشف ما أنعم به السلطان عليه من تلك البلاد وعمّرها وعاد .

تغيّر الناصر عليه :

فلمّا أراد الله انقضاء أيّامه غيّر قلبَ السلطان عليه حتى قتله . وسببُ ذلك أنّ حسن بنَ دامرداش كان قد أهمّه أمر تنكز وخافه . فيقال إنّه بلّغ السلطان عنه أنّه قصد الحضور إليه إلى بلاد الروم ، وأنّه يخامر عليه . واتّفق مع ذلك أنّه وقع حريق بدمشق في ليلة السادس والعشرين من شوّال سنة أربعين [وسبعمائة] ، استمرّ يومين وليلتين تلف فيه من الحوانيت والأمتعة شيءٌ عظيم جدًّا . فعثر على أنّه من فعل طائفة من النصارى . فقبض عليهم تنكز وأحاط بأموالهم ، فأفتى الفقهاء بقتلهم فسمّرهم ووسّطهم . وكتب يعلم السلطان بذلك ويستأذنه أن يصرف أموالهم في عمارة ما خرّب من أوقاف الجامع الأمويّ . فشقّ / قتلَهم على السلطان وعتبه في مكاتبته على قتلهم ، وأنّه قد جرّ على مَن [286 ب] بالقسطنطينية وغيرها تحت يد الفرنج من المسلمين بقتل هؤلاء بلاءً عظيمًا ، ويأمره بحمل مالهم إلى الخزانة السلطانيّة [2] ، ويعلمُه أنّ الأمير بشتاك والأمير

(1) المقصود بالمقانع أقنعة كالخمر تغطي به النسوة وجوههنّ ورؤوسهنّ (دوزي) وانظر السلوك 2 / 433 و 462 .

(2) خبر الحريق وعقاب الرهبان في السلوك 2 / 496 .

يلبغا اليحيويّ وعشرين أميراً من الخاصّكيّة يحضرون ببنتي السلطان حتى يعمل مهمّ دخول ولديه عليهما .

وكان قد شرع في عمارة ما خرب في الحريق من أوقاف الجامع وإنفاق مال النصارى .

فلمّا قرأ كتاب السلطان آستوحش منه : فإنّه [منذ] ولي الشام لم ينكر عليه شيئاً فعله . وأخذ يعمل فكره في ذلك حتى قوي عنده أنّ السلطان قد ملّه وتغيّر عليه . وكتب يعتذر عن قتل النصارى ويتلطّف في الاعتذار ، ويسأل المهلة في عمل المهمّ ، وأنّه قد أنفق المال في عمارة ما احترق . وبعث به قرمجي الحاجب ووصّاه أن يكشف له عن حاله . فوجد قرمجي السلطان وقد تغيّر عمّا يعهده في حقّ تنكز . فاستحال مع السلطان ووشى بتنكز وعرّفه أنّه قد خاف وبعثه لكشف أحواله . فرتّبه السلطان جاسوساً له على تنكز وعيناً يحصي عليه جميع ما يتحرّك فيه ، ووعده أن يعمله حاجباً بمِصر .

فعاد قرمجي إلى تنكز وملأ قلبه خوفاً ، فأخذ في تدبير أمره . وأخذ السلطان في العمل عليه أيضاً ، وبعث طاجار الدوادار في صورة أنّه يعتب تنكز على تأخير عمل المهمّ ، وحمّله ملطّفات لقرمجي وغيره بمُطالعة السلطان بمَا عزم عليه تنكز . وكان تنكز قد عوّل على حمل ماله إلى قلعة جعبر وأنّه يخرج كأنّه يتصيّد حتّى يصل إليها . فعبّأ ماله وسلاحه وبعث إلى جعبر وأمر العسكر بالتهيُّئ للصيد .

تجسّس السلطان عليه :

هذا وقد آشتهر بدمشق تغيّر السلطان عليه ، وهو يفضي بأسراره لقرمجي ثقة به ولا يعلم أنّه قد صار عيناً عليه للسلطان . فلمّا قدم طاجار إلى ظاهر دمشق ، بعث تنكز مَن يتلقّاه ويَمنعه من إيصال ملطف لأحدٍ ، فصار معه إلى أن دخل عليه وبلّغه ما جاء به . وجرت بينهما مفاوضة حفظ عليه فيها طاجار سقطة :

وهي أنّه لمّا قال له طاجار : السلطان حلف لك .

قال تنكز : ولمَن حلف وصدق حتى يصدق لي ؟ قم ، اخرج من وجهي !

فقام وركب من فوره البريد . فبعث قرمجي يعرّف السلطان بأن يستدرك أمره ، فإنّ الرجل قد جهر حاله ، ومتى لم تبادره فاتك . وعرف تنكز أن طاجار ولا بدّ يبلّغ السلطان مقالته . فعزم على أن يخرج إلى المرج بالعسكر كأنّه يتصيّد . ثمّ بعد يومين يقتل الأمير قطلوبغا الفخري ويسير إلى الشرق أو بلاد الروم .

فقدم طاجار بعد غيبته سبعة أيّام ليلاً وعرّف السلطان الخبر بنصّه . فطلب الأمير بشتاك وأطلعه على خبر طاجار ، وبعثه إلى الأمير بيبرس الأحمديّ ، والأمير جنكلي بن البابا ، والأمير أرقطاي ، والأمير طقزدمر ، وغيره . فلمّا صاروا بين يدي السلطان ، عرّفهم خروج تنكز عن الطاعة ، وعدّد له ذنوباً كثيرة ، وقرّر معهم خروج تجريدة لقبضه . وعيّن من الأمراء جنكلي بن البابا . وأرقطاي ، وبشتاك ، وأرنبغا أمير جندار ، وقماري أمير جندار ، وقماري أخا بكتمُر الساقي ، وبرسبغا الحاجب ، وصحبتهم ثلاثون أمير طبلخاناه . وعشرون أمير عشرة ، وثلاثمائة من مماليك السلطان . وأنفق ألف دينار [1] في كلّ أمير مائة ، وفي كلّ أمير طبلخاناه أربعمائة دينار ، ولكلّ مملوك خمسمائة درهم . وكتب إلى جميع العربان بأخذ الطرقات على تنكز . وأركب بهادر حلاوة البريد إلى ألطنبغا نائب غزّة ، وطشتمُر نائب صفد ، وعلى يده ملطفات ، بتوجّه طشتمُر إلى دمشق وقبضه على تنكز . بعد ذلك يعبر دمشق متنكّراً إلى قطلوبغا الفخري وقرمجي والأمراء ، ويعرّفهم أن يكونوا على تعبئة حتى يأتيهم العسكر . وإن قدروا على أخذ تنكز فقبضوه ، وإلّا فيعوّقو[نـ]ـه عن التوجّه .

(1) في المخطوط : في كلّ أمير مائة ألف دينار ، وقدّمنا وأخرنا لرفع الالتباس : فأمير مائة رتبة عسكريّة . مثل أمير طبلخانه وأمير عشرة إلخ . . .

القبض على تنكز :

وكثر وَهم السلطان وزاد قلقه وتنغّص عيشه . وأخرج العسكر يوم الثلاثاء ثالث عشرين ذي الحجّة [سنة 740] . فلمّا عبر [بهادر] حلاوة دمشق أوصل الملطفات / لأصحابها ليلاً . وأصبح ، وقد ركب تنكز إلى خارج دمشق وأقام [287 أ]
في قصره بالقطائع ، وإذا بطشتمُر نائب صفد قد ركب منها يريد دمشق . فلمّا بلغه قربُه منه عاد إلى دار السعادة . فبادر أمراء دمشق وركبوا بالسلاح وغلّقوا باب النصر وغيره من الأبواب وأحاطوا به . فوافاهم نائب صفد وقت الظهر بعدما وصل دواداره بكرة النهار واتّفق مع الأمراء . فدخل تمُر الساقي ، وطرنطاي البشمقدار ، وبيبرس السلاح دار على تنكز وأخرجوه إلى ميدان الحصا ، وقيّدوه ، في يوم الثلاثاء ثالث عشرين ذي الحجّة [سنة 740] خلف مسجد القدم . فأقامه الحدّاد وأقعده أربع مرّاتٍ ، والناس قد وقفوا لرؤيته ، فسبحان مزيل النعم ! [1] .

وكان الذي تولّى تقييده بيده فرنجيًّ[ـا] . وساروا به وقت العصر . فحدث له بمَنزلة الكسوة إسهال ورعدة حتى أشفى على الموت . وتقدّم حلاوة بالبشارة فقدم بلبيس والعسكر عليها ، فعرّف بشتاك بقبض تنكز . ووصل إلى السلطان فسرّ بمَسك تنكز سروراً زائداً .

وكتب بعود جماعة من العسكر ، وأن يسير بشتاك وأرقطاي وبرسبغا إلى دمشق ، وأن يقيم بيغرا أمير جندار وقماري على الصالحيّة حتى يحضر تنكز .

قتله بالإسكندريّة :

فقدم في يوم الثلاثاء عاشر المحرّم سنة إحدى وأربعين صحبة الأمير بيبرس السلاح دار ، وطلع إلى القلعة نهاراً ، و[أنزل] في موضع ضيّق ، ثمّ أخرج ليلاً

(1) هٰذا من التعاليق النادرة في المقفّى . وانظر السلوك 2 / 499 ـ 501 .

إلى الإسكندرية . وقتل بها في يوم الثلاثاء خامس عشر المحرّم سنة إحدى وأربعين وسبعمائة ، على يد إبراهيم بن صابر مقدّم الدولة . وصلّى عليه الناس ودُفن بمَقبرة الإسكندريّة . ثمّ نقل منها إلى دمشق فدُفن بتربته إلى جانب جامعه في أوائل رجب سنة أربع وأربعين وسبعمائة .

اشتغاله بالحديث :

وكان قد سمع في نيابته غيرَ مرّة صحيح البخاري على الحجّار ، وسمع كتاب الآثار للطحاويّ ، وسمع صحيح مسلم ، وروى عن عيسى المطعم ، وأبي بكر بن عبد الدائِم ، وحدّث بثلاثيّات البخاري في المدينة النبويّة .

علوّ شأنه عند السلطان وعند الشاميّين :

وعظم شأنه في نيابة دمشق وهابه الأمراء والنوّاب . وأمّن الرعايا فلم يقدر في أيامه أمير ولا متجوّه [1] أن يظلم ذمّيًّا فضلاً عن مسلم ، لخوفهم من بطشه وشدّة انتقامه . وما زال في ارتقاء وعلوّ درجة وإقطاعه يتضاعف وأنعامه تزداد وعوائده من الخيل والقماش والطيور والجوارح تنمُو كثرة . وكان السلطان لا يفعل في أكثر الأوقات شيئاً حتى يبعث يستشيره . وقلّما كتب هو في شيءٍ إلى السلطان فردّه ، بل كان إذا قرّر بدمشق إمرةً أو نيابة أو وظيفة قضاء ونحوه أو إقطاعاً ، أمضى السلطان ما قرّره وبعث بتوقيعه أو منشوره . ولم يسمع قطّ عنه أنّه أخرج إقطاعاً ولا إمرةً ولا وظيفة — جلّت أو قلّت — فأخذ عليها رُشًى . بل كان عفيف اليد والفرج . وبلغ من أمره أن أمراء مصر الخاصّكيّة كانت تخافه ، وأنّ السلطان قال مرّة للأمير سيف الدين قرمشي الحاجب : يا قرمشي ، لي ثلاثون سنة وأنا أحاول من الناس أن يفهموا عنّي ما أرومه في حقّ الأمير تنكز ، ولم يفهم الناس عنّي ذلك . وناموس الملك يَمنع من قولي ذلك بلساني : وهو أنّي لا أقضي حاجةً لأحدٍ إلّا على لسانه أو بشفاعته — ودعا له بطول العمر . فلمّا

(1) متجوّه : لعلّها كلمة منحوتة من الجاه : متسلّط مدلّ بجاهه ؟

بلغ تنكز ذلك قال : بل أموت في حياة السلطان ! — فلمّا أنهى ذلك الأمير قرمشي إلى السلطان قال له : قل له : لا ! أنت إذا عشتَ بعدي نفعتَني في أولادي وحرمي وأهلي . وإذا متّ قبلي ، إيش أعمل مع أولادك أكثر ما يكونون أمراء؟ ها هم الآن أمراء في حياتك !

عِفّته ونزاهته :

ومن فضائله التي انفرد بها أنّه كان له كاتب لا شغل له إلّا ضبط ما يدخل خزانته من المال وما يستقرّ له ، فإذا حال الحول عمِل أوراقاً بمَا يجب عليه صرفُه من الزكاة فيأمر بإخراجه وصرفه إلى ذوي الاستحقاق . وزادت أمواله ، وعمّر بظاهر دمشق جامعاً ، وإلى جانبه تربةً وحمّاماً . وعمّر لزوجته تربة ، وعمّر داراً [287 ب] للقرآن . وأنشأ بالقدس رباطاً ، وعمّر مدينة القدس ، وساق / إليها الماءَ حتى مرّ على باب المسجد الأقصى . وعمّر بصفد مارستانـ[اً] . وجدّد قنوات دمشق وجدّد بها عدّة مساجد ومدارس ووسّع طرقاتها . وأنشأ بالقاهرة داراً في غاية الحسن . وعمل له في جميع بلاد الشام آثار يذكر بها .

وكان سليم الباطن لا يعرف المكر ولا الدهاء . وكان لا يحتمل شيئاً ولا يصبر على أذًى ، ولا يداري الأمراء ، ولا يرفع لهم رأساً ، بل يُعرض عنهم . وكان الناس في أيامه آمنين على أموالهم ووظائفهم .

وكان يسير في كل سنة بالعسكر للصيد إلى نواحي الفرات . وعدّى في بعضها الفرات وتصيّد في ذاك البرّ خمسة أيام ، فكان الناس ينجفلون قدّامه إلى بلاد توريز وسلطانيّة ، وكذلك بلاد ماردين وبلاد سيس .

وكانت أغراضُه كلّها في عمل الحقّ ونصرة الشرع ، إلّا أنّه كان يتخيّل في بعض الأوقات تخيّلاً فاسداً ويبني عليه ، فهلك بذلك أناس ، ومن مهابته لا يتجاسر أحدٌ على إظهار الصواب له فيمَا يفعله . وكان شديدَ الغضب لا سبيل إلى إرضائه إذا غضب ، ولا يعفو إذا قدر ، بل كان يبطش بطشَ الجبّارين . وإذا

كان الذنب صغيرا لا يزال يكبّره إلى أن يخرج فيه عن الحدّ . وكان إذا غضب على أحدٍ ، في الغالب لا يزال في خمول حتى يَموت ، وما غضب على أحدٍ فرضي عنه . وقال مرّة : أي لذّة للحاكم إذا لم يكن رعاياه آمنين مطمئنّين ؟

وكان يأكل مرّة مع بعض خواصّه فرأى أصبعَه مربوطة فسأله عنها فأخبره أن قوّاساً عمل له قوساً ثلاث مرّات فلم يعجبه وأنّه لكمه . فأمر بإقامته عن الطعام وضربه فضُرب نحو أربعمائة عصا ، وأخرج عنه إقطاعَه وغضب عليه عدّة سنين . وكان لا يغفل عن نفسه في وقت من الأوقات ، بل كان كأنّه واقف بين يدي الله تعالى ، ويواظب على قيام الليل ويجدّد لكلّ صلاة وضوءًا . ولم يعرف عنه أنّه أمسك بيده ميراثاً قطّ منذ كان مملوكاً في الطباق حتى مات .

تركته وثروته :

وحمل له من دمشق ثلاثمائة ألف وستّة وثلاثون ألف دينار مصريّة ، وألف ألف وخمسمائة ألف درهم ، وجواهر ، ولؤلؤ ، وطرز زركش ، وكلوتات زركش وحوائص ذهب بجامات مرصّعة ، وثياب أطلس ، وأنواع قماش ، [مـ]ـمّا كان جملته ثمَاني مائة حمل . ثمّ استخرج له أربعون ألف دينار وألف ألف ومائة ألف درهم ، سوى الجواري والمماليك والخيول . وقوّمت أملاكه التي بدمشق بالعدولِ وأرباب الخبرة وشهود القيمة ، وعُمل بذلك محاضر فبلغت قيمة أملاكه بدمشق وضياعها خمسة آلاف ألف درهم وثلاثمائة ألف درهم وعشرين ألف درهم . وبلغت قيمة أملاكه بحمص ثلاثمائة ألف وأربعة وعشرين ألفاً وخمسمائة درهم ، وأملاكه ببيروت ثلاثمائة ألف وخمسة وأربعين ألف درهم ، والقرى التي بالبقاع ، وأملاك بصرخد وأذرعات وعجلون وغيرها ، ثلاثة آلاف ألف وأربعمائة ألف وأربعة عشر ألف درهم ، وأملاك بقارا ألف ألف ومائتي ألف وخمسة آلاف درهم : فجملة ذلك عشرة آلاف ألف وستّمائة ألف وثمَانية آلاف وخمسمائة درهم ، منها زيادة على خمسمائة ألف دينار مصريّة

[و]ألف دينار مصريّة ، سوى أملاكه وأوقافه بصفد وعجلون والقدس ونابلس والرملة وجلجوليّة [1] والقاهرة .

1035 - توبة بن النّمر القاضي [- 120] [2]

توبة بن النّمر بن حرملة بن ثعلب [3] بن ربيعة بن نمِر بن ساجي بن النّمر آبن شرح . الحضرميّ . ثم البَسّيّ . نسبة إلى [بسّ وهو] بطن من حضرموت . يكنّى أبا محجن وأبا عبد الله . كان ممّن جمع له القضاء والقصص بمِصر .

1036 - البيع الدمشقيّ [620 - 698] [4]

توبة بن عليّ بن مهاجر بن شجاع بن توبة ، الصدر ، الوزير الصاحب تقيّ الدين ، أبو البقاء ، الربعيّ ، التكريتيّ ، المعروف بالبيع الدمشقيّ .

ولد سنة عشرين وستّمائة يوم عرفة بعرفة وعانى المتجر . وسافر في طلب كسب المال . وقدم مصر وتعرّف بقلاوون وهو أمير [. . .] .

[288 أ] فلمّا ولي الملك المنصور / قلاوون السلطنة ولّاه نظر الخزانة السلطانيّة

(1) جلجوليّة : ذكرت في السلوك 1 / 534 كإقطاع مقسّم بين ثلاثة أمراء ، ولم نعرف مكانها .

(2) فتوح مصر لآبن عبد الحكم (نشر توري) 240 ؛ الكندي 342 ؛ تاريخ البخاري 2 / 156 (2042) ؛ رفع الإصر 1 / 158 ؛ الجرح والتعديل 2 / 446 (1794) .

(3) في رفع الإصر سقط ثعلب .

(4) الوافي 10 / 438 (4930) ؛ السلوك 1 / 881 وقال : ولي وزارة دمشق سبع مرّات ؛ المنهل 4 / 179 .

بدمشق ، ثمّ فوّض إليه وزارة دمشق في خامس شوّال سنة ثمَان وسبعين وستّمائة عوضاً عن فتح الدين بن القيسرانيّ ، وخلع عليه خلع الوزراء . وتلقّب بالصاحب .

فلمّا تسلطن سنقر الأشقر بدمشق قبض عليه في خامس عشرين ذي الحجّة ، واستوزر مجد الدين إسمَاعيل بن كسيرات . وسجنه بقلعة دمشق إلى أن ٱنهزم عن دمشق . فخرج فيمَن خرج من الاعتقال وعاد إلى الوزارة ، وحملت إليه الخلع من مصر . فلبسها في ثاني عشر ربيع الأوّل سنة تسع وسبعين . وأُعطِيَ ـواة الوزارة فباشر الوزارة إلى أثناء جمادى الأولى . ثمّ ٱحتيط عليه وحُبس وأخذ له مال كثير .

ثمّ ٱستقرّ ناظر النظّار بالشام شريكاً للتاج ابن السنهوريّ في شعبان منها ، ثمّ أعيد إلى الوزارة بدمشق عوضاً عن محيي الدين محمد بن يعقوب بن إبراهيم بن النحّاس. فسافر من القاهرة إلى دمشق ، وقدمها سلخ ربيع الآخر سنة خمس وثمَانين وستّمائة ، ثم صرف عنها .

واستقرّ ناظر الدواوين بالشام في ربيع الآخر سنة سبع وثمَانين ، إلى أن قدم الأمير علم الدين سنجر الشجاعيّ مع السلطان إلى دمشق بعد فتح طرابلس في جمادى الأولى سنة ثمَان وثمَانين . فأوقع الحوطة عليه وباع له بضائع ما بين سكّر وخشب وغيره بنحو خمسمائة ألف درهم . وأخرجه مع العسكر مقيّداً إلى مصر . فلمّا وصل بيسان مرّ عليه الأمير طرنطاي النائب والأمير كتبغا ، وهو بالزردخاناه ، فسبَّهُما كما هي عادتُه ، فأتياه ومازحاه وضمِنا خلاصه . فلمّا عادا قبل السلطان شفاعتهُما وأفرج عنه وسلّمه لهما . فلم يزل بالقاهرة إلى أن مات الملك المنصور قلاوون وقام من بعده ابنُه الملك الأشرف خليل . [فـ]أعاده إلى وزارة دمشق .

فخرج من القاهرة ودخل دمشق في الخامس من المحرّم سنة تسعين وستّمائة .

ثم عزل في ثاني عشر رجب ، واستقرّ عوضَه ابن النحّاس . وأبطل اسم الوزارة بدمشق ودُعيَ ابن النحّاس ناظر الشام .

فلمّا تسلطن العادل كتبغا كان توبة بالقاهرة . فولّاه وزارة دمشق على عادته في الأيّام المنصوريّة ، وكتب له بردّ ما أخذ منه في الدولة الأشرفيّة وسار إلى دمشق في المحرّم سنة أربع وتسعين .

ثمّ صرف في خامس ذي الحجّة سنة خمس وتسعين بشهاب الدين أحمد ابن الحنفيّ ، واستقرّ في نظر الخزانة إلى أن خلع كتبغا من السلطنة ،وقام من بعده لاجين . فأعاده إلى وزارة دمشق . فقدمت ولايتُه في ثاني عشرين ربيع الأوّل سنة ستّ وتسعين وستّمائة ، فلم يزل حتى مات . وفيه يقول علاء الدين عليّ بن مظفّر الوداعيّ [مجتثّ] :

إني حلفتُ يميناً لم آت فيها بحوبَة
مُذْ أقعدتني الليالي لا قمت إلّا بتوبة

وله فيه وقد وقع من أعلى حِصانه [متقارب] :

فديناك لا تخش من وقعة فإنّ .وقوعَك لِلْأرض فخر
سقوط الغمام بفضل الربيع ففي البَرّ بُرّ وفي البحر درّ

وكانت وفاته بدمشق ليلة الخميس ثامن جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين وستّمائة . وصلّي عليه من الغد بالجامع وسوق الخيل . ودفن بتربته تجاه دار الحديث الأشرفيّة بسفح قاسيون .

وكان ظالماً عسوفاً ، وفيه مع ذلك مروءة وسلامة باطن من الغشّ ، وسماح ومداعبة ، وكرم كثير ، وحسن خلق ، ومحبّة في التجمّل واقتناء الخيول المسوّمة والمماليك الملاح .

ومرّ يوماً آخر النهار بالربوة ظاهر مدينة دمشق ومملوكه أقطوان خلفه

راكب[اً] ، وكان مليحاً . فمرّ ببعض الفقراء وهو نائم . فعندما أحسّ بركض الخيل انتبه وقال / : يا لله ، توبة ! [288 ب]

فقال له : يا كذا ، إيش تعمل بتوبة ؟ واحد شيخ نحس . اطلب منه أقطوان أحبّ إليك .

1037 – توران شاه بن أيوب ، الملك المعظم [– 649][1]

توران شاه بن أيّوب بن محمد بن محمد بن أيّوب بن شادي بن مروان ، السلطان ، الملك المعظّم ، غيّاث الدين ، أبو [....] ، ابن السلطان الملك الصالح نجم الدين أبي الفتوح . [ابن الكامل محمد] ، ابن السلطان الملك العادل أبي بكر ، ابن والد الملوك نجم الدين أبي الشكر أيّوب ، الأيّوبيّ ، الكرديّ ، الدوينيّ ، آخر ملوك بني أيّوب بديار مصر ، الفقيه ، الشافعيّ .

ولد في [. . .] .

ورتّبه أبوه في حصن كيفا . فلمّا مات الملك الصالح ، قام الأمير فخر الدين يوسف ، ابن شيخ الشيوخ ، بتدبير الأمور . وبعث الفارس أرقطاي رأس المماليك البحريّة لإحضار الملك المعظّم من حصن كيفا ، وخطب له على منابر مصر بعد الدعاء لأبيه ، ونقش اسمُه على السكّة بعد اسم أبيه .

تولّيه السلطنة :

فخرج المعظم من حصن كيفا ليلة السبت لإحدى عشرة مضت من رمضان سنة سبع وأربعين وستّمائة في خمسين فارساً من خواصّه ، وصحبتَه الفارس أرقطاي . وقصد عانة ليعدّي الفرات ، خوفاً من بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ، ومن الحلبيّين ، وكانوا قد أقاموا له جماعة لتقبِضَ عليه ففاتهم ، وعدّى

(1) الوافي 10 / 445 (4936) ؛ شذرات 5 / 241 ؛ السلوك 1 / 351 .

الفرات من عانة ، وسلك البرّيّة فكاد يهلك عطشاً . وقدم دمشق يوم الخميس النصف منه ، ونزل القُصَير في دهليز ضربه له الأمير جمال الدين موسى بن يغمور نائب دمشق . ثمّ دخل المدينة في يوم الاثنين ونزل بالقلعة . وكان يوماً مشهوداً . وقام ابن يغمور بخدمته وحلّف له الأمراء وغيرهم . وتسلطن وخلع على الأمراء وأنفق فيهم مالاً جزيلاً بحيث أنفَدَ ما كان في قلعة دمشق من المال ، ومبلغُه ثلاثمائة ألف دينار ، واستدعى بمَال من الكَرَك أنفقه أيضاً . وأفرج عمّن كان [بدمشق] في سجن أبيه . وأتته الرسل من حماه وحلب تهنّئه بقدومه وسلطنتِه ، وكتب بذلك إلى القاهرة على أجنحة الحمام فسقط الطائر في رابع شوّال فدقّت البشائر بالعسكر وقلعة الجبل .

وخرج المعظّم من دمشق في يوم الأربعاء سابع عشرينه يريد القاهرة ، وخلع على ابن يغمور وأقرّه على نيابة دمشق . وأصحب معه الأسعد شرفَ الدين هبة الله بنَ صاعد الفائزيّ ، ومعين الدين هبة الله ابن أبي الزهر بن حشيش [الكاتب النصرانيّ وقد وعده بـ]ـالوزارة . ثمّ وجّه به في أوّل ذي القعدة إلى الكرَك فاحتاط على حواصلها ولحقَه بالرّمْل .

وخرج قاضي القضاة بدر الدين يوسف بن الحسن بن علي السنجاريّ حتى لقيَه بغزّة . وخرج الأمير حسام الدين أبو عليّ نائب السلطان إلى الصالحيّة فلقيه بها في يوم السبت سادس عشره ، وقد نزل بقصر أبيه الملك الصالح . فأعلن الناس يومئذ بمَوت الملك الصالح وخلع على الأمير أبي عليّ باستقراره في النيابة خلعة جليلة [فـ]ـكانت حلية السيف والمنطقة ثلاثة آلاف دينار مصريّة . وأنشده الشعراء عدّة قصائد تهنئة وتمْدحة ، وجرت بين يديه مناظرات في أنواع من العلوم فجاراهم فيها .

تضلّعه بالفقه :

وذلك أنّه كان قد عرف الفقهَ والخلاف والأصول ، فإنّ جدّه الملك الكامل كان يحبّه ويلقي عليه من صغره المسائل المشكلة ويأمره بحفظها وامتحان الفقهاء بها

في مجلسه . ولازم مع ذلك الاشتغال بالعلم حتى برع فيه . إلّا أنّه كان فيه هوج وخفّة ، بحيث إنّه لمّا نزل قلعة دمشق وتسلطن قام بعض الشعراء وأنشد قصيدة أوّلها [خفيف] :

قل لنا كيف جئت من حصن كيفا حين أرغمتَ للأعادي أنوفا

فلم يتمَالك نفسه وقال سريعاً :

الطريق الطريق ، يا ألف نحس مرّة آمناً وطوراً مَخوفا

فخالف طريق آبائه في الوقار والسكون .

ثمّ رحل من الصالحية ونزل تِلْبانة ، ونزل بعدها منزلة ثالثة . ثم دخل المنصورة حيث المعسكر . فتلقّاه الأمراء والمماليك حتى نزل قصر أبيه وجدّه في يوم الخميس / لتسع بقين من ذي القعدة . [289 أ]

فأوّل ما بدأ به [أن] أخذَ مماليكَ الأمير فخر الدين يوسف ابن شيخ الشيوخ وكان قد استشهد قبل قدومه . وأخذَ كثيراً من مخلّفه ولم يُعْطِ ورثَته شيئاً ، وكان ذلك بنحو خمسة عشرَ ألفَ دينار . وأخذ يسبّ فخرَ الدين ويعيبه بأنّه أطلق السكّر والكتّان وأنفق المال وأطلق المَحابيس ، ويقول : قد أتلف المال ، فإيش ترك لي ؟

جهاده للفرنج :

وجدّ في قتال الفرنج فظفر لهم باثنين وخمسين مركباً وأسر منهم ألفَ رجل بعدما قتل كثيراً منهم ، وغنم منهم شيئاً كثيراً ، وقطع المدد أن يصل لهم إلى مدينة دمياط . وهم يومئذ بها مالكون لها ، حتى اشتدّ الغلاء عندهم وصاروا محصورين . ثمّ أخذوا في أوّل ذي الحجّة من المراكب التي في بحر المحلّة سبع حراريق ونجا من كان بها من المسلمين .

وفي ثانيه بعث السلطان بالأمير حسام الدين أبي عليّ ليقيم بدار الوزارة من

القاهرة على عادته في النيابة .

وفيه وصل إلى السلطان الشيخ عزّ الدين عبد العزيز بن عبد السلام ، والبهاء علي بن هبة الله بن الجمّيزيّ ، وجماعة من العلماء ، فجلس معهم وناظرهم حتى أعجبوا به .

وفي يوم عرفة ظفر باثنين وثلاثين شينياً فيها ميرة للفرنج ، فعظم البلاء عليهم من الغلاء . وبعثوا في طلب الهُدنة على أن يسلّمُوا مدينة دمياط ويعوّضوا عنها بالقدس . فلم يجبهم إلى ذلك . فأخذوا في الاستعداد للهرب وأحرقوا في سابع عشرينه أخشابهم وكثيراً من أثقالهم ورحلوا في ليلة الأربعاء ثالث المحرّم سنة ثمَان وأربعين من منزلتهم بفارسكور[1] وانحدرت مراكبهم في النيل قبالتهم يريدون دمياط . فركب المسلمون أقفيتَهم وقد عدَّوا إلى البرّ الذي هم فيه ، فما طلع صباح يوم الأربعاء إلّا وقد أحاطوا بالفرنج ووضعوا فيهم السيوف يقتُلون ويأسرون حتى بلغت عدّة القتلى عشرة آلاف في قول المقلّ ، وثلاثين ألفاً في قول المكثر . واستشهد من المسلمين نحو مائة رجل . والتجأ ريدا فرنس ملك الفرنج في خاصّته إلى تل [المنية] وطلب الأمان ، فأمّنهم الطواشي جمال الدين محسن الصالحيّ وأنزلهم على أمانِه وساقهم إلى المنصور . وقيّد الملك ريدا فرنس وسجن في دار فخر الدين إبراهيم بن لقمان كاتب الإنشاء بالمنصورة ووكّل به الطواشي صبيح المعظّمي ، وسجن معه أخوه وأجري له ما يكفيه[2] .

وأمر السلطان بقتل الأسرى فتقدّم إليهم سيف الدين يوسف الطودي وصار يقتل منهم في كلّ ليلة ما بين الثلاثمائة إلى الأربعمائة ويلقيهم في البحر حتى أتى على جميعهم .

---

(1) قرية من مديريّة الدقهليّة ؛ السلوك 1 / 346 هامش 2 .

(2) ضبط ناشر السلوك 1 / 356 هامش 2 اسماء أمراء الإفرنج المأسورين . وريدا فرانس تعني ملك فرنسا .

ورحل السلطان من المنصورة ونزل فارسكور بالدهليز السلطانيّ وقد نصب به برجاً من خشب . وأقبل على اللهو .

رسالته إلى الوزير يبشّره بالنصر :

وكتب بخطّه إلى الأمير جمال الدين موسى بن يغمور كتاباً ، فيه بعد البسملة : [من] ولده توران شاه . « الحَمْدُ لله الذِي أَذْهَبَ عَنَّا الحَزَنَ » (فاطر ، ٣٤) . « وَمَا النَّصْرُ إلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ » (آل عمران ، 126) ، « وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ المُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللهِ » (الروم ، 4 – 5) ، « وأمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ » (الضحى ، 11) ، « وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوها » (إبراهيم ، 34) . نبشِّر المجلسَ السامي الجماليّ ، بل نبشّر المسلمين كافّةً بمَا مَنَّ الله به على المسلمين من الظّفر بعَدُوِّ الدين ، فإنّه كان قد استفحل أمره واستحكم شرّه ، ويئس العباد من البلاد والأهل والأولاد ، فنودوا « لا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ » (يوسف ، 87) . ولمّا كان يوم الاثنين مستهلّ السنة المباركة – تمّم الله على الإسلام بركتها ! – فتحنا الخزائن وبذلنا الأموال وفرّقنا السلاح وجمعنا العربان والمطوّعة وخلقاً لا يعلمهم إلّا الله ، فجاؤوا مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ومكان سحيق . فلمّا كان ليلة الأربعاء تركوا خيامهم وأموالهم وأثقالهم ، وقصدوا دمياط هاربين . وما زال السيف يعمل في أدبارهم عامّة الليل ، وقد حَلَّ بهم الخِزيُ والويل . فلمّا أصبحنا يوم الأربعاء قتلنا منهم ثلاثين ألفاً ، غيرَ مَن ألقى نفسه في اللجج . وأمّا / الأسرى فحدّث عن البحر ولا حرج . والتجأ الفرنسيسُ [1] إلى [289 ب] المنية وطلب الأمان فأمّنّاه وأخذناه وأكرمناه . وتسلّمنا دمياط بعون الله وقوّته وجلاله وعظمته » .

ثمّ ذكر كلاماً طويلاً . وبعث مع الكتاب غفارة [2] الملك ريدا فرنسيس ،

(1) الفرنسيس يعني بها ملك الإفرنج .

(2) الغفارة : رداء أو معطف ، وأشكرلاط كلمة دخيلة بمعنى أحمر قانٍ . وريدافرنسيس هو ملك الفرنج ، وظنّ المقريزيّ أنّ هٰذا هو آسمُه .

فلبسها ابن يغمور ، وكانت من أشكرلاط أحمر بفرو سنجاب . فقال نجم الدين [محمد] بن إسرائيل في ذلك [خفيف] .

إنّ غفّارة الفرنسيس قد جا ءت حِباءً لسيِّد الأُمَراءِ [1]
ببياض القرطاس في اللون ، لكن صبَغَتها سيُوفُنا بالدّماءِ

وقال أيضاً [طويل] :

أسيّدَ أملاك الزمانِ بأسرهم تنجّزتَ من نصرِ الإلاه وُعُودَه
فلا زال مولانا يبيح حمى العدى ويُلبسُ أسلابَ الملوك عبيدَه

تنكّره لرجال الدولة :

وأخذ المعظّم في [إ]بعاد رجال الدولة ، وأخرج الملك المغيث فتح الدين عمر ابن العادل أبي بكر ابن الكامل من قلعة الجبل إلى الشوبك واعتقله بها . وأخرج الملك السعيد فخر الدين حسن ابن العزيز عثمَان ابن العادل أبي بكر ابن أيوب من القاهرة إلى دمشق فقبض عليه ابن يغمور واعتقله . وعزل الأمير حسام الدين أبا عليّ من نيابة السلطنة وأقام عوضه بالقاهرة في النيابة الأمير جمال الدين آقوش النّجيبيّ ، واطّرح جانب أبي عليّ ، وبعث يتهدّد شجر الدرّ حظيّة أبيه ويطالبها بالأموال والجواهر . فخافت من هوجه وخفّته . وكاتَبَتْ المماليك البحريّة بمَا توعّدها به المعظّم ، وذكّرتهم بمَا قامت به عند موت الصالح من ضبط الدولة حتى قدم المعظّم ، وأنّه جازاها على ذلك بتهديدها على ما ليس عندها . فحنقوا لها وحرّكَ كتابُها إليهمْ كوامنَ في أنفسهم ، منها أنّه كان قد وعد الفارس أرقطاي لمّا جاءه إلى حصن كيفا بإمرة فلم يفِ له ، فتنكّر عليه في باطنه ، ومنها أفعاله التي لم يعهدوها من أبيه ، ومنها تغييره الأحوال واطّراحه لجانب أهل الدولة وإعراضه عن البحريّة وإبعادُه لِتَرابي أبيه وغلمانه [2] وتقديمِه عليهم جماعته

(1) في المخطوط : التي جاءت . والإصلاح من ذيل الروضتين 184 .
(2) السلوك 1 / 350 حيث عدّد هٰذه المساوىء .

القادمين معه وتوليته إيّاهم الوظائف السلطانيّة . وكان قد جعل طواشيه مسروراً أستادار ، وأقام صبيحا العبد الحبشيّ أمير جاندار وأنعم عليه بمَال جزيل وإقطاع كبير ، وأمر أن تصاغَ له عصا من ذهب . وأكثر من الإرعاد والإبراق على البحريّة حتى إنه كان إذا جلس مع ندمائه في الليل للمعاقرة يجمع ما بين يديه من الشموع ويضربُ رؤوسَها بسيفه حتى تنقطع ويقول : هكذا أفعل بالبحريّة ! – ويسمّيهم بأسمَائهم .

حنق المماليك والناس عليه لسوء سيرته :

وانعكف مع ندمائه على لذّاته وزاد في تحجّبه ، وألقى مقاليد أمور المملكة إلى أصحابه . وأشيع عنه أنّه يخلو بغلمانه وحظايا أبيه ، فجاءهم ما لا عهد لهم به ولا عرفوه من سيرة أبيه . فنفرت قلوبهم منه وتواعدوا على الفتك به .

فلمّا مُدّ السماط يوم الاثنين تاسع عشرين المحرّم وجلس على عادته ، تقدّم إليه بيبرس البندقداري ، من البحريّة ، وضربه بالسيف [فـ]ـأطار أصابع يده . ففرّ إلى البرج الخشب وهو يصيح : مَن جرحَني ؟ – فقيل : بعض الحشيشية .

فقال : لا والله ، إلّا البحريّة ، لا أبقيتُ منهم بقيّة !

واستدعى المزيّن ليداوي جرحه ، فاقتحم البحريّة البرج بسيوفهم ففرّ إلى أعلاه وأغلق بابه ، والدم يسيل من يده . فأضرموا عليه ناراً ورموه بالنّشّاب ، فألقى نفسَه من البرج ، وتعلّق بأذيال الفارس أرقطاي فلم يُجِرْه ، فمرّ يعدو إلى البحر وهو يقول : ما أريد ملكاً ، دعوني أرجع إلى الحصن ! يا مسلمين ، ما فيكم من يصطنعُني ويجيرني ؟

هذا وجميع العسكر قد وقفوا ينظرون فلم يجبه أحدٌ ، والنّشّاب يأتيه من كلّ جهة وهو يسبح في الماء ، وهم في طلبه حتى قطعوه قطعاً بسيوفهم فمات غريقاً حريقاً جريحاً قتيلاً . وفرّ أصحابه ، وبقي على شاطىء النيل / ثلاثة أيّام [290 أ] منتفخاً حتى شفع فيه رسول الخليفة فحمل ودُفن .

وكانت مدّته سبعين يوماً .

وكان الذي تولّى قتلَه أربعة من مماليك ابيه البحريّة وهم الذين قتلوا العادل الصغير . وذلك أنّ الصالح استدعى الطواشي محسن الصالحيّ وأمره أن يذهب إلى أخيه العادل ومعه طائفة من المماليك حتى يخنقوه في محبسه ، فعرض جماعة من المماليك ليذهب بهم لذلك فلم يوافقوه . إلّا أربعة منهم ، فإنّهم ساروا معه وخنقوا العادل . فقدّر الله أن يجعل منيّة ٱبنه المعظّم على أيدي هٰذه الأربعة فكان في ذلك عبرة لمَن يعتبر .

ورؤى الملك الصالح في النوم بعد قتل المعظّم ، وهو يقول [رمل] :

قتلوه شَرّ قتلةٍ صار للعالم مُثلة
لم يراعوا فيه إلّا لا ولا مَن كان قبله
ستراهم عن قريب لأقلّ الناس أكلة [1]

فكان كذلك وقُتل أعيان الأمراء في الوقعة التي كانت بين المعزّ أيبك والناصر يوسف كما ذكر في موضعه من هذا الكتاب[2].

وٱنقرضت بقتل المعظّم دولة بني أيّوب من مصر ، وفنيت رجالها بتحكّم المماليك الأتراك البحريّة ، فكانت مدّة بني أيّوب إحدى وثمانين سنة وعدّة رجالهم ثمَانية ، ولله الأمر من قبل ومن بعد[3] .

---

(1) الأبيات في السلوك 1 / 361 .
(2) لا ذكر للمعزّ أيبك في الأيابكة ، وتراجم الياء مفقودة .
(3) يرتفع المقريزيّ بهٰذا التعليق الختاميّ إلى مستوى المؤرّخين الذين يحكمون على الأحداث والرجال برأي شخصيّ . كما ٱرتفع إلى رتبة الأدباء في وصف نهاية هٰذا الأيّوبيّ الأخير الفظيعة المأسويّة . وهٰذه التعاليق ، وهٰذا الوصف ، وهٰذا التدخّل منه ، والحقّ يقال ، نادرة في المقفّى .

1038 - توزَان التركيّ [1]

توزان - بالزاي - التركيّ . ولّاه أحمد بن طولون الشرطة بعد بوليغا ، ثمّ صرفه بأخيه موسى بن طولون بعد سنة . وكان ربّمَا صلّى بالناس في الجامع .

حرف الثاء

1039 - ثابت بن عبد الله بن الزبير [2]

ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوّام بن خويلد بن أسد بن عبد العزّي بن قصي ، القرشي ، الأسديّ ، أبو حكمة .

قدم أيلة .

وأمّه تمَاضر بنت منظور بن زبان . نشأ هو وإخوته خُبيب وحمزة وعبّاد عند جدّهم لأمّهم منظور بن زبّان بالبادية يرعون عليه الإبل كما يفعل عبيده ، حتى تحرّك ثابت فقال لإخوته : انطلقوا بنا نَلحَقْ بأبينا !

فركبوا بعض الإبل حتى قدموا على أبيهم بمَكّة . وأتبعهم منظور فقدم على آثارهم ، فقال لعبد الله بن الزبير : اُردُدْ عليّ أعبدي هؤلاء !

فقال : إنّهم قد كبروا واحتاجوا إلى أن أعلّمهم القرآن ، ولا سبيل إليهم .

قال : أما إنّ الذي صنع بهم الصنيعَ ابنُك هٰذا . ما زلت أخافُها منه منذُ

(1) الكندي ، 212 .

(2) جمهرة نسب قريش للزبير بن بكّار ، نشر محمود محمد شاكر القاهرة 1381 ص 81 ؛ تهذيب ابن عساكر 3 / 369 .

كبر – يعني ثابتاً .

فجمع ثابت القرآن أوّلهم ، جمعه في ثمَانية أشهر ، وزوّجه عبد الله قبلهم بنتَ أبي عيسى عبد الله بن محمد بن عبد الرحمان بن أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه ، فولدت له حكمة ، وبها كان يكنّى . وكان أبوه يُكنّيه أبا حُكيمة ، يُشبّه لسانه بلسان زمعة بن الأسود ، فإنّه كان يُكنّى أبا حكيمة .

[290 ب] وكان ثابت يشهد القتال مع أبيه ويبارز بين / يديه .

وكان حمزة بن عبد الله بن الزبير قد قال لبني عبد الله : لا تطلبوا أموالكم من عبد الملك – حين قبضها – وأنا أُنفقُ عليكم . – فأبى ثابت وقدم على عبد الملك فدخل عليه فأكرمه ، وردّ عليه وعلى إخوته بعض أموالهم بكلامه . فإنّه كان لسان آل الزبير جلداً وفصاحة وبياناً ، وانصرف [بها] معه .

ولمّا كتب عبد الملك بن مروان إلى هشام بن إسمَاعيل المخزوميّ عامله على المدينة يأمُره أن يقيمَ آل عليّ على المنبر يشتمون عليّ بن أبي طالب ، ويقيم آل الزبير عند المنبر يشتمون الزبير وابنه عبد الله بن الزبير . فقال آل عليّ وآل الزبير : والله لا نفعل حتى نمُوت ونكفّن ونحنّط !

فركبت إلى هشام بن إسمَاعيل أخته فقالت له : يا أحوَلَ مَشْؤوماً ، [أما] تخافُ أن تكونَ الأحولَ الذي على يديه هلاك قريشُ . أتأمر القوم أن يشتمُوا آباءهم ؟ أتراهم يفعلون حتى يمُوتوا ؟

قال لها : فما أصنع ؟ كتب إليّ أميرُ المؤمنين بذلك ، ولا يَحْتَمِل لي أن أُراجعَهُ .

قالت : فأمرٌ دون ذلك يرضيه ، ويكون أيسرَ عليهم .

قال : وما هو؟

قالت : تأمر آل عليّ يشتمون آل الزبير وابن الزبير ، وتأمر آل الزبير بسبّ

آل عليّ .

قال : فذاك .

فأمرهم بذلك . فمَشى القوم بعضهم إلى بعض ، آل عليّ إلى آل الزبير . وآل الزبير إلى آل عليّ ، فقالـ[ـوا] : إنّ هؤلاء يقيمُوننا غداً فيسبّ بعضُنا بَعْضاً فيشتفُونَ بذلك . فاللهَ والرحمَ !

فقال آل الزبير لآل عليّ : أنتم تُقامون قبلَنا ، فما قلتُم من شيءٍ قلنا مثله .

فكان أوّل من أقيم حسن بن حسن بن عليّ بن أبي طالب [1] ، وأمّه خولة بنت منظور بن زبان بن سيّار بن عمرو بن جابر الفزاريّ ، أخت تمَاضر بنت منظور أمّ بني عبد الله بن الزبير الأكابر ، لأبيها وأمّها . فقام في المرمر [2] . وهشام بن إسمَاعيل على المنبر فقال له : سبّ آل الزبير ! - فأبى . فأقبل هشام على حرسيّ إلى جنبه فقال له : آضربه ! - وعلى حسن قميص كتّان ، وكان رجلاً رقيقاً . فضربه الحرسيّ ضربة بالسوط أسرعت في جلده حتى سال دمُه تحت قدمه في المرمر . فقال حسن : إنّ لآل الزبير رحماً أَبُلُّها ببلالِها وأَرُبُّها بربابها . «يَا قَوْمُ ، مَا لي أَدْعوكُمْ إِلَى النَّجاةِ وتَدْعُونَني إلى النَّارِ ؟» (غافر ، 41) .

فلمّا رأى أبو هاشم عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب امتناع الحسن وما لقي ، قام فقال : أصلح الله الأمير ، عندي ما تريد .

قال : هلمّ لك ! - وقال للحسن : آجلس !

فقام أبو هاشم فسبّ آل الزبير . وقام عبد الله بن عروة بن الزبير ، وحمزة آبن عبد الله بن الزبير فسبّا آل عليّ .

---

(1) نسب قريش للزبيريّ ص 47 .

(2) المرمر : قال الشيخ محمود شاكر : لعلّه مكان من مسجد رسول الله ﷺ ، مفروش بالمرمر ؛ جمهرة 83 هامش 7 .

وكان ثابت بن عبد الله بن الزبير غائباً عن هٰذا الخطب . فلمّا قدم جاء إلى هشام بن إسمَاعيل فقال : أيّها الأمير ، إنّي كنتُ غائباً ، ومثلي لا يغيب عن مثل هٰذا المشهد .

فقال هشام : ذلك موطن قد تفادى منه الناس ، فما تصنع به ؟

قال : آخذ بحظّي من ذلك .

فجمع له الناس ، ثمّ قام فاستقبل الناس فقال : « لُعِنَ الّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إسرائيلَ عَلَى لِسانِ دَاوُودَ وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ، ذٰلِكَ بِمَا عَصَوْا ، وَكَانُوا يَعْتَدُونَ » (المائدة ، 78) . ثمّ قال : بِمَ أيّها الناسُ لُعِنوا ؟ – «كَانُوا لَا يَتَناهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوه ، لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ! » (المائدة ، 79) . لعن الله من لعنهُ كتابُ الله ! ولعن من لعَنته قوارع القرآن ! لعن الله المُتَمَنّي ما ليس له ، هو أقصر باعاً ، وأوهن ذراعاً ! لعن الله ابنَ شرّ العِضاه ، أقصرها فرعاً ، وأقلّها مرعى . لعنه الله ولعن الذي أخذ حِباءَهُ ! لعن الله الأثعَل[1] الأحول المترادف الأسنان – الرامي أميرَ المؤمنين عثمان برؤوس الأقانيز[2] ، ثمّ قال : إنّ الله رماك – كذب لو رماه ما أخطأه ! – المتوثّب في الفتن توثّب الحمار في القيد ، لعنه الله ولعن التي كانت تحته ! لعن الله العَلّاءَ الوَطْباءَ التي بيعت بسوق ذي المجاز بغير عهدة ، لعنها الله ولعن تَقَرُّدَ قَفاها !

فأقبل عليه هشام[3] فقال له : ما أراك تسبّ منذ اليوم إلّا رهط أمير المؤمنين – وأمر به إلى السجن . فأخذه الأعوان يسحبونه يقع مرّة ويقوم

....

(1) الأثعلُ : الذي له أسنان متراكبة .

(2) الأقانيز ج إقنيز وهو الدنّ الصغير . والمقصود محمد بن أبي حذيفة وكان عثمان (رضه) حدّه في الخمر ؛ تعليق ناشر الجمهرة 85 هامش 6 .

(3) الوالي هو هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد ابن المغيرة . وأمّه هي أمة الله بنت المطلب ابن أبي البختري ، تزوّجت بعد إسماعيل بن هشام عبيد الله بن عبد الرحمان بن سَمُرة بن حبيب بن عبد شمس .

أخرى ، حتى مرّ برجل قاعدٍ قد كان أقيم مَع مَن أقيم ، هو ورجلان معه ، فقال : أبعدك الله !

فقال له ثابت : أما والله ، عُذْراً إليك ! ما منعنى أن أذكر خالك نسيانٌ ، ولكنّي كنت في مقام ذكر فيه الأشراف ، ولم يكن منهم ، فكرهت أن أخلطه بهم .

وانطلقوا به إلى السجن . ولقيه آخر من الثلاثة الذين أقيمُوا ليسبّوا آل الزبير وآل عليّ ، فقال له ثابت : أنت الشاتم عبد الله بن الزبير؟ والله ما يُحمدُ منك إلّا ما يحمد من الحمار : ضرسُه وحافرُه .

فلم يزل في السجن حتى كتب عبد الملك في إطلاقه . وأعجبه ما قال : وقال : ذكر أخابث خلق الله وأمر بشتمهم – وكانوا قوماً خالفوا على عبد الملك .

وكان ثابت بن عبد الله كأنّه من رجال العرب . وقال سليمَان بن عبد الملك له ، وهو خليفة : مَن أفصح الناس ؟

قال : أنا .

قال : ثمّ مَن ؟

قال : أنا .

قال : ثمّ مَن ؟

قال : أنا .

قال : ثمّ من ؟

قال : أنت .

فرضي سليمَان بذلك منه بعد ثلاث – وكان سليمَان فصيحاً .

وقال مسوّر بن عبد الملك : كنّا نأتي مسجد رسول الله ﷺ ما ينزعُنا إليه

إلّا استمَاعُنا لكلام ثابت بن عبد الله بن الزبير ، والعجب بألفاظه .

وتوفّي ثابت بسَرِع من طريق الشام منصرفاً من عند سليمَان بن عبد الملك
إلى المدينة ، وهو ابن سبع أو ثمَانٍ / وسبعين سنة . وقيل : توفّي بمَعان . [291 أ]

وعتب الوليد بن عبد الملك بن مروان على أهل المدينة في شيءٍ . ثمّ حجّ ، فاحتاج أهلُ المدينة إلى مَن يعذرهم عنده . فكلّمُوا في ذلك ثابتاً ، فكلّمه فقال قولاً عجيباً ، فقبل منه وعفا عنهم ، فقال مساحق بن عبد الله بن مخرمة العامريّ في ذلك يَمدح ثابتاً [طويل] :

لسانك خيرٌ كلّه من قبيلة ... ومن كلّ ما يأتي الفتى أنت فاعلُهْ
ورثتَ أبا بكر أباك بيانَهُ ... وسيرتُه في ثابتٍ وشمَائلُهْ
فأنتَ آمرؤٌ يُرجى لخيرٍ ، وإنّما ... لكلّ آمرىء ما أورثَته أوائلُهْ

1040 – ثابت بن نعيم الجذاميّ [– 127] [1]

ثابت بن نعيم بن يزيد بن روح بن سلامة [. . .] الجذامي ، أبو [. . .] .

بعثه الخليفة هشام بن عبد الملك إلى إفريقيّة بعد قتل كلثوم بن عياض [القشيريّ] ، فأفسد الجند . وقدم على هشام فحبسه ، إلى أن قدم عليه مروان آبن محمّد في بعض وفاداته ، فشفع فيه وأخذه معه إلى أرمينية . فلم يزل عنده حتى سار منها يُظهر الطلب بدم الوليد بن يزيد بن عبد الملك . فسار ثابت وأمر مَن مع مروان من جند الشام بمُفارقتِه ، فأجابوه وآنضمُّوا إليه ، فصاروا ضعفَ مَن بقي مع مروان ، وباتوا يتحارسون ، وأصبحوا مصطفّين للقتال .

فلم يزل بهم مروان حتى انقادوا له . وأخذ ثابت[ـاً] وأولادَه فحبسهم . ثمّ

(1) الطبريّ تحت سنة 126 ؛ الكندي ، 73 وما بعدها .

أفلت منه إلى فلسطين .

فلمّا بويع لمروان بدمشق وعاد إلى حرّان ، دعا ثابت أهل حمص إلى مخالفة مروان وراسلهم في ذلك . فأجابوه ، وبعثوا إلى مَن بتدمر من كلب ، وأتاهم نحو الألف . فأدركهم مروان وقاتلهم وأخذ المدينة .

فانتقض ثابت بفلسطين وخرج بأهلها إلى طبريّة ، وقد خلع مروان . فحاصرها ، وعليها الوليد بنُ معاوية بن مروان بن الحكم ، فقاتله أيّاماً . فبعث مروان بأبي الورد مجزأة بنِ الكوثر بن زفر بن الحارث مدداً لأهل طبريّة ، فقاتلوا ثابتاً وهزموه واستباحوا عسكره . فعاد إلى فلسطين وأبو الورد في أثره . فاقتتلا مرّة ثانية ، فانهزم ثابت ، وتفرّق عنه أصحابه وأسر ثلاثة من أولاده حُملوا إلى مروان ومرّ ثابت على وجهه يريد مصر ، فبعث إليه حفص بن الوليد [الحضرميّ] بشرحبيل بن قليب الحجريّ ليمْنعه . وخرج إليه زبّان بن عبد العزيز [بن مروان] ببني أميّة ومواليه إلى الهامّة من أرض مصر ، واجتمع إلى زبّان جمع من قيس ، فقاتلوا ثابتاً فهزموه . فظفر به الرماحس بن عبد العزيز الكنانيّ عامل مروان على فلسطين ، فبعثه موثقاً بعد شهرين . فأمر مروان به وبأولاده الثلاثة فقطعت أيديهم وأرجلهم ، وحملوا إلى دمشق فألقُوا على باب المسجد ، ثم صلبهم على أبواب المدينة [1] ، وذلك سنة سبع وعشرين ومائة .

1041 - ثابت التفليسيّ الصوفيّ [- 631] [2]

أبو التّقى [3] [...] نجم الدين . له رواية عن ابن الجوزيّ . وقدم مصر رسولاً من بغداد . ومات بدمشق في جمادى الأولى سنة إحدى وثلاثين وستّمائة .

(1) انظر الكامل تحت سنة 127 . والرُّماحس هو الرماحس بن عبد العزّى (الكامل طبعة بيروت 5 / 330 هامش 1 نقلاً عن قاموس الفيروزابادي) .

(2) التكملة للمُنذريّ 3 / 366 (2529) ؛ ذيل الروضتين 162 (سنة 631) .

(3) في التكملة : أبو البقاء .

ويقال : اسم أبيه : تاوان بن أحمد .

وله نظم .

1042 - القاضي رضي الدين ثعلب الخطيب [- 631] (1)

ثعلب بن عبد الله بن عبد الواحد ، الخطيب ، يلقّب رضيّ الدين ، [أبو العبّاس] .

أوّل من خطب بالمسجد المجاور لقبّة الشافعيّ . وناب في الحكم بالجيزة . ومات في ذي الحجّة سنة إحدى وثلاثين وستّمائة .

1043 - ثعلبة بن سلامة العجليّ [-132] (2)

ثعلبة بن سلامة بن جَحْدَم بن عمرو بن الأجذم بن ثعلبة بن مازن بن مزين ابن أبي مالك ، ابن أبي عزم بن عَوْكَلان بن الزهد بن سعد بن الحرث بن عديّ ابن الحرث بن مرّة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، أبو سلمة ، العامليّ .

[291 ب] خرج / من دمشق مع كلثوم بن عياض وبلج بن بشر في الجيوش . ومرّ بمِصر وصار إلى إفريقيّة ، فشهد حروب كلثوم ، وأقام مع بلج إلى أن مات بلج(3) ، فقدّم أصحابه عليهم بقرطبة ثعلبة لأنّ هشام بن عبد الملك عهد إليهم لمّا سيّرهم من دمشق إلى إفريقيّة ، إن حدث ببلج وكلثوم حدث ، فالأمير ثعلبة .

فقام بالأمر بعد بلج . وثارت في أيّامه البربر بناحية ماردة فغزاهم وقتل وأسر

(1) التكملة لوفيات النقلة 3/ 376 (2561) ؛ طبقات السبكي 5/ 53 .

(2) الأعلام 2/ 83 ؛ جمهرة ابن حزم 419 ؛ الطبريّ تحت سنة 132 ؛ الكامل تحت سنة 124 و 125 وسنة 139 .

(3) مرّت ترجمة بلج ، رقم 970 .

منهم كثيراً ، وساق ألفَ أسير إلى قرطبة . فلمّا ولي أبو الخطّاب حسام بن ضرار الأندلس وقدمها ، أخرج ثعلبة في سفينة إلى إفريقيّة ، وأخرج معه أهل الشام ، وكانوا بالقيروان مع حنظلة بن صفوان ، فشهد ثعلبة مع صفوان وقعة البربر بالأصنام .

فلمّا بلغ أهل إفريقية قتلُ الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان ، خرج ثعلبة وعامّة قوّادهم إلى الشام في سنة ستّ وعشرين ومائة . فوليَ الأردنّ ، حتى مرّ به مروان بن محمّد الجعديّ ، وقد انهزم على الزاب من عبد الله بن علي ابن عبد الله بن عبّاس ، فمرّ معه إلى مصر ، وقُتل معه في حروبه بمِصر .

1044 - ثُقَبة ابن أبي نُمَي أمير مكّة [- 762] [1]

ثُقَبَة بن رُميثة بن أبي نُمَي محمد ، ابن أبي سعد حسن بن عليّ بن قتادة ، الشريف أبو [شهاب ، أسد الدين] [2] ، الحسنيّ ، أمير مكّة .

قدم إلى مصر ، وقد استقرّ أخوه عجلان في إمرة مكّة ، ومعه قَود [3] من خيل وتمر ونحو ذلك ، في شهر رمضان سنة ستّ وأربعين وسبعمائة . ليكون شريكاً لأخيه .

ثمّ قدم [في] شعبان سنة اثنتين وخمسين بعد حضور قَودِه وقودِ أخيه عجلان ، فخلع عليه وأقرّه بإمارة مكّة ، وأعطاه الأمير طاز ألفَ دينار ، والأمير شيخو عشرة آلاف درهم . واستخدم عسكراً واستعدّ بالخيل والسلاح . . .

ثمّ قبض على ثقبة في ذي الحجّة سنة أربع وخمسين [وسبعمائة] واعتقل

---

(1) الأعلام 2 / 84 ؛ الدرر 2 / 66 (1433) ؛ السلوك 3 / 72 و 259 ؛ المنهل 4 / 199 (806) ؛ النجوم 10 / 226 و 264 .

(2) إضافة من المنهل .

(3) القَوْد : الهديّة ، من خيل خاصّة .

بمِصر . ثمّ أفرج عنه بشفاعة فيّاض بن مهنّا في سنة ستّ وخمسين .

وكان ثقبة ينصر مذهب الزيديّة ولا يكفّ عبيده عن ظلم الناس وأقام له خطيباً زيديًّا يخطب يوم العيد . وكان يأمر عبيدَه إذا ذكر الخطيبُ السني الشيخين رجموه .

ثمّ إنّ ثقبة بعد أن أطلق هرب . فتبعه العسكر فلم يدركوه . وبقي خارج مكّة إلى سنة إحدى وستّين . فهجم بعد رجوع الحاجّ وفعل أفعالاً قبيحة ونهب خيول الأتراك الذين من جهة المصريّين بمَكّة ، واستولى على ما في بيوتهم وأسر منهم جماعة فباعهم بثمَن بخس ، وأسر أميرهم قُنْدُس فأجارته امرأة ثقبة من القتل . فعذّب بأنواع العذاب . ثمّ أطلقه ثقبة على أن يخرج من مكّة فخرج منها إلى أن لحق الركب المصريّ فصار معهم .

ولم يمتّع ثقبة بعد ذلك بالحياة ، بل مات في رمضان أو شوّال سنة اثنتين وستّين [وسبعمائة] .

1045 – ثمال بن صالح بن مرداس [– 454] [1]

ثمال بن صالح بن مرداس بن إدريس ، الأمير معزّ الدولة ، أبو علوان ، الكلابيّ .

تغلّب أبوه صالح بن مرداس على حلب ، إلى أن قتله أمير الجيوش آنوش تكين الدزبري[2] بالأقحوانة على الأردن في محاربته العرب في ربيع الآخر سنة عشرين وأربعمائة . فاقتسم من بعده حلب ابناه : معزّ الدولة هٰذا – وأخذ القلعة – وأقام أخوه شِبْل الدولة نصر في المدينة .

ثمّ إنّ معزّ الدولة جرى بينه وبين زوجته كلام ، فغضبت عليه وخرجت إلى

(1) الكامل : سنة 402 و 433 ؛ ابن خلدون 4 / 273 .

(2) مرّت ترجمته برقم 845 .

الحلّة بظاهر حلب . فأمر أن تصاغ لها أيكة من ذهب مرصّعة بالجوهر . فلمّا تهيّأت أخذها في كمّه وخرج إلى زوجته . فبادر أخوه نصر وركب وأخذ القلعة ، وقال : إنّ مَن قدّم أخي عليّ فقد أساءَ ، لأنّي أولى بمُداراة الرجال ، وهو أولى بمُداراة النساء .

وانفرد نصر بن صالح بأمر قلعة حلب والمدينة ، وجعل لأخيه ثمَال بالس والرحبة ، وذلك في سنة إحدى وعشرين وأربعمائة .

فاستمرّ نصر في ملك حلب إلى أن قتله الدزبريّ في نصف شعبان سنة تسع وعشرين ، وملك حلب من بعده . فلمّا مات في النصف من جمادى الأولى[1] سنة ثلاث وثلاثين ، قدم معزّ الدولة بتوقيع سيّره إليه أمير المؤمنين المستنصر بالله أبو تميم معدّ ابن الظاهر ، بولاية حلب . فتسلّم البلد لليلتَين بقيتا من جمادى الآخرة [سنة 433] . / وكان الوزير بمِصر يومئذ عليّ بن أحمد الجرجرّائيّ ، فقرّر [292 أ] عليه في كلّ سنة مالاً يحمله . فلمّا صارت الوزارة إلى الوزير صدقة بن يوسف الفلاحيّ ، ثمّ وزارة أبي البركات الحسن بن محمد الجرجرّائيّ ، تأخّر الحَملُ سنَتَيْن[2] بأربعين ألف دينار ، فسيّر إليه الأمير ناصر الدولة أبا محمد الحسن بن الحسين بن الحسن بن حمدان ، متولّي دمشق بعد الدزبريّ . فوصل إلى حلب ورجع عنها إلى دمشق من غير أن يقدر على ثمَال . فنقم عليه ذلك وقبضه الأمير منير الدولة .

ثمّ إنّ معزّ الدولة بعث إلى المستنصر بالقسط على يد شيخ الدولة علي بن أحمد بن الأيسر ، وسيّر معه ابنَه الأمير وثّاب وزوجته السيّدة علويّة بنت وثّاب ، ومعها من القلعة أربعون ألف دينار وهدايا فاخرة . فأكرمها المستنصر وكتب لمُعزّ الدولة بحلب وأعمالها ، وسيّر إليه بتشريف ولجميع بني عمّه .

ولمّا اندفع الأمير أبو الحرث أرسلان البساسيريّ من بغداد إلى الشام في سنة

(1) مرّ في ترجمة أنوشتكين أنّه مات في 24 منه (ص 304 أعلاه) .

(2) في الاتّعاظ 2 / 201 : وكان ثمال قرّر على نفسه عشرين ألف دينار في كلّ سنة .

سبع وأربعين منهزماً من طغرل بك وحصل في أرض الرحبة وقد وصل في قلّ من الرجال ، لقيه ثمَال وأكرمه وحمل إليه مالاً عظيماً . فقيل عن البساسيري أنّه لم يرَ مثله في الشجاعة والمكر[1] . وكان إذا ركب معزّ الدولة قفز إليه ليُمسك له الركاب ويصلح ثيابه في السرج . وسلّم إليه معزّ الدولة الرحبة في سنة ثمَان وأربعين ليجعل فيها ماله وأهله .

فلمّا ولي الوزيرَ الناصر للدين أبو محمد الحسن بن [عليّ بن] عبد الرحمان اليازوري [2] وزارة المستنصر ، لم يرضَ من معزّ الدولة بمَا رضيه الوزراء قبله ورأى أنّ الحيلة والخديعة أبلغ فيمَا يريده . فاستعمل السياسة وبعث خفايا التدبير ، وندبَ لذلك رجلاً من ثقاته[3] . فسار إلى حلب وساس الأمر وأحكم التدبير مع كاتب معزّ الدولة بكثرة ما وعده به ومنّاه . إلى أن نزل معزّ الدولة من القلعة وسلّمها إلى الأمير مكين الدولة أبي عليّ الحسن بن علي بن ملهم بن دينار العقيليّ نائب المستنصر ، وسار من حلب إلى مصر . فلمّا بلغ رفح سمع بالقبض على اليازوريّ فقال : والله إنّي أموت بحسرة ونظرة إلى مَن استلَبَني من ذلك الملك وأخرجني بلا رغبة ولا رهبة إلّا بحسن السياسة . ولو رام ذلك منّي قسراً ربّمَا تعذّر عليه[4] .

وسار حتى قدم على المستنصر بالقاهرة في المحرّم سنة خمسين وأربعمائة ، فعوّضه عن حلب مدينة عكّا وبيروت وجبيل . فاتّفق في مدّة إقامته بمِصر قتل البساسيريّ . فسار أسد الدولة أبو ذؤابة عطيّة بن صالح بن مرداس إلى الرحبة وأخذ جميع ما تركه البساسيريّ ، من السلاح الذي لم يُرَ مثله كثرةً وجَودةً . فطمع بنو كلاب في حلب وقدّموا عليهم محمود بن نصر بن صالح بن مرداس . فسار إليها في جمادى الأولى سنة اْثنتين وخمسين وتسلّمها . فانحاز مكين الدولة بن ملهم إلى القلعة وأنفذ إلى المستنصر يطلب النجدة . فوصل إليه ناصر الدولة أبو

(1) في المخطوط : والمنكر .
(2) ترجمة اليازوري : رقم 1188 (ت 450) .
(3) الاتّعاظ 2 / 259 : يقال له : عين الدولة عليّ بن عياض قاضي صور .
(4) في الاتّعاظ 2 / 260 : فليس يتعذّر عليه .

علي الحسين ، ابن ناصر الدولة الحسن بن الحسين بن حمدان ، وكانت وقعة الفُنَيْدِق ، وهو المعروف بتلّ السلطان ، وأسر ابن حمدان ، وعاد محمود بن نصر إلى حلب .

فلمّا بلغ ذلك المستنصر صرف معزّ الدولة عن عكّا وبيروت وجبيل وقال له : إنّ هٰذه أخذتَها عوضاً عن حلب . وقد عادت إلى ابن أخيك . فامضِ إلى حلب واستعدها منه .

فعاد إلى أن وصل إلى معرّة النعمان . فسيّر محمود أبا محمد عبد الله بن محمد الخفاجيّ رسولاً إلى ملك الروم يستنجد بك على عمّه معزّ الدولة ، ثم صالح محمود عمّه وسلّم إليه حلب يوم الاثنين أوّل شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وخمسين .

فلم يزل بها حتى مات فيها يوم الخميس لستّ بقين من ذي القعدة سنة أربع وخمسين وأربعمائة . فدفن في مقام إبراهيم الفوقانيّ بقلعة حلب ، وبقي إلى أيّام (1) الملك رضوان فقلع وبلط عليه .

وكان معزّ الدولة كريمًا حليمًا . حكي أنّ العربَ اقترحوا عليه مضيرة ، فتقدّم / إلى وكيله أن يطبخها لهم . وسأله : كم ذبحت لأجلها ؟ [292 ب]

فقال : سبعمائة وخمسون رأساً .

فقال : والله لو أتمَمتها ألفاً لوهبتُ لك ألفَ دينار .

و يحكى عن حلمه أنّ فرّاشاً صبّ يوماً على يده ماءً بإبريق كان في يده ، فصادفت أنبوبة الإبريق بعض ثنيّات(2) معزّ الدولة فكسرتها وسقطت في الطشت ، وهمّ به الغلمان فمنعهم ، وأمر برفعها وعفا عنه . فقال ابن أبي حصينة فيه من أبيات [وافر] :

(1) في المخطوط : إمام .
(2) في المخطوط : ثَنيّة بالإفراد .

حليم عن جرائمنا اليه وحتى عن ثنيّته انقلاعا

وقدم عليه الوزير فخر الدولة أبو نصر محمد بن محمد بن جهير فاستوزره وفوّض أمورَه إليه جميعها . فحسد على مكانه وقربه منه ، وسعي به إليه . وكان معزّ الدولة له وفاء وذمّة فنبّهه على ما سُعي به إليه . فٱستأذنه أبو نصر في المفارقة فأذن له ، وسار من حلب . وذلك في سنة ستّ وأربعين وأربعمائة .

ولمّا مات معزّ الدولة ولي بعده حلب أسد الدولة أبو ذؤابة عطيّة بن صالح بن مرداس .

1046 – ثمل الخادم [– بعد 311] [1]

غزا في بحر الروم فغنم وسبى وعاد في سنة ستّ وثلاثمائة . فلمّا قدمت مراكب المهديّ عبيد الله من إفريقيّة تريد الإسكندريّة ، وعدّتها ثمَانون مركباً ، وقائدها سليمَان الخادم ويعقوب الكتامي . وقد ملكها أبو القاسم ابن المهديّ ، بعث أمير المؤمنين المقتدربالله أبو الفضل جعفر إلى ثمل ، وهو على مراكب طرسوس ، فأتى في خمسة وعشرين مركباً إلى رَشيد ، فلقي المراكب وعليها سليمَان الخادم في العشرين من شوّال سنة سبع وثلاثمائة ، وقاتله قتالاً شديداً . فبعث الله الريح على مراكب سليمَان فألقتها إلى البرّ فتكسّر أكثرُها . وأخَذَ ثمل مَن فيها أخذاً باليد وقتل أكثرهم . وسار بمَن بقي إلى الفسطاط فأنزلهم بالمقس يوم الاثنين لأربع بقين منه . فأمر أبو منصور تكين أمير مصر بتَمييز الأسارى فأطلق أهل القيروان وأهل طرابلس وبرقة وصقلّية ، وميّز كتامة وزويلة ناحية ، ثمّ أذن للناس في قتلهم ، فقتلوا منهم نحو السبعمائة .

ودخل ثمل ومعه سليمَان الخادم فطاف به مقيّداً ، ومعه رؤساء المراكب وهم

(1) العيون والحدائق ، 306 . وانظر ترجمة تكين الخاصّة رقم 1029 والقائم رقم 2641 .

مائة وسبعة عشر رجلاً في يوم الثلاثاء لثلاث بقين منه . ثمَّ مضى إلى الإسكندريّة في مراكبه فقاتله أصحاب أبي القاسم وهزمهم ، وملكها ، ونقل أهلها إلى رَشيد ، وذلك في المحرَّم سنة تسع وثلاثمائة . ورجع إلى الفسطاط فمَضى في مراكبه إلى اللاهون [1] .

ثمّ عاد بعد مسير أبي القاسم إلى برقة . وخرج مع مؤنس في ربيع الآخر سنة تسع وثلاثمائة ، ومعه سليمَان الخادم والأسرى في مراكبه ، فحمل سليمَان إلى بغداد .

وغزا في سنة إحدى عشرة وثلاثمائة فغنم من السبي ألف رأس وثمَانية آلاف دابّة ومائة ألف رأس من الغنم ، ومن الذهب والفضّة شيئاً كثيراً [2] .

1047 – ثوبان بن بجدد ، مولى رسول الله ﷺ [– 54][3]

ثوبان بن بجدد – ويقال : ابن جَحْدَر – مولى رسول الله ﷺ يكنّى أبا عبد الله . أصله من أَلْهَان [4] من أهل اليمَن . أصابه سباءٍ فابتاعه رسول الله ﷺ بالمدينة وأعتقه وقال له : يا ثوبان ، إن شئت أن تلحق بمَن أنت منهم فعلت ، فأنت منهم ، وإن شئت أن تثبت فأنت منّا أهل البيت .

(1) في عيون الأخبار ، 206 ، أنَّ القائم ترك الإسكندرية عن طواعيّة ، دون أن يخرجه منها ثمل . واللاهون من أعمال الفيُّوم والصعود إليها على النيل .

(2) في الكامل (تحت سنة 311) أنَّ هٰذه الغزوة كانت في البحر . وهٰذه الأرقام الخياليَّة تبعث على الظنِّ أنّ الغزوة استهدفت السواحل الروميَّة .

(3) أسد الغابة 1/ 296 (624) ؛ الاستيعاب 1/ 218 (282) ؛ الإصابة 1/ 204 (967) ؛ حلية الأولياء 1/ 180 (31) ؛ مختصر تاريخ دمشق 5/ 346 (193) ؛ الأعلام 2/ 88 ؛ تاريخ البخاري 2/ 181 (2128) ؛ الجرح والتعديل 2/ 469 (1907) .

(4) ألهان : مخلاف من اليمن (ياقوت) .

فثبت على ولاء رسول الله ﷺ ، ونزل حمص وله بها دار صدقة وشهد فتح مصر ، واختطّ بها .

وروى عنه من أهل مصر مرثد بن عبد الله اليَزَنيّ وأبو عبد الرحمان الجُبلانيّ [1] ، وروى عنه [أبو أسماء الرحبيّ وجبير بن نفير وعبد الله بن أبي الجعد] [2] .

ومات بحمص سنة أربع وخمسين في إمارة عبد الله بن قرط . وذكر محمد
[293 أ] ابن إسحاق عن محمد بن عبد الرحمان عن ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ / :
يا ثوبان لا تنزل الكفور فإن ساكن الكفور كساكن القبور .

وعن شرحبيل بن مسلم عن ثوبان أنّه كان يقول : طوبى لمَن ملك لسانه وسعى بنيّته وبكى على خطيئته .

---

(1) جُبلان : بطن من حمير (السمعانيّ) .
(2) زيادة من الجرح والتعديل .

الجزء الثاني

تراجم الكتاب حسب ورودها في المخطوط

رقم الترجمة	اسم المترجم	لقبه أو نسبته	تاريخ وفاته	الصفحة
	أ			
695	إدريس بن عبد الله بن الحسن	إدريس الأوّل	175 ـ	9
696	أدّي / ودّي بن جماز	الشريف أدّي أمير المدينة	752 ـ	13
697	أرجواش المنصوريّ ، علم الدين	أرجواش الأعور	701 ـ	14
698	أرسلان الدوادار ، بهاء الدين		717 ـ	17
699	أرغون الناصري	أرغون نائب السلطنة	731 ـ	19
700	أرغون ابن أمير شاه ، سيف الدين	أرغون تتر	774 ـ	24
701	أرغون الأحمديّ ، سيف الدين		775 ـ	24
702	أرغون العلائيّ ، سيف الدين		748 ـ	25
703	أرغون الصغير ، سيف الدين	أرغون الصغيّر الكامليّ	758 ـ	27
704	أرغون شاه ، سيف الدين	أرغون شاه الناصريّ	750 ـ	28
705	أرقطاي ، سيف الدين	الحاج أرقطاي	750 ـ	30
706	أزبك الحمويّ ، صارم الدين		737 ـ	33
707	أزدمر الحمصيّ ،	الحاج أزدمر الحمصيّ	680 ـ	34
708	أزدمر العلائيّ ، عزّ الدين		696 ـ	35
709	أزدمر الكاشف ، عزّ الدين	أزدمر الكاشف الأعمى	754 ـ	36
710	أسامة بن زيد بن عديّ ، أبو عيسى	أسامة بن زيد التنّوخيّ	ـ بعد 104	37
711	أسامة بن مرشد بن عليّ	أسامة بن منقذ	584 ـ	40
712	إسحاق بن إبراهم بن المظفّر ، أبو محمد	القاضي الوزيريّ	719 ـ	49

رقم الترجمة	اسم المترجم	لقبه أو نسبته	تاريخ وفاته	الصفحة
713	إسحاق بن إبراهم بن قلا	ابن قلا النصرانيّ الكاتب	– بعد 300	50
714	إسحاق بن إبراهم بن [...]	أبو يعقوب الشاشيّ	– 325	52
715	إسحاق بن عليّ بن أبي الغنائم ، نجم الدين	ابن مراجل	610 –	53
716	إسحاق بن عليّ بن يحيى ، أبو الطاهر	نجم الدين الحلبيّ	– 711	54
717	إسحاق بن جعفر بن محمد ، المؤتمن	زوج السيّدة نفيسة	– بعد 208	54
718	إسحاق بن الفرات بن الجعد ، أبو نعم	ابن الفرات صاحب مالك	– 204	55
719	إسحاق بن محمد بن المؤيّد بن عليّ	رفيع الدين الأبرقوهيّ	582 – 623	56
720	إسحاق بن موسى بن العازار الطبيب	أبو يعقوب ابن العازار	– 363	57
721	إسحاق بن موسى بن عمران	أبو يعقوب الأسفرايينيّ	– 284	57
722	إسحاق بن نصير ، أبو يعقوب الكاتب	إسحاق بن نصير العبّادي	– 297	58
723	أسد بن الفرات بن سفيان ، أبو عبد الله	أسد بن الفرات	144 – 213	59
724	أسد شمس الخلافة	متولّي عسقلان	– بعد 512	62
725	إسماعيل بن إبراهم بن محمد ، مجد الدين	ابن التركمانيّ قاضي القضاة	729 – 802	63
726	إسماعيل بن محمد بن قلاوون ، عماد الدين	الملك الصالح	726 – 746	66
727	إسماعيل بن محمد بن عبد الله ، عماد الدين	الصاحب الأمجد ابن القيسرانيّ	– 736	69
728	إسماعيل بن إبراهم بن عبيد الله	مجد الدين ابن كسيرات	– 682	70
729	إسماعيل بن إبراهم بن غازي ، شمس الدين	ابن فلّوس	593 – 637	71
730	إسماعيل بن إبراهم بن عبد الرحمان	التاج إسماعيل المخزوميّ	611 – 694	72
731	إسماعيل بن إبراهم بن جعفر ،	علم الدين القنائيّ	– 652	73
732	أسعد بن أحمد بن الحسن ، أبو الطاهر	ابن اللمطيّ	545 – 638	74
733	أسعد بن أحمد بن سعيد ، أبو الفداء	القاضي عماد الدين ابن الأثير	652 – 699	75
734	أسعد بن أمين الملك ، تقيّ الدين	الشقيّ الأحول	– 716	76
735	أسعد بن عبد الغنيّ بن أسعد ، أبو الكرم	القاضي ابن قادوس	543 – 639	78
736	أسعد بن عطيّة بن عبيد القضاعيّ	أسعد بن عطيّة الصحابيّ		79
737	أسعد بن عقيل ، أبو المكارم	وزير الوزراء	– 466	79
738	أسعد بن عليّ بن معمّر ، أبو البركات	السناء الجوّانيّ	– نحو 550	80

رقم الترجمة	اسم المترجم	لقبه أو نسبته	تاريخ وفاته	الصفحة
739	أسعد بن لهيعة الحميريّ	ابن لهيعة الأملوليّ		82
740	أسعد بن مسلّم بن مكّي	السديد ابن علّان الدمشقيّ	561 – 636	82
741	أسعد بن مظفّر بن أسعد ، مؤيّد الدين	أبو المعالي ابن القلانسيّ	598 – 672	82
742	أسعد بن مهذّب بن مينا ، شرف الدين	ابن مماّتي	– 606	83
743	إسماعيل بن سعيد بن [...]	إسماعيل الكرديّ الزنديق	– 720	87
744	إسماعيل بن حامد بن عبد الرحمان	الشهاب القوصيّ	574 – 653	88
745	إسماعيل بن سلامة	الموفّق الجلجوليّ	– 546	90
746	إسماعيل بن سودكين	العارف شمس الدين النوريّ	598 – 644	90
747	إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل	المُزنيّ صاحب الشافعيّ	175 – 264	92
748	إسماعيل بن حسين بن حميد ، أبو الفضل	الموفّق ابن قادوس الدمياطيّ	– 510	96
749	إسماعيل بن خلف بن سعيد ، أبو الطاهر	ابن خلف الأندلسيّ المقرىء	– 455	96
750	إسماعيل بن داود بن أبي الردّاد	ابن أبي الردّاد الكاتب	540 – بعد 620	97
751	إسماعيل بن خليل بن [...]	تاج الدين ابن خليل الحنفيّ	– 739	97
752	أسعد بن إلياس بن جرجيس	الموفّق ابن المطران الطبيب	– 587	98
753	إسماعيل بن عليّ بن محمود	أبو الفداء المؤرّخ	672 – 732	100
754	إسماعيل بن عليّ بن الحسين	الحافظ أبو سعد السمّان	– 445	104
755	إسماعيل بن عليّ بن هبة الله	عزّ الدين الإسنائيّ	– 700	105
756	إسماعيل بن عمر بن نعمة بن يوسف	ابن شبيب الروميّ العطّار	551 – 606	106
757	إسماعيل بن عمرو بن إسماعيل	ابن راشد الحدّاد المقرىء	– 429	106
758	إسماعيل بن القاسم بن عيذون	أبو عليّ القاليّ البغداديّ	288 – 356	107
759	إسماعيل بن مبارك بن كامل	جمال الدين ابن منقذ	569 – 626	110
760	إسماعيل بن القاسم بن عبد الله	ابن الزيّات المصريّ	– 599	111
761	إسماعيل بن أبي محمد	ابن النحّاس المصريّ	354 – 430	111
762	إسماعيل بن محمد بن إسماعيل	ابن طباطبا الرسّيّ	– 337	111
763	إسماعيل بن محمد بن أبي بكر	الكورانيّ الشيخ الصالح	– 665	113
764	إسماعيل بن الربيع بن اليسع	القاضي ابن اليسع الكنديّ	– بعد 167	113

رقم الترجمة	اسم المترجم	لقبه أو نسبته	تاريخ وفاته	الصفحة
765	إسماعيل بن ظافر بن عبد الله	أبو الطاهر العقيليّ المقرىء	454 – 523	115
766	إسماعيل بن عبد الجبّار بن يوسف	القاضي علم الدين الصويتيّ	549 – 610	116
767	إسماعيل بن عبد الرحمان بن أحمد	نبيه الدين الأنصاريّ الكاتب	– 613	117
768	إسماعيل بن عبد القويّ بن الحسن	فخر الدين الإمام الإسنائيّ	– 720	118
769	إسماعيل بن عبد الرحمان بن يحيى	أبو الطاهر الديباجيّ	– 572	118
770	إسماعيل بن عبد الله بن عبد المحسن	الحافظ تقيّ الدين الأنماطيّ	– 619	118
771	إسماعيل بن عبد الله بن عمرو	أبو الحسن النحّاس المقرىء	– بعد 280	120
772	إسماعيل بن عبد الملك بن عيسى	القاضي عماد الدين بن درباس	570 – 624	120
773	إسماعيل بن عبد المجيد بن محمد	الظافر العبيديّ	527 – 549	121
774	إسماعيل بن عبد الواحد بن محمّد	أبو هاشم المقدسيّ قاضي مصر	– 325	122
775	إسماعيل بن عبد الوهّاب بن عطيّة	أبو الطاهر ابن عطيّة الجذاميّ	– 570	124
776	إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر	إسماعيل ابن أبي المهاجر	– 107	125
777	إسماعيل بن عثمان بن محمّد	الرشيد ابن المعلّم	623 – 714	126
778	إسماعيل بن عليّ بن محمد	ابن أبي النّمر	630 –	127
779	إسماعيل بن عليّ بن يوسف	سراج الدين المهدويّ	– 635	128
780	إسماعيل بن محمد بن عبد الله	المنصور العبيديّ	301 – 341	129
781	إسماعيل بن محمد بن ياقوت	الخواجا نجم الدين السلّاميّ	671 – 743	181
782	إسماعيل بن محمود بن أحمد	إسماعيل المحلّيّ	– بعد 540	183
783	إسماعيل بن مكّيّ بن إسماعيل	ابن عوف المالكيّ	485 – 581	183
784	إسماعيل بن موسى بن عبد الخالق	زين الدين السقطيّ	– 739	184
785	إسماعيل بن هبة الله بن عليّ	الفخر ابن المليجيّ المقرىء	– 681	185
786	إسماعيل بن هبة الله بن محمد	أبو صالح ابن العديم	610 – 694	185
787	إسماعيل بن بكتمر	سيف الدين البوبكريّ	– بعد 743	186
788	أسندمر كرجي ، سيف الدين		– 711	186
789	أسندمر العمريّ ، سيف الدين		– 761	191
790	أسود بن نافع بن أبي عبيدة	أسود بن نافع الفهريّ	– بعد 132	192

رقم الترجمة	اسم المترجم	لقبه أو نسبته	تاريخ وفاته	الصفحة
791	أشعب بن حميد	أشعب الطمّاع	ـ 154	193
792	أشهب بن عبد العزيز بن داود	أشهب فقيه مصر	140 ـ 204	212
793	أصبغ بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم	أصبغ بن عبد العزيز الأمويّ	ـ 86	213
794	أصبغ بن الفرج بن سعيد	أصبغ بن الفرَج القاضي	ـ 225	214
795	أصلم القبجاقيّ ، بهاء الدين		ـ 747	218
796	أطسز بن أوق الخوارزميّ		ـ 471	220
797	أغرلو العادليّ ، سيف الدين		ـ 719	224
798	أغِزلو السيفيّ ، شجاع الدين		ـ 748	224
799	الأغلب بن سالم [بن سوادة]	الأغلب بن سالم التميميّ	ـ 150	227
800	أفتكين التركيّ ، ناصر الدولة		ـ 488	228
801	أفلح الناشب الصقلبيّ		ـ بعد 362	229
802	آقوش العلائيّ ، القاريء ، جمال الدين	والي البهنسا	ـ 702	229
803	آقوش الروميّ ، جمال الدين		ـ 709	231
804	آقوش العرّيس		ـ بعد 719	231
805	آقوش البرلّيّ العزيزيّ ، شمس الدين		ـ 661	232
806	آقوش كرجيّ المطروحيّ ، جمال الدين		ـ 699	234
807	آقوش الموصليّ ، جمال الدين	« قتّال السبع »	ـ 710	234
808	آقوش الكنجيّ ، جمال الدين		ـ 713	235
809	آقوش الشهابيّ ، جمال الدين		ـ 678	235
810	آقوش الدواديّ الأفرم ، جمال الدين	آقوش الأفرم	ـ 716	236
811	آقوش الشريفيّ ، جمال الدين		ـ 700	246
812	آقوش الشمسيّ ، جمال الدين		ـ 679	247
813	آقوش الغتميّ ، جمال الدين		ـ 690	247
814	آقوش الموصليّ ، جمال الدين	آقوش نميلة	ـ 693	247
815	آقوش المغيثيّ ، جمال الدين	نائب إلبيرة	ـ 698	248
816	آقوش الأشرفيّ ، جمال الدين	نائب الكرك	ـ 736	248

رقم الترجمة	اسم المترجم	لقبه أو نسبته	تاريخ وفاته	الصفحة
817	آقبغا الحسنيّ ، علاء الدين	آقبغا الحسنيّ	ـ 717	258
818	آقبغا الناصريّ ، علاء الدين	آقبغا عبد الواحد	ـ 744	259
819	آقجبا الحمويّ ، فخر الدين		ـ 759	261
820	آقبغا الناصريّ الحسنيّ		ـ بعد 770	261
821	آقسنقر الناصريّ ، شمس الدين		ـ 748	262
822	آقسنقر الروميّ ، شمس الدين	آقسنقر شادّ العمائر	ـ 740	264
823	آقسنقر السريّ ، شمس الدين		ـ 678	265
824	آقسنقر السلاري ، شمس الدين		ـ بعد 744	265
825	أكرم بن الخطير ، أبو المكارم	كريم الدين الصغير	ـ 726	266
826	أكدر بن حمام بن عامر ، أبو مصعب	أكدر بن حمام	ـ 65	270
827	الآقوش المنصوريّ ، جمال الدين		ـ بعد 724	274
828	ألبكي الساقي ، فارس الدين		ـ 702	275
829	ألبكي ، فارس الدين	ابن أخي أل الملك	ـ 756	276
830	ألجاي الدوادار ، سيف الدين		ـ 732	277
831	ألجيبغا المظفّريّ ، سيف الدين		ـ 750	278
832	ألدمر الناصريّ ، سيف الدين		ـ 730	280
833	ألطبرس المنصوريّ ، علاء الدين	ألطبرس المجنون والي القلعة	ـ 708	282
834	ألطنبغا الحمصيّ ، فخر الدين		ـ 678	283
835	ألطنبغا الجمدار ، علاء الدين		ـ 693	283
836	ألطنبغا المارديني الساقي		ـ 744	284
837	ألطنبغا التركيّ		ـ 642	285
838	ألطنبغا الحاجب ، علاء الدين	ألطنبغا نائب حلب	ـ 742	286
839	ألطنفش الجماليّ		ـ 745	292
840	ألماس الناصريّ ، سيف الدين	ألماس الحاجب	ـ 734	292
841	أل الملك ، سيف الدين	الحاج أل ملك	ـ 747	294
842	أميّة بن عبد العزيز ، أبو الصلت	أميّة بن عبد العزيز	ـ 529	297

رقم الترجمة	اسم المترجم	لقبه أو نسبته	تاريخ وفاته	الصفحة
843	أميركاتب بن أمير عمر ، أبو حنيفة	أميركاتب الأتقانيّ	685 ـ 758	298
844	أنص بن كتبغا	الملك المجاهد	ـ 723	300
845	أنوشتكين الدزبريّ ، أبو منصور		ـ 433	302
846	أنوش تكين البخاري الدرزيّ		ـ بعد 410	306
847	أنوك بن محمد بن قلاوون ، ناصر الدين		721 ـ 741	310
848	أونوجور بن محمد بن طغج	ابن الإخشيد	319 ـ 349	313
849	أياي متملّك النوبة	صاحب دمقلة	ـ 711	319
850	أياز الملوحيّ ، فخر الدين			320
851	أياز المقرىء الحاجب ، فخر الدين	أياز المقرىء	ـ 687	320
852	أياز البانباشي ، فخر الدين		ـ 633	321
853	أياز [إياس] الأستادار ، فخر الدين			321
854	أياز السلاح دار ، فخر الدين		ـ 750	322
855	أيبك البغداديّ ، عزّ الدين		ـ 722	323
856	أيبك الروميّ ، عزّ الدين المنصوريّ		ـ بعد 713	324
857	أيبك الحمويّ ، عزّ الدين		ـ 703	324
858	أيبك الشيخ ، عزّ الدين		ـ 678	326
859	أيبك الفخريّ ، عزّ الدين		ـ بعد 680	326
860	أيبك العزّيّ ، عزّ الدين	أيبك نقيب العسكر	ـ 690	326
861	أيبك الموصليّ ، عزّ الدين		ـ 698	327
862	أيبك الخزندار ، عزّ الدين		ـ 709	327
863	أيبك الأفرم ، عزّ الدين الصالحيّ		ـ 695	328
864	أيبك الأشقر ، عزّ الدين		ـ 707	333
865	أيتمش الجمدار ، سيف الدين الناصريّ		ـ 755	334
866	أيتمش السعديّ ،		ـ 684	335
867	أيتمش المحمّديّ ، سيف الدين		ـ 736	335
868	أيدغدي شقير ، علاء الدين		ـ 715	342

رقم الترجمة	اسم المترجم	لقبه أو نسبته	تاريخ وفاته	الصفحة
869	أيدغدي الخوارزميّ ، علاء الدين		– 729	343
870	أيدغدي الشهرزوريّ ، علاء الدين		– بعد 705	344
871	أيدغدي التليلي ، علاء الدين		– 728	345
872	أيدغمش الحكيميّ ، سيف الدين		– 680	345
873	أيدغمش الناصري ، علاء الدين		– 743	345
874	أيدغمش [أيدكين] البندقدار ، علاء الدين		– 684	347
875	أيدكين الصالحيّ		– 690	348
876	أيدكين [الأزكشيّ] البريديّ	أيدكين والي القاهرة	– بعد 735	348
877	أيدمر القشّاش ، عزّ الدين		– 702	349
878	أيدمر الحلّيّ ، عزّ الدين		– 667	352
879	أيدمر الرشيديّ ،		– 708	353
880	أيدمر السنانيّ ، عزّ الدين		– 707	354
881	أيدمر بن عبد الله المحيويّ ، علم الدين	أيدمر المحيويّ الشاعر	– 648	354
882	أيدمر الدوادار ، عزّ الدين		– 740	361
883	أيدمر العلائيّ ، عزّ الدين		– 676	361
884	أيدمر الظاهريّ ، عزّ الدين		– 700	362
885	أيدمر العزّيّ ، عزّ الدين	أيدمر النقيب	– 702	364
886	أيدمر الرفّاء ، عزّ الدين		– 702	364
887	أيدمر العلائيّ الجمقدار ، عزّ الدين	أيدمر الزرّاق	– نحو 760	365
888	أيدمر الخطيريّ ، عزّ الدين		– 737	365
889	أيدمر الشمسيّ ، عزّ الدين			368
890	أيدمر الزرّاق ، عزّ الدين		– بعد 748	369
891	أيدمر الشيخيّ ، عزّ الدين	أيدمر نائب حماه	– 773	369
892	أيدمر العلائيّ	أيدمر « دقماق »	– 734	370
893	أيمن بن خريم		– 86	370
894	أيّوب بن أبي بكر بن إبراهيم ، أبو صابر	أيّوب ابن النحّاس	617 – 699	377

رقم الترجمة	اسم المترجم	لقبه أو نسبته	تاريخ وفاته	الصفحة
895	أيّوب الكرديّ ، نجم الدين	والي القاهرة	بعد 740	378
896	أيّوب بن شاذي بن مروان	الملك الرحم والد صلاح الدين	568	378
897	أيّوب بن شرحبيل بن أكسوم	أيّوب الأصبحيّ	101	381
898	أيّوب بن [أبي بكر] محمد ، الملك الصالح	صاحب كيفا	727	383

ب

رقم الترجمة	اسم المترجم	لقبه أو نسبته	تاريخ وفاته	الصفحة
899	باديس بن زيري بن مناد		بعد 370	385
900	بارزطغان بن محمود بن أبي الفتح	بارزطغاي الغزّيّ	616	385
901	باينجار رسول الخان أزبك			386
902	باينجار المنصوريّ . سيف الدين		716	387
903	باورد بن براجوا المغوليّ		بعد 721	388
904	بتخاص العادليّ ، سيف الدين		696	388
905	بتخاص المنصوريّ ، سيف الدين	نائب صفد	710	389
906	بجكم الأعور		328	390
907	بجاس بن عبد الله النوروزي النحويّ		803	392
908	بحر بن ضبع الرعينيّ			392
909	بحر بن نصر بن سابق	بحر الخولاني	180 – 267	393
910	بجير بن ذاخر بن عامر الناشريّ			393
911	بدر الجماليّ ، أبو النجم	أمير الجيوش	405 – 487	394
912	بدر [الكبير] الحماميّ [الطولونيّ]		310	402
913	بدر الحقيقيّ			404
914	بدر الإخشيديّ		بعد 357	405
915	بدر صاحب عبد الرحمان الداخل			406
916	بدر الحبشيّ		576	406

رقم الترجمة	اسم المترجم	لقبه أو نسبته	تاريخ وفاته	الصفحة
917	برلغي الأشرفيّ ، سيف الدين		ـ 711	407
918	برلغي الصغير ، سيف الدين		ـ 749	409
919	برح بن عسكر			410
920	برغش العادليّ		ـ 608	411
921	بسر بن أرطاة		ـ 86	411
922	بشارة الإخشيديّ الخادم		ـ بعد 388	421
923	بشتاك الناصريّ ، سيف الدين		ـ 742	423
924	بشر بن مروان بن الحكم	بشر بن مروان الأمويّ	ـ 75	428
925	بشر بن أوس الجرشي ، أبو الجرّاح		ـ بعد 131	434
926	بشر بن صفوان بن نوفل		ـ 109	434
927	بشر بن نصر ، أبو القاسم	« غلام عرق »	ـ 302	436
928	البعيث المجاشعيّ [خداش بن بشر]	البعيث المجاشعيّ الشاعر	ـ قبل 98	438
929	بغا الصغير ، سيف الدين		ـ 737	439
930	بغدوين بن [...]	بغدوين صاحب القدس	ـ 508	440
931	بقيّ بن مخلد		201 ـ 276	441
932	بكّار بن قتيبة بن أسد	بكّار بن قتيبة القاضي	182 ـ 270	442
933	بكتاش الفخريّ ، بدر الدين		ـ 706	454
934	بكتمر البوبكري ، سيف الدين		ـ 728	457
935	بكتمر الجوكندار ، سيف الدين		716	459
936	بكتمر الظاهريّ ، السلاح دار		ـ 703	462
937	بكتمر العلائيّ ، سيف الدين		ـ 745	466
938	بكتمر الحاجب ، جمال الدين		ـ 728	466
939	بكتمر الساقي ، سيف الدين		ـ 733	468
940	بكتوت العلائيّ ، بدر الدين		ـ 693	474
941	بكتوت الخزندار ، بدر الدين		ـ 680	475

رقم الترجمة	اسم المترجم	لقبه أو نسبته	تاريخ وفاته	الصفحة
942	بكتوت الأزرق ، بدر الدين		– 696	475
943	بكتوت الفارسيّ ، بدر الدين		– 694	475
944	بكتوت الفتّاح ، بدر الدين		– 710	475
945	بكتوت القَرمانيّ ، بدر الدين		– 749	477
946	بكتوت الأقرعيّ ، بدر الدين		– 694	478
947	بكتوت المحمّديّ ، بدر الدين		– 686	479
948	بكتوت الخزنداري ، بدر الدين	متولّي الإسكندريّة	– 711	479
949	بلال المغيثيّ ، حسام الدين		– 699	481
950	بلبان الحسنيّ ، أمير جندار		– 749	483
951	بلبان المشرفيّ ، علم الدين		– 678	484
952	بلبان النوفليّ ، ناصر الدين		– 678	484
953	بلَبان الرومي ، سيف الدين	دوادار العلامة	– بعد 679	484
954	بلبان الرومي الظاهري ، سيف الدين		– 680	484
955	بلبان العلائيّ ، شرف الدين	« الله كريم »	– 687	485
956	بلبان الطباخيّ ، سيف الدين		– 700	485
957	بلبان الفاخريّ ، سيف الدين		– 697	486
958	بلبان الجاشنكير		– بعد 709	486
959	بلبان طرنا ، سيف الدين		– 734	487
960	بلبان البدريّ ، سيف الدين		– 727	487
961	بلبان القبجيّ ،		– 723	488
962	بلبان الهارونيّ ، سيف الدين		– 692	488
963	بلبان الكوندكي ، سيف الدين		– 730	489
964	بلبان الشمسي ، سيف الدين		– 745	489
965	بلبان الغلمشي ، سيف الدين		623 – 709	489
966	بلبان الجوكندار ، سيف الدين		– 706	490
967	بلبان الحساميّ ، سيف الدين		– 736	490

رقم الترجمة	اسم المترجم	لقبه أو نسبته	تاريخ وفاته	الصفحة
968	بلبان البيسري [عبد اللطيف] ، سيف الدين		736 –	491
969	بلبان المحمّديّ ، سيف الدين		745 –	492
970	بلج بن بشر بن عياض القشيري		124 –	492
971	بلك المظفّريّ ، سيف الدين		749 –	495
972	بلك الناصريّ ، سيف الدين	بلك الجمدار	749 –	495
973	بلجك الناصريّ ،	بلجك ابن أخت قوصون	بعد 753 –	496
974	بنان بن محمّد بن حمدان بن سعيد ، أبو الحسن	بنان الحمّال الزاهد	316 –	496
975	بهادر الناصريّ ، بهاء الدين		680 –	500
976	بهادر رأس نوبة ، سيف الدين		693 –	500
977	بهادر المعزّي ، سيف الدين		739 –	501
978	بهادر الشهابيّ ، سيف الدين		802 –	502
979	بهادر البدريّ		740 –	502
980	بهادر آص ، سيف الدين		730 –	503
981	بهادر الإبراهيميّ ، سيف الدين		بعد 720 –	504
982	بهادر الحلبيّ ، سيف الدين	الحاج بهادر السلاح دار	710 –	504
983	بهادر الصقريّ ، بهاء الدين		725 –	508
984	بوري بن أيّوب بن شادي	تاج الملوك الأيّوبيّ	556 – 579	510
985	بنان سعيد السعداء		544 –	512
986	بهرام بن أسيد ، سيف الدين	تاج الملوك الأرمنيّ	535 –	512
987	بهرام بن عمر بن بهرام ، شمس الدين	بهرام التّركمانيّ	639 –	516
988	بهرام شاه بن فرّخشاه	صاحب بعلبك	627 –	517
989	بهرام بن [...]	بهرام مقدّم الباطنيّة	522 –	517
990	بهرام بن عبد الله بن عبد العزيز ، أبو البقاء	قاضي القضاة الدميري	805 –	518
991	بهم بن الحسين	بهم القائد الطولونيّ	بعد 256 –	519
992	بهلول بن عمر ، أبو الحسن التجيبيّ	التجيبيّ	233 –	520
993	بيبرس الحاجب ، ركن الدين		743 –	520

رقم الترجمة	اسم المترجم	لقبه أو نسبته	تاريخ وفاته	الصفحة
994	بيبرس العجميّ ، ركن الدين	بيبرس الجالق	ـ 707	527
995	بيبرس الركنيّ ، ركن الدين		ـ 740	527
996	بيبرس التاجي ، ركن الدين		ـ بعد 712	528
997	بيبرس التلاويّ ، ركن الدين.		ـ 703	529
998	بيبرس الزاهديّ ، ركن الدين الأحدب		ـ 692	529
999	بيبرس الموفّقيّ ، ركن الدين		ـ 704	530
1000	بيبرس الرشيديّ ، ركن الدين		ـ 680	530
1001	بيبرس الصيرفيّ ، ركن الدين		ـ 681	531
1002	بيبرس الناصري ، ركن الدين	بيبرس طقصوا	ـ 692	531
1003	بيبرس المنصوريّ ، ركن الدين		ـ 725	531
1004	بيبرس الجاشنكير ، ركن الدين	الملك المظفّر	ـ 709	534
1005	بيبرس الأحمديّ ، ركن الدين		ـ 746	555
1006	بيبغا التركمانيّ ، سيف الدين		ـ 707	558
1007	بيبغا تتر ، سيف الدين	بيبغا حارس الطير	ـ بعد 751	559
1008	بيبغا أروس القاسميّ ، سيف الدين		ـ 754	559
1009	بيدرا المنصوريّ ، بدر الدين	بيدرا قاتل الأشرف	ـ 693	562
1010	بيدمر البدريّ ، سيف الدين	بيدمر نائب حلب	ـ 748	568
1011	بدرجك الناصريّ ، بدر الدين		ـ 724	569
1012	بدل من أبي المعمّر بن إسماعيل	أبو الخير بدل التبريزيّ	552 ـ 631	570
1013	برسبغا الحاجب ، سيف الدين	برسبغا الحاجب	ـ 742	570
1014	بركات صاحب البديعيّة	بركات البديعيّ	ـ 513	571
1015	برجوان العزيزيّ	الأستاذ برجوان	ـ 390	572
1016	بيسريّ الشمسيّ ، بدر الدين		ـ 698	576
1017	بيغجار الساقي الناصريّ		ـ 731	581
1018	بيغرا الناصري ، سيف الدين		ـ 754	581
1019	بيليك الأيدمري ، بدر الدين		ـ 687	582

رقم الترجمة	اسم المترجم	لقبه أو نسبته	تاريخ وفاته	الصفحة
1020	بيليك المحسنيّ ، بدر الدين		ـ 695	583
1021	بيليك الطياريّ ، بدر الدين		ـ 699	583
1022	بيليك المسعوديّ ، بدر الدين		ـ 690	584
1023	بيليك المحسنيّ ، بدر الدين		ـ 739	584

ت

رقم الترجمة	اسم المترجم	لقبه أو نسبته	تاريخ وفاته	الصفحة
1024	تبر الإخشيديّ		ـ 360	585
1025	ترمش بن عبد الله	ترمش الطولونيّ	ـ 283	585
1026	تركان شاه بن بلدكوش ، أبو الملوك			587
1027	تمم بن المعزّ بن المنصور	تمم بن المعزّ الفاطميّ	337 ـ 374	588
1028	تمم بن المعزّ بن يعلى ،	أبو الطاهر الباديسيّ	ـ 565	601
1029	تكين الخاصّة ، أبو منصور الخزريّ		ـ 321	601
1030	تلك الحسنيّ ، سيف الدين		ـ 753	604
1031	تمّام بن عبد الهادي	ابن الحنبليّ الواعظ	ـ 620	605
1032	تمر الساقي ، سيف الدين		ـ 743	605
1033	تمُربغا المنصوريّ ، سيف الدين	تمربغا المنصوريّ	ـ 698	606
1034	تنكز الحساميّ	تنكز نائب الشام	ـ 741	607
1035	توبة بن النمر بن حرملة	توبة بن النمر القاضي	ـ 120	622
1036	توبة بن عليّ بن مهاجر ، أبو البقاء	البيع الدمشقيّ	620 ـ 698	622
1037	توران شاه بن أيّوب ، غيّاث الدين	الملك المعظّم	ـ 649	625
1038	توزان التّركيّ			633

رقم الترجمة	اسم المترجم	لقبه أو نسبته	تاريخ وفاته	الصفحة

ث

1039	ثابت بن عبد الله بن الزبير ، أبو حكمة			633
1040	ثابت بن نعم بن يزيد بن روح	ثابت بن نعم الجذاميّ	– 127	638
1041	ثابت التفليسيّ ، أبو التقى	ثابت التفليسيّ الصوفيّ	– 631	639
1042	ثعلب بن عبد الله بن عبد الواحد ، أبو العبّاس	رضيّ الدين القاضي	– 631	640
1043	ثعلبة بن سلامة بن جحدم بن عمرو	أبو سلمة العجليّ	– 132	640
1044	ثقبة بن رميثة بن أبي نُمَي	ثقبة أمير مكّة	– 762	641
1045	ثمال بن صالح بن مرداس ، أبو علوان	ثمال ابن مرداس	– 454	642
1046	ثمل الخادم		– 311	646
1047	ثوبان بن بجدد ، مولى رسول الله ﷺ		– 54	647

مراجع التحقيق

(ممّا زاد على الجزء الأوّل)

أ

أخبار الدول المنقطعة لابن ظافر (ت 613) ، نشر أندري فرّي ، القاهرة ، 1972 .

أخبار مصر لابن المأمون (ت 588) ، نشر أيمَن فؤاد السيّد ، القاهرة 1983 .

أخبار ملوك بني عبيد لابن حمّاد (ت 628) ، نشر فوندرهايدن ، الجزائر ، 1927 .

الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البرّ (ت 463) ، القاهرة ، 1323 .

أسد الغابة لابن الأثير (ت 630) ، القاهرة ، 1970 .

الإصابة في تمييز أسماء الصحابة لابن حجر (ت 852) .

الإمارة الأغلبيّة لمحمّد الطالبيّ ، ترجمة الصيّاديّ ، دار الغرب الإسلاميّ 1985 .

أمالي القالي (ت 356) ، بيروت د . ت .

ب

البخلاء للجاحظ نشر طه الحاجريّ .

البيان والتبيين له نشر عبد السلام هارون .

ت

التاريخ الكبير للبخاريّ (ت 256) ، بيروت ، د . ت .

تاريخ خليفة بن خيّاط ، نشر أكرم ضياء العمَريّ ، بغداد ، 1967 .

تالي وفيات الأعيان لأبن الصقاعي (ت 726) نشر ج سوبلي، دمشق 1974.

تبصير المنتبه لابن حجر .

تبيين المعاني في شرح ديوان ابن هانىء لزاهد عليّ ، القاهرة 1933 .

تجريد الأغاني لابن واصل (ت 697) نشر طه حسين والأبياري ، القاهرة ، 1957 .

تشريف الأيّام والعصور لابن عبد الظاهر (ت 692) ، نشر مراد كامل ، القاهرة ، 1961 .

تلخيص مجمَع الآداب في معجم الألقاب لابن الفوطي (ت 723) نشر مصطفى جواد .

ج

جذوة المقتبس للحميديّ (ت 488) نشر محمّد بن تاويت ، القاهرة 1952 .

الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (ت 327) ، حيدراباد ، 1371 .

جمْهرة نسب قريش للزبير بن بكّار ، نشر محمُود محمّد شاكر ، القاهرة 1381 .

د

الدول الإسلاميّة لكليفور بوزوورث ، إدنبرا ، 1967 .

(C. E. Bosworth: The Islamic Dynasties-Edinburgh, 1967).

ديوان الأخطل ، نشر الأب صالحانيّ ، بيروت ، 1969 .

ديوان أيدمر المحيوي ، القاهرة ، 1931 .

ديوان تميم بن المعزّ الفاطميّ ، القاهرة ، 1957 .

ديوان الفرزدق ، نشر الصاوي ، القاهرة ، 1936 .

ديوان كثيّر ، نشر إحسان عبّاس ، بيروت ، 1971 .

ذ

ذيل الروضتين لأبي شامة (ت 665) .

ذيل السمط للمَيمَنيّ الراجكوتيّ .

ر

الرسالة القشيريّة للقشيري (ت 465) نشر عبد الحمِيد حمُود ، القاهرة ، 1966 .

رياض النفوس للمالكيّ (ت 453) ، نشر البشير البكّوش ، بيروت دار الغرب الإسلاميّ ، ١٩٨١ .

س

سيرة الأستاذ جوذر ، نشر محمّد كامل حسين ومحمّد عبد الهادي شعيرة ، القاهرة ، د . ت .

ش

الشعر والشعراء لابن قتيبة (ت 276) .

شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (ت 656) بيروت ، د . ت .

ص

الصادح والباغم لابن الهباريّة (ت 509) .

ط

طبقات علماء إفريقيّة لأبي العرب (ت 333) ، نشر ابن أبي شنب ، الجزائر ، 1917 .

طبقات الأطبّاء والحكماء لابن جلجل (ت 372) نشر فؤاد السيّد ، القاهرة ، 1953 .

ع

عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة (ت 668) .

العيون والحدائق ، ج 4 ، نشر عمَر السعيديّ ، دمشق ، 1973 .

غ

غاية الأماني في أخبار القطر اليمانيّ ليحيى بن القاسم ، نشر سعيد عبد الفتّاح عاشور ، القاهرة ، 1968 .

ف

فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم (ت 257) نشر طوري .
فجر الأندلس لحسين مؤنس ، القاهرة ، 1959 .

ل

لسان الميزان لابن حجر ، حيدراباد ،د . ت .

م

المجالس والمسايرات للقاضي النعمان (ت 363) . تونس ، 1978 .
معالم الإيمان للدبّاغ (ت 696) ، تونس 1902 .
معجم الدمياطيّ ، نشر ڤاجدا .
مفرّج الكروب لابن واصل (ت 697) نشر جمال الدين الشيّال ، القاهرة 1954 .

ن

نزهة النفوس والأبدان لابن الصيرفيّ (ت 900) ، نشر حسن حبشي ، القاهرة 1970 .
نسب الأشراف للبلاذري (ت 279) ، نشر محمد باقر المحموديّ ، بيروت ، 1974 .

و

وقعة صفّين لنصر بن مزاحم (ت 212) نشر عبد السلام هارون ، القاهرة ، 1365 .



دار الغرب الإسلامي
بيروت - لبنان
لصاحبها: الحبيب اللمسي
شارع الصوراتي (المعماري) - الحمراء - بناية الأسود
تلفون : 340131 - 340132 - ص . ب . 5787 - 113 بيروت - لبنان
DAR AL-GHARB AL-ISLAMI - B.P.:113-5787 - Beyrouth - Liban

الرقم : 1991 / 7 / 1000 / 176

الطباعة : دار صادر - بيروت

MAQRĪZĪ (m. 845 / 1441)

AL - MUQAFFĀ

Volume II

(– 695 Idris 1er – 1047 – Tawbān b. Bajdad)

Texte établi et annoté
par
MOHAMMED YALAOUI



DAR AL-GHARB AL-ISLAMI
1991